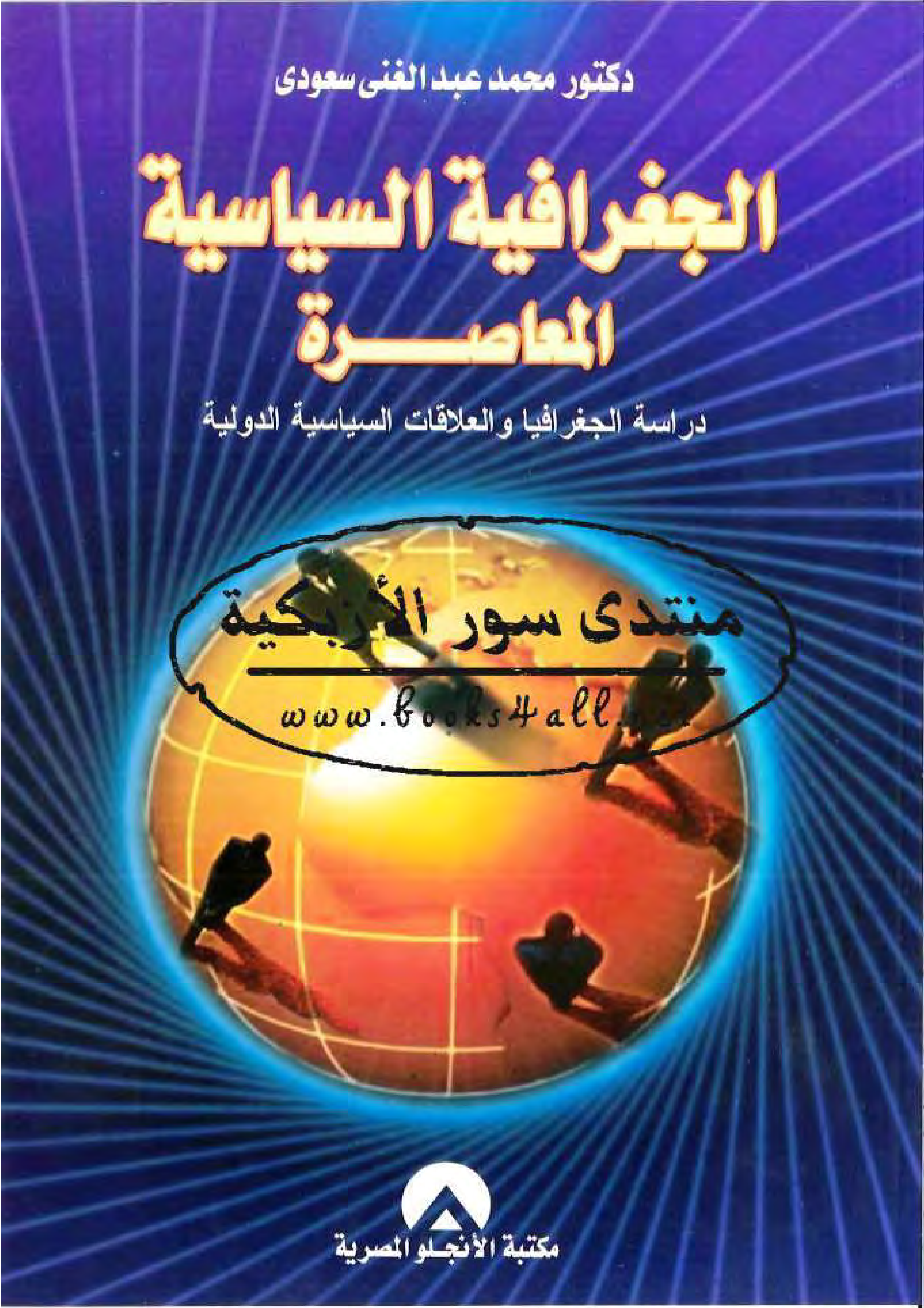


دكتور محمد عبد الغنى سعودى
الجغرافية السياسية
المعاصرة
دراسة الجغرافيا والعلاقات السياسية الدولية
مكتبة الأنجلو المصرية



الجغرافية السياسية المعاصرة

دراسة الجغرافية والعلاقات السياسية الدولية

دكتور
محمد عبد الغنى سعودى
عميد معهد البحوث والدراسات الأفريقية
جامعة القاهرة



مكتبة الأنجلو المصرية

أسم الكتاب : **الجغرافيا السياسية المعاصرة**

أسم المؤلف : **د. محمد عبد الغنى سعودى**

أسم الناشر: **مكتبة الأنجلو المصرية**

أسم الطابع: **مطبعة محمد عبد الكريم حسان**

سنة الطبع · **2010**

رقم الإيداع : ٩٩٥٢

الترقيم الدولى : I.S.B.N 977 - 05 - 1557 - 4

فهرس الكتاب

القوي العالمية

الفصل الرابع : ألمانيا - فرنسا - المملكة المتحدة.

ألمانيا : العلاقات المكانية - قوة ألمانيا - القوة الإقتصادية - السكان - نمو ألمانيا كوحدة سياسية - التوسع الألماني بعد الوحدة - التوسع الألماني الهتلري - تقسيم ألمانيا عقب الحرب الثانية - النمو الإقتصادي لألمانيا الغربية - الصناعات الرئيسية - الوحدة الألمانية - ألمانيا الدولة الأوروبية الأولى - مظاهر القوة الألمانية - المطالبة بمقعد في مجلس الأمن - المطالبة باعتماد اللغة الألمانية كلغة أساسية في الاتحاد الأوروبي - تشكيل جيش أوروبي موحد - إختيار فرانكفورت عاصمة مالية لأوروبا الموحدة - دعم اقتصاديات بعض دول أوروبا الشرقية - مفهوم ألمانيا للوحدة الأوروبية. (٣٢٤ - ٣٣٧).

فرنسا : العلاقات المكانية - إقتصاديات فرنسا - الإنتاج الزراعي - الإنتاج الصناعي - التحول الكبير الإنتاج المعدني - سكان فرنسا - استراتيجية الحدود - ماذا تريد فرنسا على المستوى العالمي - إنسحاب فرنسا من قوة المراقبة الجوية في العراق - قضية الأمين العام للأمم المتحدة - وقيادة حلف الأطلنطي - الفرانكفونية منظمة سياسية دولية - التعاون مع روسيا والصين. (٣٣٨ - ٣٤٨).

المملكة المتحدة : معالم رئيسية - الماضي العتيد - تقهقر الصناعة البريطانية التقليدية، وظهور صناعات جديدة - هبوط النمو السكاني - اختفاء المستعمرات - بريطانيا بعد الحرب العالمية الثانية إلى أين. (٣٤٩ - ٣٥٥).

الفصل الخامس : آسيا الشرقية : تمهيد:

اليابان : العلاقات المكانية - دولة مستوردة لغذائها وخاماتها ووقودها ت الناتج المحلي والتجارة الخارجية - الطاقة النووية - الصناعة - صناعة الصلب - صناعة السيارات - صناعة الحاسبات - الإنسان الآلي - الاستثمارات الخارجية - طلب مقعد دائم في مجلس الأمن - أسباب العملقة العالمية - البشر - اقتصاد المنتجين واقتصاد المستهلكين. (٣٥٦ - ٣٦٥).

الصين : من قزم سياسي إلى عملاق اقتصادي - مؤشرات القوة الناتج القومي الإجمالي - تجارة خارجية ضخمة - دخول الصين منظمة التجارة العالمية - إحتياطي النقد الأجنبي - الإستثمارات الأجنبية - الردع النووي والوزن الاستراتيجي للصين في آسيا، علاقات جيدة مع الجيران - الصين في الفضاء - عدم المساواة في النمو بين أقاليم الصين. (٣٦٥ - ٣٧٠).

بسم الله الرحمن الرحيم

تصـــــــدير

كثـيرا ما يتعرض كتاب في الجغرافية السياسية للنقد، وذلك لعدم وجود حدود واضحة لذلك الفرع من العلوم الجغرافية، إذ أنه يتداخل مع التاريخ، ومع علم الجيوبوليتك، ورغم هـذا فممـا لا يذكـره إنسان هو تلك العلاقات الوثيقة بين الشئون والأحداث الدولية كمن ناحـية، والبيـئات الجغرافية التي تظهر فيها من ناحية أخرى، ولعل الصعوبة تظهر في رسـم خط واضح بين ما هو جغرافي وما هو غير جغرافي، ومن ثم كان عمل الجغرافي السياسـي فـي مـنطقة الحدود المشتركة بين الجغرافية والتاريخ والسياسة، أو تخومها، ومطـبقا فنه الخاص، وطرائقه الخاصة، ليسهم بتصنيف في العلوم القريبة من علمه، على أنه حذارى أن يكرر عمل الفروع المتخصصة الأخرى.

ولعلـنا نـتفق جميعا، على أنه من بين الأسس المستعملة لتقسيم العالم إلى وحدات أو أقالـيم، كانـت الوحدات السياسية أكثرها شيوعا، فبالنسبة لكثير من الدارسين قبل الحرب العالمـية الأولـي وبعدهـا، كانـت خريطة العالم التي تعرض أمامهم هي خريطة العالم السياسية، وفيها كل وحدة سياسية، وقد اتخذت لونا معينا، مثل هذه الخريطة كانت في هي المألوفـة لدى الدارسين، لكنها في نفس الوقت تغفل كثيرا من الحقائق الجغرافية كأشكال السـطح، والغطاء النباتي، وتوزيع السكان، وأنماط الإقتصاد السائد، وغيرها من المظاهر الحضـارية، مـن ثـم لم تعط إلا صورة غير كاملة لم تفصح إلا عن جزء من الحقائق الجغرافية.

رغم هذا، فهناك تبرير كثير للتأكيد على الوحدات السياسية عند دراسة الأرض كوطن للإنسـان، علـى إعتـبار أن السلطة السياسية في كل قطر من الأقطار، تؤثر لاشك في ضرب المعيشة، وفي طرق إستغلال الإنسان للأرض.

فالجغرافـية السياسـية إذن، فـرع قديـم مـن فروع الجغرافية، كتب فيها *أرسطو*، *وأفلاطـون*، وإن كـان مفهومـا منذ نحو نصف قرن على أنها ترديد لقوائم من الوحدات السياسية، وعواصمها، ومراكزها، ومدنها، مما أدي إلى قيام ثورة على تدريس الجغرافية بهذا الأسلوب([1]).

وهذا الفرع من فروع الجغرافية، ظل لا يلقي العناية الجديرة به مدة طويلة ويرجع هذا إلـى رغبة جغرافي القرنين الثامن والتاسع عشر في الهروب من سيادة الأقاليم السياسية، كالإطار الوحيد لما عرف باسم الجغرافية الإقليمية، وقد يرجع هذا إلى الخوف من تبعيتهم للـتاريخ، مـن ثـم لجاءوا إلى الظروف الطبيعية، وقسموا على أساسها العالم، إلى أقاليم طبيعية، ومع تقدم فروع العلوم الطبيعية بدءوا يهملون الحدود السياسية تماما.

1- Freeman. T.W.A Hundred Years of Geography, Dukwroth, London, 1961.P.205.

ويرجع تعبير الجغرافية السياسية إلى العالم الألماني ***كانت*** (١٧٠٣ ــ ١٧٢٤) ***Kant,*** الذي اعتبر أبا للجغرافية السياسية، وكان يدلي بأسس الجغرافية السياسية أثناء محاضراته في الجغرافية الطبيعية ([2]). ولم تجد أفكاره صدى خارج وسط أوروبا وألمانيا، وإن كان قد تتلمذ عليه في بلاده مجموعة من الجغرافيين من أمثال ***كارل ريتر Ritter K,*** (١٧٧٩ ــ ١٨٥٩)، ***وفردريك راتزل Ratzel,F*** الذي ألف كتاب الجغرافية السياسية ***Geographie Politish*** وفيه يشرح العوامل الجغرافية التي تتحكم في نمو الدولة وتكوينها، وأن حدود الدولة قابلة للنمو، والزحزحة، حتى تبلغ حدودها الطبيعية، وتتعداها إن لم تجد المقاومة من الجيران، وبذلك كان نمو مفهوم المجال الحيوي ***Lebensraum*** من صنع ***راتزل*** أيضا، ليس بغريب أن يصبح ***راتزل*** هو الخالق الفعلي لهذا الفرع من فروع الجغرافية.

غير أن الفضل يرجع إلى الجغرافي السويدي ***كيلن K. Jellen, R.*** في استعمال لفظ ***Geopolitik*** والتمييز بينه وبين الجغرافية السياسية ***Political Geopraphy*** وتنبأ ***كيلن*** بقيادة دولة عظمي ***superstate*** في أوروبا وأفريقية وآسيا، وأن الدولة العظمي في أوروبا ستكون ألمانيا. وتأثر في أفكاره إلى حد كبير بالجغرافيين الألمان، وخاصة ***راتزل***، فالدولة في نظره كائن حي، ويعتمد بقاؤها على سكانها، وحضارتها، واقتصادها، وحكومتها، وأراضيها. كما تنبأ بزوال الإمبراطوريات البحرية، وإنتقالها إلى الدول البرية التي سوف تسيطر بدورها على المسالك المائية. وقد أثرت أفكار ***كيلن*** بدورها على علماء الجيبوليتكا في ***ميونخ***، الذين راجعوا آراءه، وأعادوا نشر بعضها.

وتعتبر الحرب العالمية الأولي نقطة تحول كبير نحو زيادة العناية بالجغرافية السياسية في ألمانيا وخارجها. وكان ***كارل هوسهوفر Haushofer*** الوريث الفكري ***لكيلن*** مخترع الجيوبولتيك فإن ***هوسهوفر*** نبي الجيوبولتيك ([3]). وكان رجلا عسكريا، أرسل إلى اليابان عام ١٩٠٨ كخبير في المدفعية، وأعجب أيما إعجاب بالشرق الأقصى، ونادي بضرورة وجود علاقات بين ألمانيا واليابان. واشترك في الحر العالمية الأولي. وبعد خروج ألمانيا منهزمة شغل كرسي الجغرافية والعلوم العسكرية في جامعة ***ميونخ*** عام ١٩١٩. وكون هو ورفاقه معهد العلوم السياسية ***Institut Fur Geopolitik***، وكان لنشرات هذا المعهد العلوم في مد الحكومة الألمانية بكثير من الحقائق والمعلومات النافعة، فضلا عن نشر الثقافة الجيوبوليتيكية بين الألمان، عن طريق مجلة العلوم السياسية ***Zeitschrift Fur Geopolitik*** التي كان يرأس تحريرها.

وتتلخص آراء ***هوسهوفر*** في أنه كان متأثرا إلى درجة كبيرة بفكره المجال الجغرافي لأنه يتحكم في تاريخ البشرية، كما أن الدولة يجب أن تتوسع أو تهلك، ومن رأيه أن

---

2 - CRLSON, I. Geogtaphy and World Politics Prentice Hall 1959, P.14.

3 - Cralson, L. ibid, P.17.

مكونات الدولة القوية أربعة :

عــدد وفــير من السكان، ونسبة عالية للمواليد، واتحاد تام بين دم سكانها وتربتها، ثم توازن عادل بين سكان حضرها وريفها. وهذا تأثر لاشك بآراء ***راتزل وكيلن.***

وعاصر الجغرافي البريطاني ***هالفورد ماكندر*** ***Mackinder, H.*** الجنرال ***هوسهوفر،*** وخــرج على العالم بنظريته في الإستراتيجية الكوكبية، والتي فصلناها في الفصل الأخير مــن الكتاب، وقد أثارت نظريته عن توزيع القوي السياسية في العالم والتي عرضها أول مــرة عــام ١٩٠٤، التي نقحها أكثر من مرة، العديد من الناقشات طوال فترة تقرب من نصف قرن ([4]).

وكانــت الحــرب العالمــية الأولي داعيا إلى ظهور هذا الفرع وتنشيطه في الولايات المــتحدة الأمريكــية، ذلك أن الحكومة الأمريكية كلفت العديد من الجغرافيين الأمريكيين بعمــل العديــد من دراسات للمشكلات الأوروبية سواء في المراحل التمهيدية في الجمعية الأمريكــية، أو كأعضــاء في وفد الرئيس ***ولسن*** في مؤتمر السلام، ولم يكن أحد منهم قد سبق له المران على هذا النوع من الدراسة أو الكتابة فيه ([5]).

وكــان ***بومان*** ***Bowman, I.*** رائد الجغرافيين الأمريكيين في هذا المجال، وكان كتابه ***العــالم الجديد*** ([6])، هو المرجع الرئيسي لمشكلات ما بعد الحرب العالمية الأولي، خاصة وأن صــاحبة كــان أحــد المختصين القلائل في مفاوضات الصلح عقب الحرب العالمية الولي، كما كان مستشارا للرئيس ***روزفلت*** أثناء الحرب العالمية الثانية.

وظهــر فــي الولايــات المتحدة الأمريكية أيضا ***درونت ويتلسي*** ***Whittlessey, D.*** ***وريتشــارد هاتشورون*** ***Hartshone, R.*** ***وفان فلكنبرج*** ***Valkenburg, V.*** ***ونورمان بونــدز*** ***Pounds*** وغــيرهم، أمــا المدرســة الأوروبية فقد ظهر فيها إلى جانب ***ماكندر*** البريطانــي، ***سيفجيك*** ***Civigic*** اليوغسلافي ***وديمارتون*** ***De Martonne*** الفرنسي حينما كتب عن الدولة الحديثة في وسط أوروبا عقب الحرب العالمية الأولي.

ويقول ***فريمان*** عن منهج ***ماكندر وبومان وسيفجيك*** في معالجة موضوعات الجغرافية السياسية :

إن ***بومــان*** يــريك الغابة والأشجار، بينما ***ماكندر*** يريك الأشجار، ***وسيفجيك*** يعرض أمامك الأشجار التي درستها جيدا.

---

[4] - Mackinder, H. " The Geographical Pivot of History " Geog. Jour. Vol. 3. 1904. Democratic Ideals and Reality, New York, 1919, reissued, 1942.

[5] - Hartshorn R. Americn Geography, Inventor, Prospects Siracuse, 1954, P. 170.

[6] - Bowman, 1. The new World, Problems in Political Geography, New York, 1921.

تمهيد

الجغرافية السياسية : مجال ومنهج

المجال :

الجغرافية السياسية جانب من جوانب الجغرافية البشرية، فبينما تدرس الجغرافية البشرية بوجه عام العلاقة بين البيئة والإنسان بغض النظر عن الأشكال السياسية، أي على أساس الإقليم الجغرافي ***Geographical Region***، نجد أن الوحدة السياسية هي أساس هذه العلاقات عند باحث الجغرافية السياسية، فالوحدة الأولي نتاج الطبيعة، بينما الثانية نتاج البشر. حوض *الدانوب* مثلا قد يوحي بوحدة جغرافية، ولكن الخريطة السياسية تشير على عدة وحدات سياسية (رومانيا، بلغاريا، يوغسلافيا السابقة، والمجر)، وشمال غربي أفريقية يوحي بوحدة جغرافية، ولكن تنتظمه ثلاث وحدات سياسية (تونس والجزائر والمغرب) وهكذا.

إذن الجغرافية السياسية، ***هي دراسة الوحدات أو الأقاليم السياسية كمظاهر على سطح الأرض،*** وما تشتمل عليه هذه الوحدات، من شعوب وجماعات. ويتوقف إمتداد هذه الأقاليم وطبيعتها، على تباين الظاهرات السياسية التي تسود العالم، ففي بعض جهات من العالم، نجد أن الأقاليم السياسية لها صفة الاستقرار النسبي لمدة زمنية طويلة، بينما نجدها في جهات أخرى من العالم يصيبها تغيرات سريعة، ونضرب مثلا بالسويد والنرويج في شبة جزيرة اسكنديناوة، وكندا والولايات المتحدة الأمريكية في الحالة الأولي، وبألمانيا وبولندا في الحالة الثانية.

وهكذا بينما تنشد الجغرافية الإقليمية التباين الأرضي، تركز الجغرافية السياسية على تباين الوحدات السياسية، فإذا كانت الأولي سردية شاملة، فإن الثانية أكثر تحديدا.

وبدراسة الظاهرات السياسية ***Political Phenomena*** وارتباطها بظاهرات سطح الأرض الأخرى، والمسطحات المائية، وأنماط الاستقرار يمكن للباحث الجغرافي أن يحلل، ويعلل، الطرق المختلفة التي نظم بها الإنسان هذه الأرض، إلى أنماط سياسية كزائير، أو الصين، أي يدرس الدولة على اعتبار أنها الأساس الأول للوحدات السياسية، ولكنه قد يدرس إقليما داخل الدولة كمقاطعة، أو ولاية، أي وحدة إدارية كولاية ***كيبك*** في كندا، ولماذا كانت نشازا في جوقة العزف الكندية. ويتعدي مجال الجغرافية السياسية دراسة الدولة المستقلة ذات السيادة التامة، إلى دراسة الأقطار التابعة بشكل أو أخر، كجنوب غرب أفريقية، فيمكن دراستها في نطاق الجغرافية السياسية شأنها شأن الدول المستقلة تماما، ومن التنظيمات السياسية التي تعلو هناك المنظمات الدولية التي قد ترضي الدولة بانضمام إليها بمحض اختيارها سواء كانت منظمات إقليمية، كمنظمة شمال الأطلنطي ***NATO*** أو منظمة جنوب شرق آسيا ***SEATO*** أو منظمات اقتصادية (كالاتحاد الأوروبي ***EU***) وهذه المنظمات، الغرض منها تسهيل الوصول بأعضائها

على أهداف معينة، متفق عليها في معاهدات، أو اتفاقيات، وأخيرا هناك المنظمات العالمية كالأمم المتحدة (٧).

وقد تقوم دراسات أصولية ***Systematic*** لبعض الظاهرات السياسية على سطح الأرض، كالحدود السياسية، أ العواصم، أو دراسة مشكلة السكان في العالم، كمشكلة سياسية أو دراسة مشكلة الملونين في الولايات المتحدة الأمريكية، أو اللاجئين و الآثار السياسية للشركات المتعددة الجنسية، والتلوث البيئي ونفاد الموارد والوفرة والحرمان بين الشمال والجنوب وغيرها من الموضوعات التي أصبحت عالمية، ومتخطية للحدود السياسية، ولكن يجب ***ألا نهمل ظاهرات الأرض غير المنتظمة في وحدات سياسية***، إذا تميزت بوجود بعض الظاهرات السياسية المتعلقة بها، التي قد تؤدي إلى خلق مشكلات دولية كأحواض الأنهار، النيل بين مصر السودان وأوغندا، والسند بين الهند وباكستان، ودجلة والفرات بين تركيا والعراق وسوريا. وهناك دراسة المراكز التي تظهر فيها اتجاهات انفصالية، كمراكز الأكراد في إيران والعراق وتركيا، هذه ليست لها حدود سياسية، ولكنها في نفس الوقت ذات أهمية كبيرة لباحث الجغرافية السياسية.

غير أن من بين هذه المجالات جميعا تحظى الدولة كوحدة سياسية بأهمية كبيرة، حتى أن البعض يذهب إلى أن ميدان الجغرافية السياسية هو تحليل العلاقات بين السكان والبيئة الطبيعية في إطار الدولة، سواء كانت هذه العلاقات داخلية أو خارجية (٨). وقوم الدولة بوظيفة، وتتمثل هذه الوظيفة في معظم الأحوال في العمل على رفاهية الأمة وحمايتها.

وتدرس بذلك الجغرافية السياسية:

١ ــ مدي التوافق الجغرافي بين الدولة والأمة: وهذا أمر يثير مسألة الحدود السياسية، وهل تضم الدولة أقليات داخلها، أم هناك إدعاءات خاصة بأقاليم خارج حدودها.

٢ ــ موارد الدولة التي تتحكم فيها لتحقيق أهدافها، كرفاهية الشعب وحمايته، وتتمثل هذه الموارد في الموقع الجغرافي، وحجم الدولة، وشكلها، أو بمعني آخر العوامل التي تؤثر في إستراتيجيتها والدفاع عنها، كما تشمل دراسة مواردها الطبيعية، مدي تماسك الدولة بواسطة طرق النقل والمواصلات المختلفة، وأخيرا دراسة مواردها البشرية كما وكيفا. وقد لا تعتمد الدولة على مواردها الداخلية، فقد تعتمد على ما يأتيها من حلفائها، أو مستعمراتها وغيرها من الأمور التي تساندها لتحقيق غايتها.

وتنعكس درجة استغلال موارد الدولة، أو البيئة، على نجاح الدولة أو الوحدة السياسية واستقرارها، وإن كان ليس معني هذا أيضا أن طرق وأشكال الاستقلال المتبعة في دولة تكون صالحة تماما لبيئة أخرى، فمن أهم الدروس التي يخرج بها المشتغل بالجغرافية السياسية، هو عدم تطبيق أي نظام ناجح في دولة ما، على دولة أخرى دون مراعاة

---

[7] - Pounds, N. " Political Geography " Mc Grew Hill, 1963. P. 3.
[8] - Moodie A.E. Georaphy Behind Politics, Hutchinson, London, 1951, P.7.

الفروق.

٣ ــ دراســة تجــارة الدولــة الخارجية إذ أنها يمكن أن تمثل عنصر قوة أو عنصر ضــعف، ويمكــن أن تستخدم التجارة كوسيلة لتحقيق غرض سياسي كما حدث في وقف إتفاقــية تصــدير الولايات المتحدة الأمريكية للقمح إلى الاتحاد السوفيتي، أو حظر العرب تصــدير البترول إلى الولايات المتحدة الأمريكية، وخفضهم للكميات المصدرة إلى الدول الأوروبية في خريف عام ١٩٧٣، أو الحصار الاقتصادي للعراق.

٤ ــ التماســك الاجتماعي للسكان أو درجة الوحدة القومية، والعوامل التي تؤدي إلى عــدم التماســك ســواء كانــت سلالية أو دينية أو لغوية أو قومية ومدى نجاح الدولة في المحافظة على تماسكها الداخلي ([9]) إذ تحمل الدول بين ثناياها تشابهات إقليمية تشدها إلى بعضــها وتعــرف بقــوى الجذب ***Centripetal Force***، وكذلك اختلافات تعرف بقوي الطــرد ([10]). ***Centrifugal Force*** تعمل على تفكيكها، ويتوقف بقاء الدولة أو إحتفائها، واستقرارها أو اضطرابها على قوة كل من العاملين وأكثرهما فعالية.

فدراســة الجغرافية السياسية في المكان الأول، إذن هي تحليل عناصر القوة والضعف للــدول، وتشخيص أعراضها وسبل أغوراها وأبعادها في سبيل الوصول إلى تقييم الوزن السياســي للدولــة، علــى أساس أن كل دولة تتكون من عناصر مختلفة طبيعية وبشرية وإقتصــادية، وتتفاوت مستوى الدول على منحني القوة، باعتبارها نتيجة أوضاع جغرافية واقتصــادية وتاريخــية وحضارية، وهي تعرف بالقوة الشاملة، وعلى ضوء دراسة تلك المقومات يمكن تقييم الدول، وتفسير العلاقات بينها وبين بعض على أسس جغرافية ([11]).

وتتعدى ميادين الجغرافية السياسية تحليل العلاقات بين الجماعة البشرية والبيئة داخليا، على *تحليل العلاقات الخارجية* لهذه الجماعات، ذلك أن التكامل ضروري بين نشاط الدولة الداخلي ونشاطها الخارجي، فالدولة المضطربة داخليا تستنزف جهودها في إقرار السلام، والأمــن والوحــدة الداخلية، ولا تستطيع أن تجد من الطاقة فائضا يمكنها من ظهور بارز فــي المجالات الدولية. كما أن الدولة المستقلة الآمنة من الناحية الخارجية، ينعكس حالها هــذا علــى رخاء السكان، وتفرغ ميزانيتهم للنهوض الاقتصادي. فليس من شك أن جميع الدول غير الآمنة، تستهلك جزءا كبيرا من ميزانيتها في التسلح. قارن مثلا ميزانية الدولة العربــية المحيطة بإسرائيل، وحالة إسرائيل ذاتها، بدول كسويسرا، ولعل ميزانيات التسلح الضخمة في كل من الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي السابق لخير دليل على حالة التوتر الدولي وسباق التسلح الذي يدور في العصر الحاضر.

وتــتأثر الجماعــات داخل الدولة بالظروف الخارجية، نظرا لأن الدولة ما هي إلا قسم

---

9 - Pounds N., op. cit. P. 19.

10 - Hartsrhon R., The Functional Approach in Political Geography, A.A.G. 40. 1950.

11 - Valkenburg, S., Stotz, C., Elements of Political Geography Prentice Hall, 1957, P.4.

من أقسام الخريطة السياسية للعالم، التي أصبحت بألوانها المتعددة أشبه بلوحة من الفسيفساء. ولما كانت حبات الفسيفساء عرضة للتغير، إنكماشا وإمتدادا، أو انقساما، كان معنى هذا أن أي تغير يصيب وحدة سياسية، لابد ويكون لحساب أو على حساب وحدة أو وحدات سياسية أخرى.

ديناميكية الجغرافية السياسية:

وما دامت الجغرافية، مجالها الدولة أساسا، فلابد من معرفة عناصر هذه الدولة، فلا تجود دولة في فراغ، وان كانت الوحدات السياسية تعاني خلخلة في السكان أحيانا، إلا أنه لا توجد وحدة سياسية بأرض دون سكان، ومعنى هذا أن الدولة = أرض ذات حدود سياسية + سكان، ونظرا لأنه لا توجد حتمية في العلاقة بين البيئة والإنسان. فلا ننتظر أن نجد استجابة واحدة من السكان للأرض. فكل بيئة لها إمكاناتها الخاصة، وقد يستغل السكان هذه الإمكانات وقد لا يستغلونها، ومن هذا كان الاختلاف في النظم التي تسود العالم.

لذلك يمكن تعديل المعادلة السابقة كما يلي :

الدولة = أرض ذات حدود سياسية + سكان + علاقة بينهما.

والعاملان الأولان يتميزان بالتنوع، أما الثالث فيتميز بالتعقيد لأنه متغير، ديناميكي معقد، فإذا أضفنا إلى هذه التطورات السياسية المستمرة التي تلحق العالم، أدركنا أن الجغرافية السياسية هي علم ديناميكي متطور، فقد تتسع أرض الدولة أو تنكمش حسب تطور الظروف السياسية، وليس أدل على هذا من مراجعة الخريطة السياسية للعالم في مطلع القرن العشرين، ثم بعد الحرب العالمية الأولي، ثم بعد الحرب العالمية الثانية، لاشك سيجد الإنسان تغيرات واسعة، إختفاء دول، وظهور دول أخرى، كذلك الحال في السكان الذين يختلفون كما وكيفا بين حين وآخر. ومن ثم ليس هناك مؤلف وضع في هذا الفرع الجغرافي إلا ولابد له من التعديل والتنقيح، بما يلائم التطورات التي يشاهدها العالم بل ويقيم هذه التغيرات كلما سمحت الفرصة.

مناهج البحث في الجغرافية السياسية:

تتعدد مناهج البحث في الجغرافية السياسية بحسب موضوع الدراسة، هل هي دراسة للوحدة السياسية، أم دراسة أصولية للحدود السياسية وغيرها من الموضوعات التي سبق أن ذكرناها كميادين لباحث الجغرافية السياسية.

وسنقتصر في هذا المجال على تحليل مناهج البحث في الوحدة السياسية أو الدولة.

المدخل التاريخ *Hstorical:*

وهو أحد هذه المداخل عن طريق دراسة تطور الدولة حتى بلغت بناؤها السياسي الحالي، وقد يكون هذا المدخل مفيدا في بعض الحالات ألخاصة، فالتحليل التفصيلي

للوكسمبرج لابد من تفسير لتطور هذه الدوقية، وأثر هذا النمو على شكلها الحالي، وعيب هذا المدخل التاريخي هو الخوف من أن يضيع باحث الجغرافية السياسية وسط خضم من الأحداث التاريخية، تبعده عن اتجاهه، ويصبح في هذه الحالة غير مميز عن باحث التاريخ السياسـي، والعيب الثاني هو خشية الخروج بأحكام عامة، أو مبادئ نتيجة دراسة حالات خاصة.

وقـد كتب الكثيرون فيما مضي أمثال *راتزل وكيلن وهوسهوفر* عن الدولة ككائن حي والقوانيـن التـي تـتحكم فـي نموها، ورغم التعميم، فعلي سبيل المثال ما هي القوانين المشتركة التي تحكمت في نمو السويد والهند وكوبا؟. فمثل هذا المدخل التاريخي للدولة قد يفيد في تحليل هذه الأقاليم كظاهرات سياسية معاصرة على سطح الأرض.

المدخل الإقليمي Regional:

وهـو الذي يدرس الوحدة السياسية من حيث العناصر التي تتألف منها أو التي تكونها، كالحجم، والشكل، والمناخ، والموارد، والسكان، وغيرها، ولكن هذا المدخل كما هو الحال في المدخل التاريخي سيتخم باحث الجغرافية السياسية بفيض من الحقائق يخشى معه على الباحـث أن ينتهـي بـه الأمر إلى وصف مجموعة من الوحدات السياسية وصفا إقليميا، والجغرافـية السياسية التي هي عبارة عن وصف إقليمي لدول ما، لن تكون لها شخصيتها المتمـيزة، وبالتالي ليس هناك ما يبرر وجودها كفرع منفصل من فروع الجغرافية، لذلك فعلـى الجغرافـي السياسي الذي يتخذ هذا المدخل سبيلا أن يسعى إلى إنتقاء ما يفيده من الدراسـة الإقليمـية، ويحلل معلوماته، وبياناته المختلفة، بالطرقة التي تؤدي به إلى تفهم المشـكلة موضوع الدراسة، من ثم اختلفت بالطريقة معلوماته، وتقديرها اختلافا له مغزاه عن طريقة الجغرافي الإقليمي.

المدخل الوظيفي Functional:

وقـد تـدرس الدولـة من حيث علاقاتها الداخلية وفي نفس الوقت كجزء متكامل في المجتمع الدولي؟ وما أثر العوامل غير السياسية كالمناخ والجبال أو الجماعات الشعوبية أو القوميات المتعددة على الأنشطة السياسية للدولة؟

ومـا أثـر المظاهـر السياسية بدورها على العوامل غير السياسية كأنماط الاستقرار واسـتخدام المـوارد ونمـو شبكات النقل وغيرها؟ ومن الناحية الخارجية هل هذه الوحدة السياسـية أو تلك قادرة على البقاء والنمو في ظل الظروف الخارجية التي حولها؟ ومدي استقلال أو تبعية هذا القطر، ومشكلاته الإقليمية مع الدول المجاورة.

علـى أن المدخل الوظيفي لا يشجب بحال من الأحوال إستخدام العناصر التاريخية أو التركيبة الإقليمية، فالعوامل التاريخية قد تكون لها أهميتها الكبرى في بعض الأحوال، فقد يكون التاريخ عنصرا فعالا في فهم الاختلافات الإقليمية في داخل الدولة الواحدة. (كما هو الحـال فـي جنوبي الولايات المتحدة الأمريكية)، أو في حالة الدولة كلها، ويتمثل هذا في

مشكلة فلسطين، وباكستان، وفيتنام، ولكن العامل التاريخي لا يأتي لنفسه فحسب، بل لتفسير المظاهر الوظيفية للإقليم موضوع الدراسة ([12]).

وفيما يختص بالعناصر الجغرافية غير السياسية وعلاقاتها بالمظاهر الوظيفية، سنجد أنها تعمل في طريقين : فأما أن يدرس الباحث اثر هذه العوامل غير السياسية على وظيفة الإقليم، أو دراسة وتحليل اثر وجود الوحدة السياسية على المظاهر غير السياسية للإقليم.

وقد اتبع الباحثون منذ القدم الطريق الأول أي أثر الموقع والمناخ على قوة الدولة، وأثر السلاسل الجبلية على الوحدة القومية، والمزايا التي تحصل عليها الدولة، نتيجة قربها من البحر، والمزايا التي تحرم منها نتيجة البعد عنه.

غير أنه يجب ملاحظة أمرين فيما يختص بهذا الفرع من العلاقة الجغرافي:

١ ــ أنه بينما نجد بعض العوامل، مثل المناخ، والجبال، أو امتلاك المعادن قد يكون له مغزاه العميق، غير أنه من الصعب إصدار أحكام عامة أو تعميمات عن الآثار التي تتركها العوامل الجغرافية، ذلك أن استجابة الإنسان ليست واحدة في كل الجهات المدارية الرطبة، أو الجهات الجافة وما إلى غير ذلك، كما تختلف السلاسل الجبلية فيما بينها في امتدادها ودرجة مناعتها وصعوبة اختراقها، وليست كل السواحل الصالحة لقيام الموانى، من ثم كانت أي أحكام عامة ذات قيمة ضئيلة.

٢ ــ أن مغزى العوامل الجغرافية يختلف من وقت إلى آخر، حتى في المنطقة الواحدة، فالصحاري والمستنقعات والسلاسل الجبلية تميل إلى أن تفقد أهم وظائفها كحواجز نتيجة للتقدم التكنولوجي، كما بدأت الحدود السياسية تفقد وظائفها كحواجز اقتصادية بعد الاتفاقيات الاقتصادية. وتغيرت أهمية بعض الموارد نتيجة التقدم العلمي، ومن ثم كان التعميم مرة أخرى يؤدي إلى عدم الدقة فيما يختص بأثر العوامل الجغرافية على الأنشطة السياسية. أما تلك العلاقات التي قام بها ***أرسطو وريتر وراتزل*** بكل بساطة، فقد أصبحت على شئ كبير من التعقيد، ولم تصبح الجغرافية اليوم هي علم إيجاد علاقات بقدر ما أصبحت وصف وتحليل وتفسير الاختلافات بين أجزاء هذا السطح.

أما الطريق الثاني : وهو اثر الإقليم السياسي على المظاهر غير السياسية للبيئة فلم يجتذب لا الجغرافيين المحدثين، وبدأت الأبحاث في هذا الاتجاه تظهر في النصف قرن الأخير كما فعل ***هارتشورن*** حينما كتب عن أثر تقسيم سيليزيا كإقليم صناعي بعد الحرب العالمية الأولي ([13])، حيث قسمت إلى قسمين، قسم تابع لألمانيا، والآخر تابع لبولندا (أصبحت سيليزيا العليا بأكملها جزء من بولندا بعد الحرب العالمية الثانية).

كذلك ما حدث بعد تقسيم شبة القارة الهندية إلى الهند وباكستان، وفصل خط التقسيم

---

[12] - Lewis A., World Political Patterns, Mc. Nally. Chicago. 1964, P. 6.

[13] - Hartshorn R., Geographic and Political Boundaries in Upper Silesia, Annalrs of the Association at America Geographes XXIIII, 1933.

بين أقاليم كانت تعتمد على بعضها من الناحية الاقتصادية، وظهر هذا واضحا في باكستان الشـــرقية التي انفصلت عن مدينتها وميناؤها الرئيسي كلكتا حيث مئات المصانع الخاصة بغـــزل ونسيج الجوت المحصول الأساسي لباكستان الشرقية (بنجلاديش الآن)، بينما لم يكـــن هناك مصنع واحد منها في باكستان مما أدي إلى قيام مشكلة اقتصادية حادة لأنه من الضـــروري غزلـــه ونسجه قبل التصدير، وقد حلت هذه المشكلة باتفاق يقضي بأن ترسل باكســـتان الجوت الخام إلى كلكتا، في نظير تصدير الهند الفحم والمنسوجات إلى باكستان، وإن كانـــت باكســـتان لـــم ترض بهذه التبعية، ومع ذلك فمنذ الاستقلال عام ١٩٤٧ حتى أواخـــر الستينيات كانت باكستان ترسل نحو نصف إنتاجها من خامات الجوت إلى مصانع الهند.

كذلـــك يتضـــح اثر التقسيم السياسي بصورة كبيرة في تقسيم ألمانيا إلى ألمانيا الشرقية وألمانـــيا الغربـــية، فقد كان هناك تكامل اقتصادي بين أجزاء ألمانيا الموحدة قبل الحرب العالمـــية الثانية، بينما بعد التقسيم أصبحت ألمانيا الغربية تضم معظم مناجم الفحم والحديد ومصانع الصلب، بل ومعظم السكان، بينما تضم ألمانيا الشرقية أجود المزارع والمراعي، ومعظـــم الـــبوتاس والصـــناعات الكـــيماوية الرئيسية، من ثم كان على ألمانيا الغربية أن تستورد ثلث احتياجاتها الغذائية، والآن توحد القسمان.

وقـــد لاحظـــنا أن العلاقات بين المظاهر السياسية وغير السياسية تتغير بتغير الحدود السياسية للإقليم، وتصبح وظيفة الباحث في الجغرافية السياسية هي دراسة طبيعة ووظيفة الحـــدود الدولية، وأسباب وآثار تغير هذه الحدود، ورغم تدهور قيمة الحدود السياسية في بعض المناطق كغرب أوروبا، إلا أنه لا يبدو في الوقت الحاضر، أن هناك أملا في تقليل عـــدد مشـــكلات الحـــدود أو التخفـــيف من تعقيدها وحدتها في كثير من أجزاء العالم في المستقبل القريب.

الجغرافية السياسية التطبيقية:

في دراسة الأقاليم السياسية، لا يمكن للباحث أن يتجاهل ما يعرف بالجغرافية السياسية التطبيقـــية، فبعد تحليل المظاهر الوظيفية للأقاليم السياسية وبصفة خاصة للدول كوحدات وظيفية، فإن الجغرافي يمكن أن يكون خلفية معقولة لتحليل العلاقات الدولية، ونستشهد في هـــذا المجال برأي أكبر المعلقين الأمريكيين *(والتر ليبمان)* وهو ليس بجغرافي محترف بقـــدر ما هو صحافي سياسي. لن يكون هناك إدعاء بتسوية صالحة في المستقبل للشئون البشـــرية، إلا إذا اعـــتمدت على المعرفة الذكية، والفهم الصحيح للظروف الطبيعية للعالم الـــذي نعيش فيه ... يقوم الجغرافي السياسي بكشف الغطاء وإزاحة الستار عن المعلومات الخاصة بظروف العالم الطبيعية التي تؤثر في حياة الإنسان (١٤).

---

[14] - Lippmann, W., Geography and the Ideological Confict Herald Tribune New York, June, 21, 1951.

فالجغرافية السياسية بربطها المشكلات الدولية بمسرحها المحلي والمكاني تستطيع أن تسهم مساهمة فعالة في تفهم هذه المشكلات (١٥). فكثير من المشكلات كفلسطين، وكوريا، والبوسنة، والصومال، لازالت ضخامتها تتناسب عكسيا مع إدراك الناس لأساسها الجغرافي.

ولا ينفرد الجغرافيون وحدهم ببحث المشكلات الدولية، بل هي ميدان ثرى للمشتغلين بالعلوم السياسية والمؤرخين والعاملين في حقل القانون الدولي، ولكن الجغرافي يتميز عليهم جميعا بتفهمه للخصائص الإقليمية وسهولة استخدامه للخرائط، ولا يزال المجال أمام الجغرافي كبيرا لكي يضيف الكثير لإجلاء المواقف المختلفة. ولقد تطورت الجغرافية السياسية في الخارج كثيرا في استخدام المعلومات الجغرافية للإفادة منها في المشكلات الدولية المعاصرة، وكثير من هذه الدراسات أصبحت تطلبه الوكالات الحكومية المختلفة في الولايات المتحدة الأمريكية، غير أن الجانب التطبيقي كانت بداية نشاطه عقب الحرب العالمية الأولي، نتيجة الاهتمام الزائد بمعرفة الإدعاءات الإقليمية بعد تلك الحرب، وهناك قسم للجغرافية في وزارة الدفاع الأمريكية.

وقد اشترك الجغرافيون الأمريكيون، بسهم وافر في وضع البيانات اللازمة التي تسلح بها الرئيس ***ولسون*** في مؤتمر الصلح، وجمع أحدهم وهو ***بومان*** ملخصات للأقاليم موضع النزاع في جميع أنحاء العالم في كتابه الجديد (١٦). وخلال العقدين اللذين أعقبا الحرب العالمية الأولي، ركز الجغرافيون الأمريكيون همهم على المشكلات الخاصة بأمريكا اللاتينية، والمشكلات الخاصة بالولايات المتحدة الأمريكية مع كندا والمكسيك، وقد أخرج ***بوجز*** محاضراته عن الحدود الدولية، في مؤلف بهذا العنوان نتيجة لإشتراكه في بحث كثير من المشكلات (١٧).

كما أعد ***ستيفن جونز*** بتشجيع من ***بوجز*** مؤلف عن عمل الحدود ليكون دليلا في أيدي لجان تخطيط الحدود، والهيئات التي تقوم بتحديدها (١٨). وقام ***هوفمان*** بنشر تحليل لمطالب هولندا في تعديل الحدود مع ألمانيا واشترك جغرافي مصري بخبرته في إيضاح حق مصر في طابا حين عرض النزاع على محكمة العدل الدولية (١٩).

وهكذا يمكن لباحث الجغرافية السياسية أن يكون موضع استشارة بحكم خبرته ومرانه المتخصص في المشكلات الإقليمية، كمشكلات النزاع على الحدود، وإعادة تخطيط الحدود

---

15 - Wooldridge, S.W., East G., " The Spirit and Purpose of Geography ", Hutchinson, London, 1963, P. 128.

16 - Bowman, L., " The New World Problems in Political Geography ". New York, 1921.

17 - Boggs, S.W. " International Boundaries, A study of Boundary Function and Problems, New York, 1949.

18 - Jones, S.B., Boundary Making, A. Handbook for statesman, 1945.

19 - المرحوم د. يوسف أبو الحجاج.

السياسية أو في زحزحة موضع العاصمة، أو تقسيم قطر معين أو توحيده، أو اتحاده مع قطر مجاور، وحتى في المواقف التي لا يظهر فيها نزاع إقليمي، يمكن للجغرافية السياسية أن تعطي الكثير، فنمط الأقاليم السياسية في غرب أوروبا اثر على التجارة والصناعة المحلية، فحفر القنوات في بلجيكا والأراضي المنخفضة، وحركة الحديد الخام في إقليم اللورين لوكسمبورج هي نشاطات إقتصادية، لا يمكن فهمها إلا بعد دراسة نمط القوة السياسية في الإقليم.

وتختلف درجة الملاحظة في الأقاليم من النظرة الشاملة أو الكلية لمساحات كبيرة، إلى الأبحاث التي تقوم على مساحات صغيرة، وفي الأولي أي في المساحات الكبيرة تظهر الإختلافات المحلية، وتظهر الخطوط العامة، وأما الدراسات المحلية، فقد تتضمن الدراسة طرقا خاصة، وهنا يكون التعميم الأول في حاجة إلى إعادة دراسة على مقياس آخر، فعلي سبيل المثال كون جبال الأنديز تصلح حدا سياسيا بين شيلي والأرجنتين فيه شئ من التعميم على مستوى الكرة الأرضية، أما على المستوى المحلي فتظهر كثير من الصعوبات، فقمم الجبال كثيرا ما لا تتفق مع تقسيم المياه وكذلك السلسلة الجنوبية أكثر إنحفاضا، لا تظهر فيها القمم واضحة، فضلا عن مشكلات المرور من الممرات الجبلية.

وهناك أيضا دراسة الوحدات الإدارية المحلية داخل الدولة وإلى أي حد تتفق مع الاختلافات الإقليمية.

وعلى عكس هذا، هناك الدراسات ذات الطبيعة الدولية، وفي هذا المجال يعالج باحث الجغرافية السياسية جزءا كبيرا من سطح الأرض كنمط من الأنماط السياسية، ومادامت الوحدات السياسية هي نواتها، فإن المساحة الكبيرة لاشك ستضم العديد من الدول، ولابد للوحدة الكبيرة أن تكون ديناميكية هي الأخرى، وهكذا يجد الباحث نفسه يواجه مشكلات على مستوى عالمي وعلى مستوى إقليمي.

الجيوبولتيك:

ظهر إصطلاح جديد يعرف بالجيوبولتيك ***Geopolitic*** ومن مفهوم اللفظ يظهر أن مضمون هذا العلم يجمع بين الجغرافية والسياسة، أي يقوم على الدراسة الجغرافية للدولة من حيث سياستها الخارجية، وهنا يكون التأكيد على المظهر الجغرافي للعلاقات الخارجية، وهذا هو المفهوم الواسع للجيوبولتيك، أي أنها علم يبحث فيما بين السياسة والرقعة الأرضية من علاقات، وإنه يهدف بصفة خاصة على تحويل المعلومات الجغرافية إلى ذخيرة علمية، يتزود بها قادة الدولة وساستها.

وهنا يصعب الفصل بينها وبين الجغرافية السياسية حتى أن البعض كالجغرافي الأمريكي ***ويتسلي*** يستعمل ***Geopolitic*** كأختصار للفظ الجغرافية السياسية ***Political Geoagraphy.***

غير أن هذا اللفظ ارتبط بالمدرسة الألمانية ونظرتها الضيقة العدوانية التوسعية، وكان

صاحب التفاسير العديدة الخاصة بالتوسع الأرضي ***هوسهوفر*** وأتباعه في معهد ميونخ.

وتعريف الجيوبوليتك كما ورد في مجلة العلوم السياسية ***Zeitschrift four Geopolitic*** التـي كـان يـرأس تحريرها ***هوسهوفر***، بأنها العلم الذي يبحث عن العلاقة بين الأحدث السياسية والأرض، فهو يربط السياسة بالأرض، فهي تعتمد بذلك على الأسس الجغرافية، وخاصـة الجغرافية السياسية، فالجيوبولتيك تمهد للعمل السياسي، وتعطي الأسس اللازمة للحياة السياسية ... الجيوبولتيك يجب أن تكون الضمير الجغرافي للدولة (٢٠).

ومعـنى هذا أن دراسة الجيوبولتيك تؤدي بدارسها على معرقة طريق العمل السياسي فـي المسـتقبل، وتظـل كصوت الضمير تذكر السياسيين بما يجب أن يقوموا به لصالح بلادهم. ولكن لا يجب أن يفهم من هذا أنها مرادف للاستراتيجية، لأن الجيوبولتيك تساعد على تشكيل أغراض العمل السياسي، وتبريره، وفي نفس الوقت تقترح الوسائل التي يمكن بها تنفيذ هذا العمل.

وفـي تعـريف آخـر ***لأوتومـل Otto Mauil*** أحد كتاب معهد ***ميونخ*** وأحد اتباع ***هوسهوفر***.

تعنـي الجيوبولتـيك بالدولة ككائن حي، فهي تبحث الدولة من حيث علاقاتها ببيئتها، بمجالها، وتحاول حل جميع المشكلات الخاصة بمجالها الأرضي، فالجيوبولتيك إذن تعني بدراسة المطالب المكانية للدول، بينما تفحص الجغرافية السياسية ظروف مجالها الأرضي الحالي.

ويوضـع الجغرافـية فـي خدمة التوسع السياسي، تهب الجيوبولتيك نفسها لمشكلات المسـتقبل، وهل مطالب الدولة المكانية وجدت مجالها، وإذا لم تكن قد وجدت هذا المجال فمـا السـبيل إلى تنفيذها طبقا للظروف الجغرافية؟ وفي أي اتجاه يجب أن يكون التغير؟ فالجيوبولتـيك نظـام يـزن ويقيم موقف ما، وفي النهاية يبحث عن الطريق العلمي لتنفيذ السياسة (٢١).

ويذهـب ***Weigert*** الجغرافي الأمريكي أي أنها استعمال الأسس والمبادئ الجغرافية فـي لعـبة القوة، بينما يعرفها ***تايلور*** بأنها الجغرافية السياسية مشحونة بالعواطف، من ثم تكمن فيها دعوة للعمل (٢٢).

---

[20] - Preston, J., Clarance, H., eds. Ameican Geography inventor, Prospect, Syracuse, 1945, P. 172.

1 - Taylor G., Geopolitics and Geopacitics in " Geography in the 20 th Century Methen, London, 1962, PP. 589. 591.

[21] - Pounds, N., op. cit., P. 407.

[22] - Taylor, G.R. Geography in Air Age, Royal institute of international, affairs, London, and P. 47.

وهكـذا لحـق لفـظ الجيوبولتـيك كثير من التضليل، وارتبط بفكرة استخدام الحقائق الجغرافـية من أجل التوسع، وفي هذا يقول **لاديس كريستوف** ***Ladis Kristof*** أن الفرق الوحيد بين الجغرافية السياسية، والجيوبولتيك هي بؤرة الاهتمام التي يركز عليها الباحثون في كل فرع، فالجغرافية السياسية تجعل بؤرة اهتمامها الظاهرات الجغرافية، بينما تركز الجيوبولتـيك علـى الظاهـرات السياسية، وتحاول أن تعطيها تفسيرات جغرافية وتدرس الظاهرات الجغرافية لهذه الظاهرات السياسية.

إن الجيوبوليـتك إذا مـا فهمت الفهم الصحيح، ودرست على منهج متعقل، فيمكن أن تعتـبر بجـدارة امـتدادا أو تطبيقا للجغرافية السياسية على العلاقات الجغرافية الخارجية للدول، ولن تكون وهم وتضليل واعتذار عن السرقة كما قال عنها ***بومان*** ([٢٣]).

[3] - Wooldridge, S.W., op, cit., P. 112.

الأسس الجغرافية لتقييم الدولة من الناحية السياسية

مقدمـــة

تـــدرس الـــدول فـــي الجغرافية ال سياسة لحساب مقوماتها المادية، وتشكل الجغرافية الطبيعية والبشرية بالمفهوم الواسع جمعا لكل هذه المقومات، والغرض الأساسي هو معرفة الإيجابـــيات والســـلبيات والمفهوم بلغة الحسابات ما لها **credit** وما عليها **debit**، أي النواحـــي التـــي تضفي عليها قوة، والنواحي التي تسلب منها القوة، وعلى حد ما طرحه المفكـــر الأمريكـــي بـــول كيـــندى هو تحديد ما إذا كانت المقومات المادية لأية دولة من مســـاحة، وســـكان، وموارد أي إمكاناتها تتناسب أو لا تتناسب مع نفوذها على المستوى الدولي، فدولة ما تعتبر ذات حجم طبيعي إذا كانت مساحتها وسكانها ومواردها تمثل ٥% مـــن مســـاحة وسكان وموارد العالم، وفى نفس الوقت تحتكم في ٥% من موازين القوى العالمية، أما الدول ذات الحجم غير الطبيعي، فهي تلك التي قد يزيد أو قد يقل نصيبها من مـــيزان القوى العالمية عن حجم ما تمتلكه من إجمالي مساحة وسكان وموارد العالم، فإذا ضـــربنا مـــثلا ببريطانيا، نجد أنها في عصر إزدهارها كانت تحوز نحو ٢٥% من ثروة وقـــوة العالم، على حين أن أرضها وسكانها ومواردها لم تزد على ٤%. وهذه الفجوة بين النصـــيب الأقـــل من الموارد والنصيب الأكبر من القوة تفسرها برامج التطوير الصناعي والتقدم التكنولوجي والتعليمي والعسكري مما أدى إلى صعود مثل هذه الدولة إلى مصاف الدول الكبرى.

وكذلـــك الحال في الاتحاد السوفييتي السابق، كان نصيبه من مساحة العالم نحو سدس مســـاحة العالم، وكان سكانه يمثلون نحو ٦ % من سكان العالم ومع ذلك كان نصيبه من ميزان القوى العالمية في فترة القطبية الثنائية نحو النصف.

قوة الضعف وضعف القوة:

ومعنى ما سبق قياس القوة الشاملة للدولة، مستخدمين كل العناصر المتاحة حتى نصل إلـــى قـــوة الدولة أو ضعفها في النهاية، وإن كان يجب أن نلاحظ أن الدولة الضعيفة في بعـــض المجـــالات يمكـــن أن تكـــون قوية في مجالات أخرى، والدولة القوية في بعض العناصر يمكن أن تكون ضعيفة في عناصر أخري، أي البحث عن قوة الضعيف، وضعف القوى من الدول، فعلي سبيل المثال الولايات المتحدة الأمريكية التي نظر إليها العالم على أنها الدولة الأولي تقدما ومع ذلك فرغم أنها تتقدم الدول جميعا في عدد المليارديرات، فهي تتقدمها أيضاً في عدد الفقراء من الأطفال والبالغين، وهي الأولي في عدد من لا مأوي لهم من السكان، وهي الأولي في الطلاق والحمل قبل الزواج وانتشار الإيدز، وهي أكثر الدول إنفاقا على السلاح، وأقلها إنفاقا على العجزة والمسنين.

الباب الأول : الأسس الطبيعية .

الفصل الأول

العلاقـــــات المــــكانية

أولا : الموقع الفلكي:

فـــي دراســـة الموقـــع الجغرافي، نجد أن أول ما يتبادر إلى الذهن، هو موقع الوحدة السياســـية فلكـــيا، بالنسبة لخطوط الطول ودوائر العرض، أو كما يقولون الموقع المطلق ***Absolute Location.*** ولعل التحديد بالنسبة لدرجة العرض أهم منه بالنسبة لخطوط الطـــول؛ وذلـــك لأنـــه على أساس الدرجات العرضية سيتشكل المناخ بوجه عام، وكذلك النشاط البشرى وهذه أمور حيوية تشترك في تشكيل إتجاهات الدولة.

ويذهب البعض إلى أن بعض القوى العظمى الموجودة الآن، ترتبط بالمناطق المعتدلة، حيـــث تتمـــتع بالتغـــير المناخـــي للفصول، والتغير الإعصاري، يبعث على النشاط، وأن الوحـــدات السياسية آلتي تقع في الجهات المدارية يقع مركزها أو بؤرتها على المرتفعات، فـــبوجوتا عاصـــمة كولومبـــيا على إرتفاع ٢٨٠٠ متر في مرتفعات الأنديز، وكيتو على إرتفاع ٣٢٠٠ متر. وهذا يذكرنا بنظرية الحتم البيئي ***Environmental Determinism.***

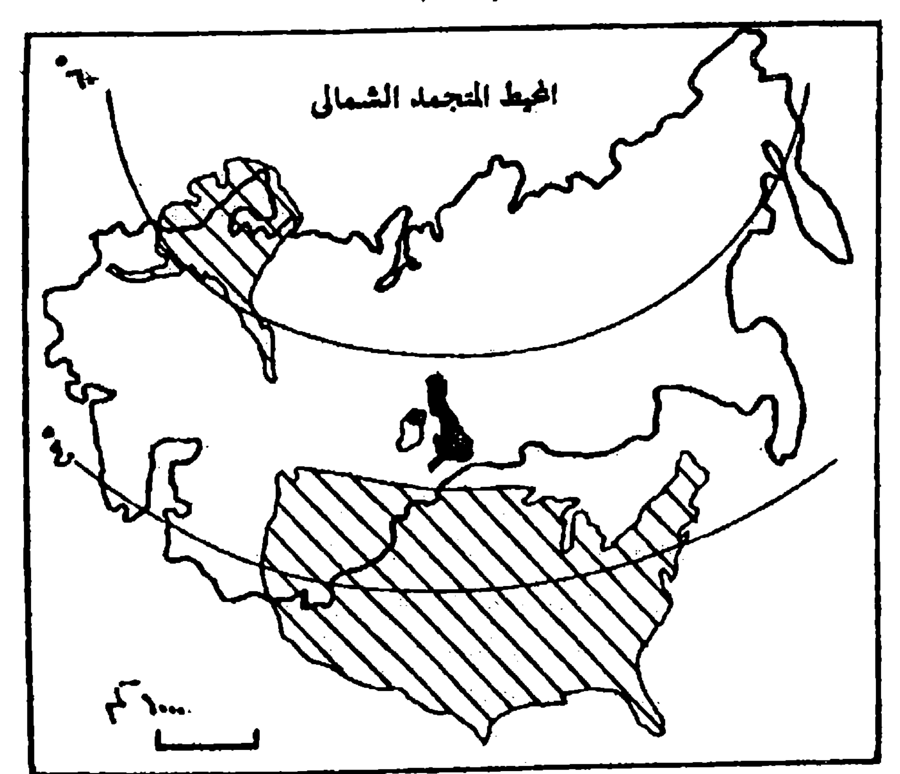
ونظرية الحتم البيئي قديمة كل القدم، قال بها كثير من الكتاب القدماء، فيشير هيرودوت مـــثلا إلـــى أن البلاد السهلية لاتنتج رجالا أشداء، وفضل الفرس كشعب إمبراطوري، أن يعيش فى بلاد وعرة. على أن يعيش فى السهول، يقوم بالزراعة كما يفعل العبيد !! وقال هيـــبوقراط الطبيـــب والكاتب الإغريقي أن نقص الشجاعة والروح الوثابة عند سكان آسيا يـــرجع أساســـا إلى قلة المدى الحرارى الفصلي الذي يسود تلك الجهات. مثل هذه الأفكار التي كانت تسود في العصور القديمة ، نجدها وقد إستمرت في العصور الوسطى وتمسك بهـــا كتابها فنجد ***Jean Bodin*** في كتاباته التي ترجع إلى القرن السادس عشر، يشير إلى أن أهل الشمال يتفقون فى القوى الجسمية ، بينما أهل الجنوب أكثر ذكاء، ونظرا لأن المـــناخ أنسب ما يكون بين الشمال والجنوب. كان أهل الوسط من أنسب السكان للإشتغال بالسياســـة. وكتـــب مونتســـكيو في القرن الثامن عشر في نفس هذه الإتجاهات لا يعجب الإنسان من أن ضعف سكان الجهات الحارة يجعل منهم عبيدا، وأن شجاعة سكان الجهات الباردة تجعلهم أحرارا، وعلى هذا الأساس تعزى القوى السياسية إلى المناخ، وهذا بدوره يرجع إلى الموقع الجغرافي ورغم أن هذه الأفكار تنسب إلى الماضي، فمع ذلك وجدت في عصرنا الحاضر من عبر عنها وخاصة هنتجتن في كتابه المدنية والمناخ ([1]).

---

[1] - Ellsworth Huntington, Civilization and Climate , Yale U.P.L. 1924 .

ولكـــن المدنية في الحقيقة تقوم في المناطق التي يصل فيها الإنسان في إستغلال البيئة إلى أعلى المراحل، ولذلك نشأت المدنيات القديمة في البيئات الزراعية حينما كانت حرفة الــزراعة هــي أكــثر الحرف إنتاجا (مصر والعراق)، وعندما ظهرت حرفة الصناعة كأكــثر الحــرف إنـــتاجا، إنتقلت المدنية إلى المناطق التي تتوفر فيها مقومات الصناعة، وأصــبحت في القرن التاسع عشر في مراكز الفحم والحديد، وهى الآن حيث أعلى تطور تكنولوجـــي، فليســت المدنـــية ولا القـــوى السياسية إحتكارا للمناطق المعتدلة، ولا يمكن للحتمييـــن المناخيين إثبات صحة نظريتهم تماما ولكن ليس معنى هذا أن المناخ لا أثر له، ولكـــن آثـــاره ليست منتظمة من ناحية، ولا يمكن التنبؤ بها من ناحية أخرى. ويتضح أثر المـــناخ أكـــثر مـــا يكون في درجة إستخدام الأرض، وهى عنصر هام من عناصر قوى الدولـــة، فـــإذا قارنـــا مثلا بين الإتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الأمريكية، لوجدنا أن مســـاحة الولايـــات المـــتحدة تبلغ نحو خمسي مساحة الاتحاد السوفيتي السابق، ومع ذلك

الموقع الجغرافى الفلكى لكل من الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتى (سابقا)



فمساحة الآراضي المزروعة فيها تعادل نظيرتها في الاتحاد السوفيتي، ويرجع السبب الأساسي إلى أن الاتحاد السوفيتي يقع معظمه فلكيا إلى الشمال من دائرة العرض ٥٠ شمالا، بينما تقع الولايات المتحدة الأمريكية (ماعدا الاسكا) إلى الجنوب من دائرة عرض ٤٩ شمالا وبالتالي أصبح المستغل فيه للزراعة نحو ١٠% من مساحة البلاد، والمستغل للرعي نحو ١٠% أخرى، بينما تشغل الصحارى الباردة ١٧%، كما تشغل الغابات ٥٠%، وفى النطاق الأخير، يظل ما تحت التربة متجمدا طول العام تقريبا.

ثانيا :الموقع بالنسبة لكتل اليابس والمسطحات المائية

Maritime or continental location

وهذا عنصر هام لأنه يعطى الوحدة السياسية شخصية خاصة ، ويوجه سياستها نحو إتجاهات معينة. وهناك وسيلة لتقليل درجة البرية أو البحرية وذلك بعمل نسبة طول الحدود البرية. وتقسم الدول فى هذا الأساس كما يلي:

١ - دول بحدود بحرية تماما كالجزر البريطانية وايسلندا واليابان.

٢ - دول تغلب على حدودها الصفة البحرية كالبرتغال وأسبانيا وفرنسا وإيطاليا والسويد والنرويج.

٣ - دول تغلب على حدودها الصفة البرية كألمانيا وليبيا والجزائر والسودان.

٤ - دول حدودها برية تماما كالمجر والنمسا ومالي وبوركينا فاسو ونيبال .

غير أن هذه الطريقة تعنى بالكم ولا تهتم كيف، لأنها لا تدخل في إعتبارها نوع الحدود أو قيمتها. فحدود روسيا الاتحادية المطلة على المحيط القطبي الشمالي لاشك إذا دخلت في الحساب، قد تعطى فكرة غير صحيحة، فلسوء حظ روسيا الاتحادية أيضا أن حدودها على بحر بلطيق تتجمد مياهها معظم السن، وحدودها الشمالية تطل على المحيط القطبي فتصبح الجبهات البحرية الهامة هي جبهة المحيط الهادي، وجبهة البحر الأسود فقط، من ثم تعتبر روسيا الاتحادية رغم طول حدودها البحرية قوة برية أكثر منها بحرية.

كذلك تتوقف قيمة الجبهة البحرية ***Sea board*** على ظهير الساحل فظهير ساحل البحر الأحمر عبارة عن صحراء، ويبعد عن الوادي حيث مراكز الإنتاج والعمران بمسافات طويلة، مما أدى إلى قلة إستعمال هذه الجبهة، ولم يلجأ إليها إلا في وقت الضرورة (أي عند قيام الحرب العالمية الثانية وكثرة الغارات على البحر المتوسط) فلجأت بريطانيا إلى استعمال ميناء القصير ومدت خطا حديديا بينه وبين قنا. كذلك الحال في الظهير الخلفي لساحل يوغسلافيا السابقة المطل على الأدرياتيك فهو عبارة عن جبال الألب الدينارية التي تتميز بتربة الكارست الجيرية التي تمتص مياه الأمطار، فتكون الفجوات والكهوف، وتظل قاحلة، وكأنها لم يسقط عليها غيث.

فإذا أضفنا إلى هذا أن، الساحل اليوغسلافي قليل التعاريج، هذا مما لا يساعد على نشأة

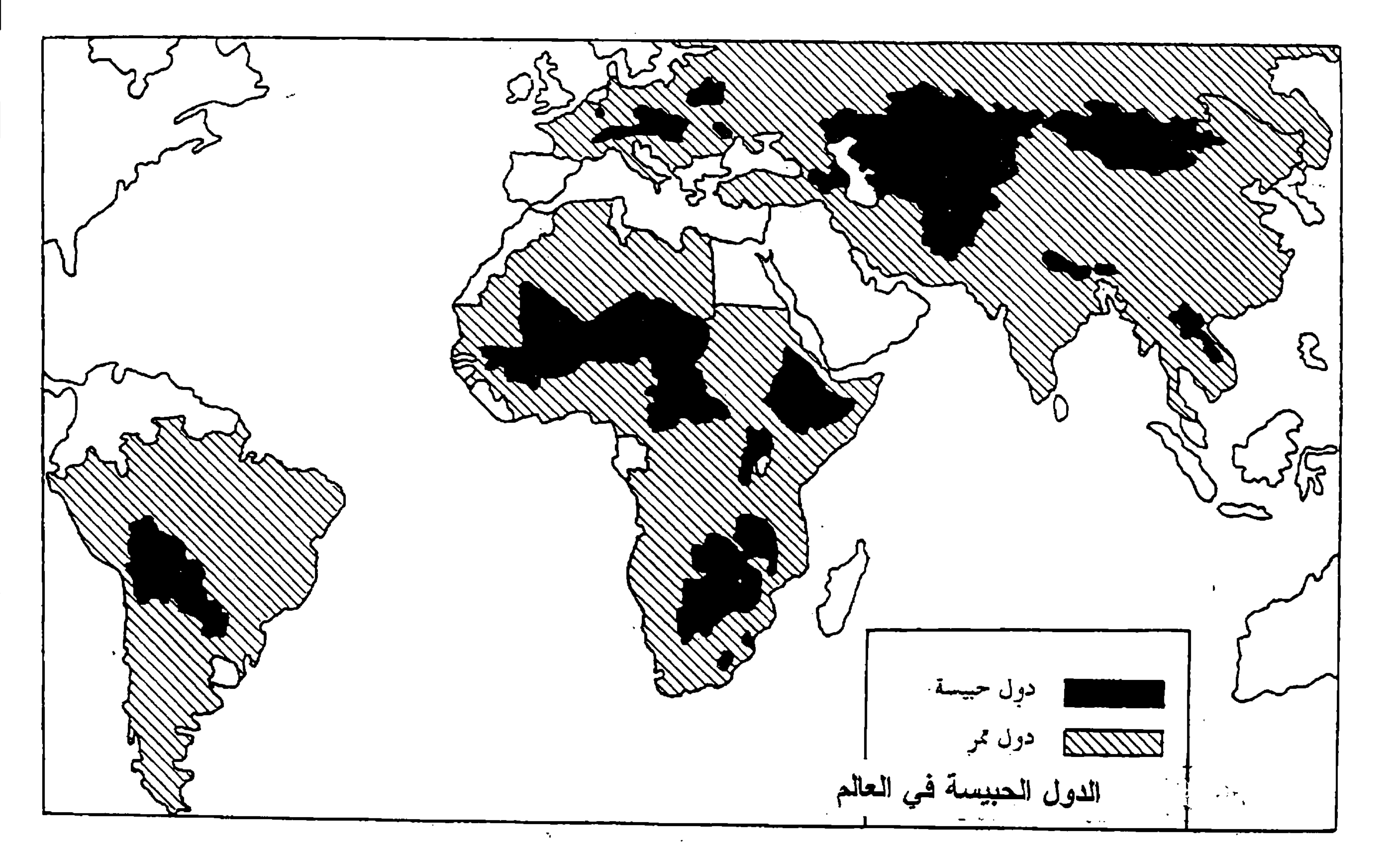
المواني الكبيرة، مما أدى إلى ظهور مشكلتا تريست وفيومي بين يوغسلافيا السابقة وإيطاليا التي حاولت دائما ضمها ضمن حدود دولتها، وأنتهي الأمر أخيرا بحصول يوغسلافيا على فيومي، والإتفاق سنة ١٩٤٧ على إنشاء منطقة في تريستا.

وقد يكون ساحل الدولة رملي أو صخري. وبالتالي قد تعمل الدولة على تنمية أحد موانيها النهرية، وقد يكون مصب النهر فى دولة أخرى ، فإذا حاولت دولة المصب إغلاقه، كان معنى هذا أن هذه الدولة أصبحت حبيسة، وهذا كما فعله الهولنديون عندما أغلقوا مصب نهر الشلد في منتصف القرن السابع عشر، مما أدى إلى عزل ميناء أنتورب، وتوقف حركته لمدة قرن ونصف، وقد أدى هذا الوضع إلى جانب نمو التجارة البحرية فى القرن التاسع عشر إلى البحث عن حلول دائمة حتى لا تتكرر مثل هذه المشكلات.

وقد يقلل من أهمية الجبهة الساحلية ضيقها بالنسبة لمساحة الدولة كما هو الحال في العراق حيث لا تمتد جبهته البحرية سوى ٥٨ كيلو مترا فقط غرب شط العرب، وبذلك تبلغ نسبة طول الشاطئ إلى المساحة نحو ١ : ٧٤٨٢، ويرجع هذا إلى وقوعه عند رأس الخليج حيث يقل إتساع المسطح البحري، وتتعدد الدول المشاركة فيه، ويضاف إلى هذا أن ظروف البيئة الساحلية تنعكس سلبا على هذا الموقع لضخامة كمية الرواسب التي يلقي بها نهرا الكرخة وقارون في شط العرب، والتي تتراكم بدورها، ويعوق تصريف مياه نهري دجلة والفرات في مجراهما المشترك؟ وتتكون مساحات من المستنقعات، (وإن كان هذا ليس تبريرا بحال لإدعاءات العراق على الكويت، فهناك دول حبيسة لا تطل على بحر مطلقا).

كذلك تختلف قيمة الجبهة البحرية بحسب بعدها أو قربها من طرق التجارة العالمية الرئيسية، فلا يمكن القول بأن الجبهة البحرية التي تطل بها البرازيل والأرجنتين على المحيط الأطلنطي تعادل الجبهة البحرية التي تطل بها شيلي وبيرو على المحيط الهادي، فلا شك أن دول المجموعة الثانية أكثر عزلة من دول المجموعة الأولى، لأن جبهة الأطلنطي يمر بها ثاني الطرق البحرية العالمية ، بينما دول الساحل الغربي تقع بعيداً عن المسار المألوف لطرق التجارة العالمية ومع ذلك ولاشك أنها في وضع أفضل من الدول الداخلية كبوليفيا وباراجواى.

وكان لموقع مصر الجغرافي كنقطة إلتقاء القارة الآسيوية بالأفريقية وقريبا من أوربا ونقطة إلتقاء البحر الأحمر والبحر المتوسط وما ورائه، ما جعل موقع مصر متميزا ومتحكما إلى حد كبير في حركة الإتصالات العالمية، وخاصة بعد مد خط أنابيب سوميد كمكمل لقناة السويس وبعد إتمام مشروع الطريق الساحلي إلى المغرب العربي، كذلك بناء جسر الفردان فوق قناة السويس ، كذلك ونتيجة لهذا الموقع تعددت الدوائر التي تعمل فيها سياسة مصر الخارجية ، الدائرة الإفريقية والدائرة الآسيوية بعامة، والدائرة العربية، كما زاد الإهتمام بالدائرة الأوربية ، خاصة بعد الإهتمام الأوربي بالشمال الأفريقي (منتدى للبحر المتوسط).


دول حبيسة
دول ممر
الدول الحبيسة في العالم

وإذا قارنـــا بين قارات العالم من حيث عدد الدول الداخلية التي لا منفذ لها على البحر، نجــد أن أوربـــا بها ست دول داخلية بصرف النظر عن خمسة جيوب داخلية أو ساحلية، (التشـــيك، وسلوفاك، والنمسا، والمجر، وسويسرا، ولوكسمبورج) وفى آسيا نجد إحدى عشــر دولة حبيسة ***Land Locked States*** وهى أفغانستان، ونيبال، لاوس، منغوليا، وبهوتان. والدول التي ظهرت بعد إنهيار الإتحاد السوفيتي وهى أوزبكستان ، طاجيكستان، قرغيزســتان، تركمنستان، أذربيجان، أرمينيا .أما في أفريقية فيبلغ المجموع خمس عشرة دولة من مجموع الوحدات البالغ عددها ٥٣ وحدة، أي أكثر من ربع أقطار القارة الأفريقية عــبارة عن أقطار حبيسة يصل مجموع سكانها إلى نحو ٢١ مليون نسمة، أو ١٤% من مجمـــوع السكان وهى مالي، والنيجر، بوركينا فاسو، وتشاد، وأفريقيا الوسطى وسوازى، ليستو ثم أوغندا، وزامبيا، زيمبابوى، ومالاوي، وبتسوانا، ورواندا، وبوروندى، وأثيوبيا.

ولا يـــرجع هذا إلى قلة التعاريج الساحلية فحسب، بل يرجع أيضا إلى التمزق السياسي الشديد الذي عانته قارة أفريقيا، وذلك أن آسيا قليلة التعاريج الساحلية ومع ذلك فقد تحاشت الشظايا الداخلية الكثيرة بفضل وحدتها السياسية الكبيرة الحجم.

وتعـــانى الـــدول الحبيسة بعامة من كثير من المشكلات الإقتصادية، لعل أهمها تحكم الدول الساحلية فيها، بل أنها أحيانا تقع تحت رحمتها، وقد تسعى الدول الداخلية إلى إقامة اتحـــاد جمركـــي، أو اتحـــاد سياسي، فلا غناء عن البحر أو المحيط لنقل جزء كبير من التجارة الخارجية لهذه الدول، ومن ثم كانت هذه الدول الحبيسة في وضع لا تحسد عليه إلا اذا ضمنت لنفسها حقاً فى استخدام البحار كما هي الحال في الدول الساحلية كحق المرور الـبرئ فـــى المياه الإقليمية للدول الأخرى، والمشاركة فى تسهيلات المرافئ والحق فى المـــرور منها إلى أراضيها، أي فهي قائمة طويلة من الضمانات، لذلك ليس من عجب أن تحـــس هـــذه الـــدول الداخلية بالعزلة، وقد تقوم بعض المشكلات للنزاع على مساحة من الأرض، أساســـها رغـــبة الـــدول الحبيسة ضمان مخرج دائم وآمن إلى البحر، هكذا كان ضـــمن بـــنود اتفاق استقلال إريتريا ، ان تستخدم إثيوبيا ميناء عصب ومصوع في حركة تجارتهـــا. فلقـــد أصبحت المحيطات (والتي كانت تمثل في وقت ما فواصل تعزل البشر بعضـــهم عـــن بعـــض) بفضل التقدم التكنولوجي، طرق الإتصال والتبادل الأساسية، أو شـــرايين الحياة، كما كان يطلق على الطرق البحرية للإمبراطورية البريطانية، جلبت عن طـــريقها الخامات، وصدرت الصناعات، وتوطنت كثير من الصناعات في المواني، حتى تختصـــر تكالـــيف الـــنقل البرى مرة أخري، وأصبحت هذه الموانئ ليست مراكز لتبادل الـــتجارة فحسب، بل لتبادل الثقافة والأفكار، بل وفى كثير من الأحيان تمثل القلب النابض بالنشـــاط الاقتصـــادي (الموانـــي الشرقية للولايات المتحدة الأمريكية، كذلك موانى غرب أوروبا).

هـــذا بينما لا تجد الدول الحبيسة مفراً من نقل السلع منها وإليها عبر الموانى الأجنبية، ولا يمكنها أن تهرب من نفقات نقل السلع الباهظة على طرقها البرية من المرافئ الأجنبية إلـــى أراضيها، وكل أملها هو نقل تجارتها الخارجية من وإلى أقرب مرافئ لها بأرخص

تكاليف ممكنة، ويتوقف هذا بالتالي على علاقة الدول الحبيسة بجارتها البحرية، لأنها يمكنها أن تغلق هذه النافذة وشل حركتها التجارية والضغط عليها سياسياً.

ما هي البدائل إذن لإمكان الوصول إلى أعالي البحار؟ وكيف يتم هذا عبر دول أخرى دون أن يمس سيادتها كثيراً من ناحية، ودون أن تحدث تبعية أمن الدولة الحبيسة للدولة الساحلية من ناحية أخرى ؟ الواقع أن هناك إحتمالات ثلاثة:

أولهـا : الإتفاق على دولية الأنهار الصالحة للملاحة والتي تمر في دول داخلية ودول ساحلية وهذا ما سنعرض له حين نناقش موضوع الأنهار.

ثانيها : أن تحصل الدولة الحبيسة على ممر أو شريط من الأرض أما إلى البحر أو إلى اقرب نهر ملاحي.

ثالثها : أن تضمن الدولة الحبيسة تسهيلات في موانئ معينة من الدولة الساحلية، فضلاً عن حرية المرور عبر خط حديدي أو طريق مناسب.

غير أنه لو كانت الجبهة البحرية للدولة ممتازة، ومناسبة جداً للنشاط البحري، وكانت حدودها البحرية تفوق البرية فإن مصالح الدولة، ومناطق الجذب، أو التوجيه الجغرافي لها، قد يتجه بها نحو البر إذا ما توفرت عوامل الجذب في الأرض، ولا يلجأ الإنسان إلى البحر إلا إذا ضاق عليه البر بالجود، فسكان النرويج يولون وجوههم شطر البحر، ويعطون ظهورهم للبر، ولكن على العكس، نجد أن عامل البر، يتغلب في فرنسا رغم أن جبهاتها البحرية متعددة وممتازة، لأن البر أكثر جاذبية ، فالتوجه الجغرافي لفرنسا توجيه بري.

ويتوقف نشاط الدولة البحري والتجاري أيضا على طبيعة البحر، إذا كان مفتوحا، أو مغلقا، فبحر ***البلطيق*** تتحكم في مخارجه الدانمارك بطريق مباشر، وبريطانيا بطريق غير مباشر، فيمكن لبريطانيا إذا أوتيت القوة الكافية أن تغطى مضيق ***دوفر*** والمخارج الشمالية بنيرانها، ونفس الكلام يقال عن بوغاز البسفور والدردنيل بالنسبة لتركيا.

كذلك يمكن التفرقة بين الدول التي تطل على البحر بجبهة واحدة، وتلك التي تطل بأكثر من جبهة، فكلما تعدد الجبهات البحرية، كلما زادت الفرص البحرية السانحة، وإن زادت في الوقت نفسه مسؤوليات الدولة لحماية هذه الجبهات المتعددة.

ويقسم البعض الدول من حيث عدد جبهاتها إلى :

<u>١ – دول ذات جبهة بحرية واحدة :</u>

وهذه الظاهرة واضحة في الدول الساحلية في القارات القليلة التعاريج وأشباه الجزر مثل إفريقية وأمريكا الجنوبية، فحتى البرازيل نفسها التي تحتل نحو ثلثي أمريكا الجنوبية، ليست من الكبر بحيث تعبر الأنديز على المحيط الهادي، أما القارات الكثيرة الخلجان والتعاريج وأشباه الجزر كأوربا، فلا نجد فيها دول لها جبهة واحدة، إلا الدول الصغيرة

مـــثل بلجيكا، وهولندا، ورومانيا، وألمانيا، وبولندا، وبلغاريا. والدولة ذات الجبهة البحرية الواحدة في الغالب هي دولة برية أصلا، وبعد محاولات إستطاعت أن تجد لها منفذا على البحر.

٢ - الدولة ذات الجبهتين :

وهذا النوع يمكن تقسيمه إلى عدد من الأنواع حسب نوع الموقع الذي تحتله، فهي تقع عند مناطق برازخ أو بمعنى آخر حيث يستدق اليابس، مثل المكسيك، وجمهوريات أمريكا الوســطى باستثناء سلفادور، ويقع البعض الآخر عند التقاء مسطحين مائيين ببعضهما مثل مصـــر والمغرب وبليز، وجمهورية جنوب أفريقية، أو نتيجة لطبيعة البلاد شبه الجزرية. والـــذى يجـــب ملاحظته في هذا الصدد أن معظم أشباه الجزر تقع في أوراسيا، وهى من الشرق إلى الغرب : سيام، الملايو، الهند، بلاد العرب، اليونان، إيطاليا، وأسبانيا.

٣ - الدول ذات الثلاث جبهات بحرية :

هـــذه تـــأتى نتيجة كبر مساحة الدولة مثل الولايات المتحدة الأمريكية، وكندا، وفرنسا، وتركيا.

ثالثا : الموقع النســبى *Relation location*

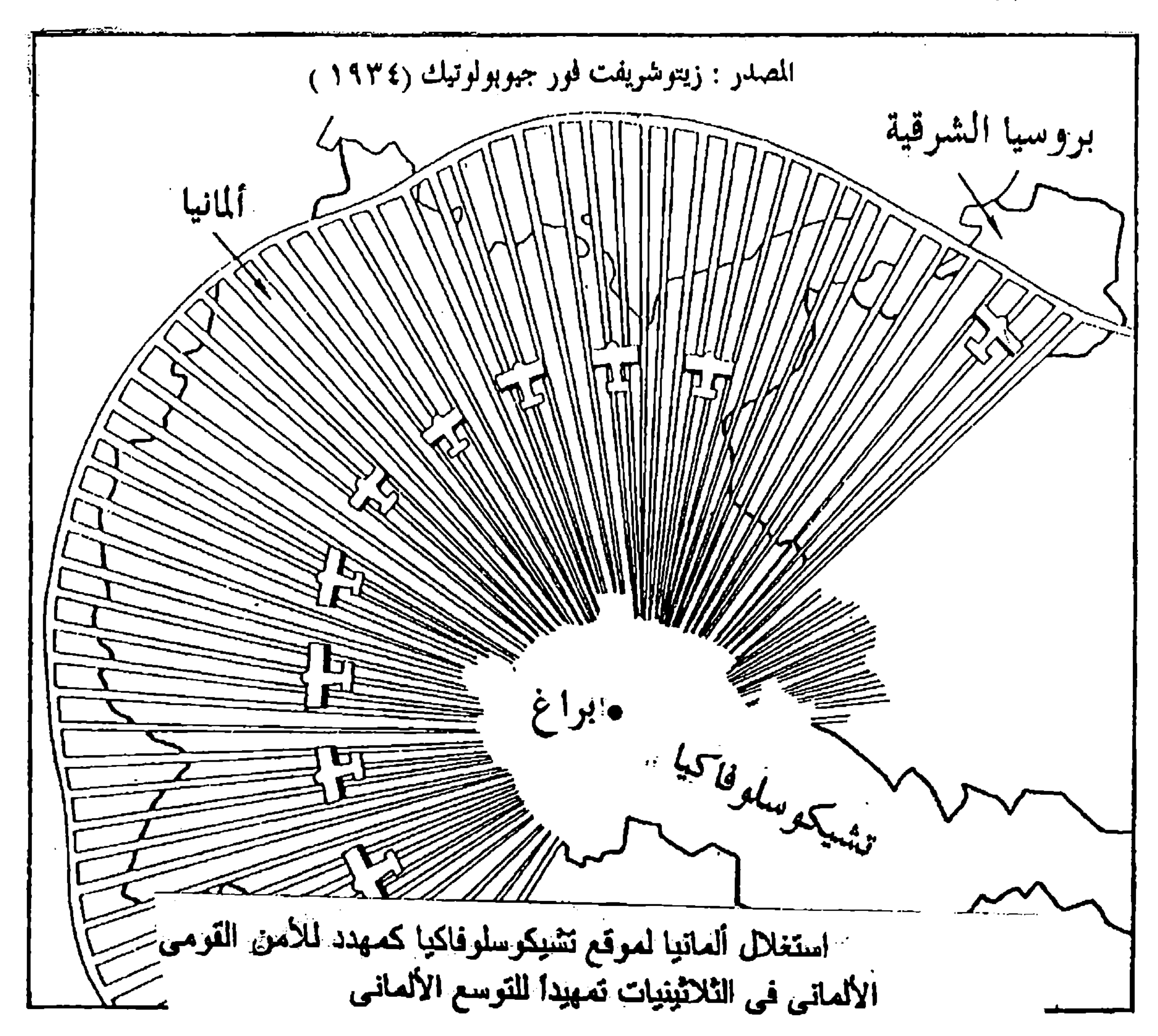
الموقع بالنسبة للجيران *Vicinal location*

تحتاج الدولة في بداية نشأتها، أو في مرحلة تكوينها، إلى شئ من العزلة، وكلما كانت محاطة بمناطق منيعة، كالبحر، أو الصحراء كلما ساعد هذا على إعطاء الفرصة للوليد أن يكتمل نموه، فمن عوامل نمو الحضارة المصرية القديمة، أن هناك درعا صحراويا يحيط بـــوادي النـــيل من الشرق والغرب، في هذا الوادي المحمى بدأت تتكون الدولة المصرية، فهـــذه الدروع ان لم تكن قد حمت هذه البلاد من غزوات كثيرة، فأنها كسرت من حدة هذه الموجات الحربية على رمالها.

أمـــا عـــندما يكتمل نمو الدولة، فعندئذ لابد لها من الاتصالات الخارجية حيث فرص التنمـــية أكـــثر، لأنهـــا ستضيف طعاما جديدا للسكان، ستضيف خامات جديدة للصناعة، ستضيف أسواقا بل ستضيف أفكارا، وخبرات، ومهارات جديدة لم تكن تعرفها من قبل، بل وأحيانا تنويعا جنسيا.

لـــيس من الضروري أن يكون الإتصال بريا، أي تكون هناك حدود برية مشتركة، فما دامت صعوبات النقل البحري قد تغلب الإنسان عليها، فعندئذ يمكن للدول البحرية أن تجنى حسنات الإتصال السريع، وتتجنب سوءات الاشتراك في الحدود أو القرب منها، فبريطانيا، مـــثل حـــي لدولـــة أســـتغلت وضـــعها أحســـن أســـتغلال فالعـــبارة المعـــروفة ***Britain is in Europe But not of it*** تلخص هذه الفكرة، فهي أولاً سهلة الإتصال ببقـــية أنحـــاء القـــارة، ولكنها ليست في صلب القارة، وهذا أبعدها عن كثير من الهزات

السياسية التي أصابت القارة والجيوش التي كانت تجتاحها من شرق وغرب، ومن ثم إكتمل فيها الإنقلاب الصناعي واستوى عوده بعيداً عن ضوضاء ومشكلات القارة الأوربية ([1]).



استغلال ألمانيا لموقع تشيكوسلوفاكيا كمهد للأمن القومي الألماني في الثلاثينيات تمهيداً للتوسع الألماني

قد يقال أن هذا ما كان يمكن أن يحدث لولا وجود الأسطول البريطاني، ولكن يرد على هذا بأن هذا الفرع من الأسلحة البريطانية ، لم يأت ألا نتيجة لمجهود الإنسان في هذه البلاد، للتكيف مع ظروف عنصر من عناصر البيئة وهى الموقع.

ووضع الدولة بالنسبة للجيران يجرنا إلى الكلام عن الوضع الإستراتيجي للموقع، فموقع ألمانيا واشتراكها في الحدود مع عدة دول، كان يجعلها دائما في خوف من تطويقها، مما أدى إلى نجاح الحزب النازي ــ عن طريق الدعاية بالخطب والخرائط والكتب ــ في دعوته للتسليح .

(١) أصبحت الآن متصلة بطريق برى بالقارة عن طريق نفق بحر المانش.

كمـــا أدت مواجهة فرنسا وجها لوجه مع ألمانيا إلى ضرورة التجنيد الإجباري، طوال القـــرن التاســـع عشر وحتى الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ــ١٩٤٥) وإلى إتجاه جزء لا بأس به من الميزانية لشئون الدفاع، وإلى نقل كثير من الصناعات التي كان يجب أن تقوم فـــي شـــمال فرنســـا لوجـــود حقول الفحم هناك إلى جهات بعيدة عن الحدود. وإلى تنمية مشروعات الكهرباء في جبال الألب وهضبة فرنسا الوسطى والبرانس وإلى تعدين الحديد فـــي نورمـــاندي بينما إحتياطى الحديد الضخم في اللورين على الحدود الفرنسية الألمانية، ويتبع هذا زيادة في التكاليف.

وحـــتى الاتحاد السوفيتي السابق ذو الموارد الضخمة، والمساحات الشاسعة، كان يضع فـــي تنظيماته الداخلية حسابا لعلاقاته بجيرانه، وأظهر مثل على هذا التعديل طبقا للوضع الإســـتراتيجي، وهـــو تنمية وحدات صناعية من الاتحاد الآسيوي خلف الأورال بعيدا عن الهجمات الأوربية.

ولننظر أيضا إلى كوبا التي كانت تمثل قاعدة سوفيتية متقدمة بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية، وكذلك نظرة الإتحاد السوفيتي إلى الدول المجاورة له وكيف تدخل عسكريا في أفغانســـتان، وأنظر كذلك كيف ردت الولايات المتحدة الجميل للاتحاد السوفيتي بوفاقها مع الصين والإعتراف بها وإدخالها الأمم المتحدة، بل ومساعدتها تكنولوجيا.

ومـــن الأهمـــية أن تكون العلاقات حسنة مع الجيران، بصرف النظر عن عدد الدول المجـــاورة، فحـــتى إذا كان هناك جار واحد، وعلى درجة عالية من التسليح، كأن يكون مســـلحا نوويـــا فهو يمثل خطرا شديد الخطورة بالنسبة لجيرانه، ولن نذهب بعيدا فالتسليح النووي لكوريا الشمالية يسبب إزعاجا لكوريا الجنوبية ولليابان، من ثم كان قرار الولايات المـــتحدة الأمريكـــية تخفيض عدد قواتها من كوريا الجنوبية (نحو ٧٠ ألفا) إلى النصف حـــتى عـــام ٢٠٠٥، ما آثار قلقا في كوريا الجنوبية واليابان، وإن كانت الولايات المتحدة الأمريكـــية تطمئـــنهم بأن التقنيات الحديثة في الحرب تعوض هذا بكثير، وفي نفس الوقت كانـــت جيرة روسيا والصين واليابان وكوريا الجنوبية لكوريا الشمالية ما حال دون إتباع الولايـــات المتحدة الأمريكية للحل العسكري مع كوريا الشمالية كما حدث مع العراق لأن هذه الدول لن تسمح لها بهذا الإجراء (*).

على العموم كلما زاد عدد الدول المجاورة لدولة ما، زادت الأعباء الملقاه على عاتق هـــذه الدولة خاصة بحماية حدودها وأمنها القومي وعلاقتها بالجيران، ولذا غالبا ما يتسم الـــتفاعل بيـــن دول الجوار لشدة الحساسية ونضرب مثلا بدولة مفرطة في جيرانها وهى السودان، إذ أنها تجاور تسع دول، غير مصر التي تجاور ثلاث دول فقط أو النرويج التي تجـــاور دولة واحدة، ويضاعف من أعباء حدود السودان القلة النسبية للسكان المنوط بهم إدارة هـــذه الحدود، فضلا عن أن هذه الحدود السياسية لا تشكل حدودا عرقية، بل تنتشر علـــى جوانبها القبائل والسلالات، ومن ثم تكثر مشكلاته مع جيرانه تشاد وإريتريا وأثيوبيا

* راجع كتابنا آسيا في شخصية القارة وشخصية الأقاليم، الأنجلو المصرية، ٢٠٠٢.

وأوغندا وتصبح هذه الدول ملجأ للاجئين منه، وكذلك هو ملجأ للاجئين منها.

نماذج من عدد دول الجوار بالنسبة لبعض الدول

روسيا الإتحادية	١٢	مصر	٣
الصين	١٢	إندونيسيا	٢
البرازيل	١٠	بنجلادش	٢
زائير	٩	المملكة المتحدة	١
السودان	٩	اليابان	صفر

وأدى الوضـــع بالنســـبة للجيران في بعض الأحيان إلى ضرورة وجود الدول الحاجزة ***Buffer States*** فـــيما مضـــى وهى وحدات سياسية صغيرة الحجم بين وحدات سياسية ضـــخمة، ومـــثل هـــذه الدول الحاجزة تبقى كمانع للصدام بين الجانبين الكبيرين، كما أن القضــــاء علـــيها من جانب لا يقابل بمقاومة هذه الوحدات الصغيرة فحسب، بل بمعارضة الجانب الآخر أيضا.

ويمكـــن فـــي هذا المجال إعتبار بلجيكا وهولندا ولوكسمبورج كانت دولا حاجزة بين ألمانيا من جانب وفرنسا من جانب آخر. كما قامت بولندا وتشيكوسلوفاكيا ورومانيا كدول حاجزة بين وسط أوربا من ناحية والاتحاد السوفيتي السابق من ناحية أخرى، وقد خشيت بريطانيا وهى في الهند من نمو روسيا القيصرية وتوسعاتها في القرن التاسع عشر، من ثم خلقـــت دول حاجزة، تمثلت في أفغانستان، بل وامتد إقليم واكان ***Wakhan*** من أفغانستان على هيئة إصبع ليصل إلى سنكيانج، ولعل إمارات نيبال وبهوتان وسيكيم فى شمال الهند إمـــتداد لهذه الأقطار الحاجزة، هذه ولن كان تطور الأسلحة الرهيب قد قلل من أهمية هذه الدول الحاضرة في الوقت الحاضر.

رابعا : الأهمية الإستراتيجية

تختلف أهمية الموقع الإستراتيجية بتغير الظروف، فالدول أو أجزاء الدول قد تكون لها أهمـــية إستراتيجية في عصر من العصور، وهذا معناه أنها تتحكم في طرق المواصلات العالمـــية مثلا، ويمكن إتخاذ قواعد من مياهها وأرضها لصد عدوان، أو القيام منها بهجوم وقت الحرب، كما أنها تعمل وقت السلم على توجيه حركة التجارة، ومن أمثلة هذه المواقع الإستراتيجية، مناطق المضايق، والبرازخ، والممرات العالمية، وأحيانا الجزر.

للدلالـــة علـــى تغير هذه الأهمية بتغير الظروف، نأخذ موقع مصر الجغرافي وتطور أهميته على مر العصور، فمثلا بعد كشف رأس الرجاء وتنتيجة لسوء الأحوال السياسية في الـــبلاد، تحول جزء كبير من تجارة الشرق إلى الطريق الجديد، وقلت أهمية موقع مصر، ثم بدأت تعود هذه الأهمية من جديد، وظهرت في أروع صورها بعد إفتتاح قناة السويس،

وكانــت القـــناة هـــي آخر جزء جلا عنه الإنجليز في مصر، كذلك يمكن أن نقارن موقع بريطانيا قبل كشف الأمريكتين وبعده، فقبل كشف الأمريكتين ، كان موقعها يعتبر متطرفا بالنســبة للطريق التجاري عبر الأطلنطي الشمالي، وهو من أهم الطرق الملاحية العالمية، لأنـــه يـــربط بين منطقتين حيويتين، هما غرب أوربا، وشرق أمريكا الشمالية. ونضرب المـــثل أيضـــا بجـــزر فولكلاند ***Fulkland*** الواقعة فى جنوب المحيط الأطلنطي والتي أحتلتها بريطانيا في القرن الثامن عشر، فقد كانت لها أهميتها الإستراتيجية لأنها تتحكم في الطـــريق البحري الذي يدور حول أمريكا الجنوبية ولعبت دوراً كبيرا في سحق الأسطول الألماني حتى عام ١٩١٤، ولكن إفتتاح قناة بنما في ذلك الوقت قلل من أهمية طريق رأس هـــورن، وبالتالـــي أصبحت أهميته الإستراتيجية في حكم المعدومة، وبينما تدهورت قيمة جزر فولكلاند، إزدادت قيمة أيسلند نتيجة لتطور وزيادة الخطوط الجوية المارة من غرب أوربـــا إلـــى أمـــريكا الشمالية والتي تمر بالقرب منها، بل وتستخدم مطاراتها، كما زادت أهمية الاسكا لقربها من الاتحاد السوفيتي السابق وأقيمت فيها المطارات وشقت الطرق.

وكانـــت أفغانستان ومازالت محط أنظار القوى العالمية، وقد ذكرنا أن الاتفاق الروس الإنجلـــيزي فـــي القرن التاسع عشر على أن تظل دولة حاجزة بينهما، كما امتدت بأصبع وكهـــان لتصبح مجاورة للصين وهي بموقفها هذا تصبح مجاورة لست دول، باكستان إلى الشرق والجنوب، وإيران غربا، وبعد إنهيار الاتحاد السوفيتي، أصبحت مجاورة لتركستان وأوزبكستان وطجيكسان، فضلا عن الصين كما ذكرنا، وأصبحت الآن بعد ظهور البترول فـــي دول آسيا الوسطى، من اهتمامات الولايات المتحدة الأمريكية لأنها برج مراقبة لهذه الـــدول كمـــا أنها برج مراقبة للأجزاء الغربية من الصين والهند وروسيا فهي مفتاح آسيا الوسطي.

نماذج للدول الحاجزة فى آسيا

نفوذ روسي
إيران
افغانستان
بلوخستان
تبت
سيكيم
نيبال
بوتان
الهند البريطانية «سابقا»
دول حاجزة
مناطق نفوذ
صفر ٣٠٠ ٦٠٠ ميل

الفصل الثانى

مساحة الدولة وشكلها

أولا : مساحة الدولة:

تضم الأمم المتحدة اليوم ١٨٥ دولة، كلها دول مستقلة، ومع ذلك فهي لا تضم كل الدول المستقلة، فلم تنضم إليها سويسرا متبعة فى ذلك مبدأ الحياد رغم أنها كانت عضوا فى عصبة الأمم، ولم تدخلها الصين الشعبية حتى عام ١٩٧١ بسبب معارضة الولايات المتحدة الأمريكية، كذلك لم تدخلها منغوليا، فضلا عن الدول القزمية مثل *سان مارينو* وأندورا، ودولة الفاتيكان، رغم أن بعضها يشارك فى بعض نشاطاتها، وفى نفس الوقت هناك جزر مالديف فى (المحيط الهندي) ذات الموارد المحدودة للغاية بحيث لا يمكنها أن تسهم فى نشاطات الوكالات المتخصصة للهيئة الدولية.

وتختلف المساحة من الدول العملاقة كروسيا الإتحادية بمساحتها التي تقدر بنحو ٦٥٩٢ألف ميل مربع إلى الفاتيكان الذي تبلغ مساحته ¼ ميل مربع والبرازيل والصين وكل منها تزيد مساحته على ٣ مليون ميل مربع واكبر دولة تبلغ ٢ مليون مرة أكبر من أصغر وحدة (باستثناء الفاتيكان) وهي *سان مرانيو* ٣٨ ميلا مربعا، ويبلغ متوسط حجم الوحدة السياسية نحو ١،٤٠٤,٠٠٠ كيلو مترا مربعا أو نحو ٣٩٠,٠٠٠ ميلا مربعا أي حجم بوليفيا أو كولومبيا او مصر، والجدول التالي يبين أحجام هذه الدول.

غير أننا يجب أن نعرف بأن الدول التي نراها على الخريطة السياسية اليوم لم تظهر فجأة، فقد نمت ببطء على مدى قرون، فكل دولة نمت من نواة صغيرة بإضافة أرض وسكان جدد ، والمنطقة التي بدأت فيها الدولة نموها ، يطلق عليها أقليم النواة **Core area** أو النواة المركزية **Nuclear area** وهي لها بمثابة القلب، وتتميز هذه النواة بأنها أكثر أقاليم الدولة خدمة بوسائل النقل، فلا توجد نواة لا تخدمها وسائل النقل سواء كانت شبكة كثيفة تعتبر هي مركز لا شعاعها كما هو الحال فى القاهرة ولندن أو حتى خط حديدي واحد أو طريق نهري كما هو الحال فى نيروبى، وكنشاسا.

ولا تظهر النواة ألا وظهرت معها درجة من الحضرية أعلى منها فى بقية أجزاء الدولة، أحيانا يشغل نواة الدولة مركز حضاري ضخم، كما هو الحال فى باريس ولندن، وموسكو، والقاهرة والخرطوم، وأحيانا تشغله عدة مراكز حضارية كما هو الحال فى شرق الولايات المتحدة الأمريكية أو غرب نيجيريا وتتميز منطقة النواة بأنها أكثر أجزاء البلاد تطورا من الناحية الإقتصادية، لذلك قبل تحديد منطقة النواة يجب أن نعرف القطاعات الإقتصادية فى الدولة، فقلب الأرجنتين مثلا لا يتميز بتعدد المراكز الحضارية فحسب، بل بسهل خصيب متسع غنى بقمحه وذرته وثروته الحيوانية فضلا عن إعتدال مناخه بينما نواة زامبيا إقليم تعدين النحاس، وغالبا ما تضم النواة عاصمة البلاد، وكثير ما يلاحظ أيضا، إمكان تعدد النويات الثانوية كما هو الحال فى إيطاليا فهناك نواة حول

روما، وأخرى في سهل البو في الشمال، وفي الولايات المتحدة الأمريكية هناك نواة الإقليم الشرقي، وهناك أيضا نواة ثانية في كاليفورنيا ونواة ثالثة في ظهير خليج المكسيك [١].

أكبر سبع دول وأصغرها من حيث المساحة [٢].

أكبر سبع دول	المساحة بالألف ميل٢	أصغر سبع دول	المساحة بالميل ٢
روسيا الأتحادية	٦٥٩٢	أندورا	١٧٥
الصين	٣٨٧٩	مالطة	١٢٢
كندا	٣٨٦٤	جزر مالديف	١١٥
الولايات المتحدة الأمريكية	٣٦١٥	ليختنشتين	٦١
البرازيل	٣٢٨٧	سان مارينو	٢٤
استراليا	٢٩٧١	موناكو	٥٩
الهند	١١٨٠	الفاتيكان	١٧

وكانت نواة الولايات المتحدة، الثلاث عشرة ولاية الساحلية على الساحل الشرقي، وتعتبر منطقة موسكو نواة روسيا الإتحادية، ثم أتسعت بعد ذلك، ولكن لابد من وجود رابط قوى بين المركز، أو النواة، والأطراف، وهذا يتم عن طريق شرايين المواصلات وإلا كانت هذه الأطراف عرضة للاختطاف من الدول المجاورة ، فألمانيا مثلا لأشتراكها مع دول عديدة في الحدود، ولوجود معظم ثرواتها المعدنية على هذه الأطراف كانت من أولويات سياستها ربط الأطراف بالقلب أي ببرلين. كذلك كان إتحاد الوجهين البحري والقبلي نواة مصر، ومدت فرنسا حدودها من حوض باريس على فترة طويلة استغرقت مئات السنين، كما كان نواة يوغسلافيا مملكة الصرب. وهكذا يصبح نمو الدولة أمر طبيعيا، فكما قال *فردريك راتزل* بأن الحدود السياسية للدولة لا يجب أن ينظر إليها على أنها نهائية، فسكان الدولة يضغطون على حدودها، محاولين دفعها لتوسيع رقعة دولتهم كلما سمحت الظروف، فالدولة أشبه بالكائن الحي، ومن ثم فنموها أمر طبيعي وضروري.

ولكبر المساحة وإتساع البلاد أهمية كبيرة وقت الحرب، وتظهر هذه الأهمية فيما يطلق

---

(١) سنعالج نواة الدولة بشيء من التفصيل أثناء دراسة شكل الدولة.

(٢) نلاحظ أن المجموعة الأولى لا تزيد مساحتها على المليون ميل ٢، والمجموعة الثانية أقل من الألف ميل٢.

عليه العسكريون الدفاع فى العمق **Defence in Depth** فالدولة الصغيرة المساحة لا تلبث أن تنهار بسرعة فائقة أمام جارتها، فقد إضطر الجيش الهولندي إلى التسليم بعد أربعة أيام فقط، على حين أن الروس كانوا يتمتعون بالدفاع فى العمق، فاستطاعو جذب الجيوش الألمانية لإستنفاد قوتها، كما إستنفدوا من قبل جيوش نابليون عام ١٨١٢، فقد كانت روسيا تسلم الأرض فى سبيل ما تربحه من وقت، كذلك الحال فى جبهة الشرق الأقصى، حيث إستولى اليابانيون على المدن الساحلية، ولكنهم لم يستطيعوا القضاء على المقاومة الصينية، ذلك أن الصينيين هجروا منازلهم فى شرق الصين وإتجهوا نحو الغرب، ولا ننسى أيضا أن إسرائيل تحاول جهدها أن تكون مواقعها الحربية خارجها، وأن تكون البادئة بالهجوم لأنها ل اعمق لها. ويجب أن نشير إلى أنه إذا كانت المساحة الكبيرة مقرونة بعدد كبير من السكان، وإستغلت موارد الدولة إستغلالا حسنا ، كان معنى هذا ظهور هذه الوحدة السياسية كقوة، فنظرا لإتساع المساحة سيتنوع المناخ، وتنوع المناخ معناه تنوع غلات، كما أن إتساع المساحات قد يضم تكوينات جيولوجية متعددة، وما يتبعها من صخور مختلفة، وبالتالي معادن متنوعة، وأبلغ دليل لدينا روسيا الأتحادية، والولايات المتحدة الأمريكية، فكلاهما ذو مساحة ضخمة، فروسيا الأتحادية تمتد من دائرة العرض ٣٥ شمالا، إلى المنطقة المتجمدة ، وتمتد الولايات المتحدة من مدار السرطان إلى دائرة العرض ٤٩ْ شمالا.

وتتشابهان أيضا فى أنه بالإضافة إلى هذه المساحة الواسعة فكلاهما كتلة متماسكة **Compact** ولن توجد فى أيهما مشكلة إكتظاظ سكاني، أو مشكلة أرض لمدة طويلة للغاية. فضلا عن أن كلاهما له مخارج محيطية شرقا وغربا، ولم يعرف التاريخ قوة بهذه المساحة وهذه الصفات، وهذه الإمكانيات الإنتاجية لسلع متنوعة داخل إطار وحدة سياسية واحدة، ومن الواضح أن المجال متسع أمامها لكثير من التجارب الزراعية والصناعية. ونفوذ الولايات المتحدة فى الشئون العالمية، هو مقياس لدرجة التقدم الذي أحرزته كل قوة فى تنظيماتها الداخلية، ومقياس لإمكانياتها.

على العموم تتوقف المساحة المناسبة لأي دولة على العلاقات بين هذه المساحة والسكان، فالإنسان هو صانع الدولة، ولكن الأرض هي التي تمده بوسائل الحياة، ولذلك فالمساحة المثلى هي التي تعول بكفاية هؤلاء السكان، وقد يفيض الإنتاج، فيكون هذا من عامل قوتها، ولكن إذا كانت المساحة كبيرة بالنسبة للسكان تكون أشبه بالثوب الفضفاض، وتظهر مشكلة الدفاع عن أراضيها كما هو الحال فى دولة مالي بمساحة نحو ١,٢٥مليون كم٢ وبسكان نحو ٩مليون نسمة، وموريتانيا بمساحة تزيد عن المليون كم٢ وبسكان يزيد بنحو ٢ مليون نسمة، كذلك تزداد مشكلات الإدارة حتى فى ظل وسائل الإتصال الحديثة، وقد يؤدى هذا إلى ظهور الروح الإقليمية لعدم التجانس البشرى، ويصبح من الصعب تنفيذ قوانين موحدة على جميع البشر وعلى جميع الولايات، كل منها قد تكون لها ظروفها المناخية الخاصة ومن الجائز عاداتها ...إلخ ، كما فى الولايات المتحدة الأمريكية، وكندا، والهند ، ونيجيريا، والبرازيل، من ثم كانت الفيدرالية هي علاج تتنازل فيه الإدارة المركزية عن بعض سلطاتها، مع الإحتفاظ بوحدة المظهر الخارجي وقد تمنح بعض

الأقاليم حكماً ذاتياً، كما فعلت الصين بالنسبة لأربعة أقاليم، وهي منغوليا الداخلية، ***وسنكيانج***، والتبت على أطرافها الشمالية فضلا عن ***كوانجسى شونج*** فى الجنوب.

ثانيا : شكل الدولة:

إن تماسك وإتصال أجزاء الدولة أو ظهورها ككتلة واحدة يعتبر من ميزاتها، فكلما كانت ملتئمة كلما قصرت أطوال الحدود بالنسبة إلى المساحة. ومن الناحية النظرية البحتة يعتبر الشكل الدائري مثاليا، وخاصة إذا كانت عاصمتها تمثل مركز هذه الدائرة، ويمكن معرفة الإنحراف عن هذا الشكل المثالي عن طريق عمل نسبة بعد الحدود الحقيقية عن أقصر طول للحدود، أى عن محيط هذه الدائرة ، فكلما كان الرقم صغيرا كانت الدولة أقرب إلى الشكل المثالي، وكلما كان كبيرا كلما بعدت عن هذا.

الدولة	أوراجواى	رومانيا	المجر	المكسيك	شيلى
% طول الحدود إلى اقصر طول لها.	١٠٥	١٣٧	١٤٦	٢٥٨	٣١٠

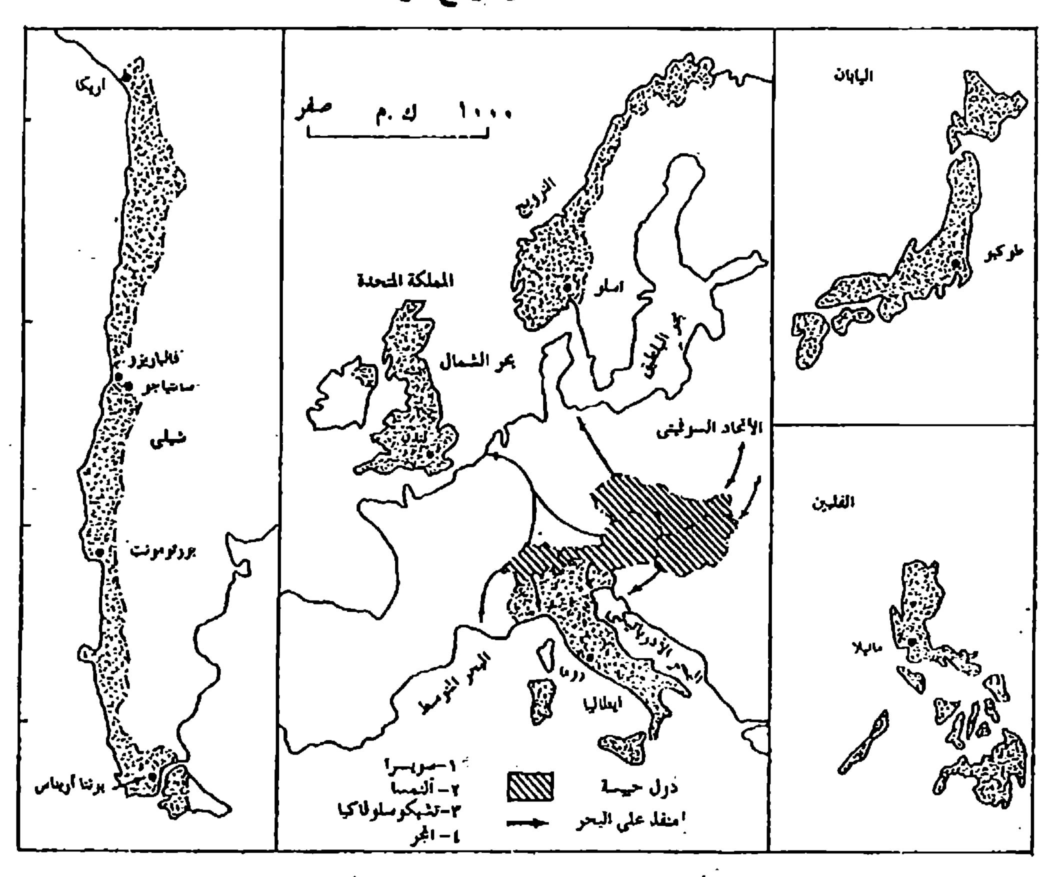
ويظهر الشكل المثالي على سبيل المثال فرنسا، ورومانيا، وسويسرا، والمجر كلها أشكال اقرب إلى المثالية، بينما تعتبر شيلى مثلا تقليديا للدول ذات الإمتداد الطولي الكبير، إذ تمتد من الشمال إلى الجنوب مسافة ٣٩٠٠ ميل، على حين أن عرضها قد لا يتجاوز المائة ميل ، فإذا أضفنا إلى هذا وجود جبال الانديز التي تزيد المواصلات تعقيدا وصعوبة، أدركنا أن مشكلة الدفاع فى مثل هذه البلاد من الصعوبة بمكان، كذلك الحال فى النرويج التي أمكن للألمان شل حركتها بالإستيلاء على المدن والمواني الساحلية، التي تتحكم فى طرق المواصلات مع الداخل، ولا يمتد فى شيلى أو النرويج خط حديدي بطول الدولة بالكامل، وإذا كانت النرويج يمتد فيها طريق طولي صالح طول العام فهذا ما لا يتوفر فى شيلى التي تعتمد بالدرجة الأولى فى تجارتها ونقل سلعها على السفن الساحلية ، كما اضطرت شيلى أيضا إلى تخفيف التعريفة الجمركية فى الأقاليم المتطرفة شمالا وجنوبا ، كذلك كان لإستطالة تشيكوسلوفاكيا بالإضافة إلى ظهور الحواجز الجبلية أثره فى صعوبة المواصلات، وبالتالي كان من عوامل ظهور الروح الإنفصالية عند السلوفاك والتي أدت فى النهاية إلى إنقسام الدولة إلى دولتين تشيك وسلوفاك.

كما تعتبر الدولة غير مثالية الشكل حين تظهر فيها أجزاء منفصلة عن الكتلة الرئيسية، فألمانيا قبل الحرب الثانية حين كان يشطرها الممر البولندي، أو الباكستان التي كان يفصل شطريها عن بعضها مسافة ألف ميل بالبر، بينما يبعد ميناء ***شيتاجونج*** عن ***كراتشى*** نحو ٣ آلاف ميل، وكان هذا من عوامل ضعف الدولة، وإنفصال باكستان الشرقية باسم دولة بنجلادش.

والأمثلة واضحة أيضاً فى خريطة أفريقية السياسية، حيث جمهورية مالي التي تختنق فى الوسط وتترك على الجانبين كتلتين شبه منفصلين يسهل قطعهما نظرياً عن بعضهما البعض من الخارج، أي من ***بوركينافاسو وموريتانيا***، كذلك الحال فى الصومال التي

تمــتد علــى هيــئة شــكل 7 الإفرنجي فهي مفرطة فى الطول مما يضعف من التماسك الداخلــي، كما يمكن لاسفين أوجادين هرر الذي يتعمق فى الصومال شطر هذه البلاد إلى شــطرين، وتكرر زامبيا صورة مالي، كما تكرر موزمبيق صورة الصومال، أما مالاوى فليســت إلا اســفينا فى موزمبيق، وفى جمهورية جنوب أفريقية نجد أن، الترنسفال تمتد بعــيداً إلــى الشمال، حتى أنها تقع فى دائرة نفوذ مابوتو، بينما خطط اصبع كابريفى فى جــنوب غــرب أفريقية خصيصاً ليصل إلى الزمبيزى غرباً مما أدى إلى أن تشرف عليه بتسوانالاند من الناحية الإدارية.

شكل وموقع دول منتقاة



شكل وموقع دول منتقاة . كل الخرائط على نفس المقياس

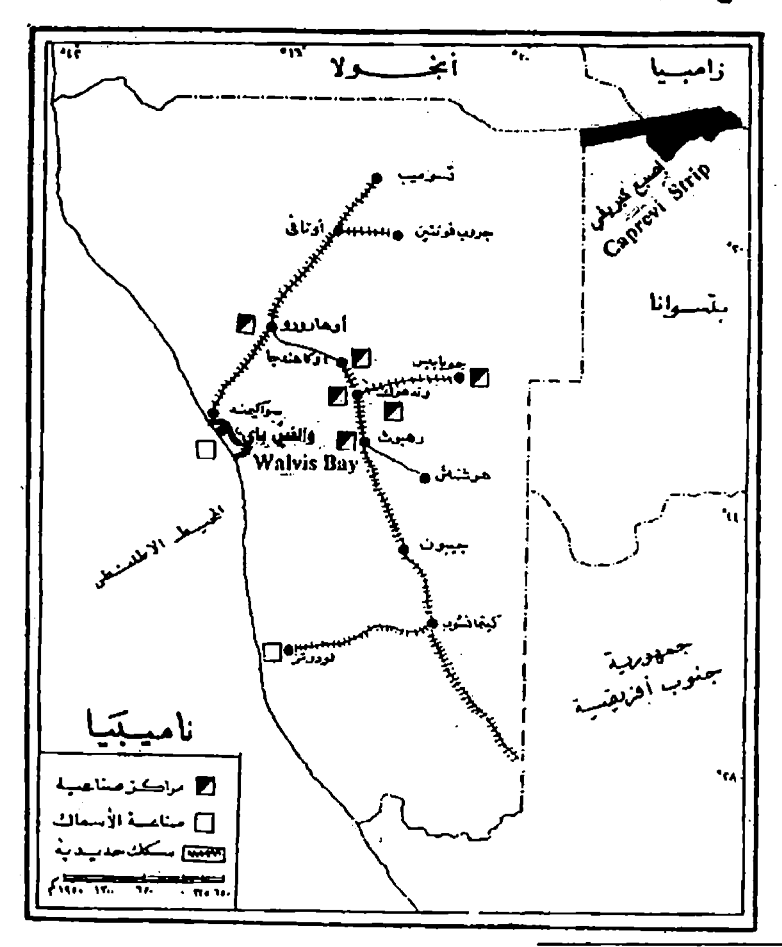
وكان من نتائج عدم الإنتظام فى أشكال الدول الأفريقية، فرط طول حدودهما السياسية فــتكاد حــدود أفريقية السياسية (٢٩٠٠٠ ميلاً) تعادل كل حدود العالم الجديد او ضعف حدود أوربا (١٥٠٠٠ ميلاً).

ولكــن يجــب أن نستدرك ونقول بأن المشكلات السياسية لا تتوقف على عنصر واحد فقــط، فهــناك دول أجزاؤها متباعدة مثل نيوزلندا والدانمرك ومع ذلك لا يظهر فيها عدم

التماسك أو عدم الترابط الإجتماعى.

ثالثا : موقع العاصمة (٣).

ممـــا لاشـــك فيه أن دور العاصمة قد تغير كثيرا عما كان عليه فى الأزمنة الماضية، فعندما نتكلم عن باريس كعاصمة لمملكة الكابيتيان في فرنسا يجب أن نزيل من ذهننا أنها كانـــت تقوم بالدور الذي تقوم به لندن أو روما مثلا فى الوقت الحاضر، فقد كانت الطاقة الإدارية للحاكم صغيرة وصعبة، والأعباء الحكومية محدودة وكان الملك محاطا بوزارته وحاشـــيته ويعـــيش لنفسه متنقلا من ضيعة إلى أخرى، وورائه حاشيته حاملين السجلات والأخـــتام، فالعاصـــمة فى ذلك الوقت كانت تتفق ومكان وجود الحاكم. على أنه كان لكل حاكم مكان مفضل، فكان شرلمان يحب مسقط رأسه آخن، وكان هذا المكان المفضل ينال عـــناية أكبر من سواه، سواء فى بناء القصور والحصون أو الكنائس، وذلك أن الملك كان يقضـــى معظـــم وقته فيه. ثم بدأت الأحوال فى التغير التدريجي، عندما لم تعد السجلات تـــتقل وراء الحـــاكم، ففي إنجلترا حفظت فى برج لندن، وأختير قصر باريس المحصن لحفظ السجلات وأخذت الأعمال الحكومية تتركز فى العاصمة، وأخيرا كان لظهور النظم الديموقراطية واجتماع البرلمان فى العاصمة أثره فى تثبيت مكان ومكانة العاصمة.



(٣) رغـــم أن العاصـــمة ظاهرة بشرية، رأيناً من الأنسب دراستها بعد شكل الدولة لأهمية موقعها في الدولة من الناحية السياسية.

وكـــان لتطور الدور الذي تلعبه الحكومة فى الوقت الحاضر، وتعدد وظائفها أثره فى الــزيادة المطـــردة لأهمية العاصمة، فقد ظهرت فيها أيضا الصناعات الخفيفة وصناعات الخدمات لمقابلة إحتياجات رجال الإدارة، ومن ثم إزداد نمو العواصم، غير أنها فى معظم الأحــوال تكــون العاصمة هي المدينة الأولى سكانيا فى الدولة ، فهناك خمس وعشرون دولـــة فـــى أوربـــا (باســتثناء القزمية)، وتعتبر العاصمة السياسة فيمالا يقل عن ثلاث وعشـــرين مـــنها أكبر مدينة، ويظهر الإستثناء فى حالة بلد كسويسرا حيث برن العاصمة الإتحاديـــة تعتبر رابع مدينة، وكذلك الحال فى بون التي إتخذت عاصمة لألمانيا الغربية. وتظهـــر حالات الاستثناء أيضا فى قارة آسيا، فإستانبول العاصمة القديمة أكبر من أنقرة، وفـــى الصـــين يحتل ميناء شنغهاى المكان الأول، وتأتي بكين المكان الثاني. وفى أفريقية نجد أن العاصمة ليست المدينة الأولى فى المغرب ونيجيريا وموريتانيا.

ويجـــب أيضـــا تذكـــر أن موقع العاصمة يبدو ذوى مغزى كبير. فمن ناحية الحماية والدفاع نجد الموقع المركزي مثالي، ولعل مدريد، برن، وارسو، أنقرة يمكن إعتبارها من العواصـــم المركـــزية، ولكن اذا لم تكن الدولة ملتئمة تماما، فان أختيار الوضع المركزي يكـــون أمـــرا عسيرا، فبرلين كان وضعها مركزيا فى وقت من الأوقات ولكنها الآن حتى بعد خروج جنود الإحتلال منها، أصبحت متاخمة للحدود البولندية.

وعادة ما تكون عواصم الدول البحرية بالقرب من البحر أو على كثب منه، ولكنها فى الغالـــب تكون على خليج أو مصب خليجي، فلندن على التيمز، وطوكيو على خليج بنفس الإســـم، بـــل والإســـكندرية كانـــت عاصمة مصر أيام الإغريق ، على العموم إذا كانت العاصمة على الساحل. أو هي منه على كثب فلا بد من أسطول قوى لحمايتها فقد سقطت أوسلو عاصمة النرويج عام ١٩٤٠ بسهولة عندما أبحر الأسطول الألماني فى الخليج الذي تقع فيه.

لماذا تنقل الدول عواصمها ؟

وعـــندما تغير الدول وضع العاصمة فى الجهات الداخلية إلى موقع على الساحل، فإن هذا معناه أولا ظهور مصالح بحرية لها أو تطلعها إلى الخارج، وثانيا أنها تشعر بثقة تامة فـــى قواتهـــا الدفاعـــية. وهـــذا واضح فى حالة نقل العاصمة من موسكو إلى بطرسبرج (لينجراد) فى وقت ما، فقد كتب على روسيا أن ترى إمبراطوريتها تحكم لمدة قرنين من الـــزمان من عاصمة لم تعط إسما جديدا فحسب، بل غرست فى أرض جديدة أيضا، وكان نقـــل العاصـــمة من موسكو التي تقع فى قلب روسيا إلى بطرسبرج على ضفاف نهر نيفا علـــى مـــرمى حجر من البلطيق نتيجة لرغبة الحكام فى أن تطل العاصمة على الخارج، وتصـــلها تأثيرات المدنية الغربية. أما إذا نقلت العاصمة إلى الداخل، فهذا معناه أنها تبحث عـــن الأمن والعزلة، وهذا واضح فى تركيا عندما نقلت عاصمتها من إستنبول إلى أنقرة، وروسيا من لينجراد إلى موسكو، فى حالة شيلى عندما نقلت عاصمتها من فالباريزو على الساحل إلى سانتياجو.

وقـــد يكون الغرض من نقل العاصمة هو تحويل الإهتمام نحو مناطق مهملة، كما هو

الحال فى نقل عاصمة البرازيل من ريودى جانيرو على الساحل إلى برازيليا فى الداخل، لتنشـط الأقالـيم الداخلـية وجذب الأنظار إليها، وقد يكون النقل لأسباب إستراتيجية كنقل عاصـمة باكستان من كراتشى على الساحل إلى إسلام أباد فى أقصى الشمال بالقرب من مـناطق الـنزاع الهـندي الباكستاني، مما يعكس أهمية الأقاليم الشمالية وإشعار الهند بان الحكومة هناك.

وعـندما لا يكـون هناك تراث تقليدي أو تاريخ عتيق للدولة، يصبح من السهل تغيير موقـع العاصمة، فعندما أختيرت مدينة واشنطن كعاصمة كان السبب فى إختيارها توسط موقعها بين ولايات الشمال وولايات الجنوب، وفى حالة مثل كندا، تحركت عاصمتها أكثر مـن مـرة فكانـت كويبك العاصمة الأولى، تلتها مونتريال، ثم أصبحت الآن أتاوا. وفى أسـتراليا كانت المنافسة بين ملبورن فى ولاية فيكتوريا وسيدنى عاصمة نيوسوث ويلز، مما أدى إلى اختيار كانبرا عاصمة لأستراليا وهي تقع فى مركز وسط بينهما.

ويؤدى تطرف العاصمة إلى صعوبة الضبط السياسي من ناحية، وأضعاف قبضة هذه العاصمة على الأقاليم الهامشية والأطراف من ناحية أخرى، فضلا عن حفظ التوازن بين أقالـيم الدولة المختلفة لاسيما فى الوحدات الضخمة المساحة خاصة إذا كان النقل متخلفاً، وإذا كانت العاصمة المتطرفة الموقع حديثة العهد، فإنها تميل إلى أن تكتسب طابعاً إقليمياً أكـثر منه قوميا، فبحكم موقعها المتطرف غالباً ما يتألف سكانها من العناصر المحلية أو الإقليمـية، وهذا يجعل وضع العاصمة فى الدول المتنافرة السكان موضع جدل ومناقشة، كما هو الحال فى العواصم الأفريقية، الخرطوم مثلاً، البعض يذهب إلى أنها متطرفة نحو الشـمال، بـل إذا نظـرنا إلى معظم العواصم الأفريقية سنجد أنها متطرفة (تشاد، مالي، الجزائـر، تونس، المغرب، ليبيا، تنزانيا، أنجولا، زائير، جنوب أفريقية وغيرها، ويرجع هــذا إلى أكثر من عامل، منها أن المعمور والمناطق الآهلة بالسكان تجنح فى الغالب إلى طـرف من الأطراف، وبذلك تصبح العاصمة فى هذا الطرف أو ذاك كما فى حالة ليبيا، فـى وقـت مـا كانـت هنا عاصمة مزدوجة فى طرابلس وبنغازي، وكان هناك تناوب للعاصمة عامان لكل، ثم وحدت فى البيضا، فى ولاية برقة قبل الثورة ومع ذلك فالعواصم الـثلاث فـى المـنطقة السـاحلية، كذلك الحال فى تونس والجزائر. وتميل عواصم دول الصـحراء الكبرى إلى الجنوب، ويرجع هذا إلى سقوط الأمطار الصيفية على حافة إقليم السـفانا، هكـذا الحـال فى نيامى وبماكو، كما يرجع إلى العامل السياسي لأن الإستعمار يخـتار عواصـمه عادة فى الجهات الساحلية لأنها فى نظرة وسط ! وسط بين المستعمرة من ناحية وبين الدولة المستعمرة من ناحية أخري. والعواصم فى هذه الحالة كانت مواطئ الأقـدام الأولـى للمسـتعمرين، هكذا الحال فى أقطار غرب أفريقية بعامة، وفى أنجولا والكنغو وموزمبيق، ولا يقتصر الأمر على الأقطار الأفريقية، بل يتعداه إلى القارات التي شـهدت الإسـتعمار، البرازيل مثلا بعاصمتها المتطرفة على الساحل ريودى جانيرو مثل آخـر. وقد تحولت عن هذا الموقع الهامشي إلى برازيليا فى الداخل، كذلك الحال فى الهند بعاصـمتها دلهـي التقلـيدية التي تحولت إلى ميناء كلكتا تحت الإستعمار البريطاني، ثم رجعت مرة أخرى إلى وضعها الطبيعي وهكذا.

<u>عواصم متعددة :</u>

ولابــد هنا أيضا أن نشير إلى العواصم **المزدوجة** للدولة الواحدة ، فالعاصمة كما هو معــروف هــي المدينة أو المركز الوحيد الذي تقوم فيه الحكومة بتأدية وظائفها، قد يكون هــناك توزيــع وإنتشــار الهيـئات الادارية، ولكن الحكومة بوجه عام تكون مركزة فى العاصــمة، وهــناك أمــثلة أخرى لتعدد العواصم فى بعض الدول، نذكر منها هولندا أو الأراضــي المنخفضــة، حيــث أمســتردام العاصمة الإدارية والتي توجد فيها الإدارات الحكومــية ومركز الملـ، بينما نجد البرلمان فى لاهاى، كذلك الحال فى بوليفيا حيث تمثل بلــدة ***Sucre*** الصــغيرة العاصــمة الرســمية، ولكن الإدارة الحكومية فى مدينة لاباز، وتــتكرر الظاهرة فى جنوب أفريقيه مرة أخرى فنجد كيب تون مركز البرلمان وبريتوريا مركز الحكومة. ويبدو أن هذا الموقع أتخذ لارضاء القوميتين الإنجليزية والهولندية، فكيب تــون هــي أكــثر مدن جنوب أفريقيه نطقا للإنجليزية، بينما بريتوريا تمثل معقلا رئيسيا للبوير.

وقــبل أن ننهي الكلام عن العواصم ، يمكن أن نشير إلى أهمية العاصمة فهي <u>واجهة الدولــة</u>، ومــن ثم تنال عناية أكبر من غيرها بكثير، ويكفى أن يمتد البصر من ناطحات السحاب فى بعض دول أمريكا اللاتينية لترى أكواخ الصفيح، وكما قال ويتسلى عن أديس أبابــا " إنهــا قــناع يخفــي وراءه بقية أثيوبيا ". وتتعدى العاصمة كونها مركزا إداريا وتشــريعيا للدولــة، فالعاصمة هيالتي تستقطب الشعور القومي للأمة، وهي رباط عناصر الآمــة المختلفة، وتمثل رمزا شبه مقدس لديهم، وتتضح أهمية العاصمة كمركز للآمة فى نقل العاصمة أحيانا من المناطق الهامشية إلى الداخل لتكون أكثر تمثيلا للدولة، أنقرة بدلا من إستانبول، موسكو بدلا من بطرسبورج، كذلك رغبة البرلمان الألماني فى نقل عاصمة ألمانــيا الغربــية إلــى برلين بدلا من بون، كما تبدو أهمية العاصمة فى انهيار معنويات الشعب اذا ما سقطت فى أيدى الأعداء.

برلين عاصمة دولة، ثم ربع دولة، ثم عاصمة للدولة:

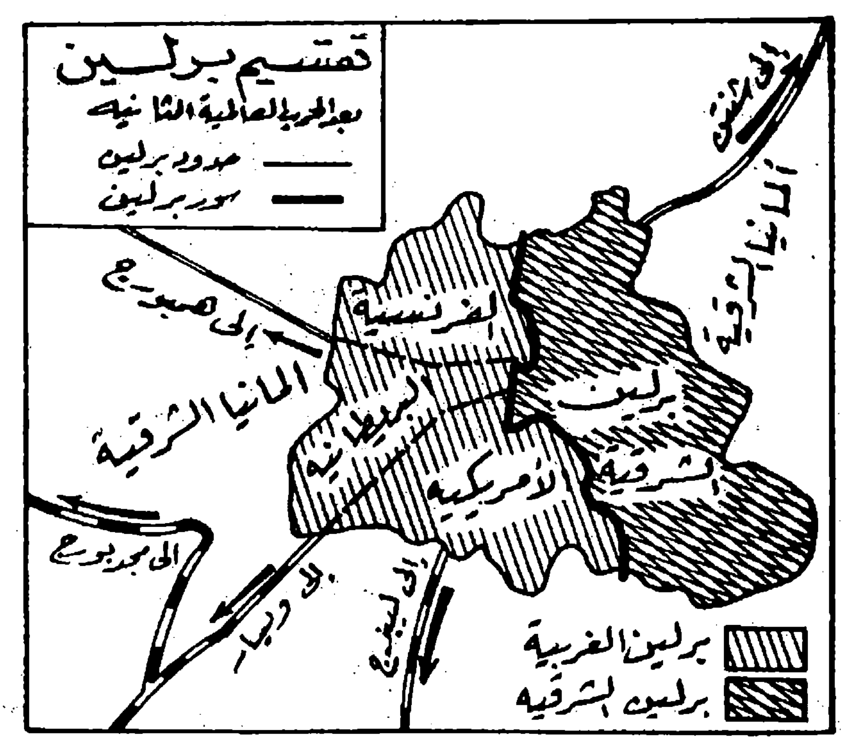
كانــت برلين قائمة حتى من قبل التاريخ الرسمي لإنشائها، حيث كانت قوية على ضفة نهــر شــبرى ثــم فى ٢٨ أكتوبر سنة ١٢٣٧ وقعت وثيقة "ترقيتها" إلى مستوى مدينة. وأعتبر هذا اليوم هو يوم إنشائها.

ويقــال أن إسمها مشتق من الكلمة الألمانية ***Beur*** التي تعنى " الدب ". وأن هذا هو السبب فى أن رمز مدينة برلين هو الدب.

فــى عام ٢٠٠٠ أصبحت برلين هي العاصمة " الأبدية للألمانيتين وحتى عام ١٩٤٥ كانــت برلـيــن هــي العاصمة " الأزلية "، وفى الفترة ما بين ٤٥ إلى ١٩٨٩ كان نصف برلـيــن عاصــمة لربع ألمانيا (ألمانيا الشرقية) .. ونصفها الآخر الغربي برلين الغربية احتلته القوات الأمريكية والإنجليزية والفرنسية.

فعــندما إنقسم العالم إلى معسكرين وإنقسمت ألمانيا إلى دولتين، إنقسمت برلين أيضا، وأقــام الشيوعيون بين القسمين سورا بالطوب والأسمنت أمامه سور من الأسلاك الشائكة،

وخلفــه سور من موانع الدبابات. ثم سور من الكشافات وأصبحت برلين الشرقية عاصمة لألمانيا الشرقية، بينما أصبحت بون عاصمة لألمانيا الغربية.



وحــاول بعــض الألمان القفز عبر هذا السور المركب، ونجح بعضهم، وفشل البعض الآخــر، ولقــوا مصرعهم برصاص الحرس الشيوعي، وإعتبرهم الجانب الغربي شهداء، وقال عنهم الشرق أنهم خانوا مبادئ ونظرية المفكر الألماني ***كارل ماركس***.

ولما بلغت الحرب الباردة ذروتها قرر " السوفيت " خنق مدينة برلين الغربية، وقطعوا عنها قوافل الزاد والمؤن لمدة ١١ شهر، ولكن المدينة المضيئة لم تمت ولم تهتز .. وإنما إرتبطت بجسر جوى مع الحلفاء الذين أفاضوا عليها الطعام والشراب والمشاعر الجياشة. وأصبحت برلين رمزا للصمود. كما كانت رمزا للإنقسام ثم رمزا للوحدة.

واقــترع برلمان ألمانيا عقب إعادة توحيدها عام ١٩٩٠ بأغلبية ضئيلة على قرار نقل العاصمة من بون وإعادتها إلى برلين.

وخــلال حقبة العشرينات من هذا القرن كانت برلين عاصمة الثقافة فى أوربا ، وكان يطلقــون على هذه الحقبة إسم الحقبة الذهبية. وقبل التقسيم كان ميدان " بوتسدام " هو قلب المديــنة، وكان يطل على هذا الميدان البيت الذي عاش فيه ***هتلر*** فى أيامه الأخيرة. وتحت البيــت كــان يوجد فندق أو مخبأ يختفي فيه من الغارات الجوية للحلفاء، وفى هذا المخبأ تجرع السم بعد أن أدرك أن الهزيمة محقق.

<u>معارضــــون :</u>

وقــد أثار قرار نقل العاصمة إستياء أهالي بون العاصمة السابقة لألمانية الغربية الذين قــالوا أن إجراءات النقل ستتكلف نفقات باهظة فى وقت يعانى إقتصاد ألمانيا من الركود

بعد التكاليف التي تكبدها فى إعادة التوحيد، فضلا عن أن هذا النقل سيضر بالوضع الإقتصادى والسياسي لمدينة بون. وقال المعارضون أيضا أن هذا الإنتقال سيقوى من النزعة القومية المتطرفة لدى اليمين الألماني، وأن برلين لم تعد مدينة محبوبة من العالم منذ أن أصبحت عاصمة للقياصرة الذين أججوا معارك الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤ ثم عاصمة لهتلر الذي أشعل الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩، ثم أصبحت المدينة التي تفجرت منها الحرب الباردة.

<u>مؤيدون :</u>

وقال المؤيدون لقرار النقل أن برلين هي العاصمة الطبيعية لألمانيا بعد إعادة توحيدها، وأن هذا النقل يسهل إدماج القطاع الشرقي من ألمانيا المتخلف إقتصاديا والذي يضم برلين فى القطاع الغربي من ألمانيا، الأكبر والأقوى، ويوفر ٥٥ ألف فرصة عمل جديدة.

وفى صيف عام ١٩٦١ عندما بنوا سور برلين تعمدوا أن يمر السور فى وسط هذا الميدان التاريخي، فأصبح هذا الميدان أيضا مقسما بالحائط الأسمنتي والأسلاك الشائكة وعلى الجانبين أحجار متناثرة وحشائش نمت شيطانيا. والآن بعد هدم السور الذي كان يبلغ طوله ١٥٥ كيلو مترا، وكان يحيط ببرلين الغربية إحاطة كاملة ويعزلها عن كل ما حولها ، وبعد هدمه لم يبق منه إلا جزء أثرى طوله أربعة كيلو مترات، تحول إلى معرض لمجموعة من اللوحات والرسوم التي أبدعها الفنانون الألمان للسخرية من النظام الشيوعي السابق فى شرق ألمانيا، ومن رئيس هذا النظام الذي قال فى آخر تصريح له قبل سقوطه " إن هذا السور سيستمر مائة سنة أخرى "!

وهناك ١٩٠ ألماني (شرقي) لقوا مصرعهم وهم يحاولون الهروب من فوق السور أو من تحته عن طريق أنفاق حفروها بأظافرهم. كما أن هناك مئات آخرين أمسكت بهم السلطات الشيوعية وهم يحاولون الهرب ووضعتهم فى السجون ... وهم يعتبرون الآن أبطالا مناضلين.

رابعا : النواة *Core* أو قلب الدولة:

النواة بين الجغرافي الإقتصادى والجغرافى السياسي:

من المعروف أن كل إقليم له نواته، وكذلك كل دولة كما سبق أن ذكرنا، وإذا كان من الصعب إعطاء تعريف لهذه النواة، إلا أنه يمكن القول بأنها قلبه، ومركز الجذب الرئيسي فيه، فإقليم لندن هو نواة إنجلترا، وباريس قلب فرنسا، والقاهرة الكبرى قلب مصر وهكذا، ولكن الصعوبة تظهر حين يبدأ الإنسان بتحديد أبعاد هذه النواة على الخريطة سواء على مستوى الدولة أو حتى القارة، فما هي المساحة الداخلية فى النواة؟ وما هي الخارجة عنها؟ يذهب البعض إلى أنها الإقليم ذو الإنتاجية المرتفعة، وبالتالي تصبح النواة هي ظاهرة إقتصادية، وبالتالي يمكن تعريف النواة بأنها إقليم محدد ، يتميز بنشاط إقتصادى فائق، وبمدن تضم أعدادا كبيرة من السكان، وهذا التحديد لاشك يقتنع به الجغرافي الإقتصادى، ولكن قد لا يقتنع به الجغرافي السياسي، أو متخصص الجغرافية التاريخية، فالجغرافي السياسي يذهب إلى القول بأنه إذا كانت النواة فى داخل الدولة ذات الحدود

السياسية، فإن النواة السياسية لابد وأن تضم العاصمة بداخلها بوظائفها المختلفة، وبمشاعر السـكان العاطفـية نحوهـا، وفـي الحق أن العواصم فى معظم الأحوال تقع فعلا ضمن الـنوايات وإن كان هناك إستثناء ففي بعض الأحيان تظل العاصمة التاريخية كشاهد على أمجـاد تاريخية، ولكنها فى الوقت الحاضر تقع فى الظل بالنسبة لإقليم صناعي جديد، قد يكـون بعيدا عنها، ويضم مدنا كثيفة السكان تنافس العاصمة فى كل شئ، ماعدا إرتباطها بالـتراث السـابق، فى إيطاليا لاشك أن أقليم حوض البو، وميلانو حيث النشاط الزراعي يمثل هذه الحالة، ولكنك إذا بحثت عن قلب وروح إيطاليا لاشك ستتقدم روما على ميلانو.

النواة فى أوربا:

إذا انتقلنا إلى مستوى القارة الأوربية، سنجد أن هناك الإقليم النواة على مستوى القارة، بعكـس الحـال فـى أفريقـية، وأمريكا اللاتينية حيث لا توجد نواة واحدة، ولعل السبب الرئيسـي فـى طبيعة النواة الأوربية المتماسكة أو المتصلة، هو التقارب بالنسبة للأقاليم المنـتجة، بحيـث تكـاد تلـتحم، ولكـن الذي لا يقل أهمية هو وجود شبكات متقدمة من المواصـلات، واسـتعملنا صـيغة الجمع لأن هناك الطرق والسكك الحديدية والمجارى المائـية، وكل منها تكون شبكة قائمة بذاتها تخدم النواة، وتربط بين أجزاء النواة المختلفة، كما لا يحدث فى أي أقليم آخر فى العالم.

وعـندما أصبح هناك حاجة لنقل الفحم والحديد، دخل التحسين والتطوير على المجارى المائـية ، ومـع أقلـيم الرور كإقليم صناعي، تحول نهر الراين إلى طريق مائي كثيف الحـركة، كأي طريق برى تتكثف شاحناته وتطورت شبكة الخطوط الحديدية فى النصف الثانـي من القرن التاسع عشر، وبالتالي انخفضت تكاليف النقل البرى، وازداد تطوير هذه الشـبكات فـى القـرن العشرين، بحيث اصبح لا يوجد مكان فى هذه النواة الأوربية يبعد بأكـثر من عشرة أميال عن أقرب خط حديدي، بإستثناء بعض مساحات بسيطة فى جبال الألـب، وفـى الحقيقة إن شبكات الخطوط الحديدية تعتبر من مظاهر الحضارة الغربية، لدرجـة أن يقـاس تأثـير الحضارة الغربية على الجهات الأخرى من العالم أحياناً بمدى دخول الخطوط الحديدية فيها، كما لا يوجد إقليم فى العالم كله ينافس غرب أوربا فى كثافة الخطوط الحديدية، وتسهيلات النقل عليها سوى شمالي شرقي الولايات المتحدة الأمريكية.

هكـذا تكاثفت الطرق وتقاربت فى أوربا الغربية، ولكن ليست على النظام الأمريكي، حيـث تتميز بالضخامة والإتساع *Highway* ، لان الأخيرة حين مدت، كانت فى أراضى مخلخلـة السكان، عكس غرب أوربا الكثيف السكان، فعصر الطرق المتسعة الضخمة بدأ بعد الحرب العالمية الثانية (*).

(*) أنظـر في هـذا بالتفصيل في كتابنا أوروبا الجديدة، دراسة في شخصية القارة وشخصية الأقاليم، الأنجلو المصرية، ٢٠٠٣.

الفصل الثالث

المظاهــــر الطبيعيــــة

لا يمكن إغفال المظاهر الطبيعية في الجغرافية السياسية، فالعلاقة بين سكان الدولة وأراضيها لا يمكن فهمها إلا بعد التعرف التفصيلي على كل منها. وعادة ما تكون نسبة الخطأ في الدراسات الطبيعية أقل من الدراسات الإنسانية، لأن للأولى صفة الثبات، فالأرض التي تحتلها الدولة تغييراتها عادة أبطأ من تغيرات البشر الذين يعيشون عليها، وكلنا نعرف أن أي إطار طبيعي توضع فيه الدولة، ما هو إلا نتيجة تفاعل العوامل المتعددة، كل منها يعالج على حدة للتعرف عليه بدقة، وإن كانت تتجمع وتتفاعل لتعطينا في نهاية الأمر مسرحاً مجهزاً يعيش عليه الإنسان.

أولاً : البناء الجيولوجي والتضاريس :

فجيومورفولوجية الدولة ما هي إلا البناء الجيولوجي بعد تاريخ جيولوجي طويل عدلته الظروف الطبيعية، والأنهار التي تجرى في الإقليم يمكن إعتبارها ظاهرة طبيعية، ولكنها من حيث السرعة والإتجاه ترتبط بنوع الصخور التي تجرى فيها. وليس من شك أن الدراسة الطبيعية التخصصية خارجة عن نطاق الجغرافية السياسية، ولكن الإحاطة بها تساعد على تفهم المظاهر الطبيعية في علاقة المجتمعات بالأرض، فعلى سبيل المثال، البناء الجيولوجي يستحق عناية الجغرافية السياسية لعدة أمور منها: التعرف على موارد الدولة المعدنية، فهذه من أهم دعائم قوة الدولة، والبناء الجيولوجي أيضا مسئول عن سهولة الوصول إلى المعادن أو صعوبته.

الأمر الثاني أن البناء الجيولوجي مسئول عن الخطوط العامة لتضاريس سطح الأرض بالإضافة إلى عوامل التعرية، فالتضاريس تلعب دوراً كبيرا في الدولة، فالسهول تصلح لقيام نويات الدول، بينما المناطق الجبلية كثيرا ما تكون غنية بالمعادن أو القوى المائية والأخشاب، إذا إستغلها الإنسان، كانت مصدر قوة إقتصادية عظيمة للدولة. كما أنه يمكن القول أيضا أن الوحدة السياسية يسهل تحقيقها في الأرض السهلية عن المناطق الجبلية. فكثير من الأجزاء الجبلية يعانى خلخلة في السكان، إذ أن السكان يتجمعون في الأودية، بينما يتبعثرون في الجبال، ولا يسهل بينهما إتصال، بحيث تصبح الوحدة هي العشيرة، إن تطورت كانت كانتونا أو ولاية وإذا إتحدت هذه الكانتونات فإنها لا تكون دولة واحدة إلا بعد مرحلة كبيرة من التقدم السياسي، كما هو الحال في سويسرا.

ويمكن القول أيضا أن الإنتقال والتحركات البشرية تكون أيسر في السهول عنها في الجبال، وبالتالي يتسع نطاق النشاط التجاري والثقافي ولكن هذه

النطاقات السهلية التي تمنح التسهيلات، وتشجع على النمو، وعلى التوسع من جانب كل وحدة سياسية مجاورة، تخلق بالتالي حالة من المنافسة، من ثم تبذل كل دولة في السهول جهودا كبيرة للإحتفاظ بحدودها.

ولعل السهولة التي تتوسع بها الدولة القوية في هذه السهول، هي إنعكاس لما نراه على الخريطة السياسية، من أن السهول إما أن تتجمع في وحدة سياسية واحدة، مثل السهول الروسية، تمثل أول منطقة نزاع بين الدول المتنافسة. ولعل المثل الأول واضح في حالة السهل الروسي الذي يدخل ضمن روسيا الإتحادية بينما يتضح المثل الثاني في السهل الأوربي الذي ظل كمنطقة نزاع دائم بين الدول التي تحتله حتى نهاية الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ / ١٩٤٥)، والوحدات السياسية التي تعيش في هذا الميدان تعيش في خوف دائم من الإعتداءات الخارجية، وبالتالي يؤثر هذا على تنظيمها الداخلي. هذا على عكس المناطق الجبلية، التي تعطى تسهيلات دفاعية كبيرة للغاية، ويمكن للدولة أن تؤمن على نفسها إلى حد كبير، وإن عانت بعض العزلة السياسية والإقتصادية ، وليس من شك أن سهولة الإدارة ودرجة الوحدة في داخل الدولة تتأثر بطبيعة أرضها، وصعوبة الإنتقال، فعلى سبيل المثال تظهر إكوادور على الخريطة السياسية وكأنها دولة ملمومة، متوسطة الحجم، ولكنها في حقيقة الأمر تنقسم إلى ثلاثة أقسام.

السهل المطل على المحيط الهادي، سلاسل وهضاب الإنديز، والسهول المنحدرة إلى الأمازون في الداخل، ولم تكن هذه الأقاليم يوما ما متكاملة، فسهول الأمازون صعب الوصول إليها كما أنها مخلخلة السكان، بينما تختلف سهول المحيط الهادي عن الجبال، مناخا وسكانا، إذ يسكنها الهنود الحمر والمستيزو (المخلطون)، كما أن وسائل النقل صعبة للغاية على حين لا توجد سوى الأنهار وسيلة من وسائل الحركة في سهول الأمازون الكثيفة الغابات، لذلك فقد إستطاعات دولتا كولومبيا وبيرو إقتطاع أجزاء منها.

وتؤثر التضاريس في إتجاه وسائل النقل ، ففي ويلز من الصعب مد الخطوط الحديدية من الشمال إلى الجنوب بسبب الكتل الجبلية ، ولذلك فالخطوط الحديدية تمتد فيها من الشرق إلى الغرب متتبعة الأودية ، ومن المعروف في بريطانيا أنه أسهل لسكان ويلز إذا أرادوا الإجتماع ببعضهم أن يتم هذا الإجتماع في إنجلترا عنه في ويلز.

وللتضاريس أثرها في تعيين خطوط تقدم الجيوش وإنسحابها، فحيث ترتفع الأرض تصبح من الوعورة بمكان بحيث يصعب على الجيوش عبورها برا، تظهر أهمية الممرات التي تفصل الكتل الجبلية عن بعضها، وتصبح هذه المضايق محاور للتحركات الحربية كما هو الحال في ممرات الختمية والجدى ومتلا وسدر في سيناء، وكما هو الحال في ممري خيبر وبولان بين باكستان

وأفغانستان. وللتضاريس أثرها في تعيين التكتيك والأسلحة التي تستعمل في الميدان فسهول روسيا الفسيحة وصحارى شمال أفريقية وسيناء الرملية تعتبر ميدانا جيدا لإستعمال الدبابات والمدرعات، بينما مرتفعات النيروبج وجبال الآلب لايصلح فيها إستعمال المدرعات، وكشفت التجارب العسكرية في الحرب العالمية الثانية إختلاف التكتيك في كل ميدان بحسب طبيعة الأرض، فإستخدم الألمان أسلوب الإنزال الجوى على جزيرة كريت الجبلية، كما طور الحلفاء أسلوب حرب العصابات في المناطق الجبلية في اليونان، ويوغسلافيا سابقا، وإيطاليا، مما أضطر معه الألمان إلى حشد ٢٢ألف جندي لمجابهة خمسة آلاف وخمسمائة جندي من رجال العصابات.

وللتضاريس أثرها في تخطيط الحدود السياسية، فإذا قلت المعالم المورفولوجية البارزة التي يمكن إتخاذها كنقاط مرجعية للحدود، تسود الحدود الهندسية كالخطوط المستقيمة والأقواس والخطوط الفلكية كخطوط الطول والعرض، وليس من شك أن الحدود السياسية العربية وجزء كبير من الحدود السياسية الأفريقية تنتمى لهذا النوع، ومثل هذه الحدود الخطية لا تعبر إلا عن القوة النسبية للقوى الأوربية التي قامت بتعينها، أي مناطق نفوذها في إطار ما يسمح به من التوازن القائم بينها مثل حدود مصر مع فلسطين، منطقة الحدود الليبية المصرية - الحدود المصرية السودانية على حين تستغل المظاهر المورفولوجية البارزة في تعيين الحدود كما هو الحالي في الحدود الهندية الصينية، الحدود بين شيلى وأرجنتين وهكذا.

الممرات فى سيناء

ثانيا : الأنهار :

وأهمية النهر للدولة تعتمد في جزء كبير منها على طبيعة وأدى النهر نفسه، وكذلك على الظروف الطبيعية فلأراضى القريبة منه فقبل أن يعرف الإنسان كيف يقيد ويسلسل الأنهار، كانت هذه مقبولة كحد سيأسى بين الدولة، وذلك

لسهولة تميزها من ناحية، ثم لأنها هي والسهل الفضي الذي حولها تكثر فيها المستنقعات من ناحية أخرى. من ثم أصبحت وظيفتها دفاعية، فكانت الأنهار تقوم بوظيفة الفصل بين الوحدات، ولكن الأنهار هي وأوديتها تعطي طرقا سهلة للتحركات البشرية، حتى ولو جرى النهر في منطقة سهلية بحيث أن التحركات في داخل الدولة كانت تتبع الخطوط النهرية قبل ظهور السكك الحديدية، وحتى بعد ما أصبحت السكك الحديدية وسيلة عالمية للمواصلات، نجد أن الذين يمدون الخطوط الحديدية يتبعون أسهل الإنحدارات وأكثرها تدرجا، ولن يجدوا خيرا مما تقدمه أودية الأنهار من تدرج، وبذلك تثبت الأنهار مرة أخرى أنها عامل وصل قبل أن تكون عامل فصل.

ليس من شك إذن، أن الأنهار كانت من وسائل التقدم البشرى، حيث أنها كانت تتبعها الهجرات في كثير من الأحيان، فلقد كان سانت لورانس والمسسبى هما المحوران التي إمتدت على حولهما الممتلكات الفرنسية في أمريكا الشمالية، إذ توغل المستكشفون الفرنسيون إلى داخلية القارة بفضلها، وكانت مناطق عبور الأنهار قبل بناء الكباري من الأهمية بمكان، حتى أن أكثر المدن ترجع في نشأتها لصلاحية النهر كمكان للعبور عندها، ثم أخذت في النمو بعد ذلك وفي بعض الأحيان نمت المدن على جزيرة في النهر ، لأنها تتمتع بميزتين : عامل الحماية من ناحية، وأهميتها العبورية من ناحية أخرى، وباريس مثل حي وبارز على مدن الجزر.

غير أن الأنهار أحيانا ما تكون عامل فصل، وتصبح من الأمور المضادة أو التي لا تساعد على الوحدة الوطنية، ويأتي هذا نتيجة عوامل منها الأتساع الكبير لعرض المجرى المائي بحيث لا يمكن إقامة كوبري عليه، وقد يرجع إلى طبيعة تدفق وتصريف النهر أكثر منها من مجرى النهر، كأن يكون الوادي على هيئة خانق. ولعل خوانق الأنهار في أسبانيا من خير الأمثلة في هذا المضمار، كذلك الحال في خانق الزمبيزى الذي يتلو شلالات فيكتوريا، وهناك خانق الكلورادو الشهير بالولايات المتحدة الأمريكية الذي يمثل صعوبة كبيرة لو كان هناك ضرورة ملحة لربط المرتفعات التي على جانبيه.

ويمكن القول أن من بين الفوائد العديدة التي يجنيها الإنسان من مياه الأنهار، هناك أربع فوائد رئيسية، فالأنهار تستخدم أحيانا كحدود سياسية وهذا ما سنفصله فيما بعد، وتستغل مياهها في الري في بعض جهات العالم حيث يسود الجفاف المناخي وهذه الدول هي التي عرفت بأسم دول الري ***Irrigation States***.

ويضاف إلى هذا إستعمال مياه الري في أغراض صناعية كتبريد المولدات الكهربائية ومثل هذه المياه لا تضيع كما هو الحال في مياه الري بل ترجع إلى النهر، وإن كانت في هذه المرة الأخيرة تحتوى على مواد كيماوية قد تكون سامة فتقضى على الأسماك وتجعلها غير صالحة للإستخدامات الأخرى وهذا نموذج

لمشكلة تلوث البيئة.

وإذا كان إستغلال وتنظيم الاستفادة من مياه النهر هي مسألة وطنية بحتة، لما كان هناك داع للتفصيل في هذا الموضوع في مجال الجغرافية السياسية، ولكن المشكلة تأتى من أن معظم الأنهار دولية لأنها تجرى في دولتين أو أكثر، من ثم كان لابد من الإتفاق على طرق إستغلال الأنهار بين الدول الواقعة في أحواضها حتى لاتضار إحداها، ولعل الإتفاقيات الخاصة بتنظيم الملاحة هي أسهل هذه الإتفاقيات، على إعتبار أنها لا تؤثر كثيرا في مياه النهر بينما نجد الإتفاق على توزيع مياه النهر أو إستغلالها بأي طريقة من الطرق أكثر صعوبة.

الملاحة في الأنهار الدولية :

أستغلت الأنهار للملاحة منذ العصور الأولى من تاريخ البشرية، وكانت الأنهار هي المسالك الرئيسية في كثير من الأحيان للكشف عن كثير من المناطق المجهولة، كما حدث في حالة أنهار الولايات المتحدة الأمريكية النابعة من الأبلاش والمتجهة نحو الغرب، وكما حدث في حالة نهر الأمزون في أمريكا الجنوبية. وقد أستغلت أنهار القارة الأوربية في العصور القديمة لأغرض الملاحة بدرجة لا يتصورها الإنسان في الوقت الحاضر، فكانوا يستعملون القوارب الصغيرة للأنهار الصغيرة. وكانت الأنهار السريعة تستغل تياراتها في تسيير السفن نحو الأجزاء الدنيا، وكانت تبنى القوارب للملاحة في المناطق الجبلية لتسير مع الأنحدار في إتجاه المصب، وعندما تبلغ نقطة الوصول تباع أخشابها ويستفاد بها، أما في البناء أو في إيقاد النار.

ولكن يعيب الملاحة في العصور القديمة والوسطى، الضرائب العديدة التي كان يفرضها الحكام الذين كان النهر يجرى في قسم من أراضيهم، حتى لقد كادت هذه الضرائب الباهظة تقتل الحركة والتنقل في بعض الأنهار فقد كانت هناك ثلاثون ضريبة تدفع على نهر الراين، من بال في وسويسرا إلى بحر الشمال، حتى أن مجموع هذه الضرائب في بعض الأحيان كان يفوق قيمة السلع المحمولة.

وقد أدى هذا فيما بعد إلى إقرار مبدأ حرية الملاحة في جميع أجزاء الأنهار الدولية الصالحة للملاحة من المنبع إلى المصب لكل من الدول التي تقع في أحواضها، أما الدول الأجنبية عن النهر، فقد ظلت لا يسمح لها بحرية الملاحة، وكانت فرنسا أولى الدول التي أعلنت وجوب تقرير مبدأ حرية الملاحة في الأنهار الدولية وطبقته فعلا بالنسبة لنهر الميز والشلد عام ١٧٩٢ ذلك أن مصب الشلد كان يقع تحت قبضة هولندا وقد أغلقت ميناء انتورب أمام السفن، ثم جيوش الثورة الفرنسية في ذلك العام. وأعلن المجلس التنفيذي للجمهورية الفرنسية حرية الملاحة في النهر لكل الدول التي تحيط به ولغيرها.

الملاحة في الدانوب :

لنهر الدانوب أهميته الخاصة بين الأنهار الدولية لكثرة عدد الدول التي يمر بها ، ولأهميته الكبرى من ناحية الملاحة والنقل من وسط وشرقي أوربا إلى جنوبها الشرقي، وظلت الملاحة في النهر مدة طويلة خاضعة لإرادة الدول التي يجرى فيها. ولما كانت تفرضه من قيود عليها، حتى كانت معاهدة باريس عام ١٨٥٦ التي أنهت حرب القرم، والتي أقرت حرية الملاحة في الدانوب على أسس لائحة الملاحة الدولية التي أقرتها الدول في مؤتمر فينا عام ١٨١٤، وتقضي لائحة مؤتمر فينا أن تكون الملاحة في الأنهار التي تمر بعدة دول إي تجاورها حرة لمراكب جميع الدول في الجزء الصالح منها للملاحة حتى المصب، مع مراعاة اللوائح الخاصة بالبوليس والملاحة التي تضعها الدول صاحبة النهر، على أن تطبق هذه اللوائح على وجه المساواة بالنسبة لكافة الدول، وألا تكون من شأنها إعاقة التجارة الدولية. وقد تقرر في المعاهدة إنشاء هيئة خاصة لتنظيم الملاحة في النهر والقيام بالأعمال الهندسية وهي اللجنة الأوربية للدانوب. وأعيد تنظيم الملاحة في الدانوب بعد الحرب العالمية الأولى في معاهدة فرساى وطبقا لأتفاقية خاصة أبرمت في باريس عام ١٩٢١.

إتفاقية الكنغو:

وبمقتضاها أتفق عام ١٨٨٥على أن يفتح الكنغو لتجارة جميع الدول، حيث أبيحت حرية الملاحة لسفن جميع الدول، ولم تشمل المنطقة موضوع الإتفاق نهر الكنغو وروافده فحسب ، بل تعدتها أيضا إلى نهر النيجر.

إتفاقية برشلونة :

لم تكن نصوص معاهدة فرساى فيما يختص بالملاحة النهرية غير أحكام وقتية تقرر أن يحل محلها في أول فرصة إتفاق عام لتنظيم الملاحة في الأنهار، وقد أتيحت هذه الفرصة في مؤتمر برشلونة عام ١٩٢١. وإتفق المؤتمرون على مبدأ حرية الملاحة في الأنهار الدولية والقنوات المائية التي تختصر المسافات بينها وتصرف العوائد التي تجمع على خدمات تحسين الملاحة وتحسين المجرى والأرشاد وغيرها.

الوظائف الأخرى للأنهار :

وفي المناطق الجافة وشبه الجافة نجد أن النهر هو شريان الحياة للدولة ، يترك طابعه وآثاره على تنظيماتها. كما في مصر القديمة والحديثة ، وكما في العراق . وهذه هي التي يطلق عليها دول ري ***Irrigation States***.

وقد أعتمد سكان تلك الجهات على الفيضان الطبيعي للنهر في العصور القديمة، ثم أقيمت عليه المشروعات الري حديثا. وكان التعاون والتفاهم ضروريا

لتوزيع مياه الري بحيث لا يتحكم سكان أعالي النهر في سكان جزئه الأدنى، كذلك كان التعاون لصد قبائل الرعاة المغيرة وكانت هذه الدول تستمر في حالة إنتعاش مادامت قادرة على صد المغيرين، ولكن ما أن ينتابها الضعف حتى تسوء أحوالها الإقتصادية وتنتابها الفوضى، ويستولى عليها الغزاة.

وإذا كانت هناك دول نهرية كما رأينا في مصر والعراق وغيرهما ، فإن هناك دول دلتاوات ***Delta States***، ويبدو أن وجود هذه الدول لا يتفق والمنطق الجغرافي لأنها تتحكم في مصبات أنهار تنتمى لدول أخرى . وهولندا مثل حي لدول هذا النوع لأنها تتحكم في دلتا الراين والشلد والميز، فهنا في هذه المنطقة قامت دولة لها شخصيتها القومية، وكان عامل الحماية من الزوال، هو أهمية موقعها الجغرافي نظرا لأن الدول الأخرى لا تسمح لأى دولة قوية بالتسلط عليها، فأصبح أمان هولندا لا يرجع إلى قوتها العسكرية، بقدر ما يرجع إلى التوازن الدولي في أوربا، لذلك تظل في أمان إلا في الفترات التي تتغلب فيها القوة الألمانية، كما حدث أثناء الحرب العالمية الثانية. ومنذ بداية القرن العشرين ظهرت للأنهار وظيفة أخرى في نشاط الدولة وهو أنه أصبح في إمكانها أن تمد بالقوة المائية ولكن لم تظهر هذه الطاقة كمنافس للزيت أو للفحم إلا بعد معرفة الإنسان كيفية توليد الكهرباء، ونظرا لأن مقدرة النهر على القيام بهذه المهمة تتوقف على كمية المياه وعلى سرعة التيار، فإن معنى هذا أن هذه الوظيفة التي يقوم بها النهر مستمدة من التضاريس والمناخ ، ولذلك نجد أن الدول ذات الطبيعة الجبلية والتساقط الغزير قد حبتها الطبيعة بهذه الطاقة كالنرويج، والسويد، وسويسرا، فرغم فقرها في البترول والفحم، فأن هذه الطاقة كانت لهم خير عون، ولا ننسى أن بعض الدول الداخلية تحاول أن تتحكم في مصب النهر، على إعتبار أن تقدمها يتوقف على سهولة الوصول إلى البحر. وإذا لم تستطع الوصول لمصب النهر فأنها تلجأ أخيرا إلى إيجاد منطقة حرة لها كمنطقة تشيكوسلوفكيا (سابقا) الحرة في ميناء هامبورج.

الماء والأمن القومي :

إقتحمت نقطة الماء ساحة الأمن القومي في الوقت الحاضر أكثر من أى وقت مضى للتزايد السكاني، وزيادة التصحر والجفاف، وفي دراسة لمعهد أمريكي عن أزمة المياه ، كذلك قال دكتور بطرس غالى من موقعه كأمين عام للأمم المتحدة، أي من موقع يتعين فيه أن يكون ملما بالبيانات الأساسية المتعلقة بحاضر ومستقبل هذا الكوكب، بأن أبرز حروب المستقبل سوف تكون بسبب ندرة المياه، وإقتحام نقطة الماء ساحة الأمن القومي بهذا الإندفاع الحاد، سببه أن الأمن القومي يصبح هشاً بدون القدرة على ضمان البقاء. وقد إنتقلت مشكلة المياه من كونها في الماضي قضية إقتصادية إلى أن اصبح ضمان توفيرها قضية بقاء ووجود. ولم تعد هناك مناطق في العالم محصنة إتجاهها سوى مساحات بسيطة،

لذلك كانت قضية المياه ليست قضية مياه للشرب أو الزراعة أو الصناعة، إنما هي قضية هذه جميعا، من ثم كان لابد من تأمينها، وقد تكون مسألة تأمينها مسألة لها طبيعتها المحلية والداخلية، ولكنها قد تكون مسألة تتداخل فيها شبكة العلاقات الدولية فيما بين الدول وبعضها والبعض الآخر، وقد تصبح أحد محاور الصراعات الإقليمية والدولية وأشكال المنازعات والتوترات، ولعل هذا واضح الآن في المنطقة العربية، فيما يختص بأنهار دجلة والفرات الأردن بل والنيل[١]، وكذلك نهر السند بين الهند وباكستان.

ثالثا : المناخ:

أهمية المناخ ظاهرة في إتصاله الوثيق بصفة خاصة بالنبات الطبيعي وبالغلات الزراعية. وإنتاج الغذاء للسكان من الأولويات التي تهتم بها الدولة. والدولة التي تتمتع بتنوع مناخي كما ذكرنا تتمتع بتنوع غذائي وبالتالي ترتفع إنتاجية أفرادها، بينما المناطق التي يسودها مناخ صحراوي سواء حارة أو جليدية يتحدد فيها الإنتاج الزراعي، ومثل هذه المناطق لا تصلح لأن تكون نواة أو معمور لدولة ذات أهمية استراتيجية كما في المناطق شبه القطبية من كندا وجرينلند وأيسلند وشمالي سيبريا، أو تظهر فيها ثروة معدنية كما هو الحال في شبه الجزيرة العربية.

والدولة التي لا تنتج ما يكفيها من غذاء لابد لها من الاستيراد من الخارج، أو إتباع الزراعة الكثيفة، أي بزراعة الأرض أكثر من مرة وهذا غير متيسر إذا كان المناخ لا يساعد على هذا، وقد يقوم لكن بتكاليف باهظة.

في الدول المتسعة كالولايات المتحدة مثلا، حيث تكثر الأقاليم المناخية وتتعدد، نجد أن المزارعين في غرب السهول الوسطى ***Middle West*** دائما يشكون للحكومة في واشنطن من أن رجال الإدارة في منطقتهم لا يعرفون شيئا عن مشكلات الزراعة والتسويق في هذا الإقليم. ونفس الكلام في كندا حيث يشكو سكان البراري من سوء السياسة الداخلية في الدولة. ويرجع هذا أساسا إلى قيام إقتصاديات مختلفة ترجع إلى أنواع مختلفة من المناخ. وقد تؤدى هذه العلاقات إلى تهديد للوحدة السياسية كما في كندا وأستراليا في وقت ما إذ أن ولاية البرتا في الأولى وغرب أستراليا في الثانية ذهبتا بعيدا إلى درجة إقتراح الأنفصال في وقت ما. هذه وغيرها من الأمثلة تدل على أنه حيث يوجد تنوع مناخي يترتب عليه نتائج محلية هامة في ميدان الإنتاج الزراعي، فيجب عمل حساب هذا

---

(١) تكونت هيئة فنية دائمة مشتركة من جمهورية السودان ومن جمهورية مصر لرسم الخطوط الرئيسية للمشروعات والإشراف على تنفيذها ووضع نظم تشغيل الأعمال التي تقام على النيل.

التنوع، حتى تسير أمور الدولة الداخلية دون شقاق.

ولقد سبق لنا أن ذكرنا عند دراسة الموقع الجغرافي النظريات الخاصة بربط القوة السياسية والمدنية للمناطق المعتدلة ذات النشاط الإعصارى. كذلك يحفل التاريخ القديم والحديث بالأمثلة المتعددة على عمل حساب المناخ، ودراسة أنسب الظروف الملائمة للعمليات الحربية بحرية كانت أم برية ، فقد إستفادت بريطانيا كثيرا من الضباب في الإنسحاب من دنكرك أثناء الحرب العالمية الثانية، وقامت ألمانيا بحملتها على بولندا في شهر سبتمبر تجنبا للأوحال التي قد تتعرض لها الدبابات كما أختارت شهر أبريل لغزو النرويج حتى يمكنها الاستفادة من العواصف التي تهب في هذا الفصل فتسدل ستارا على عملياتها الهجومية ، وكان في تقدير الألمان في هجومهم على روسيا أن يبلغوا موسكو قبل حلول الشتاء إذا ما تقدمت جيوشهم في شهر يونية عام ١٩٤١، ولكن نظرا لبطئ تقدمهم بزيادة البعد عن قاعدتهم مما حمل القيادة على إصدار الأوامر بعمل حفر ومواقع دفاعية لهجوم الشتاء عليهم، ولم يكن في الحسبان أيضا توافر ملابس شتوية ثقيلة للجنود، فأضطر الجيش لطلب هذه الملابس من المدنيين ، وكان من جراء ذلك أن كان بعض جنود الجبهة يرتدون معاطف نسائية، ولقد أعطى هذا الفرصة لإنكسار الروح المعنوية عند الألمان وإرتفاعها لدى الروس، وبالتالي إنكسار الألمان في الميدان الروسي. وليس من شك في أن القوات التي كانت تحارب في الشمال الأفريقي، كانت في حاجة إلى كساء وغذاء يختلف تماما عن ملابس وغذاء زملائهمفي شمال النرويج، وبينما كانت قوات جنوبى الباسيفك تعانى من الحرارة المصحوبة بالرطوبة، وكانت قوات غرب أوربا تعانى من إنخفاض الحرارة وسقوط الثلوج، بل لقد كانت القوات الأمريكية تحارب في إيطاليا الأعداء من جانب والأمطار الغزيرة من جانب أخر. ولعل من الثوابت في الإستراتيجية البرية، أن معارك الصحراء تعتمد أساسا على القوات الميكانيكية المدرعة التي تظللها غطاء جوى، وذلك لتوفير عنصر الحماية على مسرح العمليات، الذي يخلو عادة من السواتر الدفاعية، ولضمان سرعة الحركة ، للتغلب على صعوبة ستر القوات ونقص مواد الإعاشة المحلية وخاصة الماء العذب. كذلك يعد الطيارون إعدادا خاصا لملائمة مختلف الأجواء لأنهم كثيرا ما ينتقلون من قاعدة حارة رطبة، إلي قاعدة شديدة البرودة على بعد ساعات قلائل.

الباب الثانى : الأسس البشرية .

الفصل الأول

السـلالة

تشـير كلمـة السلالة هنا إلى مجموع السكان الذين يرجعون إلى أصل واحد، وبالتالي يكـون هـناك تقـارب في سماتهم الجسدية. ويتوقف أثر هذا العامل في التكوين السياسي للدولـة علـى درجـة الوعـي السلالي أو الوعي الجنسي ***Race Consiousness*** للسكان، أو بمعنى أخر التعصب الجنسي.

علـى أن الـرجل العـادي إذا ما ذكر الجنس أمامه، لا ينصرف تفكيره إلا إلى لون البشـرة، بغـض النظر عن الصفات الجسدية الأخرى، من ثم كان لون البشرة هو أساس المشـكلات العنصرية التي ظهرت في العالم اليوم، أو بمعنى أخر أساس التميز العنصري ***Race Descrimination***.

ونـود في هذا المجال أن نذكر أن وجود سلالة نقية يعتبره العلماء خرافة وأي خرافة، بـل أسـطورة، ذلـك أن هذه السلالة النقية غير موجودة على الإطلاق بسبب الهجرات البشـرية التي إستمرت عبر العصور التاريخية وما قبل التاريخية، ذلك أن الإنسان يتميز عن الحيوان بالعقل الذي يدبر به أموره بحيث يكيف نفسه مع ظروف البيئات المختلفة، من ثم إذا كانت الفصائل الحيوانية المختلفة ترتبط بأقاليم مناخية مختلفة لا تظهر في غيرها إلا نادرا فهذا ما لا ينطبق على الإنسان. فلذلك تميز الإنسان بقدرة سلالاته على التزاوج معا. وأدى هذا إلى عملية إختلاط واسع بين أفراد الجنس البشرى. ومع هذا نجد أن فكرة التميز السلالي العنصري قديمة قدم الإنسان، فالإغريق إعتقدوا أنهم أحسن الشعوب وسادتها. قال أفلاطون مخاطبا الإغريق.

Gold Is Mixed with You, Copper Is In The composition of others.

وذهـب *أرسطو* مذهب أفلاطون في التمييز بين اليوناني وغير اليوناني، فالطبيعة في رأيـه جعلت أجسام اليونانيين مغايرة لأجسام البرابرة، إذ أعطت هؤلاء القوة الضرورية للأعمال الغليظة في المجتمع، فكانوا بطبعهم عبيدا لا يصلحون لغير الطاعة، عكس اليونانيين الذين وهبتهم الطبيعة حكمة ليكونوا أحرارا، وأعدتهم لوظائف الحياة المدنية.

وكذلـك كـان يعتبر الفرس كما أعتبر اليونان أن ماعداهم هم متبربريين وكان باعث هذا التميز ما وجدوا عليه أنفسهم من التفوق الإداري والنظام، والتفوق الحربي.

أما فيما يختص بالأديان السماوية، فاليهودية تميز بين اليهودي والغريب، اليهود شعب الله المختار في نظرهم، لا يباعون بيع العبيد، أما غير اليهودي فيجوز إسترقاقه بالحرب،

أو بالشـــراء، ويعـــامل بعنف، فالله في نظرهم جعل الغرباء عبيدا لليهود، فالرب هو إله الـــيهود وحدهـــم وهم عبيده، ولا يمكن أن يكونوا عبيدا لغيره، وقد أختارهم ليكونوا سادة الناس.

ودعـــي الســـيد **المســـيح** إلـــى الإخـــاء والمساواة، فكان ذلك خروجا على اليهودية والعنصـــرية، من أجل ذلك نقم عليه اليهود، وأغروا به الحاكم الروماني، وتفرق حواريوه من بعده يبشرون بدعوته، وأشتدت حملة الرومان الوثنيين على هذه الدعوة، وإستشهد في ســـبيلها الكثـــيرون، وأضـــطروا تحـــت الضغط إلى إعلان أن المساواة التي تدعوا إليها المســـيحية هـــى مساواة في الروح، وأن الأرواح المؤمنة تلتقي في المسيح وتتساوى في مملكـــته السماوية، أما الجسد فقد خلق لهذه الدنيا، وعليه أن يتحمل ما يلقى من ألم وعذاب كمـــا تحمل جسد السيد المسيح. ويوصى القديس بطرس العبيد ألا يقصروا في إخلاصهم على الصالحين. بل عليهم أن يخلصوا للقساة منهم، وفي ذلك يقول: " كونوا خاضعين، بكل هيبة، ليس للصالحين، بل للعنفاء أيضا ".

ونادى **الإسلام** " بألا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى " ومع ذلك ظهر بينهم هذا التمييز، إذ كانوا يحسون في أنفسهم تفوقا على الفرس وغيرهم.

فـــي تاريخـــنا المعاصر نجد فكرة الإستعلاء العنصري قد ظهرت بصورة شديدة لدى الألمـــان حيـــنما كانت الدعاية النازية تقول بسيادة العنصر الجرماني أو النوردى جسميا وعقليا، ونادى ***هتلر*** بأن الشعوب الشرقية أخرى بها ألا تعيش، وأن عاشت يجب أن تدرب كمـــا تـــدرب الكلاب الصغيرة ، بل أن الألمان جعلوا من أنفسهم أسيادا على الجنس السيد ***Masters of The Master Race*** ويظهر هذا التمييز العنصري في أستراليا بمنع هجرة السلالات الملونة. ثم يظهر بصورة أكبر في الولايات المتحدة الأمريكية، وكان في جنوب أفريقية من قبل.

وقـــد يقـــوم الإســـتعلاء العنصري لا على أساس السلالة وحدها، بل على أساس عدم الـــتجانس الحضـــاري كمـــا في إسرائيل حيث يتكون السكان من خليط متنافر من اليهود الشـــرقيين (الســـفرديم) والـــيهود الغربيين (الإشكنازى) ويستغل الغربيون تحيز الحكومة نحوهم بغية الحصول على إمتيازات وتسهيلات خاصة بهم، عن طريق تكتلهم في جمعيات ضـــاغطة تـــتولى عرض مصالحهم على الحكومة وملاحقة تنفيذها لدى المسؤولين. وإذا أضـــفنا إلى هذا اليهود الأوائل (الصبرا). الذين يتباهون على بقية الطوائف بأنهم مؤسسو الدولة، أدركنا مدى التنافر بين عناصر السكان.

ومن أمثلة مشكلة السلالة نضرب مثلا بمشكلة الزنوج في الولايات المتحدة الأمريكية، فهؤلاء جلبوا من غرب أفريقية منذ القرن الخامس عشر حتى القرن الثامن عشر للعمل في مـــزارع قصب السكر والقطن في جنوبي الولايات المتحدة، وإستمر هؤلاء الزنوج عبيدا حتى حرب التحرير (١٨٦٢ــ ١٨٦٥) التي كانت تهدد كيان البلاد.

غـــير أن هـــذا التحرر لم يرض بيض الجنوب لأن الزنوج، كانوا كسلع في أيديهم فلم

يتصـــورا أنهـــم أصبحوا مثلهم، وإذا كان الزنوج يكونون نحو ١٠% من سكان الولايات المـــتحدة الأمريكية فإن معظم هؤلاء يتركزون في الجنوب وتقل نسبتهم بالإتجاه شمالا، ويـــزيد عـــدد الزنوج على البيض في الولايات كالمسيسبى وكارولينا، وتزيد نسبة الزنوج علـــى ٢٥% من السكان في ولايات فلوريدا وجورجيا وتكساس وتنسى وفرجينيا. ويعانى الـــزنوج مـــن سياسة التمييز العنصري وكراهية البيض لهم رغم أن مزارع الجنوب تقوم على أكتافهم ([1]).

كذلـــك كان الحال في جنوب أفريقية الذي كان أول عهده بالأوربيين عام ١٦٥٢عندما أسســـت شـــركة الهـــند الهولندية مدينة الكاب لتكون ملجأ لسفنهم في طريقها إلى آسيا، ثم شـــجعت الشركة الفلاحين الهولنديين على زراعة الخضروات والفاكهة، فبدأوا بالإستقرار والـــتوغل في الداخل وأصطدموا بالبوشمن وأجلوهم عن مواطنهم إلى صحراء كلهارى، كمـــا سلبوا الهوتنتوت مراعيهم ومواشيهم وجلبوا الزنوج من شرقي أفريقية ومدغشقر إلى جانـــب بعـــض العناصر من الملايو. وقد أختلط هؤلاء بالهوتنتوت وتكونت طبقة ملوني الكاب الذين يعرفون بالرحبوت ***Rehboth***. وإستمر توسع البوير شمالا فأصطدموا بقبائل البانتو من الزولو والبتسوانا ودارت بينهم حروب مريرة دامت نحو قرن من الزمان.

وعلـــى عكس الوضع في الولايات المتحدة الأمريكية لايكون البيض سوى نحو ٢٠% مـــن الســـكان بيـــنما يكون الملونون ٨٠% من مجموع سكان جنوب أفريقية، ومع ذلك فالعناصر الوطنية كانت محرومة من حقوقها السياسية. كما أن الحاجز اللونى كان يمنعهم من الأشتغال بالمهن الراقية، وقد إنتهت الآن هذه المشكلة.

وعلـــى عكس الحال في أمريكا الشمالية نجد أن مشكلة الجنس أو السلالة غير واضحة فـــي أمريكا الوسطى والجنوبية، ويرجع ذلك إلى الخليط الكبير من السلالات التي غمرت هذا الجزء من العالم ، حتى ليتمتع زنوج البرازيل بحقوق وإمتيازات يحسدهم عليها زنوج الولايـــات المـــتحدة الأمريكـــية ، ففي هذا الجزء من العالم إختلط الزنوج بالهنود الحمر وبالأوربييـــن، وإذا كانـــت هـــناك بعض العائلات الأوربية التي تمنع التزاوج والإختلاط بالملونين، إلا أن الحاجز اللونى هنا ليس حادا.

ويـــبدو مـــن التوزيع السلالي في دول أمريكا الوسطى والجنوبية، أن الهنود الحمر هم العنصـــر الغالـــب في المكسيك (٨٠%) بينما تغلب العناصر البيضاء في كوستاريكا (٩٥ %). والعناصـــر الزنجية على جواديلوب وهايتى وجمايكا (من ٩٢% إلى ٩٥%) وتغلب العناصـــر البيضـــاء على الأرجنتين (٩٨%) وأوراجوى (٩٩%) وشيلى (٧٩%) بينما يغلب الهنود الحمر على إكوادور وباراجوى وبيرو، أما العناصر الزنجية فأعلى نسبة لها في البرازيل وفينزويلا (٣٣%).

ولا يعـــد الجـــنس أمـــرا ذا بال في القارة الأسيوية رغم تعقيدها السلالي وربما كانت

([1]) سنفصل هذا في الفصل الخاص بالولايات المتحدة الأمريكية.

العناصــــر اليابانـــية هي العناصر الوحيدة التي تدين بالتفوق العنصري، أما في الصين أو الهــند وجــنوب شــرقي آسيا، فلا تحس بالفارق السلالي، فتعيش في هذه الدول وتختلط، العناصر المغولية والآرية، وأحيانا الدرافيدية كما في الهند، ولكننا نجد الرابطة الدينية هي التــي تضــم الهــندوس معا، وتضم المسلمين معا، وكان الدين سببا في قيام دولتي الهند وباكســتان. وتكــاد تختفــي مشــكلة السلالة في أستراليا نتيجة لفناء العناصر الأسترالية الأصــلية، فلم يبق منها إلا نحو ٨٠ ألف نسمة في داخلية القارة، وإتجهت سياسة أستراليا إلى جعلها قارة البيض ومنع العناصر الملونة من الهجرة إليها.

الحربان العالميتان وأسطورة الرجل الأبيض :

ظــل العــالم حــتى الحرب العالمية الثانية، عالم يسوده الرجل الأبيض، أو هو عالمه مسيطر على كل شئ فيه، هيمنة سياسية وإقتصادية، أو كما يقولون القوة البيضاء واللاقوة غير البيضاء كأمر مسلما به.

The white power and the non white power where still the generally accepted order of things.

والواقــع أن الحــربان العالميــتان الأولى والثانية كانتا بمثابة مسمارين دقا في نعش الإستعمار وهيبة الرجل الأبيض.

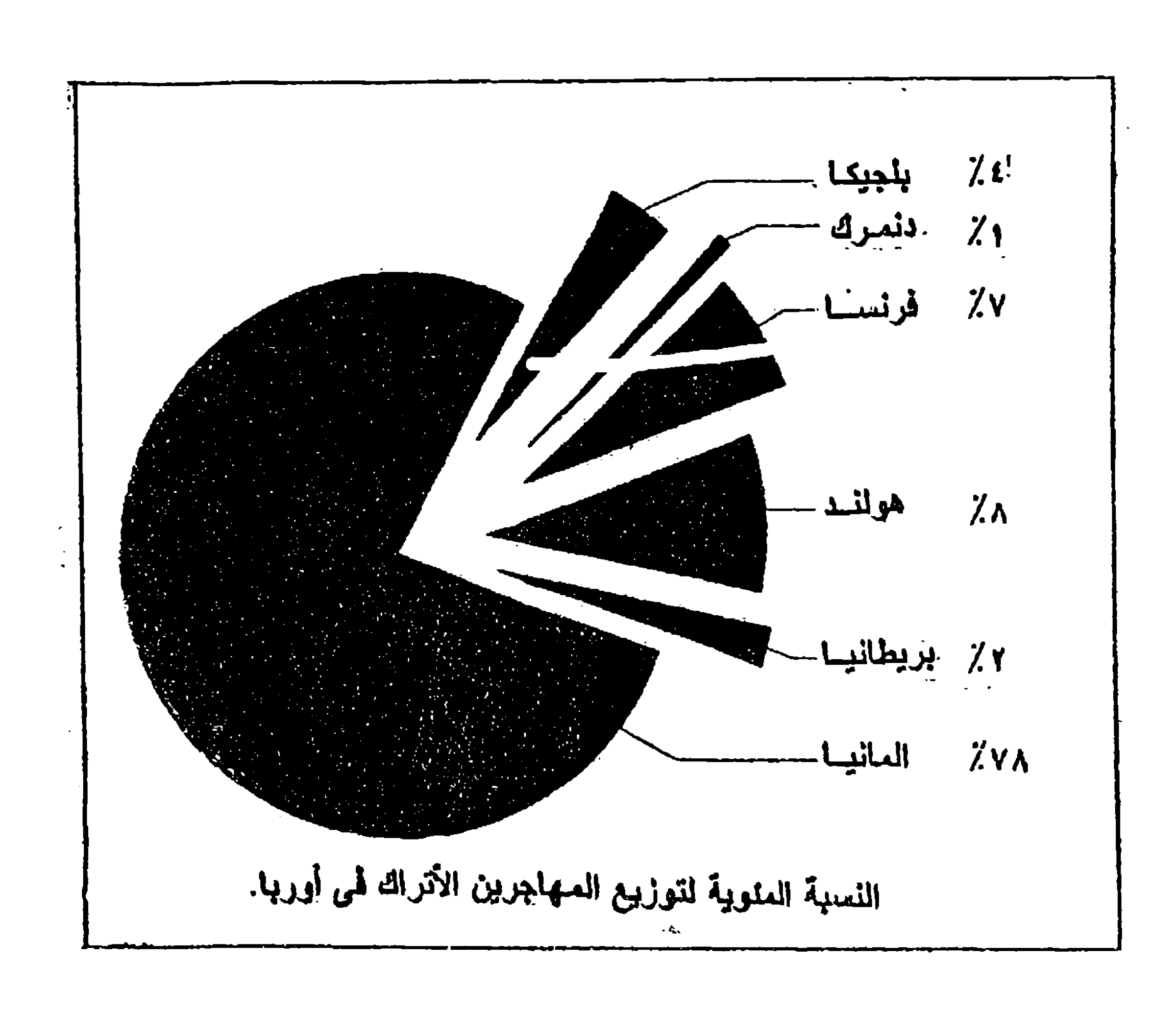
وقــد يكــون من الطرافة بمكان أن يطلق الأفريقيون في هضبة الميتابيلى على البيض الغــرباء الذيــن نــزلوا أرضهم ***Omilima Abadia Amabale*** أي الآلهة التي تأكل الذرة. وقد كان من الصعب على هؤلاء الإفريقيين معرفة أن نزول هذه الآلهة في بلادهم ستكون مقدمة لصراع طويل مرير بينهما.

ويمكنــنا أن نستشــهد فــي هــذا الصدد بالزعيم الثورى الروديسى نادابنجى سيتول ***Ndabaningi Sithole*** فقــد عاش سيتول فترة الإنتقال وخبرها من مرحلة تقترب من العبادة إلى مرحلة الكفر بالبيض، فقد كان صبيا عام ١٩٢٠ يعيش في روديسيا حينما رأى عالمــا يسوده البيض. وكان الرواد الأوائل عندئذ في الخمسينات من عمرهم . وهو يتذكر تمامــا أنــه عندما كان في السابعة من عمره يعمل بالرعي، شاهد كوخا ذا نوافذ يتحرك بســرعة عظــيمة، وكانت هذه أول معرفة له وخبرة بالسيارة. هذا الرجل اليوم الذي كان يطلــق لفــظ الكوخ المتحرك على السيارة، أصبح اليوم حاملا لعدة درجات جامعية، وذو تعالــيم يفــوق تعلــيم كثــير مــن وزراء رودسيا (سابقا)، وحاضر في الولايات المتحدة الأمريكــية. ويعطــي في كتابه القومية الأفريقية ***African Nationalism*** صورة قيمة عما دار في عقل مواطنيه الإفريقيين في بدء حكم البيض لبلاده.

ولــم تقتصــر هذه الظاهرة على روديسيا، فعندما ألقى كابتن كوك بمراسيه في جزر ســاندويش أعتــبره الأهالي هو ورجاله على أنهم آلهة، كذلك فعل الهنود الحمر مع كابتن فانكوفــر علــى الشــواطئ التــي تحمل الآلهة ذوى الوجوه الباهتة، التي وعدوا بها في أســاطيرهم ويقــال أن مونتزوما. ***Montezume*** لم يقاوم كورتس ***Cortes*** لأن غزو

الأسبان لبلادهم يتفق وأساطير الأزتك عن الآلهة الذين سيأتونهم عبر البحر.

غير أن هذه الفكرة تغيرت تماما فيما بعد، ويقول الزعيم سيتول في هذا السبيل أن هذا التغيـــير بلغ حدته عندما وجد الأفريقيون أن للآلهة البيض شهية بشرية لا للذرة الأفريقية فحســب، بــل للنســاء الأفريقــيات أيضا، وزاد رد الفعل حينما عاش الأفريقيون حربين عالميتين إلى جوار الأوربيين، فقد خرج من رودسيا وحدها ٤٠ ألف أفريقي ويذكر سيتول فــي هــذا الصدد " أن بنات الشارع في لندن وباريس ونابلى لم تبق على أسطورة الرجل الأبــيض. ورأى الجندي الأفريقي الأبيض وهو يقع جريحا أو هو في طريقه إلى الوفاة، وإكتشف الأفريقي أن تأثير الرصاصة واحدة بالنسبة للأبيض وللأفريقي، فكان هذا كله له أثــره علــى سيكولوجية الأفريقي، وأخذ ذلك الحاجز بينها يرق تدريجيا حتى وصل إلى مرحلة شفافية، فبعد قضاء أربع سنوات في صيد البيض من جنود الأعداء لم يظل هؤلاء البيض آلهة بعد.



النسبة المئوية لتوزيع المهاجرين الأتراك فى أوربا.

المشكلة اللونية الآن:

إذا أستثنيا بضع مواضع من العالم والتي أشرنا إليها تظهر فيها المشكلة اللونية نجد أن العـالم الآن لـم تعد فيه السيادة للبيض على أساس السلالة، من الجائز أنه حل محلها في الوقت الحاضر تقسيم آخر على أساس الشعوب التي تملك ***The have nations*** والتي لا تملـك ***The have not nations*** وإن كان الذين يملكون أيضا من البيض بإستثناء اليابان والذين لا يملكون هم من الملونين، وغالبيتهم يحملون على أكتافهم سنين من التبعية والأعـباء الإسـتعمارية، ولكن التمييز في حد ذاته خفت حدته بعد إستقلال عدد كبير من الـدول النامية وخاصة الأفريقية، وحصولها على عضوية الأمم المتحدة. وكان من نتائجه فـتح سـفارات وقنصـليات لهذه الدول في الدول الأوربية، وتوافد ممثلو هذه الدول من الملونيـن، وكـان حرج شديد وقعت فيه الخارجية الأمريكية في أوائل الستينيات عندما لم يجـد هـؤلاء الممـثلون لدولهم رعاية، بل وأحيانا صادفوا عقبات وصعوبات في الفنادق والسكن وغيرها، مما أدى إلى سيل من إعتذارات الخارجية الأمريكية.

ولا ننسـى أيضا الإحترام الذي يجده مواطنو دول النفط في الخارج، بل والسعى إليهم لإسـكانهم، وتيسـير وسـائل حـياتهم ، فقد تغلب العامل الإقتصادى على العامل النفسي والاجتماعي.

وإذا كانت هناك بعض مظاهر عنف في أوربا في الوقت الحاضر، فهي ليست لأسباب سـلالية، بـل لأسباب إقتصادية بحتة، فقد فتحت أوربا ذراعيها للمهاجرين من كل مكان عقـب الحرب العالمية الثانية لنقص الرجال، فقد تدفق الأتراك على ألمانيا، وفتحت فرنسا أبوابهـا لسكان الشمال الأفريقي وخاصة الجزائريين وسكان الفرانكفون الأفريقي، وكذلك الحـال بالنسـبة لبريطانيا بالنسبة لأبناء الكومنولث، ونهض الإقتصاد الأوربي من كبوته بفضـل هـؤلاء وأولـئك، ولكن الأوربيين قلبوا لهم ظهر المجن الآن نظرا لحالة الكساد وإنتشار البطالة، فأعتبروا هؤلاء الذين حملوهم على أكتافهم من قبل، أعتبروهم عبئا يجب التخلص منه، فكان ما يشبه الحركة النازية في ألمانيا ضد الأجانب وخاصة الأتراك ، وفي فرنسا ضد الجزائريين، وفي بريطانيا ضد الملونين.

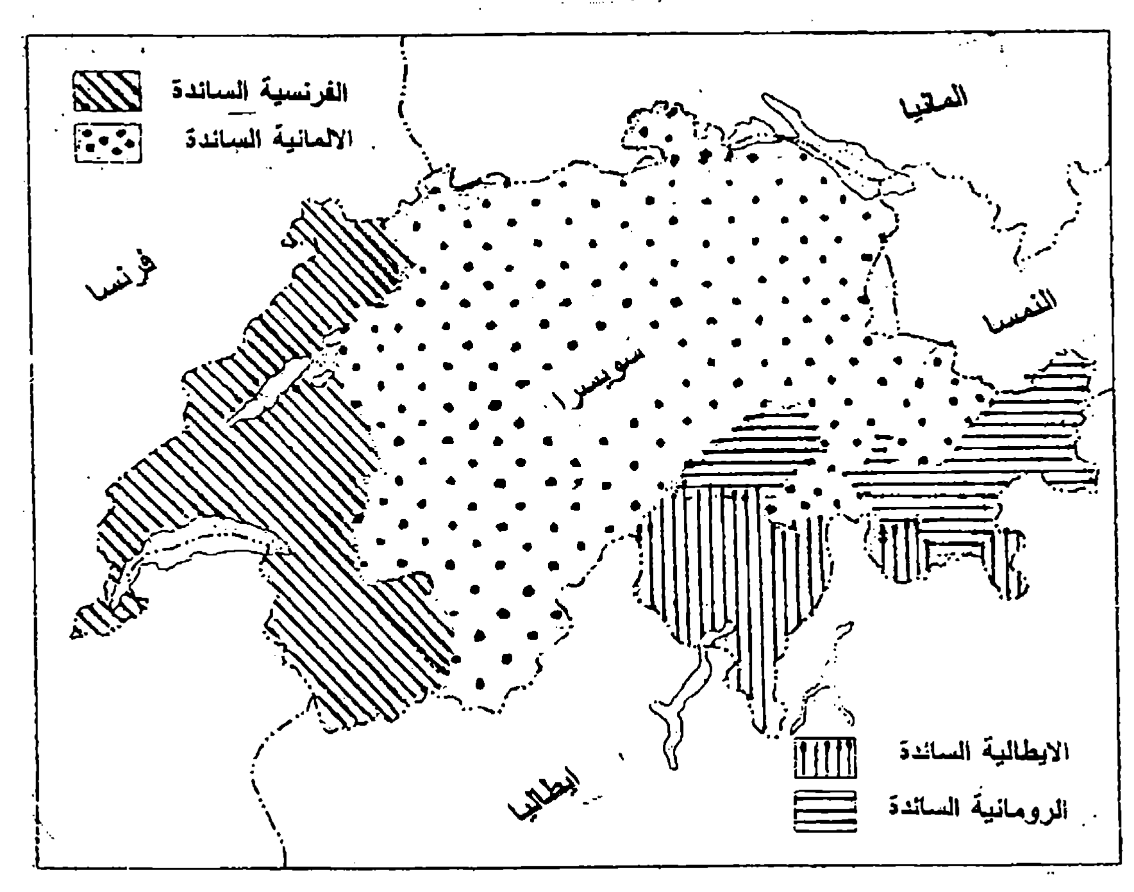
الفصل الثانى

اللغـــــة والديـــــن

أولاً : اللغـــــة:

يـرى الباحـثون أن وحـدة اللغـة عنصـر هـام من عناصر الوحدة القومية، وإذا كـان الإنسـان يتمـيز عـن الحـيوان بأنـه مدني (اجتماعي) وأنه ناطق (مفكر)، فإن الشـعوب تتمـيز عـن بعضـها بـأن لكـل منها لغة خاصة تتكلم بها، فاللغة هي أقوى ربـاط معـنوي بيـن الأفـراد الذيـن يـتكلمون لغة واحدة وتقارب تفكيرهم. نشأ بينهم شـعور بالـتعاطف، ولمـا كانـت اللغـة هي عمود ثقافة الأمة، والثقافة بالنسبة للأمة هـي بمـثابة الـروح بالنسـبة للإنسـان، ومـن ثـم يذهـب البعض بأن الأمة ليست مجموعـة مـن البشـر يعيشـون علـى نفـس القطعة من الأرض، بل هي أيضا وحدة مـن الفكـر والشـعور والإرادة، ومـن أجـل المشـاركة في كل هذا، لابد وأن يكون هـناك إتصـال بَيـن أجـزاء الجماعة القومية، من ثم كانت اللغة المشتركة لها أهميتها وأثـرها، كـأداة فعالـة فـي تشـكيل الوحدة القومية، ويزيد على وحدة الفكر والمشاعر أن اللغـة تعتـبر الوعـاء الـذي يخـتزن فيه أفكار وخبرات الأمم خلال العصور، من السـلف إلـى الخلـف، وبمعـنى أخـر قـد نقـول هي جسر الأتصال بين الأفراد من الماضي إلى الحاضر والمستقبل.

توزيع اللغات فى سويسرا



ويلاحظ أن الدول التي تتعدد فيها اللغات ، تتخذ لها أكثر من لغة رسمية، فسويسرا تضم الألمانية، والفرنسية والإيطالية بل والرومانية، وجميع هذه اللغات متساوية الحقوق، وكلها مستعملة في البرلمان، ويختلف الحال قليلا في بلجيكا عن سويسرا، إذ يفصل الخط اللغوي بين الألمان الفلمنك وبين اللألوألون اللاتينيين، وقد هدد هذا الإنفصال اللغوي وحدة الدولة في كثير من الأحيان. لأن ألوألون كانوا يتجهون نحو فرنسا، بينما كان الفلمنك يولون وجوههم شطر ألمانيا.

وكانت الغلبة لعنصر ألوالون بعد الإستقلال مباشرة، ولذلك جاهد الفلمنك للمساواة بهم، ووصل الفريقان أخيرا إلى المساواة معا، وخفف مرارة الشعور الذي كان يكنه كل فريق للأخر.

وبينما تتميز بعض القارات بالبساطة في تركيبها اللغوي، نجد البعض الأخر يتميز بالتعقيد اللغوي الشديد.

اللغات الرئيسية التي يتكلمها أكثر من مائة مليون نسمة (١٩٩٥)

المندارين	٩٧٥	البنغالية	٢١٠
الإنجليزية	٤٧٨	البرتغالية	١٨٤
الهندوستانية	٤٣٧	ملايو -إندونيسيا	١١٥
الأسبانية	٣٩٢	اليابانية	١٢٨
الروسية	٢٨٤	الفرنسية	١٢٥
العربية	٢٥٠	الألمانية	١٢٣

وتعد قارة أفريقيا من القارات الشديدة التعقيد لغويا، بل يذهب البعض إلى أنها قد تكون نقطة الضعف الكبرى في بناء القومية في الجزء الأكبر من إفريقيا، ذلك أن القارة تضم عديدا من اللغات واللهجات ، التي تصل في بعض التقديرات إلى ما يتراوح بين ٧٠٠ و ١٠٠٠ لغة. لقد ذهب التعدد اللغوي حتى إلى العناصر الأوربية في جمهورية جنوب إفريقية حيث يوجد البوير الذين يتكلمون الأفريكانية *Afrikans* التي ترجع أصولها إلى الهولندية، وكذلك الإنجليزية، وتضطر الدولة إلى الإعتراف باللغتين، وطلب من الموظفين إتقانهما معا، وبعد زوال السيطرة البيضاء تعترف حكومة جنوب أفريقية بإحدى عشر لغة.

ولم تظهر محاولات لإخراج خريطة تبين عدد اللغات في القارة الآسيوية ويرجع ذلك لتعقيدها أيضا، إذ تضم الهند وباكستان نحو ٢٢٠ لغة بصرف النظر عن اللهجات . وقد أعلنت حكومة الهند عام ١٩٦٤ نيتها لتنمية اللغة الهندوستانية والتي يتكلمها ثلث سكان الهند تقريبا كلغة قومية، ولكن هذه اللغة لم تجد ترحيبا في كل الولايات الهندية، وبعد دراسات ومناقشات لمدة ثلاث سنوات قبلت

الحكومة إقتراح اللجنة المشكلة بأن التعليم يجب أن يكون باللغة المحلية على جميع المستويات حتى الجامعة، وأن تدرس اللغتين الإنجليزية والهندوستانية كلغات إضافية، ولكن هذا الرأي واجهته معارضة أيضا ، على إعتبار أن إهمال الإنجليزية سوف يؤدى إلى تدهور وسائل الإتصال بين الولايات، وما يتبع هذا من تهديد للوحدة الوطنية ، هذا فضلا عن عدم وجود كتب ومطبوعات باللغات المحلية. وقد قامت المظاهرات خلال عامي ١٩٦٨، ١٩٦٩، تخللتها أعمال العنف حتى لا تتخذ الحكومة قرار بتبنى الهندوستانية والتي لا تجد قبولا خاصة عند الدرافيديين في الجنوب، إضطرت حكومة الهند إلى الإعتماد على الإنجليزية كلغة رسمية. ولايختلف حال إندونيسيا عن حال الهند، وإن كانت الملاوية هي لغة التخاطب والتجارة، وفي الفلبين هناك نحو ٤٦ لغة وإن كانت التاجلوج ***Taglog*** زهى اللغة الرسمية، وتستعمل أيضا الإنجليزية والأسبانية على نطاق كبير. وتظهر الطرافة في الصين حيث يفهم الصينيون بعضهم بعضا حين يكتبون ولا يفهمون بعضهم بعضا حين يتكلمون، ويرجع هذا إلى أن اللغة الصينية تستخدم رمزا لكل كلمة، ولكن هذه الرموز يختلف نطقها من مكان إلى أخر.

وتعتبر أوروبا من القارات الشديدة التعقيد لغويا، فبإستثناء ألمانيا والنمسا لا توجد دولتان تتكلمان لغة واحدة، وإن كان الإمتداد اللغوي لدولة ما قد يظهر في دولة أخرى كما هو الحال في إمتداد الفرنسية إلى بلجيكا، وسويسرا، والإيطالية إلى سويسرا، والألمانية إلى تشيكوسلوفاكيا وبولندا وفرنسا هذا وتسود مجموعة اللغات الرومانية في غربي وجنوب غربي أوروبا وجنوبي الوسط، بينما تسود السلافية في الشرق.

أما في الأمريكتين فتبدو فيها البساطة اللغوية فهناك ثلاث لغات تمتد من خليج هدسن إلى رأس هورن : الإنجليزية في الشمال والأسبانية والبرتغالية في الجنوب، ويعتبر الحد السياسي بين الولايات المتحدة والمكسيك حدا لغويا أيضا، ويوجد هناك إستثناء القاعدة السابقة تتمثل في بعض جزر الهند الغربية، والألمانية في بعض أجزاء البرازيل، والإيطالية في بعض أنحاء الأرجنتين.

الأقليات اللغوية *Language minoritis* :

قد تظهر أقليات قومية موالية للدولة، ولكنها تطالب بحريتها اللغوية أو إستقلالها اللغوي، وكثيرا ما تعترف الدولة بحرية إستقلال الأقليات بلغاتها وتدريسها في مدارسها، ويرجع هذا لخوفها من المطالبة بالإنفصال عن جسد الدولة، إذا منعتها من إستعمال هذا الحق. وقد إعترفت بريطانيا بلغات إسكتلندا وويلز، وإعترفت فرنسا بلغة البريتون، وهولندا بلغة الفريزيان وهى لغة نوردية قديمة.

وتعتبر مشكلة الأقلية الألمانية في الالزاس واللورين من الطرافة بمكان، إذ

يسمح للطفل عندما يذهب للمدرسة أن يدرس اللغة الفرنسية للثلاثة أعوام الأولى، ولا يدرس الألمانية لغة الوطن الأم، ثم بعد ذلك يدرس الفرنسية فضلا عن الألمانية حتى يجيد الفرنسية إلى جانب الألمانية، ويحتج بعض السكان على هذا على إعتبار أنه تدخل في حرية اللغة، ولكن المنطق الفرنسي يرد عليهم بأنه مادامت الألزاس واللورين جزء من فرنسا، فمن صالح أبناء الإقليم إتقان الفرنسية إلى جانب الألمانية لأنهم سيتجهون إلى بقية أنحاء فرنسا للعمل.

وإذا كان الحزب الشيوعي الصيني يعترف بأن اللغة هي إحدى أسس القومية، فإنها في نظره ليست الوحيدة، فهناك الإقليم المشترك والروابط الإقتصادية والنفسية المشتركة وتحتفظ الحكومة الصينية لنفسها بالحكم النهائي في إعتبار مجموعة ما أقلية قومية أم لا، وبمقتضى هذا القرار تعترف الحكومة الصينية بوجود أربع وخمسين قومية في الصين، كل لها لغتها التي تميزها، ونص دستور الصين على الحفاظ على هذه اللغات القومية لأسباب عديدة، منها أن الاتحاد السوفيتي كان نموذجا في هذا السبيل، فضلا عن وقوع معظم أراضى الأقليات اللغوية على أطراف الدولة في مناطق تتميز بوعورتها، فإذا أضفنا عدم التقدم التكنولوجي لهذه الأقليات ليس أمامها سوى أن تتعلم بلغة الهان مع مرور الزمن.

وأحيانا لا تسمح الدول للأقليات المناوئة بحرية لغوية، خوفا من أن يكون هذا عاملا مساعدا ومشجعا على الأنفصال، وأضعافا لكيان الأمة. فعلى سبيل المثال، كانت هناك أقلية نمساوية في التيرول تقدر بنحو ٣٠٠,٠٠٠ نسمة، لم تعطها إيطاليا حرية لغوية، بل غيرت أسماء شوارعها وأجبرتهم عن إستعمال الإيطالية في المدارس والكنائس، ومع هذا لم يغير من طبيعة الأقلية، وظلت موالية للغتها الألمانية وعادت لإيطاليا بعد الحرب الثانية تعد بالأعتراف باللغة الألمانية في التيرول الجنوبي.

ثانيا : الدين:

من العجيب أن الذي كان مفروض فيه أن يكون هدى للناس يرتفع بمستواها الحضاري. كان من أكثر العوامل المسببة للحروب بإستثناء العامل الإقتصادى، بل لقد كانت الأديان مسئولة عن أشد الحروب مرارة وضراوة (بإستثناء الحرب الأخيرة) على أن الدين في الوقت الحاضر لم يصبح سببا لقيام الحروب الكبرى في معظم الأحوال وذلك لتغلب العوامل الإقتصادية من ناحية، وإنتشار التعليم، ومبادئ المساواة من ناحية أخرى.

الدين والدولة:

ومن الخطأ الشائع فإن أحد أهم ركائز فكر " التنوير الأوربي " وأحد أعمدة النهضة الأوربية كان فصل الدين عن الدولة. والواقع إنهم لم يقولوا بذلك، وإنما قالوا بالفصل بين الدولة والكنيسة ***"Seperation of State and Church"*** ذلك

أن الكنيسة هي التي كانت تحكم ، كانت الدولة والكنيسة كيانا واحد كانت الشرطي والكاهن، أي أن المطلوب لم يكن نفي الدين عن السياسة، ولا عزل السياسة عن تأثير الدين، ولكن فصل المؤسسات، وأن تكون لكل من الدولة والكنيسة مؤسساتها المتميزة عن الأخرى، وألا تتدخل واحدة منها في مجال الأخرى. وكان من عوامل تأزم التجربة السوفيتية هي محاولتها نفي الدين عن السياسة، ولم تنجح في نفيه من المجتمع، لذلك أصبحت الكنيسة من أهم المؤسسات المؤثرة في الحياة السياسية هناك بعد إنهيار التجربة السوفيتية، بل وتعتبر كثير من المشكلات أساسها ديني.

وفي أوربا نقرأ في قوائم الإنتخابات وقوائم الأحزاب أسماء مثل "الديمقراطية المسيحية " ، " والإجتماعية المسيحية "، وفي فرنسا وفي ظل الحكم الاشتراكي للرئيس السابق ميتران، كان يلجأ أحيانا إلى الكاثوليكية لتبرير بعض سياساته، منذ رفض دعوة الولايات المتحدة الأمريكية لفرص حصار إقتصادى على نيكاراجوا في ظل حكم السانديستا قائلا إن فرنسا لا تستطيع فرض حصار على " شعب كاثوليكي"، ثم أنظر في محاولات الصهاينة تهويد القدس بالكامل، أليس هو إستخدام للدين في تحقيق مآرب سياسية؟

لذلك يصبح الدين عامل فعال في الدراسة الجغرافية السياسية، إذ يجب عمل حساب الأقليات الدينية، وطريقة معاملتها من ناحية، ومن ناحية أخرى لا تنسى أن الكنيسة وقفت ضد توغل وإنتشار الشيوعية.

ويبدو أن العالم قد وصل إلى مرحلة إستقرار ونضج من الناحية الدينية، ولا يبدو أن هناك تحول من دين إلى دين على نطاق واسع، اللهم ما يقوم به المبشرون بين الجماعات الوثنية، ولا تتفق الحدود السياسية بأي حال من الحدود الدينية ــ كما يبدو أن الحروب العالمية على أساس ديني قد أصبحت غير ذات موضوع، فقد شهدت الحربان الأخيرتان الكاثولكى يحارب الكاثولكى والبروتستانتي يحارب البروتستانتي، والمسلم يحارب المسلم. وقد أحتد الخلاف الآن بين مذاهب الدين الواحد، كل أصحاب مذهب يعتبرون أنهم المحقون، وغيرهم هم الضالون، وقد تعقد الأمر وأصبح يدخل كعامل من عوامل تعقد المشكلات الإجتماعية والسياسية، فأنقسام الإمبراطورية الرومانية الغربية (كاثوليكية) والدولة الرومانية الشرقية أو البيزنطية (أرثوذكسية) كان على أساس مذهبي.

والطريف في الأمر أنه بدأت وسائل الإعلام في أوربا و بريطانيا بوجه خاص في مناقشة "الوثنية الجديدة" على حد قولهم، إذ إنتشرت مظاهر الوثنية بين قطاعات متزايدة من الناس، حيث إنصرف هؤلاء بصورة تدريجية عن الديانة المسيحية، وراحو يبحثون عن الأشباع الروحي في عالم الخرافة والتنجيم، وغيرها من المصادر المريبة، الأمر الذي يعد تفكيكاً للإيمان وإنهياراً لمقوماته،

ويعد أكبر تحد للكنيسة، وقد ذكر تقرير لجنة الكنائس البريطانية التي شكلت عام ١٩٩٦ لبحث هذه الظاهرة بأن أبرز ما لاحظته أن ٧٠% من الشعب البريطاني يؤمن بالله، ولكن الذين يترددون على الكنيسة لا تزيد نسبتهم على ١٤%، (تنخفض هذه النسبة في ألمانيا إلى ٥%، وفي فرنسا ما بين ٣%، ٤%) وهؤلاء الذين قطعوا صلتهم بالكنيسة يختارون ما يشاءون من معتقدات وخرافات خصوصا تلك القادمة من الشرق الآسيوي (مستودع الخرافات الذي لا ينفد) ويخلطونها ببعضها ثم يؤمنون بتلك الخزعبلات ويعتبرونها (دينا جديدا).

غير أنه يمكن القول بأن الدين قد يدخل عاملا ضمن العوامل العديدة التي قد تسبب بعض الأزمات السياسية كما هو الحال في إقليم كويبك في كندا حيث تنتشر الكاثوليكية بصورة أكبر منها في بقية الولايات الكندية والتي تغلب عليها البروتستانتية كذلك إذا أحست الأقلية المذهبية باضطهاد أو التفرقة من جانب الأغلبية، كما هو الحال في معاملة الغالبية البروتستانتية للأقلية الكاثوليكية في شمال أيرلند وبين سكان شمالي وجنوبي نيجيريا، وبين ألوالون الكاثوليك والفلمنك البروتستانت في بلجيكا، وما فعله الصربيون والكروات في سكان البوسنة والهرسك، وما حدث من حزازات بين سكان الهند البريطانية وكانت نتيجة إنقسامها إلى هند وباكستان، بل وما يحدث الآن بين الهندوس والمسلمين في الهند، وأخيرا وليس آخرا في الوطن العربى حيث قامت إسرائيل على أساس دينى ، ففلسطين في عرفهم هى أرض الأجداد الذين كانوا (هنا) قبل ألفي عام!!

وإذا نظرنا إلى خريطة توزيع الأديان لوجدنا أربعة أديان كبرى هي الإسلام والمسيحية والهندوكية والبوذية ثم تأتى اليهودية كديانة خامسة. وإذا حللنا نمط التوزيع، نجد أن المسيحية تنتشر في الأمريكتين وأوربا وشمالي آسيا وجنوبي أفريقية واستراليا. وينتشر الإسلام في شمال أفريقية وجنوب غرب أسيا ووسطها فجنوبها نحو إندونيسيا، وبعض جهات الصين والهند، فضلا عن ساحل أفريقية الشرقي، أما الهندوكية فبؤرتها الهند، والبوذية والكونفوشيسية في الشرق الأقصى وبصفة خاصة الصين والصين الهندية.

الديانات الرئيسية في العالم (بالمليون)

إبراهيم الخليل	(التوحيد)	حوالي ١٨٥٠ ق.م	مليون نسمة
موسى	(اليهودية)	حوالي ١٢٥٠ ق. م	+ ١٣
يسوع المسيح	(المسيحية)	٤ ق. م – ٣٠ م	– ٢٠٠٠
محمد صلى الله عليه وسلم	(الإسلام)	٥٧٠ – ٦٣٢ م	+ ١٠٠٠
الهند	(الهندوسية)		+ ٧٦٤
زرادشت	(زرادشتيه)	٦٥٠ – ٥٨٣ ق.م	+ ٣٣٨
بوذا	(البوذية)	٥٦٣ – ٤٨٣ ق.م	+ ٣٣٨
كنفوشيوس	(الكنفوشية)	٥٥١ – ٤٧٩ ق.م	+ ٦

البناء الديني داخل الدولة:

إذا لم يكن هناك صراع بين الديانات المختلفة، فإن الأنسجام الديني يؤدى إلى القوة السياسية، على عكس التعقيد الديني والمذهبي الذي يؤدى إلى ضعفها، ورغم هذا فإن التعصب الديني ومحاولة التخلص من الأقليات الدينية يؤدى إلى خسائر كبيرة، فعندما طرد الكاثوليك المسلمين من أسبانيا، فقد طردت مهارات كان يمكن الاستفادة منها، وانظر كذلك اشتعال أوار الطائفية الدينية في لبنان وأثره في تدهور الأحوال السياسية الذي تعانى منه البلاد نتيجة حرب إستمرت أكثر من خمسة عشر عاما.

ولان كل وطن يجمع اكثر من معتقد، فإن الأمر يحتاج لصيغة مقبولة من الجميع بحيث يفهم كل صاحب عقيدة حدود عقيدته، وحدوده مع وطنه.

ونظرا لأن العقائد يتجاوز نطاقها حدود الأوطان، لأن مستقرها في قلوب الناس، وقلوب الناس تستعمرها العقائد وتحتلها، ومهما يكن حب الأوطان فإنه لا يرقى إلى مقام حب العقائد وهذا يجرنا إلى حب الوطن وحب العقيدة.

حب الوطن وحب العقيدة :

" من السهل على الإنسان أن يكون نصف عربي ونصف إنجليزي، بل وقد يكون حاملا للجنسيتين ، ولكن من الصعب أن يكون نصف مسلم ونصف مسيحي ، أو يكون مسلم ومسيحي في آن واحد ".

يسعى العقلاء من الساسة دائما لجمع الشمل بين الحبين: حب العقيدة، وحب الوطن، أو محاولة تضييق الشقة بين الاثنين، وإستبعاد الخلاف والعراك بينهما.

واحسب انه إلى الآن لم توجد صيغة مرضى عنها بين أصحاب العقائد المتشبثين بعقائدهم، ودعاة الوطنية ، المتجردة من النظرة العقائدية .

وقد بذلت محاولات في مصر للتوفيق بين الاثنين، فرفع شعار "الدين لله والوطن للجميع" ونرجو أن نضع في إعتبارنا بعض الثوابت.

(أولا): أن التفريط في الدين في حكم المستحيل لأن الدين فيه ترغيب وترهيب، فأهل الدين يشعرون بسعادة غامرة في الدنيا ، ويطمعون في سعادة دائمة في الآخرة، فهل يوجد بديل عن الدين يحقق هذه الطموحات والآمال، يقينا لا.. ويقابل هذه السعادة خوف من شقاء وحرمان في الدنيا، وعذاب مرعب في الآخرة، وقد صورت الكتب السماوية الآخرة وعذابها وشقاءها تصويرا يدعو إلى الحذر والخوف، ويكفي تصوير نار الآخرة أن وقودها ستكون من الناس والحجارة، فالدين له قوة تأثير بالغة في نفس الإنسان.

(ثانيا): على الرغم من جاذبية الأوطان، وحبها، والهيام بها إلا أن عطاءها أو منعها في الحياة الدنيا منوط بالناس فهم الذين يميزون بين المخلصين لأوطانهم، والمفرطين في حقها، وقد تتصاعد التزكية إلى تأليه القادة الكبار، ونحت التماثيل لهم وإطلاق أسمائهم على المدن والميادين، وقد يكون العكس الإتهام بالخيانة وما يليها من أحكام بالغة القسوة : فالوطنية ليست فيها ثوابت الدين وليست لها " جنة أبدا أو نار أبدا ، وليست لها هيبة الدين وقدسيته، ومع هذا فإنها موجودة في كل النفوس ولها رموزها ولها معالمها، والشعب المصري لا يزال يتغنى بكلمات مصطفي كامل وسعد زغلول ويترنم بأشعار شوقى، ونتذكر البيت الذي يقول :

" بلادي وإن جارت عليّ عزيزة ∴ وأهلي وأن ضنوا عليّ كرام".

فعلى الدولة أن تفسح صدرها لتقبل أفكار أصحاب العقائد ، وتعمل على إيجاد صيغة تجمع بين أفكار أصحاب العقائد، وأفكار الدولة وقوانينها، وتعمل على إدماج المواطنين في أحضانها، لا تفرق بين مواطن وآخر مادام هذا المواطن يفي بحقوق الدولة، ويلتزم بقوانينها ولا تنظر إلى معتقداته حين يطلب ما يكلفه له القانون، وأحسب أن جميع أصحاب العقائد لا يقبلون من الدولة أن تؤثر أحدهم على الآخر، أو تميز بينهم، وبذلك تضمن إنتمائهم لوطنهم مع حفاظهم على معتقداتهم.

فالدولة من صالحها وصالح مواطنيها مزج الوطن في العقيدة، وخلق وعى لدى المواطنين ليشعروا بأن صلاح وطنهم من صلاح دينهم، وأن الدفاع عن الوطن هو دفاع عن الدين، وأن حماية الدين ورعايته من واجب كل المواطنين.

(ثالثا): أما أصحاب العقائد فإن المطلوب منهم أن يحرصوا على حقوق وطنهم لأنها لا تتعارض مع حقوق دينهم، فالوطن أرض وشعب، وتراث

ومستقبل، والعقيدة لا ترفض الإنتماء الوطني، ولا تأذن بالتفريط في حق الوطن، وحق المواطنين، وهي تحرص على التراث، وأناشيد المستقبل وكلنا يذكر لرسول الله عليه الصلاة والسلام مقالته الحزينة وهو يغادر مكة إلى المدينة.

" والله إنك لأحب أرض الله إلى، ولولا أن قومك أخرجونى منك ما خرجت " ونذكر أن السيد المسيح وأمه البتول عاد إلى الناصرة على الرغم من طيب الإقامة في مصر. فالأرض عزيزة والأوطان غالية فعلى أصحاب العقائد أن يضعوا أوطانهم نصب أعينهم، ويضعوا أمامهم هدفا معينا واضحا، وهو تحالف الأديان مع الأوطان، وعلى أصحاب العقائد أن يلتقوا على كلمة سواء بينهم، أن يدوروا مع أوطانهم حيث تدور، وأن يطرحوا الخلافات الجانبية إذا إقتضت مصلحة الوطن ذلك.

تقسيم الدول فيما يختص بالدين:

وتقسم الدول مجموعتين فيما يختص بالدين، فهناك دول يسودها إنسجام أو وحدة دينية وهي التي يعتنق أكثر من ٧٥% من سكانها دين واحد كما في أقطار العالم العربي بإستثناء لبنان وكما في فرنسا وأسبانيا والبرتغال والنمسا وبلجيكا ودول أمريكا اللاتينية (مسيحية كاثوليكية) والدول الإسكندنافية وإنجلترا وألمانيا وهولندا (مسيحية بروتستانتية) وهناك دول تتعدد فيها الأديان أي لا تتغلب عليها عقيدة واحدة، وهذه إذا أثيرت فيها النعرة المذهبية تكون خطرا على وحدتها القومية كما في الولايات المتحدة الأمريكية وكندا، فالبروتستانتية تمثل ٦٥% في الأولى، ٦٠% في الثانية ، ولكن الكنيسة الكاثوليكية لها نفوذها القوى، وتعتبر ولاية كويبك معقل الكاثوليك في كندا والتي يبلغ الكاثوليك فيها ٤٠% من السكان. بينما ينتشر الكاثوليك في الولايات المتحدة الأمريكية في الإقليم الصناعي أي في الشمال الشرقي فضلا عن ولايات الوسط الشمالية وولايات الغرب ككاليفورنيا وأريزونا. وهناك أيضا نحو ٦ ملايين يهودي يتجمع نصفهم في نيويورك، أي أن الولايات المتحدة الأمريكية تضم أقل من نصف يهود العالم بقليل، هناك أيضا يوغسلافيا الصرب (الأرثوذكس) و(الكروات كاثوليك) وتنافس البروتستانتية في شمالي سويسرا، والكاثوليكية في جنوبيها وغربيها.

الفصل الثالث

التـــركيب القومـــــي

أولاً . التركيب القومي:

علـــى عكـــس الناحية السلالية نجد أن التركيب القومى أكثر أهمية في الوزن السياسى للدولـــة، وهـــنا يجب أن نفرق بين مدلول بعض الألفاظ، فالشعب **People** هو مجموع الأفــراد الذيــن يعيشــون داخل الحدود السياسية لدولة ما ، ويحملون تبعية هذه الدولة أو جنســيتها بالمعنى القانوني **Nationality** بينما الأمة **Nation** لها مدلول اجتماعي، إذ يقصد بها مجموع الأفراد الذين ينضوون تحت قومية واحدة ، ويشعرون بأنهم قوم واحد لا عدة أقوام، لذلك قد يضم الشعب الواحد عدة أمم، أو قوميات كالشعب السوفييتي، والشعب الكندي، وقد تضم الأمة أو القومية عدة شعوب كما هو الحال في القومية العربية والقومية الألمانية.

وهذا يجرنا إلى تعريف للقومية، القومية ليس لها علاقة كبيرة بالجنس أو السلالة لأننا رأيـــنا أنـــه لا توجد سلالة نقية تماماً، بل نجد كثيرا من القوميات والشعوب تضم سلالات ذات أصـــول مختلفة كما في فرنسا، الكلت والبحر المتوسط، والنورد، وفي ألمانيا النورد الالبييـــن وغـــيرهم. قد يقال اللغة هي عامل هام في تكوين الأمة لاشك لأنها الوسيلة التي يستطيعون التفاهم بها ، والإعراب عن مثلهم وثقافتهم وأدبهم، واختلاف اللغة يمنع السكان مـــن فهـــم بعضهم بعضاً، لذلك تعتبر عنصراً هاماً من عناصر تكوين القومية، وإن كانت هـــناك بعـــض الأمـــم كالأمة السويسرية التي استطاعت تكوين أمة واحدة، رغم أن أهلها يتكلمون بأكثر من لسان كما ذكرنا ، كذلك لا يمكن أن نقول بأن جميع الشعوب التي تتكلم الإنجليزية مثلاً تدخل تحت نطاق قومية واحدة.

قـــد يقال للدين، وقد استطاع فعلاً أن يكون رابطة قوية، في تقوية الشعور القومي لمدة طويلـــة من تاريخ حياة الإنسان، فقد استندت الحروب الصليبية ظاهرياً إلى العامل الديني، وكذلـــك كـــان الانشـــقاق بيـــن الهندوس والمسلمين في الهند، شجع عليه وزاد من حدته الإستعمار البريطاني قبل خروجه من الهند، ولكن الدين في الوقت الحاضر فقد أهميته بعد ظهـــور فكرة الإله الواحد، بدلاً من الآلهة المتعددة، وبعد التسامح الديني وبدأت المصالح الإقتصـــادية تتغلـــب علـــى هذا العامل، ولعل أبلغ مثل هو استقلال باكستان الشرقية عن الباكستان الغربية، وتكوين دولة بنجلاديش رغم أنهما كانا يكونان دولة واحدة (باكستان)، انفصـــلت عن الهند بعد الحرب العالمية الثانية، وكان أساس الانفصال هو العامل الديني، حيث تسود الهندوكية الهند، والإسلام الباكستان.

قد يقال التقاليد المتوارثة والعادات الإجتماعية المشتركة، ولكن الأمريكيين الذين لاشك يعـــتزون بقوميـــتهم انحـــدروا من أمم مختلفة، في حين أن الكنديين أو الأستراليين الذين انحـــدروا فـــي غالبيـــتهم من العنصر الإنجليزي، يكونون أمما منفصلة عن إنجلترا، ولها

طابعها الخاص.

ومعنى هذا، أن الشعور القومي لا يشترط فيمن يعتنقونه أن يكونوا متحدى الجنس، أو اللغة، أو الدين، أو التقاليد، ولكن هذه جميعاً لا يجب أن نذكر آثارها منفردة، أو مجتمعة في إذكاء الروح القومية، فكلما توفر عنصر أو توافرت عناصر منها، كانت بمثابة العمد التي توحد وتقوى هذا الشعور. وتظهر الروح القومية بأجلى صورها وقت الأزمات، وبخاصة حين المطالبة بالاستقلال أو الحرية.

القومية في الحقيقة هي شعور متبادل بين الأفراد، يجعلهم متأثرين في عواطفهم، وسلوكهم بفكرة الولاء لوطن ما، لأنهم نبت أرض واحدة، ومصالحهم السياسية، والإقتصادية، وأمانيهم وآمالهم واحدة ، يتأثرون بمؤثرات واحدة، (سواء في النكبات أو الأفراح) بصرف النظر عن ميولهم الطائفية، أو الدينية أو مصالحهم الفردية.

فالاحساس بالقومية بين أعضاء الجماعة هو إحساس عميق وليس بعقد سياسي بين أفراد هذه الجماعة، هو اتحاد قلوب مادام قد تحقق فلا يمكن أن يزول، فالقومية لا تزول ولكن الدول يمكن أن تتغير، وتتبدل بل وتزول، هو شعور بالجماعية ***Togetherness*** وقيمة هذه الجماعة، وفضائلها.

والشعور القومي أو الوطني يبعث في النفس شعورا بالفخر بذلك الوطن وإنجازاته، والإيمان به وقد يؤدى هذا أحيانا إلى الغلو والتطرف في الوطنية ***Chauvinism*** والخوف من الأجانب أو الغرباء ***Xenophobia*** ويساعد على وحدة الجماعة وإنطلاقها في عمل جماعي سواء في الداخل أحيانا ضد القوميات الأخرى أو خارجيا ضد الشعوب الأخرى، لذلك كانت الدولة القومية أو التي تتمتع بتجانس قومي تتميز بتماسك كبير.

هذا وقد لعبت الأخطار والضغوط الخارجية دورا كبيرا في تكوين القومية وتماسكها، وهذا أمر معروف في تاريخ إنجلترا ، وأسكتلند ، وبولندا ، وفيتنام ، فتلك المعارك التي خاضتها هذه الشعوب ، وإنتهت سواء بنصر أو بهزيمة ساعدت على صهر الجميع في بوتقة واحدة .

فهناك إتفاق بين الباحثين على أن أساس الحركة القومية الأفريقية هي رد الفعل والوعي بالذات ضد الإستعمار الأبيض، ويشترك في هذا الكتاب الأجانب أو الإفريقيين فالزعيم الأفريقي ***Sithole*** في بحثه عن القومية الأفريقية يقول بأن أفريقية تدين بالروح القومي للأستعمار الأوروبي، فهو الذي عبأ الشعور، وخلق الوعي بالذات بين الإفريقيين، وجمع شتاتهم القبلي تحت هدف واحد. وكقاعدة عامة أن الوعي بالذات وبالجماعة لا يبدأ جديا إلا حين تجد الجماعة نفسها فجأة وجها لوجه أمام جماعة أجنبية مختلفة كل الإختلاف، والمقاومات المبتكرة التي يسجلها تاريخ القارة لبعض القبائل، أو لمجموعات قبلية هي أولى أرهاصات القومية، مثل مقاومة قبائل داهومى والمتابيلى في تسعينيات القرن التاسع عشر، وليس هذا عيبا على أية حال، فكما يقرر الجغرافي البريطاني هالفورد ماكيندر أنه لم ينقل أوروبا الوسيطة من مرحلة القبائل إلى الشعوب، ولم يخلق الشعور

بالقومية، والوعي بالذات، إلا الأخطار الخارجية الثلاثة التي أحدقت بشبه جزيرة أوروبا، التتار من الشرق، الفيكنج من الغرب، والعرب من الجنوب.

يجب في دراسة الجغرافيا السياسية فهم التكوين القومي لأن الحدود السياسية أحيانا تقتطع من قومية معينة وتلحقها بقومية أخرى فينشأ ما يعرف بأسم الأقليات **Minorities** وهذه تنقسم إلى أقليات قومية **National Minorities** أي تدخل في تكوين القومية الأصلية في الدولة ، كمجموعة الزنوج في الولايات المتحدة ، أو الأتراك في بلغاريا، وهناك الأقليات غير القومية **Anti National Minorties** أي التي لم تلتئم أو تنصهر في القومية الأساسية، وهم لا يعتبرون أنفسهم من العنصر الأساسي، وهؤلاء يقسمون بالتالي إلى تلك التي لا تجد أمامها الفرصة سانحة للإنفصال. من أمثلة الأقليات القانعة الدانمركيين الذين يعيشون في ألمانيا، والأتراك في اليونان. ومن أمثلة غير القانعين الألمان في بلجيكا، وتشيكوسلوفاكيا، وبولندا، والتشيك في ألمانيا، والعرب في إسرائيل.

أنواع الدول بحسب التركيب القومي:

النوع البسيط **Simple**: هو أكثر شيوعا ، ويقصد بالبسيط البساطة النسبية، لأن الدولة تتكون من عناصر متعددة فعلا، ولكن عملية المزج والتمثيل للعناصر المختلفة تمت منذ أمد طويل، ويعتبر الفرنسيون مثلا لذلك ، فليس من شك أن هناك مركب من عناصر كلتية ونوردية، بحر متوسط، ولكنك لا تجد تنافرا بين الشعب الفرنسي. وكذلك الحال في المصريين، تحس أن الكل في واحد .

النوع الملتئم **Segcmented**: وهذا يطلق عليه ملتئم وليس بسيطا، نظرا لأنك يمكن أن تميز المجموعات المتعددة، ويلاحظ أن عملية التمثيل والهضم والوصول إلى مرحلة النضج أو التركيب البسيط لم تصل إليها الأمة بعد، ولعل دول الأمريكتين خير مثال لهذا النوع، وكذلك السودان، وإيران ، والمملكة المتحدة .

التكوين المركب **Complex**: فهو في الدول التي لم تنضج قوميا بعد. فيمكن أن نقول بأن عناصرها مختلطة، ولكنها لم تمتزج بعد، لأن كل منها يحتفظ بشخصيته، وهذا مصدر ضعف الدولة، كما في تشيكوسلوفاكيا السابقة فعناصر التشيك والسلوفاك لم يلتئما بعد ولذلك إنفصلا، كذلك الحال في الأتراك واليونانيين في قبرص، والكروات والصرب والبوسنة وغيرهما في يوغسلافيا السابقة.

هذا وكلما كان التكوين القومي للدول من النوع البسيط، أي تتطابق فيه الدولة مع الأمة أو القومية وتعرف في هذه الحالة بأسم الدولة القومية **Nation state** كانت أكثر ثباتا وإستقرار، لأن الدولة في هذه الحالة هي التعبير السياسي الصحيح لأمة أو قومية معينة، ويعتبر هذا من عناصر قوتها. وعلى العكس إذا كان التكوين مركبا، وتعددت الأقليات، فإن القوى المعادية تحاول إستغلالها لتفكيك الجبهة الداخلية، وبالتالي أضعاف الدولة،

كمحاولات الألمان إستخدام الأيرلنديين، والبلجيك الفلمنك، والروس الأوكرانيين أثناء الحرب العالمية الثانية، ويستندون في دعواهم إلى المبادئ العالمية المعروفة وهي الحرية والمساواة والأخاء " ***Liberte, Egalite, Fraternite*** " بين بنى الإنسان، هذا فضلا عن الصراع الذي يقوم بين القوميات المختلفة، وبالتالي يضعف من التلاحم القومي.

أنواع الدول المركبة أو ذات المجتمعات المتعددة :

١- دول تضم قوميتين متقاربتين بحيث لاتزيد إحداهما على مثلى الأخرى، فضلا عن مجموعات أخرى ذات نسبة ضئيلة كما هو الحال في بلجيكا وتشيكوسلوفاكيا سابقا وكندا وأتحاد ماليزيا، ولا تظهر في أي من هذه الدول مجموعة ثالثة يمكن أن تحدث توازنا بين القوميتين الكبيرتين، ويؤدى هذا الوضع إلى درجة عالية من عدم الإستقرار الداخلي.

٢- دول تضم قوميتين رئيسيتين، ولكن واحدة منهما يقل حجمها عن ثلث الأخرى، وفي هذه الحالة من المتعذر على الأقلية أن تسبب إضطرابا للدولة، وإن كان يمكن أن تسبب مشكلات سياسية بين الحين والحين، كويلز في المملكة المتحدة وأقليات الهنود الأمريكيين في أمريكا اللاتينية بالنسبة لأغلبية المستيزو (المولدون) وجمهورية جنوب أفريقية وإن كان المثل هنا صارخا حيث كانت تتحكم الأقلية البيضاء في الأغلبية الأفريقية.

٣- دول تضم ثلاث قوميات كبيرة أو أكثر لا يمكن لأى منها أن يكون أغلبية ، ويدخل ضمن هذه المجموعة يوغسلافيا، والهند، والباكستان، وإيران، وكثير من الدول الأفريقية كنيجيريا ، وكينيا.

غير أنه يلاحظ أن في المجتمعات التعددية ***Plural Societies*** التي ذكرناها قد لاتنشأ مشكلات سياسية، ويعيش أفراد الشعب في وئام كما هو الحال في سويسرا، إذ يتوقف الأمر على عدة أمور منها :

١- المستوى التعليمي الذي بلغه معظم أفراد الشعب، إذ يتناسب هذا المستوى عكسيا مع إحتمالات الصراع.

٢- تقل إحتمالات الصراع كلما قلت الفوارق الإجتماعية والإقتصادية بين القوميات المختلفة، إذ تزيد هذه الصراعات إذا كانت تغطى فروقات كبيرة في مستويات المعيشة، والنشاط الإقتصادى، وقد عمل هذا الفارق على فصل المهاجرين الصينيين عن المواطنين الماليزيين والإندونيسيين، وفصل البروتستانت عن الكاثوليك في أيرلندا الشمالية، والوطنيين عن الأوربيين في جنوب أفريقيا.

٣- تقوقع القومية جغرافيا ، وذلك أن الأقليات القومية تميل إلى التجمع في مكان واحد لوحدة اللغة والعادات والتقاليد، وبالتالي ينشأ "الجيتو" الخاص بهم، فيزداد الترابط بينهم، والتباعد عن المجموعة أو المجموعات الأخرى، (الأحياء الصينية في جنوب شرق آسيا ـ الجيتو اليهودي في أوروبا في العصور الوسطى ـ الأحياء الزنجية في المدن

الأمريكية).

ثانياً : الأقليات الثقافية:

الأقليـة الثقافيـة هو المصطلح الذي يطلق على الأقليات أيا كانت سواء كانت أقليات عرقـية (أثنية) أو دينية، أو لغوية، أو قومية، أو قبلية ، وذلك وفقا لنموذج اللجنة الخاصة الـتابعة للأمـم المتحدة بشأن حماية الأقليات، وإذا كان لها الحق في شئ ما ، فهذا معناه الإلتزام من جانب الأفراد الآخرين أو الحكومة بتوفير كل الوسائل لهذه الجماعة لممارسة هـذا الحـق دون أي معوقـات ، فقد تضمنت الإتفاقية الدولية للحقوق المدنية والسياسية، وملحقاتها التي أقرتها الجمعية العامة للأمم المتحدة عام ١٩٦٦ بعض المبادئ التي تتناول حقوق الجماعات، مثل حق الشعوب في تقرير مصيرها، والقضاء على التمييز العنصري، وحماية الأقليات، وحق الأقليات العرقية والدينية واللغوية في الإستمتاع بثقافتها ، وممارسة ديانتها، وإستعمال لغاتها، وغير ذلك مما يمكن إعتباره حقوقا للأقليات.

الأقلية بالمعيارين العددى والإجتماعى :

والأقلـية بالمعـيار العددي هي القلة أو الأصغر في العدد بين مجموعتين كما جاء في القـاموس السياسي، " إن الأقليات في العرف الدولى هي فئات من رعايا دولة من الدول تنتمى من حيث السلالة أو اللغة أو الدين إلى غير ما تنتمي إليه أغلبية رعاياها "، غير أن الموسوعة الدولية للعلوم الإجتماعية ترى " أن الأعداد النسبية لأية مجموعة بشرية داخل إطار الجماعة الوطنية (داخل الدولة الواحدة)، لا تعد كافية لتعريف أو تحديد وضع الأقلية وإنمـا يفترض أن يتم تحديد ذلك من خلال إعتماد منظور سيسولوجى، أي إجتماعى، أي مـن خـلال تبيان الأهمية التي تتمتع بها الجماعة البشرية المعنية "، فالزنوج في جنوب إفريقـية قبل الإستقلال كانو يمثلون أغلبية بالنسبة للبيض، ومع ذلك نظرا لتدنى وضعهم يعتبرون في عداد الأقلية.

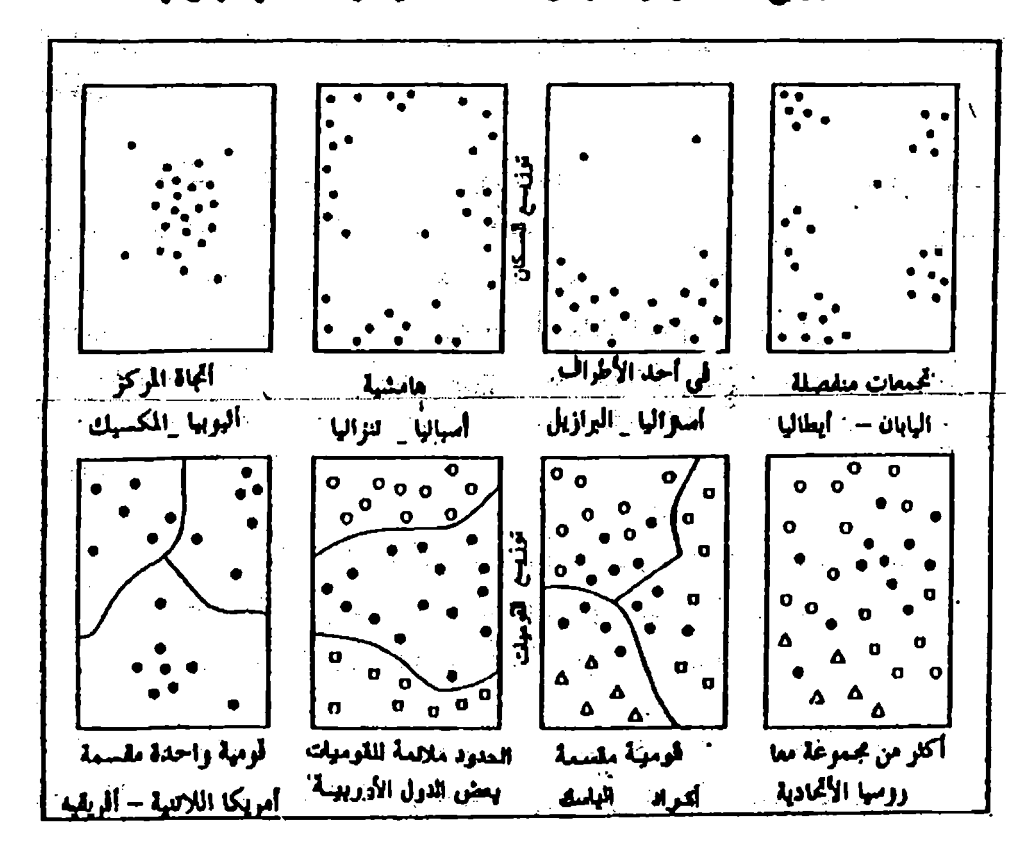
إنبعاث الحركات الإنفصالية بشدة

كثرت الدراسات التي تتناول ظاهرة إنبعاث الحركات القومية خلال السنوات الأخيرة ، ويجمع كثير من المحللين الإستراتيجيين والمفكرين على أن العنف الطائفي أو القومى من الـنوع الـذي يجـتاح مـنطقة البلقان وجمهوريات الإتحاد السوفيتى السابق هو المشكلة المرشحة للتفاقم خلال السنوات القادمة وأوائل القرن الحادي والعشرين.

فقـد فجـرت التغيرات الكبرى التي تعرض لها العالم خلال السنوات القليلة الماضية قضـايا عديـدة تحت الشعار العام لهذه التغيرات وهو " حقوق الإنسان " ومن أخطر هذه القضـايا إنفـلات غول القوميات والأصول العرقية من عقالة فشعار حقوق الإنسان الذي رفعـه الغـرب لتحطيم الكتلة الشيوعية خرج عن السيطرة وأفلت من زمام الجميع . وإذا كان الاتحاد السوفيتي قد ظل يكافح ضد الطموحات القومية والنزعات العرقية لمدة سبعين عامـا وكذلـك الأمر بالنسبة لشرق أوربا الشيوعية وخاصة يوغسلافيا التي صارت على

نهــج السوفيت في محاولة صهر مجموعة كبيرة من القوميات والأصول العرقية في دولة واحــدة فإن هذه الدول لم تتمكن من قمع الصراعات والنزعات القومية إلا بواسطة جيوش ضخمة وهائلة في التسليح ، أما الآن وقد إنهارت هذه الدول فإن كل شئ عاد لبدايته .

توزيع السكان والمجموعات الثقافية وعلاقاتها بدولها



وعلـــى ســـبيل المـــثال فإن هناك حاليا حوالي مائة وخمسة وعشرين عرقا في روسيا ودول الكومنولـــث السوفييتي ويصنف ٢٥ نزاع منها على أنها نزاعات مسلحة فإذا أضفنا إلى ذلك النزاعات الدائرة في منطقة البلقان وتلك المرشحة للإنفجار في شرق أوربا حيث أظهرت بعض الدراسات أن هناك ٤٠ " نقطة وميض " عرقية في أوروبا تهدد بالأنفجار، فضلا عن الصراعات العرقية المماثلة التي تخمد وتنفجر عبر العالم القديم سواء في الهند وســريلانكا، وآسيا الوسطى، والشرق الأوسط (الأكراد) وأفريقية (رواندا، بوروندى، جنوب السودان أثيوبيا ...).

وإذا كانــت بعــض الأقليات الثقافية قد إندمجت فعلا في ثقافة وذاتية المجتمع الوطنى بحيــث لــم يعد لهذه الثقافات المحلية وجود الا كوقائع تاريخية . فإن الغالبية العظمى من الــدول تضــم بيــن مواطنــيها أقليات لم يكن من الممكن إستيعابها جميعا داخل المجتمع القومــي، والقضــاء على ماتثيره من التحديات التابعة من البعث القومي، والتي إزدهرت بصــفة خاصــة خلال السنوات القليلة الماضية، فمن أهم التطورات الرئيسية التي شهدها العــالم منذ حقبة السبعينيات ظهور أو إعادة ظهور الحركات القومية في المناطق الهامشية لكثير من الدول مثل أسكتلند وأيرلندا في المملكة المتحدة، وكويبك " في كندا و" الباسك " فــي أســبانيا و"بريــتانى " و"كورســيكا " في فرنسا التي شهدت في سنة ١٩٧٦ وحدها إضــرابات قومية في خمسة أجزاء مختلفة منها، كما يشتد الصراع في امريكا بين السود والبــيض في كثير من الولايات مما يؤكد أن الروح القومية والقيم العرقية والثقافية لم يكن من الممكن إخمادها نهائياً.

وفــي مواجهــة هذه التطورات، وفي ظل السياسة العالمية التي تؤكد الإلتزام بحقوق الإنســان، واحــترام حــرية الشــعوب وحقها في تقرير مصيرها، تكهن بعض المفكرين بإســتمرار تصــاعد موجــات الإنتفاضات العرقية، وحركات الأقليات القومية، بل وأيضاً نجاحها في تحقيق غاياتها.

هل ينقسم العالم إلى ٤٠٠ دولة ؟

وتشــير بعــض الدراسات إلى ان الصراعات القومية ترجع إلى العهود الإستعمارية، ويقــول الباحــثون أن هــناك حوالي ثلاثة آلاف وخمسمائة مجموعة من البشر في أماكن مخــتلفة مــن العالم يصفون أنفسهم بشكل أو بآخر على أنهم قومية أو شعب، في حين أن المعــترف به كدول في المجتمع الدولي هو ١٨٥ دولة فقط مما يجعل إحتمالات الصراع العرقي غير محدودة في عالم ما بعد الحرب الباردة.

ولعل من أهم التحذيرات التي صدرت في هذا الموضوع، هو ذلك الذي جاء من الأمم المــتحدة على لسان أمينها العام السابق الدكتور/ بطرس غالى حيث حذر من أن العالم قد ينقسم إلى ٤٠٠ دولة، وتوقع أن يكون ذلك هو الخطر الجديد الذي سيظهر في العالم خلال الســنوات العشــر القادمــة، وضرب مثالاً على ذلك بأفريقية التي يوجد بها حوالي ٨٠٠ جماعة عرقية وحوالي خمسة آلاف قبيلة، فإذا طالبت كل منها بحق تقرير المصير، فكيف ستصبح صورة القارة الأفريقية يا ترى؟

إننا إذا أضفنا عوامل الأزمة الإقتصادية إلى عوامل الصراعات العرقية والقومية، فلن نخرج سوى بنتيجة مخيفة عن إحتمالات تفجر الصراعات واستمرارها، والتي لا هدد بقعة محدودة من العالم، وإنما يمكن أن تمتد نيرانها لتشمل العالم بأسره.

الهدف النهائي :

والهــدف النهائي الذي تسعى إليه أي أقلية ثقافية أو قومية ترغب في الأحتفاظ بذاتيتها

أو تدعـيم هـذه الذاتـية، هو محاولة الإنفصال عن الدولة التي تشغل فيها مركز الأقلية. وتؤسـس الجماعـات القومية ودعاة الحركات الإنفصالية مطالبهم في مواجهة مجتمعاتهم علـى مايتعرضون له ــ أو ما يدعونه ــ من أنواع الحرمان وضروب الظلم سواء كانت هـذه المطالـب تتوخى المعاملة المنصفة بسبب التعرض للإستغلال الإقتصادى بواسطة الأغلبـية، أو تجاهلهم من الناحية السياسية، أو معاملتهم معاملة أدنى ثقافيا، أو مطالب من أجـل الحصول على إمتيازات خاصة، أو أعفاءات معنية، أو غير ذلك من المطالب التي تعتـبر مـن وجهـة نظرهم، مبررا لتقسيم أو تفتيت الدولة التي تواجه أقلياتهم يمثل هذه المظالم.

أسباب تصاعد الإضطرابات القومية في الوقت الحاضر:

١- عملت برامج الأخبار في التلفزيون على نشر الأنشطة الدعائية للحركات القومية للأقلـيات، ففـي حين أن الجماعات القومية كانت تحتاج في الماضي إلى عقد العديد من الإجـتماعات، وتوزيع كميات كبيرة من النشرات، والكتيبات، حتى يمكن أن تصل أنباؤها إلـى عـدة آلاف قلـيلة من الناس، فإن الجماعات المعاصرة يمكن أن تثير اهتمام ملايين الـناس مـن خـلال أى نشاط تقوم به شريطة أن تكون قادرة على إجتذاب آلات تصوير الـتلفزيون. وهكذا فحين يقوم الجيش الجمهوري الأيرلندي بسلسة من الانفجارات في قلب لـندن بيـن الحيـن والآخـر، فهو ليس للإرهاب فحسب، بل للإعلام أيضاً، حيث يهرع التلفزيون، بل ووسائل الأعلام الأخرى إلى مكان الحادث لتغطيته.

٢- كـان لإنتشـار الـتلفزيون علـى نطـاق واسع أثره على طغيان ثقافة الأغلبية واستئثارها باهتمام الجميع، وإلى التقليل من شأن ثقافات الجماعات الأقلية، وقد ترتب على هذا الوضع إثارة جماعات الأقليات وتصدى زعمائها للدفاع عن لغتهم وثقافتهم التي باتت تتعرض للتآكل التدريجى والأنقراض عبر الأجيال.

٣- أدى الترشيد الصناعي الذي انتشر منذ الحرب العالمية الثانية في كثير من الدول المتقدمة إلى مزيد من التركيز بالنسبة لمراكز الأعمال في المدن الكبرى، مما ترتب عليه عـدم قـدرة الجماعـات أو الأقليات التي تعيش في المناطق الهامشية على السيطرة على شئونها الإقتصادية، والإجتماعية التي أصبحت خاضعة لنفوذ المجتمع المسيطر.

٤- تنقسـم الفـترة الراهنة من تاريخ الجنس البشرى بنمو القلق السياسي الناجم عن تزايد الحديث عن الحرب النووية المقبلة والمجاعة العالمية ونفاد موارد الطاقة، وغير ذلك مـن المشـاكل والأزمات الحادة مما جعل الجماهير غير قادرة على تقبل أي موقف يثير مـزيداً مـن استيائهم واضطرابهم، وفي مثل هذه الظروف تتكتل الجماهير ذات المطالب المتماثلة للدفاع عن مطالبها وحقوقها والنضال من أجلها.

مصيدة العرقية:

أوضـحت إحدى الدراسات في كندا أن مطلب المحافظة على التمايز الثقافي أدى إلى

صـعوبة تحقـيق المسـاواة الإقتصـادية، فقد تبين أن الكنديين الفرنسيين يشغلون وضعاً اقتصـادياً أدنـى مـن الكنديـين البريطانيين وغيرهم من الأقليات التي وصلت كندا بعد الفرنسيين الذين كانوا أول المستعمرين لهذه البلاد.

لقـد حرصت الأقليات الفرنسية (كويبك) – رغبة منها في حماية قيمتها الثقافية – على تخصـيص سـاعات دراسـية أطول لكل من اللغة الفرنسية، والثقافة الكاثوليكية، والثقافة القومـية، ممـا تبعه تخفيض الساعات الدراسية المتاحة للموضوعات والمواد العلمية ذات الـنفع الإقتصـادى، الأمـر الـذي ترتب عليه تقليل فرص المواطنين في الحصول على الوظائف التي تمكنهم من تحسين أوضاعهم الإقتصادية، وبلوغ مركز المساواة، مع غيرهم من الأقليات، ولم يكن ذلك ممكناً إلا باللجوء إلى تعليم أبنائهم وأحفادهم اللغة الإنجليزية.

كيف تتعامل الدولة مع الأقليات؟

يمكن أن نجملها فيما يلي :-

أولا : موقـف اللامـبالاة أو تجاهل القضية، طالما أنها لم تصل إلى الحد الأدنى الذي يهـدد سـلطة الدولـة أو الاسـتقرار، وقد يكون لهذا الموقف مبرراته أو أعذاره إذا كان الأقلـيات " اقليات " بالفعل، إي لا يتجاوز عدد أفرادها الواحد أو الاثنين بالمائة، أو كانت مصـالحها الإجتماعـية والإقتصـادية تقضى عليها بأن تساير أو تخضع لحكم الأكثرية وقوانينها وخياراتها المصيرية، (كان ذلك، مثلا، موقف بعض الأقليات الدينية أو الأوربية أو المذهبـية في السلطنة العثمانية)، أما عندما يكون حجم الأقلية كبيراً نسبياً (من ٧ إلى ١٥ بالمائة، مثلا، أو تكون هذه الأقلية متجمعة في إقليم واحد، أو موجودة على حدود دولة تـتواجد بهـا أقلـية أو أكـثرية من العرق أو الدين أو الثقافة ذاتها، (الأكراد في شمالي العـراق)، أو تكون هنالك ظروف إقليمية أو دولية " محركة" أو " محرضة " لهذه الأقلية، أو تكـون أوضـاع هذه الأقلية الإقتصادية والإجتماعية متدنية كثيراً عن مستوى أوضاع الأكثرية (الريف بالنسبة للمدن)، أو يكون الحكم المركزي قاسياً أو ظالماً في تعامله مع الأقلية وأمانيها .. عندئذ فإن هذه الأقلية سوف تخرج عن سكونها واستسلامها ولن يتمكن النظام الحاكم من تجاهل أو تأجيل معالجته لقضاياها.

ثانـياً : التصفية والتهجير والقمع، في القرون السابقة، بل وحتى منتصف هذا القرن، كانت التصفية الجماعية أو " التطهير العرقي " أي الإبادة والتهجير بالقوة، من بين الحلول التـي كان حكم الأكثرية يلجأ اليها لحل مشكلة الأقليات الرافضة أو المتمردة في العالم – مـثلما حـدث للهـنود، سكان القارة الأمريكية الأصليين، وللعرب والمسلمين واليهود في الأندلـس، بعـد انتصـار الكاثوليكية الأسبانية، وللأرمن في تركيا ، قبيل وبعيد الحرب العالمـية الأولى ، وللفلسطينيين في عام ١٩٤٨ " ولعل آخر ما سمعنا عنه من تطهير هو محاولة إبادة الصرب والكروات لمسلمي البوسنة.

ثالـثاً : وهو ما كان يمارس في أكثر من دولة في العالم (كانت أفريقية الجنوبية في طليعـتها ولا تـزال إسـرائيل تمارسـه بشـكل أو بآخر رغم براعة التغطية السياسية

والإعلامـــية، هـــو مراقـــبة الأقلـــية عن كثب وخنقها بقوانين وتدابير وإجراءات إدارية واقتصادية مميزة، بحيث تشل طاقتها على التحرك أو إختيار مصيرها بحرية، وبالرغم من أن هذا الحل يبقى " مؤقتا وعرضه للتغيير تحت ضغط الرأي العام الدولي، فإن أخطر ما فـــي هـــذا الأسلوب الزجرى هو أن الأقلية تتحول ، حتما، إلى " طابور خامس " مستعد للـــتعاون مـــع أعـــداء الوطـــن أو الدولة أو إلى مشتل لزرع وإنبات المعارضين وتكوين جماعات الإرهاب.

رابعـــا : التقســـيم أو الإنفصال، وبالرغم من أن هذا الحل لم يحقق للأقليات المنفصلة والمكونـــة لوطـــن أو دولة جديدة، في غالب الأحيان، كل ما كانت تسعى إليه أو تحلم به، فأنه طبق في هذا القرن وفي أنحاء عديدة من العالم أشهرها : فلسطين، والهند ، الباكستان وبـــنجلاديش وغـــيرها. ولقد عاد هذا الحل إلى " الظهور " بعد سقوط الاتحاد السوفييتي، بالنســـبة لعدد كبير من الجمهوريات التي كان الاتحاد يضمها، في البلطيق وآسيا الوسطى ومـــا حـــدث فـــي يوغســـلافيا، وفـــي تشيكوسلوفاكيا، يبرز هذا الحل الإنفصالى بين " مجموعـــات " لـــم يتمكن الضم الوطني أن يزيل منها خصائصها كأقليات، فأستيقظت من جديد، وأدت إلى التقسيم أو الحروب.

وبالرغم من أن التقسيم " نجح " في حالات كثيرة، أو كان لابد منه في حالات أخرى، فأنـــه في حالات أخرى لم يحل مشكلة الأقليات ومثال الباكستان وبنجلاديش مثال صارخ علـــى أن إنفصال المسلمين عن الهند لم يمنع إنقسام الباكستان وإنفصال بنجلاديش المسلمة عـــنه، كمـــا أن للتقسيم مخاطر أكبر، فعندما تنفصل مجموعتان كانتا متعايشتين في كيان وطنـــي أو تحت ظل دولة واحدة، إلى دولتين، وغالبا ما يكون ذلك أثر إضطرابات دامية (الهـــند) أو حـــروب (فلسطين)، يتولد بين الكيانين الجديدين المتجاورين " عداء " قوى، لاسيما في قلوب الذين يضطرون إلى مغادرة " أرض أجدادهم " ومنازلهم، وهذا العداء قد يكـــون أشـــد ضـــررا وخطرا على " الأقليات " المنفصلة عن بعضها البعض، من ضرر ومخاطر الإستمرار في العيش معا في ظل دولة واحدة، وهل أبلغ من الحالتين الفلسطينية والإسرائيلية والهندية ــ الباكستانية، مثلا؟

خامســـا : الكونفيدرالية والفيدرالية والحكم الذاتي بين " ضبط الأقليات وإنفصالها عن الأكثرية "، كانت هناك حلول أخرى.

أن الولايـــات المتحدة الأمريكية كانت الدولة الأولى، في العصر الحديث التي إعتمدت الفيدرالـــية كنظام سياسي يمكن التوفيق، ضمنه، حقوق ومصالح "أقليمية" أيا كان نوعها، وبيـــن مصـــلحة الدولة العليا ولكن هذا النظام الذي وجدت كل " الأقليات " فيه، نظريا أو مبدئـــيا، وإلـــى حد ما، الحل الأفضل لمشاكلها بالنسبة للدولة والأكثرية، ما كان لينجح ــ حـــتى الآن، إلا لأن الفيدرالـــية الأمريكـــية، نموذج أمريكي خاص، صعب التطبيق على شـــعوب عـــريقة فـــي تاريخهـــا وتقالـــيدها ولم تتوفر لها الفرص التي توفرت للمواطن الأمريكـــي، ولعـــل الســـر الحقيقـــي وراء نجـــاح النموذج الأمريكي لحل مشكلة الأقلية والأكـــثرية، هـــو أن معظـــم المواطنيـــن الأمريكيين، " تخلوا " عن متخيلاتهم التاريخية

والعقائديـــة والعرقـــية، وتلـــك حالة خاصة لا تنطبق على الشعوب والأقليات الأخرى في العالم، ومع ذلك فهناك الأقلية السوداء.

ولكن الفيدرالية، والكونفيدرالية، (والفرق بينهما معروف ، وأن كان عمليا غير كبير)، لـــم تكن " إختراعا " أمريكيا، بل عرفتها دول أخرى عبر التاريخ وإن كانت " تسميتها " مخـــتلفة، فالإمـــبراطوريات الكـــبرى القديمـــة كانـــت تقـــوم على نوع من الفيدرالية أو الكونفيدرالـــية أو " الحكـــم الذاتي " بحيث أن السلطة المركزية كانت تتولى الشئون العليا للدولـــة وتـــترك للحكـــام المحليين ، بل للمؤسسات الوطنية أو الدينية المحلية، ولقد كانت الإمبراطورية العثمانية التي إستمرت عدة قرون، نموذجا لهذا النوع من الحكم اللامركزى الذاتـــي وللأعتراف بحقوق ومصالح الطوائف والمناطق التي تضم أقليات. أن عدد الدول التـــي تقـــوم، الـــيوم، على أساس الاتحاد الفيدرالي أو الكونفيدرإلي واللامركزية الإدارية والإقتصـــادية، كبير [الولايات المتحدة الأمريكية، البرازيل، المكسيك، ألمانيا، يوغسلافيا (سابقا) كندا إلخ ...]، وبالرغم مما يوفره هذا النظام من إمكانية حلول لمشاكل الأقليات، محلـــيا أو قانونيا أو إقتصاديا فإنه لم ينجح كليا في القضاء على الفروقات التي تشكو منها الأقليات ولا على الشعور بأن القرار في النهاية هو من صنع الحكم المركزي.

الفصل الرابع

السكان والتكنولوجيا

أولاً : السـكان:

ويقصد بدراسة السكان ديموغرافيا دراسة نمو السكان وعلاقته بالمواليد، والوفيات، والهجرة الخارجية، والداخلية، من الناحية الديناميكية أو التطورية، أي إتجاهات السكان ممـثلة فى النمو بشقي، وهما الزيادة الطبيعية، والهجرة بالإضافة إلى بعض العناصر المتصـلة بالـنمو، كتقسيم السكان إلى ذكور وإناث، ونسبة الشبان، ومتوسط الأعمار وهكذا.

ويعتـبر مـن الأمـور المفيدة تمثيل سكان الدولة بهرم يدعى هرم السكان أو هرم الأعمـار، فيقسم السكان إلى فئات، وكل فئة خمس سنوات تمثل بقضيب أنفى، وترتب القضـبان الأفقـية الواحد فوق الأخر، بحيث تكون أصغر المجموعات سنا فى أسفل، وعادة ما تقسم القضبان أيضا من ناحية الجنس إلى ذكور وإناث، فإذا كانت الأمة مقبلة علـى نمو سريع، فستكون قاعدة الهرم أكبر من التي فوقها وهكذا، أما إذا كانت الأمة مقـبلة على تدهور فى عدد سكانها نتيجة لنقص مواليدها كانت قاعدة ضيقة، أو بمعنى آخر، أن أطفال مرحلة الخمس سنوات الأولى تكون أعدادهم أقل مثلا من الشباب الذين يتراوح أعمارهم بين العشرين والخمس والعشرين عاما، وأهرام السكان للدول المختلفة هي من النوع الأول، أي المنتظم كمصر والفلبين ولبنان والمكسيك، بينما نجد أهرامات دول غرب أوربا فى معظمها غير منتظمة كبريطانيا وفرنسا. ويشير هرم السكان إلى وفرة اليد العاملة فى الدول النامية الآن وفى المستقبل. ذلك أن إرتفاع نسبة الأفراد فى فـئة السن أقل من ١٥ سنة فى أحد الأجيال معناه زيادة نسبة الفئة الخصبة فى الجيل التالي، كما أن المجموع الكلى لأطفال أحد الأجيال يمثل القوة البشرية العاملة فى الجيل التالي، ذلك أنه لا يمكن إعتبار جميع السكان قوة عاملة، فالقوة البشرية العاملة تنحصر فـي فـئات السـن بين ١٥ ، ٦٠ سنة، ولهـذا يمكن معرفة القوة البشرية العسكرية المتاحة للمجهود الحربي.

أما الدراسة الجغرافية فيقصد بها دراسة التوزيع، ومن الدراستين تخرج فعلا بفكرة عـن مشكلات السكان التي ترجع إلى عوامل عديدة متشابكة منها ما هو حيوي، ومنها ما هو إقتصادى، وإجتماعى، وسياسي، وهذه عناصر لابد من الاستعانة بها فى دراسة الجغرافية السياسية.

والـذي لاشـك فـيه أن ضـخامة حجم السكان لاشك تعطى قوة بشرية هائلة فى العملـيات الحربية، ولازالت الحروب الحديثة فى حاجة إلى الأعداد الغفيرة من القوى البشـرية، الحرب الكورية، الهند الصينية مع فرنسا، فيتنام . فما زال دور المشاة فى

القتال له أهميته، ورغم تقدم الأسلحة الحربية، من الذي سيتقدم لإحتلال الأرض الجديدة أهي الطائرات أم الصواريخ؟

فهذه الأخيرة هي أسلحة معاونة فى الوقت الحاضر كما كانت فى الماضى مع تطور هذه الأهمية . ونستشهد فى ذلك بقول شواين لاى رئيس وزراء الصين " نحن نريد أكبر قدر من التورط الأمريكى فى فيتنام ، أتركوا الولايات المتحدة تصمد للحرب ليصبح نصف مليون جندى أو مليون فى فيتنام ، لأنهم إذا أقدموا على تصرف من شأنه أن يؤدى إلى تدخل الصين فهم يعرفون أننا نستطيع أن نقذف إلى الميدان بملايين بعد الملايين من البشر، وسوف تستطيع ملايينا أن تبتلع مئات الآلاف منهم ".

وكذلك الحال فى الحرب المصرية الإسرائيلية، فمن عوامل الضعف الكبرى فى التكوين الحربي الإسرائيلي، قلة السكان، التي تدعو إلى الإعتماد على الإحتياطى، وإذا طالت الحرب كان هذا معناه شلل للحياة الإقتصادية داخل إسرائيل. قد تجند الدولة سكانا غير سكانها كما كانت تفعل فى الماضي أو كما تلجأ إسرائيل إلى الجنود المرتزقة ***Mercenaries*** ولكن تسليح الجنود المرتزقة غير مأمون، ولا بديل لأبناء الوطن للإطمئنان فى الدفاع عن مصلحته.

ولضخامة السكان ميزة عسكرية أخرى، ذلك أن قهر الدولة الكثيفة السكان يعتبر صعبا، بل من الصعب السيطرة عليها ، لأن الإحتلال العسكري لأراضى يشغلها عدد كبير من السكان، يستلزم مرابطة رجال عديدين مما قد يؤدى إلى خلق عجز فى القوى البشرية فى أرض الدولة الغازية، وكان هذا فعلا حال ألمانيا النازية حينما وجدت أن إحتلال أوروبا يكاد يكون فوق طاقتها.

ويثير موضوع السكان كثير من المناقشات حول الأقطار التي تريد التوسع، فتستفيد أو تبرر توسعها ، بأنها مزدحمة بحيث لا تجد متسعا لسكانها، كاليابان وإيطاليا وألمانيا وعلى هذا الأساس بدأت الدول الثلاث فى التوسع قبل الحرب العالمية الثانية بحجة البحث عن مجال حيوي ***Lebensraum*** لسكانها المتزايدين.

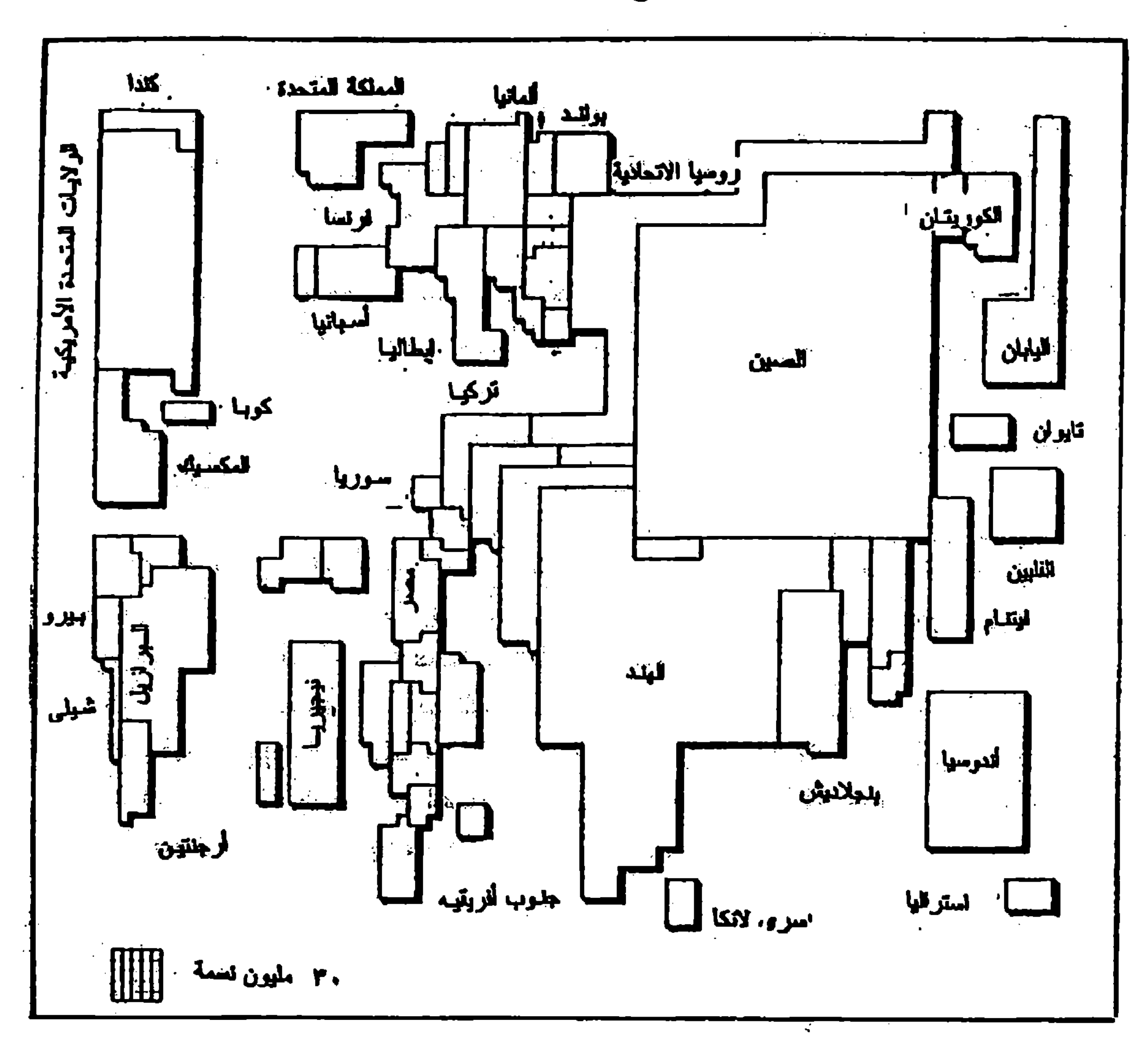
أثر الصراع السياسي على السكان:

ولابد وأن نشير أيضا إلى أن الصراعات السياسية لها دورها على السكان، منها حرص كل طرف من أطراف الصراع على زيادة السكان، فالإسرائيليون على سبيل المثال يحاولون زيادة عددهم بإستقبال المهاجرين من الخارج، نتيجة لإرتفاع معدلات الوفيات عن مستواه الطبيعى خاصة أثناء الحروب خاصة فى الأعمار المتوسطة (الشباب) لأنهم وقود الحرب، كذلك إنخفاض نسبة الزيادة الطبيعية وتأخر سن الزواج سواء بالنسبة للذكور أو الإناث بسبب غياب الشباب فى ميادين القتال، كذلك وإرتفاع نسبة وفيات الأطفال وكبار السن لسوء التغذية، وعدم توفر الدواء.

وليس أبلغ مما حدث لسكان العراق نتيجة حصاره (حصار إقتصادى) كذلك ما ينتج عن الصراع من إبادة وتهجير بالقوة أي طرد القوة المتنافسة والتي يقوم بها الطرف المنتصر (طرد الصرب للمسلمين فى البوسنة، وطرد الأثيوبيين للصوماليين من إقليم الأوجادين، وطرد اليهود للفلسطينيين بعد نكبة ١٩٤٨).

وقد تقوم عمليات نزوح *displacement* للسكان داخل الدولة لأبعاد المدنيين عن جبهة القتال، ويتم هذا النزوح طواعية من السكان أحيانا، أو نتيجة توجيه من الحكومة كما حدث من هجرة أعداد كبيرة من سكان الإسكندرية أثناء الحرب العالمية الثانية، حينما وصل الألمان إلى العلمين، وإشتد قذف الإسكندرية بالقنابل فى الحالة الأولى ، وتهجير أعداد كبيرة من سكان القناة بعد حرب ١٩٦٧ إلى الصعيد خاصة النساء والأطفال وكبار السن، وعودتهم بعد إنتصار أكتوبر ١٩٧٣ وقد يكون هذا النزوح نتيجة فرار السكان من أهوال الصراعات خاصة بين النساء والأطفال والشيوخ. كما حدث في دارفور في غرب السودان أو في السودان الجنوبي.

توزيع السكان فى العالم



توزيع السكان:

قبل دراسة التجمعات السكانية فى العالم لابد وأن نشير إلى أن عدد سكان العالم تخطى ٦ بلايين نسمة يعيشون على اليابس الذي لا يشكل سوى نحو ٣٠ % من سطح الكرة الأرضية، لأن الباقي يشغله الماء، ولا يتوزع السكان على ٣٠ % من سطح الأرض بتساوي، بل إن هذا القسم الذي يعيش فيه السكان معظمه غير صالح للسكنى، فمعظمه إما صحراوي جاف، أو جبلي شديد التضرس أو تنخفض فيه الحرارة إلى درجة التجمد، فبعد آلاف السنين من الزيادة البطيئة للسكان، تزايد المعدل خلال القرنين الأخيرين بصورة ملحوظة ، فقد تتطلب الأمر نحو ١٧ قرنا ليبلغ سكان العالم ٥٠٠ مليون نسمة، والآن فإن الزيادة التي إستغرق تكوينها ١٧ قرنا، لم يأخذ تكوينها الآن سوى عامين ونصف، لأن عدد سكان العالم يزيدون ١٠٠ مليون كل عام.

التجمعات الرئيسية:

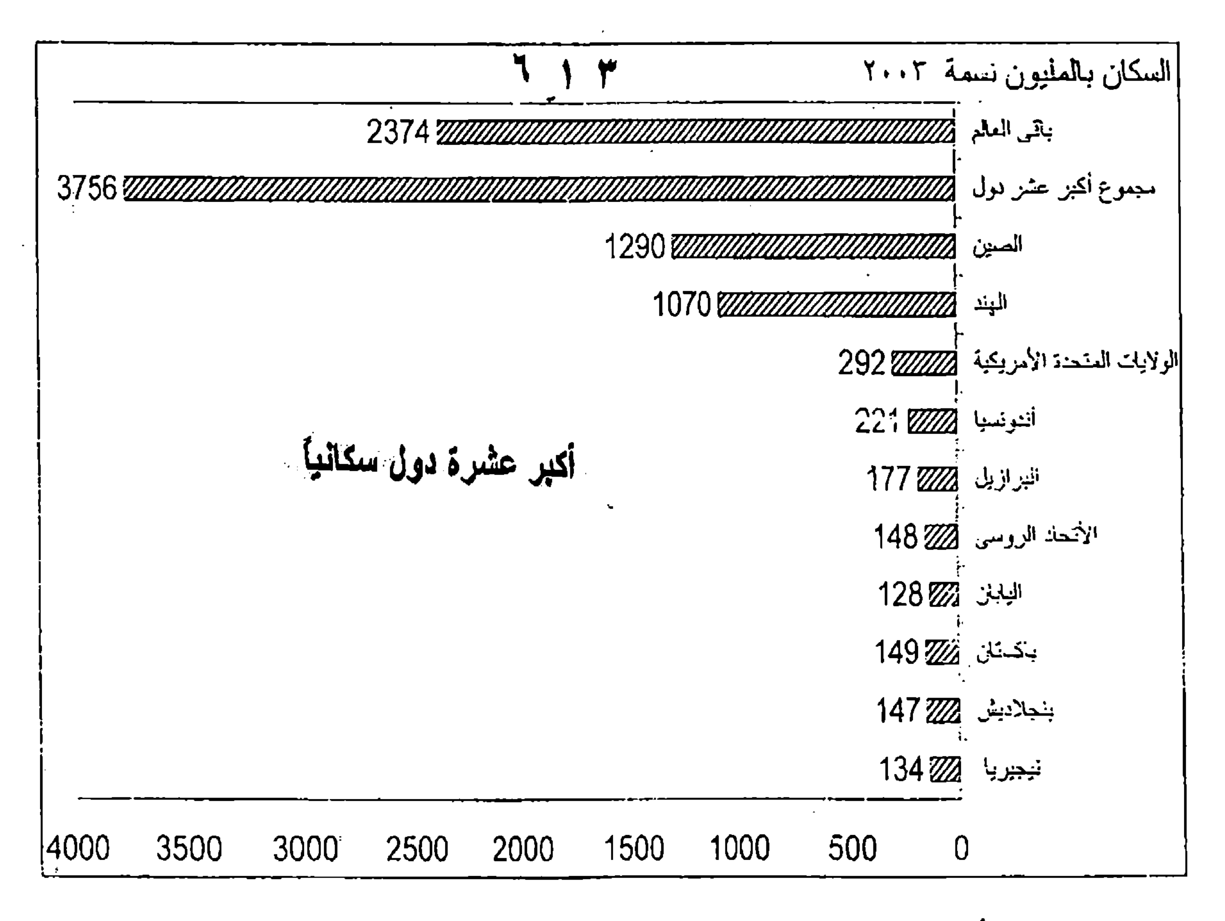
أكبر تجمع سكاني في شرق آسيا (١,٥ مليار)، ومركزه الصين والشريط الساحلي للقارة من كوريا إلى فيتنام، وتميل الكثافة إلى الإنخفاض كلما تركنا هذا الشريط وإتجهنا نحو الداخل وفى هذا الشريط (١)، (٢) يتجمع السكان فى أحواض الأنهار الرئيسية للصين، وهنا معظم السكان زراعيون بالدرجة الأولى وليسوا من الحضر، وإن كانت هناك مدن كبيرة مثل بكين وشنغهاي، إلا أن الريف يتفوق على الحضر.

والتجمع الثاني فى جنوب آسيا (١,٤ مليار) مركزه الهند وجيرانها بنجلاديش وباكستان، ويتركز السكان هنا فى حوض الجانج، ويقترب حجم السكان هنا من حجم سكان شرقي آسيا، إذا ما ظلت معدلات المواليد كما هي، ورغم أن السكان هنا مزارعون بالدرجة الأولى كما فى شرقي آسيا، إلا أن الضغط السكاني هنا أشد.

وتأتي أوربا ممثلة للتجمع الثالث على الطرف الآخر من أوراسيا ، ويقع هذا التجمع غرب روسيا ، بعدد نحو ٥٠٠ مليون نسمة ، ومحور التجمع السكانى ليس أحواض الأنهار ولكن فى نطاق الخامات والصناعة ، وأوربا من أكثر القارات حضرية ، وتجمع السكان هنا يعتمد على الصناعة وليس على فلاحة الأرض .

هذه التجمعات الثلاثة (شرقي آسيا وجنوبيها وأوربا) تضم نحو ثلاثة بلايين نسمة من مجموع السكان الذي يزيد على ٥,٦ بليون، ولا توجد تجمعات أخرى بنفس الحجم السكاني الذي يماثلها فحسب، بل ولا يصل إلى نصف مجموع عددها، فتجمع أمريكا الجنوبية وأفريقية جنوبي الصحراء وأستراليا معا يقل عدد سكانه عن سكان الهند وحدها.

وأمـــا التجمع الرابع فهو شمالي شرقي أمريكا الشمالية الذي يتضمن جنوب شرقي كندا وشرقي الولايـــات المتـــحدة الأمريكيـــة، ومع ذلك فيبـــلغ ســـكانه ربع أصغـــر تجـــمع ســـكاني أوراسى، ولا يتمـــيز بالكثـــافات العالـــية والإمتداد المتصـــل فى أقالـــيـــم الكثافـــة العاليـــة فى أسيا، ولكن يشـــبه التجـــمع الأوربي فى أن تركـــيز معـــظم الســـكان يرتبط بالتجمعات الحضرية الضخمة أكثر من إرتباطه بالـــريف المخلخـــل سكانيا، ويقع قلب التجمع الأمريكي فى ذلك المركـــب الحضري للجهـــات الســـاحلية فـــى الولايات المتحدة الأمريكية، والممتد من بوســـطن إلى واشـــنطن ونـــيويورك وفيلادلفيـــا وبلتيمور، هذا التجمع الذي إعتاد الجغرافيون أن يطلقوا عليه ميجالوبولس.



تجمعـــات أصغـــر:

وتمثل فى جنوب شرقي أسيا، فى جزيرة جاوا بســـكان نحو ١١٠ مليون نسمة، وفـــى أفريقية جنوب الصحراء فى نيجيريا وحول بحيرة فيكتوريا، وفى شمالها ممثلا فـــى مصـــر، وهـــو أشـــبه بتجمع شرقي وجنوبي آسيا حول الأنهار، أما فى أمريكا الجنوبية، فلا يوجد مثل هذه التجمعات، وتعتبر مدينة مكسيكو أكبر تجمع حضري فى أمريكا اللاتينية.

وإذا حسبنا توزيع السكان بطريقة أخرى نجد أن ٦٠ % من سكان العالم يتوزعون على عشرة دول، يزيد سكان كل منها على ١٠٠ مليون نسمة، ١٥% من سكان العالم يـتوزعون علـى ثلاثـة عشرة دولة ويتراوح سكان كل منها بين ٥٠ ، ١٠٠ مليون نسمة، أما باقى دول العالم فيخصهم ٢٥ % من سكان العالم ، ويقل سكان كل منها عن ٥٠ مليونا.

التجمعات الكبرى فى العالم (٢٠٠٣) بالمليون

شرقي آسيا		جنوبي آسيا		التجمع الأوروبي		تجمع الأمريكتين	
الصين	١٣٠٠	الهند	١٠٠٧	روسيا	١٤٨	الولايات المتحدة	٢٩٢
اليابان	١٢٨	إندونيسيا	٢٢١	ألمانيا	٨٣	البرازيل	١٧٧
فيتنام	٨١	بنجلاديش	١٤٧	بريطانيا	٥٩	المكسيك	١٠٥
كوريا الجنوبية	٤٨	باكستان	١٤٩	إيطاليا	٥٨	كولومبيا	٤٤
الفلبين	٦٧	تايلاند	٦٣	فرنسا	٦٠	الأرجنتين	٣٧
كوريا الشمالية	٢٣	ميانمار	٥٠	أوكرانيا	٤٨		
تايوان	٢٢			أسبانيا	٤١		
المجموع	١٦٦٩		١٦٣٧		٤٩٧		٦٥٥

السكان والقوة:

غـير أن فى معالجة علاقة السكان بالقوة قد تظهر مشكلة تداخل متغير السكان مع العوامل الإجتماعية والإقتصادية والسياسية، الأمر الذي يصعب معه عملية القياس مثل مصـطلح الضغط السكاني الذي ينطوي على عناصر أخرى كالموارد والمستوى الفني والسـكان المنتجيـن، فالعدد المطلق لا يدل على ما إذا كان هناك ضغط أم لا، فسكان الولايـات المـتحدة الأمريكية البالغين نحو ٢٩٢ مليون نسمة لاشك لا يمثلون ضغطا سـكانيا، على حين أن سكان مصر الذين يبلغون نحو ٧٢ مليون نسمة يشكلون ضغطا سـكانيا، ثـم عـدد السـكان الأمثل، الأمثل بالنسبة لماذا للقوة العسكرية، أم للرفاهية الإقتصادية؟ ويتجه بعض الباحثين إلى التأكيد على أهمية عامل حجم السكان فى تشكيل قـوة الدولة، ولكن من خلال ما يسفر عن هذا الحجم، وأدى هذا إلى الخروج بتنبؤات عن وقوع تغيرات مستقبلية فى هيراركية القوة الدولية، حيث تمثل الدول كبيرة الحجم فـى السـكان مركـزا أكبر، حتى لقد طرحت كل من الصين والهند وإندونيسيا كقوى عالمية محتملة.

ولكـن مسألة حجم السكان الذي يؤدى فى نظر البعض فى إزدياد حجم قوة العمل وإحـتمالات زيادة القوة العسكرية، مرتبط بحدود القدرة الإستيعابية للإقتصاد القومي،

أى القـــدرة علـــى توفـــير فرص العمل والتوسع فى الإستثمارات وكذلك فيما يختص بـــالقدرة الإستيعابية للقوات المسلحة، حيث أن هناك سقفا لا يمكن تجاوزه، فضلا عن دور المتغـــير التقنـــي، حيـــث أن التقدم التقني يصحبة تقليص القوة البشرية سواء فى الإقتصـــاد القومـــي أو فى القوات المسلحة (أنظر إلى حرص إسرائيل على أن تكون متفوقة تقنيا من الناحية العسكرية).

وهناك من يفترض بأن زيادة السكان تؤدى إلى إحتمالات زيادة التنمية الإقتصادية وهـــذا بـــدورة لايمكن التسليم به على علاتة، لأن عملية التنمية لا تتقدم دائما فى ظل تـــزايد الحجـــم السكاني فقط، فلا بد من معرفة نسبة السكان فى سن العمل، والموارد المتاحة والمستوى التقني لأن إرتفاع نسبة صغار السن (دون ١٥ سنة) معناه إرتفاع مســتوى الإعالـــة وإنخفـــاض معـــدلات الإدخـــار، وزيادة أعباء الدولة فى الخدمات الأساســية، لذلك فقد يكون الحجم البشرى مغذيا ومضيفا لقوة الدولة، وقد يكون معوقا لهذه القوة، ومع ذلك فيمكن القول بأن حجم السكان قد يكون من عوامل القوة أو عوامل الضـــعف، ولكـــن فـــى نفـــس الوقت لا يمكن لدولة قليلة السكان أن تكون قوة كبرى كسريلانكا، أو غمبيا.

ويذهـــب الـــبعض إلى أنه من المستحيل أن يصبح البلد غنيا فى سياق نمو سكاني ســـريع، ذلك أن جعل الأشخاص الجدد منتجين وعصريين، فإن هذا يتطلب إستثمارات ضـــخمة، وإذا كانت هناك أعداد ضخمة من هؤلاء الجدد ، فإن الأشخاص الموجودين ينبغـــي أن يكون لديهم الإستعداد لتقييد إستهلاكهم بشدة بغية إستثمار الأموال التي تلزم هؤلاء الجدد، فعلى سبيل المثال، فلكي يحصل أمريكي جديد على حيز سكنى متوسط، فينبغـــي إستثمار ٢٠ ألف دولار لتوفير السكن، وإلى أن يبلغ هذا الأمريكي سن العمل ســـيحتاج إلـــى أغذية تقدر بنحو ٢٠ ألف دولار أخرى، ولكي يبلغ المستوى التعليمي الأمريكـــي، ســـيتطلب نفقـــات عامة وخاصة مقدارها ١٠٠ ألف دولار ، ولكى يبلغ متوســـط الإنتاجية الأمريكية فى العمل، فإن هذا سيتطلب إستثمارات مقدارها ٨٠ ألف دولار فى مصانع ومعدات وعلى ذلك سيلزم أيضا ٢٠ ألف دولار أخرى لإنشاء البنية الأساســـية العامـــة مـــن الطرق، وصرف صحي، مياه شرب، ومطارات. أي أن كل أمريكـــي جديـــد يحتاج إلى إستثمارات قدرها ٢٥٠ ألف دولار لكي يكون بإستطاعته دخـــول الإقتصـــاد الأمريكي بوصفه مواطنا عاملا ومستهلكا عاديا لديه إكتفاء ذاتى ، ضـــربنا هذا المثل لبيان كيف أن تنشئة إنسان جديد تتكلف الكثير، وليس من اللازم أن يكـــون بالمســـتوى الأمريكـــي ولكنها إذا حسبت بأي المقاييس فهي كذلك، لأنها نسبة وتناسب!

التكنولوجيا (١) :

يختلف النوع البشرى عن بقية الأنواع الحيوانية فى قدرته على التحكم وتكييف البيئة قدر الإمكان فضلا عن إمكان إجراء تحسينات عليها.

فهناك كثير من الإختراعات ***devices*** خلقت لتحسين ما هو طبيعي، المساكن بدلا من الكهوف، الغلات المزروعة بدلا من النباتات البرية. وإختراعات أخرى زادت من قدرة الإنسان وكفاءته، أجهزة، وأدوات، وأسلحة سواء لصناعة أو لتحطيم أشياء، وسائل نقل جبارة، آلات حاسبة إلكترونية تزيد من قدرة الإنسان على التذكر (ذاكرة الإنسان) فضلا عن دقتها فى الحسابات، ومن أجل التبسيط يمكن أن يطلق على هذا " التكنولوجيا ".

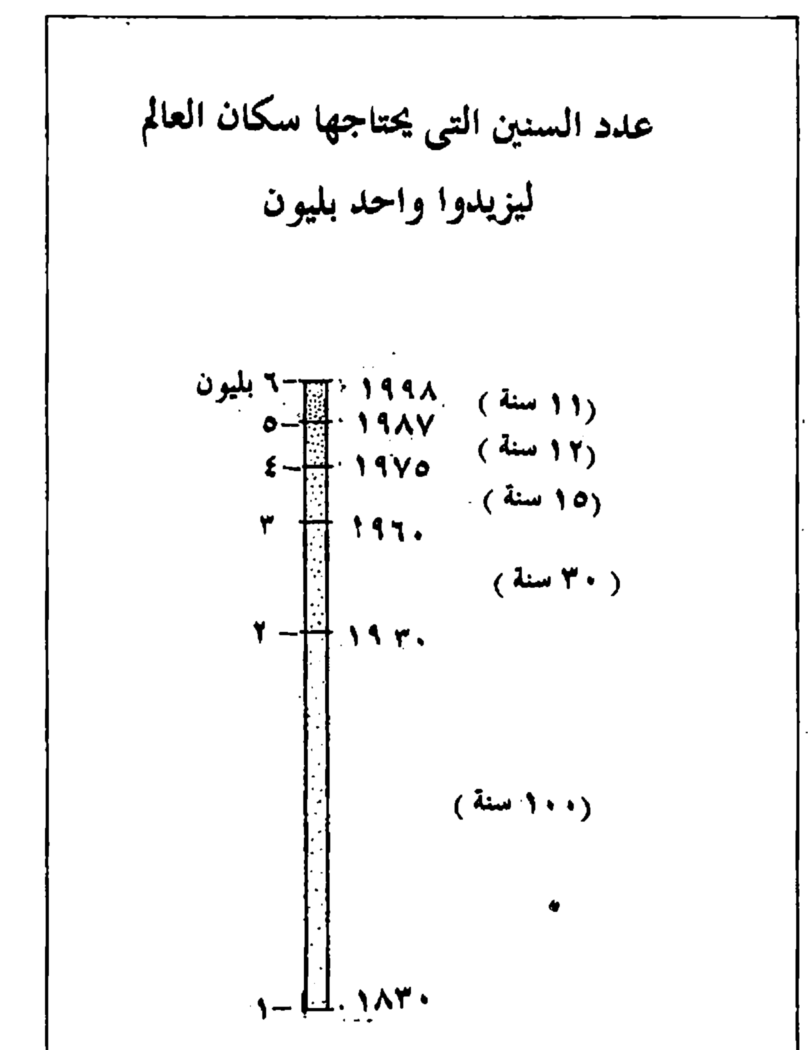
يقصد بالتكنولوجيا أو التقنية بعبارة مبسطة فن الإنتاج أي الأساليب والوسائل المستخدمة فى عمليات الإنتاج، وبالتالي يتمثل التقدم التكنولوجي فى تطوير هذه الفنون والأساليب بما يحقق التقدم، ويتم التقدم التكنولوجي نتيجة التزاوج بين البحث العلمي والإنتاج المادي. فتقدم الصناعة مثلا لم يعد يتحقق حيث توجد مصادر المواد الأولية، بل حيث توجد العقول والمهارات، فبالرغم من فقر اليابان فى الخامات، فقد إستطاعات أن تحقق نجاحا باهرا فى كثير من القطاعات الصناعية خاصة الإلكترونيات والكيماويات.

كان التقدم التكنولوجي يسير قدما عبر القرون الماضية ولكنه أصبح يقفز فى العقود الأخيرة، ويذهب الباحثون إلى القول بأن المعرفة الإنسانية تتضاعف كل خمس سنوات، وأن ٩٠ % من جميع المعرفة العلمية للبشر تجمعت فى الفترة التي أعقبت الحرب العالمية الثانية . وهذا التقدم التكنولوجي هو المسئول الأول عن كثير من التغيرات التي لا يمكن تجاهلها فى الشئون الدولية. فقد كان سكان العالم عام ١٩٣٠ يبلغ نحو الألفي مليون، بلغ ٦ آلاف عام ٢٠٠٠ ، ولم يكتف الإنسان بمسطح اليابس يخطو عليه، فوصل إلى سطح القمر، كما تعمق فى المحيطات، ويتطلع للوصول إلى المريخ.

وكان النقل الفوري للصورة والصوت إلى جميع البشر سواء كانوا فى الأكواخ أو الحقول أو القصور، له أثره فى إحساسهم جميعا بالإنتماء إلى عالم واحد، فى طرف منه يعيش أولئك الذين لا يملكون ويتطلعون إلى الإنتقال إلى الطرف الأخر، وأصبح العالم الآن يقسم إلى أغنياء يعرفون، وفقراء لا يعرفون، كل هذا كان نتيجة مباشرة للتجمع المستمر للمعرفة والتكنولوجيا فى جانب دون الأخر.

---

(١) هناك مجموعة من العوامل غير الجغرافية تسهم فى قوة الدولة : منها التكنولوجيا والدبلوماسية وغيرها ، ومع ذلك رأينا إدراجها لتكامل الدراسة.



لمــاذا يعرف عصرنا الآن العصر ما بعد الصناعة ؟

نأتــي إلــى الـثورة الأخــيرة، ثــورة مــا بعد الصــناعة وهــي ثــورة التكنولوجــيا، التي تميزت بمعــدلات فى التقدم العلمي غــير مســبوقة، ومــن ثم زادت أهمية العلم كعنصر مــن عناصــر الإنتاج، فقد زادت درجـــة الإرتـــباط وسرعته بين العلم وتطبيقه، فقــد مــرّ ٥٦ عامــا بين إكتشــاف الهاتف وتطبيقه، ٣٥ ســنه بيــن إكتشــاف الراديو وتطبيقه ، ١٤ سنة بالنســبة للتليفزيون وهكذا وترتــب على ذلك حدوث تغــير فى هيكل القطاعات الإنتاجـــية، فصــــناعة المعلومــات دفعــت بقطاع الخدمات إلى المقدمة على حســاب القطاعات السلعية بوصــفها القطـــاع القـــائد للنمو والعمالة ، وأصبح العمل العقلي لا المادي هو السلعة الرئيســية، أى أن المصـــدر الرئيسي للقيمة المضافة قد أصبح المكون التقني للسلعة، وهــي ســلعة ذات صــفات غريبة، فمن الممكن بيعها لأكثر من مشتر واحد فى ذات الوقت دون أن ينقص هذا من رصيد بائعها (قارن هذا بالسلع التقليدية !) وهي سلعة لا يمكن حجبها عن السوق إذ تتدهور قيمتها مع مرور الزمن (نظرا لسرعة التطوير - أنظــر سرعة تطور أجهزة الحاسبات، وأجهزة الكمبيوتر) بحيث بعد فترة محدودة تصبح موديلات قديمة، ويمكن أن نلاحظ ما يلي على التقدم التكنولوجي:

أولا : أن التغــيرات التكنولوجية قد تحسن أو تقلل من أهمية موقع من المواقع أو مورد من الموارد (بريطانيا والطيران).

ثانــيا : أن هــناك إخــتلافات كبــيرة بيــن الدول فى قدرتها على الحصول على

الإخـتراعات التكنولوجية وهذا يرجع إلى إختلاف قدراتها المالية وقدراتها التكنولوجية الموجودة وسياسة الحكومة والمؤسسات الأخرى.

ثالـثا : أن هـناك فـرق فى التقدم التكنولوجي بين الدول المتقدمة والدول النامية يـنعكس فى أن الدول المتقدمة تكنولوجيا وفيها ٢٢ % من سكان العالم فقط، ومع ذلك فدخـل الفـرد فيها نحو ١٠ أمثال دخل الفرد فى الدول النامية ولعل عبور الفجوة بين الأثنيـن هي مهمة جيل ما تبقى من القرن العشرين. ولكن المشكلة فى هذا أمام الدول النامـية تظهـر إذا ما علمنا أن العمليات الهندسية المتعلقة بإيجاد الأنظمة التكنولوجية تقسم إلى أربعة أقسام هي: التصميم ، التصنيع والتشغيل، والصيانة ، ولا تسمح الدول المـتقدمة بإفشاء سر العمليتين الأولتين، وفى الغالب الرابعة وهي الصيانة، إذ لابد من إستدعاء خبير من الشركة الصانعة لبحث العطل وإصلاحه وكل ما يمكن أن تسمح به الـدول المـتقدمة هـو تدريب أبناء الدول النامية على تشغيلها، ولكن تظل التبعية فى النهاية للدول المتقدمة.

رابعا : التغير فى مكونات وعناصر قوة الدولة نتيجة للتطورات التكنولوجية والتي أدت إلـى إزديـاد وأهمـية المكون المصرفي للعمليات الإنتاجية على حساب المكون المـادي، ولعل من أهم التطورات الدولية المعاصرة (فى هذا السبيل) هو ما أحدثته التكنولوجـيا الحديثة من تضاؤل الأهمية النسبية للموارد فى قيمة الإنتاج (ليس معنى هـذا فقـدان أهميـتها) فقد ظهر العديد من الموارد المختلفة والمستخدمة من عناصر رخيصة ومتوافرة، ومن ناحية أخرى فإن القيمة المضافة المترتبة على العمل، وخاصة العمـل التقنـي والبحث والتصميم، أصبحت تتجاوز ما توفره المواد الأولية فى قيمة السـلعة، بمعـنى أخر كانت للموارد الدور الأول والقدح المعلى فى قيام الحضارة فى مصـر والهـند والصين، ومنذ أن كانت الزراعة هي قمة الحرف إنتاجا، ثم بريطانيا وألمانيا والولايات المتحدة الأمريكية فى عصر الصناعة لفقر الفحم والحديد، ولكن الأن بعـد عصـر الصناعة، أصبحت الولايات المتحدة الأمريكية وألمانيا واليابان، والنمور الأربعة (تايوان، هونج كونج ، سنغافورة، وكوريا الجنوبية)، والدول الخمس الأخيرة تكاد تكون عارية من المواد الأولية والطاقة اللازمة للتصنيع الكبير.

لا عجـب إذن أن تـأتى الترتيبات الأخيرة للجات لتخصيص حماية كبيرة لحقوق الملكية الفكرية، لأنها أصبحت مصدرا هاما للثروة الإقتصادية.

أصـبح الإسـتيلاء على الموارد الإقتصادية له طرق غير الإستيلاء على الأرض وإحـتلالها، بـل هـناك أساليب عديدة غير متطورة لتحقيق السيطرة الإقتصادية دون الحاجة إلى السيطرة المباشرة على هذه المصادر، فالتأثير والسيطرة الإقتصادية يتحقق بدرجة أكبر عن التأثير فى الأسواق المالية وأسعار الصرف، وأسعار الفائدة وتحركات رؤوس الأموال، وتوفير المعلومات، وبراءات الاختراع، وبصفة عامة مختلف أشكال الأسـاليب غير المتطورة والمؤثرة فى سلوك الأفراد والجماعات ، فيرى البعض مثلا أن تفكـك يوغسلافيا السابقة كان فرصة ذهبية لمختلف القوى الأوربية للتوسع وكسب

مزيد من الأرض على حساب الدولة المنهارة، ولكن ذلك لم يحدث.

خامسـا : النزاعات الإستراتيجية للتطورات فى مجالات التسلح وعلاقتها بظواهر الـردع والتوازن الدولي الناجم عن الإرتفاع الشديد فى القدرة التدميرية للأسلحة ، وما نتج عن ذلك من ظهور أبحاث وأنماط جديدة للصراع الدولي كالحروب المحدودة .

سادسـا : تأثـير الـتطورات التكنولوجية على عملية صنع القرار السياسي والتي أتاحـت لصـانع القرار أن يقوم بأجراء تقدير دقيق لمواقف الأطراف المختلفة فى أي تفاعل دولي.

سـابعا : أن الـتقدم التكنولوجي يمكن أن يتم بواسطة الأبحاث المشتركة لعدة دول مجـتمعة، ذلك أن بعضها يتطلب إستثمارات ضخمة كما هو الحال فى أبحاث الفضاء بحيث لم يتم القيام بها سوى الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي (سابقا)، وتقوم بها كل مـنفردة. والدول تقوم وحدها بأبحاثها أو مع غيرها أو قد تستوردها من الدول الأكثر تقدما على هيئة آلات وخبراء.

وتعـد مؤسسة "إير باص" وهي مؤسسة لإنتاج الطائرات المدنية تمتلكها الحكومات البريطانـية والفرنسية والألمانية والأسبانية، تعبيرا عن إستراتيجية على نطاق أوروبي لكسر الإحتكار الأمريكي وإعادة أوربا إلى صناعة الطائرات، وقد نجحت فى الإستيلاء على ٢٥ % من سوق الطائرات وأعلنت عن خطط للإستيلاء على ثلث السوق العالمية بعد سنوات معدودة، لكن ذلك النجاح تطلب إستثمارات حكومية مقدارها ستة وعشرون مليار دولار!! وكان هذا معناه إنخفاض حصة بوينج الأمريكية.

وفـى الوقـت الحاضر هناك ثلاثة مراكز أو مجموعات مسئولة عن معظم التقدم التكـنولوجى الـذي يشهده العالم وهي الولايات المتحدة ، غرب أوربا ، اليابان. ومنذ قـرن مضـى كان لغرب أوروبا والولايات المتحدة شبه إحتكار فى هذا الميدان، ومنذ قرنين من الزمان كان هذا الإحتكار من نصيب بريطانيا، وفرنسا، وهولندا.

وحتى تصبح الدولة قوة ذات بأس ، فلا بد وأن تكون متقدمة تكنولوجيا ، وقد يبدو أن هـذا الأمر يقتصر على يومنا هذا، ولكن أهميته كانت معروفة أيضا فى الماضي، حـتى البعـيد منه، فليس من شك أن الجماعات ذات الأسلحة الحجرية، وأن أصحاب الحديد كانت لهم الغلبة على أصحاب البرونز، ولكن هذه ليست قاعدة مسلم بها فى كل الأحـوال، فلـيس من شك أن الولايات المتحدة الأمريكية كانت متقدمة تكنولوجيا فى الثلاثيـنات (بالنسـبة لعصـرها) ولكـنها كانـت ضعيفة عسكريا نظرا لأن التقدم التكنولوجـي لم يكن موجها لخدمة السلاح، على العكس الحال حيث إستثمرت كل من الولايـات المـتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي السابق أموالا طائلة فى ميدان البحث العلمـى الخاص بالأسلحة ومحاولة كل منهما أن يسبق الأخر فى الحصول على سلاح أشد فتكا.

ثامنا : نستدرك ونقول أن الإنسان كان وسيظل أبدا، العامل الأول فى صراع البقاء وسـباق الـتقدم، وإن بـدا فـى ظاهر الأمر أن صراع البقاء لا يعرف غير الأسلحة الجديـدة، وأن سباق التقدم محكوم بأسباب القوى المادية والتفوق التكنولوجي، ومع أننا لا نغـض من خطر هذا كله وجدواه، ولكن الإنسان هو الذي يبدع الحضارة ويصمم الآلات ويضع الأجهزة، ثم أنه بغير الإنسان ، تتعطل الأسلحة نووية وغير نووية، لأنه الذي يعطى السلاح قوته وفاعليته، وبغير الإنسان، لا تعدو الأجهزة العصرية أن تكون صـماء، لأنـه وحـده الذي يديرها، وهو الذي يوجه العقول الإلكترونية ويتحكم فى الكهرباء والذرة والكمبيوتر ويغزو الفضاء، من ثم تعلو قيمة الإنسان فى ميزان القوى.

عدد مستخدمي الإنترنت على المستوي العالمي عام ٢٠٠٠

الإقليم	عدد المستخدمين بالمليون	% المجموع على المستوي العالمي	% عدد السكان
العالم	٤٠٧	١٠٠	٦,٨
أفريقية	٣	٧ر	٠,٤
آسيا	١٠٥	٢٥,٨	٣
أوروبا	١١٣	٢٧,٨	١٤,١
الشرق الأوسط	٢	٠,٥	١,١
أمريكا اللاتينية	١٧	٤,٢	٣,٢
الولايات المتحدة الأمريكية وكندا	١٦٧	٤١	٥٣,٩

لاحـظ أن أوروبـا وأمـريكا الشمالية تستحوذ على ٦٨% من مستخدمي الإنترنت في العالم.



الفصـــــــــل الأول

المـــــوارد والقـــوى

Resources and Power

ظهـــرت بعض أدبيات إقتصادية تقول بقلة أهمية الموارد نسبيا عن ذي قبل، ولكن نرد عليهم بسؤال هو هل لو كانت الكويت منتجة للجزر بدلا من البترول، هل كانت الولايات المتحدة الأمريكية ومن ورائها العالم المتقدم ستحشد ما حشدت من قوة وبأس لصد العدوان العراقي على الكويت ثم كان غزو الولايات المتحدة الأمريكية للعراق واحتلاله كان للبحث عـــن أســـلحة الدمــــار الشامل أم لم يثبت وجودها، أم لأن العراق صاحب ثاني احتياطي بترولي في العالم.

تعــريف المـــوارد: عـــرف ستيفن جونز الموارد بأنها " كل ما تملكه الدولة أو يمكنها الحصـــول علـــيه لتنفيذ إستراتيجيتها ". وهو تعبير غير محدود كما ترى ولكننا سنحاول إعطاء أمثلة موضوعية لتقييم الموارد المفيدة لقوة الدولة.

لعلـــه من الأمور المستحيلة تقدير كفاءة السكان وتأثيرهم، دون بحث ومناقشة الموارد التـــي بين أيديهم، فلا بد للسكان من أرض يعيشون عليها ويزرعون فيها غلاتهم، ويربون حيواناتهم، وتنتج الأرض معظم الغذاء الإنساني بطريق مباشر أو غير مباشر.

وتـــتوقف طبيعة التربة وسمكها على نوعها وعلى درجة إنحدار الأرض وغيرها من الأمور التي تدرس في الجغرافيا الإقتصادية، ولذلك فيجب إعتبار التربة الصالحة للزراعة كأول مورد قومي يجب دراسته والعناية به. وتوجد الثروة المعدنية في الطبقات السفلي أي أسفل التربة، في التكوينات الصخرية، فهذه الصخور في الحقيقة مكونة من معادن، وبعض هـــذه المعادن ضروري سواء للإستخدامات السلمية أو الإستخدامات الحربية. وتشمل هذه المعـــادن الـــرمل والحصى والحجر الجيري والطين وهذه الأشياء التي تبدو قليلة الأهمية لا غـــنى عـــنها فـــي تشييد الأبنية الضخمة والكباري التي تراها. كذلك تشمل الفوسفات والنـــترات وهـــذه لازمـــة للصـــناعات الكيماوية المختلفة وتدخل في كثير من المنتجات الصـــناعية، وكذلـــك تعتبر جميع موارد الوقود سواء سائلة أو صلبة ضمن هذه المعادن، فجميع أنواع الفحم من الأنتراسيت إلى البيتومين واللجنيت واللبد النباتى عبارة عن معادن، وكذلك الحال في البترول والغاز الطبيعي الذي يعتبر بترولا في حالة غازية، من ثم كانت الخامات التي تشتق منها هذه المعادن ذات أهمية كبرى في تقييم قوة الدولة، لأن الصناعة الحديـــثة والأسلحة الحديثة، لا يمكن أن تقوم بغير الخامات المعدنية، وتبدو بصفة خاصة أهمـــية خامـــات الحديد، والزنك، فضلا عن المعادن النادرة، كالمنجنيز والكروم والفانديم والنيكل والليبدين التي تستخدم في تحسين خواص الصلب، ولا ننسى المركز الإستراتيجي

والسياســي الذي تشعر الدولة ذات الإحتياطات البسيطة من الخامات المعدنية الضرورية بضعف مركزها.

ولــيس من شك أن القليل من المعادن ما يمكن إستخدامه مباشرة، أما معظمها فيحتاج إلى صهر للخامات وتكسير، وأحيانا إلى شئ من التصنيع لجعلها صالحة للإستعمال . وأما المــوارد التــي يســتلزم أستغلالها مد الخطوط الحديدية وبناء المصاهر الضخمة مما قد يقتضي عدة سنين فهي لا تسعف في الحقيقة عند الضرورة العاجلة.

فــإذا إتخذت السلطات المسئولة قرارا سياسيا معينا الآن، فمعنى هذا أنها في حاجة إلى تدعيم مواردها الحالية لا في المستقبل. أما الموارد التي تحتاج إلى سنين لإستغلالها، فهذه يمكــن أن تعقــد علــيها مشروعات المستقبل، من ثم لابد من تكامل التخطيط والموارد، ولاشك أن القرارات السياسية قد تؤجل حتى تصل الدولة إلى مرحلة آمنة. من ثم لابد من تنمــية الموارد وجعلها صالحة للإستخدام قبل أن تحسب ضمن عناصر القوة للدولة. وهذا يقتضي وجود شبكة من الطرق لجلب الخامات إلى المصانع التي توجد في أنسب المواقع . وإذا كانــت درجــة الــنمو الصناعي للدولة كبيرة الأهمية في وزنها السياسي، فأنه يجب الإشــارة إلى أن جميع الصناعات لا تعتبر بدورها من عناصر قوة الدولة، أي تساعد هذه الدولــة على فرض سياستها على دولة أخرى، أو مقاومة سياسة دولة أخرى عليها، ففي كثير من المجتمعات الثرية، نجد أن المصانع تخرج سلعا كثيرة للإستهلاك الداخلي، وهذه الســلع أهميــتها بالتالي ضئيلة، إذا نظرنا لها من جانب دراستنا ، فليس من شك أن كثرة الســيارات تســاعد علــى ســرعة نقل السكان في الإتجاهات المختلفة ، ولكن ليس من الضــروري لتقوم بهذه العمليات ، أن تظهر عليها الكماليات ، التي نراها اليوم . مثل هذا المجــتمع لــيس من الضروري أن يكون أكثر قوة من مجتمع آخر ، يأخذ نفسه بشئ من التقشــف . فالإستهلاك المبذر ليس دليلا على قوة الدولة ، وإنما يدل على وجود المصانع التــي تقوم بعمل هذه الكماليات، وإن كان مصنع التليفزيون مثلا يمكن أن يتحول بعد شئ مــن الوقــت والمال، إلى مصنع للمعدات الإلكترونية. كالمحولات والراديو وغيرها التي تضــيف فعــلا إلى قوة الدولة. وهنا تزيد أهمية المصنع وقيمته كلما كان تحوله إلى إنتاج المعــدات الحربــية أسرع. وقد قسم الأستاذ ***Stephen Jones*** الموارد بحسب درجة تيسيرها إلى الأقسام الآتية:

١- موارد ميسرة:

موجــودة فعــلا وتشمل المناجم المستغلة فعلا والمصانع العاملة والتي تنتج السلع ذات القوة الفعالة كألواح الصلب والكيماويات .

٢- موارد موجودة معطلة ولكنها في حاجة إلى تشغيل:

وتدخــل فيها المناجم والمصانع التي لا تعمل في إنتاج السلع، وتضيف إلى قوة الدولة، وتــتراوح الفــترة المطلوبة لإستغلالها بين عدة أيام وعدة أسابيع، فمصنع صلب متكامل يحتاج إلى عدة أسابيع، قبل أن يبدأ إنتاجه الفعلي.

٣- موارد تتيسر ولكن بعد تحويلها:

كمصنع سيارات يمكن أن يتحول إلى مصانع عربات مصفحة وجرارات، ولكن هذا يأخذ شهورا لتغيير كثير من الآلات أو إضافة آلات جديدة محلها، وينطبق هذا على إنتاج كثير من مصانع السلع الإستهلاكية.

٤- موارد تتيسر بعد شئ من التنمية :

كأستغلال حقول بترول أو رواسب خامات معروف وجودها، ولكنها غير مستغلة في الوقت الحاضر، ولكن فتح مناجم جديدة وإستغلالها لاشك يستغرق سنوات، فأستغلال منجم للفحم، وخاصة إذا كانت طبقاته بعيدة يحتاج إلى مايتراوح بين أربع وخمس سنوات. ومن ثم تؤخذ مثل هذه الموارد في الإعتبار قبل إصدار القرارات السياسية: فقرار إعلان الحرب مثلا يأخذ بعين الإعتبار الموارد الميسرة بسرعة، وإذا كان هناك تقدير لحرب طويلة فيجب أيضا البدء بإستغلال الموارد التي تأخذ وقتا طويلا قبل أن تسهم في قوة الدولة. فمد الطرق الكبيرة كطريق ميانمار أو طريق ألاسكا عبارة عن زيادة في الموارد، وكانت ذات فائدة كبيرة وقت الحرب، كذلك إستغلال ألمانيا لخاماتها من الفحم مثل آخر جيد لإستغلال الموارد وقت الحرب، بل وكان شراؤها للنحاس هي واليابان إستغلال موارد الغير لصالحها.

٥- موارد محتمل أو يفترض وجودها:

من الفحم والبترول وغيرها من المعادن وهذه لا يمكن الإعتماد عليها إلا نتيجة أبحاث جديدة يمكن وضعها ضمن موارد القسم الرابع.

٦- وهناك نوع أخر من الموارد يختلف عن التي ذكرناها سابقا ، ففي بعض الأحيان تملك الدولة أرصدة لها في الخارج كأستغلال لأموال لها في دولة أجنبية، وعادة ما تحاول الدولة الإحتفاظ به كأرصدة ، ولكنها قد تضحي به في سبيل الحصول على موارد ضرورية لها. فقد باعت بريطانيا مثلا أرصدتها الأجنبية في سبيل شراء موارد خلال الحربين الأولى والثانية. وكذلك باعت بعض القواعد لها في الكاريبي في سبيل شراء قاذفات قنابل كانت في أشد الحاجة إليها عام ١٩٤٠ أكثر من حاجتها لمساحات صغيرة من الأرض في جزر الهند الغربية. وهذا النوع من الموارد يطلق عليها رصيد ***Fat*** كالأرصدة العربية في الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا، ونادى البعض بأنه يمكن للدول التي تحتفظ برصيد ضخم من الدولار أن تبيعه بعملات أخرى، من ثم يصبح الدولار عملة غير مرغوبة. وبالتالي يتدهور سعره على حين ترتفع قيمة العملات الأخرى مما يحدث أرتباكا للإقتصاد الأمريكي. وهناك مورد آخر يطلق عليه الفاقد ***Slack*** وهو الإستخدام الكامل للموارد وينطبق هذا بصفة خاصة على عنصر العمل، ويمكن بتشغيل المصنع مدة الأربع وعشرين ساعة التي يعملها في الأسبوع، وذلك بزيادة عدد الورديات ***Shifts*** وهذا ما يحدث فعلا وقت الحرب لتعويض العمال الذين ذهبوا للخدمة العسكرية.

ومن الدول التي تعتمد إعتمادا كبيرا على الموارد الخارجية لإقامة بنيانها الإقتصادى بل والسياسي لاشك ستأتى إسرائيل، فالمعونات الأمريكية لإسرائيل لا تنتهي إقتصاديا وعسكريا، كذلك أجادت الحركة الصهيونية إستثمار ماحدث لليهود في الحرب العالمية الثانية على يد هتلر والنازية، وضخمت ما حدث، وأصبحت كلمة " هولوكست " أشبه بالسوط الذي تجلد به الصهيونية كل يوم الضمير الغربي، وتبتز بإستخدامه الدول الأوربية، والمثال على ذلك الضغوط التي مارستها على ألمانيا كي تدفع تعويضات باهظة، وقد كشفت ألمانيا لأول مرة عام ١٩٩٦ أن إسرائيل وصلها حتى عام ١٩٩٥ مبلغ ٧٠ مليار دولار كتعويضات، وأنها ستصل عام ٢٠٣٠ إلى ٨٨ مليار دولار!

وتعتبر قدرة الدولة على التغيير السريع من الإنتاج غير الضروري إلى الإنتاج الضروري دليلا على مرونة إقتصادها، ولا يقتصر هذا التغيير على المصانع بل يتعداه إلى الأرض بتحويلها من مراعى إلى أرض زراعية. وأخيرا يجب أن نشير إلى نوعية الإنتاج في حالات الضرورة والطوارئ فهل يستمر الإنتاج في هذه الفترة كما كان قبلها؟ وهل تزداد ساعات العمل دون أن يصيب العمل بعض الإهمال ويصاب العمال والآلات بالإنهاك؟ الواقع أن الإنتاج يقل نوعه، وينخفض مستواه، نتيجة هذه الظروف الطارئة، وهذا بدوره من الأمور التي يجب عمل حسابها في تقدير إمكانيات الدولة.

الموارد الغذائية:

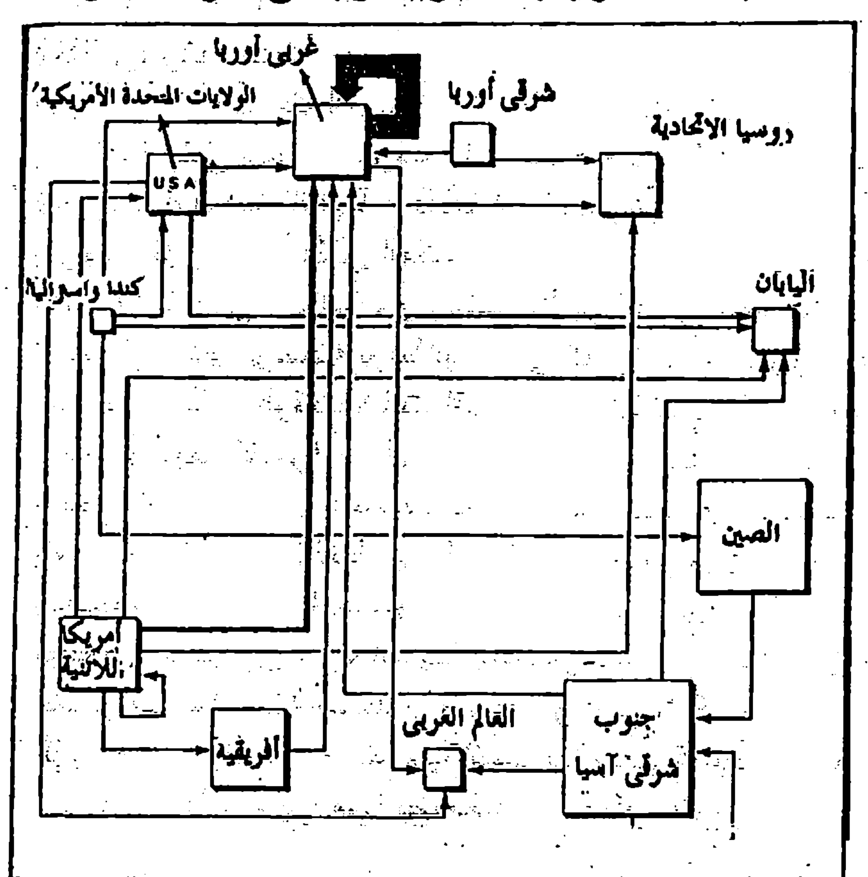
يعتبر توفير قدر مناسب من الموارد الغذائية للشعب من الأمور الأولية التي تعنى بها الحكومات. وإذا كانت الموارد الغذائية غير كافية إبان السلم فأولى بها ألا تكفي السكان وقت الحرب، وعندما يصعب النقل ونقل المعاملات الخارجية ويتحول جزء من الأيدي العاملة المنتجة لها إلى الإنتاج الحربي. وفي هذا المجال لابد من الإشارة إلى أنه لا توجد دولة ذات اكتفاء ذاتي في الموارد الغذائية، لأنه لا توجد دولة كبيرة بالدرجة التي يتوفر فيها تنوع كبير في البيئات، مما ينتج عنه تنوع نمط الموارد الغذائية التي تطلبها كلها.

وتعتبر فرنسا والولايات المتحدة الأمريكية في هذا المجال أحسن من غيرها من حيث الاكتفاء الذاتي، ومع هذا فليس منها ما ينتج غلات المنطقة الاستوائية. فقصب السكر ليس من الغلات الرئيسية في أى من هذه الأقطار وإن كان يزرع في الثانية بتكاليف كبيرة. ولكن يمكن لهذه الوحدات أن تعيش في إكتفاء ذاتى لفترة من الزمن وقت الضرورة، وإن كان معنى هذا أن الطعام في هذه الفترة سيصبح رتيبا، فضلاً عن ضرورة ظهور البطاقات التموينية، وعلى عكس الدول السابقة نجد المملكة المتحدة والسويد والنرويج وبلجيكا وألمانيا الغربية تعتمد كلها على الخارج في إحتياجاتها الغذائية. ذلك أن بريطانيا تستورد نحو نصف مجموع استهلاكها من الموارد الغذائية، قد يزيد الإنتاج بعض الشيء في هذه الفترات، ولكن هذا لا يتم الا بفلاحة الأراضي الحدية، والتي يجب أن تترك بضع سنوات لتعود إلى المراعى الطبيعية. ويتميز كل من الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة بوجود أراضى فسيحة لاتساع مساحة الأراضي الزراعية وإمكان زيادة الإنتاج الزراعي. وهذه الأراضي هي المعروفة بأسم الأراضي العذرا. ولكن هذا لا يمكن تطبيقه على بقية

أقطـــار العـــالم، فمعظمهـــا ليس لديها فائض من الأراضي بهذه الصورة، وإذا وجد فإن الظروف المناخية وظروف التربة تحد الإنتاج فيه.

ويجـــب أن نعـــترف بـــأن اعتماد أقطار العالم بدرجة أو بأخرى على استيراد المواد الغذائـــية من العوامل التي تحسب على الدولة لا للدولة، ذلك أن الحصار المستمر الناجح يمكن أن يمنع عن الأقطار المدد الغذائي، وقد حدث هذا فعلاً أثناء الحروب الأخيرة ، ففي الحرب العالمية الأولى استطاعت الغواصات الألمانية تقليل الإمدادات الغذائية إلى بريطانيا حـــتى كادت تشرف على مجاعة، وكان هذا الحصار أقل حدة في الحرب العالمية الثانية، ذلـــك أن الطيران أمكنه حماية قوافل البحرية بدرجة كبيرة، وعلى العكس أصبح من أهم أهـــداف الحلفـــاء قطع الإمدادات عن ألمانيا. والأمثلة كثيرة على عمليات الحصار، ومنها الحصـــار الذي فرضته بريطانيا على القارة أيام الحروب النابليونية، ولكن القارة في ذلك الوقـــت كانـــت أقرب إلى الاكتفاء الذاتي بحيث لم يؤثر هذا الحصار فيها كثيرا، بل على العكـــس شـــجع هـــذا الحصار على زراعة البنجر ليحل محل القصب كمادة خام لصناعة السكر الذي أصبح من المتعذر إنتاجه. ولعل بريطانيا هي أكثر دول القارة تأثرا بالحصار، وذلـــك بحكـــم كونها مستوردة لجزء كبير من مواردها الغذائية، وبحكم موقعها الجزرى، وإحاطـــتها بالبحار. مما يجعل من الخطورة بمكان حصارها بواسطة أسطول قوى. وعلى العكس روسيا الإتحادية تعتبر أقلها تأثرا بالحصار بسبب إتساعها وتنوع بيئتها من ناحية، وأمتداد حدوده إمتدادا كبيرا مما يضعف من عملية الحصار.

الإتجاهات الرئيسية للتجارة الدولية فى المواد الغذائية



الموارد المعدنية:

لا توجد دولة إلا وفيها جزء صالح للزراعة، ولا توجد دولة (بإستثناء الدول القزمية) لا تنتج ما يقرب من نصف إحتياجاتها الغذائية، غير أن الأمر يختلف بالنسبة للموارد المعدنية : فتوزيعها أقل إنتظاما بكثير من توزيع الأراضي الزراعية. فقد كانت الطبيعة متطرفة للغاية في توزيعها لهذه الموارد في قشرة الأرض، فلا توجد دولة على الإطلاق لديها اكتفاء ذاتي. فإذا كان الحديد منتشر إنتشارا كبيرا فإن معظم إنتاج النيكل يخرج من ثلاث دول فقط (٨٧ %) من كندا ونيوكليدونيا وروسيا، بينما تنتج الولايات المتحدة وحدها ٨٩ % من إنتاج المولبدنم، كما تنتج ٩٠ % من فانيديم، وتنتج الصين وحدها ٥٥ % من التنجستن (الوفرام) وتنتج ٥ دول ٨٠ % من الإنتاج العالمي للمنجنيز وهي روسيا الإتحادية والهند والبرازيل وجنوب أفريقيه وغانا . من ثم كان هناك تبادل كبير في هذه المعادن أو تجارة عظيمة سواء في معادن الوقود أو المعادن الفلزية. ويختلف الموقف بالنسبة للموارد المعدنية من عدة نواحي عن الموقف بالنسبة للموارد الغذائية.

فأولا : الأرض إذا ما وجدت العناية والتسميد الكافي ستستمر في الإنتاج دون تغيرات كبيرة، على العكس نجد أن المناجم فانية مستهلكة، وأى تكوينات معدنية إذا إستمر إستهلاكها فبعد مدة من الزمن لابد وأن تفنى، وهذا العامل لابد وأن يعطى هذا النوع من الموارد صفة عدم الثبات والإستقرار، وتصبح هناك حاجة ملحة لإستمرار البحث عن المعادن.

ثانيا: أن الموراد الغذائية نفسها تتعرض للتلف، حقيقة أن القمح والحبوب الأخرى يمكن تخزينها لعدة سنوات، ولكن هذا يقتضى درجات حرارة ورطوبة معينة إلى جانب حماية من الحشرات والقوارض. وعلى العكس يمكن تكديس المعادن فوق بعضها ومعظمها لن يصيبه ضررا إذا ماترك مكشوفا معرضا للأحوال الجوية، هذان العاملان يعدلان لا شك في قيمة الموارد المعدنية .

وإذا كانت الإمكانات الزراعية تتوقف على نوع التربة والظروف المناخية، فإن الإمكانات التعدينية تتوقف على نوع الصخور، وليس لها علاقة بالمناخ الحالي. وبينما يعمل نحو نصف القوى العاملة في العالم بالإنتاج الزراعي، فإن من يعملون في التعدين نسبتهم قليلة حتى في الدول التي تعتمد على التعدين بصورة كبيرة مثل ليبيا، وفنزويلا، وجنوب أفريقية، ويحتاج التعدين إلى إستثمارات ضخمة وعدد قليل من الكفاءات الممتازة التي تتقاضى أجورا مرتفعة، ويمكن أن نضيف أيضا أن التعدين تقوم به شركات ضخمة، وأحيانا متعددة الجنسية ***Multinational*** وأحيانا تقوم به الدول في ظل التأميم، ولا مجال فيها للمشروعات الصغيرة أو للهواة. وتستهلك الدول النامية والمتقدمة الحاصلات النباتية غذائية أو خامات بصورة لا نقول متعادلة ولكنها متفاوتة ولكن ٩٠ % من إستهلاك المعادن من نصيب الدول المتقدمة وحدها التي تضم نحو ٣٠ % فقط من سكان العالم، ولذلك تبدو حساسية المعادن من الناحية الإستراتيجية عن الإنتاج الزراعي.

وأخـــيرا يمكن أن نذكر أن إمكانات العالم الزراعية أصبحت معروفة، وإن كان التقدم التكنولوجي قد يأتي بجديد، ولكن قشرة الأرض وما تحت الطبقات السطحية لم تتم دراسته بالكامل، وكل يوم يأتي بجديد وغريب في ميادين التعدين ليبيا: البترول النيجر: اليورانيوم فضـــلا عن الإمكانات التعدينية الضخمة لدول الكمنولث الآسيوية التي ظهرت بعد الحرب الثانية وبترول بحر الشمال بالنسبة لبريطانيا.

موارد الوقود :

وهــذه أكثر إنتشارا في توزيعها (سواء البترول أو الفحم بأنواعه أو الغاز) عن بقية المعـــادن الفلزية، ومع هذا نجد أن أكثر من مائة دولة مستقلة ليست لديها تكوينات فحمية، وهــناك ثمـــانون دولة غير منتجة للبترول فهناك ستة أقطار منتجة لنحو ٨٢ % من فحم العـــالم وخمسة أقطار منتجة ٧٦ % من بترول. وهذا لاشك له آثاره الكبيرة على الأقطار غير المنتجة لموارد الوقود.

قــد يــؤدى هذا إلى تنمية موارد أخرى للوقود عادة بتكاليف باهظة أو باستيراد وقود الخـــارج، وبالتالي الإعتماد الكبير على الخارج فيما يختص بمواد حيوية كهذه. والأقطار الوحيدة التي يمكن أن تعتمد على مواردها الفحمية المحلية هي الولايات المتحدة الأمريكية والاتحـــاد الســوفيتي والمملكة المتحدة وألمانيا الغربية وبولندا. وعلى الطرف الآخر نجد الـــدول الإســكنديناقية وجمهوريـــة أيرلند وأقطار الشرق العربي ومعظم أفريقية وأمريكا الجنوبـــية تقل فيها التكوينات الفحمية، وهناك دول وسط بين الطرفين كفرنسا التي ينقصها بعـــض أنـــواع الفحم. وقد إتجهت بعض الأقطار إلى تنمية مواردها من الطاقة الكهربائية المائـــية كـــبديل للنقص في موارد الوقود الأخرى، وظهر هذا في الأقطار القليلة الموارد الفحمية كسويسرا والنمسا وإيطاليا وفرنسا والأقطار الإسكندينافية.

وفيما يختص بالبترول نجد أن أي تقدير لكمياته وإحتياطاته عرضة للتغير من حين إلى حيـــن مـــع تقـــدم وزيادة الأبحاث البترولية. وإذا كان من المرجح وجود إحتياطات كبيرة بالقرب من سلاسل الروكى والأنديز في العالم الجديد ، وأطلس والكربات والقوقاز وأورال وزاجـــروس فضلا عن جنوب شرق آسيا، فإن هناك مساحات كبيرة فقيرة في هذا المورد كأفريقـــية جنوب الصحراء والنصف الشرقي من أمريكا الشمالية ومعظم البرازيل فضلا عـــن القـــارة الأوربـــية ذات التكوينات البترولية القليلة، من ثم كانت التجارة الدولية في البـــترول ومشـــتقاته على درجة كبيرة من الأهمية إذ لم تكن أكثر أهمية من تجارة الفحم، والعـــالم العربـــي والبحر الكاريبي هي أقاليم التصدير الرئيسية، بينما تعتمد أقطار غرب أوربا إعتمادا كبيرا على بترول هذه الأقاليم، كما بدأت الولايات المتحدة الأمريكية بدورها تســـتورد من بترول المنطقة. وذلك للإحتفاظ برصيدها البترولي الذي طالما إستهلكت منه الكثير. ونظرا لإن البترول مادة إستراتيجية ضرورية للنقل والصناعة، أصبح وضع الدولة البترولي من العوامل التي توضع في الإعتبار، ولعل أبلغ مثل يوضح هذه الحالة هو أزمة السويس وتعطيل خطوط الأنابيب في سوريا عام ١٩٥٦، مما أدى إلى ظهور نقص خطير فـــي وقـــود أوربـــا. وكذلك البترول في الحرب العربية الإسرائيلية بعد ٦ أكتوبر ١٩٧٣

وتخفيض الدول العربية لإنتاجها من البترول، بل ومنع بترولها عن الدول المساندة لإسرائيل مما أسفر عنه فزع أوروبا وأمريكا الشمالية، حتى أن هولندا نفسها، التي قامت بتأييد إسرائيل رسميا في بداية الحرب ، عادت تتراجع وترسل ممثليها إلى الدول العربية، بل وإجتمعت دول السوق المشتركة وأيدت قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ لعام ١٩٦٧ بإنسحاب العدوان الإسرائيلي إلى خطوط ١٩٦٧ ولسنا في حاجة إلى أن نسترجع ما حدث حين غزا العراق الكويت (أغسطس ١٩٩٠)، تمهيدا للسيطرة على شبه جزيرة العرب، وقامت قيامة في العالم، وحشدت الولايات المتحدة الأمريكية العالم وراءها لطرد العراق من الكويت (١٩٩١)، وسلسلة العقوبات التي فرضتها عليه مما أدى إلى تدهور أوضاعه الإقتصادية والبشرية، ثم غزو الولايات المتحدة الأمريكية للعراق واحتلاله (مارس ٢٠٠٣) بزعم حيازته لأسلحة الدمار الشامل رغم نفي مفتشي وكالة الطاقة الذرية، ومع هذا فقد قامت بغزوه لأنه تمثل ثاني الاحتياطات البترولية في العالم وقبلها كان غزو أفغانستان لأنها تطل على بترول دول آسيا الوسطي.

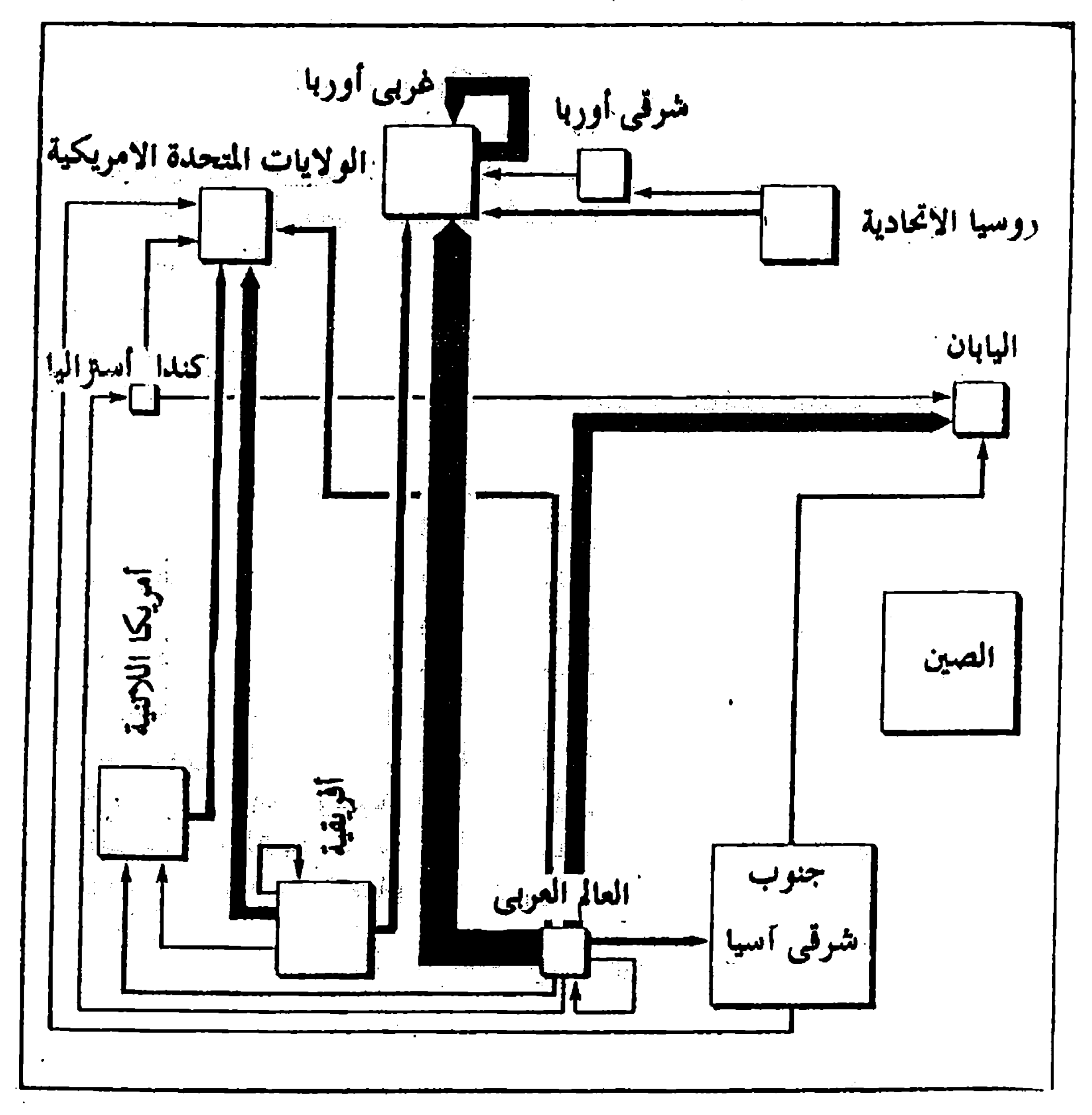
وإذا كانت الطاقة الذرية قد بدأت تدخل الميدان الصناعي، فإنها مازالت على نطاق ضيق، وتقتصر على بضعة دول، لعل أهمها الولايات المتحدة، والمملكة المتحدة وفرنسا وروسيا. حيث تقتصر على الإستخدامات التكنولوجية، وقد قامت المنظمة الأوربية للطاقة الذرية ***Euratom.*** من أجل التعاون في هذه الإستخدامات.

المعادن الإستراتيجية:

وهي تلك المعادن التي تشتد إليها الحاجة في الأغراض الأساسية زمن الحرب، والتي لا تضمن الدولة توفرها بكميات وأنواع كافية في وقت الحاجة لسبب من الأسباب، ومن ثم يتحتم الإحتفاظ بإحتياطي مسبق منها. وتأتي هذه المعادن الإستراتيجية في الدرجة الثانية بعد موارد الوقود، ولسنا في حاجة هنا إلى تأكيد إستراتيجية معادن كالصلب والنحاس والألمنيوم والزنك والرصاص والمنجنيز والنيك، إذ إشتدت إليها الحاجة وقت الحرب بكميات كبيرة لصناعة المعدات الحربية، وضياع هذه الموارد وقت الحرب، معناه خسارة كبيرة، وخطيرة ، للجانب الذي فقدها، فإستيلاء اليابان على قصدير الملايو، وقطع الألمان لموارد الحديد الخام السويدي، كذلك وقوع مناجم الزئبق في إيطاليا ويوغسلافيا، في أيدي المحور كان له نتائجه الخطيرة على الحلفاء أثناء الحرب العالمية الثانية. ولأهمية هذه الموارد الإستراتيجية يعتقد البعض أن عمل ميزان لهذه الموارد بين كل من الاتحاد السوفيتي والكتلة الغربية قد يكون له قيمته في تقدير كل من القوتين ويكون مفتاحا للمستقبل.

ولا ننسى أن هناك عامل يتدخل في الندرة النسبية للمعادن، وهو إستعمال الخردة، فقد يكون تجميع هذه الخردة أثناء السلم وإعادة صهرها أكثر تكلفة بكثير من إستيراد المعدن من الخارج، ولكن هذه الخردة التي يلقى بها بعيدا خارج حدود المدن، تصبح أهميتها كبيرة وقت الحرب.

الإتجاهات الرئيسية للتجارة الدولية فى مواد الوقود



الموارد الصناعية:

يعتــبر النمو الصناعي للدولة دليلا وسببا لقوتها، فكل القوى العالمية الكبرى اليوم هي قــوى صــناعية، ولا يمكن لأي سياسة سواء دفاعية أو هجومية أن تكون ذات أثر إذا لم تســاندها قــدرة على تصنيع آلات الحرب فالإمبراطورية البريطانية قبل الحرب العالمية

الأولى بنيت كما يقول **Keynes** أساسا على الفحم والحديد، أكثر منها على الدم والحديد، وعلى أساس المهارة الكبيرة في إستغلال موارد الحديد الزهر في سيليزيا العليا والسار مما أدى إلى قيام صناعات الصلب، والصناعات الكيماوية، والكهربائية، وهذا ما جعل ألمانيا في النهاية أول أمة على أرض القارة.

لقد عرفت الدول المختلفة اليوم أن طريقها إلى القوة السياسية هو طريق التصنيع، وإن كانت تتنكب الطريق أحيانا في أنسب الأنواع سيزيد إنتاج الأمة بزيادة إنتاج عمالها، فإذا إفترضنا أمتين متعادلتين سكانيا ، ولكن تتميز أحدهما بأنها أكثر تصنيعا، فليس من شك أنها ستكون أقوى سياسيا من زميلتها، وكلما تعددت صناعات الدولة، كلما قل إعتمادها على الخارج، وإذا كانت الموارد الصناعية جميعا، مما يفيد الدولة ويقويها، فإن هناك بعض الصناعات الإستراتيجية التي تعطى الدولة أهمية خاصة وهذه يمكن إجمالها في ست صناعات وهي: صهر المعادن وتنقيتها ، الصناعات الهندسية كصناعة محركات الطائرات، والسيارات والإلكترونيات والصناعات الكيماوية بما فيها صناعة المتفجرات، والصواريخ النووية، والأسمدة، والأسمنت، والأجهزة الكهربائية، ثم صناعة المنسوجات، والصناعات الغذائية.

وإذا نظرنا للدول الصناعية الكبرى لوجدنا فيها تعادلا بين هذه الصناعات سواء كانت ألمانيا الغربية، أو بريطانيا، أو الولايات المتحدة الأمريكية، بل ويظهر فيها أحيانا فائض كبير يزيد على حاجة الإستهلاك المحلى، فتذهب للتصدير، وبذلك تزيد الصناعة من رصيد الدولة.

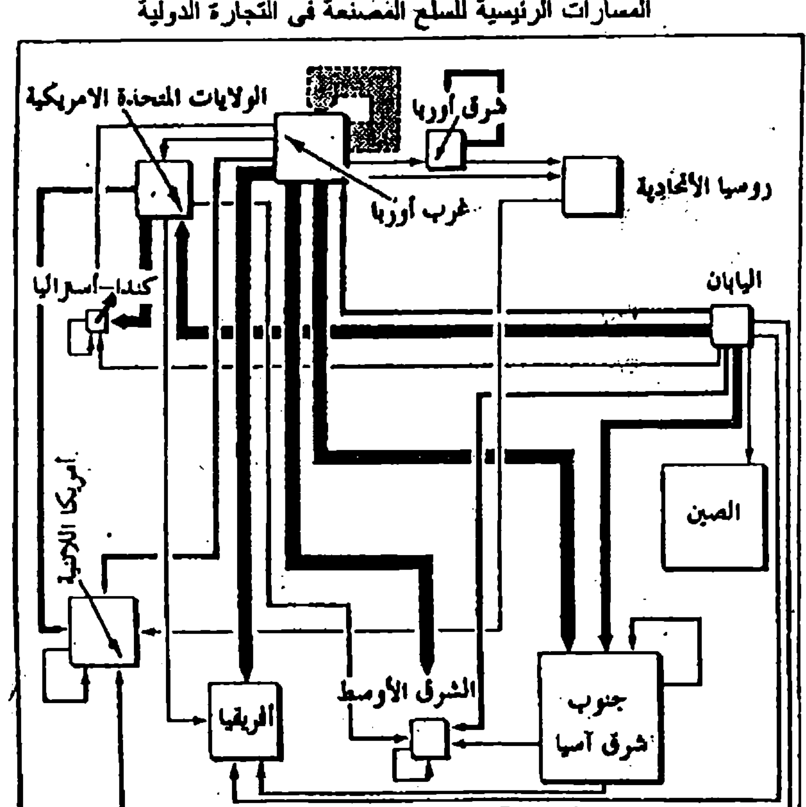
أما الدول النامية ، فمن مشكلاتها، ومؤشرات تخلفها، أن الصناعة فيها لا تشترك ألا بقدر محدود في الإنتاج الحربي والعمالة، يكفي مثلا أن نقول بأن السلع المصنوعة ونسبة أقل من هذا بالنسبة لصادراتها تخرج من الدول النامية، فلا تسهم الصناعة إلا بما يتراوح من ١٠ % من الإنتاج القومي لمعظم الدول الإفريقية، ومن ١٥ إلى ٢٠ % لكثير من الدول الآسيوية، ما عدا اليابان والنمور الأسيوية (تايوان، هونج كونج، كوريا الجنوبية، سنغافورة).

وتتمثل عقبات التصنيع أمامها في نقص المواد الخام اللازمة للتصنيع، ولكن الأهم من هذا هو نقص المعرفة الفنية، التخلف التكنولوجي، ومهارة العمالة، والتمويل، وإن كانت هذه أمور يمكن التغلب عليها، ثم هناك أيضا حجم السوق الذي لا يتفق أحيانا والإنتاج الكبير، ففي أفريقية مثلا لا توجد سوى أربع دول يزيد عدد سكانها على ٢٠ مليون نسمة . وتخلق هذا السوق المحدودة، صراعا بين الحد الأدنى والحد الأمثل للمشروعات. أما عن الإستثمارات، فقد بدأت الدول الصناعية القديمة تتحرك ببعض مشروعاتها في الدول النامية لرخص الأيدي العاملة هناك، كشركة فولكس فاجن في البرازيل، وكثير من الشركات الأمريكية في كوريا ... ألخ.

أما عن طريق التصنيع فمن الدول النامية ما يتجه مباشرة إلى الصناعات الثقيلة كما

فعلت الهند حينما بدأت تتبع طريق التخطيط، وأعطت هذا الفرع أهمية خاصة منذ خطتها الخمسينية الثانية ١٩٥٦ / ٦١، على إعتبار أن الهند بعدد سكانها الضخم مستهلك لحجم ضخم من السلع الإستهلاكية، ومن أجل توفيرها محليا لابد تصنيعها محليا.

المسارات الرئيسية للسلع المصنعة فى التجارة الدولية



وأصـــبح في الهند قطاع الصناعة الثقيلة كالحديد والصلب والصناعات الهندسية، وبناء السفن من أختصاص الدولة، والبعض الآخر مشترك بين الدولة والقطاع الخاص والباقي وهـــو الصناعات الإستهلاكية فقد تركت للقطاع الخاص، كذلك الحال في التجربة الصينية للصناعة، إتجهت في خطتها إلى توجيه ٩٠ % من إستثماراتها الصناعية نحو الصناعات الثقيلة، وإن كانت الصين في تجربتها إتجهت نحو إستغلال كثافة الأيدي العاملة فيها لتحل محل نقص رأس المال.

ولكن هناك صعوبات تتحدى الدول النامية في ميدان الصناعات الثقيلة منها:

١ – أنهـــا أمر يحتاج إلى مدة طويلة قد تصل إلى عقدين أو ما يزيد، وفي هذه الفترة ســتكون الدولـــة عرضة للمؤامرات السياسية خارجية وداخلية ويصبح العبء كبيرا على القيادة السياسية.

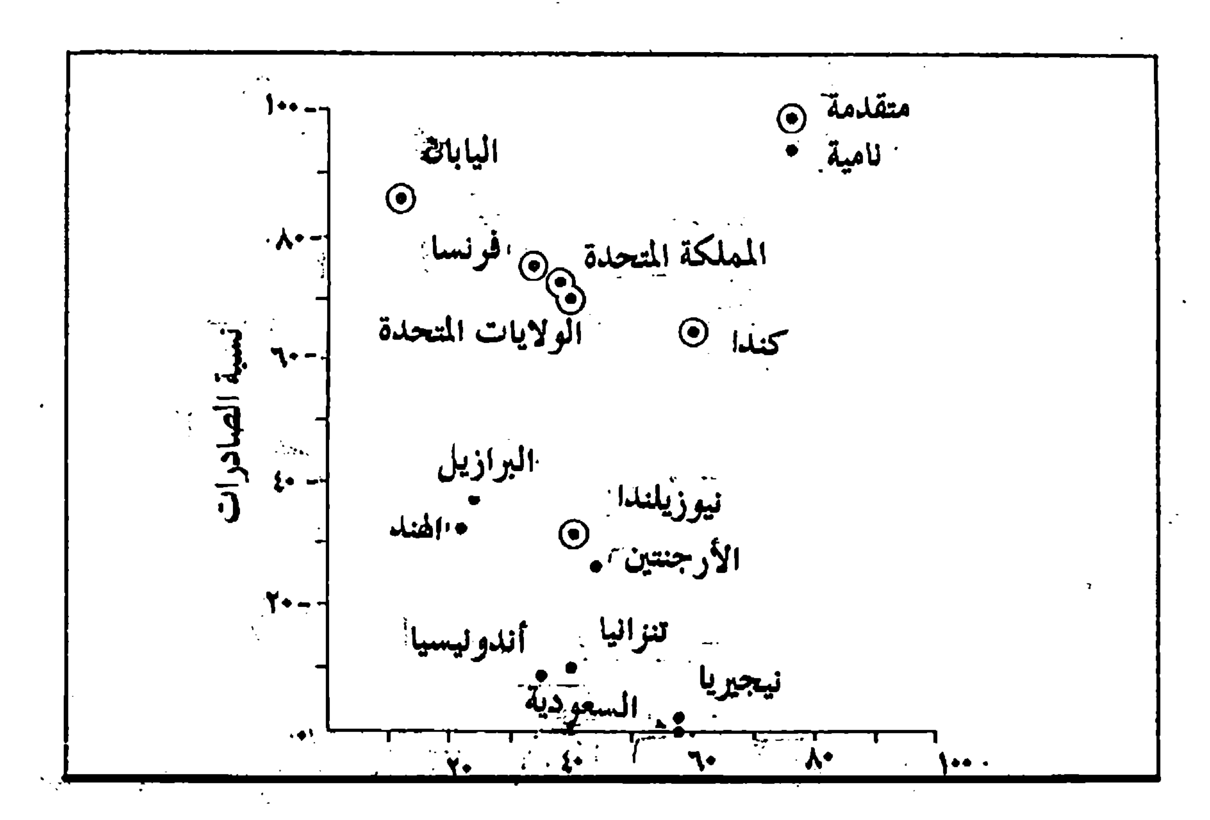
٢ – من يريد اللحاق بالدولة المتقدمة عليه أن يطارد هدفا متحركا، فسرعة الإنجازات

التكنولوجية أصبحت مذهلة.

٣ - سيطرة الدول المتقدمة على نظام النقد الدولي والإقتصاد العالمي.

هذا وتتجه بعض الأقطار إلى الصناعات التي تحتاج إلى خامات قليلة نسبيا وتوجه إلى التصدير أكثر من الإستهلاك المحلى، كما هو الحال في هونج كونج، وكوريا، وتايوان، حيث تقدمت صناعة اللعب، المنسوجات، والملابس الجاهزة، والسلع الكهربائية.

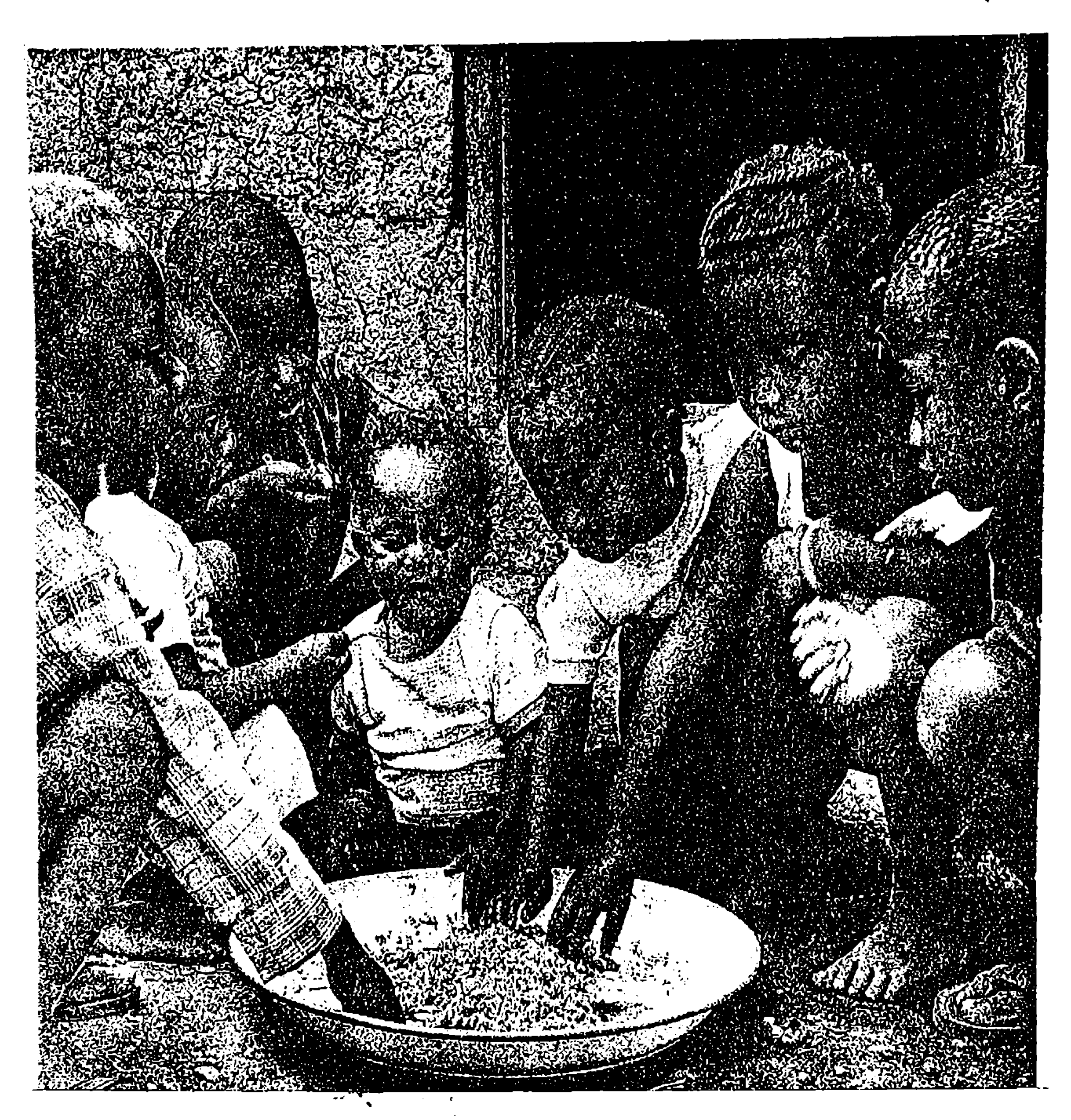
السلع المصنعة كنسبة من القيمة الكلية للواردات والصادرات فى بعض الدول



النقـــــل:

أن تقدم وسائل النقل من الأمور الضرورية لنقل الخامات إلى المصانع ولتوزيع الإنتاج علـى مـناطق الإستهلاك، وكذلك يتعذر الدفاع والهجوم، إن لم تكن هناك وسائل سريعة للـنقل تـتحرك علـيها الجـيوش والأدوات الحربية من مكان إلى آخر، بل هناك الطرق الإسـتراتيجية، وتظهر هذه الحاجة إلى أدوات النقل في عمليات نقل الخطوط الحديدية من الهـند إلـى الهمالايـا، وإحـتفاظ حكومة الولايات المتحدة بعدد كبير من عربات السكك الحديدية لنقل القوات من مكان إلى آخر.

وهـــناك مظهران للنقل يستحقان النظر، أولهما خارجي ويتعلق بالوصول إلى الموارد الخارجية، وهذا يقتضي إستعمال السفن، والموانى، والقنوات، والآخر يتعلق بوسائل النقل الداخلية.



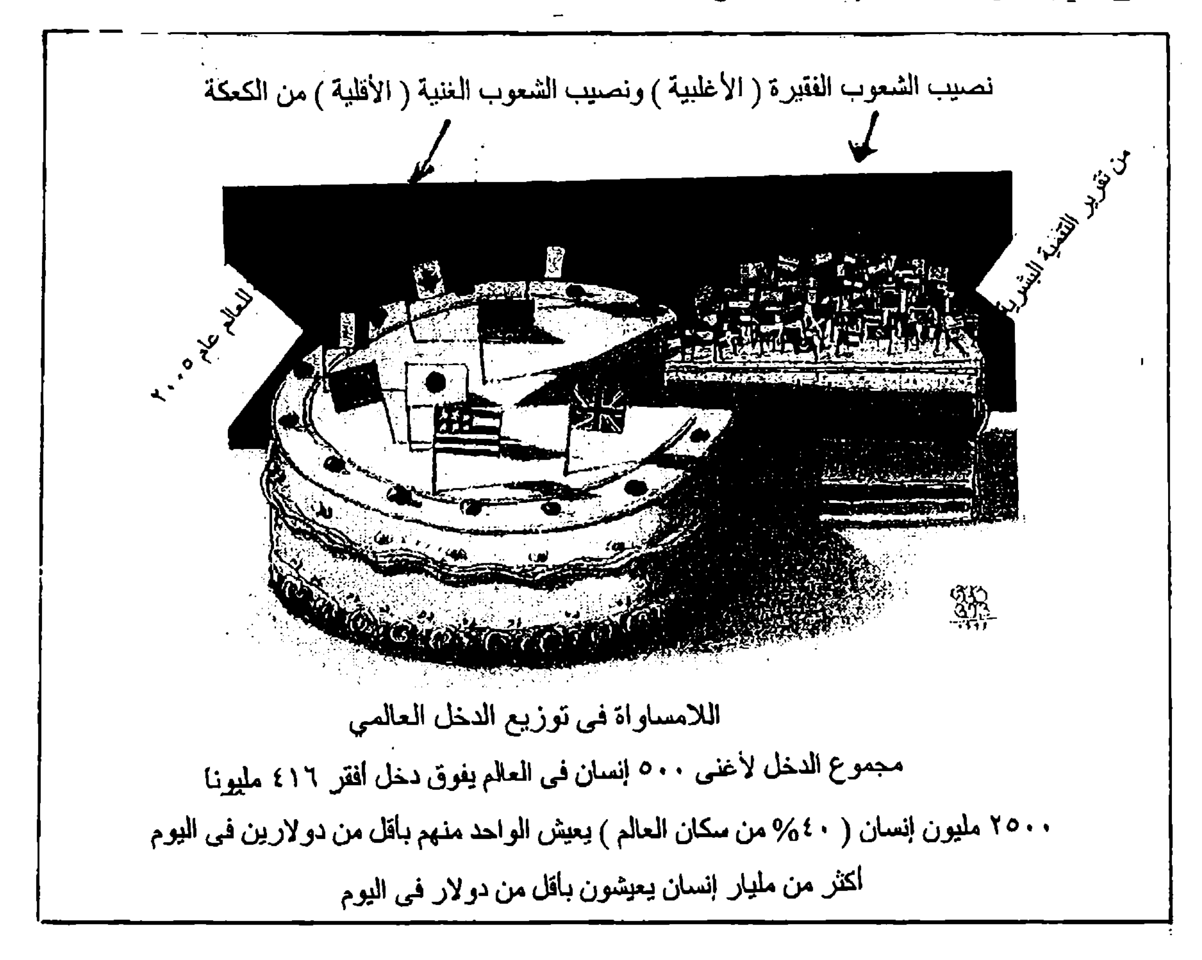
هل تكـــفى المـــوارد ؟

ويعتـــبر مد الخطوط الحديدية أو الطرق من العوامل التي تساعد على الوحدة القومية لأنهـــا تـــربط ســـكان الأمـــة بعضهم ببعض، وتمتلك معظم الدول شبكات من الطرق أو الخطوط الحديدية، تشع من العاصمة إلى الأطراف في فرنسا وبريطانيا وروسيا الإتحادية

وغيرها، بل ان نمو إتحاد الولايات الأسترالية، والولايات الكندية كان يأتي بعد مد الخطوط الحديدية، كذلك عملت الثورة الروسية على إزدواج الخط الحديدى السيبيرى الذي مد قبل الثورة، ثم خرجت من هذا الخط خطوط فرعية متعددة، ويمكن أيضا أن نعزو فكرة سيسل رودس في مد خط حديد القاهرة ــ الكاب إلى حلمه بسيادة بريطانيا على كل أفريقية.

هذا ويدعم الشبكات الحديدية شبكات الطرق البرية والمجارى المائية، وإن كانت الطرق في الحقيقة أكثر مرونة من الخطوط الحديدية، فيمكن أن تمد في مناطق أشد إنحدارا، كما أنها أقل تكاليفا، وأسرع إنشاء، ولذلك تظهر أهميتها إذا لم تكن الحركة كبيرة تبرر مد الخط الحديدي، أو كانت طبيعة الأرض مما لا يسمح بمد الخط الحديدي، ومع ذلك ففي كثير من الأحيان لا تكون الطرق مكملة للسكك الحديدية، بل موازية لها.

وأما النقل المائي فهو أيضا من النقل البرى ولكنه أرخص، ومن ثم تناسبه الحمولات الكبيرة الحجم القليلة السعر، ويصلح النقل المائي بطبيعة الحال في الأجزاء الصالحة في النهر للملاحة وفي البحيرات الداخلية ومن ثم كان إنشاء القنوات التي تيسر النقل سواء لتفادى مناطق الشلالات ولإختصار الطرق، ومن الأمور المألوفة في الدول المتقدمة، ربط الأودية النهرية بواسطة القنوات الملاحية ولعل الشبكات المائية العديدة التي تربط بين أنهار روسيا، وكذلك بحيرات وأنهار الولايات المتحدة الأمريكية مثل حى لما يقدمه النقل المائى الجيد من خدمات لإقتصاد الدولة.



اللامساواة فى توزيع الدخل العالمي

مجموع الدخل لأغنى ٥٠٠ إنسان فى العالم يفوق دخل أفقر ٤١٦ مليونا

٢٥٠٠ مليون إنسان (٤٠% من سكان العالم) يعيش الواحد منهم بأقل من دولارين فى اليوم

أكثر من مليار إنسان يعيشون بأقل من دولار فى اليوم

الفصل الثاني

المنظور السياسى لإقتصاديات العالم وأقاليمه

يختلف إهتمام الجغرافي السياسى لهذا الجانب الجغرافي عن زميله الجغرافي الإقتصادى ، فالجغرافي السياسى يهتم بمعرفة مدى الحاجة أو مدى الكفاية الذاتية لأقاليم العالم بصفة عامة لأن الحاجة تعتبر ضعفا ، وفي نفس الوقت علاقة الموارد بالتقدم التكنولوجى ومدى إستغلال الدول لمواردها الطبيعية لصالحها، ومدى إستغلالها لصالح الآخرين مما يمكن أن نلخصه فيما يلي :ـ

أقاليم العالم على أساس الكفاية من الموارد الطبيعية

١ – دول متقدمة وغنية بمواردها الطبيعية مثل دول أمريكا الشمالية، الأوقيانوسية والإتحاد السوفيتى سابقا وهذه الدول تستغل الموارد بكثافة شديدة وبسرعة فائقة ولكنها في نفس الوقت لديها إحتياطيات كبيرة فيها.

٢ – دول متقدمة وغنية ولكنها فقيرة في مواردها الطبيعية مثل دول غربي ووسط أوربا واليابان، وكوريا الجنوبية، هذه الدول مستورد ضخم للمواد الأولية من المجموعة (١) والمجموعة (٣)، ومن ثم فغناها ومستواها الإنتاجي المرتفع على حساب الموارد الطبيعية في أقاليم أخرى.

٣ – دول فقيرة نسبيا نامية بها موارد طبيعية لا بأس بها، مثل معظم دول أمريكا اللاتينية، وأفريقية، وجنوب غربى آسيا، وهذه المجموعة تضم أكثر سكان العالم نموا، وإذا لم يتم إكتشاف معادن جديدة أو إصلاح وإستغلال مساحات جديدة من الأرض، فإنها ستنحدر إلى مصاف المجموعة الرابعة.

٤ – دول فقيرة نسبيا، ناميه، وفقيرة في مواردها الطبيعية كغامبيا وموزمبيق والصومال، وهنا يزداد الضغط على مواردها الطبيعية مما يؤدى إلى نفادها.

والمجموعات الثلاث الأخيرة تضم أكثر من نصف سكان العالم، ولكنها تضم ما يقرب من خمس الموارد الطبيعية.

كذلك يهتم بالمغزى السياسى للتركيب الإقتصادى للدولة. وكيفية إختلاف هذا المغزى في الزمان والمكان، ودور السياسات المختلفة في تغيير المركب الإقتصادى. وبهذا فلا تداخل بين الإثنين وإنما يكملان بعضهما، ونضرب مثلا بالسكك الحديدية التي مدت من دار السلام في تنزانيا إلى مناجم النحاس في ندولا وكيتوى في زامبيا، فالجغرافي الإقتصادى سوف يتركز إهتمامه على آثار السكك الحديدية في تنشيط المناطق التي يمر بها من الناحية الإقتصادية، كزيادة الإنتاج الزراعي، وأثر زيادة الحركة على طاقة وتركيب مرفأ دار السلام، ولكن الجغرافي السياسي سيركز إهتماماته على أثر هذا الخط على العلاقات السياسية بين دول إفريقية الوسطى والجنوبية، وقلة إعتماد زامبيا على

الطرق المتجهه عبر زيمبابوى، وأنجولا، وزيادة إمكانات الإتصال بين بتسوانا، والدول الإفريقية شمال الزمبيزى، وزيادة التقارب بين زامبيا وتنزانيا، مما قد يكون له آثاره على السوق المشتركة لشرق إفريقيه، ثم أخيرا الدور المحتمل للصين في هذا الأقليم على إعتبار أنها مولت ونفذت المشروع.

ويضع الجغرافي السياسى عدة إتجاهات رئيسية لفحص المركب الإقتصادى للدولة :

أولهما : التركيب الإقتصادى : *Economic Structure*

بمعنى التعرف على القطاعات الإقتصادية المختلفة، ومدى التوازن وعدمه بينها مثل قطاع الزراعة والصيد، وقطاع الصناعة، وقطاع الخدمات، ومن هذه الدراسة يمكن أن يخرج بفكرة عن قوة الدولة، ودرجة الكفاية الذاتية، وإستقرارها الإقتصادى ، فمن الواضح مثلا أن نيجيريا بإنتاجها المتنوع من المواد الأولية (القطن ــ الكاكاو ــ المطاط ــ الأخشاب ــ القصدير ــ زيت النخيل ــ البترول) موقفها الإقتصادى أكثر قوة من غمبيا التي تعتمد على صادرات الفول السودانى وحدها، وأن الولايات المتحدة الأمريكية يمكن أن تواجه قطع الإمدادات البترولية، أو النقص فيها بصورة أكثر من اليابان.

وثانيهما : التعرف على التركيب الإقليمى *Regional Structure*

بمعنى التركيب الأقليمى للأنشطة المختلفة ، لتميز الأقاليم المتقدمة، والأقل تقدما داخل الدولة، وقد يكون في هذا تفسير لبعض الحركات الإنفصالية، وتفسير بإعادة توطين النشاطات الإقتصادية.

وترجع الإختلافات الإقليمية إلى مجموعة من الأسباب قد يكون منها إختلاف الموارد المتاحة بين أقاليم الدولة المختلفة، ويمكن أن نضرب مثلا بوادى النيل والدلتا والصحراء الغربية، حوض باريس وهضبة فرنسا الوسطى . وقد يرجع الإختلاف إلى تغير طبيعة الموارد أو نمط إنتاجها، ونضرب مثلا بحقول البترول، أو تعدين المناجم، بصفة عامة، حين ينضب المعين فيتوقف إنتاجها، وينفض الناس من حولها إلى نشاطات أخرى، وقد يهاجرون نهائيا إذا لم يجدوا مجال لنشاطهم فتتحول مدينة التعدين إلى مدينة أشباح.

لهذه الأسباب وغيرها يجب أن تدخل الإختلافات في التقدم الإقتصادى بين أرجاء الدولة في الإعتبار عند الدراسة السياسية، ومن المسلم به أن الحكومة تحاول أن تقلل من هذه الفروقات عندما تجد أنها ستشكل خطرا سياسيا ،وهناك عدة أوضاع تؤدى إلى ضرورة الإهتمام السياسي وهى:

عندما تزداد حالة الإقليم المتخلف سوءا، وهذا له مؤشراته العديدة، مثل إنخفاض متوسط دخل الفرد في الإقليم بصورة حادة عن المتوسط العام في الدولة، وعندما تزداد نسبة البطالة فيه بصورة أكبر عن نسبتها في الدولة، ومنها هجرة الشباب من الإقليم إلى جهات أخرى بحثا عن فرص أفضل، مما يؤدى في النهاية إلى تركيب إجتماعى في

الإقلـيم، عمـاده كـبار السن والأطفال. ويبدو أيضا في مثل هذا الإقليم قلة الإستثمارات والمبانى الحديثة عنها في الأقاليم الأخرى الأكثر تقدما، ودرجة المخاطرة هنا أن مثل هذا الإقلـيم سـتعتبر نواه عدم رضاء، وبؤرة معارضة قد تؤدى إلى المطالبة بحكم ذاتي، أو الإنفصال كما حدث في بنجلاديش (باكستان الشرقية).

وعلـى العكس أيضا إذا بلغ الأقليم درجة عالية من التنمية والثراء إذا ما قورن ببعض أجـزاء الدولـة، وهذا ماحدث في (شـابـا) في زائير حيث النحاس والذهب، والإقليم الشـرقي أو بـيافرا فـي نيجيريا (تدفق البترول)، وكلاهما نجح في إثارة الإضطراب، والإنفصال لفترة، وأدى إذن إلى قيام حرب أهلية، لاشـك عاقت التنمية في كلا الدولتين، وهـنـا تشتد النار إشـتعالا إذا ما إسـتندت المشـكلة على أساس قومي، أو لغوى، أو قبلي، وبالتالي تستغلها قوى خارجية.

كمـا ينبغـي ملاحظـة درجـات النمو الإقتصـادى للأقاليم المختلفـة داخل الدولة، والسـياسـات التي تتبع أحيانا لتذويب الفروقات، ومن الطريف في هذا المجال، أن هناك سـعرين للصـرف بالنسبة للعملات الأجنبية في كل من شـيلى، وأرجنتين، وذلك لجذب الإسـتثمارات إلى الأقـاليم الأقل تقـدما.

وتعـمل إيطاليا وبلجيكا على زيادة الخدمات ووسائل النقل للأجزاء المتخلفة فيهما، بل طلبـتا مـن السـوق المشتركة إستثناء هذه الأقـاليم من قوانين السوق، لأنها ستتعرض لمنافسـة دول أكثر تقدما. وتقدم حكومة أستراليا حوافز للصناعات التي تقوم في المناطق الريفية وذلك بغرض النهوض بها من ناحية، ولمنع الإحتقان في المدن من ناحية أخرى.

وثـالثـهما : طبيعة التقسيم الإقتصادى والإجتماعى داخل الدولة:

فعـندما يحدث عدم توازن ضخم في توزيع موارد الثروة ووسائل الإنتاج داخل الدولة بمعنى تركزها في أيد فئة قليلة ، بينما تعيش الغالبية في حال العدم، يكون هذا مثار قلاقل، فالـثورة الأثيوبـية التي حدثت عام ١٩٧٤ وأطاحت بالإمبراطور، وكانت نتيجة مباشرة لحالـة الجفاف الشديد التي أصابت البلاد، وإرتفاع أسعار المواد الغذائية بطريقة جنونية، بحيث عضت الجمـاهير الفقيرة بنيانها، وظهر التناقض واضحـا في المجتمـع الأثيوبي بين الغـالبية المعـدمة، والأرستقراطية المرفهة.

وقد يحدث أن يجتمع سكان مختلفي الأصول داخل الدولة، ويصبح التقسيم الإقتصـادى موازيا للتقسيم الإجتماعى، كما حدث في شرق أفريقية، حينما وجد عيدي أمين في أوغندا أن الأسـيويين أو الهـنود يسـيطرون على قطاع تجارة القطاعي، فضلا عن قطاعات أخرى، فقام بطرد ٦٠ ألفا من الذين يحملون الجنسية البريطانية، والواقع أنه في كثير من أقطار جنوب شرق آسيا، وأفريقيه جنوب الصحراء نجد الأقليات الأجنبية وقد حققت نموا بـارزا فـي بعـض القطاعـات الإقتصـادية، ممـا أدى إلـى إتـباع سياسـة التأميم ***Indignization*** لكثـير من القطاعات لوقف نموهم ونقله إلى القطاعات الوطنية مثلما حـدث للبنانيين في غرب أفريقية بمقتضى القوانين التي أصدرتها نيجيريا، وساحل العاج،

والسنغال عام ١٩٧٣. فأصدرت نيجيريا قائمة باثنين وعشرين حرفة لايقربها إلا المواطنين، وقصرت السنغال تجارة القطاعي على السنغاليين، وحرمت كينيا حرفة السياحة على الأجانب. ويلاحظ هذا النشاط أيضا بالنسبة للأرمن واليونانيين في أثيوبيا، والصينيين في جنوب شرق آسيا . والغرض من كل الإجراءات التي تتخذ هو إشراك الوطنيين وتحويل هذه الأنشطة إلى الأيدي الوطنية.

ويظهر **التباين في التركيب الإقتصادى بين الدول** إذا ما نظرنا إلى المجموعات التالية:

١ - تمثل غامبيا مجموعة من الدول ذات الموارد المحدودة، ويمثل القطاع الزراعي فيها عماد الدخل القومى وتكاد تعتمد على محصول واحد هو الفول السوداني المسئول عن حصيلتها من العملة الأجنبية، كما أنها سيئة الحظ في أنها تستورد أكثر مما تصدر، مما يشكل عجزا مستمرا في ميزانها التجاري، ويضاف إلى هذا أن ربع وارداتها عبارة عن مواد غذائية ، أما عن القطاع الصناعي فهو فقير للغاية ، ويتألف من صناعات إستهلاكية خفيفة كطحن الحبوب والملابس والمشروبات، مثل هذا الوضع تجده في كثير من دول العالم الثالث مثل النيجر، (بوركينا فاسو)، سيراليون، موريتانيا، الصومال، السودان، سيرلانكا. وليس من شك أن مشكلات هذه الدول الإقتصادية والسياسية يتحكم فيها إلى حد كبير ما يحدث لسلعتها الرئيسية من ذبذبة لأسعارها، وخاصة نحو الإنخفاض نتيجة لزيادة الإنتاج العالمي منها، أو ظهور بدائل لها . ويؤدى هذا إلى إعاقةخططها للتنمية ، وقد تقع في النهاية فريسة للإعتماد على المعونات الأجنبية وما يتبعها من خضوع للدول الأكثر ثراء. ولكن يخرج من هذه الفئة التي تعتمد على سلعة واحدة الدول المنتجة للبترول كالكويت والمملكة العربية السعودية.

٢ - وتمثل نيجيريا مجموعة أخرى تتميز بتنوع الموارد وتسير عجلة التنمية فيها بسرعة مما يغير في مركبها الإقتصادى، ومثل هذه الدول لديها صادرات زراعية، ومعدنية، وعدد كبير من السكا ، يمثل سوقا لبعض الصناعات التي يمكن أن تقوم بها، ومن أمثلة هذه الدول البرازيل والملايو (كوت دى فوار) ... إلخ.

٣ - تمثل الولايات المتحدة الأمريكية والمملكة المتحدة نوعا ثالثا من الدول التي يقوم بها قطاع صناعى نام، وصادرات متنوعة تكفي في الظروف العادية لموازنة الواردات.

وفي الحقيقة نجد أن كل الدول الصناعية في حاجة إلى إستيراد الخامات، ومع ذلك يمكن أن نفرق بينهما، فهناك فرق بين كندا وأستراليا من ناحية، وبين اليابان والمملكة المتحدة من ناحية أخرى فكندا وأستراليا تصدران كثير من المواد الخام الزراعية والمعدنية بالإضافة إلى قطاع صناعي نام، بينما المملكة المتحدة واليابان بهما قطاعات صناعية نامية أكثر تنوعا ولكن الخامات التي يصدرانها ليست بذات أهمية تذكر.

وهكذا يخلق الإختلاف في التركيب الإقتصادى تباينا في طبيعة المشكلات السياسية والإقتصادية التي تواجه كل دولة : فالحصول على قوة دفاعية ذات بأس تتطلب، أما صناعة متقدمة، كما هو الحال في الولايات المتحدة الأمريكية والأتحاد السوفييتي،

حيث يمكن صناعة الطائرات، والسفن الحربية، وصناعة السلاح، وأما فائض كبير في الميزان التجاري يمكن من شراء هذه المعدات من الخارج كما هو الحال في إيران، وفيما عدا ذلك لابد وأن تعتمد الدولة على الخارج.

وتعمل حكومات الدول النامية لمواجهة هذه المشكلات على إتخاذ أساليب متعددة منها التقليل من الواردات، وبصفة خاصة واردات المواد الغذائية لتحسين الميزان التجاري، وقد وضعت بعض الدول الإفريقية مثل نيجيريا وغانا وزامبيا المخططات للإقتراب من الإكتفاء الذاتي، وتسعى دول أخرى إلى التصنيع بطرق مختلفة، وتضع دول أخرى تعريفات مانعة أمام السلع الشبيهة بالمحلية والواردة من الخارج. وتذهب دول أخرى إلى وضع قيود على صادرات المواد الخام المنتجة محليا كما تفعل أسبانيا والبرتغال بوضعهما القيود على صادرات الفلين الخام حتى يمكن تصنيعها محليا.

المتقدمون والمتخلفون إقتصاديا

إستخدام البنك الدولى المعيار النقدى ، والذي يعبر عنه بمتوسط نصيب الفرد من الناتج المحلى الإجمالى سنويا (**GNP**) وقسم دول العالم إلى أربع مجموعات بحسب تقديرات ١٩٩٤ (تقرير التنمية في العالم ١٩٩٦).

١- دول ذات دخل مرتفع (+ ٨٩٥٥ دولار).

٢- دول ذات دخل متوسط (من ٧٢٦ - ٨٩٥٥ دولار).

٣- دول ذات دخل منخفض (يقل عن ٧٢٥ دولار أو أقل) وهذا هو خط الفقر.

ويلاحظ أن الدول ذات الدخل المرتفع مركزة في أوربا وأمريكا الشمالية وعلى الهامش الشرقي للقارة الأسيوية وبذلك تضم اليابان وأستراليا، أما الدول ذات الدخل المنخفض تسود في القارة الأفريقية وأجزاء من أسيا، وفي هذا الكتاب قسمناها إلى دول متقدمة، دول نامية (متخلفة)، وهما معادلان للأغنياء والفقراء، أو الذين يملكون والذين لا يملكون، أو بتعبير قد لايكون دقيقا مائة في المائة، المحظوظون وقليلو الحظ ***Lucky , Unlucky*** وكان العالم يقسم حتى العقد الماضي إلى العالم الأول (الرأسمالي)، والعالم الثاني (الشيوعي)، والعالم الثالث (المتخلف) والعالم الرابع شديد التخلف والعالم الخامس الأشد فقرا.

ولكن هذه التعبيرات فقدت مدلولاتها منذ أواخر التسعينات لما طرأ من تغييرات سياسية، ويصبح التقسيم على أساس الأغنياء والفقراء، نظرا لأن الفجوة تزداد إتساعا وعمقا بين المعسكرين، وبالتالي يصبح الإستقرار العالمي في خطر وبالتالي أمن الأغنياء.

والملاحظ أن هناك أحيانا جزر ذات نمو سريع في محيط إقتصاديات راكدة وهذا واضح في ذلك الشريط الشرقي من آسيا.

ورغم أننا قسمنا العالم إلى متقدم ومتخلف، فما زال الأمر موضع خلاف في مسألة إختيار معايير التقدم والتخلف، ويمكن القول بأن هناك سبع مقاييس ومع ذلك فهي موضع نقاش.

مقاييس النمو الاقتصادي:

ما الذي يميز الدول المتقدمة عن الدول النامية ؟

لابد من المقارنة بين الدول على أساس مقاييس معينة: والإجابة ليست بسيطة، وليست هـناك دول متقدمة تماما، وليس هناك إقتصاد متخلف بالكامل، فنحن نوازن أو نقارن بين درجات النمو، حين نميز بين الدول المتقدمة والدول النامية، الفاصل بين هذا وذاك هو حد قـاطع، ولكن هذا الحد مازال موضع جدل، فهناك نقص البيانات الذي تعانى منه كثير من الدول، وأحيانا تقدم بيانات لا يمكن الإعتماد عليها ومع ذلك فهناك مقاييس متعارف عليها لقياس مستوى <u>النمو الاقتصادي للدول:</u>

١- نصـيب الفـرد من الناتج المحلي، وذلك بقسمة مجموع الدخل الناتج من الإنتاج المحلـي خـلال عـام علـى عدد سكان الدولة، ويحول إلى عملة قياسية، وهذا يتم عادة بـالدولار، وفي هذا الصدد يمكن أن يزيد نصيب الفرد في الدول المتقدمة على ١٠ آلاف دولار ، ويقل في بعض الدول النامية عن المائة دولار.

٢- التركيـب الحرفـي للقوى العاملة، وهى نسبة العاملين في كل نشاط من الأنشطة الإقتصادية، فإذا كانت هناك نسبة كبيرة تعمل في إنتاج الغذاء الأساسي، فهذا مؤشر على المستوى المنخفض.

٣- إنتاجية العامل وذلك بقسمة مجموع الإنتاج السنوي على مجموع القوى العاملة.

٤- نصـيب الفرد من إستهلاك الطاقة، وكلما إزداد هذا النصيب كلما كان هذا مؤشرا على زيادة النمو الإقتصادى (يجب أن ينظر إلى هذا العامل في ظل ظروف المناخ).

٥- تسهيلات النقل والمواصلات بالنسبة للفرد، وفي هذا المجال تحول السكك الحديدية والطرق والخطوط الجوية والتلفزيون والراديو والتليفون إلى رقم معيارى ويحسب نصيب الفرد، وكلما إزداد دل على إرتفاع درجة النمو الإقتصادى.

٦- نصيب الفرد من إستهلاك المنتجات المعدنية، فكلما زاد نصيبه من إستهلاك الحديد والنحاس والألومنيوم والصلب وغيرها من المعادن الأساسية كلما كان هذا مؤشرا للتقدم.

٧- وتضـاف مقايـيس أخـرى مثل نسبة المتعلمين، والسعرات الحرارية نسبة ما تصرفه الأسرة على الطعام، ونصيب الفرد من الإدخار.

وأكـثر من هذا أن الدول المتقدمة حصلت على كل المزايا، ولكن لماذا لم تلحق الدول الأخرى المتخلفة بها ؟ ـ المسألة هنا ليست بالبساطة في القول بأن هذا التخلف يرجع إلى البيـئة وظـروف توزيع الثروة، أو الميراث الثقافي مثل مقاومة الجديد، ذلك أن الأحداث التي تتابعت وخرجت لنا بهذا التقسيم، ترجع إلى ما قبل الثورة الصناعية، فقد أرست أوربا أساس التوسع الاستعماري منذ منتصف القرن الثامن عشر، ثم جاءت الإنقلابات الصناعية تضـخم الطلب على المواد الخام، وزادت الصناعة من كفاءتها وقبضتها الإستعمارية، من

ثم كانت البداية قوية للغاية، بينما ظلت التوابع كما هي بفضل السياسة الإستعمارية مخازن للمواد الخام وأسواقا للمصنوعات، وظهر نظام تبادل دولى وتدفق لرؤوس الأموال، الذي ظل دون تغيير كبير لفترة طويلة حتى بعد إنتهاء الإستعمار السياسي، ولاشك أن الدول المتخلفة تعرف هذا تماما، وتتهم الدول الإستعمارية السابقة بالإستمرار في إستغلالها فيما يعرف بالإستعمار الجديد أي النظام القديم وإن كان متخفيا تحت قناع جديد.

أعراض التخلف الاقتصادي:

يمكن القول بوجه عام أن الدول المتخلفة أو الفقيرة تظهر فيها أعراض أخرى تدل على فقرها وتخلفها غير متوسط نصيب الفرد من الناتج المحلى الإجمالي فهي تعانى من مجموعة من الأوضاع البشرية والإقتصادية والإجتماعية، فسكانها يتميزون بمعدلات مواليد عالية، ومعدلات وفيات تتراوح بين المتوسطة والعالية، وتوقعات العمر عند الولادة منخفضة، وقد يصل صغار السن فيها (أقل من ١٥) إلى نحو نصف مجموع السكان، كما ترتفع فيها وفيات الأطفال، ولا يجد السكان الغذاء المناسب، ولا تتميز الوجبات الغذائية بالتوازن، وأهم نقص فيها هو البروتين، كذلك عدد الأطباء، وتتفشى الأمية بين السكان ويتسرب الأطفال من التعليم.

وإذا إنتقلنا إلى ريف الدول المتخلفة نجده مزدحما، رديء في مواصلاته، وتتحمل المرأة في الريف معظم الأعباء الثقيلة، كما يتجه الأطفال للعمل في سن مبكرة، وتسود الملكيات القزمية، ويمارس العمل الحقلي بأدوات بدائية، ومحاصيلها الرئيسية الحبوب والدرنيات، وتسود حياة الإكتفاء الذاتي، والفلاح مديون دائما، وإذا خصصت مساحات للزراعة الحديثة مستخدمة آلات حديثة وتسميد جيد، فغالبا ما يكون إنتاج هذه الأراضي للأسواق الخارجية، ولا تتحسن ظروف الحياة بقدر كبير نتيجة الزراعة الحديثة.

والحياة في المدينة ليست بأفضل كثيرا من حياة الريف، فهناك الإزدحام، ومشكلة السكن، وسوء الأحوال الصحية، ونقص الخدمات، والبطالة، وإنخفاض دخل الفرد، وقلة المدخرات، كما تصرف الأسرة معظم دخلها على الطعام وأساسيات الحياة، وهناك معايير أخرى تدل على التخلف، منها على سبيل المثال عدم التوازن الإقليمي بين أجزاء الدولة الواحدة، أو بين العاصمة وبقية الدولة، وهذا واضح في مصر حيث أفقر جهاتها هو الصعيد، وتأتى محافظة سوهاج في المقدمة تليها أسيوط، ثم قنا ، فالعاصمة قد تظهر وكأنها عاصمة لناطحات السحاب، كما في مدن الدول المتقدمة، ولكن ما أن تخرج من قلب المدينة إلى الأطراف حتى تجد العشوائيات وعشش الصفيح أو المزارع الفقيرة، أو الورش، أو المصانع الملوثة للبيئة، وتتجه الطرق البرية والخطوط الحديدية إلى المواني حيث السفن التي تفرغ السيارات الفارهة لزوم الطبقة المرفهة، وفي مثل هذه الدولة تجد العاصمة النواة وقد بدت فيها مظاهر الحضارة الحديثة جلية، فإذا ما تركتها للأطراف تكون هي صدمة المشاهد كما رأينا، وكما هو الحال في أن الدول الغنية تزداد غنى، والفقيرة تزداد فقرا، يتكرر الحال داخل الدول المتخلفة في إتساع الفجوة بين الأقاليم وهى مشكلة ذات بعد عالمي.

ليس من شك فإن النظام العالمي يعمل ضد صالح الدول المختلفة، ولكن للأسف ليس هذا هو العقبة الوحيدة التي تواجهها الدول النامية، فهناك عدم الإستقرار السياسي، والقيادات الفاسدة، وعدم تنسيق الأولويات، وسوء إستخدام المعونات والتقاليد البالية، كل هذا يساعد على إعاقة التنمية، وكان للتدخلات الخارجية من جانب الدول المتقدمة لها أثرها السلبي أيضا على هذه الدول، خاصة في فترة الحرب الباردة، مستغلة الحروب الأهلية، فكانت الولايات المتحدة الأمريكية تقف في جانب والإتحاد السوفييتي في الجانب الآخر، وليست أحداث أنجولا وإثيوبيا والصومال وأفغانستان وفيتنام وغيرها التي عانت نتيجة تدخل هذه القوى العظمى، بالأمر البعيد . ويلاحظ أن هناك إختلاف في درجات التنمية حتى بين المستويات المتقاربة، على سبيل المثال نجد أن الدول الأكثر تطرفا في أمريكا الجنوبية كشيلى وأرجنتين وأرجواى أكثر تقدما من نظائرها في الشمال كالبرازيل وبوليفيا وأراجواى، وكالفرق بين شرقي أوروبا وغربيها.

عدد السكان الذين يعيشون في فقر مدقع

أقل من دولار واحد في اليوم

الإقليم	١٩٩٠	٢٠٠٤	٢٠١٥
آسيا الشرقية والباسفيك	٤٧٠	٢٦١	٤٤
بدون (الصين)	١١٠	٥٧	٣
أوروبا وآسيا الوسطي	٦	٢٠	٦
أمريكا اللاتينية والكاريبي	٤٨	٥٦	٤٦
آسيا الجنوبية	٤٦٦	٤٣٢	١٦٨
الشرق الأوسط وأمريكا الشمالية	٥	٨	٤
أفريقية جنوب الصحراء	٢٤١	٣٢٣	٣٦٦
المجموع	١٢٣٧	١١٠٠	٧٣٤
بدون (الصين)	٨٧٧	٨٩٦	٦٩٢

زيادة الفجوة : الأغنياء يزدادون غنا، والفقراء يزدادون فقرا:

في مقابلة مع السيد محبوب الحق أحد مستشارى الأمم المتحدة قال "بالإمكان وقف إيقاف الأشخاص الفقراء عند نقاط الحدود، لكن من المتعذر إيقاف الفقر وضبطه فهو يسافر في هيئة مخدرات وإرهاب، وأعراض نقص المناعة المكتسبة ، والحل هو في وضع مشكلات سكان العالم النامي موضع الإعتبار وإلا تركت مشكلات هؤلاء البشر أثرها وضررها على المناطق الأكثر إزدهارا ونموا في العالم ".

تــتجلى زيادة الفجوة الطبقية بين الأغنياء والفقراء، فيما أورده جيمس جوستاف سيبث فــي مقــال نشــرته له جريدة الشرق الأوسط في أغسطس ١٩٩٦ رقما مذهلا، ورد في عــنوان مقالته ذاتها الذي يقول : " ثروة ٣٥٨ مليارديرا أكثر من ثروة ٤٥ في المائة من سكان العالم مجتمعين "، أى قرابة ٢,٣ مليار إنسان، وليس بروز الفجوة الطبقية الهائلة هو المعلــم الوحــيد مــن معالم توحش الرأسمالية، فالمعلم الثاني الذي بدأ يبرز في السنوات الأخــيرة، ونتيجة لما أطلق عليه " أزمة دولة الرفاهية " هو التقليص الشديد في ميزانيات الضمان الإجتماعى والصحى والمساعدات الإجتماعية، والتي ربما كان أبرزها التشريعات التي أصدرها الكونجرس الأمريكى (١٩٩٥)، والتي ستؤدى إلى دفع الملايين في محيط الفقر المدقع ونفس الإتجاه نجده في أوربا الغربية، وإن كان بإستخدام وسائل أخرى غير مباشــرة، ويكشف عن هذه السياسة الإجتماعية الرجعية كلود جوليان في مقالته الهامة في لمونــد دبلوماتــيك (عــدد سبتمبر ١٩٩٦) وعنوانها " النظريات الإقتصادية على محك الواقــع: نحــو الصدمة الإجتماعية " ويحلل جوليان بعمق أزمة النظام الرأسمالي الراهن، التي تبدو في إتجاهه إلى سحق الطبقات الفقيرة.

١- أكثر من ١,٣ مليار شخص يكافحون من أجل البقاء أحياء معتمدين على دخل يقل عــن دولار واحــد للشخص في اليوم عام ٢٠٠٠ وكان هذا العدد أقل بنحو ٣٠٠ مليون شخص منذ خمس سنوات.

٢- أكــثر مــن ١٤٠٠ طفل يموتون يوميا تحت سن الخامسة ضحية لأمراض سوء التغذية وأمراض يمكن التحصين ضدها.

٣- ١٣٠ مليون طفل معظمهم من الإناث لا يذهبون إلى المدارس.

٤- بلغ الدخل القومي في عام ١٩٩٠ لشريحة العشرين في المائة من أكثر سكان العالم ثراء ٦٠ مرة أكثر من أفقر الشرائح عالميا ونسبتها ٢٠ %، وذلك بالمقارنة بثلاثين عاما مضت، إذا كان الدخل أكثر بنسبة ٣٠ مرة.

وكشــف التقرير الأخير لمؤتمر الغذاء العالمى الذي عقد بروما مؤخرا عن تزايد نسبة الفقر والجوع في العالم وقال جاك ضيوف مدير عام منظمة الأغذية والزراعة " أن القرن القــادم ســيكون قــرن الحــروب المائية والغذائية "، ومن أغرب ماأشار إليه أن ميزانية المنظمة الدولية " الفاو " بعد خفض العديد من دول العالم المتقدمة لمساهمتها تقل عن تكلفة إطعام الكلاب والقطط في تسع دول متقدمة لمدة ٦ أيام فقط، وقد قام بمهاجمة الدول الغنية التي تدمر محاصيلها الزراعية للحفاظ على أسعارها في الأسواق العالمية بينما تعاني دول فقيرة في العالم من عدم وجود غذاء يسد رمق شعوبها الجائعة.

هــذا بيــنما تعــادل فوائد الديون الخارجية لدول العالم الثالث أكثر من ثلثي القروض والمــنح الجديــدة المقدمــة لها سنويا بحيث يمكن أن يقال ــ وهنا وجه الغرابة أن الدول الفقيرة هي التي تمول في الواقع الدول الغنية.

كيف السبيل ؟

يسألون : إلى متى ؟ وكيف الخروج من وطأة الفقر قديمة كانت أم جديدة ؟ وهل هناك أمل في المستقبل ؟ في البداية أجاب البنك الدولي مستخدما مفهوم " عبور الصحراء " وقال أن الأمل يلي التقشف وأن الشدة ستزول قريبا، ولما إستفحل الفقر بلا بصيص من الأمل في الدول النامية عدل البنك الدولى موقفة مستخدما مفهوم " التضحية من أجل التنمية ". ولخصت أحدث دراسات البنك الدولي لتسعة وعشرين دولة إفريقية أن معظمها لن تستعيد دخل الفرد سابقا إذا ما طبقت برامج الإصلاح الإقتصادى قبل مالا يقل عن ٤٠ أو ٥٠ عاما أوصت بدعم الصندوق الإجتماعى، فالخلاص إذن لن يتم على يد البنك الدولي أو صندوق النقد بل يتم فقط بواسطة البلدان المعنية نفسها ، ومن هنا أصبح الفقر يهدد سطح الكرة الأرضية بعدم الأمان.

الفقر والإضطرابات

تعريف الفقر :

يعرف الفقر عادة بأنه عدم القدرة على إشباع الحاجات الفردية لإستمرار الحياة. ويشمل ذلك الغذاء والملبس والمسكن والصحة، وبهذا التعريف فإن حق إشباع هذه الحاجات هو من الحقوق الإنسانية . فإذا كانت الحرية والديموقراطية من حقوق الإنسان الأساسية ، فما بالك بحق الحياة نفسها ؟ ولذا يطالب البعض ومنهم بعض المنظمات الدولية ــ بأن المجتمع ملزم بإشباع هذه الحاجات لأفراده.

مؤشرات الفقر:

١- هل إذا شعرت بالفقر، فأنت فقير ؟ ولكن مصداقية هذا المؤشر غير مؤكدة، فالفقير لا يعرف أو يعترف بفقره بينما قد يدعى غير الفقير فقره.

٢- هل هو الإحساس بالتفاوت بين الغنى والفقير؟ وهذا مؤشر ذاتي ومتشائم، فمهما كنت غنيا هناك دائما من هو أغنى منك، وإذا لم يكن هنا تساوى كامل بين الناس فإن الفقر سيلازمنا إلى الأبد ومع ذلك فإن التاريخ يعلمنا أن الإحساس بالفقر أو الإحساس بالتفاوت الفاحش بين الفقراء والأغنياء هو أقصر الطرق إلى الثورات والتقلبات والإضطرابات السياسية.

٣- القياس الكمي لحجم هذا الإستهلاك من مجتمع لآخر وأن كانت هناك محاولات إحصائية للوصول إلى حجم مطلق يطبق على جميع المجتمعات، هو الذي جرى العرف على إستخدامه لسهولته.

٤- حجم الدخل النقدى المطلوب لتحقيق حجم الإستهلاك المطلوب لإستمرارالحياة من طعام أولا ثم غير الطعام من مسكن ورعاية صحية، وعادة ما يختلف حجم هذا الإستهلاك المطلوب لإستمرار الحياة، وبمجرد أن يحدد حجم هذا الدخل في مجتمع ما، فإنه يستخدم لما يسمى بخط الفقر النسبي لهذا المجتمع، ومن هو تحت هذا الخط فهو بحسب من الفقراء

ومـــن هـــو فوقه فهو من غير الفقراء. وإقترح البنك الدولي إستخدام ما يسمى بخط الفقر المطلـــق والذي يمكن إستخدام ما يسمى بخط الفقر المطلق والذي يمكن إستخدامه في كل المجتمعات للمقارنة بين الدول والفترات.

الفقراء التقليديون :

وهـــم الذين إفتقدوا القدرة أو الرغبة الفردية في دخول سوق العمل أو التكسب المنتظم وأمثلـــته هو المعوق بدنيا أو عقليا أو المدمن أو السكير الذي يلفظه سوق العمالة ، وهناك أيضـــا الفرد سئ الحظ الذي أصابته كارثة طبيعية أو إجتماعية ، ويصبح فقره فقرا فرديا ولـــو لفـــترة وأمثلـــته ضحايا الزلزال والفيضانات وتزحلق أجزاء من الهضاب والجبال، ومعوقي الحرب وضحايا المعارك، أو الحوادث و من يفقدون عائلهم كالأرامل ، والمطلقة والطفـــل، والمسن . ويعيش الفقراء الذين يتوارثون الفقر جيلا بعد جيل بلا مخرج أو أمل أمـــام أنجـــالهم، فهـــم ضحايا عوامل إجتماعية أو إقتصادية عامة يفرضها عليهم المجتمع نفسه، ويعيشون في جزر جغرافية بين المحظوظين من غير الفقراء والأغنياء ولكنها جزر تعـــزلهم إجتماعـــيا ويسمونها في مصر " مناطق عشوائية " وهى تسمية غير موفقة تلقى اللوم عليهم، ويعيشون في المدن، والحضر، والقرى، والنجوع، وهم الفقراء المنسيون رغم علانيـــتهم الواضـــحة للعـــيان، وهـــم أيضا أغلبية الفقراء الصامته التي لا تمتلك القنوات الشـــرعية للتأثـــير علـــى المجتمع لتغيير ما بها، وقدرتهم الوحيدة للتعبير عن حالهم هى القنوات غير الشرعية، مثل العنف والإرهاب.

الفقراء الجدد:

هـــم فقراء الخفاء ونتاج هذا العصر والزمان فهم يشتكون من ضيق ذات اليد، ولكن لا يعترفون عادة بالفقر مظهرا أو قولا، وهم قادرون ويرغبون في العمل ولا يجدونه أو هم يعملـــون فعلا ــ شرعا وحلالا. ولكن لا تسمح دخولهم بإشباع إحتياجاتهم وإحتياجات من يعولونهـــم، وهم عادة على حافة خط الفقر أو تحته، لأن معدل النمو الإقتصادى يقل عن معـــدل الـــزيادة السكانية ــ وزاد من سوء حالهم برامج البنك، وصندوق النقد ، التي أدت إلـــى تدهـــور أكثر في دخولهم وتوسيع قاعدة الفقراء الجدد، فهذه البرامج هى كمن يضع الملـــح علـــى الجرح، فلقد أدت معظم برامج الإصلاح الإقتصادى في ٨٨ دولة من دول العـــالم إلى تفشى ظاهرة الفقراء الجدد، إما بإنخفاض الدخل أو زيادة تكلفة المعيشة، وكان ضحية ذلك من هو على حافة الفقر أو يكاد. وإحدى بوادر تفشى ظاهرة الفقراء الجدد في المجـــتمع تـــبدأ بالجمع بين عدة وظائف أو أعمال أو التكسب بطرق ملتوية واللجوء إلى أســـاليب غـــير شرعية مثل الإرتشاء لزيادة الدخل، ورغم أن برامج الإصلاح الإقتصادى تصيب من جديد من إصابه فعلا فقر الفرد، ومن يعيش في جزر الفقر حتى أنهم يصبحون مـــن المعدميـــن إلا أن دراسات البنك الدولي ركزت على الفقراء الجدد وألقت كثيرا من الضوء عليهم، فهم فقراء الخفاء ونوضح هذه الدراسات أن الفئات التالية تضاف، إلى قائمة الفقراء الجدد في الدول النامية بعد تطبيق برامج الإصلاح الإقتصادى.

١) طلبة المدارس والجامعات والأطفال والمسنون وغيرهم ممن يدخلون في الفئات المعالة لإنخفاض أو إنقطاع دخل عائلهم.

٢) أصحاب الدخول الثابتة مثل المحالين إلى المعاش، المطلقات الذين رتب لهم نفقات زوجية، ملاك الأراضي والعقارات الخاضعين لتحديد الإيجارات وذلك لزيادة تكلفة أعباء المعيشة.

٣) المرأة عائلة الأسرة والتي عادة يقل دخلها عن الرجل وتتخلف عنه في الترقيات والإمتيازات.

٤) أصحاب الأعمال الهامشية أو شبه الهامشية أو من يعيشون على دعم الدولة المباشر للسلع الإستهلاكية أو الإعانات الحكومية والصدقات لإنخفاض دخولهم.

٥) خريجو المدارس والجامعات وغيرهم من المتعطلين طالبي أو فاقدي الأمل بعد رفع الدول يدها عن توفير العمل.

٦) العمال والموظفين ذوو الإنتاجية الحدية المنخفضة والذين لا يساهمون في زيادة معدل ربح الشركات الحكومية التي تباع، أو الشركات الخاصة التي يباح لها حرية إنهاء عقود العمل، ويسمى هؤلاء بالعمالة الزائدة، أو من يشملهم تعريف للبطالة المقنعة، أو الوظائف الهامشية.

الإخفاق الإقتصادى والعنف:

شهد عقد التسعينات زيادة كبيرة في القلاقل وأحداث الشغب العامة في قلب المدن الكبرى داخل ما يسمى بالعالم الأول، وشملت معظم الإضرابات في الدول الكبرى والصغرى على حد سواء، وهزت أحداث الشغب والعنف الضواحي الفرنسية، والمدن الداخلية البريطانية، وأحياء اليهود والأسبان في أمريكا، وقام بها الشباب بصفة رئيسية من الأحياء المدنية الفقيرة والمعزولة والمهمشة حيث تغذيها على ما يبدو التوترات " العنصرية " المتنامية في هذه الأحياء والمناطق المحيطة بها، ومن ثم فإن التفسير السائد في التقارير الإعلامية والمناقشات السياسية هوانها " أحداث شغب عرقية " تعبر عن العداء ضد "الأقليات" العرقية أو المهاجرة في تلك البلدان، أو العداء فيما بين أفرادها.

وثمة دلائل عديدة تؤيد هذا الرأي، فقد إجتاحت أوربا خلال الثمانينات موجهة عارمة من المشاعر العنصرية التي بدأ أن من الصعب الوقوف في وجهها، إذ تفجرت في المشاعر العدائية " المناهضة للعرب " والتي ظلت كامنة لوقت طويل ، حيث إتخذت صورة علنية وأدت إلى زيادة الإعتداءات العنصرية، كما عبرت عن نفسها سياسيا في شكل موجة العداء للأجانب التي يتبناها " الحزب المسمى الجبهة الوطنية " وفي المملكة المتحدة، إشتعل العداء بين الملونين القادمين من جزر الهند الغربية والأسيويين من ناحية والبيض في صورة مواجهات متعددة بالشوارع، وإزدادت شدتها إلى درجة أصبح ينظر فيها على نحو متزايد بإعتبارها مشاكل " سوداء " في المقام الأول، وفي ذات الوقت،

ظهرت حركة واسعة النطاق في الولايات المتحدة الأمريكية ضد المكاسب التي حققتها ما تسمى بالأقليات الأمريكية من أصل أفريقي بصفة أساسية، إلى جانب أبناء أمريكا اللاتينية وبعض التجمعات الأسيوية، غداة حركة الحقوق المدينة في الستينات، وأدت إلى تدهور حاد في العلاقات العرقية كان من مظاهره تصاعد الجرائم ذات الدوافع العرقية أو ما يعرف بجرائم " الكراهية "، وكشف عنه الخوف العام من الذكور السود في الشوارع، والحوادث العرقية التي وقعت في الجامعات، والإستغلال السافر للمشاعر المناهضة للسود من جانب بعض الساسة.

منطق الإضطربات الداخلية :

تشير النظرة الفاحصة لشكل تلك الإضطرابات إلى أنها قد جمعت ، بنسب متفاوتة بين منطقين:

١) منطق الإحتجاج على الظلم العنصري.

٢) منطق الثورة من جانب الفقراء على الحرمان الإقتصادى والتفاوت الإجتماعى المتزايد، بما يملكونه من سلاح فعال، إن لم يكن هو السلاح الوحيد، وهو تمزيق الحياة المدنية بالقوة وعلى نحو مباشر.

٣) وربما كانت الثمانينات والتسعينيات هي العقد الذي إكتمل خلاله تدريجيا نمو أحداث الشغب المختلفة ــ وهى مختلطة على ضوء دوافعها وأهدافها، وكذا نظرا إلى تركيبها العرقي المتعدد، فالضواحي الفرنسية والمدن الداخلية البريطانية لا يقطنها، خلافا لما تصوره وسائل الإعلام، المهاجرين وحدهم أو حتى يشكلون النسبة الغالبة فيها، كما أن أولئك الذين إشتركوا في الإضرابات التي وقعت كانوا يتألفون من أصول عرقية مختلفة في كثير من الأحوال، وفضلا عن ذلك، فإن مطالبهم هى نفس مطالب الشباب من الطبقة العاملة في كل مكان : أى الحصول على الوظائف والتعليم بمدارس ملائمة، وتوفير المساكن أو تطويرها، والإستفادة بالخدمات العامة، والمعاملة اللائقة من جانب الشرطة، وبالمثل فإن الآلاف الذين نهبوا السلع من المتاجر والمراكز التجارية بعد إشعال النار بها خلال أحداث الشغب التي إندلعت في منطقة " ساوثوست " بمدينة لوس أنجلوس، لم يكونوا كلهم من السود: إذ كان أكثر من نصف الذين تم إعتقالهم في بداية الأحداث من أبناء أمريكا اللاتينية، و١٠ في المائة منهم من البيض، كما أن الحركة لم تكن مجرد إحتجاج من جانب الأمريكيين الذين ينحدرون من أصل أفريقي على التفرقة العنصرية الجسيمة، وإنما كانت كذلك ثورة ضد الفقر والجوع والتدهور المادى الشديد ، الذي نجم عن الركود الإقتصادى، وخفض البرامج الإجتماعية الحكومية، ويصف أحد المعلقين ثاقبي البصيرة في المدينة ذلك بقوله، " لقد كانت أحداث الشغب الأولى التي وقعت من جانب عناصر الأمة المتعددة تعزى إلى أسباب تتعلق بالبطون الخاوية والقلوب البائسة بقدر ما تتعلق بهراوات الشرطة ".

٤) وهذا العنف يتكون من عناصر أساسية : البطالة الجماعية التي تجلب وراءها

إنتشـــار الحرمان المادي، والنفي إلى الأحياء المتردية، وهي جميعها عناصر فتاكة يزداد أثرها نظرا لكونها تحدث في ظل زيادة ملحوظة في عدم التكافؤ بوجه عام.

وكـــان التحول من التصنيع إلى الخدمات التي تحتاج إلى تعليم مكثف، والآثار المترتبة على إستخدام التكنولوجيا الإلكترونية والأوتومية في المصانع والمكاتب، وتلاشى النقابات ــ فضلا عن تقلص الإنفاق الحكومي في مجالات التأمينات الإجتماعية والأسكان الخاص بـــذوي الدخـــل المـــنخفض، مرادفة للزيادة غير العادية في معدلات البطالة طويلة الأمد، وتـــردى الأوضـــاع المادية، وكان على الدول المتقدمة، في الوقت ذاته، إستيعاب تدفقات جديدة (أو إستيطان نهائي) من المهاجرين من العالم الثالث الذين يتجهون بصورة نمطية إلى نفس الأحياء التي تتضاءل فيها الفرص الإقتصادية والموارد. وهذا الإنفصال المكاني مـــن شـــأنه أن يؤدى إلى زيادة الصعوبات نتيجة تركز الأسر التي تزداد أوضاعها سوءا وتنتمي إلى الطبقة العاملة الوطنية، أو إلى السكان المهاجرين ذوى القوميات المختلطة من الشـــباب، والأســـر الهشـــة مـــن الناحية الإقتصادية والمحرومة من المهارات التي يمكن تســـويقها. بســـهولة في الإقتصاد الجديد، داخل هذه الأحياء السكنية التي تعانى بالفعل من تضاؤل الفرص الإقتصادية والموارد بصفة عامة.

٥) وهـــذا التراكم في الآفات الإجتماعية يفسر المناخ الثقيل للكآبة، والضيق واليأس، الـــذي يخـــيم على المجتمعات الفقيرة في العديد من المدن الغربية الكبرى، إذ يشعر سكان هـــذه الأحياء المزدحمة أنه لا مستقبل لهم، ولا لأولادهم سوى حياة البؤس، والعزلة التي أصـــبحت قدرهـــم فيما يبدو، أضف إلى ذلك الغضب الذي يستشعره الشباب الفقراء، من ســـكان المـــدن نتيجة للتفرقة الثقافية والكراهية المفروضة على سكان المناطق الحضرية المتدهورة .

٦) ولـــم يعد العنف العنصري هو التعبير الفظ عن السيطرة ذات الطابع الإستعمارى. بـــل قـــد ينشأ كذلك عن أزمة إقتصادية، تتقلب فيها إحدى الجماعات المحرومة، المهددة بـــتدهور مركـــزها الإجـــتماعى أو إقصائها عن المسار الرئيسي، ضد جماعة أخرى في محاولة لإزاحتها ــ على أسس عنصرية ــ من سوق العمل الآخذ في التقلص، فقد ظهرت عنصـــرية البـــيض الفقـــراء، التـــي أدت إلى شنق السود دون محاكمة قانونية في جنوب الولايـــات المـــتحدة في أواخر القرن التاسع عشر، وإلى إندلاع أحداث الشغب العرقية من المـــدن الكبرى في شمال الولايات المتحدة خلال النصف الأول من القرن العشرين، حينما نظر البيض إلى جيرانهم السود بإعتبارهم منافسين خطرين في سوق العمل الصناعي.

غـــير أن العـــنف العنصـــري قد تقوم به الطبقات الأكثر ثراء، التي تريد الحفاظ على الفجوة الفاصلة بينها وبين الطبقات الأقل ترفا، وهى تلجأ في ذلك إلى إستخدام أسلوب هو مـــزيج مـــن التفرقة الإجتماعية والعنصرية، وهو ما قد يؤدى إلى مزيد من أشكال العنف القاســـية، فقد قام المواطنون البيض الأثرياء في جنوب الولايات المتحدة، في مستهل هذا القـــرن بتنظيم فرق للشنق دونما محاكمة قانونية، عقابا للرجال السود المتهمين بإغتصاب النساء البيض أو السرقة.



ليس فقراً ولكنه إملاق !!

الشعور بالقهر والظلم يولد قوة كامنة

لا حدود لها في البشر

في دراسة عوامل قوة وضعف الدولة، نجد أن جزءاً كبيراً منها يتعلق بالقوة العسكرية التي تساندها القوة الإقتصادية، ولكن هناك قوة أخري يغفل عنها الجغرافيون السياسيون يمكن إن تقف أمام قوة الدولة، إن كانت غاشمة، تقتل، وتحطم، وتشرد، وتطحن البشر، وتجرف المساكن والبنية الأساسية دون وجه حق، هذه القوة لا تنتهي بنفاد الذخيرة، فالذخيرة هنا هي إرادة البشر، حين يأخذ المقهورون الأمر بيدهم، ويروعون هذا الغاشم ويفزعونه، يقضون مضاجعهم ليلاً، ويجعلهم يتلفتون حولهم نهاراً وكأنهم فئران مذعورة، مهما كان معهم من سلاح.

أنظر صور أطفال الحجارة، صورة الإستشهاديين الذين يواجهون أعتي الجيوش سلاحا، شباب أثر الموت على الحياة في سبيل الحرية على الحياة تحت ذل العبودية، وشعب أعزل يواجه جيش نظامي مفرط في قوته العسكرية، تفوق عسكري، وخبرات

قتالية مما لا يتناسب مع ما يملكه المجتمع الفلسطيني من إمكانات، بل ما لا يملكه. لذلك كانت الإنتفاضة تمثل حرب تحرير، حروب كر وفر.

هذه الظاهرة نلحظها بوضوح قبل نصف قرن بوجه خاص في حركة التحرير الجزائرية في الخمسينات وبداية الستينيات من القرن العشرين، ومقاومة الفيتناميين للأمريكيين في الستينيات (باعت فيها الولايات المتحدة الأمريكية نصف إحتياطيها من الذهب)، قبل ذلك في الصين في حرب تحريرها الطويل من العشرينيات حتى عام ١٩٤٩.

إن إستخدام العنف في حركات التحرير، لم يكن أبداً اختياراً من بدائل متعددة متاحة، فالإعتماد على الحكومات أبطأ حركة وأقل إنطلاقاً، واكثر قيوداً، لأنها مسئولة عن إدارة الشئون العامة للجماعة، وهي من ناحية أخرى عضو في الجماعة الدولية، بما يفرضه ذلك عليها من علاقات وتبعات، من ثم كان الخيار الوحيد أمام الفلسطينيين هو الإعتماد على النفس بالرد على العنف بالعنف رغم أنه لا يملك الأباتشي ولا المجنزرات، ولا المدفعية، ولا المظلة الأمريكية، فهي حرب غير متكافئة ***assymetrical***.

إن الإستشهاد معناه خسائر باهظة في أعز ما تملك الجماعة البشرية، وهو النفوس والأرواح، وما من جماعة مستعدة لأن تقدم أرواح أبنائها إلا إضطراراً، وذلك مصداقاً لقوله تعالي " كتب عليكم القتال وهو كره لكم ".

هل إنتفاضة الأقصى (٢٨ سبتمبر ٢٠٠٠) تحرير أم إرهاب؟

- إذا كان ما يقوم به المنتفضون في فلسطين إرهاباً، فهل كان الفيتناميون إرهابيين وهل كان الجزائريون إرهابيين؟

- هل آيات الأخرس ذات الثمانية عشر ربيعاً، والنظرة البريئة، والتي نشرت صورتها على غلاف الينوزويك " إرهابية " لم تكن منضوية تحت أي تنظيم، بل لم تكن حتى بشهادة الجميع ذات اهتمامات سياسية، لم تذهب للثار والشهادة إلا بعد أن رأت جارها يخترق الرصاص جسده من نافذة منزله وهو يلعب بالمكعبات الملونة مع صغيرته.

- ألم يكن الإسرائيليون إرهابيين منذ أن هبطوا أرض فلسطين إلى الآن، إن تنسي فلا تنسي دير ياسين وصبرا وشاتيلا و ... قتل الأطفال والشيوخ والشباب والنساء، والحوامل منهن تبقر بطونهن.

- ولما نذهب بعيداً والذي يحدث اليوم للفلسطينيين لا يتصوره عقل، قتل جماعي وإبادة وتجريف للمباني والمرافق، ووقوف الأحياء من الفلسطينيين في العراء.

- وفي اليوم الذي لا يكون فيه قذف للمدفعية والصواريخ يجبرون على خلع ملابسهم عند عبور مناطق التفتيش، ويتهكم عليهم العسكر، تلد نساؤهم عند هذه النقاط في العراء قبل الوصول إلى المستشفيات، منع التجول لأسابيع متواصلة لا يستطيعون العمل

خلالهـا حظـر التجول لأسابيع لا يستطيع الإنسان فيها الحصول على حاجاته الأساسية، يمنع المعتقلون من الذهاب إلى دورات المياه حتى يتبولوا في ثيابهم ليتندروا عليهم.

- مـع ذلـك فكما إزداد الإسرائيليون شراسة، كلما أشتد ساعد المقاومة، فضعف الفلسطينيين المادي يتحول إلى قوة معنوية جبارة، الأمر الذي يجعل الصهاينة يفشلون في كسـر إرادة الفلسـطينيين، وأن الاسـتخدام المفرط للقوة الذي يمارسه الصهاينة هو دليل ضعف قبل أن يكون برهان قوة.

- يعد ثمن باهظ يدفعه الفلسطينيون من دمائهم وفلذات أكبادهم، ومع ذلك فإن خيار المقاومـة أصـبح محسـوما خصوصا بعد ما أثبتت الخيارات الأخرى أن أوسلو، طابا، وغيرها لا تساوي ثمن الورق الذي سيطرت عليه، وأن المجتمع الدولي بدلاً من ان يلتفت إلـى الكارثـة أعرض عنها، ومن ثم فالعمليات الإستشهادية تذكر المطحونين بأن شيئاً لم يمت.

هل كانت الإنتفاضة في صالح الفلسطينيين أم عليهم؟

- **عملـيات الإنتفاضـة هي رسالة لكل إسرائيلي تبلغه بأن حياته في خطر حيثما وجد، من ثم فعليهم الإختيار بين بدائل أخرى، بدليل كثير من الإسرائيليين حزموا حقائبهم وعادوا من حيث أتوا.**

- **أزمـة تهـرب خطـيرة مـن الخدمة العسكرية، وكان عدد الفارين من الخدمة العسكرية ٢١١٦ جندياً عام ٢٠٠٢.**

- **يعـالج الجـنود الإسـرائيليون الذيـن يتم تسريحهم من الجيش بعد تجاربهم مع الإنتفاضـة في قري علاجية علاجاً نفسياً، ومنهم من يرسل إلى الهند وتايلاند وغيرها من دول الشـرق الأقصى، ولكنهم هناك يدمنون المخدرات ويعودون أشخاصاً غير طبيعيين، في حالة إنهيار تام.**

- **أصـدر البـنك المركزي الإسرائيلي تقريراً عن الوضع الإقتصادي عام ٢٠٠٢ ذكـر أن نسبة البطالة تجاوز ١٠,٥%، وأن نسبة العجز في الميزان التجاري ستصل إلى ٩٥% نتـيجة إخـتلال العلاقـة بين الصادرات والواردات، وهذا معناه إن الصادرات أو الإنـتاج أصـبح شـبه مـتوقف، وبالتالـي تزداد حاجة إسرائيل إلى الاستيراد، وتراجع الاستثمارات الأجنبية وفقدان الثقة في أوضاع إسرائيل ذلك البلد المضطرب.**

- **ثبـت أن الأمر ليس في يد إسرائيل كما تريد، بل إن الإنتفاضة لاعب مؤثر يثير الفـزع، وتجعـل الإسـرائيليين يحسون بأنه لا أمن ولا أمان بالإتفاق وليس بالصواريخ والمتفجرات.**

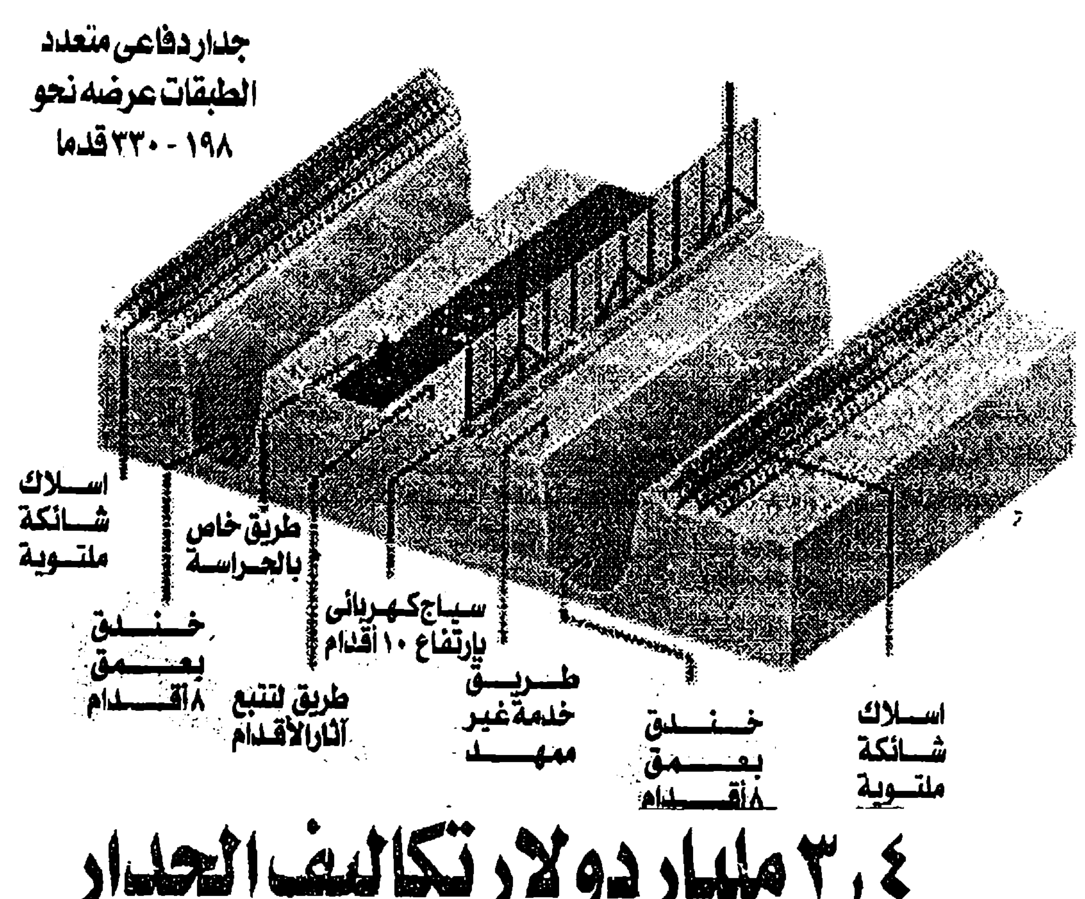
- **نشرت جامعة تل أبيب في ٢٠٠٢/٦/١٢ مقياسها الشهري لاتجاه الجماهير، ومن بين الأسئلة الرئيسية جاء السؤال التالي :**

" فـــي الواقع الإسرائيلي الأليم، هل تعتقد أن المستوطنات الإسرائيلية تسهم في مصلحة إسرائيل أم تضعف هذه المصلحة؟".

	يونيه ٢٠٠١	يوليو ٢٠٠٢
تضر المصلحة الوطنية لإسرائيل.	٣٣%	٥٤%
تقوي المصلحة الوطنية.	٥٨%	٣٥%

هل لو لم تهب الإنتفاضة، أو توقفت كانت ستأتي النتيجة كما سبق.

* إن المقاومـــة هي حق مشروع في كل ثقافة ودين عندما ينتزع شعب من أرضه، ويخرج من دياره، ويشعر بأنه يقف وحده في العراء.



الفصــل الأول

مشــكلات اســاسها الظــروف الطبيـــعية

الدول الحبيسة Land locked States *(الموقع الجغرافى)*

كان هناك إحدى وثلاثين دولة لا تطل على البحر بأي شكل من الأشكال ويطلق عليها الــدول الحبيسة، وزاد العدد بعد التطورات الأخيرة فى أوربا ، فأصبح عددها الآن ثلاثة وأربعيــن دولة، ومعظم هذه الدول الحبيسة تجاورها أكثر من دولة وتعتمد الدول الحبيسة علــى الــدول المجــاورة فى تصريف تجارتها، إذ تعتمد على البحر لتصريف جزء من تجارتهــا الخارجية، فضلا عما تجنيه منه، ولعل النزاع وعدم إتفاق الدول الساحلية على المــياه الإقليمــية والمــياه الإقتصادية خير دليل. وتصبح الدول الحبيسة بالتالي فى وضع لا تحســد علــيه، إلا إذا ضــمنت حق المرور البرئ فى المياه الإقليمية، والحصول على تســهيلات مــن موانى الدول الساحلية، ووسائل نقل من هذه الموانى إلى الداخل، أى أنها تبحــث عــن مجموعة من الضمانات وإلا أصبحت من ناحية الموقف السياسي الدولي فى عزلة، وقد يترتب على هذا الوضع قيام كثير من نزاعات الحدود بغرض تأمين ممرات أو منافذ حرة ودائمة إلى البحر.

فلقد أصبحت المحيطات مسالك وطرقا للقوة فى عصر التقدم التكنولوجي بعد أن كانت تمــثل فواصــل مائــية ضــخمة تعــزل البشر بعضهم عن بع . إذ نقلت البحار ثروات المســتعمرات مــن خامات زراعية وصناعية إلى الدول المستعمرة، وساعدت على غناها وقوتهــا، ومازالــت تفرغ السفن إلى الآن هذه الخامات فى موانى الدول الصناعية، حيث تقوم الصناعة فى أحوال كثيرة لتفادى تكاليف النقل إلى الداخل، هكذا يتدفق سيل من السلع والأفكــار علــى هذه المدن والموانى، وفى كثير من الأحوال تمثل القلب النابض بالنشاط الإقتصــادى (الموانى الشرقية للولايات المتحدة الأمريكية. موانى غرب أوربا ... إلخ)، هــذا بيــنما لا تجــد الدول الحبيسة مفرا من نقل السلع منها وإليها عبر الموانى الأجنبية، وأملها الوحيد أن يتم هذا عبر أقرب الموانى إليها وأرخص الطرق دون أن تجد صعوبات أو عقــبات، وهــذا يتوقف على علاقة الدولة الحبيسة بجاراتها أو جيرانها، لأن الدولة أو الدول الساحلية قادرة على غلق هذه المسالك فى وجهها.

الدول الحبيسة

أفريقية	آسيا	أوربا	أمريكا الجنوبية
بتسوانا	أفغانستان	أندورا	بوليفيا
بوروندى	بوتان	النمسا	براجواى
أفريقيه الوسطى	لاوس	تشيك	
تشاد	منغوليا	سلوفاكيا	
ليسوتو	نيبال	ليشتنشنين	
مالاوى	سكيم	لوكسمبورج	
مالى	أرمينيا	سويسرا	
النيجر	أزربيجان	سان مارينو	
زيمبابوى	طجيكستان	مدينة الفاتيكان	
رواندا	كازخستان	المجر	
سوازيلاند	تركمنستان	بلوروسيا	
أوغندا	أوزبكستان	مولدوفا	
بوركينا فاسو	قرغيزستان		
زامبيا			
إثيوبيا			

الوصول إلى البحر عن طريق الأنهار:

إذا كان النزاع للوصول إلى البحر قديما، فقد ظهر بصورة جلية فى القرن التاسع عشر، ويجب أن نشير فى هذا المجال أنه ليس من الضروري أن تكون الدولة محرومة من السواحل لتكون فى حاجة إلى موانى غيرها ، فقد يكون الساحل قصيرا أو صخريا أو لا يصلح لقيام الموانى فيه لسبب أو لآخر، من ثم تقوم مثل هذه الدولة بتنمية ميناء أو موانئ على نهر يمر فيها، وينتهى فى دولة أجنبية مجاورة، وإذا أغلقت دولة المصب هذا المنفذ عزلت الدولة الداخلية تماما، وهذا ما حدث فعلا عندما أغلق الهولنديون مصب الشلد أمام البلجيك فى منتصف القرن السابع عشر، وعزل ميناء أنتورب البلجيكى عن البحر لمدة بلغت نحو قرن ونصف، حتى أمكن لجيوش الثورة الفرنسية غزو هولندا، وفتح مصب الشلد للملاحة عام ١٧٩٢، وأعلن مجلس قيادة الثورة الفرنسي بأن العقبات التي وضعت أمام التجارة، هي مناقضة تماما للمبادئ الأساسية للقانون الطبيعى ، فمجارى الأنهار ملكيتها وإستخدامها لكل الدول التي تجرى فيها، ثم كانت لائحة الملاحة الدولية التي أقرتها الدول فى مؤتمر فيينا عام ١٨١٤، والتي إستندت إليها الولايات المتحدة الأمريكية فى حق مرور تجارتها فى نهر سنت لورنس إلى المحيط الأطلنطي.

وتستخدم المجارى النهرية أيضا بواسطة الدول الساحلية التي بحثت عن مخارج إضافية، ففي المثل السابق مازال الشلد يعتبر مخرجا رئيسيا لبلجيكا التي تطل على بحر الشمال، كذلك يخدم نهر بارانا وروافده جنوبي البرازيل ويخدم سانت لورنس الولايات المتحدة الأمريكية، كما تستخدم ألمانيا أنهار وقنوات هولندا فى حركتها التجارية رغم أن لكل من الولايات المتحدة الأمريكية وألمانيا الغربية سواحلها وموانيها المتعددة.

الوصول إلى البحر بواسطة الممرات :

كانت فكرة الممرات ***Corridos*** تعتبر حلا مناسبا ومستخدما لحل مشكلات الدول الحبيسة وخاصة فى أوروبا، قبل أن تستقر الحدود السياسية، وقبل تبادل الأراضي، ولكن هذه الفكرة غير مقبولة الآن ولا ينصح بها أحد لأوغندا أو زامبيا أو بولفيا، ولكنها كانت مستخدمة فى أوربا منذ نحو نصف قرن كحل لسلام دائم لا تقطعه عزلة الدول الحبيسة، وأشهر هذه الممرات هو الممر البولندي الذي ظهر على الخريطة السياسية عقب الحرب العالمية الأولى، ذلك أن بولندا بدون مخرج على بحر البلطيق تصبح دولة حبيسة، فضلا عن أن منافذها إليه سوف تكون تحت رحمة دولة لها معها تاريخ طويل من العداء والبغضاء (ألمانيا). فكانت فكرة الممر البولندي لإيجاد مخرج طبيعي فى مقابل حرية حركة الألمان على الطرق والسكك الحديدية التي تمر بين ألمانيا وبروسيا الشرقية ، وكان تحديد الحدود السياسية فى المنطقة القريبة من بحر بلطيق صعبا لأن أغلبية السكان من الألمان، وأدى هذا إلى فصل بروسيا الشرقية عن بقية الوطن الألماني، وتحويل ميناء دانزنج الذي يسكنه الألمان إلى ميناء حر تحت إدارة عصبة الأمم ، وظل سكان دانزنج الذي يسكنه الألمان إلى ميناء حر تحت إدارة عصبة الأمم، وظل سكان دانزنج من الألمان (٤٠ ألف نسمة) على ولائهم لألمانيا، وظلوا يطالبون بالعودة إليها وشيدت بولندا ميناء جديدا إلى الشمال الغربي من دانزنج عام ١٩٢١، وبعد إنتهاء هذا الميناء الجديد توقفت الحركة فى ميناء دانزنج، ونظرا لما أصاب هذا الميناء من ركود، فقد أصبح مركزا للدعاية النازية فى الثلاثينيات، وإستغل هتلر بطالة سكان ميناء دانزنج والممر البولندي فى المطالبة بعودة هذه الأراضي، حتى كانت الحرب العالمية الثانية وضم ألمانيا له، ثم طرد الروس للألمان مرة أخرى، وتحركت حدود ألمانيا إلى نهر الأودر. وعندما تحصل الدولة الداخلية على ممر ، فإن هذا معناه إتساع فى مساحتها وإن كان قد يؤدى إلى تشويه فى شكلها ، ولكن المهم إنها تمد سياستها على الممر وهو حل مستحب للدولة الداخلية بدلا من الحصول على تسهيلات فى السكك الحديدية أو الأنهار أو مواني الدولة الساحلية المجاورة، لأنها لا تمتد بسيادتها فى الحالة الأخيرة.

وكان البولنديون يصرون دائما على أنهم لم يحصلوا على منطقة الممر لأنهم يمثلون دولة حبيسة فحسب، بل وإن من يعيشون فيها بولنديون وليسوا بألمان، وطبقا لحق تقرير المصير الذي إنتشر عقب الحرب العالمية الأولى، فإنه (يصبح من حق بولندا وليس من حق ألمانيا).

والممـــر القطبي **Arcatic corridor** أو الممر الفنلندي نموذج لوصول الدولة إلى الـــبحر، فعـــندما حصلت فنلند على إستقلالها من روسيا عام ١٩٢٠، حصلت أيضا على الممـــر الفنلـــندي وكأنه كان هدية عيد ميلاد الدولة الجديدة ، ويشبه الممر الفنلندي نظيره البولـــندي، وفـــي نفس الوقت يختلف عنه، يشبهه فى أنه يعطى منفذا إلى البحر، ذلك أنه رغـــم أنـــه لفنلـــند سواحل على خليج فنلند وخليج بوثنيا، فموانيها متجمدة طوال الشتاء، وبالتالي يتيح الممر القطبي ميناء شتويا يصله تيار الخليج الدافئ ولكن وجه الإختلاف عن الممر البولندي يأتى من كون الممر الفنلندي شبه خالي من السكان، ذلك أن فنلند فى فصل الشتاء تعتبر معزولة، وقد أقيم ميناء بتسامو على أمل أن يبرر خلق هذا الممر، ولكن بينما يتصل الممر البولندي بقلب الدولة تقريبا، فأن الممر الفنلندي بعيد عن قلب الدولة ومراكز نشـــاطها الإقتصادى فى الجنوب، فالرحلة البحرية الطويلة إلى ميناء مفتوح شتاء، فضلا عـــن نقـــل السلع مرة أخرى إلى جنوبى البلاد جعله ذو أهمية ضئيلة بالنسبة لنشاط فنلند الـــتجاري، ولـــم يزد عدد سكان ميناء بتسامو بعد عشرين عاما من إنشائه على ألفين من السكان، لذلك لم يكن هناك ما يبرر أهمية هذا الممر الفنلندي، وقد ضمه الإتحاد السوفيتي عام ١٩٤٥، أي بعد الحرب العالمية الثانية.

وتتعدد الممرات فى القارات الأخرى، وفى أفريقية نجد نموذجين للممرات فى كل من زائير وناميبيا، فقد إستبدلت الحكومة البلجيكية (المستعمرة للكنغو) عام ١٩٢٧ مساحة ميل مـــربع واحد بأربعمائة وثمانين ميلا مربعا مع البرتغاليين، وكان هذا الميل المربع لتنمية ميناء متادى على مصب نهر زائير. أما أصبع كابريفى فى ناميبيا، فقد وافق عليه مؤتمر برلـــين عام ١٨٨٥ تحت ضغط ألمانيا لربط جنوب غرب أفريقية بنهر الزمبيزى الدولي (وإن كـــان الغـــرض الفعلي غير ذلك، بل ربط جنوب غرب أفريقية بتنجانيقا الألمانيتين وقطـــع طريق القاهرة – الكاب البريطانى ولم يؤد هذا البروز فى خريطة جنوب أفريقيه الغـــرض المطلـــوب، وإن كان قد أدى غرضا آخر إستراتيجيا منذ عام ١٩٦٥ مع ظهور زامبـــيا المستقلة المعارضة للنظام العنصري فى جمهورية جنوب أفريقية فبدأت الحكومة الأخـــيرة فى إنشاء قواعد عسكرية فى هذا الأصبع لمواجهة الحركات التحررية التي تغير عليها من زامبيا.

المرور أو الترانسيت:

والحل الثالث والأخير لمشكلة الدول الحبيسة هو حرية المرور لتجارتها، وهذا فعلا ما تعتمد عليه معظم الدول الحبيسة فى العالم، وقد عقد مؤتمر دولي فى برشلونة عام ١٩٢١، ووقعـــت أربعـــون دولة ساحلية على إتفاق يقضى بالسماح ومساعدة حركة التجارة للدول الحبيســـة عـــبر أرضـــيها إلى أقرب ميناء، دون تمييز أو ضرائب أو مكوس، كما عقدت إتفاقيات ثنائية كثيرة بين الدول التي لم توقع على ذلك الإتفاق، عقدت الأمم المتحدة مؤتمرا بهذا الخصوص عام ١٩٥٨، ودعت له ممثلوا إثنتا عشر دولة حبيسة، وكان هناك إعتراف بحـــق هذه الدول فى حرية المرور، ولكننا نلاحظ أنه فى عام ١٩٥٨، لم تكن هناك دولة أفريقـــية واحـــدة ممـــثلة، بينما هناك اليوم خمسة عشر دولة أفريقية حبيسة، وهذا معناه

مضاعفة عدد الدول الحبيسة، بالتالي يحمل هذا معه مشكلات مضاعفة، فقد تضطر مالي وبوركينا فاسو إلى التحول بتجارتها عن أقرب الموانئ إليها وهو داكار، وذلك لسوء العلاقات في بعض الأحيان مع السنغال، كذلك الحال فى أوغندا، فمنفذها الوحيد على المحيط الهندي وهو ميناء ممبسا الكيني كما تعتمد تشاد على المواني النيجيرية ، وتعتمد بوركينا فاسو على أبيدجان فى كوت ديفوار.

وتعتبر زامبيا فى أفريقية نموذجا لما عانته وتعانيه دولة حبيسة تعتمد على النحاس كصادرها الرئيسي، وكان خام النحاس يخرج من زامبيا قاطعا طريقا طوله ١٥٠٠ كم (كالمسافة بين باريس وموسكو) أما إلى ميناء بيرا فى موزمبيق، أو ميناء لوبيتو فى أنجولا ، وكلاهما كان مستعمرة برتغالية حتى عام ١٩٧٥ ، كما أعلنت روديسيا إستقلالها غير الشرعي عام ١٩٦٥([١])، وكان الطريق عبر روديسيا وموزمبيق هو أفضل الطرق بل كان أهمها جميعا قبل توليد الكهرباء من سد الكاريبا لأنه يمر فى حقول فحم وانكى فى روديسيا، ويتزود منها بالوقود، وتحمل العربات الفحم إلى زامبيا فى رجوعها لتعدين نحاس زامبيا ، ولكن هذا الطريق الذي أستخدم كمخرج للنحاس وكمدخل لواردات زامبيا لعقود عديدة، لم يكن من السهل إستخدامه لتوتر العلاقات بين زامبيا وروديسيا ، وإيواء زامبيا لحركات التحرير.

وأدى هذا إلى صعوبات جمة أول الأمر، ونظمت بريطانيا طلعات جوية تحمل الوقود الضروري إلى زامبيا حتى لا يصاب إقتصادها بشلل، ولم تستطع زامبيا أن تصدر سوى ٣٠ ألف طن من النحاس بدلا من المتوسط العام ، وهو ٦٠٠ ألف طن بالطريق البرى إلى تنزانيا، والتي كانت بدورها تستقبل واردات زامبيا ، بينما الباقي كانت تحمله الخطوط الحديدية إلى لوبيتو على المحيط الأطلنطي، ولما كانت هذه الإجراءات غير كافية، وقعت كل من تنزانيا وزامبيا إتفاقا عام ١٩٦٩ مع الصين لمد خط حديدى يمتد من زامبيا إلى تنزانيا بقرض قدره ١٥٠ مليون جنيه إسترليني يسدد بدون فائدة على مدى ثلاثين عاما.

بدأ العمل فيه عام ١٩٧٠، وإنتهي عام ١٩٧٤ ، ودشن فى أكتوبر ١٩٧٥، ويربط هذا الخط سكك حديد زامبيا عند موبوشي، ويسير لمسافة ١٨٧١ كم ليصل إلى دار السلام عبر أراضى وعرة وخاصة فى قطاعه الجنوبي، ولكن الإنتهاء منه حرر زامبيا من القيد الذي وضع لها، كما زاد فى عزلة رودسيا وقوى الروابط بين زامبيا وتنزانيا.

وهكذا رغم أن الدول تحترم تعهدها بحرية مرور التجارة للدول الداخلية فيمكن للدول الداخلية أن تواجه صعوبات، إذا ما تدهورت العلاقات، كما رأينا فى حالة زامبيا ، وكما هو الحال فى برلين الغربية، قبل الوحدة الألمانية، ويذهب البعض أن حرية المرور لم تكن ذات أهمية لإقليم فى أوربا كما هو الحال بالنسبة لبرلين الغربية، فعندما تقدم الحلفاء فى نهاية الحرب العالمية الثانية نحو ألمانيا كان الروس أسبق إلى إحتلال العاصمة برلين، وبذلك وقعت فى كاملها ضمن القطاع الروسي وإتفق على تقسيمها إلى برلين الشرقية

([١]) نالت روديسيا إستقلالها الفعلي عام ١٩٨٠ بأسم دولة زمبابوى.

(النفوذ الروسي) وبرلين الغربية (كانت مقسمة بين قوات الإحتلال الفرنسية والإنجليزية والأمريكية)، وبنت ألمانيا الشرقية سور برلين ــ فضلا عن شبكة الأسلاك المكهربة على نهــر ســبيرى، وأصبح مركز الكتلة الغربية حرجا لأن برلين بشطريها تقع ضمن ألمانيا الشــرقية، وكانــت الكتلة الغربية تتصل ببرلين الغربية عن طريق خط حديدي، وطريق ســيارات، وكان هناك تهديد فعلى يحاصرها، وقطع هذين الطريقين عام ١٩٤٨، وعزلت برلين الغربية عن ألمانيا الغربية.

قضية المياه فى الوطن العربى (الموارد الطبيعية)



المياه رمز الحياة وسرها، كانــت وما تزال، السبب في إزدهار الحياة ونموها، وربما في تدميرها أحياناً، في العالم قاطــبة وفــي الوطن العربي تخصيصاً.

ندرة المياه :

تعتــبر قضية المياه هي قضية العصر بحق لأن ندرة المياه العذبة تشكل خطورة على الإقتصــاد والحياة فى جزء كبير من العالم، فهناك نحو ٣٠ دولة معظمها تقع فى المنطقة العربــية وأفريقــية لا تفي الموارد المائية فيها بإحتياجات السكان فى الوقت الحاضر، فما بالك بعد سنوات عشر، فيجب النظر إلى المياه على أنها مورد محدود، وإذا كان هذا حقيقة الآن فــى الوطــن العربي، فأنه يمكن القول بأن هذه المشكلة قديمة فيه، فالمنطقة العربية يغلــب علــيها الجفاف وفى أحسن الأحوال تدخل أجزاء منها فى الإقليم شبه الجاف، على حيــن مــا يخــرج مــن هذه النطاقات هي أقصى الأطراف الشمالية حيث المطر شتاء، والأطراف الجنوبية ذات المطر الصيفي.

الســكان كمــا وكــيفا: غير أن ما يزيد من هذه المشكلة فى الوطن العربي فى عالمنا المعاصــر هــو زيادة السكان زيادة كبيرة، ففي منتصف الستينيات كان عدد سكان الوطن العربــي يــدور حول ١٠٠مليون وأصبح عام ٢٠٠٠ نحو ٢٩٠ مليونا، ولاشك أيضا أن هــناك زيادة فى المساحات المزروعة والتي تتطلب زيادة مياه الري لمواكبة هذه الزيادة، وتخــتلف نوعــية السكان الآن عن نوعيتهم منذ نصف قرن، إذا إرتفع مستوى المعيشة،

ويصحب إرتفاع مستوى المعيشة زيادة فى إستخدام المياه، وقد قدر أن الإنسان البدائي يستهلك نحو ٢,٥ لتر يوميا، على حين أن الإنسان فى الدول المتقدمة يستهلك نحو ١٤٠ لتر يوميا، كذلك صاحب زيادة السكان زيادة النمو الحضري السريع، ثم لا ننسى التصنيع فى هذا المجال، فتعليب كجم واحد من الخضروات يستهلك نحو ١٠ لترات من الماء، فى حين أن كجم واحد من الألبان الصناعية يستهلك ٤ لترات، بينما تقفز فى حالة الألبان الصناعية إلى ١٤٠ لترا، ومما هو جدير بالذكر أيضا موجه الجفاف والتصحر التي تضرب المنطقة العربية وأجزاء كبيرة من إفريقية تدخل فى الحسبان.

الموارد السطحية: وإذا نظرنا للوطن العربي وأنهاره لوجدنا ظاهرة جديرة بالتسجيل، وهي أن ١١ دولة غير عربية تتحكم فى ٨٥ % من مياهه، وحتى فى منطقته الممطرة وجدنا أمطارها غير منتظمة وتسقط على هيئة رخات ثقيلة فى مدد قصيرة ، فسواحل الشام وسواحل الجزائر يسقط عليها (بيروت، الجزائر) نحو ٧٥ سم وهو ما يعادل ما يسقط فى بعض أجزاء بريطانيا ولكن هناك يسقط أو موزع على معظم العام، على حين أنه يتركز فى الشام والجزائر فى نحو ١٥ يوما، تعانى أيضا المنطقة من الذبذبات الحادة، فدمشق يسقط فيها نحو ٢٦ سم فى المتوسط سقط منها فى أحد الأيام نحو ١٠ سم.

(١) تركيا ونهب المياه العربية

مشروع السلام الذي تجمد:

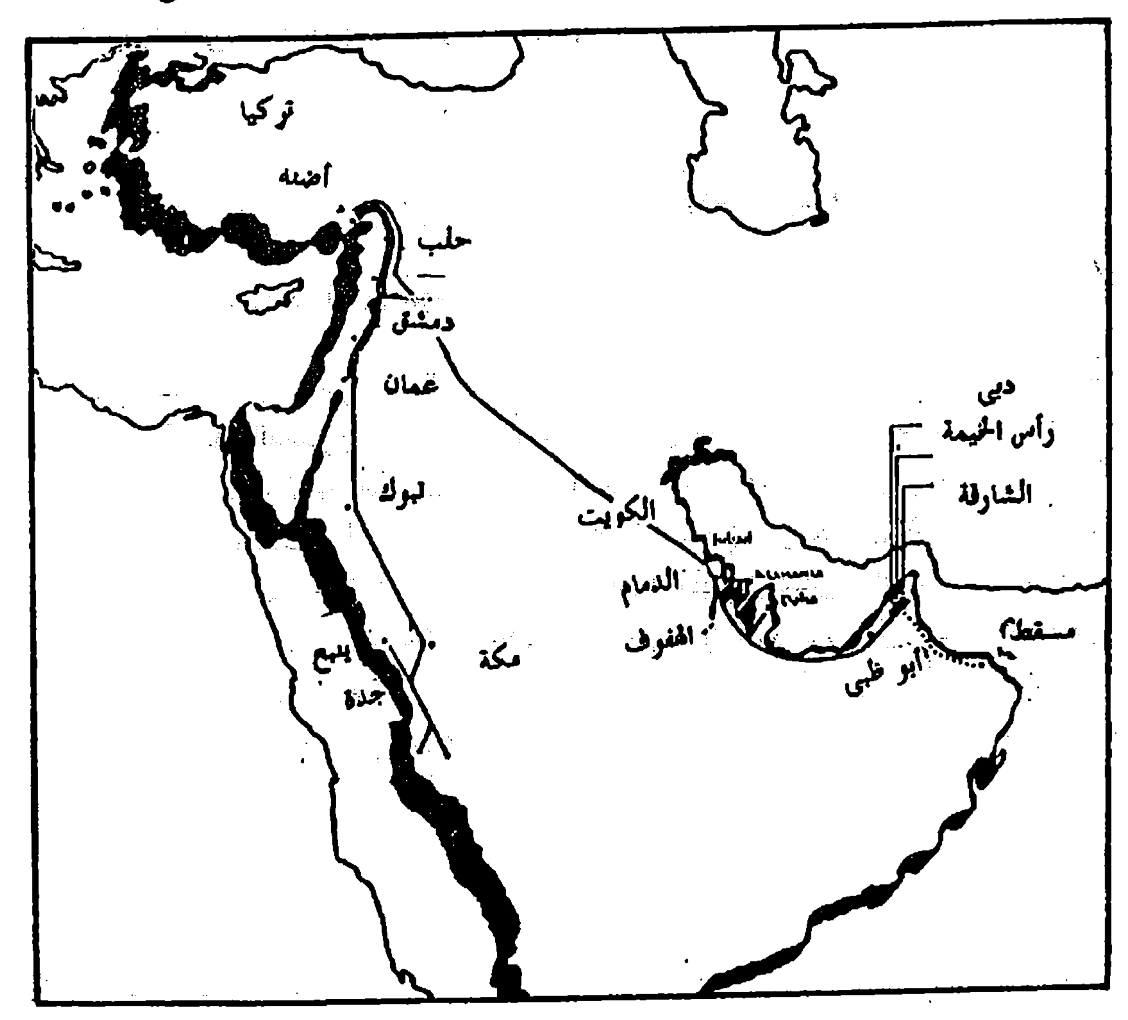
خرجت تركيا على العالم العربي عام ١٩٨٦ بمشروع أنابيب السلام، وخلاصة هذا المشروع هو مد أنابيب من المياه من منابعها فى نهرى سيحان وجيحان، خط شرقي يتجه إلى سوريا والأردن وغربي المملكة السعودية (المدينة المنورة ، ومكة المكرمة)، ويحمل ٣,٥ مليون متر مكعب يوميا، والخط الشرقي ويحمل ٢,٥ مليون متر مكعب، ويمتد فى العراق، ودول الخليج حتى الإمارات، ومن ثم تبيع تركيا المياه لهذه الدول، ويتكلف المشروع ما بين ١٧ ، ٢٠ مليار دولار ولم يلق المشروع نجاحا إذ عارضته أكثر من دولة وعلى رأسها المملكة العربية السعودية.

دجلة والفرات:

وإذ بدأنا بدجلة والفرات ومشكلة المياه بين سوريا وتركيا والعراق لابد وأن نعلم أن منابع النهرين فى هضبة الأناضول ، وحين يتجهان نحو الجنوب ترفد دجلة أنهار عديدة من سفوح الهضبة الإيرانية، ولذلك فمتوسط تصريف دجلة نحو ٤٤ مليار م٣، على حين أن متوسط تصريف الفرات نحو ٢٩ مليار م٣ ، وبعد أن يجرى الفرات من منابعه التركية بإتجاه سوريا يدخلها عند جرابلس، ويخترق سوريا لمسافة ١٨٠ كم قبل أن يدخل العراق عند البوكمال، ويلتقى الفرات بدجلة ليشكلا معا شط العرب الذي ينتهي فى الخليج العربي، وتمثل هذه الثلاثية فى الإشتراك فى مجرى نهر الفرات والإفادة منه مزيدا من التعقيد على مسألة هذا النهر، وقد قامت تركيا بتنفيذ المراحل الأولى من مشروع الأناضول الكبير

الــذي يهدف إلى ري أراضى جنوب شرقي تركيا وزيادة إنتاج تركيا من الكهرباء بمقدار الثلث، ويتكلف هذا المشروع نحو ٣٠ مليار دولار.

مشروع السلام : خط الأنابيب الغربى وخط أنابيب الخليج



والذي يتضمن إقامه ٢١ سدا على نهري دجلة والفرات (منها ١٧ سدا على الفرات)، ١٩ محطة كهربائية ، وبدأت بإقامة أربعة سدود كبرى وهي:

أتــاتورك، وكيــبان، كراكــب وأخــيرا سد برجيك الذي بدأت فيه تركيا قرب الحدود الســورية وكلها على نهر الفرات، بل وحبست المياه عن سوريا والعراق لمدة شهر كامل مــن ٣ يــناير / ٣ فــبراير ١٩٩٠ غير عابئة بالإحتياجات السورية العراقية، بل وأعلن ســليمان ديمــيريل رئــيس الوزراء التركي " بأن تركيا سيدة على مياه الأنهار التي تنبع فــيها "، وإن كان قد رجع فى هذا وعزاه إلى سوء فهم حدث لدى وسائل الأعلام، وكان نتــيجة إنحــباس المــياه خطره بالنسبة لسوريا، نقص الماء اللازم للري، عدم تشغيل سد الطــبقة (فى سوريا) بالكامل لتوليد الكهرباء، وملء خزانات المياه فى المنازل بواسطة

العـــربات، هـــذا فضــــلا عن أن تركيا قبل ذلك حولت مياه نهر قويق الذي كان يمد حلب بالمياه.

وتعتـــبر ســـوريا أكـــثر تضررا من المشروعات التركية، لأن العراق لديها نهر دجلة وأقامـــت مشروعات من قبل كسد سامراء، وملء بحيرة الحبانية من سد الرمادي، وكذلك ســـد الهـــندية، وإذا كانـــت سوريا قد أقامت سد الطبقة بمساعدة السوفيت ويحجز بحيرة مســاحتها ٦٠٠ كــم٢ ومحطة كهرباء تضم ٨ تربينات ولكنها تعمل بثلث طاقتها ويتدنى مستوى التشغيل لعدم إمتلاء البحيرة كما ذكرنا (١).

١ - موقف تركيـــــا :

أ) أن نهـــرى دجلـــة والفرات ليسا نهرين دوليين وينطبق عليهما وصف المياه العابرة للحـــدود ***Transboundary Rivers*** وأن لتركـــيا حـــق السيادة على مياههما، وأن المباحـــثات حـــول وضع النهرين، يجب ألا تتركز حول موضوع قسمة المياه، وإنما على موضوع الإستخدام الأمثل، وأن هذين النهرين اللذين ينبعان من أراضيها يشكلان مصدرا طبيعـــيا خاصا بها، وبالتالي فأن لها مطلق الحق فى التصرف بمياههما على إعتبار ((أن الفـــرات ودجلة وروافدهما هي ملك لتركيا إلى الحدود مع هذين البلدين وأن تركيا يمكنها أن تســـتخدمها مثلما تريد)). وإذا كانت هناك قسمة فيجب أن تكون على أساس الإستخدام الأمثل للمياه.

ب) أن تطبـــيق مـــبدأ " الإســـتخدام الأمثل " وفق وجهة النظر التركية ، يتطلب القيام بدراســـات فنـــية موســـعة للتربة فى البلدان الثلاثة ويتم بتشكيل لجان فرعية تتولى تحديد أصناف التربة وتحديد أنواع المحاصيل الزراعية التي يتوجب زراعتها دون غيرها، وفى ضوء ذلك يتم تحديد الإحتياجات المائية ، وبذلك يضيع الوقت حتى تتم مشاريعها ، وتضع سوريا والعراق أمام الأمر الواقع.

ج) إعتـــبار حوضـــى نهر دجلة والفرات حوضا واحدا معتبرة أن النهرين ينبعان من حـــوض واحـــد فـــى تركيا ويلتقيان فى العراق مكونين شط العرب وعلى ذلك فإن دجلة والفـــرات هما رافدان للنهر المذكور ويترتب على ذلك أن يجرى التعامل معهما على هذا الأساس، وأن يتم وضع الحسابات الفنية وبحث موضوع الإحتياجات المائية للبلدان الثلاثة وفقـــا لذلك ، وعلى هذا الأساسى تستمر تركيا فى تنفيذ مخططاطها متجاهلة حقوق سوريا والعراق، متبعة مبدأ المغالطة، وتضييع الوقت.

٢- الموقف العراقي السوري:

أ) أن نهـــري دجلة والفرات هما نهران دوليان وفق مختلف القواعد والمبادئ القانونية الدولية المستقرة، ويترتب على ذلك أن تكون السيادة على مياه النهرين مشتركة بين الدول

(١) أنظر سوريا والعراق في كتابنا الوطن العربي، الأنجلو المصرية، ٢٠٠.

الثلاث. وأن تأكيد تركيا لأكثر من مرة على سيادتها المطلقة على نهري دجلة والفرات حتى حدودها الإقليمية، وكذلك تأكيدها على إعتبار مياه نهري دجلة والفرات مياه تركية عابرة للحدود وعدم إعترافها بكون النهرين نهرين دوليين لتبيح لنفسها حقاً مطلقاً فى التصرف بمياههما، غير آبهة بحقوق الدول الأخرى التي تشترك معها فى حوض النهرين، يعد إنتهاكا فاضحا لقواعد القانون وللأعراف الدولية.

ب) ضرورة التوصل إلى إتفاق ثلاثي يحدد الحصة المائية لكل بلد على أسس عادلة ومنصفة تقوم على قواعد القانون الدولي وماجرى عليه التعامل بين الدول فى مجال إستغلال مياه الأنهار الدولية إضافة إلى الأحكام القانونية المتعلقة بهذين النهرين. وفى هذا الصدد قدم العراق مقترحات تهدف إلى قسمة عادلة لمياه نهر الفرات بما يضمن حقوق الأطراف الثلاث، ولكن يبدو أن تركيا ومن خلال حججها قد سارت بالموضوع مساراً أخر مما يعني تنصلها من إلتزاماتها بشأن موضوع تحديد الحصص المائية الذي كان يفترض أن يتم فى فترة أقصاها سنتين من تاريخ تشكيل اللجنة المشتركة عام ١٩٨٠. ولذلك فإن اللجنة وبالرغم من عقدها لستة عشر إجتماعا كان آخرها فى عام ١٩٩٢، فشلت فى تحقيق هذه المهمة.

ج) إن دجلة والفرات نهران منفصلان قائمان كل بذاته، ويؤكد بذلك الواقع الفعلي والظروف الجغرافية ، فلكل نهر منهما، حوضه، ومساره، ومنطقته، وأن إلتقائهما بعد آلاف الكيلو مترات من المنبع لا يعني أنهما رافدان للنهر الذي يشكلانه لمسافة لا تتجاوز الـ (١٠٠) كم وعلى ذلك فهما نهران مستقلان بكل المقاييس والحسابات والإعتبارات الفنية والجغرافية والقانونية والتاريخية.

إسرائيل ونهب المياه العربية

يمتد نهر الأردن بطول ٢٥٣ كم ومن روافده الرئيسية بانياس، والدان، والحصباني، من جنوب لبنان ومدخل بحيرة طبريا حاملان فى المتوسط نحو ٩٠٠ مليون م٣ وقد سبق لإسرائيل أن جففت بحيرة الحولة وحولتها إلى أراضى زراعية.

وتكاد إسرائيل الآن أن تكون المستفيد الوحيد من مياه نهر الأردن ، فضلا عن إستنزاف المياه الجوفية لصالحها، فهي تغلق الآبار فى غزة وتسحب المياه الجوفية من منطقة النقب ، وتحفر آبار أكثر عمقا فى تل أبيب وحيفا ويافا، ومنذ عام ١٩٦٤ تحصل إسرائيل على ٧٥ % من المياه بطرق غير شرعية فأقامت خزان البطوف، لتغذية قناتان واحدة من بحيرة طبرية، والثانية من الليطاني، وقد ردت قمة الرؤساء العرب عام ١٩٦٤ على المشروعات الإسرائيلية الخاصة بإستنزاف مياه الأردن بمشروعات تشغيل ١١٠ مليون م٣ من البانياس إلى نهر اليرموك ، وأقامة سد المخيبة على نهر اليرموك لتغذية الغور الشرقية (الأردن) الغور الغربية (الضفة الغربية) ولكن المشروع العربي لم يكتمل لقيام حرب ١٩٦٧ ، بل وأصبح تحت يدها مياه الليطاني والوزاني والحصباني وفى عملية الليطاني عام ١٩٨٢ إستغلت الشريط الحدودي على نهر لتسرق مياه الليطاني وحين إتفقت

الأردن وسوريا على إقامة سد الوحدة على نهر اليرموك، أوعزت إسرائيل إلى البنك الدولي بعدم الموافقة وتمويل المشروع إلا بموافقة الدول الثلاث المعنية سوريا، الأردن، إسرائيل ، فتوقف المشروع، وقامت إسرائيل بتحويل جزء من مياه نهر اليرموك إلى بحيرة طبريا (٧٠٠ مليون م٣) وكان إحتلالها للجولان من أهم أدوات تحكمها فى نهر اليرموك، هذا فضلا عن إستنزاف مياه الجولان الجوفية فى خدمة المستوطنات الإسرائيلية هناك.

هكذا أصبحت إسرائيل تتحكم فى مياه بلاد الشام بضخ ثلث مياه الليطانى بأنبوب طوله ١٢ كم عند بلدة الخردالى، فضلا عن إستغلالها مياه الحصبانى الواقعة فى أسفل جبل الشيخ، ومنع السكان من الوصول إلى منابع النهر ومن الطريف أن بعثه البنك الدولى التي زارت لبنان فى مارس ١٩٩٦ إقترحت أن يبيع لبنان ما يلقيه نهر الليطانى فى البحر وقدره ٢٥٠ مليون م٣ بمبلغ ٢٥٠ مليون دولار.

وفى الحق أن المشروعات الإسرائيلية لنهب المنطقة العربية لا تنتهي، فهي تستولي على الأرض ولكن الماء ليس أقل أهمية، فضلا عن مطالبتها بالسلام دون أن تعطى العرب شيئا ، فمشروع ليشع كالى للسلام، يدعو إلى تحويل نهري الليطانى واليرموك إلى بحيرة طبريا، وإرواء صحراء النقب بمياه النيل !!، وهذه الفكرة الأخيرة راودت أذهانهم، ولكنها مستحيلة بطبيعة الحال، لأن مصر دائما تشكو من نقص المياه المتزايد، وفى أشد الحاجة إلى نقطة المياه للتوسع الزراعي فى سيناء والصحراء الغربية، فضلا عن أن نهر النيل نهر دولي تشترك فيه تسع دول أخرى غير مصر ، فهو ملك لدول الحوض.

(٢) مياه النيل بين مصر والسودان

كان لإعتماد مصر إعتمادا يكون تاما على النيل فى إنتاجها الزراعي، وفى إقتصادها بعامة أثره الكبير فى الإهتمام بالنهر، وبالكشف عن منابعه، ثم بمحاولة الإستفادة منه إلى أقصى حد وتأمين إحتياجاتها من مياهه، فأهمية النيل لمصر تختلف عن أهميته بالنسبة لبقية أقطار حوض النيل، فهو فى أوغندا مثلا لا تعدو أهميته أكثر من توليد الكهرباء لوفرة الأمطار، ومن ثم لم يكن مشروع سد أوين الذي نفذ على مخرج بحيرة فيكتوريا إلا مشروعا لتوليد الكهرباء، بينما هو لجمهورية مصر العربية مشروع لزيادة إيراد النيل من الهضبة الإستوائية. ثم يزداد الإعتماد على النيل كلما تقدمنا نحو الشمال أي نحو المناطق الصحراوية وشبه الصحراوية، وفى السودان مساحات شاسعة يمكن أن تعتمد على المطر فى الزراعة وتشمل السودان الجنوبي ومساحات كبيرة فى السودان الأوسط. ولكن تصبح الأراضي الزراعية بعد الخرطوم مقصورة على أراضى الوادي الضيق الذي يظهر أحيانا ويختفى أحيانا أخرى.

ولم يكن هناك إتفاق رسمي قبل سنة ١٩٢٩ حتى عقد فى ذلك العام إتفاق يستمر العمل به حتى سنة ١٩٥٩، حينما عدل بإتفاقية أخرى راعت الظروف الجديدة والتطورات الحديثة التي مر بها كل من القطرين الشقيقين.

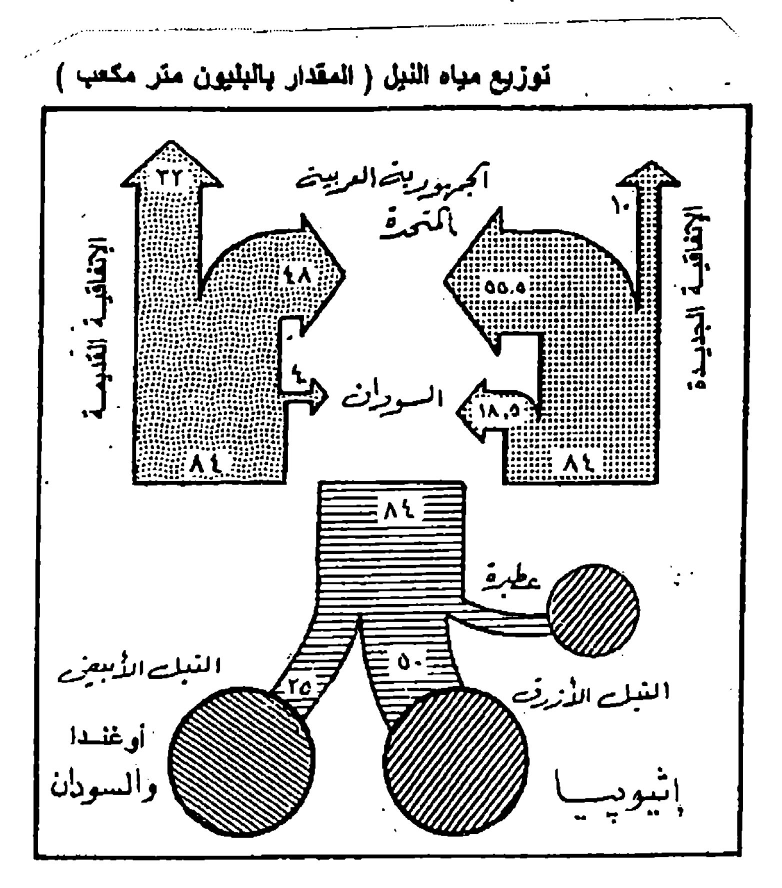
إتفاقية نوفمبر ١٩٥٩:

بعـد ما يقرب من ثلاثين عاما من إتفاقية ١٩٢٩، ونظرا لحاجة القطرين إلى إستغلال مياه النيل والإنتفاع بإيراده، رأى الجانبان ضرورة عمل إتفاقية جديدة للإتفاق على عمليات ضبط النهر، وتضمنت الإتفاقية عدة جوانب.

أولا ــ الحقوق المكتسبة الحاضرة:

١- مـا تستخدمه جمهورية مصر من مياه حتى هذا الإتفاق (وهو ٤٨ مليار من الأمتار المكعبة عند أسوان) هو حق مكتسب لها.

توزيع مياه النيل (المقدار بالبليون متر مكعب)



٢- ما تستخدمه جمهورية السودان من مياه النيل حتى هذا الإتفاق (وهو ٤ مليارات من الأمتار المكعبة مقدرة عند أسوان) وهو حق مكتسب لها.

ثانيا ــ توزيع فوائد مشروعات ضبط النهر:

١- توافــق الجمهوريــتان على أن تنشئ جمهورية مصر العربية خزان السد العالي كأول حلقة من سلسلة مشروعات التخزين على النيل.

٢- توافــق الجمهوريتان على أن تنشئ جمهورية السودان خزان الروصيرص أو أي أعمال أخرى تراها جمهورية السودان لازمة لإستغلالها لنصيبها.

٣- يحســب صــافى فــائدة السد العالي على أساس متوسط إيراد النهر الطبيعي عند أســوان سنويا (٨٤ مليارا) ويستبعد من هذه الكمية الحقوق المكتسبة للجمهوريتين (بند أولا) مقدرة عند أسوان، كما يستبعد منها فائض التخزين المستمر فى السد فينتج عن ذلك صافى الفائدة التي توزع بين الجمهوريتين.

٤- يوزع صافى فائدة السد العالي بين الجمهوريتين بنسبة ١٤,٥ مليار م٣ للسودان و ٧,٥ ملــيار م٣ لجمهورية مصر العربية فى ظل الإيراد فى المستقبل فى حدود المتوسط (٨٤ ملــيارا) وإذا ظلت فواقد التخزين المستمر على تقديرها الحالي بعشرة مليارات ، فإن صافى الفائدة فى هذه الحالة.

٨٤ - (٤٨ + ٤ + ١٠) = ٢٢ مليارا.

ويصبح نصيب السودان منها ١٤,٥ مليار ونصيب جمهورية مصر العربية ٧,٥ مليار، وبضم هذين النصيبين إلى حقهما المكتسب فى البند الأول يصبح :

نصيب السودان = ٤ + ١٤,٥ = ١٨,٥ مليار .

نصيب مصر = ٤٨ + ٧,٥ = ٥٥,٥ مليار .

ويصــير هذا بعد تشغيل السد العالي بالكامل، أما إذا زاد المتوسط عن هذا فإن الزيادة فى صافى الفائدة تقسم مناصفة.

٥- توافق الحكومة المصرية على دفع مبلغ خمسة عشرة مليونا من الجنيهات لحكومة السودان كتعويض شامل عن الأضرار التي تلحق بالممتلكات السودانية نتيجة التخزين فى السد العالي لمنسوب ١٨٣ ([1]).

٦- مــن المســلم به أن تشغيل السد العالي الكامل للتخزين المستمر سوف ينتج عنه إســتغناء جمهوريــة مصر عن التخزين فى جبل الأولياء. ويبحث الطرفان المتعاقدان ما يتصل بهذا الإستغناء فى الوقت المناسب.

ثالثــا ـــ مشروعات المياه الضائعة فى حوض النيل:

١- يــتولى السودان بالإتفاق مع جمهورية مصر إنشاء مشروعات لزيادة إيراد النيل بمــنع الضــائع فــى مستنقعات بحر الجبل وبحر الزراف والنيل الأبيض، ويوزع صافى الفائدة مناصفة، كما يساهمان فى تكاليفهما مناصفة وتتولى جمهورية السودان الإتفاق على المشروعات السابقة من مالها وتدفع جمهورية مصر نصيبها فى التكاليف.

٢- إذا دعــت حاجــة جمهوريــة مصر إلى البدء فى أحد المشروعات السابقة بعد إقرارها من الحكومتين فى وقت لا تكون حاجة جمهورية السودان قد دعت إلى ذلك، فإن

---

[1] قامت مصر بدفع هذا المبلغ على النحو التالي :

٣ مليون جنيه فى أول يناير ١٩٦٠ ، ثم ٤ مليون جنيه فى أول يناير من أعوام ١٩٦١ ، ١٩٦٢ ، ١٩٦٣.

جمهورية مصر تخطر السودان بالميعاد الذي يناسبها للبدء فى المشروع، وفى خلال سنتين من تاريخ هذا الإخطار تتقدم كل من الحكومتين ببرنامج للإنتفاع بنصيبها فى المياه، وبعد إنتهاء السنتين يمكن لمصر التنفيذ بتكاليف من عندها، على أن تدفع السودان نصيبها من التكاليف عندما تتهيأ لإستغلال نصيبها.

اللجنة الدولية للرى والصرف:

وبهذه المناسبة فإن اللجنة الدولية للري والصرف التي مركزها الهند والتي مصر عضو أساسي فيها بدأت فعلا فى وضع شروط دولية فى معاملة الدول مع بعضها التي تقع فى حوض نهر واحد يسمونها الأنهار الدولية.

١- يبدأون فى تحديد نصيب كل دولة من مياه النهر التي تستعملها فعلا فى مطالبها المختلفة وتعرف بحقوق الإتفاق وتكون هذه أساس المحاسبة.

٢- يؤخذ فى الإعتبار إذا كانت الدولة لها مصدر آخر للمياه.

٣- هل تستعمل الدولة مياه هذا النهر من قديم الأزل تاريخيا .٤-مقدار إعتماد الدولة على الزراعة كلية أم تعتمد على مصدر آخر مثل الصناعة.

٥- نصيب كل دولة من الأمطار.

٦- نصيب كل دولة من المياه الجوفية.

٧- هل توجد الغابات والصحارى والأراضي الصالحة للزراعة.

٨- عدد سكان كل دولة.



الفصل الثاني

مشكلات أساسها الظروف البشرية والإقتصادية

أولاً : قـضـيـة الـديـن

(١) الـديـن وإسـرائـيـل

تحتل فلسطين في قلب كل عربي مكانة فريدة، ذلك أنها أرض عربية إغتصبت من أهلها، لتقع في أيدي مهاجرين من شتى أنحاء الأرض، لا يربطهم جنس، أو لسان، ولا يتحدون في قومية، منهم أجناس مختلفة، يتكلمون ألسنة متعددة، منهم من هاجر من روسيا، ومنهم من هاجر من ألمانيا، وفي نفس الوقت منهم من أتى من اليمن، ومن المغرب، وأشتات من سكان الأرض لا يجمعهم سوى أنهم يهود، اي أساسها الدين والثقافة الدينية، فقد وظفت الحكومة الصهيونية العامل الديني لخدمة أهدافها السياسية، خاصة في مجال تشجيع عملية الهجرة إلى فلسطين وتشجيع الإستيطان في بداية تأسيس الدولة، والواقع أن لجوء الأيديولوجية الصهيونية السياسية إلى تبنى الأفكار والرموز الدينية بشكل مباشر كانت تمده عدة دوافع لعل أهمها أن تحقق من خلالها نوع من المشروعية الدينية التي تحقق لها إنتشارا جماهيريا واسعا وتكون محل قبول من كافة التيارات الإجتماعية والعرقية والحضارية وإستيعاب الجميع تحت مظلة الدين.

وما كانت إسرائيل منذ نشأتها ـ في واقع الأمر إلا " حارة يهود" كبرى كان حلم اليهود ومنتهى آمالهم أن تضمهم "حارة اليهود الكبرى" هذا وقد راودهم هذا الحلم منذ القرون الوسطى ، إلى أن جاء " هرتزل " (١٨٦٠-١٩٠٤) في مؤتمر عقد بمدينة " بازل " السويسرية الذي حول هذا الحلم الخيالي إلى نظرية سياسية عنصرية، هي الصهيونية " وقد حرص " هرتزل " على أن يجمع اليهود تحت مظلة الصهيونية، ليس من منطلق المصلحة وحماية الذات فحسب بل عمل على صبغ دعوته بطابع ديني، هو التجمع حول معبد سليمان، وإعادة أمجاد دولة اليهود في "أورشليم" التي إندثرت منذ ألفي عام أو تزيد، وأصبح الشعار الذي يتبادله اليهود طوال القرن الماضي هو "نراكم العام القادم في أورشليم" وقد كان في إمكانهم ـ لو حسنت نياتهم، أن يقبلوا ما عرض عليهم من تأسيس وطن قومي في بلاد أكثر خصوبة وأوفر خيرا، فقد عرض عليهم الإنجليز ـ إتقاء لشرهم وتنفيذا لوعد إستلبوه منهم ـ وهو وعد بلفور ـ الذي قيل عنه ويحق أنه صدر ممن لا يملك لمن لا يستحق، عرضوا عليهم، بعض مستعمراتهم في أواسط إفريقية أو في الأجزاء الخالية من أستراليا.

وكان هناك رأى عام لايستهان به بين اليهود ـ وعلى وجه خاص بين اليهود الشرقيين ومن كانوا يقيمون في مصر ـ يدعوا إلى قبول هذا العرض السخي.

المتطرفون:

الا أن هؤلاء المغالين الذي تمتلكهم دعوة "العام القادم في أورشليم " تغلبوا على هؤلاء

المعتدليــن . . . وبــدأت بعصــابات الإرهــاب مثل " أرجون زفاى ليومي وبقايا الفيلق الــيهودي في الحرب العالمية " الهاجانا " وتوصل اليهود إلى إغتصاب أرض فلسطين من أهلها العرب عنوة وغدرا، وقامت إسرائيل.

ورغــم أن المســار التاريخي للحركة الصهيونية أدى إلى تغليب الإتجاه العلماني فإنها دعــت إلى توظيف الإتجاه الديني لخدمة أهدافها السياسية خاصة من أجل تشجيع الهجرة إلى فلسطين في بداية تأسيس الدولة الإسرائيلية، حيث كان أنصار الإتجاهات الدينية غالبا من يهود شرق أوربا.

أحزاب دينية:

بعــد قــيام الدولة تم تهميش هذه التيارات، فترسخ الطابع العلماني للدولة، وقام على أساســه نظــام سياســي على النمط الغربي ـ وفي هذا الإطار شكلت التيارات الدينية ـ أحــزابها الخاصــة، وإضطرت إلى الإعتراف بشرعية الدولة وأن لم يمنع ذلك من وجود طوائف دينية شديدة التطرف خارج نطاق هذه الأحزاب، لا تعترف بشرعية الدولة أصلا، كذلك لم تكن الأحزاب الدينية ذات توجه واحد بل وجدت بينها دائما الكثير من الإختلافات الأيديولوجية وكانت الإتفاقات إحدى سماتها المميزة.

والواقع أن إستمرار وجود هذه الأحزاب الدينية وتصاعد دورها يرتبط وطبيعة المجتمع الإسرائيلي بكل ما يحمله من تناقضات. فقد شكلت موجات الهجرة المتتالية ذات الأصول الغربــية والشرقية تيارات ثقافية ولغوية وحضارية متباينة، طبعت بقوة التركيبة السكانية للــتجمع الإسرائيلي وأبرزت هويته غير المتجانسة، وقد أفضت هذه الخاصية التي يغذيها المــد الدينــي المتطرف، خاصة بين أبناء الطوائف اليهودية ذات الأصول الشرقية، الذين وجــدوا أنفسهم في وضع أدنى إجتماعيا، وأحيانا مهمشا، قياسا بأقرانهم من ذوى الأصول الغربــية، فضــلا عــن الفروقات الثقافية بينهم والتي جعلتهم يبحثون عن الإحتفاظ بهوية متمــيزة مــن خلال الدين ، وقد غذى هذا الصراع بدوره الأبعاد الإجتماعية والإقتصادية التي وقفت وراءه.

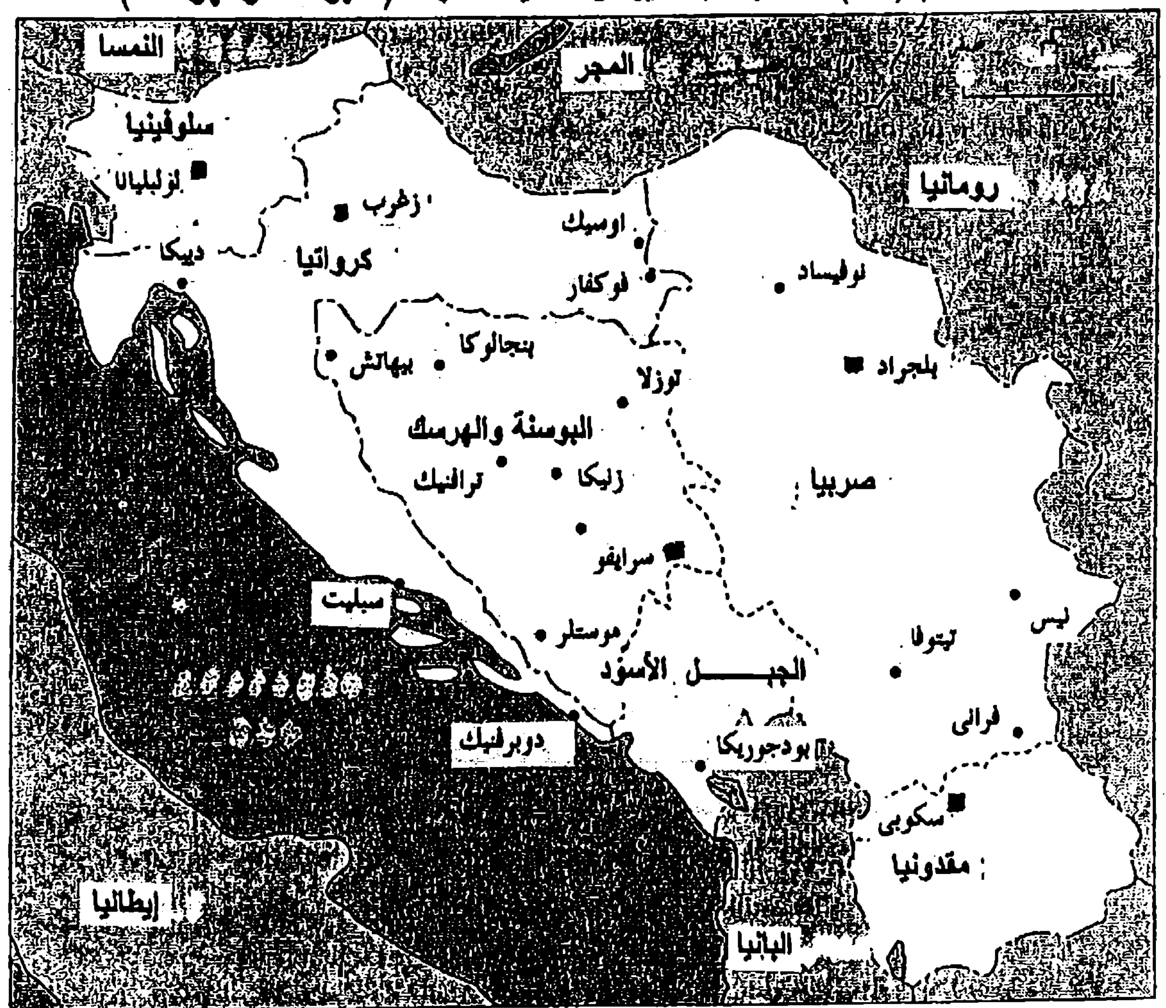
وتضغط هذه الأحزاب إلى جانب الليكود على تكثيف النشاط الإستيطانى ووضع مدينتي القدس والخليل اللتين تعتبرهما هذه الأحزاب ومعها الطوائف الدينية المتطرفة من المناطق الدينية المقدسة التي لا يجوز الإنسحاب منها، وبالتالي تزداد النيران إشتعالا في المنطقة.

(٢) قضــية البــوسـنه والهــرســـك

خصوصــيات يوغســلافيا (الســابقة): كــان لموقع يوغسلافيا بين الإمبراطوريتين العثمانــية والنمســا والمجــر قبل الحرب العالمية الأولى له أثره في أنها كانت تمثل خط المواجهــة بين الإمبراطوريتين من ناحية، ومن ناحية أخرى تعددت فيها الأديان، الإسلام والمســيحية بفرعيها الكبيرين من الكاثوليكية والأرثوذكسية، وعلى عكس ما يعتقد البعض بــأن الإســلام دخلهــا مع تقدم العثمانيين في القرن الخامس عشر، فإنه بدأ يتسرب إليها

تدريجيا منذ القرن التاسع الميلادي، وبلغ ذروته مع تقدم العثمانيين، وإحتلالهم لهذا الإقليم نحو أربعة قرون، ثم خضعت بعد ذلك لإمبراطورية النمسا والمجر، حتى كانت نهاية الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٨، وإتحد الصرب والكروات وسلوفينيا معا بأسم مملكة صربيا وأصبح إسمها يوغسلافيا (السلاف الجنوبيون) عام ١٩١٩، ثم تعرضت مرة أخرى للغزو الألماني والإيطالي في الحرب العالمية الثانية، ودمرت البلاد تدميرا شبه تام، وكان الكروات في تلك الحرب يميلون إلى الألمان، بينما كان الصربيون يميلون إلى بريطانيا. على العموم كان الغزو والدمار الذي أصاب البلاد له أثره في توحيد الجميع تحت قيادة "تيتو" في جيش التحرير السري الذي كان يقاوم الإحتلال الألماني، حتى إنتهت الحرب عام ١٩٤٥، وقد إزدادت الشعوب اليوغسلافية تماسكا.

شكل رقم (٢٤) : جمهوريات يوغوسلافيا السابقة (البوسنة والهرسك)



وعملت الظروف الطبيعية الوعرة الصعبة على عدم الإندماج الكامل بين شعوب الإقليم، فالبلاد ثلاثة أرباعها جبلي (يزيد على ٢٠,٠٠٠متر) تمزقه الأودية الضيقة التي قد تنتهي بأحواض متسعة بعض الشيء مثل حوض لوبيليانا، وتنحدر المرتفعات الساحلية إلى ساحل الأدرياتى بمدرجات شديدة الإنحدار وسهول ضيقة للغاية.

يوغسلافيا السابقة فيدرالية :

لذلـك كانت يوغسلافيا ــ السابقة ــ نموذجا للدولة الإتحادية التي تضم داخل حدودها مـزيجا مـن الأعـراق والقوميات المغايرة، حيث ضمت ست جمهوريات بالإضافة إلى إقليميـن يتمـتعان بـالحكم الذاتـي، والجمهوريات هي صربيا، الجبل الأسود، كرواتيا، سلوفينيا، مقدونيا، والبوسنة، الهرسك، أما الإقليمان فهما كوسوفو وفوفودينا.

وقد عبر تيتو بإتقان شديد وهو يتحدث عن يوغسلافيا، بقوله شعوب لها حروف مكتوبة مخـتلفة (السيريلية واللاتينية). وثلاثة أديان (الأرثوذكسية والكاثوليكية والإسلام) وأربع أمـم (الصرب والكروات والسلافينيون والمقدونية). وخمس لغات (السلوفينية والصربو كرواتـية والمونتيـنجرية والمقدونـية والألبانية). وست جمهوريات (سلوفينيا وكرواتيا والبوسنة والجبل الأسود والصرب ومقدونيا) وأخيرا حزب واحد هو الحزب الشيوعي.

ومن هذا المنطلق، نص الدستور الفيدرالي في يوغسلافيا على السماح لشعوب هذا البلد بالـتعامل بلغتهم بحرية، ودون ممارسة أية تفرقة من جراء ذلك ولكن مع إرساء الشعور فـي نفس الوقت بأن الجميع متساوون داخل مجتمع اشتراكي في دور التكوين، وحق كل مواطـن في يوغسلافيا أن يعيش في أى جمهورية يشاء. ويتمتع بكامل حقوق وصلاحيات أي مواطـن آخر وكذلك عرف الدستور اليوغسلافي الأقليات بأنها فقط الذين ينتمون إلى دول خـارج الإتحاد الفيدرالي كالأقلية الإيطالية أوالألبانية، ولما كان لصربيا وضعا فريدا من حيث عدد السكان نحو ١٢ مليون نسمة، أى نحو نصف مجموع السكان فقد أنشأ تيتو داخلها إقليمين يتمتعان بالحكم الذاتي (فوفودينا) وكوسوفو.

بداية الإنفجار في يوغسلافيا:

إذا كـان تيتو قد نجح في التحكم في التناقضات الموجودة بين مكونات الإتحاد وداخل جمهورياته، فإن رحيله عام ١٩٨٠، وعدم وجود شخصية تتمتع بثقل سياسي أو تاريخي، فضـلا عن الفشل في التأقلم مع التغيرات التي سادت بلدان شرق أوروبا وسقوط الهياكل الفيدرالية للإتحاد السوفيتي، أدى إلى تفجر الصراعات في يوغسلافيا.

وكانت البداية إعلان الحزب الشيوعي اليوغسلافي في أوائل ١٩٩٠ تخليه عن إحتكار السلطة في البلاد ، والسماح بتعدد الأحزاب، وقامت أحزاب جذورها عرقية، وإذا بكرواتيا وسـلوفينيا تـناديان بالإستقلال عن الإتحاد ، وإن كان ثمة إتحاد فليكن كونفدرالى (إتحاد جمركي عملة واحدة ، توحيد سياسة النقل والمواصلات والزراعة والطاقة مع إحتفاظ كل دولة بحقها في تشكيل قوات مسلحة، وتظل هناك إمكانية تشكيل فرق عسكرية مشتركة) كما يحتفظ الأعضاء بحقهم في إبرام معاهدات دولية، وإقامة مجتمع دبلوماسي مع المجتمع الدولي.

وعارضـت صـربيا النمط الكونفدرالي نظرا لوجود نحو ثلاثة ملايين صربي خارج صربيا، وبالتالي سيتحولون إلى أقليات في وحدات الإتحاد الكونفدرالي.

أما البوسنة والهرسك فقدمت نوذجا وسطا يقوم على أساس تحويل يوغسلافيا إلى إتحاد يضم جمهوريات ذات سيادة (كونفدرالي) مع وجود قوات مشتركة تتوازن فيها الإنتماءات العرقية، ويراعى في تنظيم جميع مؤسسات الدولة المساواة في أعداد ممثلي كل جمهورية.

صراع الصرب مع سلوفينيا وكرواتيا:

أعلن برلمان جمهوريتي سلوفينيا وكرواتيا الإستقلال في ٢٥ يونيه ١٩٩٠ وأندلع الصراع بين الحكومة المركزية والجيش الإتحادى من جانب وجمهورية سلوفينيا من جانب أخر، وبعد وقف القتال، عاد الإندلاع بين الحكومة والجيش الإتحادى وصرب كرواتيا من جانب، والجيش الكرواتى من جانب أخر، وهو القتال الذي إستمر قرابة نصف العام وسقط خلاله نحو عشرة آلاف قتيل بسبب وجود أقلية صربية ضخمة في كرواتيا (٦٠٠ألف نسمة أو نحو ١٢ % من السكان) وفي أعقاب ذلك إعترفت المجموعة الأوربية بإستقلال سلوفينيا وكرواتيا في ٢٥ يناير ١٩٩٢٧.

تعقيد الصراع في البوسنة والهرسك :

ما أن تمكنت المجموعة الأوربية ومعها الأمم المتحدة من وضع حد للمعارك الدائرة في سلوفينيا وكرواتيا، حتى بدأت الأنظار تتجه إلى جمهورية البوسنة- الهرسك، وكانت المخاوف كبيرة من إندلاع صراع في هذه الجمهورية للعديد من الأسباب نذكر منها :

١- من الواضح أن أراضى البوسنة تقع بين فكي كماشة (الكروات مما يجعلها شبه محاصرة من جانب الكروات في الشمال والشرق والغرب، ومن جانب الصرب في الجنوب.

٢- الإنقسام العرقى الحاد في هذه الجمهورية، حيث توجد ثلاثة أعراق (قوميات إذ ينظر إلى الدين على أنه قومية) وهي المسلمون ويشكلون نحو ٤٣,٧ % من عدد سكان الجمهورية البالغ ٤,٣ مليون نسمة ، ثم الصرب ٣١,٣% من السكان ، وأخيرا الكروات ويشكلون نحو ١٧,٢ % من السكان.

٣- وظف الدين كعنصر من عناصر الصراع ، سواء كان الإختلاف دينيا أى مسلمون / مسيحيون أو مذهبي بين الأرثوذكس (الصرب) والكاثوليك (الكروات).

٤- تقاطع الإنقسامات العرقية / القومية / الدينية مع الخريطة الجغرافية حيث لكل عرق / دين / قومية مناطق تركز خاصة به، فضلا عن وجود مناطق أخرى مختلطة المزيج العرقى / القومي / الديني يحمل معه في نفس الوقت ميراثا من العداء الشديد سواء بين الصرب ، والكروات والمتمثل في التارخ الطويل بينهما حيث يتهم الصرب، الكروات بالتعاون مع النازي ابان الحرب العالمية الثانية، أو بين الصرب والكروات من ناحية والمسلمين من ناحية ثانية، إذ ينظر الصرب والكروات للمسلمين في البوسنة وباقي مناطق يوغوسلافيا (مقدونيا وكوسوفو) على أنهم إمتداد للإمبراطورية العثمانية.

أن الصــرب يوجهــون الإتهامات إلى المسلمين ولا يزالون بأنهم إرتكبوا ذنبا تاريخيا لأنهم "خانوا دين أجدادهم المسيحيين " ثم يقولون بأن المسلمين لا يشكلون مجموعة عرقية متمــيزة بــل يؤكــدون بــأنهم صرب إعتنقوا الإسلام ويعتبر هذا أحد تبريراتهم لتصفية المســلمين وتشريدهم وهدم حضارتهم المادية والمعنوية، لكن التاريخ يشهد بأن البوسنيين قــبل إعتناقهم الإسلام في القرن الخامس عشر والسادس عشر لم يكونوا صربا ولاكرواتا لأن الوعــي القومــي الكرواتــي والصربي لم يتكون في البوسنة والهرسك إلا في القرن التاسع عشر، إن المسلمين قبل الإسلام كانوا بسنويين أو بوشناق.

٥- إن إنــدلاع الصراع في هذه الجمهورية يعني تحويلها إلى قطعة من الجحيم حيث أن الصــراع سوف يدور بين مناطق داخل الجمهورية المحاطة بباقى جمهوريات الإتحاد اليوغســلافي، ومن ثم يمكن أن تتدخل كل جمهورية لصالح إمتدادتها في البوسنة فصربيا والجــبل الأســود إلى جانب صرب البوسنة، وكرواتيا إلى جانب كروات البوسنة ويظل المســلمون دون ســند خارجــي لإســتحالة تدخــل تركيا أو أية قوى إسلامية قريبة من يوجســلافيا فهــو أمر غير مسموح به أوربيا ودوليا الأمر الذي يعنى أن أي صراع يأتى على حسابهم.

حرب السنوات الأربع ١٩٩٢ - ١٩٩٥:

تعــود الشرارة الأولى لصراع البوسنة - الهرسك إلى الإستفتاء العام الذي جرى في الجمهورية في فبراير ١٩٩٢ ، إذ صوت أغلبية السكان لصالح الإستقلال عن يوغسلافيا، ومــا إن تــم إعــلان النتائج حتى إندلاع الصراع بين الصرب من ناحية، أخرى وتدخل الجــيش الإتحادى بجانب الصرب من أجل تمكينهم من السيطرة على أكبر مساحة ممكنة من أرضى الجمهورية وفرض الأمر الواقع لحين التوصل إلى تسوية سياسية تأتى إنعكاسا لهذا الأمر الواقع، وأعلن صرب البوسنة دولتهم المستقلة في إبريل ١٩٩٢.

وكالمعتاد تدخلت المجموعة الأوربية وأبرمت العديد من إتفاقات وقف إطلاق النار إلا أن جميعها لم تصمد أكثر من عدة ساعات إذ سرعان ما كانت المعارك تتجدد بهجمات من ميليشيات الصرب المدعومة من الجيش الإتحادى الذي سيطر عليه الصرب.

وأســفرت المعــارك الدائــرة على أرض البوسنة - الهرسك عن تمكن الصرب من السيطرة على نحو ٧٠ % من أراضى الجمهورية على حساب المسلمين أساسا الذين دفعوا فــي جــيوب كان من السهل محاصرتها. والملاحظ هنا أن الخطوط الفاصلة بين الفريقين المتصــارعين غــير واضحة . وأحيانا كان يتم تحالف إسلامي - كرواتي ولكنه تحالف مؤقت لتشابه الهدف في التصدي للعدوان الصربي، ومن ثم فإنه في الوقت الذي إتسم فيه الصراع بتحالف المسلمين والكروات في مواجهة الصرب، فإن مسار الصراع شهد العديد من التوترات بل والصراعات المسلحة بين المسلمين والكروات، وظهرت الصورة الحقيقية للصراع فكانت هناك معارك بين الصرب والكروات، وبين المسلمين والصرب في مناطق أخــرى وثالثة بين المسلمين والكروات حسب التركيب العرقي للمكان والرغبة في تثبيت

إنتصارها على أرض الواقع ينعكس في الإتفاق النهائي لتقسيم الأراضي الجمهورية.

إتفاق دايتون:

بدأت المفاوضات بمشاركة رؤساء البوسنة وكرواتيا ـ والصرب ـ في نوفمبر ١٩٩٥ وتوصل زعماء الدول الثلاث إلى إتفاق سلام شامل ينهي الحرب في البوسنة.

ومن أبرز المبادئ التي تم إقرارها:

-الحفاظ على البوسنة ـ الهرسك كدولة واحدة في حدودها الراهنة المعترف بها دوليا.

– تقسيم الدولة إلى قسمين متساويين تقريبا: الإتحاد الفيدرالى المسلم ـ الكرواتي، وكيان مستقل لصرب البوسنة.

– الإبقاء على مدينة سرايبفو موحدة، إذ ستكون هناك حكومة مركزية فاعلة تضم برلمانا ورئاسة ومحكمة دستورية تتولى السياسة والتجارة الخارجتين، والسياسة المالية والمسائل المتعلقة بالمواطنة والهجرة.

– إن إختيار الرئيس والبرلمان سيتم من خلال إنتخابات ديموقراطية تحت إشراف دولي.

(٣) العنف الديني في الهند

يبلغ عدد سكان الهند نحو ١٠٠٠ مليون نسمة، يدين ٧٠٠ مليون منهم بالهندوسية، بينما يبلغ عدد المسلمين نحو ٢٥٠ مليون نسمة (أكبر تجمع إسلامي في إندونيسيا)، وأما الباقي منهم موزعون بين المسيحيين ٢٥ %، ٧ % من البوذيين، ثم طوائف أخرى، وكان شعار الهند منذ الإستقلال " الوحدة في إطار التعدد، والتعدد في إطار الوحدة " ورغم ذلك مازالت التعصب الهندوسي يعصف بوحدة الهند، فقد شهدت الهند أحداث عنف متعددة من جانب الهندوس ضد المسلمين ولعل آخرها كان هدم مسجد أبوديا.

القومية العلمانية أم الطائفية الهندوسية:

وثمة حركتان إنبثقتا في الهند بعد حصولها على الإستقلال، القومية العلمانية، والطائفية (أو الهندوكية) والمسيحية والإسلامية، وفي السنوات الأخيرة طوقت دولة الهند بتجمع كبير من أحزاب المعارضة قام على أساس من الكفاح الديني، ولعل الحركة الدينية القائمة على فكرة " هندوتفا ***Hindutva*** " هي دون شك أشد هذه الحركات خطورة.

ما هي الهندوتفا ؟

الهندوتفا، أيديولوجية تجعل التفوق للهوية الهندوسية، وتنكر أية حقوق للأقليات الدينية، أو الهندوسية من الطبقات الدنيا، وقد ظهرت فكرة الهند الهندوسية عام ١٩٢٥. ويقول أصحاب هذا المذهب أن هندوستان هي أرض الهندوس، الأرض التي تزدهر عليها أمة الهندوس وحدها، ثم أكدوا أن " على الجماعات الأجنبية الموجودة في هندوستان، أن تعتنق

ثقافـــة البلد ولغته، والا تشغل بشيء سوى تمجيد الجنس والثقافة الهندوسيتين، وتتخلى عن هويتها الخاصة وتذوب في الجنس الهندوسى (وهل الهندوسية جنس ؟).

والنتيجة الطبيعية في نظرهم هي أن غير الهندوسيين ليس لهم الحق في " أية مزية "، بـــل وأية معاملة طيبة، ولا في حقوق المواطنين، ويهاجمون غاندي ونهرو، دعاة الوفاق والصداقة بين الجماعات واتهماهما بأنهما " إرتكبا أبشع الخطايا، إذ هدما روح شعب قديم وعظيم".

وســاعدت أفكـــار هـــذه الطائفـــة على قطع الرباط الهش الذي كان قائما من قبل بين الهندوســين والمسلمين، ومع ذلك فليس ثمة عملية حربية منذ إنقسام البلد في عام ١٩٤٧ أسهمت في قطع هذا الرباط بقدر ما أسهم تدمير مسجد أيوديا عام ١٩٩٢، وهو الذي شيده الإمبراطور المغولى بابر، ويعتقدون أنه مبنى فوق معبد الهم المقدس رام.

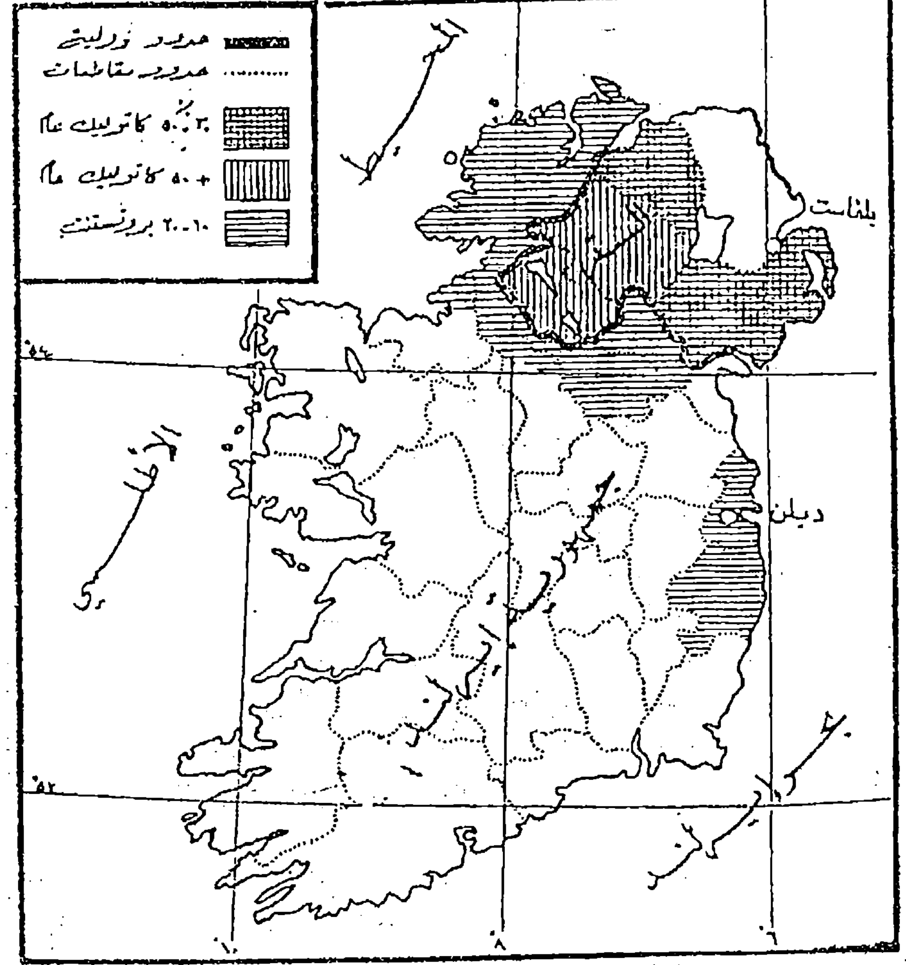
يقـــول رشيد الدين خان مدير المعهد الهندي للدراسات الفيدرالية " في ذلك اليوم بمدينة أيوديـــا القديمة في شمال الهند، أقبل المتعصبون الهندوسيون يحتفلون بشعائر دينية فنهبوا المســجد المقام على هذا الموقع المقدس لدى المسلمين، على إعتقاد بأنه رأس راما، وفي غضـــون الساعات التالية جرت مصادمات في كل أنحاء البلاد خربت فيها مساجد ومعابد هندوســية، وأجرت جماعات صغيرة من المتطرفين مذابح منظمة، وبخاصة في ممباي، وقــتل عدد من المسلمين برصاص الشرطة أثناء المظاهرات، وإستمرت المصادمات بين الجماعات عدة أسابيع، وحدث رد فعل ضد الهنود في العديد من البلاد الإسلامية، وبخاصة في باكستان وبنجلاديش، سقط فيها قرابة ألفي قتيل".

(٤) أيـــــرلـــــند

تـــتكون جزيـــرة أيرلـــند مـــن سهل منبسط لايزيد إرتفاعه على ٥٠٠ متر تحيط به المرتفعات من جوانبه، وكان لزحف الجليد آثاره السيئة على التصريف المائي في أيرلند، ذلـــك أنـــه تـــرك بعد تقهقره كثيرا من البحيرات والمستنقعات التي تصلها الأنهار البطيئة الجـــريان وأهمهـــا نهـــر شنن، وكان لنظام التضاريس الذي تتوزع فيه المرتفعات على الأطراف والمنخفضات في الوسط أن ساء التصريف المائي، وأصبحت الأجزاء الوسطى والغربية مليئة بهذه المستنقعات وإذا كانت مساحة هذه الجزيرة نحو ٣٢,٠٠٠ ميلا مربعا، فإنه لا يسكنها سوى ما يقرب من ٤,٧٥ مليون نسمة. وعلى العكس المملكة المتحدة تعتمد أيرلند على الإنتاج الزراعي والحيواني. وتبلغ المساحة المزروعة ربع مساحة البلاد. وقد عانت البلاد كثيرا من جراء إعتمادها على الإنتاج الزراعي وحده وسوء الأحوال الجوية، مما أدى إلى نقص محصول البطاطس وحدوث المجاعات، ولعل مجاعة عام ١٨٣٠ هي أشـــهرها حيـــن كـــان يســـكن الجزيرة نحو ٨ ملايين نسمة. فهلك منهم نحو المليون بين ١٨٤٦، ١٨٥٠، وهاجـــر نحو نصفهم إلى الولايات المتحدة الأمريكية وكندا. وتهتم أيرلند بتربـــية الماشـــية وخاصـــة الأبقار وذلك لإنتشار المراعى التي تبلغ مساحتها ثلاثة أمثال المساحة المزروعة. ويأتي الشوفان في مقدمة الحاصلات الزراعية يليه القمح والشعير إلى

جانـــب البطاطس والبنجر. وقد حاولت الحكومة منذ الحرب العالمية الأولى زيادة مساحة القمـــح والبـــنجر لـــزيادة إكتفائها الذاتي ولكنها فشلت لعدم ملاءمة المناخ والتربة للتوسع الزراعـــي فـــيها. وتفتقر الجزيرة إلى الموارد المعدنية وموارد الوقود بحيث تستغل اللبد النباتـــي ***Peat*** وهـــو من النباتات القديمة المتحجرة، وذلك عكس بريطانيا الغنية بموارد الفحـــم. وكـــان لهـــذه الإخـــتلافات في إقتصاديات كل من البلدين وإنعزال الجزيرة عن بريطانيا، وفضلا عن غلبة الكاثوليكية على الجزيرة بإستثناء القسم الشمالي الشرقي الذي تغلب عليه البروتستانتية. مما أدى إلى إختلاف أحوال السكان.

مشكلة أيرلند



التمييز ضد الكاثوليك:

بإنـــتهاء الحرب الأهلية البريطانية عام ١٦٩٠ في موقعه بوين شمالى دبلن، بإنتصار وليم الثالث ملك إنجلترا البروتستانتي على جيمس الثاني (مازال البروتستانت يحتفلون بيوم أول يولـــية إلـــى الآن في شمالي أيرلند) ظهرت قوانين التفرقة العنصرية ضد الكاثوليك،

والعمل على منعهم قدر الإمكان من الحصول على الوظائف العامة، بل وإمتلاك الأرض، وأغلقت القنوات السياسية الطبيعية أمامهم، مما أدى إلى تراكم السخط وعدم الرضاء، ولم يحصل الكاثوليك على حق عضوية البرلمان إلا في عام ١٨٢٩ بعد مصادمات كاثوليكية / بروستانية عنيفة، من ثم كان سجل هذه العلاقات يتميز بالقسوة والدموية، فتاريخ الأيرلنديين هو تاريخ إستياء وإمتعاض، زاد منها تلك الصراعات، الرهيبة التي تعرضت لها البلاد ، من ثم فهذا التاريخ من الحزازات والبغض، هو الذي يغذى إلى اليوم تلك الإضطرابات العنيفة التي تحدث في ألستر ***Ulster*** حتى الوقت الحاضر.

وكانت إستجابة بريطانيا لمأساة إيرلند بطيئة في نظر الأيرلنديين ، يكفي أن عملية التسوية التي بدأت عام ١٨٨٠ وأستمرت ٣٥ عاما حتى إنتهت بإتفاق ١٩٢٠، وبمقتضاه منح القسم الجنوبي والغربي إستقلالا ذاتيا، ويضم هذا القسم ٨٤ % من المساحة، ٦٨ % من السكان ، وأخذ الجزء المستقل أسماء عديدة، منها جمهورية إيرلند الحرة (١٩٢٢ ــ ١٩٣٧) وإيرلند (١٩٣٧ ــ ١٩٤٩)، جمهورية إيرلند منذ ١٩٤٩، وكان هذا الإستقلال على أساس أن تظل ضمن مجموعة الأمم البريطانية، بينما ظل القسم الشمالي (الستر) تابعا لبريطانيا، ولا ترضى إيرلند عن بقاء الجزء الشمالي أو إقليم الستر تابعا لبريطانيا، بل تعتبره جزء منها.

الوضع الخاص بألستر (شمالي أيرلند):

وإذا كانت العلاقات البريطانية الأيرلندية كانت سيئة لعدة قرون، فقد زادت سوءا خاصة في القسم الشمالي من الجزيرة منذ بداية هجرات البروتستانت من سهول اسكتلند وإنجلترا منذ عام ١٦٠٨ ، وزرعهم في إيرلند، فكان تثبيت لغرباء في أرض جديدة في شمالى إيرلند أو في إقليم الستر ، ومحاولة إخضاع المقاومة الكاثوليكية العنيفة، من ثم أصبح لالستر خصائص تتميز بها عن بقية إيرلند التي إستوطنها بروتستانت يفلحون الأرض، فإن القسم الشمالي أو الستر تغلب عليه البروتستانتيه والأقليه الكاثوليكية، وإذا كانت جمهورية إيرلند يغلب عليها الكاثوليكية تبلغ نحو ثلث السكان، وإذا فصلنا قليلا وجدنا نسبة البروتستانتية إلى الكاثوليكية ٣ : ١ في ثلاث مقاطعات بينما في مقاطعة فرماناغ يمثل الكاثوليك الأغلبية، وفي الحق من الصعب تحديد حدود لايرلند الشمالية دون ترك أقليات فالحدود التي أتفق عليها ، لم يقصد بها أن تكون حدودا دولية، ولم تتخذ هذه الصفة إلا في عام ١٩٤٩، بعد أن أصبحت ايرلند جمهورية مما أدى ببريطانيا إلى إصدار تشريع يضم ايرلند الشمالية إليها، إلى أن يأتى وقت ترغب فيه الغالبية إتخاذ وضع آخر، وظل هذا موقف الحكومة البريطانية. وفي ذلك الجزء الذي ضم إلى بريطانيا (الستر)، أصبحت البروتستانية شعارا ورمزا لهؤلاء المستوطنين، والذين يؤيدون البقاء كجزء من البيت البريطاني، بينما الكاثوليكية هي هوية الذين تمسكوا بعقيدتهم.

وإذا كان وضع الأقلية الكاثوليكية إختلف اليوم عن القرن الثامن عشر، وأن البروتستانت مازالوا يسيطرون على كل شئ في البرلمان، والحكومة والبوليس والإسكان، وكل ما في الحياة اليومية، ويكفي أن البروتستانت في برلمان إيرلند الشمالية المحلى

يكـــادون يحـــتكرون مقاعده منذ ١٩٢١ نتيجة تخطيط حدود الدوائر الإنتخابية بحيث تضم أغلبية بروتستانتية.

وفـــي مديـــنة لندن ديرى ثان أكبر مدن إيرلند الشمالية (بعد بلفاست العاصمة) يتألف مجلـــس المديـــنة من البروتستانت، على حين أن ثلثي سكانها من الكاثوليك، وأتفق التقسيم المذهبـــي مـــع التقســـيم الإجتماعي، فإذا كانت هناك طبقة متوسطة من كل من الكاثوليك والبروتستانت، فإن أغنياء البروتستانت يفوقون أغنياء الكاثوليك، بل الأكثر فقرا تجدهم من بيـــن الكاثولـــيك، ولديهـــم نســـبة البطالة أعلى، وأدى هذا إلى قيام حركة الحقوق المدنية للكاثولـــيك***Catholic Civil right movement*** مقـــابل الحـــركة الوحدوية ***Loyalist Movement*** بيـــن البروتســـتانت أى الوحدة والولاء لبريطانيا لمقاومة مطالب الإستقلال عـــن بريطانيا، وكان غرض حركة الحقوق المدنية الكاثوليكية التي تألفت عام ١٩٦٧ في بلفاســـت تجميع أنشطة الجمعيات العديدة التي تهدف إلى إصلاح أحوال الكاثوليك، وقامت الجمعـــية بعـــدة مظاهـــرات غير مخططة بحيث خرج الأمر من يدها، وقابلت الحكومة البريطانـــية الحقـــوق المدنـــية بـــبرنامج إصلاحي، أعلن في ١٩٦٨ بالمساواة ، في كل الميادين، وبـــدأت مناقشات خاصة بإيجاد مجلس للنواب والشيوخ يكون فيها التمثيل على أساس نسبي، ولكن تطورت الأحوال بسرعة وتدهورت الأحوال لنشاط الجيش الجمهوري الأيرلـــندى ***I RA*** (*) الـــذي صعد الجهاد، والذي كان له دور كبير قبل ذلك في إستقلال جمهوريـــة إيرلـــند، وأدى هـــذا بالحكومة البريطانية إلى إرسال آلاف الجنود البريطانية، وأخذت الأمر بيدها وجمعت الإدارة في يد وزير شئون إيرلند.

وقامت باستفتاء في الإقليم عام ١٩٧٣ قاطعة الثلث الكاثوليكي، بينما صوت الثلثان من البروتســـتانت فـــي جانـــب الـــبقاء مـــع بريطانيا، وحرر بالتالي الكتاب الأبيض الخاص بالإصلاح الدستوري لإيرلند الشمالية، مؤكد بقائها جزء من بريطانيا طالما رغبت الأغلبية هـــذا الوضـــع، ولكـــن مـــع إقامـــة هيئتين تنفيذية وتشريعية يمثل فيها كل من الكاثوليك والبروتســـتانت، وإن ينتخـــب ثمانـــية عشر عضوا لبرمان وستمنستر (مجلس العموم)، وتظل الحكومة البريطانية مسئولة عن الشئون الخارجية والدفاع وقد ازدادت أعمال العنف بين الطائفين في أيرلندا الشمالية أو الستر، بل ونقل الجيش الجمهوري الإيرلندي عنفه إلى خـــارج إيرلـــندا إلـــى قلب لندن ذاتها، وقابل البروتستانت هذا بزيادة أعمال العنف التي يقومـــون بها داخل الأحياء الكاثوليكية إتفاق الجمعة العظيم (١٩٩٨) بتدخل من الولايات المتحدة الأمريكية وضعت خطوط عريضة للتسوية أهمها:

١ ـــ انتهاء مطالبة الجيش الجمهوري الإيرلندي بالوحدة مع جمهورية إيرلند.

٢ ـــ موافقة حزب الستر الاتحادي (بروتستانت) على تقاسم السلطة مع الجمهوريين (الكاثوليك) عبر تشكيل برلمان للإقليم وهيئة تنفيذية مشتركة تدبر أموره باستقلالية على

(*) الشين فين هي الجناح السياسي للجيش الجمهوري الايرلندي (كاثوليك) ويقابله حزب الستر الاتحادي (بروتستانت).

السلطة المركزية في لندن.

ويكن :

- لـم يتضمن الاتفاق على موعد محدد لنزع أسلحة الميليشيات العسكرية أو وضع القوات البريطانية في الإقليم.
- عدم تحديد علاقة هذه المسائل بعملية اقتسام السلطة في الإقليم، من ثم سرعان ما ظهـرت الخلافات والأزمات بين القوتين السياسيتين (الشين فين وحزب الستر الاتحادي لاختلاف رؤى كل منهما.

ثانياً: قضية التركيب العرقي

(١) تشيكوسلوفاكيا والأنشطار السلمي

ودع ١٦ مليون تشيكوسلوفاكي عام ١٩٩٢ كمواطنين في دولة واحدة، وأستقبلوا العام المـيلادي الجديـد وقد إنقسموا إلى ١٠,٥ مليون تشيكى و ٥,٥ مليون سلوفاكى. وخرج الأولــوف مــن السكان، لاسيما الشباب، إلى شوارع براج، عاصمة تشيكيا، وبراتيسلافا عاصمة سلوفاكيا، يحتفلون ويلوحون بالأعلام.

عوامل التفكك وظروف الإنـهيار:

علــى الــرغم مــن أن الدعوة للإنفصال ليست بجديدة على التاريخ التشيكوسلوفاكي، وبخاصـــة فــيما يتعلق بمحاولات إستقلال سلوفاكيا، إلا أن التغير والتحولات التي شهدتها تشيكوســلوفاكيا وأوربا منذ عام ١٩٨٩ والممثلة في إنهيار المنظومة الإشتراكية ثم إنهيار الإتحــاد الســوفيتي عــام ١٩٩١، وما أعقبها من إحتدام الأزمة الإقتصادية التي شهدتها تشيكوســلوفاكيا، و التي إنعكست أثارها السلبية على الشطر السلوفاكي بوجه خاص، كل ذلك أدى إلى إنبعاث فكرة الإنفصال بين الشعبين، وأخذت الفكرة تختمر تدريجيا. ولنتذكر فــي هــذا السياق وعبر إحدى محطات التحضير للإنفصال، القرار الرسمي الصادر عن الــبرلمان الفيدرالــي فــي عــام ١٩٩٠ والقاضــي بتغير إسم الجمهورية من جمهورية تشيكوســلوفاكيا إلــى (جمهوريتــي تشيكيا وسلوفاكيا)، حتى تطورت خطوات العملية الإنفصــالية سريعا، ومن المفارقات التي لا تخلو من دلالة على أن يكون عمر جمهورية تشيكوســلوفاكيا المحتضــرة، هــو عمر الإتحاد السوفييتي السابق نفسه، ذلك أنها بزغت للوجــود كدولة بعد عام واحد بالضبط من قيام ثورة أكتوبر البلشفية عام ١٩١٧. كما أنها لفظت أخر رمق من حياتها بعد عام واحد بالتمام والكمال من إعلان وفاة الإتحاد السوفيتي أي فــي مطلع ١٩٩٢ . لكن هناك بونا شاسعا بين طبيعة وظروف الإنهيارين .. فلم تكن تشيكوســلوفاكيا طوال عمرها تحت ظل النظام الشيوعي، إذ أن ثلث عمرها قضته تقريبا بعــيدا عــن ذلك النظام ، كما تشهد الأقليات القومية فيها وعلى وجه الخصوص أكبر هذه الأقليات، (القومية السلوفاكية) مظاهر الطمس والتذويب كالتي عانت منها شعوب الإتحاد الســوفييتي، ومــن ثــم كانت المعضلات الإقتصادية في تشيكوسلوفاكيا ، والأخطاء التي

إرتكبتها القيادات الشيوعية السابقة هي التي مهدت الطريق لدعاة الإنفصال، وأحياء النعرات القومية المتطرفة.

إدعاءات الطرفين:

تأسست جمهورية تشيكوسلوفاكيا في نوفمبر ١٩١٨ على أثر توحيد الحركتين القوميتين التشيكية والسلوفاكية، وهما القوميتان اللتان تعايشتا وتجاورتا معا تحت حكم إمبراطورية النمسا والمجر التي تفككت في أواخر الحرب العالمية الأولى بعد هزيمتها أمام الحلفاء الذين شجعوا الأقليات القومية على الإنفصال عن الإمبراطورية المحتضرة.

وقبل ذلك التاريخ (تاريخ تأسيس الدولة الإتحادية التشيكوسلوفاكية) كان التشيك يعتبرون أنفسهم هم سكان تشيكوسلوفاكية الأصليون حتى أنهم كانوا يتطلعون إلى إقامة دولة تمثل الشخصية التشيكية. أما سلوفاكيا فقد ظلت طوال ألف عام وحتى ميلاد الدولة الإتحادية تابعة لبودابست (المجر) التي كانت تسميها العليا على الرغم من أن الذين يعيشون فيها هم أقلية قياسا بالعنصر السلوفاكى. وعلى ذلك فقد كان التشيك ومازالوا يذكرون السلوفاك بدورهم في إحياء القومية السلوفاكية من الأندثار بأعتبارها كانت مطموسة ومهمشة في ظل سنوات حكم المجر الطويلة. وينكر التشيكيون أنهم مارسوا سياسة التفرقة القومية أو الإضطهاد ضد السلوفاك، سواء كان ذلك قبل الحكم الشيوعي في ١٩٤٨ أم في كنفه، بل على العكس فأنهم يردون على ذلك بأنهم أتاحوا للسلوفاك الفرصة للتعبير عن تراثهم القومي، وفتحوا المدارس لتعلم اللغتين التشيكية والسلوفاكية على حد سواء .أما مايقال عن إنعدام تكافؤ الفرص بين القوميتين فمرده، كما يقولون إلى عدم تفهم السلوفاكيين إلى حقيقة موضوعية، تتمثل في أن سكان الشطر التشيكى هم ضعف سكان الشطر السلوفاكى، ناهيك عن أن مساحة الأول أكبر من مساحة الثاني.

تقسيم التركة : الكاسبون والخاسرون:

وفقا لقاعدة إثنين إلى واحد والتي تنطلق من واقع نسبة سكان الشطر التشيكي (١٠,٥ مليون) إلى سكان الشطر السلوفاكى (٥,٥ مليون) تم التقسيم وكانت القومية هي الأساس، وكانت متركزة عند السلوفاكيين الساعين لإنهاء الإتحاد القائم منذ ٧٤ سنه، رغم أنهم لم يحصلوا على الإستقلال فعلى من هيمنة الإمبراطورية المجرية عليهم لزمن طويل، إلا عندما أقيمت الدولة التشيكوسلوفاكية. ولا يوجد أحد الآن يعتبر قيام دولة سلوفاكية بين ١٩٢٩ و ١٩٤٤ م تحت سيطرة النازية الألمانية أكثر من إستقلال صورى بثمن باهظ. أما التشيكيون فقد كان تحولهم إلى التعجيل بالإنفصال نتيجة نظرة واقعية، (أن مصيرنا غير مرتبط بالسلوفاكيين) مشيرين بذلك إلى الخسارة المالية والإقتصادية الأكبر المتوقع أن تصيب سلوفاكيا في الدرجة الأولى .. وبالمقابل فإن الشعور الأوسع إنتشارا على المستوى الشعبى هو تضاعف مشكلات سلوفاكيا بالمقارنة مع تشيكيا، إنها لن تواجه الجانب الإقتصادى فقط، بل تخشى أيضا من إزدياد التوترات المتصاعدة مع المجر المجاورة، ولا يقتصر ذلك على الخلاف بصدد مشروع توليد الطاقة على نهر الدانوب

فقط، بل يتعداه إلى المخاوف على مستقبل الأقلية المجرية في سلوفاكيا، وعددها ٧٠٠ ألف نسمة، أي ١٢ % من السكان. فضلا عن بوادر تعامل الدول الغربية مع تشيكيا بما يميزها عن سلوفاكيا، نظرا لتفاوت الطاقة الصناعية والإقتصادية ما بين الدولتين.

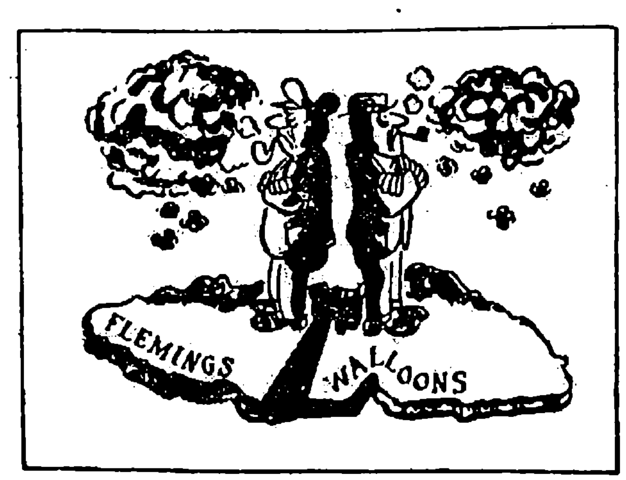
(٢) بلــــجيــكا مشـــــروع إنـشـــــطار

مسرح للنزاعات الأوربية:

بلجــيكا من أصغر الدول الأوربية نسبيا، مساحتها في حدود ٣٠ ألف كيلو متر مربع وعدد سكانها في حدود عشرة ملايين نسمة، وكانت مسرحا للهجرات وللنزاعات الأوربية فـــي التاريخ القديم، وآخر حلقاتها ماكان بين النمساويين والفرنسيين والبريطانيين، بل كان قـــيام الدولـــة البلجيكـــية بإعلان الإستقلال في ٤/ ١٠/ ١٨٣٠م من صنع فرنسا، وجاء إعـــتراف الـــدول الأوربـــية الرئيسية بها خلال مؤتمر لندن في العام التالي حلا وسطا، وتضمن تنصيب الملك ليوبولد الأول وفق التفاهم الفرنسي ــ البريطاني.

ورغم صغرها تكاد بلجيكا تصبح أول دولـــة أوربـــية غربية تصل إليها عدوى ظاهرة الإنقسامات التي مزقت يوغسلافيا حـــربا، وتشيكوســـلوفاكيا سلما والسبب الرئيسى هو أنها توفر المعطيات الرئيسية لهذه الظاهرة تاريخياً.

النفور بين الفلمنك والوالون



إنفصام لغوى:

جمعـــت بلجـــيكا بين الفلامنكيين في مـــنطقة فلاندرز شمال البلاد حيث تنتشر اللغـــة الهولـــندية أو الفلمنكـــية ونسبتهم حوالـــي ٥٨ % والوالـــون فـــي منطقة والونـــيا جنوبي البلاد حيث تنتشر اللغة الفرنسية، ونسبتهم حوالي ٣٣ % بالإضافة إلى حوالي ٧٠ ألف من ذوى الأصل الألماني فـــي شرقي البلاد، ينطقون لغتهم الألمانية ، وتميزت مع الزمن منطقة بروكسل العاصمة ومـــا حولهـــا، بما يشمل أكثر من مليون نسمة أي زهاء ١٠% من السكان، كفئة رابعة تحمـــل وصـــف البروكســـليين، وتبلغ نسبة الأجانب فيها زهاء ٣٠ % وهي من أعلى النســـب فـــي أنحاء أوربا .. وعند القاء نظرة على بلجيكا تبدو وكأن أرضها قابلة للذوبان عبر الحدود الهولندية شمالا، والفرنسية جنوبا والألمانية شرقا.

فـــلا تبقى سوى النواة البروكسلية (الأوربية) الصبغة. وهذا التقسيم الذي لعبت اللغة فـــيه دورا رئيسيا، يعطى الدعوة الإنفصالية أبعادا تتجاوز الجانب القومي المجرد، الأكثر ظهـــورا في أوساط الفلامنكيين، لاسيما عن طريق حزب فلامندرز اليمينى الذي كان من

أواخر تصريحاته قوله (لقد عشنا معا منذ ١٦٠ عاما ، دون أن نكون سعداء بذلك، فعلام لا ننفصل عن بعضنا بسلام كما جرى في تشيكوسلوفاكيا؟).

وتتبيـــن الأبعـــاد الأخرى للدعوات الإنفصالية عندما يقول المؤرخ البلجيكى دهينزيس مـــثلا (ينكر الفلامنكيون أن نكون هولنديين، وينكر الوالونيون أن نكون فرنسيين .. فمن نحـــن ؟) .. والسؤال بحد ذاته تعبير عن أزمة التميز لدى البلجيكين الذين تقول عمليات إســـتطلاع الـــرأى فـــي صفوفهم أن نسبة ٢٦,٥ % فقط يعبرون عن إعتزازهم بالإنتماء البلجيكى بصورة قاطعة.

فجوة بين الشمال والجنوب:

ومن الدعامات الرئيسية للدعوة الإنفصالية الهوة القائمة بين (الشمال والجنوب) داخل بلجـــيكا ، والتـــي تجعـــل من الضروري تحويل ماقيمته سبعة مليارات دولار سنويا من المنجزات الإقتصادية في الشمال البلجيكي لدعم جنوب البلاد، وبينما يشكو الفلامنكيون من أن هـــذا يجرى على حسابهم، يشكو الوالونيون من أن إهمال مناطقهم إقتصاديا هو السبب في إضطرارهم إلى العيش على المعونة.

ماذا تفعل الدولة ؟

ولـــم يكن إضعاف فاعلية الدعوة الأنفصالية عن طريق دعم وحدة بلجيكا كدولة جامعة تصهر سائر الفئات السكانية فيها، بل على النقيض من ذلك فقد كانت تواجه واقعيا بأسلوب الإستجابة بالمهدئات والمسكنات، على شكل زيادة الصلاحيات الإدارية في كل منطقة على حســـاب الســـلطة المركزية، وتلبية المطالب المتعلقة بالجوانب الثقافية والتعليمية والفكرية وغـــيرها، وهـــذا ماساهم بصورة غير مباشرة في تعزيز الفروق بدلا من إذابتها، وجعل الدعوة الراهنة إلى تحويل بلجيكا إلى دولة إتحادية (فيدرالية) دعوة جادة.

هل تتفكك عاصمة الوحدة الأوربية ؟

إن إنقســـام بلجـــيكا غير محتمل في الوقت الحاضر، ولا يريد أحد أن يتصور إحتمال حدوثـــه، ليس بسبب الأوضاع الداخلية فقط، بل وبسبب ما يمكن أن يرمز إليه من مغزى يولـــد أثارا سلبية على صعيد أوربا الغربية عامة، إذ لا يشمل ــ أن وقع ــ مجرد إنقسام دولة أوربية غربية لأول مرة، منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، بل يتعدى ذلك إلى حقيقة وقوعة في الدولة التي تضم عاصمتها المقر الرئيسي للرابطة الأوربية الساعية الى توحيد نفسها، والصدمة التي يمكن أن يحدثها التقسيم في بروكسل عاصمة أوربا.

(٣) المشكلة القبرصية

الأهمية الإستراتيجية:

بالـــرغم من صغر مساحة قبرص (أقل من عشرة آلاف كيلو متر مربع) فإنها ذات أهمـــية جيواســـتراتيجية، فهـــي نقطة إنطلاق للقوى البحرية والجوية الدولية بإتجاه تركيا

والمضائق، ونحو المنطقة العربية حيث يحتدم النزاع العربي ــ الإسرائيلي " وهي محطة بحرية تسكن إليها القطع البحرية بعد مناورات الأساطيل الضخمة، ولطالما شكلت قبرص موقعا إستراتيجية متقدما للأسطول السادس الأمريكي خصوصا في مرحلة السبعينيات بعد مـــا نــزل الأسطول البحري السوفييتي بقوة إلى مياه البحر المتوسط، ولاشك بأن الأتراك الذيــن ســيطروا علـــى قبرص منذ عام ١٥٧١ م وحتى عام ١٨٧٨م يتعاملون مع هذه الجزيرة الصغيرة المساحة والكبيرة الأهمية الإستراتيجية وكأنها شأن داخلي تركي، كيف لا وأن جزيرة قبرص تبعد عن الساحل التركي أربعين كيلو مترا فقط.

ولبريطانـــيا تـــاريخ طويـــل مع جزيرة قبرص، شأنها في ذلك شأن تركيا وهي التي فرضـــت إشرافها المباشر على الجزيرة بموجب معاهدة القسطنطينية مع تركيا في يونيو ١٨٧٨، ثـــم ضـــمت الجزيـــرة إلى ممتلكاتها عام ١٩١٤، وإستمرت السيطرة البريطانية الكاملـــة حـــتى عـــام ١٩٥٩ حيث أعلنت جمهورية قبرص المستقلة بعد معاهدة لندن في فـــبراير ١٩٥٩، والتي وقعها ممثلو بريطانيا وتركيا واليونان والجاليتين التركية واليونانية وقـــد تولـــي الأسقف مكاريوس (يوناني) رئاسة الجمهورية وفاضل كوسوك (أصول تركية) منصب الرئيس عقب إعلان الاستقلال عام ١٩٦٠، وبعد عامين إنضمت قبرص إلى الكومنولث البريطاني ، لكن هذا الإنضمام لم يعف الجزيرة من الإضطرابات منذ عام ١٩٦٣، بســـبب الخلافـــات حـــول نســـبة تمثيل الجاليتين في البرلمان والمجالس البلدية والوظـــائف الرئيســـية، وكثـــيرا ماتدخلت القوات التركية واليونانية مباشرة، ونزلت على أرض الجزيـــرة، فعانـــت من الإضطرابات ولم تعرف الإستقرار السياسي، وظن الرئيس الـــراحل المطـــران مكـــاريوس أن سياسة عدم الإنحياز يمكن أن توفر للجزيرة نوعا من الحماية الدولية ، أو الإستقرار النسبي، وأن تساهم في الحفاظ على وحدة الجزيرة، غير أن التدخلات الخارجية بقيت أقوى من هذه السياسة.

ثلاثـــة عوامـــل دولية تؤثر مباشرة في المشكلة القبرصية ، فضلا عن عوامل أخرى إقليمية ودولية تؤثر بصورة غير مباشرة ، وهي:

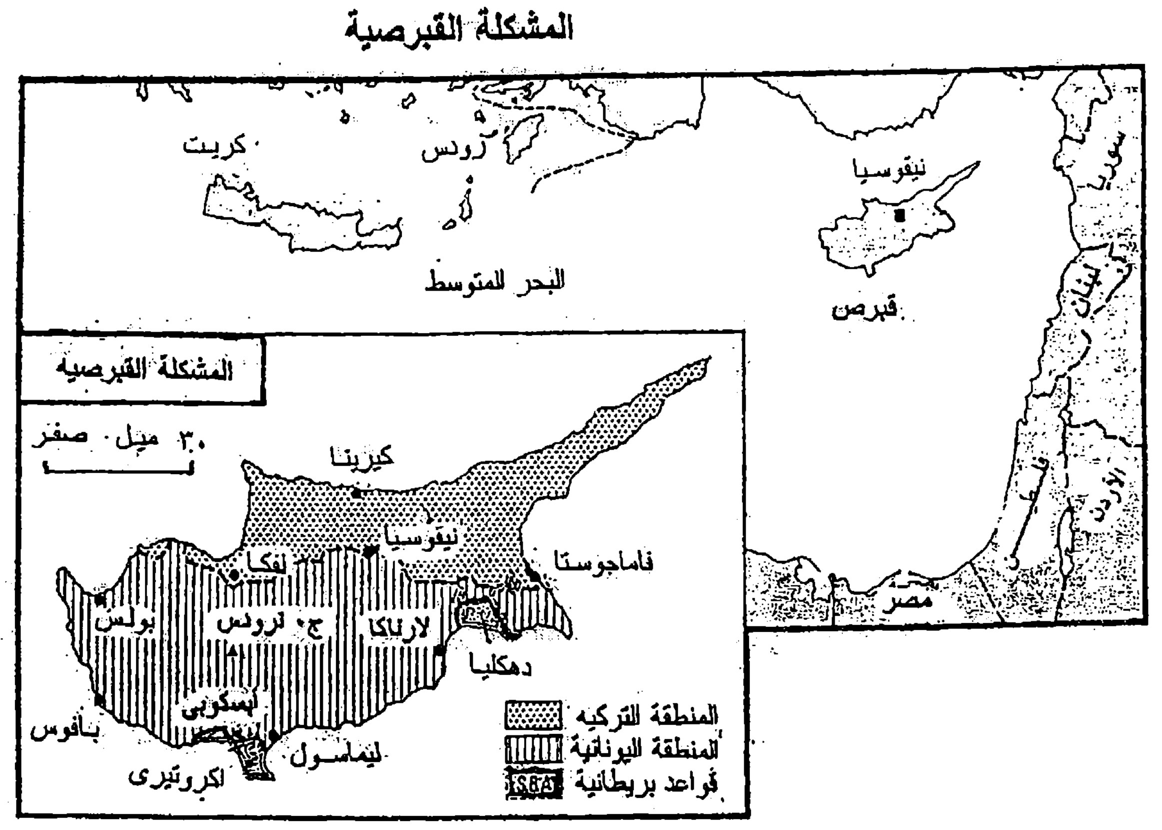
<u>العـــامل الـــيوناني</u> الـــناتج عن غالبية سكان جزيرة قبرص (حوالي ٧٧ %) وهم من اليونانيـــن الأرثوذكس، ولطالما صدرت دعوات قبرصية يونانية للإتحاد مع اليونان، كان آخـــرها دعـــوة زعيم الإنقلاب العسكري في قبرص الذي أطاح بالرئيس السابق الأسقف مكاريوس في العام ١٩٧٤م بدعم مكشوف من السلطات العسكرية اليونانية.

<u>العامل التركي</u> المستند إلى وجود حوالي ١٨ % من القبارصة الأتراك المسلمين والذي إشـــتد صـــراعه ولايـــزال مع الجانب اليوناني خصوصا بعد إنقلاب عام ١٩٧٤ ودخول القـــوات المسلحة التركية إلى الجزيرة خوفا من الوحدة مع اليونان وسيطرتها على ٣٨ % مـــن الأراضـــي بعـــد إشـــتباكات مسلحة مع القبارصة اليونانيين، وبذلك زادت المساحة الجغرافية الخاضعة لسيطرة القبارصة الأتراك، ومنذ ذلك التاريخ، وقبرص مقسمة واقعيا إلى منطقتين تركية ويونانية.

العامل البريطاني حيث لا يعرف الكثيرون بأن بريطانيا تسيطر على ٦% من الأراضي القبرصية، وهي تشمل المناطق التي أقام عليها البريطانيون قاعدتي " أكروتيرى " و " ديكيليا " ومحطة رادار في جبال ترودوس ، مما يعنى بأن السيطرة البريطانية هي مباشرة، وأن القواعد الحربية المذكورة لعبت دورا في النزاعات والحروب التي دارت في منطقة شرق البحر المتوسط خصوصا ، إبان حرب السويس في عام ١٩٥٦، " والحرب العربية ـ الإسرائيلية " عام ١٩٦٧.

ومن الطريف أن العاصمة نيقوسيا مقسمة بين الأتراك واليونانيين، وقد قسم خط التقسيم الشارع الواحد إلى شارعين !!

المشكلة القبرصية



إقتراحات لحل المشكلة

إقامة جمهورية فيدرالية تضم قطاعين مستقلين إداريا هما القطاع القبرصي التركي والقطاع القبرصي اليوناني، وتعديل مساحة القطاع القبرصي التركي، بتصغيرهذه المساحة، مقابل تقديم تعويضات مالية إلى القبارصة الأتراك تمكنهم من المساواة الإجتماعية مع القبارصة اليونانيين الأكثر غنى.

حل مشكلة اللاجئين الذين يبلغ عددهم ١٦٠ ألف يوناني و٤٥ ألف تركي، هاجروا من مناطقهم إثر الغزو العسكري التركي للجزيرة عام ١٩٧٤، بما يشمل ذلك تأكيد حق القبارصة اليونانيين في أملاكهم داخل المناطق التي هاجروا منها.

صـــيانة الحقوق والحريات الأساسية كحرية التنقل والإقامة والتملك ، وصياغة دستور جديـد يتضـــمن هذه الحريات، وينسجم مع النظام السياسي والدستوري الفيدرالي على أن يوزع بين السلطات والصلاحيات السياسية والإدارية بين الجاليتين اليونانية والتركية.

إيجـــاد حلـــول أمنية للمشكلات القائمة بما يوفر الإطمئنان للمجموعتين الأساسيتين في الـــبلاد وتقديـــم ضـــمانات لهمـــا كفيلة بعدم تجدد الإضطرابات والتدخلات الخارجية في المستقبل.

بناء الثقة:

رفض الجانب التركي هذه الأفكار مطالبا بإتحاد كونفدرالي على أساس وجود دولتين، وليس جاليتين، وتراجعت المفاوضات مرة أخرى لبحث ما تقدم به أمين عام الأمم المتحدة السابق من إجراءات بناء الثقة بهدف التقريب بين الجانبين قبل بدء السعي للتسوية الشاملة. هذه الإجراءات تتضمن أساسا إعادة فتح مطار نيقوسيا الدولي، وفتح مدينة فاروث، وهي جزء من منطقة فاماجوستا المحتلة للشعبين على أن يكون تحت إدارة الأمم المتحدة.

ولكن هذه الإقتراحات لم تصادف قبولا لأى طرف من الطرفين، وتجمد الوضع، حتى إســـتغل الموقـــف مـــرة أخـــرى عام ١٩٩٦ بإندفاع عدة مئات من القبارصة اليونانيين بدراجـــاتهم الـــبخارية إلى داخل المنطقة العازلة بين الطرفين متحدين القوات التركية التي بادرت بإطلاق النار عليهم خاصة بعد محاولاتهم إنزال العلم التركي.

خطة الأمين العام للأمم المتحدة ٢٠٠٢:

قدم الأمين العام خطة لحل المشكلة القبرصية في فبراير ٢٠٠٢، وعدلت الخطة ثلاث مرات تبعاً لأراء الطرفين وتتلخص مشروع خطة الأمم المتحدة فيما يلي : ــ

١ ـــ اسم الدولة الجمهورية القبرصية المتحدة وستكون لا حكومة فيدرالية وولايتين / قبرصية وتركية.

٢ ـــ العلاقة بين الحكومة الفيدرالية والولايتين اليونانية والتركية ستكون مماثلة للوضع فـــي سويسرا بين الحكومة الفيدرالية والكنتونات، وسيكون للحكومة الفيدرالية صوت واحد فـــي المحـــافل الدولية، ومن مسؤوليتها حماية الوحدة والحدود والموارد، على حين يتمثل اختصـــاص الولايـــات فـــي كل ما يتعلق بحياة المواطنين اليومية وأن تكون هناك آليات للتعاون بين الولايتين.

٣ ـــ إنشاء مجلس رئاسي يتكون من ٦ أعضاء، اثنان من القبارصة والأتراك وأربعة مـــن القبارصـــة اليونانييـــن (لاحظ نسبة السكان)، يكون منصب الرئيس بالتناوب بين الأعضـــاء الســـتة، وأن يتناوب الأعضاء الرئاسة ويتم اتخاذ القرارات بالأغلبية حتى لو كانت بسيطة، شريطة أن تضم الأغلبية على الأقل عضو تركي وعضو يوناني.

نتائج عرض مشروع الأمم المتحدة لاستفتاء (أبريل ٢٠٠٤).

وقد طلب الأمين العام للأمم المتحدة عرض المشروع في استفتاء في القسمين القبرصي واليوناني وجاءت النتيجة كما يلي :

- موافقة قبرص الشمالية التركية بنسبة ٦٠%.
- رفض قبرص اليونانية بنسبة ٧٥%.

أسباب موافقة القبارصة الأتراك.

ـ أن قبرص اليونانية ستنضم إلى الاتحاد الأوروبي في مايو ٢٠٠٤ سواء وافقت أم لم توافق.

ـ إظهار أن التعنت ليس من جانب الأتراك ولكن من جانب القبارصة اليونانيين، ولعل هذا يكون في صالح القبارصة الأتراك، وفعلا وعد الاتحاد الأوروبي تقديم المساعدات لقبرص التركية بقيمة ٢٩٥ مليون يورو وفك الحصار الاقتصادي عليها والاعتراف بهم دوليا كجمهورية مستقلة.

ـ أن حل المشكلة القبرصية سوف يزيد من فرص دخول تركيا الاتحاد الأوروبي.

أسباب معارضة القبارصة اليونانيين :

- أن قبرص اليونانية ستصبح عضواً في الاتحاد الأوروبي بصرف النظر عن القبول أو الرفض، وفعلا أصبحت عضواً في الاتحاد الأوروبي في أول مايو ٢٠٠٤.
- أن تمنح الخطة منح الجنسية القبرصية لنحو ٦٠ ألف تركي هاجروا إلى الشط الشمالي عام ١٩٧٤ وهذا مطلب أساسي للأتراك ويرفضه اليونانيين.
- ضرورة عودة نحو ٢٠٠ ألف قبرصي يوناني الذين هجروا من الشمال إلى أراضيهم ومساكنهم، وهو ما يرفضه الأتراك لأنه سيكون بمثابة قنبلة سكانية وسط القبارصة الأتراك، ولأنه أيضا أن يترتب على هذا تهجر قبارصة أتراك ليحل محلهم هؤلاء اليونانيين.

وهكذا عادت المشكلة معلقة مرة أخرى كما كانت من قبل أي إلى المربع الأول !!.

(٤) المشكلة الكردية

التوزيع الجغرافي والأكراد:

يتوزع الأكراد كقومية في منطقة جغرافية واسعة تمتد من شمال العراق وجنوب تركيا وسوريا وشمال إيران، وغرب أذربيجان، وحتى الحواف الجنوبية للهضبة الأرمينية بمجموع يتراوح بين ١٥ / ٢٠ مليونا، ولم تكن هناك طوال التاريخ دولة معروفة بأسم كردستان، بل كانت هناك إمارات كردية حاولت الإستقلال، وإستغلت التناقضات بين

الإمبراطوريات التاريخية التي إمتد ظلها في هذه المنطقة، ولعبت الإمبراطوريتان الإيرانية والتركية (العثمانية) دور مهما في تاريخ الإمارات والقبائل الكردية، فقد أعفت كل إمبراطورية الإمارات والقبائل القاطنة قرب حدودها من الضرائب، وأعطت شيوخها قدرا من حرية التصرف الإداري، وسلطة جمع الضرائب وإمتلاك الأرض مقابل الدفاع عن الحدود، ويحفظ التاريخ أدوارا هامة لقبيلة " بابان " مع العثمانيين وقبيلة " موكرى " مع الفرس هذا الدور العسكري تطور دوما بتصاعد الصراع بين الإمبراطوريتين، فإنطلقت كل إمبراطورية ترضى القبائل الكردية الموالية لخصمها، وتحاول إختراقها وزرع فكرة إقامة دولة من قبيل التنغيص على الخصم.

حلم الدولة الكردية:

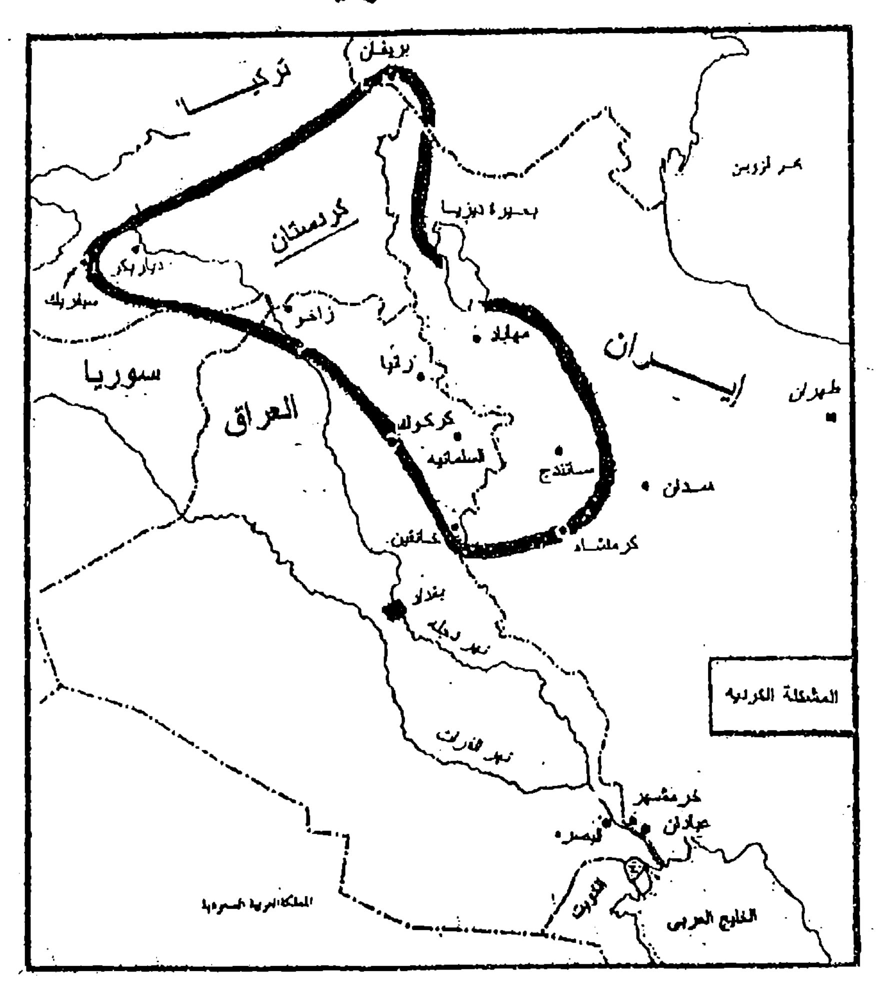
ولعل المتابعين للأدبيات الكردية يعرفون هذا تماما، وكيف بلور شاعر الأكراد العظيم " أحمدى خاننى " (١٥٩١ – ١٦٥٢) في ملحمته الشهيرة " ميم وزين " هذا التاريخ كله وصاغ الحلم الذي مازال حتى اليوم يكمن داخل كل كردى فأحمد خان يقول في قصيدة شهيرة له في الملحمة " هؤلاء الأكراد الذين بالسيف فازوا بالمجد . . كيف جرى أنهم كانوا محرومين من دار الدنيا وخاضعين للآخرين ؟ والأتراك والفرس محاطون بأسوار من الأكراد، وفي كل مرة يعبئ فيها العرب والأتراك الجيوش نجد أن الأكراد هم الذين يغرقون بدمائهم.. وفهم دائما متفرقون، ودائما على خلاف فهم لايذعنون لسلطان واحد منهم . فلو أننا توحدنا إذن ، لأصبح هذا التركي وهذا العربي وهذا الفارس خادمين لنا."

عوامل الضعف :

العزلة الجغرافية :

هناك عقبة إضافية أمام الوحدة الوطنية للأكراد. وتتمثل هذه العقبة في العزلة الجغرافية للأقاليم الكردية في الدول الثلاث، حيث يعيش معظم الأكراد في مناطق جبلية شديدة الوعورة، بعيدة عن العواصم ومراكز النشاطات السياسية. وغالبا ما كانت تجرد هذه المناطق من المخصصات المالية اللازمة للتطوير بالمقارنة مع المناطق الأخرى في الدولة، وخاصة في تركيا وإيران، وبالتالي بقيت هذه المناطق مهملة ومتخلفة . وبالتالي كانت الطبيعة الجبلية لمعظم مناطق كردستان تزيد من عملية العزلة ومظاهر الإنفصال بين الأكراد. ومن ثم حافظ الأكراد في عزلتهم على الابنية القبلية والعشائرية بدرجة كبيرة جدا تفوق تلك التي لدى الشعوب الموجودة في المناطق المجاورة. وقد أعاق الحفاظ على النظام الإقطاعي الإجتماعى عملية التطوير السياسي الحديث، ولم يستطيع المجتمع الكردي تجاوز مرحلة الروابط والإلتزامات الإقطاعية والعشائرية.

المشكلة الكردية



القبلية والعشائرية والفردية :

فالأكراد ليسوا شعبا موحدا فهناك نظام من النزعة الفردية القوية ضمن قبائلهم وجماعاتهم، يسيطر بصورة مهيمنة على المجتمع الكردي، حتى أنه يؤدى بإنتظام إلى وقوف عشيرة ضد أخرى طبقا للمصالح الآنية لهذه المجموعة أو تلك. ولم يتحد الأكراد أبدا على مدار تاريخهم حول قضية عامة مشتركة وحتى أثناء الإنتفاضات الوطنية داخل الدول التي يقيمون فيها، كانت تقاتل ضد بعضها، وعادة ما يكون ذلك بأمر يصدر من الدولة الأخرى . يضاف لذلك أن سيطرة زعماء القبائل ورجال الدين بقيت قوية على مدار القرون.

اللـــــــغة :

ولا يتحدث الأكراد لغة واحدة . فهناك ثلاث لهجات رئيسية مع إختلافات ملحوظة في المفــردات واللفظ والقواعد، يشبهها البعض بالخلافات الموجودة بين الألمانية والإنجليزية، والإيطالــية الفرنسية. ومع أنه يمكن إعتبار هذه اللهجات لغات مختلفة إلا أنها للتداخل مع بعضها يستطيع الأكراد التأقلم مع لهجات بعضهم البعض عندما يتطلب الأمر ذلك.

التشـــتت :

وهــناك عــدد من العوامل التي ساهمت في خلق هذا الإحساس الضعيف لدى الأكراد إتجــاه مسألة الأمة المستقلة . إذا أن تشتتهم الجغرافي بين دولة مختلفة لما يزيد على ألف سنة، أعاق بحدة قدرة الأكراد على تطوير رؤية وحدوية. ناهيك عن أن الأكراد قد جردوا من الفرصة التي تسمح لهم بالتطور في إطار ثقافة أو بيئة سياسية واحدة، حيث إضطروا لتطوير أنفسهم في إطار ثلاث نظم حكومية وثقافية مختلفة.

وكــان الفارق الهائل في درجة النمو بين المركز والهامش في هذه المنطقة من العالم ســببا إضــافيا كــي تغذى حالة التمرد الكردي، فقد ظلت المناطق الجغرافية التي يسكنها الأكــراد فــي الــدول الثلاث هي أقل مناطق هذه الدول نموا وأكثرها فقرا وبالتالي أشد ســخونه. وشــهدت المــنطقة ثورات شهيرة في أعوام ١٨٣٩، ١٨٤٣، ١٨٥٥ الا أنها أحبطت بقسوة هائلة من الجانبين التركي والإيراني على حد سواء، وجاءت معاهدة لوزان ١٩٢٦ لتقضى إلى الأبد على الحلم الكردي، فقد كانت المعاهدة واضحة في ترسيم الحدود بين العراق وتركيا وضمت بموجبها الموصل وشمالها إلى العراق وهي مناطق سكانها من الكرد وهكذا فإن الرقعة الأكبر التي يسكنها الأكراد ، قد قسمت بين ثلاث دول هي العراق وتركيا وإيران، ورقعة صغيرة في سوريا.

فبدأ يظهر ما يعرف بأسم كردستان العراقية، كردستان الإيرانية ، وكردستان التركية، وبدأ الأكراد يدركون أن حلم إقامة دولة لهم دونه الصراع مع ثلاث دول كبرى.

ومــن المؤكــد أن مخــتلف قوات المتمردين الأكراد قد تم إستخدامهما من قبل القوى الخارجية بإعتبارها أداة ملائمة لإضعاف الأنظمة المحلية. إذ ساعدت بريطانيا على إثارة المشــاكل في منطقة كردستان التركية في العشرينيات، وقدمت أمريكا و "إسرائيل" الدعم للأكراد ضمن نظام البعث العراقي في السبعينيات كما ساعد السوريون الأكراد ضد تركيا والعراق بين فترة وأخرى، كما وظفت إيران في ظل الشاه وفي ظل الجمهورية الإسلامية – أكــراد العراق وجندتهم في خدمة الصراع الجغرافي السياسي لطهران ضد بغداد، وفي المقــابل تقوم العراق بإنتظام بدعم أكراد إيران ضد الجمهورية الإسلامية، وبصورة ثابتة تقريــبا ، كــان يتم التخلي عن الأكراد في الوقت الذي لم يعد لهم دور في خدمة الأهداف السياسية للقوى الخارجية.

وقــد ظلت مشكلة الأكراد، ذلك الشعب العريق الذي خرج منه قادة وحكام عظام مثل

صـــلاح الديـــن الأيوبـــي، مشكلة مستعصية على الحل، لم تنجح أي من الدول الإسلامية الأربـــع التي تنتشر القبائل الكردية على حدودها، وهي تركيا وإيران والعراق وسوريا في علاجهـــا والإستجابة للأماني المشروعة للأكراد ، واستغلت هذه المشكلة بصفة دائمة من أطـــراف خارجية لتوسيع شقة الخلاف وإثارة النعرات والمنازعات ، ليس فقط بين الدول الإسلامية الأربع ، بل وبين الفصائل الكردية ذاتها، وزاد المشكلة الكردية تعقيد لعبة تغيير الـــولاءات للزعماء الأكراد أنفسهم وحيث وجدت هذه الدول أن من السهل شراء تأييد هذا الزعيم أو ذاك فقد ظل الشعب الكردي البائس يدفع الثمن.

فالحزب الديموقراطي الكردستاني العراقي يستعين بحكومة العراق للقضاء على حزب الإتحـــاد الوطنـــي الذي تدعمه إيران وهكذا، وها هي الولايات المتحدة الأمريكية تحاول التوفـــيق بين الفصائل المختلفة لتكون ورقة في يدها لإعادة ترتيب الأوضاع في المنطقة، وفـــي إيـــران وتركـــيا والعراق ظلت مطالب الأكراد وتأكيد الذات من خلال إعتماد لغة رسمية بجوار اللغات الوطنية.

أوضاع دولية جديدة :

ولكن التطور السياسي الكردي ربما يأخذ على المدى الطويل شكلا مختلفا، حيث تعمل قـــوى عاتـــية على أحداث تحول في البيئة السياسية الكردية. فمع إنتهاء الحرب الباردة تم جزئيا تخفيف القيود والعوائق المتعلقة بتطوير المشكلة الكردية، لأن إنتهاء الحرب الباردة جعل المشاكل القومية والإقليمية تحظى بمعالجة أفضل من أجل التوصل إلى حلول إيجابية لهذه المشاكل.

وهكذا فإن هذه الظروف قد تكون ملائمة جدا للأكراد من أجل الضغط بإتجاه الحصول علـــى دعم دولي لحل مشكلتهم، كما أن إضطراب السياسات الإقليمية وإهتزازها فتح أمام الأكـــراد فرصــــة إضافية أخرى، إذ أن الحرب العراقية الإيرانية وحرب الخليج، والتغير الداخلـــي فـــي تركيا، هذه كلها ساعدت على خلق حقائق جديدة للأكراد ولا يمكن التراجع عـــنها الآن بســـهولة، فبعد أن كان الأكراد معزولين في مناطقهم المنفصلة أصبحوا اليوم يتنقلون ويسافرون على نطاق أوسع، ويدرسون في الخارج ويلتقون مع الأكراد في الدول الأخـــرى حيث يتبادلون وجهات النظر، ويطورون إحساسا أكثر تماسكا بعرقيتهم الخاصة مـــن أى وقـــت مضـــى ، كمـــا ساعدت المؤتمرات الدولية في باريس عام ١٩٨٩، وفي ســـتكهولم عـــام ١٩٩١ على إلتقاء الأكراد مع بعضهم وتركيز إهتمام عالمي أكبر حول مشكلتهم بإعتبارهم شعبا له حقوقه الخاصة.

والـــيوم فـــإن التحالف الأمريكي البريطاني الذي أطاح بالنظام العراقي ساهم في خلق ظـــروف لم يسبق لها مثيل في التاريخ الكردي وهو إمكان إنشاء منطقة حكم ذاتي بفرض الأمر الواقع، في ظل حماية القوة.

والســـؤال المطـــروح الآن هل سينتهي إقتتال الفصائل الكردية بعضهم مع بعض وهل يـــنجحون فـــي إبطـــال إتخـــاذهم لعبة الأمم، وما الوضع الجديد للدول التي يعيشون فيها

وخاصة العراق؟

ثالثاً: التباين الاقتصادى

(١) تمرد الشمال الإيطالي

في منتصف عام ١٩٩٦ قامت مظاهرات تضم عشرات الآلاف من أبناء الشمال الإيطالي في مدينة بونتيدا يهتفون بالإستقلال عن روما، وذلك بعد ١٣٠ عاما من وحدة إيطاليا، فقد إنقسمت البلاد معنويا ونفسيا بعد أن إنقسمت إقتصاديا، وتألف " حزب رابطة الشمال " الذي يدعو للإنفصال وإعلان جمهورية " بادانيا " التي تشمل كل المنطقة الشمالية، ويستند الإنفصاليون الإيطاليون في حملتهم الإنفصالية إلى واقع معاش في إيطاليا منذ عشرات السنين، ومن سمات هذا الواقع أنه على الرغم من وحدة اللغة والدين، بل والمذهب الكاثوليكي، توجد فجوة واسعة في إيطاليا بين ثقافتي الجنوب والشمال، فالجنوبيون متهمون بأنهم محبون للمرح، موسيقى، وغناء، ورقص، وفنون أكثر من حبهم للعمل والإنتاج، وتحسين مستوى معيشتهم، وهم متهمون بأنهم إستمرأوا العيش عالة على أهل الشمال، وعلى فائض إنتاجهم ، بينما حقق الشمال الإيطالي نموا وإزدهارا إلى حد أن أصبح بلقب " التنين الأوروبي " وأقام أكبر تجمع صناعي في أوربا الجنوبية، على حين فإن منطقة الوسط والجنوب الإيطالي لم تحقق تقدما إقتصاديا يذكر، وتبخرت المساعدات الأوروبية التي بلغت نحو ٤٠ ألف مليار ليرة إيطالية خلال الفترة من ١٩٨٤ - ١٩٩٤، في الجنوب، كما يقولون بسبب سوء الإستثمار، كذلك هجرة الجنوبيين إلى الشمال، ذلك أن ٨٠ % من رجال البوليس والمدرسين والبريد الذين يعملون في الشمال هم من أبناء الجنوب، ثم أنهم متهمون أيضا بأنهم جعلوا من الجنوب الإيطالي عشا للاجرام ، الدولي والأوروبي وأساءوا إلى سمعة الإيطاليين في كافة أنحاء العالم، ومن ثم يطالب بعضهم إذا لم يتم الإنفصال بفصل الميزانيات، ومنح السلطة التشريعية والتنفيذية للمقاطعات، ومازال الإيطاليون يحلمون بكلمات كافور صانع الوحدة الإيطالية التي قال فيها (لقد صنعنا إيطاليا، والآن يجب أن نصنع الإيطاليين).

(٢) ثورة الهنود في المكسيك

في أوائل عام ١٩٩٤ قامت ثورة الفلاحين الهنود في إقليم (شيابا) الذي يقع في جنوبي المكسيك، ففي هذا الإقليم يعيش أفقر فقراء المكسيك، فرغم أن هذا الإقليم غنى بإنتاجه الزراعي ، وتخرج منه ٧٠% من الكهرباء ، ويتمتع بثروة بترولية تجعله بالإضافة إلى أن إقليم التاباسكو المجاور له مسؤولا عن نصف إنتاج المكسيك من البترول، فإن سكان شيابا الأصليين وهم الهنود لايحصلون علي أى قدر من هذه الثروة، بل وتتراوح عدد ساعات العمل لديهم بين ١٠ ، ١٢ ساعة يوميا ولايحصلون سوى على الحد الأدنى الذي يضعهم دون كافة مستويات الفقر ، بينما يملك ٩٠ % من ثروة الإقليم حفنه من المكسيكيين من أصل أوروبي ، لذلك كانت ثورة (الزباتيستا) أو جيش التحرير الوطني، وهذا الإسم نسبة إلى المناضل بطل تحرير الهنود (إميليا نوزاباتا) الذي قاد ثورة التحرير

بين عامي ١٩١١، ١٩١٧.

(٣) مشكلة دارفور في السودان

يعتبر إقليم دارفور من أكبر أقاليم السودان (نحو نصف مليون كم) وتشتر حدوده في الغــرب مع تشاد وليبيا وأفريقية الوسطي، وكان يمثل ولاية واحدة حتى عام ١٩٩٤ حين قسـم إلــى ثلاث ولايات شمالية وغربية وجنوبية. وهو بسكانه البالغين أقل من ٧ مليون نسمة يمثل ٢٠% من سكان السودان، تعيش فيه منذ أمد طويل العناصر العربقية وغالبيتها مــن الــرعاة (وأهمها الرزيقات والتعايشة، بنو هلبه) والعناصر الإفريقية (وأهمها الفــور والمساليت) زراع، وتعتبر قبائل الفور والزغاوة والمساليت أهم قبائل هذا الإقليم، والتــي يــزيد عددها على مائة قبيلة وقبائل درافور من افضل الشعوب الإسلامية تمسكا بديــنها وأخلاق الإسلام، تزاوجوا من بعضهم وبذلك اختلطوا ببعضهم وأندمجوا، ناصروا الــثورة المهديــة ضد الإنجليز، وكانوا السند الأول للثورة فاجتذبهم المهدي إلى الخرطوم وبعــض المــدن وشــاركوا فــي بناء السودان، وتولوا كثيرا من المناصب الإدارية، في الوزارات المختلفة. والاشتباك بين الرعاة والزراع معروف على طول تاريخ البشرية في أي مكان فحين يحل جفاف طارئ، يتجه الرعاة بماشيتهم بقرا أو إبل إلى أراضي الزراع، وتلــتهم الحيوانات جهود الزراع مما يؤدي إلى الاشتباكات، حدث هذا في دارفور في كل العصــور، وكانــت الأمور تسوى من قبل بواسطة حكما القبائل وفقا لنظام (الحواكير) وهــي الاتفاقــات التــي تنظم هذه العلاقات وتحدد الآليات والتعويضات في حالة حدوث الخسائر، ولكن هذه الأعراف ألغاها الرئيس السابق جعفر نميري حين حل نظام الإدارات الأهلــية عــام ١٩٧٢ ليضــع نظاما بديلا، ولكن لم تستطع الدولة أن تفرض هيبتها دون تمويــل عملــية التنمــية الاقتصادية في الإقليم، وبالتالي فقدت صراعات المرعى والماء عناصــر إنضباطها وأصبح على كل فريق خاصة الزراع حماية نفسه، فالقصة ليست بين عرب وأفارقة، ولكنها بين رعاة وزراع في إقليم مهمش، وكان انشغال حكومات السودان بعد الاستقلال بقضية الجنوب وحرب الجنوب، مما جعل من الصعب أن تكون هناك تنمية لهذا الإقليم، ولغيره مما أطلق عليها الأقاليم الهامشية ***Prephiries***.

زيادة حدة المشكلة.

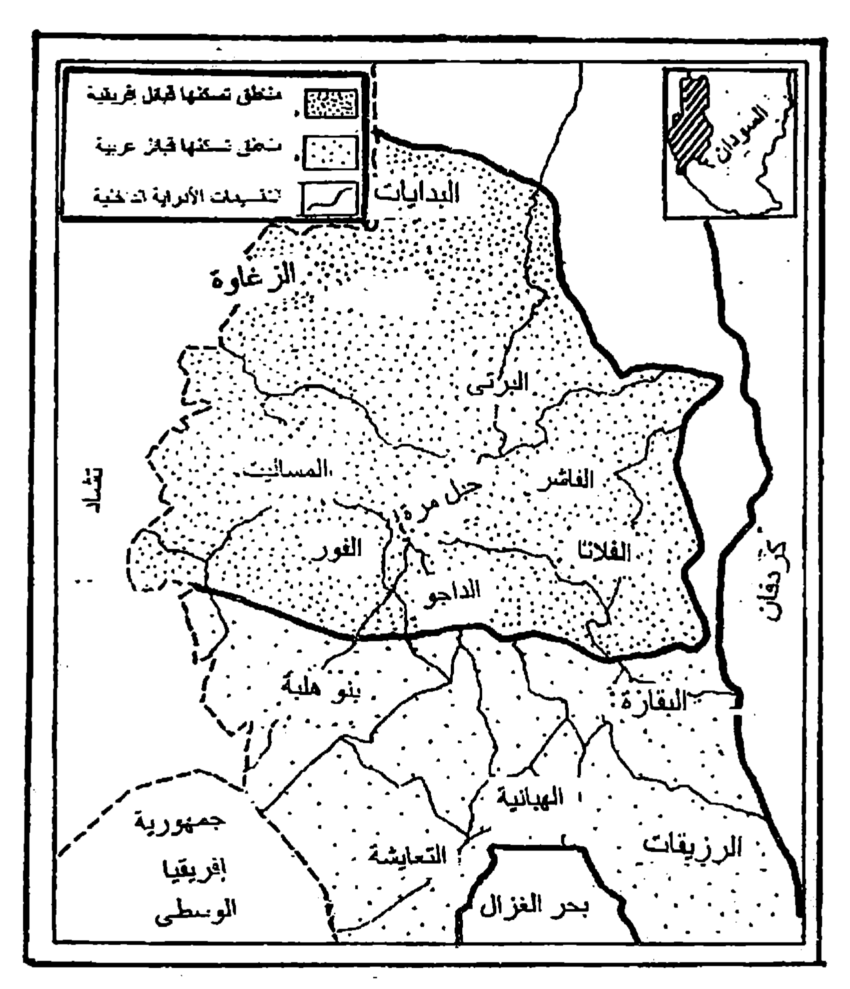
زادت حدة المشكلة أواخر القرن الماضي لعدة أسباب :

اعتاد الرعاة في جنوبي وشمالي درافور على الاتجاه نحو الأراضي الزراعية بعد حصاد أهلها للمحاصيل ونقلها لرعي ما تبقي من حشائش وبقايا المحاصيل، وكان الزراع يســمحون بذلك، لتطهير الأرض من الحشائش، وحصول الأرض على سماد طبيعي من الماشــية، ولكــن حيــن يحدث الجفاف مبكرا وبالتالي يحدث خلل في هذا النظام، فيسوق الرعاة حيواناتهم إلى الحقول المزروعة، تلتهم المحاصيل، وتحدث الاشتباكات التي ينتصر بهــا عــادة الرعاة، راكبو الخيل والمسلمون على الزراع. وقد شهد السودان ازمة جفاف وتصحر مستمر عصفت به، حتى تقدمت الصحراء إلى الجنوب من الخرطوم بنحو ١٥٠

كم، وكان الجغرافيون يعتبرون أن الإقليم الصحراوي يبدأ من خط عرض عطبرة تقريبا، وهكـــذا كـــان الجفـــاف المستمر لسنوات دافعا إلى زيادة اشتباكات الرعاة والزراع، مما اضطر الزراع من الضور والمساليت وغيرهم غل تسليح أنفسهم للدفاع عن أراضيهم.

— كـــان للحرب الأهلية بالسودان ونفقات هذه الحروب الباهظة بالنسبة لدولة نامية، والضائقة الاقتصادية التي يمر بها السودان، وانشغال حكومة الخرطوم، إلى عودة الرعاة إلـــى الإغـــارة على الزراع وإعمال السلب والنهب، وأحيانا حرق المساكن (معظمها من الـــبوص) وقـــد حاولـــت الدولة للسيطرة على الوضع وبذلك أصبحت طرفا في النزاع، واســـتعان البدو ببعض المقاتلين (المرتزقة) تضم أفراداً من القبائل العربية في درافور، ومن تشاد والكنغو والنيجر وغيرها، الذين عرفوا بالجنجويد (*).

— كان لوقوع دارفور على الحدود مع تشاد، وأفريقية الوسطي أن أصبحت كثير من القـــبائل ممـــثلا في الدولتين وسهل تهريب وتجارة السلاح، وخاصة وأن تشاد كانت فيها كثـــير من الصراعات الأهلية من قبل، هذا فضلا عن استغلال جون جارانج للموقف في أثناء حربه مع القوات الحكومية، وبالتالي المساعدة في تسليح القبائل، ولفتح جبهات متعددة أمام الحكومة السودانية، وأخيراً وليس آخراً انتهاز فرصة إنشغال الحكومة بمشكلة الجنوب التي أغرقتها إلى أذنيها.



قبائل دارفور

(*) جيم من جن أي العفريت، وجيم من *Gun* أي البندقية، وجيم من جواد، والمعنى الجان المسلح ببندقية وراكب جواداً.

الفصل الثالث

زيادة السكان كمشكلة سياسية (سكان وإنتاج)

تكاثر الإنسان في عهده الأول:

كـــان الإنسان في عهوده الأولى شأنه شأن جميع أنواع الحياة الأخرى يناضل الطبيعة والطبيعة تناضله، يفترس الحيوان، فلا ينسى الحيوان، أن يرد له الجميل جميلين، تصرخ معدتـــه الخاوية فيترك كهفه ويضرب في الأرض بحثا عن غذاء ، وإذا مرض فكثيرا ما كان المرض يغلبه، وإذا برأ من مرضه وتغلب على حيوان بيئته لم يسترح بل قام بمجازر بشــرية ليقضـــى فيها على نفسه أو على أخيه. فإذا أضفنا إلى هذا إرتفاع وفيات الأطفال فلابــد أن هذا الإنسان كان على درجة من الخصوبة عالية حتى أنه رغم هذا عمر وأنتشر في الأرض، وقد أيدت الأبحاث الأنثروبولوجية هذا القول.

وأمـــا أســـباب الوفاة فقد شاهد ***Weidenreich*** أن معظم حفريات إنسان العصور الحجرية تدل على نوع من الوفاة عنيف، مثل الحرب، صيد الرؤوس ألواد، والأمراض، وغير ذلك، من ثم لم يكن إزدحام سكاني، وإنما جماعات مبعثرة هنا وهناك حتى أن أعظم الكثافات كانت من البساطة لدرجة لا يمكن وضع متوسط لها.

تكاثر الإنسان في الحضارات الزراعية:

وعــندما بــدأ يســتقر ويعرف الزراعة بدأ يزداد نموه، وتزداد كثافته ويقدر أن معدل مواليــده كـــان يــتراوح مابين ٢٥، ٥٠ في الألف. فهذه النسبة لوحظت على الجماعات الزراعــية سواء في القرن السادس عشر في إيطاليا، أو السابع عشر في فرنسا، أو التاسع عشر في الهند.

أمـــا الوفيات فكانت عالية أيضا بين ٣٠، ٤٠ في الألف، ولذلك فالمجتمعات الزراعية زادت فيما يتراوح بين ٢٠ و ١٥ في الألف . هذه الزيادة ليست ضئيلة ولكن يخفف منها أحـــيانا دورات نكـــبات قد تصل فيها الوفيات إلى مايتراوح بين ٢٠٠ و ٥٠٠ في الألف، وهذه الدورات كانت تتفق مع الحروب والمجاعات والأوبئة.

وقـــد أثبتـــت الأبحـــاث التي قام بها الأب ***Mols***، لأوربا في العصور الوسطى هذه الـــتقديرات، وذهـــب إلى أن وفيات الأطفال في الظروف العادية كانت تتراوح بين ٢٠٠، ٤٠٠ فـــي الألـــف. وجـــزء كبير كان يموت قبل السابعة من عمره حتى أن ***Jermo Cardano*** وهو طبيب إيطالي عاش في القرن السادس عشر، كان يقول أنه على إستعداد لأن يشفي أي مريض على شريطة ألا تكون سنة أقل من السابعة أو فوق السبعين.

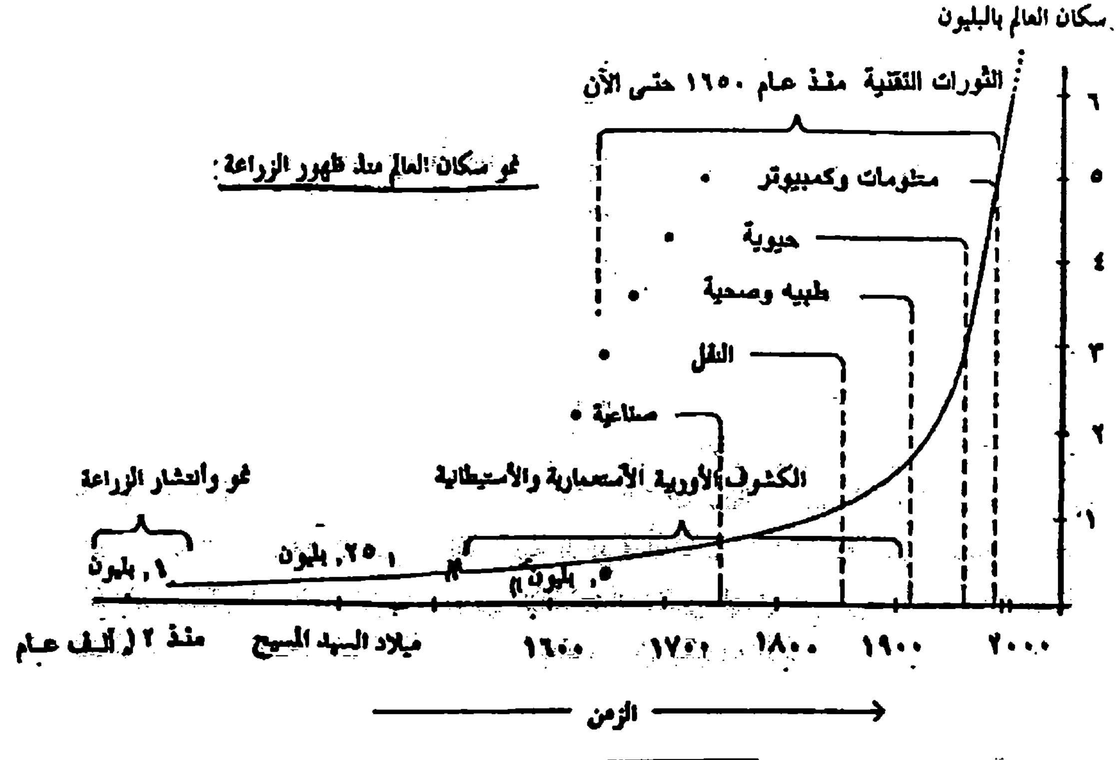
هذه الوفيات في مرحلة الطفولة وما قبل الشباب لاشك كانت تقطع خط الحياة.

تكاثر الإنسان في الحضارة الصناعية:

ثـم تغـير الوضـع في المجتمع الآلي الصناعي تماما نتيجة التقدم العلمي خاصة في الفنون الطبية والعلاجية.

فقد دلت التجارب على أن عملية رش جزر الباسفيك بمسحوق الـ د . د . ت التي قام بها الجيش الأمريكي قبل إحتلاله لها أدت هبوط نسبة الإصابة بالملاريا، وكذلك كان الـ د . د . ت أثـره الفعال في جزيرة سيلان، وفي اليونان، فإنخفضت معدلات الوفيات بعامة، وإنخفضت وفيات الأطفال بخاصة، مما أفسح الفرصة للأطفال لأن يصلوا إلى سن البلوغ، ومـا كـان يصـل إليه منهم إلا القليل. والكثير من البالغين لأن يصلوا إلى الشيخوخة أو بمعنى آخر زيادة متوسط الأعمار، أو زيادة أمل الحياة.

شكل رقم (٢٩) : نمو سكان العلم منذ ظهور الزراعة



ميل الزيادة السكانية نحو الإرتفاع:

لاحـظ الباحثون أن معدل النمو السكاني أصبح في إرتفاع مستمر، وأنه يصعد بسرعة لم يعهدها أحد في العهود الماضية، فقد كان هذا المعدل ٧ في الألف في النصف الثاني من القـرن التاسـع عشـر، ثـم إرتفع إلى ٢١ في الألف بين عامي ١٩٦٥ ، ١٩٦٩، ولكن إنخفض إلى ١٦ في الألف في سنويا، ومع ذلك تقدر الزيادة حاليا بنحو ١٠٠ مليون نسمة سنويا ، فسكان العالم يزيدون على ٦ مليار عام ٢٠٠١ ويقدر بأنهم سيبلغون ٨ مليار عام ٢٠١٠.

إن إزدياد السكان وحده لايعنى شيئا ، فقد تستمر الزيادة دون أن تسبب مشكلة لو كانت موارد العالم تكفي لإمداد كل فرد بحاجته.

الأرض :

ذلك هو الإنسان، فماذا عن الأرض ؟ يقولون أن ٧٠ % من مساحتها غير صالحة لإقامة الإنسان لشدة البرودة كما في جرينلند والقارة القطبية الجنوبية أو لأنها صخرية لا يغطيها إلا الرقيق من التربة إن وجد ، أو الجفاف الشديد الذي يستحيل معه النبت ويبيس الأخضر. أما الـ ٣٠ % الباقية ، وتقدر بنحو عشرة آلاف مليون من الأفدنة فلا تشتغل منها الآن إلا نحو أربعة فقط، أي أن نصيب الفرد في العالم أكثر من الفدان بقليل، بينما يحتاج الفرد إلى نحو ٢,٥ فدان لتمده بالحد الأدنى من الغذاء بتقدير دكتور ***Benett*** وبذلك لا يخص الفرد ما يحب أن يحصل عليه من غذاء.

علاقة الإنسان بالأرض :

معنى هذا أن إنتاج الأرض الحالية لا يكفي ما عليها، وأنه يجب أن يزداد لمواجهة الأفواه الجديدة كل عام من ناحية، ثم يزيد مرة أخرى إذا تطلعنا إلى الأخذ بيد ثلاثة أرباع البشر الذين يستوي لديهم الوجود والعدم.

حقا لقد إزدادت الكمية المنتجة من الغذاء في العالم بأسره بمقدار يتراوح بين ١٠ % و ١٥ % خلال السنوات الأربعين التي سبقت بداية الحرب العالمية الثانية، غير أن الزيادة السكانية بلغت ٣٠ % في نفس تلك الفترة، وكان للحرب العالمية الثانية أثرها الواضح في نفس كميات الغذاء المنتجة حتى أن مستوى الإنتاج الغذائي قبل الحرب لم يصل إليه العالم إلا بعد إنقضاء ثلاثة عشر عاما من إنتهاء تلك الحرب.

من ثم دقت طبول الخطر، بأننا نسير من سئ إلى أسوأ، لأن السكان يزيدون بمعدل أسرع من زيادة إنتاج الأرض.

مالتوس ومصيدته :

والواقع أن هذا الناقوس سبق سماعه منذ نحو قرن ونصف على يد القس الإنجليزي مالتوس، حين ذكر أن السكان يتزايدون بمتوالية هندسية أى بالتضاعف بالضرب (٢ ، ٤ ، ٨ ، ١٦) بينما الغذاء يتزايد بمتوالية عددية (٢ ، ٤ ، ٦ ، ٨) أى بإضافة ٢، وشتان بين التضاعف والإضافة فالتضاعف يؤدى إلى زيادة أكبر من الإضافة.

وحذر بأن الطعام لن يكفي مهما ضاعفنا إنتاجه إلا إذا توقف التضاعف البشرى، غير أن هذا التضاعف العددى يبطئ أحيانا نتيجة للحروب والأوبئة والمجاعات.

وقد تعرض مالتوس للنقد المرير، خاصة وأن الظروف في تلك الفترة والتي أعقبتها لم تساعد على إنتشار مذهبه بل أحبطت فكرته، ذلك أنه لم يعمل حساب لمساحات شاسعة خالية أو شبه خالية في الأمريكتين وأستراليا، فعندما بدأت أوربا في الإزدحام إمتصت هذه

العوامـــل الجديـــدة ذلك الفائض، وكانت تقول هل من مزيد، ثم ظهر إنقلاب صناعى قلب الأوضـــاع الإقتصادية والإجتماعية وبدلهم من بعد عسرهم يسرا، ومكنهم من أن يعدوا أو ينسحبوا فقط ثورة في النقل تأخذ ما صنعت أيديهم وتأتيهم بطيب عيش منوع من أراضى بعيدة.

لا مجاعة ولا قحط:

غـــير أن هـــذا الرأي واجه معارضة الكثيرين، وعلى رأسهم جون رسل كبير علماء الـــزراعة البريطانيين فرغم أنهم لا ينكرون أزمة الطعام، ففي رأيهم أنه لن تحدث مجاعة فـــي المســـتقبل لأن الجـــوع ممكن تلافيه. فإلى جانب الإنفجار السكاني المتوقع في نظر هؤلاء، فإن هناك إنفجارا فنيا فنحن نعيش في عصر مزيد من العلم والمعرفة.

وأنـــه من الممكن زيادة الإنتاج، لأننا لا نستغل من وجه الأرض أكثر من ثلث الواجب زراعنه، فإذا أكملنا الإستغلال فإن أرضنا تطيق البشر ثلاثة أمثال ما عليها.

تطبيق عملى :

غـــير أننا نلاحظ آراء الإقتصاديين في هذا المجال ، فهناك فرق في رأيهم بين إمكان إستخدام نوع معين من الأرض في الزراعة وبين إستخدامها الفعلي، فعلى سبيل المثال قد يقال أنه يمكن زراعة الصحراء وجعلها تعج بالنبات، ولكن قد يكون هذا غير صحيح من الناحية الإقتصادية، فقد تكون تكلفة المشروع باهظة لدرجة تمنع تنفيذه، وفي المعادن يجب أن نفـــرق بيـــن الوجود المطلق للمعدن وبين الوجود النسبي له، وكثيرا ما تؤدى دراسات الجيولوجييـــن إلـــى حقائق غريبة غاية في الغرابة من الناحية الإقتصادية، فمعدن النيكل مـــثلا، إنـــتاج العالم منه قليل بالنسبة للمعادن الأخرى، ولا يستخرج إلا بمقادير قليلة في مـــناطق معينة من الأرض، فكندا وحدها تنتج ٨٠ % من الإنتاج العالمي، ومع ذلك فهذا المعـــدن النادر نسبيا نجد أنه في صخور القشرة يبلغ ضعف مقدار النحاس وخمسة أمثال الـــزنك وعشـــرة أمـــثال الرصاص ونحو مائة مثل القصدير. لذلك كان الفرق واسعا بين مجرد الوجود الجيولوجي للمعدن وسهولة الحصول عليه إقتصاديا.

وفـــي مـــيدان الحشـــرات تعمل منظمة الأغذية والزراعة وكل دولة جهدها ومع ذلك تســـتهلك هـــذه الحشـــرات في الولايات المتحدة الأمريكية التي بلغت قمة في التقدم الفني الحشري ما قيمته ١٠٠٠ مليون دولار سنويا.

وفي تفصيل هذا الجزء من النبات أو ذلك نجده قد إرتبط عند الشعوب بالعادات الغذائية المنتشرة في المنطقة التي يعيشون فيها، وليس من السهل أن تغير في أذواق الطعام، فمن السهل أن يتغير ذوق اللباس لأنه يتوقف على حكم المجتمع الذي نعيش فيه، ولكن الطعام يـــتوقف علـــى حكم النفس واللسان، فهو شرطي المرور الذي يشير إلى إمكان إبتلاع هذا ولفظ ذاك.

خريطة العالم لوحة من الفسيفساء :

ولنفرض جدلا أن هذه الإمكانات ميسورة المنال سهلة التحقيق، سنجد أن هناك من الأمور ما يستحق النظر مرة أخرى، فكثير من الكتاب الديموغرافيين حين يعالجون مشكلة الغذاء، يعالجونها على أساس وجود علاقة توازنية بين المنتجات الزراعية في العالم وبين سكانه، أي يفكرون على مستوى عالمي، وهذا النوع من التفكير يدل على التفاؤل المفرط، فيحق للمرء أن يشعر بالسعادة والسرور حينما يزداد إنتاج القمح في العالم بمعدل أسرع من معدل زيادة السكان. ولكن ليس في ذلك حل للمشكلة التي تواجهنا ، فليس هناك مخزن عالمي يتجمع فيه المحصول ، فتقوم الحكومة العالمية بتوزيعه حسب الإحتجايات، بل أن خريطة العالم السياسية تعددت ألوانها وتضاربت وأصبحت اشبه شئ بلوحة من المزايكو أو الفسيفساء. من الإتحاد السوفييتي الذي تربو مساحته على ثمانية أميال ونصف مليون ميل مربع إلى إمارة ليشتنشتين التي لا تزيد مساحتها على ستين ميلا مربعا. وحتى حبيبات هذا الموزايكو عرضة للتغيير بحيث يمكن للحبيبة أن تتمدد وتنكمش أو يصيبها إنقسام حسب الظروف السياسية.

ونتيجة لهذا أصبح المتوسط العام لما يخص الفرد في العالم وهو أكثر من فدان بقليل، أصبح غير ذي موضوع، وأما الأقرب إلى الحقيقة فقد قام به السير جون رسل حيث قسم أقطار العالم إلى الأقسام الآتية:

١- أقطار يخص الفرد فيها (أكثر من ٢,٥ فدان) تشمل الأمريكتين واستراليا وشرق أوربا، وهي في بحبوحة من عيشها.

٢- أقطار يخص الفرد فيها (١ - ٢,٥ فدان) وتشمل غرب أوربا ووسطها وهذه الأقطار تكفي نفسها بنفسها من الغذاء بنسبة ٨٠ %.

٣- أقطار يخص الفرد فيها (أقل من فدان) وتشمل بلجيكا وسويسرا وبريطانيا واليابان وهذه الأقطار مستوردة للطعام إعتمادا على صناعتها.

٤- أقطار يخص الفرد أقل من الفدان وهي الهند والصين وجنوب شرق آسيا بعامة، وجمهورية مصر العربية. وهذه المجموعة الرابعة بإستثناء الهند أستبعدت اللحم من غذائها أو قللت منه وبذلك أمكن للفرد أن يعيش في الهند على ٠,٨ من الفدان وفي الصين على نصف فدان.

تناقض غذائي:

وليس أدل على التناقض الغذائي الدولي من أن الولايات المتحدة ظل بها فائض كبير عن حاجة سكانها من القمح والذرة، والبيض واللبن، والجبن، بحيث أن تخزين هذا الفائض كان يكلفها نحو خمسة آلاف مليون دولار سنويا ووضعت المشروعات لشراء هذا الفائض ولتخزينه في مخازن وصوامع هائلة وشجعت المزارعين ماليا للإقلال من الزراعة حتى يمكن إنتاج المحاصيل بالقدر اللازم للإستهلاك، حتى لا تنخفض أسعارها نتيجة زيادة

العــرض علــى الطلــب، وهكــذا ظلت الحكومة تشترى الفائض حتى أصبحت المخازن والصــوامع لاتكفي لخزنه، بدأت تستغل المدرعات والسفن الحربية في التخزين، كما دب الفساد إلى جزء كبير منه.

ثم آتت الحرب العالمية الثانية، وحلت المشكلة لحاجة الجيوش إلى الغذاء، ولكن ما أن طويــت صــفحة الحرب العالمية حتى عادت المشكلة تطل برأسها من جديد فوزعت منها إعانات للبلاد التي خربتها الحرب وبدأت تتخذ في تصريف هذا الفائض أكثر من إتجاه.

ومــنها بيع الفائض للدول الأخرى وتسديد الثمن بعملاتها المحلية أو بالدولار، فإذا تم التســديد بالعملات المحلية فإن الثمن ينفق في نفس القطر لمواجهة مصروفات السفارة فيه ومشروعات التبادل الثقافي وغيرها، وإذا تم بالدولار يقسط على عشرين عاما، وأحيانا يتم البيع بالمقايضة بالمعادن أو الخامات، أي تقاضى الثمن بأي شكل من الأشكال.

وإتجــاه ثــان وهــو المعونة في حالة الكوارث كالزلازل أو القحط الفجائي في بعض الأعوام، وهذه حالات وقتية.

والإتجــاه الثالــث وهــو الهبات السنوية، وقد تمت الهبات منذ عشرين عاما لأسباب سياسية، سواء تمثلت في مشروع مارشال أو المساعدات الأمريكية لشان كاى شيك.

الأمــر الــذي يعنى أنه توجد حتى يومنا هذا هبات بالمعنى الحقيقي للكلمة وحتى هذه الهــبات بــدأت بعض الدول تعارض قبولها لأنها إستهلاكية وليست إنتاجية، فهي لا تأخذ بــيدهم لتســاعدهم علــى أن يقفوا وحدهم ، بل تعطيهم سمكة لتخلصهم من الجوع يوما، ولكنها لا تعطيهم شبكة تخلصهم من الجوع طول حياتهم.

وحــتى البــنك الدولــي الذي يمكن أن تقترض منه الدول النامية لتطوير إنتاجها، كان يــنحرف أحــيانا عن الطريق القويم، ويقع تحت تأثير الولايات المتحدة الأمريكية، وليس رفضه لتمويل السد العالي، وما تبعه من تأميم لشركة قناة السويس عام ١٩٥٦ ببعيد.

ولا يســعنا قــبل أن نترك هذه النقطة، إلا أن نطرح مقارنة طريفة بين حالة الفرد في الهند وزميله في الولايات المتحدة الأمريكية.

قد يزيد الإنتاج في الولايات المتحدة أو أستراليا بمقدار ٥ % أو ٦ % فإن هذا الإنتاج الإضــافي لــيس ذو فــائدة كبيرة لسكان العالم في مناطق أخرى مثل الهند أو الصين أو اندونســيا إلا إذا إســتطاع سكان هذه الدول الأخيرة أن يبادلوا هذه المنتجات الزراعية بما عندهم من فائض في هذا الإنتاج، وما لم تتوفر هذه السلع المطلوبة فمن الصعب الحصول على المواد الغذائية وكلنا يعرف أن فائض هذه الدول النامية ضئيل.

المشــكلة إذن ليست في أن العالم يستطيع أن ينتج الطعام الكافي للعدد المتزايد، ولكن المشــكلة تظهر فيما إذا كانت الهند والصين تستطيع أن تستبدل ما تحتاجه بمنتجاتها، هذا هو الوضع الصحيح للمشكلة.

المشكلة تزداد حدة:

ويــزيد مــن حدة المشكلة عاملان، أولهما التوزيع غير المتساوي للسكان على سطح الأرض بحيـث يتجمع نصف أولاد آدم في شرق آسيا وجنوبها، خلية نحل في ١/٣٠ من مساحة اليابس، بينما هناك مناطق تعانى تخلخلا سكانيا مع وفرة في أراضيها كما في كندا والبرازيل وأستراليا وغيرها (١) ، بحيث يمكن أن تعول عددا أكبر من السكان دون خفض لمســتوى معيشــتهم، كما أن هناك مناطق أخرى يمكن أن ترتفع مستوى معيشتها بزيادة سكانها، ومع ذلك لا يستجيب السكان لما في أيديهم من موارد.

وهكــذا تجد الناس فريقين: قلة من الناس لها من الغذاء نصيب الفيل، وكثرة ولها من الغذاء القدر الضئيل.

أما العامل الثاني فهو عدم تكافؤ الزيادة السكانية، فأقل الناس زيادة في الوقت الحاضر يملكــون مــن الأرض ومن موارد أكثر مما هم بحاجة إليه، على سبيل المثال فإن الزيادة الطبيعية لمعظم البلاد الأوربية كما يقول أينشتين ستنخفض في العشرين عاما المقبلة بسبب كــبر السن وما يؤدى إليه من قلة المواليد، وزيادة في الوفيات على العكس سكان الهند أو الصــين أو إندونيسيا فإنهم يزيدون دون النظر إلى ما بين أيديهم من موارد. فنمو السكان فــي الــدول النامــية يســير بدرجة عالية ، إن التقدم الطبى الذي وصل إليه الغرب بعد محــاولات مــن التجربة والخطأ إستمرت لمدة قرنين، قدم إلى هذه الشعوب خدمات جليلة فإنخفضــت الوفــيات بمعــدل أسرع منه في غرب أوربا، فبعد القضاء على الملاريا في ســيلان، إنخفضــت الوفــيات من ٢٢ في الألف إلى ١٢ في الألف في سبع سنوات من ١٩٤٥ إلــى ١٩٥٢، هــذا المعدل في الهبوط إستغرق في بريطانيا ٧٠ عاما وفي جزر موريشس كان هناك هبوط من ٢٧ في الألف إلى ١٥ في الألف إستغرق سبع سنوات بينما إستغرق هذا الهبوط في بريطانيا ١٠٠ عام. ولم يكن هذا الإنخفاض السريع عالية في تلك المناطق بحيث تصل إلى ٢٥ في الألف.

المشكلة في إطار إقليمي:

إذن كيف تحل الدولة النامية مشكلاتها السكانية، وأقول مشكلاتها وليست مشكلتها لأنها فــي الحقــيقة تطــوى بيــن ضلوعها مشكلات إجتماعية وإقتصادية وسياسية؟ كيف تحل مشــكلاتها فــي إطارهــا الإقليمي، لا في الإطار العالمي؟ كيف تلحق الزيادة الإنتاجية إكسبريس الزيادة السكانية السريع؟

يا ترى فلاحة الأرض فيها على الطريقة الهولندية؟ إن هذه الطريقة تستلزم وجود آلات زراعــية معينة، وحتى هذه الآلات الزراعية لايمكن إستعمالها في الهند أو الصين لوجود أعــداد ضــخمة من السكان (في ظل الوضع الحالى) لا تجد عملا، فما بالك بعد إدخال

---

(١) يتجمع ٦٥% من سكان العالم في ثلاثة أقاليم هي أوربا . جنوب آسيا (الهند والباكستان) الصين وهذه الأقاليم لاتزيد على ١٥ % من مجموعة مساحة اليابس ، وهناك تجمعات تعد بعشرات الملايين كما في مصر ونيجيريا وشرق أمريكا الشمالية واليابان .

الآلات الزراعية؟ ستزداد الأمور لاشك تعقيدا، تتضمن هذه الطريقة أيضا قسطا من المعرفة الفنية والخبرة عند المزارع، وهذا يقتضى تدريب المزارعين الهنود والصينيين ولكن كم من الوقت يمر قبل أن تصل إلى النتائج الموجودة؟ كما أن المزارع الأمي الذي تقدمت به السن سيعجز دون شك عن هضم هذه المعارف الجديدة. وقد يتحقق هذا ولكن في المدى الطويل، فهذه التقديرات تتجاهل مفهوم الزمن أو تتناساه، تنسى أن الصين تزيد كل عام ما يزيد على ١٥ مليونا، وأن الهند تزيد كل عام نحو ٦ملايين. وإنه إذا كان في الإمكان زيادة الإنتاج الزراعي، فيجب أن يكون فورا لأن كل عام يزيد المشكلة تعقيدا.

إذن فلنرجع إلى أوروبا، ماذا فعلت عندما بدأت تحس بضغوط سكانية ملحة في بعض أطرافها سنجد أنها إستجابت بالتصنيع وبالهجرة؟

تصنيع:

والواقع أن التصنيع قد يقلب الأوضاع السكانية، فبدلا من أن تكون الدولة قبل التصنيع مزدحمة بالسكان نجدها بعد التصنيع قد تكون في حاجة إلى أيدي جديدة، فالصناعة أحد المخارج الرئيسية من المصيدة المالتوسية، لأنها ستشرب الفائض من سكان الأرض الزراعية. وكان هذا من العوامل التي هربت بها أوربا من هذه المصيدة.

ألا أنه في الدول النامية تظهر بعض عقبات في وجه التصنيع على نطاق كبير منها ضعف السوق الداخلي، لأنه لا يستطيع أن يستوعب كميات كبيرة من السلع لضعف القوة الشرائية بين السكان، لأن هذه الشعوب بحكم هبوط دخلها النقدي، لن تستطيع أن تنفق إلا قدرا بسيطا من هذا الدخل على شراء المنتجات المصنوعة، فالجزء الأكبر منه يتجه للمأكل والمشرب والمسكن. أي المطالب الضرورية للمعيشة، وأن تبقى شئ للمصنوعات الضرورية مثل الملابس. أما الأسواق الخارجية فنجد أن الدول الصناعية القديمة قد إكتسبت معظمها، ثم هناك عقبة وهي قلة رأس المال المستثمر.

هجـرة:

أن سياسة تقوم على تهجير سكان آسيا تهجيرا مصحوبا بمعونة مالية ومدروسة دراسة عميقة إلى بعض البلاد القليلة السكان، لذات أثر عميق في الأحوال الإقتصادية للبلاد التي سيهاجرون إليها. ولسنا ندعى أن الهجرة التي يوضع لها نظام مدروس من البلاد المخلخلة ستقضى على جميع المشكلات السكانية في الصين، أن الهند أو اليابان، ولكن التهجير سيعمل على ظهور أثر الجهود الزراعية والصناعية ومايصحبه من إرتفاع لمستوى المعيشة، فإذا إرتفع الشعب إلى مستوى معين، فهناك رغبة في التمسك بهذا المستوى والإرتفاع به أن أمكن، ولكن لم يحدث أن كانت هناك رغبة لدى الأفراد أو المجتمعات في الإنحطاط بمستواهم، ستنخفض معدلات المواليد بدورها تلقائيا. وتبدأ هذه المناطق تمر بالدور السكاني الذي مرت به دول غرب أوروبا.

ثم هناك عامل آخر لا يمكن إغفاله. وهو أن معظم المهاجرين ليسوا من العجزة

المسـنين ولا مـن الأطفال . ولكنهم في الغالب من الشباب ذوى الإخصاب القادرين على الإنجـاب. ومـن هنا كان لابد من نقص في مواليد الوطن الأم كلما هاجر منها عدد من الشباب .

ســدود وموانع:

وتعـترض فـي وقتـنا الحاضـر قوانين الهجرة المختلفة التي سنتها الدول فإذا كانت الهجـرات الجماعـية في الماضي قد حلت من مشكلة أوروبا. إلا أن أمريكا لم تعد غابة مفـتوحة أمـام كل قادم . فبعد أن كانت تسير طبقا لما هو منقوش على تمثال الحرية في نيويورك مخاطبة أوروبا " إلى بالمتعب والفقير وبالجماعات المضطهدة التي تنشد الحرية . إلـى بالتعسـاء الذين تلفظهم سواحلك. أرسلى هؤلاء المشردين والفقراء أرسليهم إلى ". أصـبحت الآن تضع شروطا للهجرة تحدد عدد المهاجرين بنحو ١٥٠ ألف نسمة سنويا . يقسم على أفراد القوميات المختلفة بنسبة عددها عام ١٩٢٠.

وتـرفض بعـض الـدول هجرة الأجناس غير البيضاء كالصينيين واليابانيين والهنود وسكان الملايو والباكستان والزنوج.

فالمهاجرون الإيطاليون يقبلون في فرنسا بسهولة، ويهاجر العمال البلجيكيون للعمل في شـمال شـرق فرنسا ويرجعون إلى بلجيكا، كما إستقبلت ألمانيا نحو نصف مليون إيطالي لتنشـيط الصـناعة فيها، ثم أن الأوروبي الذي يرغب في الهجرة يود أن يذهب إلى بلاد أعلى مستوى، فالهجرة على النقيض من الماء تسير من المستوى المنخفض إلى المرتفع.

فالنتـيجة التـي لا مهرب منها هي أن الطراز الوحيد للمهاجر الذي ينجح في تحويل الأرض الخالـية إلـى أرض زراعية هو الفلاح الآسيوي الصيني أو الهندي أو الياباني. فأسـتراليا كمـا يقـدر الجغرافي الكندي دكتور جريفث تايلور، تستطيع أن تتحمل عددا يتراوح بين ٣٠ و ٥٠ مليونا بدلا من ١٤ مليونا الآن.

ولكـن الأستراليين يطلقون على جيرانهم الآسيويين، لقب الخطر الأصفر ويدعون أنه إذا تدفقـت الهجـرات الآسـيوية، فإن هذا سيؤدي إلى إنخفاض الأجور. ذلك أن التشريعات الصـناعية عملـت علـى رفع أجور العمال حتى غير الفنيين منهم، كما نجحت في خلق ظروف مناسبة لهم تعتبر بصفة عامة أكثر تقدما، مما وصل إليه الحال في أوربا وأمريكا الشـمالية. وربمـا هددت هذه الهجرات هذا المستوى المعيشي لإنخفاض مستوى معيشة الآسيوى وقبوله أجور أقل من الحد الأدنى . ولكن الرد على هذا أن الأسيويين إذا هاجروا فلرغـبة في رفع مستوى معيشتهم لا لخفض مستوى معيشة الشعب الذي إستضافهم، ولا يمكن أن نتخيل أن الآسيوي أو غير الآسيوي يحب الفقر ويعيش الكفاف.

مـا يقال عن قدرة أستراليا عن تخفيف الضغط السكانى ، يقال عن كندا، فإنها تستطيع أن تستوعب ثلاثة أمثال هذا العدد دون خفض لمستوى معيشة سكانها.

كذلـك الحـال فـي أمريكا اللاتينية وأرضها العذراء التي قدر لها أن تستوعب ٢٥٠

مليونا، والتي لم تكن لديها عقدة اللون والجنس بدأت للأسف الشديد تتأثر في هذه الناحية بأمريكا الشمالية. ونتيجة ذلك أصدرت كثير من جمهوريات أمريكا اللايتنية القوانين التي تحد من الهجرة إليها، فالبرازيل مثلا حددت عدد المهاجرين إليها من أى بلد بحيث لا يتجاوز ٢ % ممن وفدوا إليها بين عامي ١٨٨٤ و ١٩٣٣ ، ولعل الطريف أن أكبر نصيب للمهاجرين (طبقا لهذا القانون) للبرتغال مع أنها ليست مزدحمة بالسكان، ولا هي في حاجة ملحة إلى الإستفادة من هذا القانون.

مشكلة السكان مسئولية عالمية:

هكذا إزداد سكان العالم هذا القرن بمعدل أعلى منه في أي وقت مضى، ويبدو أنهم سيزيدون مرتين أو ثلاث مرات قبل أن يحدث ما يشبه التوقف، وليست هناك طريقة بطبيعة الحال لمعرفة متى يتم هذا التوقف في الزيادة السكانية، ولكن ما يمكن قوله أنه إستنادا إلى ما حدث على فترات متفاوتة خلال العقد الماضي (في فرنسا وبريطانيا، والولايات المتحدة الأمريكية والآن إيطاليا واليابان والسويد) فهناك مؤشرات تدل على أنه مع التصنيع وزيادة الحضرية تصبح العائلة الصغيرة هي المستحبة، ولحسن الحظ أن الثورة التقنية جعلت في الإمكان زيادة إنتاج الغذاء وإستخدام موارد جديدة، في نفس الوقت الذي أدى فيه تقدم الطب إلى الزيادة السكانية الهائلة التي شهدها النصف قرن الأخير.

إختلاف مشكلات سكان الشمال عن سكان الجنوب :

في الشمال الصناعي المتقدم ورغم المستوى المعيشي اللائق في المجمل العام، هناك مشكلات جديدة لم تكن لتخطر على بال أوروبي في نهاية القرن الماضي منها على سبيل المثال: تناقص عدد المواليد، وإرتفاع نسبة الشيخوخة ، وتزايد الهجرة غير المشروعة وتفكك نظام الأسرة، وبالتوازى مع ذلك تظهر مشكلات جديدة تفرض نفسها بعنف على النظم الأخلاقية والمعنوية منها الحمل المعملي بدون أب معروف أو بأب مات منذ سنوات، والمطالبة بإباحة الإجهاض قانونيا، وإجازة إنهاء الحياة بعد اليأس في العلاج، أنها مشكلات لا تقل أهمية عن بطالة الشباب والمخدرات ومرض نقص المناعة وتلوث البيئة والإرهاب.

أما في الجنوب فمشكلاته تذكرنا بتلك التي توقعها روبرت مالتوس في منتصف القرن الماضي فالسكان يتزايدون بمتواليات هندسية، على حين تتناقص إمكانيات المصدر الأساسي لإشباع الإحتياجات الضرورية، أي الأرض، بكل ما يصاحب هذا من أمراض ومجاعات وحروب وتصفيات عرقية. والأمر بالغ الخطورة بالنسبة للجنوب، إذ تتكاتف فيها كل هذه الكوارث بشكل لا يهدد الحياة نفسها فحسب، بل وبما يهدد بإتساعها وإنتقالها إلى أوربا، وقليلون حقا هؤلاء الذين يدركون أن هذه الآفات على نوعياتها في كل من نصفي الكرة الشمالي والجنوبي متصلة غير منفصلة، بحيث لم يعد ممكنا تصور حلول لها في الشمال بمعزل عن الجنوب، أو العكس.

أن المقارنة بين الماضي والحاضر تتوقف عند هذا الحد لأن الأزمة العالمية اليوم

تحتوى على عوامل جديدة لا مثيل لها في العصور السابقة، وإذا كانت وجوه التشابه في مشكلة محدودية ثروة الأرض عديدة ، فالفرق بين اليوم والأمس يكمن في أن إستغلال الأرض وصل إلى أعلى مراحلة إلى جانب أن أي حلول جديدة كالتكنولوجيا البيلوجية في الزراعة تتطلب رؤوس أموال وتراكمات تكنولوجية لا تملكها البلدان الأكثر فقرا في الجنوب، إن دول إفريقية وأمريكا الوسطى والشرق الأوسط والهند والصين ستواجه على الأقل في العقود القليلة المقبلة ورغم الجهود الجبارة التي تبذلها ، مشكلة تضاعف السكان، فالمشكلة السكانية أشبه بحاملة نفط هائلة الحجم يلزمها كثير من الوقت حتى تتوقف تماما، مع ذلك فليس من المتوقع أن يتقدم هذا الإدراك نحو التوصل إلى سياسة كونية عامة ، بل يعتقد البعض أن الهوة ستتسع أكثر وأكثر بين الشمال والجنوب، فإذا كان الشمال يمتلك الوسائل التي تسمح له التوصل إلى حلول لمشكلاته، فإن التقدم التكنولوجي باهظ التكلفة بالنسبة للجنوب، وخاصة بالنسبة لتلك البلدان التي لا تمتلك منذ الآن الإمكانيات أو البنيات الأساسية لذلك، بما يعنى أن بلدان الجنوب متفاوتة الحظ في إمكان التغلب على أزماتها.

وفي كل الأحوال فإن الهوة ستتسع أكثر وأكثر بين الشمال والجنوب (كما ذكرنا) لإن التحدي نفسه جديد على أجهزة الشمال والجنوب، بسبب الترابط والتداخل الآن بين مشكلات الشمال ومشكلات الجنوب، ومن ذلك على سبيل المثال الترابط والتداخل بين الإنفجار السكاني في الجنوب وتزايد الهجرة أو الهروب إلى الشمال، وبين ثورة الصناعة الآلية وتفاقم البطالة في الشمال والجنوب، وبين إنتاج ثاني أكسيد الكربون في الشمال وإهدار الثروات الطبيعية والمواد الأولية في الجنوب، وبين تقدم التكنولوجيات المعلوماتية والمالية في الشمال.

إن ما يزيد على ١,٣ بليون من سكان الأرض يعيشون دون مستوى الفقر، وليس مؤكدا أنهم ينطلقون إلى الرخاء على الطريقة الغربية كما يشاهدونه على شاشات التلفزيون، وإذا كانت الإصلاحات البنيوية في البلدان النامية تلقى مقاومات عنيفة، لأنها تتجاوز أحيانا حدود ما هو محتمل إنسانيا ، فالبعض قد لجأ إلى الهجرة ولكن الأغلبية تلجأ إلى الإنغلاق والإنطواء، إن الإرهاب الأصولي يجد تربته الخصبة ليس في بؤر الفقر والبؤس وحسب بل أنه يعتمد على الكتل البشرية التي تتحمل في صمت غياب رعاية المجتمع لهم وإهمالهم وكأنهم منفيون في وطنهم.

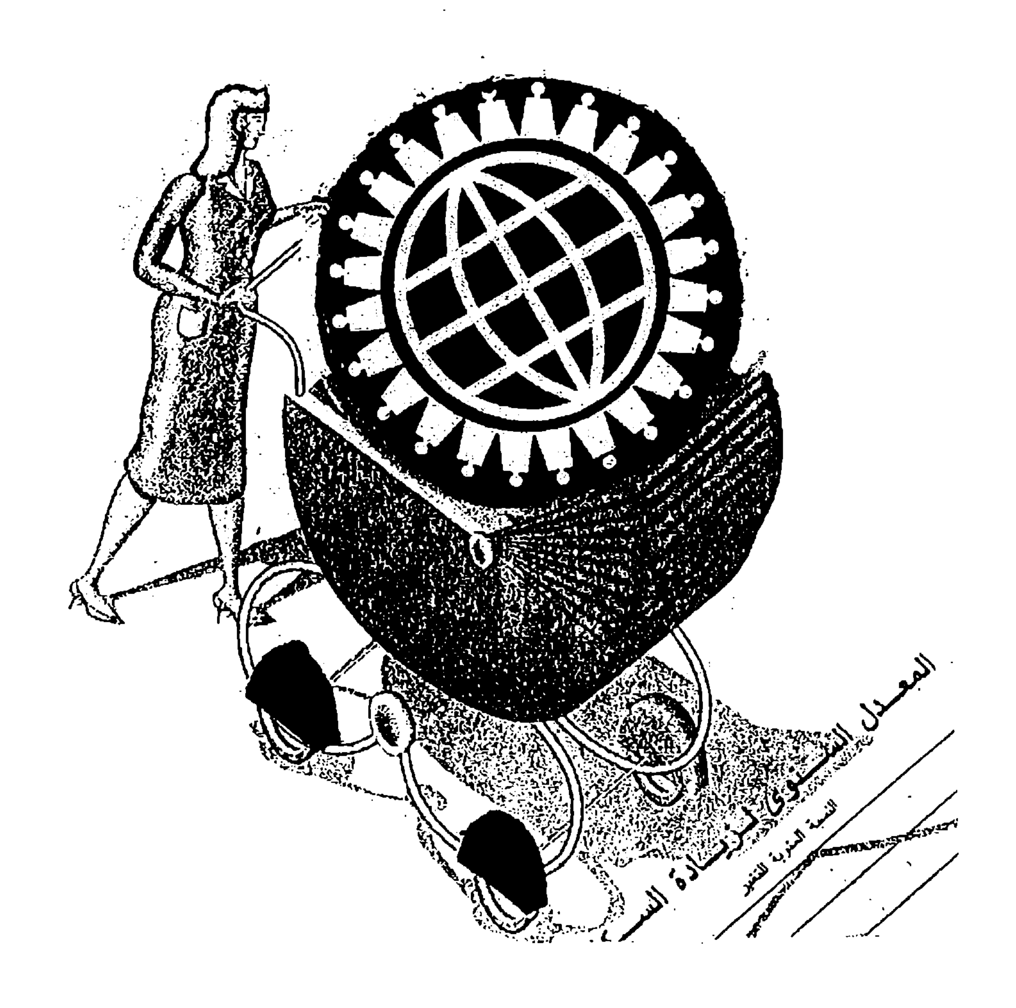
هذا التأثير المباشر لإتساع هوة الفقر وتفاقم البؤس في الداخل، مصحوبا بتزايد عدم التفاهم بين الشمال والجنوب، وتزايد غضب سكان الدول النامية أمام العوائق التي تفرضها المؤسسات الدولية على خطط التنمية ، ومحاولات الخروج من الأزمات الإقتصادية الطاحنة.

واقع الأمر أن الأقطار الفقيرة أكثر حاجة لدعم ميزانيات للأمن الغذائي والصحة والتربية والإسكان ، أن تكنولوجيا التصنيع الآلي والزراعة البيولوجية والإتصال ستفيد الدول ذات النمو المتوسط التي تملك البنيات اللازمة ولكنها لن تفيد الأكثر فقرا.

إن تـــرك السكان يتزايدون بهذه المعدلات دون إشتراك العالم المتقدم سوف يحولها إلى مشـــكلة سياسية وإقتصادية عالمية تمس البشر جميعا المتقدم والنامي على السواء، ذلك أن الـــدول التـــي تواجـــه هذه المشكلة سوف تخصص مبالغ متزايدة لإستيراد المواد الغذائية الضـــرورية لإطعـــام أفواه الملايين من المواليد الجدد كل عام، ومعنى هذا تقليص المبالغ اللازمـــة لأغـــراض التنمـــية الزراعية والصناعية، وبالتالي سيتقلص حجم إستيرادها من الدول الصناعية، والتي لن تجد أسواقا لتصريف منتجاتها، وبالتالي تغلق مصانعها وتتفشى فيها البطالة وقد تنهار بعض إقتصادياتها.

وفـــي نفـــس الوقت لاشك أن الدول تعانى نقصا في المواد الغذائية وليست لديها القدرة الإقتصـــادية لإستيراد المواد التموينية، ستضغط على الدول المجاورة، ولو أدى الأمر إلى الإلتجاء إلى النزاع المسلح.

لابـــد إذن مـــن حل المشكلة على المستوى العالمي، وإعتبار البشر جميعا مسؤلين عن حلهـــا: المتخومون بالغذاء وذوو المسغبة، الذين لديهم أراضى خالية لا تستغل على الوجه الأكمـــل، والذين ليس لديهم منها شبر غير مستغل، ونظن أن مليار دولار تصرف يوميا على السلاح للخراب، يمكن أن تنخفض إلى الربع مثلا، ويوجه الباقي لصالح البشرية.



الفصــــــل الأول

الحــــــدود الســـــياســــية

التخوم والحدود:

تعتــبر دراســة الــتخوم والحــدود السياسية من الموضوعات الهامة التي تدرس في الجغرافــية السياســية، مــن هــنا كــان من المفيد في بداية هذا الموضوع تفسير مفهوم التعبيريــن، وفي الحق نجد أنهما مترادفان في الإستعمالات العادية لغير الفنيين، فالحدود الدولــية يعــبر عــنها أحيانا السياسيون والمؤرخون وغيرهم بتعبير ***International Frontiers*** وأحيانا ***International Boundaries*** وليس من تفسير لهذا التعميم أو الخلــط سوى عدم وضوح الرؤية في حدود كثير من الدول ــ بإستثناء حالات قليلة ــ لــنقص معرفتها الجغرافية ولعدم وجود خرائط تفصيلية لها، وذلك حتى فترة قريبة. ولكن مــع تقدم علم المساحة وأجهزته، وتقدم فن الخرائط، وتطور الدول إلى ما هي عليه الآن أصبحت غالبية الحدود ليست واضحة بجلاء فحسب، بل محدودة على الطبيعة أيضا .

ونعــود فنقول مرة أخرى قبل أن يعبأ في هذه الوحدات السياسية كانت هناك مساحات واســعة مــن الأرض غير الصالحة للتوطن البشرى أو غير جذابة لظروف طبيعية غير مواتية، كأن تكون مغطاة بالمستنقعات أو الغابات أو غير ذلك مثل هذه المناطق كانت تقوم بوظــيفة مــنع الإتصال وكانت تترك كمناطق دفاعية، تفرق بين مجموعات بشرية تعيش علــى جوانــبها، وتــنمو في أمان وإطمئنان، ومع مرور الزمن تغلب الإنسان على هذه العقبات الطبيعية بطريق أو آخر، ودخلت هذه المناطق داخل الوحدات السياسية، حتى في المناطق الصحراوية أصبحت تمتد سيطرة الدولة حتى تتقابل مع سيطرة دولة أخرى. من ثم يمكن أن نفرق بين التخوم ***Frontiers*** والحدود ***Boundaries*** كما يلى :

١- التخوم عبارة عن مسطحات من الأرض ، بينما الحدود عبارة عن خطوط .

٢- الأولــى يمكــن القــول بأنها طبيعية لأنها أجزاء من سطح الأرض. بينما الثانية أختيرت وحددت بواسطة الإنسان.

فــوادي الراين مثلا يعتبر منطقة تخوم طبيعية بين فرنسا وألمانيا، ولكن إستخدام النهر ذاتــه كحــد فاصل بين ألمانيا وفرنسا يعطى هذا الخط صفة صناعية . وكذلك الحال في جــبال الألب تعتبر منطقة تخوم بين إيطاليا وفرنسا ولكن خط الحدود نفسه ما هو إلا خط إستقر عليه الرأي أخيرا كحدود بعد نحو قرن من التعديل والتغيير والإتفاق.

٣- يمكن أن يتضح هذا أكثر إذا عرفنا أن التخوم سواء كانت طبيعية، لغوية أو دينية لا يمكــن تحــريكها أو زحزحــتها، قد تفقد بعض الخصائص التي أعطتها صفة التخوم،

ولكنها تظل في موضعها على عكس الحدود التي تتغير وخاصة مناطق الصدام.

٤- يشـــتق لفظ ***Frontier*** من ***Front*** أي المقدمة ***foreland*** الأراضي المتقدمة وأحـــيانا تسمى ***borderland*** وكلها على هامش الدولة، وهي عادة الأراضي الفاصلة بيـــن معمورين ***Ecumene*** زراعي ورعوى مثلا، ومع التطور يتقدم كل معمور نحو الـــتخوم ، وتصبح منطقة إلتقاء مجتمعين، وبالتالي لم تكن التخوم في الذيل، بل في مقدمة الدولـــة أمـــا لفـــظ ***Boundary*** فيشـــير إلـــى إرتباط السكان داخله وقد عبر عن ذلك ***L. Kristof*** بقوله:

all that which is within the boundary is bound together that is, it is fastened by internal bond .

٥- كانـــت التخوم تقوم بوظيفة منع الإتصال بين الجماعات أو الدول ، بسبب طبيعتها الطـــاردة ، بيـــنما الحـــدود السياسية اليوم لا تقوم بهذه الوظيفة، بل على العكس يتم عن طريقها الإتصال العضوي بين سكان الدول ، السكان من كل جانب يتحركون عبرها ، من ثم فهي خط إتصال وإحتكاك.

٦- توجـــيه التخوم خارجي ***Outer Oriented*** بمعنى أنه لا سلطة للظهير عليها، كمـــا تبين لنا دروس التاريخ أن سكان التخوم يدبرون أمورهم بعيدا عن السلطة المركزية ولا يشعرون بأنهم مرتبطون بهذه السلطة أو يدخلون في نظامها، عكس الحدود فهي ذات توجيه داخلي ***Inner Oriented*** فالحكومة المركزية هي التي خلقتها وهي التي تحافظ عليها، وليس لسكانها حياة خاصة، لأنها غير موجودة من الناحية المادية، فهي مجرد رمز علـــى الخـــريطة وإذا كانت قوى الجذب والترابط يجمع بينها خط الحدود، فإن ناتجة عن القوى الطاردة.

وقد قامت البحار والغابات الفسيحة والمناطق الجبلية، ومناطق المستنقعات والصحارى كحواجـــز ضـــد التوســـع البشـــرى أو الإختلاط، ولكن بدأت وظيفتها تتعدل تبعا للنشاط البشرى، وتقدم وسائل المواصلات.

فجـــبال الأبـــلاش كانـــت التخوم الغربية للثلاثة عشرة مستعمرة على الساحل الشرقي للولايـــات المـــتحدة فـــي مبدأ إستعمار القارة. وعندما إكتشفت الأودية التي تصل الساحل بـــالداخل فقـــدت هذه الجبال وظيفتها كتخوم لهذه المستعمرات وحلت محلها برارى غرب الوســـط. وهـــذه لـــم تلبث أن حلت محلها الجبال الغربية حتى وصلت أخيرا إلى المحيط الهادي .

ضرورة الحدود السياسية في العصر الحديث:

أن الدولة الحديثة لابد لها من حدود التخوم، الحدود تبين المدى الذي تمارس فيه الدولة ســـيادتها بل واللغة التي سيتكلمها الملايين والأفكار التي ستلقن للناشئة والكتب والصحف

التي سوف يتمكن السكان من قراءتها والعملة التي سيستعملونها وأحيانا الطعام الذي يتناولونه والجيش الذي سيدخلونه للدفاع عن الأرض وللحدود السياسية أثرها أيضا على النظم المتبعة داخل الدولة ويتضح هذا في الوظيفة التجارية للحدود، فيمكن للحكومة أن تقيم حاجزا جمركيا عاليا ضد المنافسة في أسواقها، وبالتالي تساعد على نمو صناعاتها، وفي نفس الوقت قد تفصل بين مجتمعين يضمان نظما ومؤسسات مختلفة، وقد يكون هذا الإختلاف حادا كما هو الحال في الحد السياسي بين ألمانيا الغربية وهولند، أو ألمانيا الشرقية وتشيكوسلوفاكيا.

أى أن الحدود تعتبر الفاصل بين سيادة دولة أخرى. فهي ذلك الخط المحدد الذي تتقابل عنده سيادتان، فقد مضت تلك الفترة التي كانت تفصل فيها سيادة دولة عن سيادة الأخرى بواسطة مساحة كبيرة من الأرض أي تخوم. إذ كانت سيادتها الفعلية تتضاءل تدريجيا بالبعد عن مركز الدولة.

وهكذا إختلفت وتغيرت طبيعة الحدود على طول العصور التاريخية بسبب إختلاف وظيفتها، وهي فصل السيادات بعضها عن بعض.

فالإمبراطوريات القديمة كالإمبراطورية الصينية والرومانية كانت لها حدود فاصلة وواضحة على الأقل حول جزء كبير من مساحتها، وكانت وظيفتها عند الرومان هي فصل المتحضرين عن بقية الشعوب الأخرى الهمجية، فكان حدهم في أوروبا على طول خط يمتد من الراين إلى الدانوب، وعززوه بالأسوار في شمال إنجلترا وجنوب ألمانيا وبالقرب من مصب الدانوب، هذه الإنشاءات ليست لمقاومة الغزو بطبيعة الحال، ولكن إختراقها بالنسبة للبرابرة معناها الحرب. كذلك الحال في سور الصين العظيم، وإن كان من الناحية الحربية أكثر فعالية من السور الذي بناه الأوروبيون، إلا أنه كان في مغزاه يفصل ما هو صين عما هو غير صيني. ولم يكن الرومان ولا الصينيون هم الوحيدين الذين بنوا هذه الحوائط . وإذا كان مفهوم السيادة في العصر الحديث بمعنى أنها سيادة على مساحة معينة من الأرض وعلى الذين يعيشون فوقها إلا أن مفهوم السيادة يختلف عما كان عليه في العصور الوسطى، فالسيادة الحديثة سيادة إقليمية بينما السيادة في العصور الوسطى كانت شخصية ، سيادة بشرية فسيادة الإقطاعي أو الأمير لا حدود أرضية لها ولكنها تمتد بإمتداد الأشخاص أو الناس الذين يفرض عليهم سيادته، ولم تكن حماية الفرد حينئذ ترجع إلى إنتماء الفرد إلى شخص قوى، فيصبح رجله ، يقدم له فروض الولاء والطاعة كما يقدم له الخدمات المختلفة نظير حمايته له. كان هذا بدوره – أي البارون – أو الإقطاعي يخضع لسلطة إقطاعية أعلى وهي الأخيرة قد تنتهي إلى سلطة الملك . ولم تكن هناك مشكلة حدود لدى الملك. إذ لم يكن هناك نظام ضرائبى عام، إنما كانت هناك فئات تدفع دون أخرى، كالتجار ورجال الدين وكان الفرسان يؤدون ضرائبهم على هيئة خدمة شخصية في الجيش لمدة معينة أو يدفعون بعض المال بدلا من الخدمة. ولم تكن هناك ضرائب على الأرض، بالمعنى المفهوم . ومادام الملك لا يجمع ضرائب على الأرض فمن المعقول ألايكون هناك إهتمام بحدود هذه الأرض غير أن الإهتمام بحدود

الأرض كـــان أظهـــر فيما يختص بنظر الدعاوى والشكاوى ، فنظرها كان مصدرربح أو رزق للبارونات الذين كان لهم حق سماع هذه الدعاوى فكان النزاع يدب بينهم على الحدود الجغرافية التي تفصل بين حق كل منهما في سماع هذه الدعاوى وقد أدت هذه المسألة إلى ضرورة تخطيط للحدود.

وكان التحول من مفهوم الحدود في العصور الوسطى إلى العصور الحديثة مرتبطا أشد الإرتـــباط بظهور دول القوميات، فكما قلنا كانت دولة العصور الوسطى فردية شخصية، يمكن لذلك أن يقسمها بين أولاده أو يمكن أن يبيع أو يتنازل عن جزء منها، فلم تكن تعبر عن رغبة مجموعة من الأفراد في العيش معا تحت ظل حاكم واحد. فالشعور القومي ثمرة نضجت ولكن ببطء ولكن الدولة القومية مادامت قد ظهرت فلابد من تطور مفهوم الدولة.

فلـــم يعد السكان عبارة عن تابعين يدفع بهم من حاكم إلى آخر، فقد أصبحوا على الأقل مجموعـــات من الناس ذوى ميول وإتجاهات واحدة ، تميل إلى الإنتماء إلى هذه الدولة أو تلك، ومع نمو القوميات كان لابد من تحديد واضح للحدود مع مراعاة ميول هؤلاء السكان وشعورهم.

وإذا كـــان تـــاريخ الحدود يتضمن زيادة التحديد والوضوح في الحدود ثم يشمل أيضا زيـــادة الموائمـــة بيـــنها وبين الأصول الجغرافية، كمراعاة القوميات واللغات والنواحي الإقتصادية وغيرها، فإنه يمكن القول بأن العملية الأولى قد تمت، بينما العملية الثانية لم تتم بعـــد فالحد المثالي هو الذي يفصل بين شعبين ذوى حضارتين مختلفتين، وفي نفس الوقت يجـــب ألا يخلق مشكلات بسبب فصله وحدات وظيفية. كأحواض فحم أو نظم ترى، وإذا كان لهذا الحد وظيفة حربية فقد تضاعفت أهميته وزاد نجاحه.

وفـــي الحـــق لا يوجد حد سياسى في العالم يجمع بين المميزات جميعا، فمعظم الحدود السياسية ظهرت بأوضاعها التي عليها نتيجة ضغوط مختلفة ومنها ما هو مباشر أي نتيجة لعلاقات الدولة مع الجيران ولكنها أحيانا ما تتعدى هذا إلى علاقات غير مباشرة أى حلفاء وأعداء هؤلاء الجيران.

غير أن زيادة الوضوح في تحديد الحدود ليس معناه أنها ليست عرضة للتغير، فمعظم الحـــدود هـــي حـــدود قومـــية بإستثناء حدود بعض المستعمرات أو التي كانت خاضعة للإســـتعمار، والحـــد بين القوميات المختلفة غالبا ما لا يكون دقيقا، فالمجموعات السكانية تعيش مختلطة ببعضها على طول نطاق عريض بين هذه القوميات من ثم فالإختلافات أو تغيير الحدود عبر هذا النطاق العريض من الأمور المحتملة ويكون تحديد الخط وتغيره في هذا الجانب أو ذاك تبعا لإختلاف وتطور ميزان القوى على جانبيه، وليس من الضروري أن يسير هذا مع الوضع الصحيح والمعقول في معظم الأحوال. وهذا واضح في كثير من الحـــدود الأثنوجرافية في أوربا مع نهاية الحرب العالمية الأولى، فقد إعتدى على الوضع الصحيح للحدود في كل من بلغاريا والمجر لصالح بولنده وتشيكوسلوفاكيا، ولعل هذا كان من الأمور التي بررت تعديل هذه الحدود قبل الحرب العالمية وأثنائها.

تعيين خط الحدود ورسمه:

الأصل في وصف الحدود في المعاهدات أن يكون دقيقا ومفصلا لمختلف أجزاء الحد، لـذا يـراعى إستخدام المصطلحات الفنية المعروفة والتي لا تتحمل التأويل وإيجاد مواقع يسـير بيـنها الحد حتى يسهل الأمر مع اللجنة التي ستتولى تعليمه، وتبدأ عملية التخطيط السياسي بالإتفاق على موائد المؤتمرات على الخط، وعادة ما يعقد هذا الإتفاق أناس ليس لهـم خـبرة بالأراضـي المقسـمة، وإنما يستمدون معلوماتهم من التقارير التي يضعها المختصون، ومن الخرائط التي غالبا ما تكون بمقياس صغير ، ويوصفون الخط والأرض التـي يمـر فـيها بأنـه على سبيل المثال يمتد من النقطة (أ) إلى النقطة (ب) أو من الظاهرة كذا، أو بعده عن هذه الظاهرة بمسافة كذا ، وقد تكون هذه الظاهرة نهرا أو تلا أو طـريقا.. إلـخ، وكلما كان الوصف تفصيليا تقل إحتمالات النزاع فيما بعد، وتعرف هذه العملية الأولى **بتعريف** ***definition*** الحد السياسي.

وبعـد ما ينتهي واضعوا المعاهدة من عملية تعيين الخط، تنتقل العملية إلى المختصين في علم الخرائط والمساحة حيث يستخدمون الخرائط ذات المقياس الكبير والصور الجوية لرسـم الحد السياسي وتعرف هذه العملية ترسيم الخط على الخريطة ***Delimitation*** وقد يستغرق الفرق بين العمليتين السابقتين عشرات السنين.

وأخـيرا تأتى عملية **تحديد الخط على الطبيعة** ***demarcation*** حيث يقوم مندوبون مـن الطرفين ومعهم فريق من المساحين ومعهم نص المعاهدة والخرائط التفصيلية لتحديد الخـط علـى الطبيعة ووضع علامات، قد تكون أكواما من الحجارة أو ظاهرة طبيعية أو كـتلا مـن الأسـمنت، وهي عملية مكلفة للغاية لذلك فالعملية الأخيرة مؤجلة في معظم الأحيان.

وفي حالة التنفيذ الفعلي يجب على اللجنة أن تراعى كثيرا من الأمور التي تظهر على الطبـيعة ولا تظهـر على الخريطة كعدم فصل قرية عن حقولها، وبلدة عن مورد مائها، وجبانة البلد الذي دفن فيه أمواته.

تصنيف الحدود

التصنيف الوظيفي :

يقصـد بـه التصنيف القائم على أساس العلاقات الحضارية، أي أنها تنظر إلى علاقة الحدود بالمظاهر البشرية كانماط الإستيطان وإستخدام الأرض، وتوزيع السـكان في وقت تحديد الخط السياسي وهي من هذه الناحية تقسم إلى ثلاثة أقسام هي:

١- **حدود سابقة** ***Antecedent*** لنمو جميع المظاهر الحضارية للشعب الذي تضمه وبعد نمو المجتمعات المختلفة من الجائز أن تكيف نفسها مع الحدود التي وضعت من قبل كـالحد بيـن كـندا والولايات المتحدة الأمريكية الذي إتفق عليه وعدل بإتفاقيات ١٧٨٢/ ١٨٤٦، فهـو ينتمى لاشك إلى هذه المجموعة. ففي هذه الفترة لم يكن هناك مستقرون أو

مستوطنون لمنطقة الحدود إلا قلة ، وبعض الصيادين من الهنود الحمر هنا وهناك مثل هذا الحـــد السياسي كان سابقا لمد الخطوط الحديدية والطرق، وقبل ظهور المزارع والمصـانع والمـــدارس على جانبيه ، وإن كان دكتور هارتشمون يعتبر أن مجرد وجود الهنود الحمر وبعض الصيادين هو بداية لتطور الإستيطان لذلك فهو يفرق بين الحد السياسي " السابق " والحـــد السياســـة الـــرائد **Pioneer** فالأخير يمتد في أراضي غير مسكونة تماما وغير مســـتخدمة ولذلك يصفها بالأرض العذراء، كما هو الحال في الحد بين كندا وألاسكا الذي إتفـــق علـــيه بموجـــب معاهدتى ١٨٢٥، ١٨٧٢ يجرى في أرض مختلفة لا يسكنها أحد المستوطنين، ثم بعد ذلك مدت الطرق وأقيمت المطارات . . . إلخ.

٢- حـــدود تالية **Subsequent** لعملية تكون القومية أو النقط الفاصلة بين الأقاليم الجغرافـــية أو الحضارية أي فاصلة في الغالب بين الحضاري المعين لشعب من الشعوب. وهذه في الغالب تتفق مع حدود القوميات وفي الحق هناك ميل لأن تقترب الحدود وخاصة في أوربا تدريجيا من الأقسام الحضارية التي تخلقها الإختلافات اللغوية. ومن هذه الأمثلة أيضـــا التقسيم الذي حدث في شبه القارة الهندية إلى هند وباكستان، ويمكن أن تضيف إلى هـــذا أن عملـــيات تـــبادل الســـكان التـــي حدثـــت أو تحدث، ما هي إلا خطوة نحو ضم المجموعـــات المتجانسة داخل حد سياسي واحد. كذلك تدخل الحدود السويسرية ضمن هذا الـــنوع لأنها تفصل الذين يتكلمون الألمانية عن ألمانيا والذين يتكلمون الفرنسية عن فرنسا وهكـــذا، وكذلـــك الحـــدود التي تفصل ألمانيا الشرقية عن الغربية ولمعرفة مدى صعوبة وخطورة الحدود التالية، لن نجد خيرا من الحدود الهندية الباكستانية ، فقد ظهر بعد تقسيم شـــبه القارة الهندية أن باكستان ضمت ٣/٢ عدد المسلمين (٩٢ مليونا حينئذ) على حين ضـــمت أيضـــا ٧% مـــن مجموع الهندوس (٢٢٥ مليونا) . ولم يؤثر هذا التقسيم في المســـلمين والهندوس فحسب، بل كان هناك عدد ضخم من السيخ في البنجاب (باكستان) وكـــان قادتهم يكنون العداوة للمسلمين ، وقامت مذابح ضخمة بين الجماعات المختلفة قبل يـــوم الإســـتقلال وهو ١٥ أغسطس ١٩٤٧، فأعلن قادة السيخ الثورة، وقامت المذابح لا تفـــرق بيـــن ذكر أو أنثى، كهل أو طفل ، ومع نهاية شهر أغسطس بدأت عمليات هجرة ضـــخمة فـــي إتجاهـــات متعددة ، يترك فيها البشر كل شئ، ويحاول الإنسان أن يخلص بحياته ، المسلمون يتجهون غربا، والسيخ والهندوس يتجهون شرقا، ليس لديهم خطة وليس هـــناك تخطـــيط أين يأوون أو ماذا سيعملون، وليت الهجرة كانت وسيلة للنجاة، بل كانوا يذبحـــون في الطريق، وتقلب القطارات والسيارات، ولا يعرف عدد الذين تركوا مواطنهم الأصلية، وإن كانت التقديرات تعطهم خمسة عشر مليون نسمة!!

٣- وهناك الحدود الموضوعة أو المفروضة **Superimposed** وهذه وضعت بعد توطـــن السكان أى تشبه الحدود التالية (التي ذكرناها) ولكنها تختلف عنها في كونها لا تـــراعى الفواصل الحضارية ولا الخصائص القومية للمنطقة موضوع التقسيم منها الحدود الأفريقـــية فكـــل منهما يقسم قبيلة أو أكثر من قبيلة ومنها كذلك خطوط الهدنة التي تترك أحـــيانا دون تعديـــل كالحد بين بلجيكا وهولند، وبين كوريا الشمالية والجنوبية، بين فيتنام

الشـــمالية والجنوبية خطوط الهدنة في فلسطين المحتلة، كلها خطوط لوقف القتال ولكن لم تعـــدل كمـــا لم تؤيدها أى إتفاقات دولية، ومنها الحد السياسي بين ألمانيا الشرقية وألمانيا الغربـــية، والحـــائط الذي يفصل بين برلين الشرقية وبرلين الغربية الذي قسم مدينة ظلت عاصمة لدولة واحدة لقرون عديدة. ومثل هذا النوع من الحدود يجد معارضة من السكان ، لذلك كثيرا ما يشتد الضغط على هذه الحدود، وبالتالي يبدأ النزاع بعد خروج المستعمر، وهـــذا ما حدث بالنسبة لكثير من الحدود السياسية في أفريقية (النزاع الصومالي الأثيوبي والصومالي الكيني ... إلخ) ويتبادر السؤال وهو إلى أى حد يظل هذا النوع يقوم بوظيفته في الفصل بين الأمة الواحدة وفي الحق أنه كلما إزداد قدما صعب تغييره أو التحول عنه.

٤- **الحـــدود التذكارية *Relic*** قد تختفي الحدود السياسية أحيانا نتيجة عمليات الضم التـــي تحدث وخاصة بعد تحول المستعمرات إلى دول مستقلة، فالصومال مثلا تكون من إتحاد مستعمرتين سابقتين إحداهما بريطانية والأخرى إيطالية، والكمرون تكون نتيجة ضم الكمرون الفرنسية بالإضافة إلى القسم الجنوبي من الكمرون البريطانية، ويمكن أن نضرب أمـــثلة أخرى في أوروبا، فمثلا عندما تحرك خط الحدود الألمانية البولندية وإذا كان خط الحد السياسي قد إختفي، مع ذلك فإنك تحس به في المظاهر الحضارية بل يمكن تتبع الحد السياســـي القديـــم بالإنتباه إلى التغيرات الفجائية في المظاهر الحضارية، كتغير فن البناء، وأســـماء الأماكـــن، والأشخاص، ويلاحظ هذا في تأثير الإمبراطورية العثمانية في شرقي أوربـــا، وتأثير العنصر الأسباني في جنوب غربي الولايات المتحدة. وقد يتخذ هذا النوع من الحدود كحدود إدارية في داخل الدولة.

التصنيف المورفولوجى *Morphological* :

وهناك تقسيم آخر للحدود على أساس طبيعتها ووضعها وهي في هذا المجال تنقسم إلى قســـمين كبيريـــن، حـــدود طبيعـــية ***Natural Boundaries*** وحـــدود إصطناعية ***Artifical Boundaries*** وكـــان صاحب هذا التقسيم لورد كرزون ***Curzon*** عام ١٩٠٧ وتبعه هولندش ***Holdish*** عام ١٩١٦.

١- **الحدود الطبيعية:**

هي الحدود التي تتفق والحواجز الطبيعية مثل :

أ) البحر. ب) الصحراء. ج) الجبال.

د) الغابات. هـــ) المستنقعات. و) الأنهار.

٢- **الحدود الإصطناعية :**

(أ) الخطوط الفلكية أى خطوط طول أو دوائر العرض.

(ب) الخطوط الهندسية أي خطوط مستقيمة ، أو خطوط ممتدة أو أقواس مرسومة من نقطة معينة وغير ذلك.

(جـ) خطوط إتفاقية ***Lines of Reference*** :

وهنا يتبادر إلى الذهن هذا السؤال : هل وظيفة الحدود هي الفصل بين الوحدات السياسية؟ هل تجعل الإتصال والإنتقال صعبا؟ في الحالات المتطرفة للغاية تصبح منطقة الحدود هي منطقة الحواجز الطبيعية، وبذلك تحدد من الحركة عبرها. وفي المناطق التي ليست فيها هذه الحواجز قد تكون حواجز بشرية كأسلاك شائكة مثلا نجد هناك بضعة مواضع لأختراق الحدود، وفيها نجد الموظفين الذين يراجعون وثائق السفر والحجر الصحي وللتفتيش إلى غير ذلك. وعلى هذا الأساس إذا قلنا أن الحدود في مناطق الإلتقاء بالأجانب، كان معنى هذا ظهور حقيقة قد تبرر تساؤلا جديدا، هل يجب أن تختار الحدود لتسهيل هذا الإتصال؟

الجبال والتلال:

وهذه كتب عنها هولدش " أن خط تقسيم مياه يجرى عبر حافة أن سلسلة جبلية ليعتبر من أكفأ الحواجز الظاهرية والتي لايخطئها إنسان " فهذه السلاسل الجبلية غالبا (وأن لم يكن ضروريا على الخط) ما نفصل بين الجماعات بعضها والبعض الآخر لصعوبة إختراقها نسبيا ، ولذلك أيضا إعتبرت حدودا إستراتيجية جيدة . وترجع ميزة الجبال كأقاليم قاحلة نتيجة لعوامل عدة منها :

١- **التضاريس الوعرة** : مما يجعل الإنتقال أمرا شاقا وعسيرا وحتى في الجهات الجبلية التي شقتها السكك الحديدية، فإن نفقات إنشائها كبيرة لدرجة تجعل أجور السفر والنقل بواسطتها أغلى منها في الجهات الأخرى . حقا لقد أصبح إجتيازها سهلا بفضل النقل الجوى وتطوره وبفضل شق الأنفاق ولكنها مازالت أمام سلاحى المشاة والمدرعات تمثل أمرا له قدره.

٢- تخلخل الهواء في الطبقات العليا مما يقلل من القوة والنشاط مما يسبب مرض الجبل.

٣- إنخفاض درجة حرارة الجهات المرتفعة وهذا يحدد موسم الإنتقال ويقتصره على هذه الأشهر الخالية من الثلوج.

٤- أن كثيرا منها يعتبروا فواصل طبيعية كجبال الهمالايا وجبال الأنديز. هذه العوامل مجتمعة تجعل المناطق الجبلية مناطق غير جذابة للسكان، وبالتالي تكون مخلخلة، وإن كانت في الجهات الإستوائية تعتبر مناطق إزدحام. ولكن على العموم مناعة الجبال تتناسب تناسبا عكسيا وسهولة إجتيازها، وإجتيازها يتوقف على عدة عوامل منها: إرتفاع الممرات بالنسبة إلى خط الثلج الدائم، ومقدار إنحدارها، فجبال الألب ترتفع بالتدرج من السهول الألمانية والسويسرية نحو الجنوب، وتطل على إيطاليا بطرقها الطبيعية وممراتها، هذا في حين أن شدة إنحدارها جنوبا (أى نحو إيطاليا) قد جعل عبورها من الجنوب إلى الشمال أمرا عسيرا.

من أهم السلال الجبلية التي أتخذت كجدود سياسية سلاسل إسكنديناوه بين السويد والنرويج، وجبال الألب بين إيطاليا وجيرانها وجبال البرانس بين أسبانيا وفرنسا، وجبال الهمالايا بين الهند والتبت.

غير أن إتخاذ الجبال حدودا سياسية لايخلو من تعقيد، فهذه الجبال غالبا ما يكون لها عمق أو عرض فأين يسير خط الحدود فيها؟ وعادة ما تكون من عدة سلاسل متوازية تفصلها عن بعضها أودية، أحيانا ما تسكنها جماعات وطدت نفسها وإقتصادها عدا إستغلال السهل والجبل معا. ولذلك نجد أن الخطوط التي تتبع السلاسل الجبلية كثيرا ما تكون مثار نزاع.

وقد ثبت فعلا أن الحدود التي تتبع الجبال كثيرا ما تكون مثار نزاع كالحدود بين الولايات المتحدة وكندا في منطقة نيوإنجلند، وتلك التي بين كندا والاسكا، فهنا تظهر فعلا صعوبة تطبيق التحديد النظري مع التعقد التضاريسي. وكذلك الحد بين الأرجنتين وشيلى في جبال الأنديز فقد إستمرت مثار جدل لمدة تبلغ نحو نصف قرن نتيجة للجهل بظروف الجغرافيا والتخمينات عن مناطق لم تكتشف تماما، حتى وصلت الدولتان إلى إتفاق عام ١٩٠٢ . كذلك الحال في النزاع على الحدود بين الهند والصين في التبت في الوقت الحاضر.

البحيرات والأنهار:

أما في البحيرات فعادة ما يمر خط الحدود بوسطها، وبطبيعة الحال ليس هناك تخطيط فعلى داخل البحيرات ، ولكن هذا يثير بدوره مشكلات كمشكلة مياه الصيد وحوادث السفن، وهل هذا الخط يقسم البحيرات إلى قسمين متساويين أم لا؟ وفي بعض الأحيان تمر خطوط مستقيمة عبر البحيرات كما هو الحال في بحيرة فكتوريا في شرق أفريقية.

ويفضل البعض إتخاذ مجارى الأنهار كوسيلة لتعيين الحدود السياسية غير أن هذه الآراء لا تلقى قبولا عند الجغرافيين، وأهم إعتراض وجه إليها أن الأنهار لا تصلح بطبيعتها للقيام بمهمة الفصل بين الوحدات. ومما لاشك فيه أن مجارى الأنهار تلعب دورها الكامل لتحقيق وظيفتها الرئيسية في الوصل بين أجزائها بعضها بالبعض الأخر، وأن هذه المجارى المائية تعمل دائما على إقامة نوع من المصلحة المشتركة بين أجزاء الأقاليم التي تجرى فيها. وهذا ظاهر في حالة الأنهار الكبرى وعلى الأخص تلك التي تزداد صلاحيتها للملاحة، أو التي إستغلت قوة المياه من مساقطها أو التي تستخدم قوة تيارها في نقل الكتل الخشبية الكبرى، أو إدارة الآلات أو التي ستستغل مياهها في مشروعات الري الكبرى.

جميع هذه النواحي تجعل من الميسور وجود مصلحة مشتركة تهم جميع سكان حوض النهر. وإذا أضفنا إلى هذا كما سبق أن ذكرنا، سهولة السطح والتدرج الذي تعطيه أوديتها، من جعلها ممرات لعبور الهجرات البشرية، ثم صلاحيتها ذاتها كوسيلة للنقل إلى جانب خصوبة التربة وإمكان قيام الزراعة فيها مما يؤدى إلى جذب السكان إليها.

على أن النجاح أن كان قد حالف بعض عمليات التحديد بواسطة الأنهار ونخص بالذكر نهـر كلـورادو الـذي إتخذ جزءا من مجراه ليؤدى وظيفة الفصل بين الولايات المتحدة والمكسـيك لمسافة تزيد على ٥٠٠ كلم وأظهر هذا الخط شيئا من الجودة كحد فاصل. إلا أن الـنجاح لا يـرجع إلى النهر ذاته بل إلى طبيعة المنطقة من حيث التضاريس ، حيث تسود المنطقة المرتفعات الوعرة ويسود الجفاف، إلى جانب ما يجرى فيه النهر من خوانق عميقة تشبه الأخاديد.

وحيـن يصـل الـنهر إلـى مرحلة الشيخوخة بكثير من الإنحناءات، بل في كثير من الأحيان ينجح في هجر مجراه القديم ويتخذ لنفسه مجرى جديدا والأمثلة عديدة : منها نهر الهوانجهو في مجراه الأدنى ونهر الراين دائم التغيير والتبديل في فروع دلتاه. وينجم عن ذلك تغيزات طبيعية وبشرية على شئ من الخطورة إذ تصبح بعض الأماكن منعزلة حين يبتعد عنها النهر أو يطمى الفرع الذي كانت تقع عليه المدينة. وكذلك الحال في دلتا النيجر والدانـوب، بـل مـا أصاب الدلتا المصرية ليشمل حقيقة التغيير المستمر في حالة بعض الإنهـيار. فنحـن نعلم أنها كانت كثيرة الفروع، وأن هذه الفروع أخذت تتلاشى بالتدرج وإستقرت على فرعى دمياط ورشيد.

الملاحظ أيضا أن بعض أجزاء النيل قد شهدت كثيرا من التغيير وأن كنا لا نشعر بهذا فـي الوقت الحاضر، فأن هذا يرجع إلى مواصلة العناية بمجرى النهر وإخضاعه لرقابة شديدة ، ومحاولة وزارة الري التقليل من الثنيات وجعله أقرب إلى الإستقامة. وهناك وجه آخـر في إستعمال الأنهار كحدود سياسية، وهو أين سيقع خط الحدود ! هل سيتخذ وسط المجرى ***Median Line*** أساسا لهذا الخط؟ أم سيتخذ منتصف المجرى الصالح للملاحة ***Thalweg*** (1) أو أحد الضفتين ***Banks*** أو إعتبار ضفتى النهر كحدود؟

فـي الحالـة الأولى يكون الخط عبارة عن الخط المار بجميع النقط على المجرى التي يتسـاوى بعدهـا عن أقرب نقط على الضفتين، وهذا يستدعى عمليات حسابية وهذا معناه تقسـيم متسـاوي لسطح الماء وأن كان غير متساوي لحجم الماء، وعادة ما يتبع هذا في الأنهار غير الصالحة للملاحة.

فـي الحالة الثانية أي حالة الجزء الصالح للملاحة وهو عادة أعمق شريط فقد من هذه الضـفة حينا ومن تلك أحيانا، ولهذا يقطع الخط المتوسط للمجرى، ويمكن أن نضيف إلى صعوبة هذا الإختيار أن الجزء الصالح قد يتغير موضعه هو الآخر.

---

(1) كلمة ألمانية بمعنى المجرى المستعمل للملاحة بصفة مستمرة ويعرفه S. Jones بأنه المحور الأكثر أمنا والأكثر ملاءمة للسفن ذات الحجم الكبير.

المستنقعات الكثيفة:

كـثر إستخدامها في الماضي ولكن يظهر أنها فقدت الكثير من أهميتها، لأن الإنسان قد نجح في تجفيفها وبالتالي أمكنه التغلب عليها.

وأعظـم مبررات إستخدامها كحدود سياسية كانت صعوبة عبورها وعدم جاذبيتها وقلة سكانها. فإذا ما قضى على هذه المبررات بعد تجفيفها تقل صلاحيتها للتحديد السياسي قلة ملحوظـة. ويكفـي للدلالة على هذا أن التقدم البشرى قد نجح في التغلب على مستنقعات بنسـك وبريبـت بيـن روسيا من ناحية وبولند وألمانيا من ناحية أخرى ، ولم تمنع هذه المستنقعات الإحتكاك والإتصال بين الدول التي تتاخمها.

وهـناك مـثل آخر هو مستنقعات شواطئ أفريقية الغربية فقد عملت على حجب القارة عـن الأنظـار . ففرضت هذه المستنقعات حماية على هذا القسم من أفريقية لمدد طويلة، ولكـن التقدم العلمي نجح في أن يخضع هذه المستنقعات لرغبة الإنسان بتجفيفها والقضاء على الكثير من أمراضها.

الحدود الأصطناعية:

وهـي إمـا حـدود فلكية تتبع دائرة عرض أو خط طول، أو تنشأ عن خطوط إتفاقية هندسـية وكلاهمـا لا يراعى فيه ظروف السكان ورغبات حدود المستعمرات التي أقامها الأوربـيون في قارة كأفريقية، فإذا إخترنا المواطنين بقدر ما يراعي القوى النسبية للدول المسـتعمرة علـى سبيل المثال جنوب غرب أفريقية المستعمرة الألمانية السابقة التي تبلغ مسـاحتها ٣١٧,١٨٧ مـيلا مربعا ولها ما يقرب من ٢١٠٠ ميل من الحدود منها ٧٢٥ مـيلا تلـتو، وننشى، وتتبع نهر الأورانج وكوينين والأوكافانجو والزمبيزى، وأما الحدود الباقـية فهـي خطـوط مستقيمة رسمها أناس لم يزوروا المنطقة، ولا يعرفون شيئا عن جغرافيتها التي يقسمونها، ولم يأخذوا في الإعتبار أي مصالح للمواطنين . وهذا يتكرر في كل حدود المستعمرات الأفريقية تقريبا فكثير من الخطوط بدأت من نقطة أو أخرى وأحيانا تتـبع ظاهـرة رئيسية طبيعية واضحة بدرجة كافية لهم في هذه العصور، ومن ثم جاءت معظمهـا لا تتفق وحدود القبائل بأي حال، أحيانا تقسم أرض القبيلة الواحدة وأحيانا تضم قبائل متنافرة، تنشب بينها عداوة.

وكذلـك الحـدود فـي أستراليا أو الحدود في المناطق الصحراوية قسمت مناطق غير مسكونة ولم يكن قد تم كشفها حينذاك.

والواقـع أن وضـع مثل هذا النوع معناه الإهتمام بشئون المواطنين الذين يعيشون في المنطقة كما ذكرنا في مسألة الحدود في أفريقية.

كذلك هي خطوط وضعت في الغالب على موائد المؤتمرات : دائرة عرض شمالا ٣٨ في كوريا الذي إتفق عليه بين الإتحاد السوفييتي والولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٤٥ دون إشـتراك المواطنين الأصليين فيه، كذلك دائرة عرض ١٧ شمالا بين فيتنام الشمالية

والجنوبية والذي يعكس توازن القوى بين فرنسا وحلفائها من ورائها وبين الصين عندما إنتهت حرب الهند الصينية عام ١٩٤٥. في كلتا الحالتين واضح أن الحد مفروض على السكان من الخارج بواسطة خطوط إتفاقية لا تراعى ظواهر طبيعية أو فواصل ورغبات قومية.

ومن أمثلة هذه الحدود الصناعية والحدود السياسية في العالم الغربي وفي القارة الأفريقية بعامة. فإذا أخذنا الحدود المصرية السودانية التي تعتبر مع دائرة عرض ٢٢ شمالا من العوينات نجدها تمتد حتى ساحل البحر الأحمر بلا إنقطاع سوى لسان وادي حلفا الذي يتعمق ٢٥ كم على جانبي النيل حتى يبعد وادي حلفا عن الحدود مباشرة. وليس من تفسير لإختيار هذا الخط بالذات إلا عامل الصدفة التاريخية . فلقد كان الحد الجنوبي للمناطق التي لم تتخل عنها مصر مطلقا أثناء الثورة المهدية ، فيما عدا وادي النهر نفسه لا يمر الخط حاليا بمعمور إلا في شرق النيل، حيث نطاق خفيف الكثافة من البشارية والعبابدة يصل بين ساحل البحر الأحمر والنيل. هنا يظهر فشل هذا الخط في أن يصبح حدا حيويا لأن المصالح متداخلة متشابكة فتظهر الثنائية أو الإزدواج في الحدود فوضع خط حدود إداري متعرج سنة ١٩٠٢ إلى جانب الحدود السياسية، يعتبر دليلا على عدم كفاءة الخط الأصلي كفاصل أو حد سياسي.

هذا الإزدواج يقع شرق النيل على هيئة مثلثين، غربي يقطع من السودان وهو مثلث بارتزوجا مساحته ٦٠٠كم٢ وشرقي يقطع مصر وهو مثلث جبل علبة ومساحته ١٢٥٠٠ كم٢. وقد تحدد مثلث جبل علبه لتوحيد إدارة شئون بشارى مصر مع كتلتهم الرئيسية في السودان، بينما مثلث بارتزوجا ليوحد إدارة شئون عبابدة السودان مع كتلتهم الرئيسية في مصر. ولكن من الواضح أن الحدود الإدارية كالسياسية لا قيمة لها في وسط رعوي، لاسيما وأن حدود جبل علبة مازالت تترك جزءا من البشارية حتى أسوان.

فالثابت أن المحرك خلف الحدود الإدارية كان الأطماع البريطانية ، فالقطاع الذي سلخ من مصر يبلغ أكثر من ٩ أمثال مساحة النتوء الذي ضم إليها، كما يشمل منطقة مرتفعات غنية بالرطوبة والحياة والمعادن.

أي الحدود افضل:

كتب كثيرون في هذا الموضوع، وكان الكثير منهم يفترض في الحد الجيد أنه الحد الإستراتيجي الذي لا يشجع على هجوم الجيران، وفي نفس الوقت يسهل الهجوم بالنسبة للدولة، وكان هذا الشرط الحربي في الحدود هو السائد في القرن التاسع عشر، والأمثلة على هذا كثيرة منها إدعاءات روسيا فيما يختص بضم جزء من كاريليا عام ١٩٣٩، وإستندت في مطلبها إلى أن الحدود الفنلندية لا تبعد أكثر من ١٧ ميلا عن لينتجراد ومعنى هذا أنها على مدى ضرب المدفعية الفنلندية مما يهدد أمن المدينة، وعندما رفضت فنلند هذا الطلب قامت حرب الشتاء ، وفي معاهدة موسكو عام ١٩٤٠ تقدم الإتحاد السوفييتى بنحو ٩٠ ميلا بعيدا عن لينتجراد وكذلك الحال في مدينة بلفور ***Belfort*** الفرنسية، فقد

إحتج الألمان عام ١٨٧١ بأن حدودهم تقع على مدى ضرب مدفعية هذه المدينة.

وروعي في خط الحدود بين الهند والتبت أن يسير مع قمم الهيملايا، وروعي في الحد بين الهند الصينية وبين تايلاند ترك مسافة على جانبي نهر ميكونج. وهكذا يمكن أن تتعدد الأمثلة على مراعاة الإعتبارات الإستراتيجية بترك أشرطة من الأرض الحرام، حتى تصبح حدودا آمنة.

وفي الواقع أن الإستراتيجية التقليدية أو البرية والتي سادت حتى نهاية الحرب العالمية الثانية والتي كان مجالها الأساسي الحروب البرية بمساعدة الأسلحة المعاونة، كانت تعتبر الوظيفة الدفاعية هي الوظيفة الأساسية ، من ثم سادت فكرة الحدود الدفاعية ***Defensive boundaries*** أي التي تتبع مظهرا طبيعيا، يتمشى مع المظهر الطبيعي للأرض ***Physical landscape***، لأنها ظاهرة مرئية، وفي نفس الوقت تتمتع بقدرة عالية في إعاقة تقدم قوات العدو. وإذا كانت مثل هذه الإعتبارات صالحة في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، فأنها فقدت صلاحيتها الآن في عصر الأسلحة الذرية والصواريخ ، وإن ظلت محتفظة بقمتها في ظل إستخدام الأسلحة التقليدية.

الحدود الأثنوجغرافية أو الحدود القومية:

تعتبر الحدود السياسية الأنثوجغرافية أفضل الحدود جميعا، ذلك أنها تفصل بين الشعوب بعضها والبعض الآخر، ولكن للأسف قليل جدا من الحدود السياسية في العالم ما يتفق والحدود الأنثوجغرافية، ويرجع هذا إلى عاملين رئيسيين هما: أولا الإختلاط والتداخل بين الشعوب بعضها والبعض الآخر بحيث لا يمكن عمل فاصل واضح وعازل بينها، وهذا معناه أنه لا يمكن تخطيط الحدود التي ترسم لفصل الشعوب فصلا دقيقا، ومن ثم نجد كثيرا من الشعوب تتوغل داخل حدود شعوب أخرى مجاورة. وثانيا أن تخطيط الحدود عادة ما يتم على أسس غير أنثوجغرافية، بل على أسس المصالح الإقتصادية والحربية. فعقب الحرب العالمية الأولى مثلا أعيد تخطيط الحدود في كثير من جهات وسط وشرقي أوربا، وعملت إستفتاءات لمعرفة رغبات الشعوب، ومع ذلك فقد كان هناك ما يزيد على ٣مليون ألماني، ٧٠٠ ألف هنجارى ، ٨٠٠ ألف بولندى داخل حدود تشيكوسلوفاكيا، كما ترك نحو ٩٠٠ ألف ألماني داخل الحدود البولندية ، ٤٢٠ ألف ألبانى داخل حدود يوغسلافيا وهكذا.

على أن الحدود السياسية يمكن أن تفصل بين الشعوب في بعض الحالات كأن يكون الأساس الذي يعتمد عليه في تخطيط الحدود هو الفصل بين شعبين متجاوريين كالحدود بين أستونيا ولتفيا ولتوانيا فيما بين الحربين كذلك الحال إذا ما مد خط الحدود في منطقة جبلية خالية من السكان كما هو الحال في جبال الألب والبرانس، وإن كانت الشعوب كثيرا ما تعبر هذه الحواجز الجبلية بدلا من أن تقف عندها، فالهيمالايا لم تمنع المغول من الوصول إلى الهند، والبرانس لم تمنع الباسك من الإنتشار على جانبيها في فرنسا وأسبانيا ويعيش الألمان على جانبي هضبة بوهيميا، ومن الحالات التي تفصل فيها الحدود السياسية

بين الشعوب أيضا إذا جاء تخطيط الحدود بين شعبين متجاورين، ومضى عليها مدة طويلة بحيث سمح لكل منها، بالإستقرار في المنطقة التي يعيش منها، كالحدود بين فرنسا وأسبانيا، ومنها أن يكون تخطيط الحدود سابقا لوصول العناصر البشرية على جانبيه كالحدود بين الولايات المتحدة الأمريكية وكندا غرب البحيرات العظمى، وإن كان الإختلاف بين الشعبين قليلا على طول الخط الفاصل لإتحادهما في الأصول واللغة وبيئة الوطن الأم، ويمكن أن تتفق الحدود أيضا مع الأوضاع الأثنوجغرافية، إذا خططت الحدود أولا، ثم تتحرك الشعوب على جانبيها، أي يحدث تهجير حتى تصبح أثنوجغرافية كما حدث في الحدود البولندية التشيكوسلوفاكية عقب الحرب العالمية الثانية. وهذا النوع إن كان يحل مشكلات الأقليات إلا أنه يأخذ جهدا ويسبب متاعب جمة.

خصائص مشكلات الحدود السياسية بعد الحرب العالمية الثانية:

١- تميزت نزاعات الحدود في القرنين السابقين للحرب العالمية الثانية بأنها كانت منازعات حول أقاليم أكثر منها تحديد وتوضيح لمعالم الحدود كما حدث بعد تلك الحرب فقد كانت الأولى حروبا إقليمية بالدرجة الأولى وذلك بالغزو الشامل للدولة للضغط عليها للتنازل عن إقليم من الأقاليم وتعديل الحدود السياسية.

٢- أن معظم النزاعات على الحدود السياسية بعد الحرب العالمية الثانية كانت خارج أوربا وقد يفسر هذا على أن أوربا قد بلغت مرحلة النضج السياسي، أو أنها إنتهت إلى تحديد واضح لحدود دولها ، أو لعدم وجود قوى يمكنها تحدى الأوضاع الراهنة.

٣- إزدياد منازعات الحدود عن ذى قبل ويرجع ذلك لعدة أمور مثل:

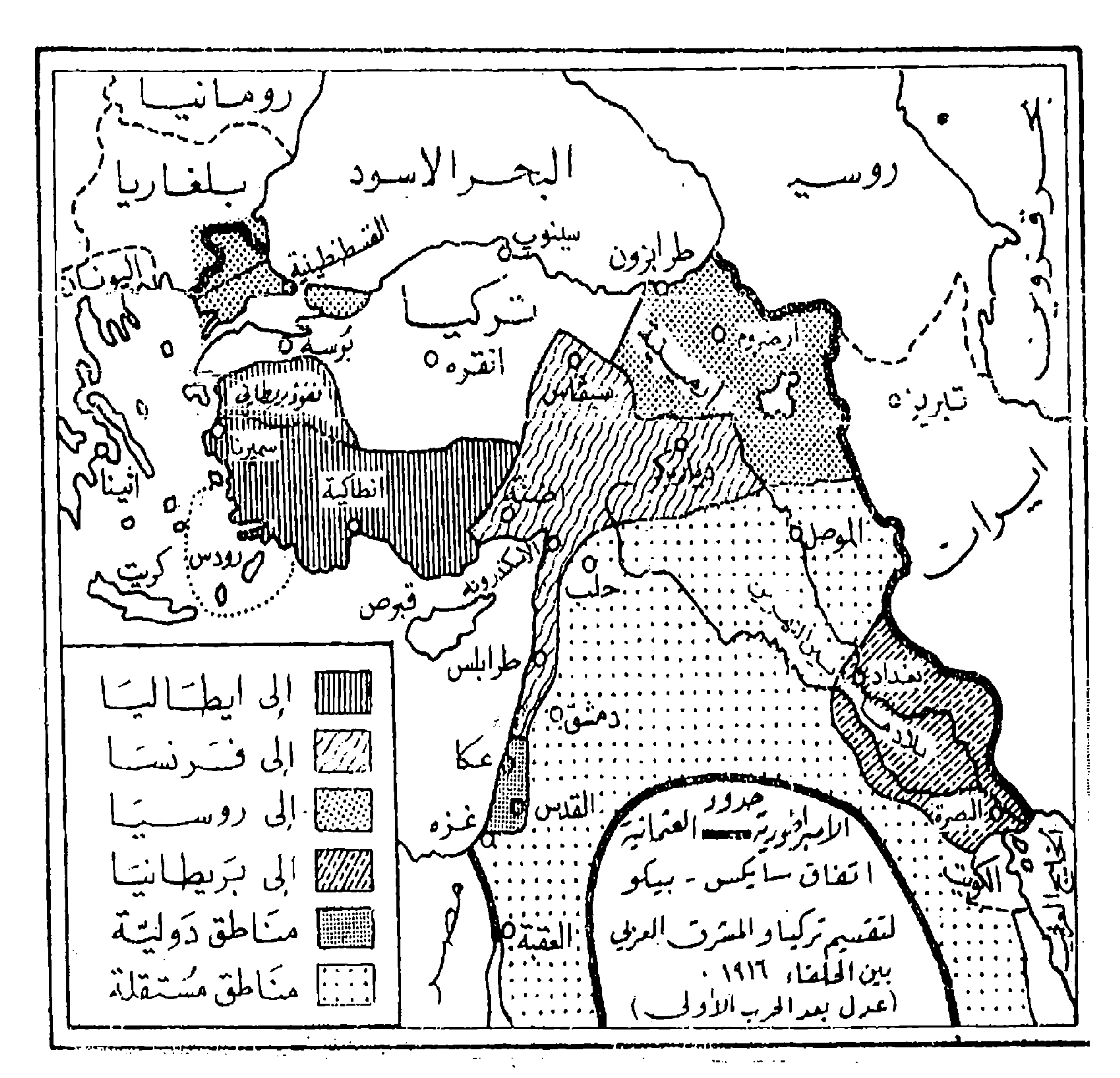
(أ) حصول كثير من المستعمرات على الإستقلال (قارن عدد الدول الأعضاء المؤسسة لهيئة الأمم المتحدة عام ١٩٤٥ عند تكوينها) (٥٠) بعدد الأعضاء عام ١٩٨٠ (١٥٢) وبالتالى ظهرت كثير من الإدعاءات التي كان الإستعمار يمنع ظهورها مثل مطالبة المغرب في فترة مابموريتانيا، ثم دعوى موريتانيا والمغرب في الصحراء الغربية بخروج الإستعمار الأسباني، ودعوى الصومال على كينيا وأثيوبيا، والنزاع الهندي – الباكستانى على كشمير .

(ب) ظهور الثروات المعدنية وإزدياد قيمة اليابس والماء حتى ولو كانت رقعة محدودة كالنزاع في بحر إيجه بين تركيا واليونان (بترول) والنزاع بين تونس وليبيا في خليج قابس (بترول) النزاع المغربى الجزائرى في (حديد تندوف). والطريف مثلا في دولة الإمارات العربية المتحدة أن نجد الخلافات بين الإمارات بعضها وبعض على كيلومترات.

(جـ) زحف العمران إلى مناطق الحدود السابقة والتي ذكرنا أنها إتفق عليها قبل ظهور أى هيئات حضارية ***Cultural Landscape*** وبالتالي يبدأ الإحتكاك لتوضيح الحدود كنزاع الحدود الهندية الصينية.

وفـــي غالب الأحوال تكون الدعاوى الإقليمية على أساس الروابط الجغرافية أو القومية وعلـــى أســـاس أن المعـــاهدات التي أبرمت بمقتضاها الحدود كانت غير متكافئة أو غير شـــرعية لأنها أبرمت مع من ليس له الحق في عقدها وهي القوة الإستعمارية التي كانت رابطـــة فـــي الأقاليم، مثال النزاع الأفغاني والباكستاني بالنسبة لأقليم بلو شيشتان ونزاع الحدود الصينية الروسية ومعظم منازعات الحدود السياسية في أفريقية.

٤- وإذا كانـــت مـــنازعات الحدود السياسية على اليابس في طريقها للانقراض لتقدم وســـائل المســـح، والقياس، ولم يعد هناك جزء غير مكتشف من سطح الأرض فقد زادت مشكلات النزاع على الحدود البحرية وتحديد المياه الإقليمية والأقاليم الإقتصادية.



ذلك أن الخريطة السياسية الحالية ترجع في معظمها إلى عمليات التفتيت السياسي للغنيمة التي استلبتها القوى البحرية الأوربية من الدولة العثمانية .

الفصل الثاني

مشـــكلات الحـــدود الســـياســـية

تعتبر مشكلات الحدود السياسية من الموضوعات التي يعني بها الباحثون فى الجغرافيا السياســية، ولا يــنفرد الجغرافــيون وحدهــم ببحث مشكلات الحدود بل هي ميدان ثرى للمشــتغلين بــالعلوم السياسية والمؤرخون ورجال القانون الدولي، ولكن الجغرافي يتميز علــيهم جمــيعا بتفهمه للخصائص الإقليمية وسهولة إستخدامه للخرائط. وإن كانت هناك بعــض مظاهــر للنزاع لا يمكن للجغرافي أن يكون منافسا لغيره فيها. كإتخاذ القرارات والحكــم علـــى مدى قانونية المعاهدات والمناقشات التي تدور فى صالح جانب أو آخر . ولكــن لا يــزال هــناك المجال كبيرا أمام الجغرافي لكي يضيف الكثير لإجلاء المواقف المختلفة.

أنماط منازعات الحدود السياسية:

يعتــبر نزاع الحدود السياسية مظهرا أو صورة من صور التوتر ***Tension*** الدولي لمشــكلة مــن مشكلات الحدود، لأنه قد تكون هناك مشكلة ما **Problem** دون أن تثير نزاعا ***Dispute***، ويتضمن نزاع الحدود بوجه عام أنماط أربعة رئيسية، قد يقوم أحداهما بين وحدتين سياسيتين مستقلتين وهي:

١- يعرف النمط الأول بالنزاع الإقليمي ***Territorial Dispute*** ينشأ نتيجة وجود خصائص معينة فى أطراف الدولة، يجعلها ذات جاذبية للدولة البادئة فى إثارة النزاع. كأن تسكنها قومية تابعة لها، أو تظهر فيها ثروة معدنية، أو تريد أحياء حدود قديمة كانت تضم هــذه الأطراف أو تكون إحدى الدولتين قد إنفردت بتعين نطاق حدودها البحرية الإقليمية دون مــراعاة مصــالح وحقــوق الدول الأخرى أى إتخذت سياسة الأمر الواقع، والأمثلة مــتعددة وخــير مــثال للنزاع على أساس تفتت القومية وسياسة الأمر الواقع هي الحدود الألمانــية عقب الحرب العالمية الأولى وتقطيع أوصال ألمانيا، أنظر إلى ما قاله هتلر فى مؤتمر نورنمبرج عام ١٩٣٨ مدافعا عن ألماني السوديت.

أنـــى أقولها وأكررها. أنه إذا لم يقدر لهذه الفئة المعذبة أن تأخذ حقوقها وحرياتها، فإن لها أن تعتمد علينا فى الحصول عليها، أن الألمان لا يطالبون سوى تقدير مصيرهم، وهو حــق مقدر لكل أمة غيرهم، كذلك الحال فى نزاع الصومال مع أثيوبيا على إقليم أوجادين الذيــن يســكنه جزء من الأمة الصومالية فى معظم الأحوال يكون هناك طرف متضرر وينتهز الفرصة للإشتباك كألمانيا فى الحالة الأولى، والصومال فى الحالة الثانية، وطرف مستفيد يدافع عن بقائها مثل تشيكوسلوفاكيا فى الحالة الأولى وأثيوبيا فى الحالة الثانية.

وقــد شــجع علـــى الــنزاع عدم وجود معاهدات بين الأطراف المعينة يمكن اللجوء والإحــتكام إليها فضلا عن جاذبية المنطقة موضوع النزاع، كالنزاع على واحة البوريمى بيــن أبــو ظــبى والسعودية (قبل تسوية ١٩٧٤) وكذلك إدعاءات المملكة المغربية على

الصحراء الغربية لأن المعيار فى كل منها كان إستقراء تحركات القبائل وولائها ، فقد إعتمدت السعودية عندما طالبت بواحة البوريمى على جباية الزكاة وولاء القبائل لأن السعوديون كانوا يجبون الزكاة منها أعوام ١٨٤٥، ١٨٥١، ١٨٦٩، ١٩٢٦، ١٩٢٩، وهم يرون أن دفع الزكاة معناه إعتراف بسيادة السعوديين، كذلك إستند المغرب فى دعواه على الصحراء الغربية بأن ملوك المغرب كانوا يعينون القضاة والقادة المدنيين وكانت قبائل الصحراء ترسل مندوبين إلى البلاط المغربى ليقدموا فروض الولاء.

٢- ويعرف النمط الثاني بالنزاع الموضعى . . **Positional dispute** إلا أنه يتعلق لوضع الخط السياسي، وغالبا ما يكون النزاع حول التفسير الصحيح لمعاهدة سبق أن قبلها الطرفان، كالنزاع بين شيلى وأرجنتين حول تفسير خط تقسيم المياه أو على القمم الجبلية.[١]

هكذا فالنوعان السابقان يتطلبان تغييرا فى وضع خط الحدود السياسية بينما نجد النوعين الآخرين لا يتطلبان تغييرا فى وضع ذلك الخط، وبالتالي كان أقرب المشكلات منها إلى المنازعات.

٣- أما النوع الثالث فينشأ نتيجة تأثر الخدمات أو الوظائف التي يحصل عليها سكان أطراف الدولة من جراء رسم خط حدود معين لذلك تطلق عليها منازعات وظيفية **Functional Dispute** كالمشكلة التي نشأت بعد تعيين الحد السياسي بين إيطاليا وفرنسا فى جبال الألب عام ١٩٤٧ إذا كان من نتيجة ذلك أن بعض الجماعات الرعوية الفرنسية على الحدود حرمت من مراعيها الصيفية بينما حرمت الجماعات الرعوية الإيطالية على الجانب الآخر من مراعيها الصيفية الربيعية لأنها أصبحت داخل الحدود الفرنسية ونظرا لأنه ليس من الممكن تحريك خط الحدود ، فقد تمت التسوية بالإتفاق على السماح لكل من الجماعات الرعوية الفرنسية والإيطالية بعبور خط الحدود للإستفادة بالمراعى على الجانبين، وهذا يشبه الإتفاق الذي تم أخيرا بين تونس والجزائر.

ويختص النوع الرابع بإستخدام بعض الموارد مثل الموارد المعدنية والنهرية ويطلق عليه نزاع حول الموارد **Dispute over Resources** كإستخدام مجرى مائي (شط العرب) أو إستخدام النهر عبر الحدود والأنهار الدولية.

ماوراء مشكلات ومنازعات الحدود السياسية:

لابد للوصول إلى حل لمشكلات الحدود من معرفة عدة أمور أساسية:

أولا : الأسباب الفعلية للمشكلة.

ثانيا : فهم الظرف المناسب الذي أدى بالدولة إلى إثارة إدعاءاتها.

ثالثا : أغراض هذه الدولة من هذه الإدعاءات. ويمتد التحليل إلى تفنيد هذه الإدعاءات على أسس جغرافية، ثم تقدير نتائج هذه الإدعاءات سواء فيما يختص بأثرها على المناطق

المتاخمة أو على العلاقات الدولية.

ولفهم وجهة النظر هذه نضرب مثلا مختصرا بنزاع قام بين أفغانستان والباكستان، فتدعى أفغانستان بأن قبائل الباتان **Pathan** فى غرب باكستان يجب أن يسمح لهم بتكوين دولة مع إخوانهم فى أفغانستان وتنكر لباكستان بدورها رغبة قبائل الباتان فى الإنفصال وتكوين دولة الباتان المزعومة فإذا نظرنا إلى السبب الأساسي نجده فى المعاهدة الإنجليزية الأفغانية التي ترجع إلى عام ١٨٩٣ التي حددت مناطق النفوذ بين بريطانيا وأفغانستان، وهذه الإتفاقية أيدتها معاهدات كثيرة أعوام ١٩٠٥، ١٩١٩، ١٩٢١، ١٩٣٠. وقد قسم ذلك الخط الإقليم الذي تعيش فيه قبائل الباتان بطريقة جعلت هناك ٢,٤ مليون نسمة داخل منطقة النفوذ البريطانية (باكستان الآن) وكانت الظروف المشجعة على إعلان أفغانستان لمطالبها هي تقسيم الهند إلى هند وباكستان عام ١٩٤٧ حين كانت الباكستان تواجه صعوبات التقسيم داخليا وخارجيا. أما الأسس التي قامت عليها مطالبها، فتنحصر فى أن إتفاقية ١٨٩٣ غير ذات موضوع لأن أفغانستان وقعتها تحت ضغوط، ثانيا أن أفغانستان لا يمكن أن ترث تبعات إنتهت (وهي بريطانيا فى الهند) وهذه مناقشات قانونية بطبيعة الحال لاتقع فى ميدان البحث الجغرافي، وثالث الحجج أن حدود أفغانستان كانت فى وقت ماتمتد بعيدا فى الهند ومنها بطبيعة الحال باكستان الآن ، وبالبحث التاريخي يظهر أن أقصى إتساع لأفغانستان كان عام ١٧٩٧ حين إمتدت أفغانستان إلى دلهي ولاهور ثم سقطت لاهور فى أيدى المغول عام ١٧٩٨ وسقطت بيشاور عام ١٨٢٣.

فإن كانت هناك فترة توسع منذ قرن ونصف يعتمد عليها الآن فى تخطيط الحدود اليوم، فإن معنى هذا أن خريطة العالم يمكن أن تتعرض لتغير جذري خطير، ورابعا: هناك إدعاء أكثر الإدعاءات وجاهة وهو أن هذه القبائل على الجانبين تكون وحدة أثنولوجية، ويجب أن تلتئم فى وحدة سياسية.

إذ بحثنا بعد ذلك أغراض أفغانستان الحقيقية فى بلوخستان، فيمكن إستنتاج أمل أفغانستان فى خضوع الدولة الجديدة لنفوذها وإستغلالها كمخرج لها على البحر العربي.

وأما نتائج هذا النزاع فكانت واضحة على المستوى المحلى، وقد تكون أكثر أهمية على المستوى الدولي، فقد قطعت العلاقات الدبلوماسية بين البلدين فى سبتمبر عام ١٩٦١ وإستعيدت فى مايو ١٩٦٣، خلال تلك الفترة أغلقت الحدود بإستثناء فترات قصيرة فى يناير عام ١٩٦٢ لتصل المعونة الأمريكية إلى أفغانستان عن طريق باكستان ونظرا لأن معظم صادرات أفغانستان إلى الهند ومعظم وارداتها من اليابان والهند والولايات المتحدة الأمريكية حدث تغير فى التوجيه التجاري لأفغانستان فأصبح الإتحاد السوفييتي يسهم بقدر وافر من الصادرات والواردات. وأدى القتال والمناوشات فى المنطقة إلى أن تقوم الباكستان بتعزيز خطوطها الحديدية فيها، وكان إغلاق الحدود سببا فى منع الهجرة الفصلية لنحو مائة ألف من الرعاة إلى باكستان حيث كانوا يهاجرون بقطعانهم شتاء . وكان هؤلاء الرعاة يتكسبون أيضا بالإشتراك فى الأعمال اليدوية أثناء إقامتهم فى باكستان

وخاصـــة جمع محصول قصب السكر ، وكان من نتيجة هذا أن أصبحت الباكستان تطلب مـــنهم تأشـــيرات خـــروج ودخـــول ومستندات لايطيقونها وحتى بعد فتح الحدود وعودة العلاقـــات، نجد أن الباكستان بدأت عمليات توطين لهم فى مشروعات زراعية مما يترتب عليه هجرهم المراعى فى أفغانستان.

أمـــا علـــى المســـتوى الدولى فيلاحظ أن أفغانستان وجدت تشجيعا من الهند والإتحاد الســـوفييتي، فالحكومة الهندية يهمها أن تنشغل باكستان عنها فى مشكلة جديدة غير مشكلة كشـــمير. ووجـــد الإتحـــاد السوفييتي نفسه قادرا على إضعاف دولة فى الحلف المركزي لجـــنوب شـــرق آســـيا، وفـــى نفـــس الوقت تقوية لعلاقاته مع أفغانستان التي كانت هدفا للدبلوماسية الروسية حتى قبل الثورة الشيوعية.

هـــذا المثل الذي ضربناه يبين أوجه النزاع على الحدود والتي يمكن للباحث الجغرافي أن يراعيها ويركز عليها فى هذا المجال من الجغرافية السياسية.

الحدود السياسية فى أفريقية

مـــن المعـــروف أن غالبـــية الحـــدود الأفريقية هي حدود مفروضة أو موضوعة من الخـــارج، وضعتها القوى الأوربية خلال العقدين اللذين تبعا مؤتمر برلين عام ١٨٨٤، أما قـــبل الإستعمار الأوروبي للقارة، فلم تكن هناك حدود وكان البناء السياسي الوطني كقيام ممالك معينة من السكان الأصليين، كان يفصلها عن بعضها تخوم، كان تكون أراضى غير مســـكونة، أو مناطق مستنقعات وكان من نتائج وضع هذه الحدود أن أصبحت تمر أحيانا فـــى أرض القبـــيلة الواحدة، ويرجع هذا إلى عاملين أولهما عدم إتفاق الطرفين الأوربيين لسبب من الأسباب، وثانيهما التغلب على مصلحة إقتصادية أو إستراتيجية.

وكانـــت الســـلطات الإســـتعمارية تخفـــف مـــن حدة فصل أعضاء القبيلة الواحدة بين المستعمرين، وذلك بالتخفيف من قيود الإنتقال على الجانبين، وقد يرجع هذا إلى أن كثيرا مـــن الســـلطات الإداريـــة لم تعرف الحدود الفعلية لكل وحدة سياسية لذلك كانت عمليات الإنتقال والهجرة من الأمور المألوفة، غير أن إستقلال هذه المستعمرات السابقة دون تعديل للحدود، ومحاولة كل دولة جديدة ممارسة حقها فى السيادة بوضع القيود على الإنتقال عبر الحدود، أدى إلى ظهور مشكلات خطيرة على طول تلك الحدود فعلى سبيل المثال نجد أن حكومـــة توجو تضع مراقبة شديدة على طول خط الحدود بين غانا وتوجو خشية تهريب السلاح للأحزاب المعادية للحكومة، بينما نجد الحدود بين نيجيريا والكمرون وقد إنتشرت علـــيها المحطات المراقبة لمنع الهاربين من الكمرون وإتخاذ نيجيريا ملجأ لهم. كما شددت أثيوبـــيا الحراسة على حدودها مع الصومال وألغت إتفاقية مع الصومال كانت قد عقدت، تسمح لرعاة الصومال بعبور الحدود الأثيوبية بحثا عن الكلأ والماء لقطعانهم.

لقد وضح أن الحدود السياسية فى أفريقية فى الوقت الحاضر فى حاجة إلى تعديل حتى تـــتفق وتنســـجم الحدود مع الحقائق الجغرافية من ناحية، ومع الإتجاهات السياسية للدول الأفريقية المستقلة من ناحية أخرى ومع ذلك فقد إستقر رأى منظمة الوحدة الأفريقية على

الإبقاء على الوضع الراهن منعا للإنشقاق بين الدول الجغرافية[1].

أنواع الحدود السياسية فى أفريقية

وتظهر الخريطة السياسية لأفريقية غلبة الخطوط الفلكية والهندسية وعادة ما تسير فى المـناطق المخلخلـة السـكان (كما هو الحال فى الصحراء الكبرى) وأن كان هذا ليس بقاعدة . وقد ظهر أن نسبة كل نوع على وجه التقريب كما يلى : الخطوط الفلكية ٤٤%، والخطوط الهندسية ٣٠%، الخطوط التي تتفق والمظاهر الطبيعية ٢٦%.

وإذا قارنـا أفريقية بقارة أخرى . فإن النسب ستتغير لاشك، ففي استراليا مثلا لا توجد حدود دولية على الإطلاق وإنما هي حدود داخلية بين الولايات، وحتى إذا إعتبرناها دولية، نجـد غلـبة الخطوط الفلكية، أما فى أوربا فلا تمثل الخطوط الفلكية فيها إلا نسبة ضئيلة للغايـة، ويرجع هذا إلى أنه مضى وقت طويل على القارة، كثر فيها النزاع على الحدود وتحركها من مكان إلى آخر بينما تزيد نسبة الخطوط التي تتبع الحواجز الجبلية والأنهار، وإذا حاولـنا تعليل أسباب كثرة إستخدام خطوط تقسيم المياه فى عمليات التحديد السياسي، لوجدنـا أن هذا يرجع إلى عمليات الكشف الجغرافي لأفريقية، إذا أنها كانت تتضمن إلقاء الأضـواء علـى أنماط التصريف النهري للقارة، ولم يكن يعرف من حوض النهر سوى منطقة المصب، ولذلك كان من الطبيعي أن تتفق القوى الإستعمارية على أن تكون الحدود بينها فى الداخل المجهول، هي مناطق تقسيم المياه بين الأحواض النهرية ، لذلك إعترفت بريطانـيا عـام ١٨٩٤ بـنفوذ الملك ليوبولد فى حوض الكنغو حتى تقسيم المياه أو حتى الحافـات الجبلية التي تحد الأحواض النهرية المجاورة، وخاصة حوض النيل فى الشمال، أمـا مـدى مراعاة هذا لصالح السكان الوطنيين فيمكن أن نستشفه من رسالة وصلت إلى السلطان زيمو أحد سلاطين الزاندى (فى جنوب غرب السودان) عام ١٩٠٠ " أنك على بيـنة مـن السـدود التي إتفق عليها الإنجليز والفرنسيين والبلجيكيين، أن النفوذ المصري الإنجليزي يبدأ حيث تتبع المجارى المائية إلى تتدفق نحو الشمال أو نحو النيل.

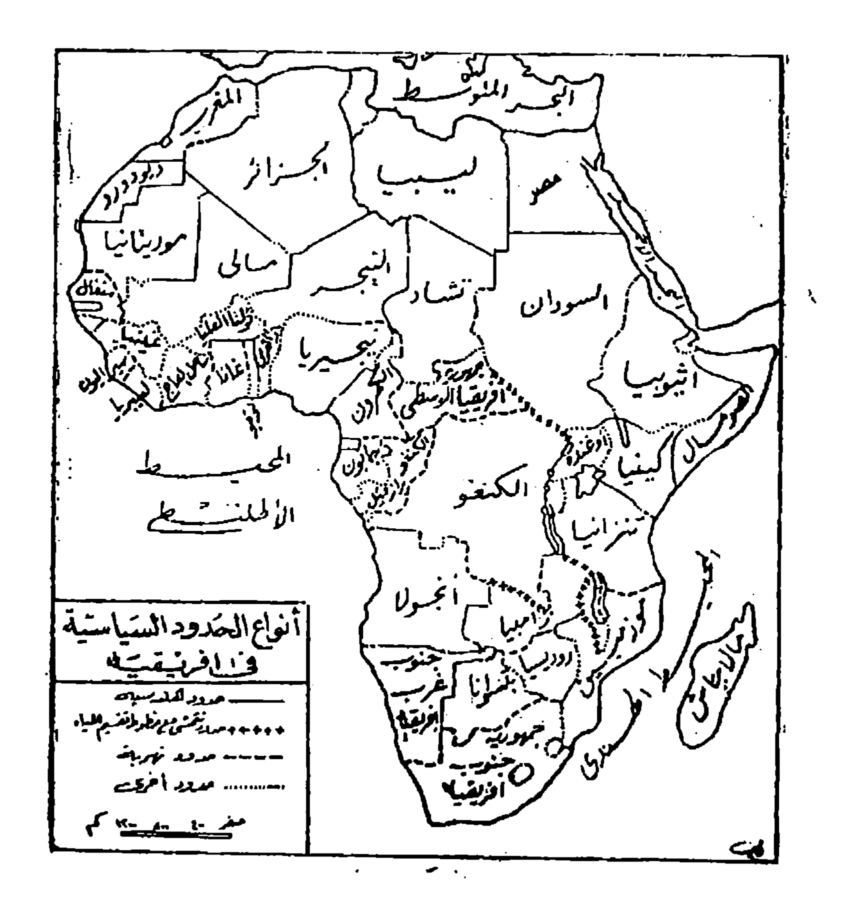
أمـا الـنوع الآخر الشائع فى أفريقية وهو الخطوط الفلكية، فهذا يتفق عليه عادة على موائد المؤتمرات، وعلى بعد مئات وآلاف الأميال من القارة، من ثم كانت تظهر صعوبات كبيرة أمام هؤلاء الذين يقومون بالتخطيط العملي على الطبيعة، والأمثلة عديدة على ذلك، فعـند تخطـيط الحـدود السياسية بين الكمرون الألماني ونيجيريا البريطانية عام ١٩٠٣، إخـتلف الفريقان نظرا لأن كل فريق كان يقدر خطوط الطول بطريقة مختلفة عن الآخر، وحيـث تسـير خطـوط الطـول بطريقة مختلفة عن الآخر، وحيث تسير خطوط الحدود (الفلكية) فى مناطق أو عبر طرق هجرات فصلية ، تصبح غير مناسبة.

ومـنها خط الحدود بين مصر والسودان الذي إتفق على أن يسير مع دائرة عرض ٢٢

---

[1] أصـدرت جمعـية رؤساء الدول والحكومات الأفريقية فى دورتها الأول عام ١٩٦٤ بالقاهرة بشأن منازعات الحدود بين الدول الأفريقية القرار الثاني " تتعهد جميع الدول الأعضاء بإحترام الحدود القائمة عندما يتم إستقلالها الوطني " .

شـــمالا، ممـــا أدى ضـــرورة إتخاذ خط آخر للحدود الإدارية بحيث يجمع قبيلة البشاريين بأكملها فى السودان وقبيلة العبايدة فى مصر.



ولعل إستعمال الأنهار كحدود سياسية كان أقل أنواع التحديد السياسي تعقيدا من الناحية الفنية، إلا فى المناطق التي تغير فيها الأنهار مجاريها المائية، أو حين كان المجرى المائي معروفا فى جزء منه، ومجهولا فى جزء آخر عندما وقع إتفاق الحدود لذلك نجد أن كارل بيـــترز الألمـــانى يدعى أن نهرا غير مجراه، وذلك بغية الحصول على أرض جديدة فى شرق أفريقية، أو للمساومة على منطقة من جهة ثانية، وفى مناقشة لتخطيط الحد السياسي بين السودان وأثيوبيا نجدهم يقترحون إستخدام نهر البيبور . ولكن إذا لم يصل البيبور إلى دائـــرة عـــرض ٦ شمالا، فإن مجراه حتى خط طول ٣٤ شرقا يصبح هو الحد السياسي. ويؤدى جهل السياسيين أحيانا ببعض المصطلحات إلى ضياع لمصالح بلادهم ، فعلى سبيل المـــثال وافق مندوب ليبريا مع مندوب فرنسا عام ١٨٩٢ على أن يتبع خط الحد السياسي بين ليبريا وساحل العاج الضفة اليمنى لنهر كافالى المتجه جنوبا نحو المحيط ، وكان يظن أن الخط تبعا لذلك الإتفاق يسير مع الضفة الشرقية ، وبذلك تشرف ليبريا على الملاحة فى الـــنهر ، ولكـــن الحقيقة ظهرت أن الخط بهذا التحديد يسير على الضفة الغربية ، ويضع

المجـرى برمته تحت النفوذ الفرنسي، ولهذا النهر أهمية ملاحية كبيرة لليبريا، نظرا لأن مـزارع فايرسـتون تقع على الجانب الليبيرى مجاورة للنهر، من ثم المستخدمة للنقل من الأمور الضرورية للشركة.

بعـض مشـكلات الحـدود فى أفريقية

مشكلات الايفى فى غانا وتوجو:

يبلغ عدد أفراد قبيلة الايفى نحو ٧١٥ ألـف نسـمة، يعيشـون بين الفولـتا الأدنى ونهر ناهو **Naho** اللذان يصبان فى خليج غانا، والحد الشـمالي للقبيلة يسير موازيا لخط الساحل على بعد نحو ٨٥ ميلا منه . وتتألف مواطنهم فى معظمها من سـهول مـتموجة لا يزيد إرتفاعها علـى ٤٠٠ متر، وتغطيها حشائش السـفانا المكشوفة، ولايظهر تغير ملموس فى هذه البيئة اللهم بالقرب مـن الساحل . حيث تمتد البحيرات الساحلية التي تحيطها أشجار نخيل الزيت وتفصل بينها رمال الساحل. وإذا إسـتثنينا بعـض صـيادى الأسـماك، نجـد الإيفـى قبيلة من الزراع، تقوم بزراعة الذرة واليام. وهـناك رغبة من الإيفى بأن يلتئم شملهم سواء كدولة مستقلة أو كجزء من غانا أو جزء من توجو.

مشكلة الإيفى بين توجو وغانا

وكانـت قبيلة الايفى قبل التدخل الأوروبي تنقسم إلى إثنتا عشر قبيلة فرعـية تعـيش بين مملكتى أبومى والأشانتى، وخلال فترات الحروب كانت تعقد الأحلاف الوقتية بين هذه الفـروع . وكان أول فصل للايفى عـند تحديد خط الحدود بين ساحل الذهـب البريطاني وتوجو الألمانية حيـث سار الخط بين لومى على الساحل ونهر الفولتا على بعد ٣٠ كيلو متر إلى الجنوب

مـــن كباندو، ولم تكن هناك شكاوى من الايفى فى ذلك الوقت، غير أن المنطقة قسمت بعد الحرب العالمية الأولى بحيث ضمت فرنسا ثلثي الإقليم بما فيه كل الساحل والخط الحديدي وضم الباقي المجاور لساحل الذهب إلى بريطانيا، وقد تأكد هذا الوضع عام ١٩٢٠ عندما منحـت فرنســا بريطانيا انتداب على المنطقة. وخفف أثر هذا التقسيم الثالث أن بريطانيا كانـت تحكـم الجـزء الخاص بها، كقسم من ساحل الذهب، على عكس الفرنسيين الذين إحتفظوا بإدارته منفصلة عن داهومى والفولتا العلي، وقد أحس الايفى بهذا الفصل فى فترة ١٩٤١/١٩٤٣، وعندما أغلقت حكومة فيشي الحدود، وما أن أنتهت الحرب العالمية الثانية حتى ظهرت رغبات من الايفى بالإلتئام والوحدة، وأن ظهرت إقتراحات متعددة على كيفية الوحدة.

وقـد زارت بعثة من الأمم المتحدة عام ١٩٥٠ وكتبت تقريرا ذكرت فيه " أن المشكلة بلغـت مـن الحدة بحيث تستدعى حلا سريعا لصالح السلام والإستقرار فى المنطقة " ولم يظهر هناك حل مرضى لمشكلة الايفى حتى الآن، وقد عمل إستفتاء فى توجو عام ١٩٥٦ وظهر من نتيجتة رغبة الجزء البريطاني من توجو فى الإنضمام إلى ساحل الذهب ، بينما التصـويت الذي حدث فى توجو الفرنسية كانت نتيجته الرغبة فى قيام دولة مستقلة داخل الإتحاد الفرنسي، وإن كانت جمهورية توجو خرجت من هذا الإتحاد عام ١٩٦٠.

أنـه لمـن الصـعب تصـور حل مرضى لهذه المشكلة، فإعادة توجو البريطانية ثانيا وتوحـيدها مع جمهورية توجو مثلا لن يحل أشكالا لأنه لن يضم الايفى الذين يعيشون فى جـنوب شرقى غانا وخلق دولة مستقلة للايفى ليس حلا مرضيا لأنه سيخلق مشكلات فى المواصلات والتنمية لبقية أجزاء توجو، ويعتبر الايفى أنهم يدفعون ثمنا غاليا لوحدتهم مع غانـا ، وكـان لعـدم حل هذه المشكلة أثره فى حدوث التوتر الدائم فى الأقليم، وإشتدت الحراسـة من غانا وتوجو على خط الحدود، وعندما أغتيل الرئيس أولومبيو ***Olympio*** عام ١٩٦٣ أغلقت حدود توجو مع غانا فورا . وقد أشارت غانا مرارا إلى قيام إتحاد بينها وبيـن توجـو. وزاد من توتر الإقليم الضغط الغاني من ناحية وخوف حكومة توجو من إقتطاع أجزاء من أراضيها من ناحية أخرى.

مشكلة الصومال وأثيوبيا:

يحـتل الصـوماليون القرن الأفريقي الذي يحده البحر الأحمر والمحيط الهندي وخليج عـدن، فضـلا عـن خط غير منتظم يبدأ من مصب نهر تانا فى كينيا إلى ميناء جيبوتي وينقسـم الشـعب الصـومالي بيـن الصومال الفرنسي (٢٥٠٠٠) جمهورية الصومال (٢,٠٧٦,٠٠٠) وأثيوبـيا (٣٥٠,٠٠٠) وكينيا (١١٩,٠٠٠)، من ثم توجد مشكلتان للحـدود بيـن جمهوريـة الصومال من ناحية وبين كينيا وأثيوبيا من ناحية أخرى ويتفق الشعب الصومالي فى اللغة والحضارة ويقويهما الإقتصاد القائم على الرعي، ورغم أنه لم تكـن هناك وحدة سياسية قبل ذلك فى الإقليم، إلا أنه كانت هناك فترات من الإتحاد لصد قـبائل الجـالا فى كينيا وأقباط أثيوبيا، وتعتبر الأبل حيوانهم الرئيسي فى الشمال وبعض

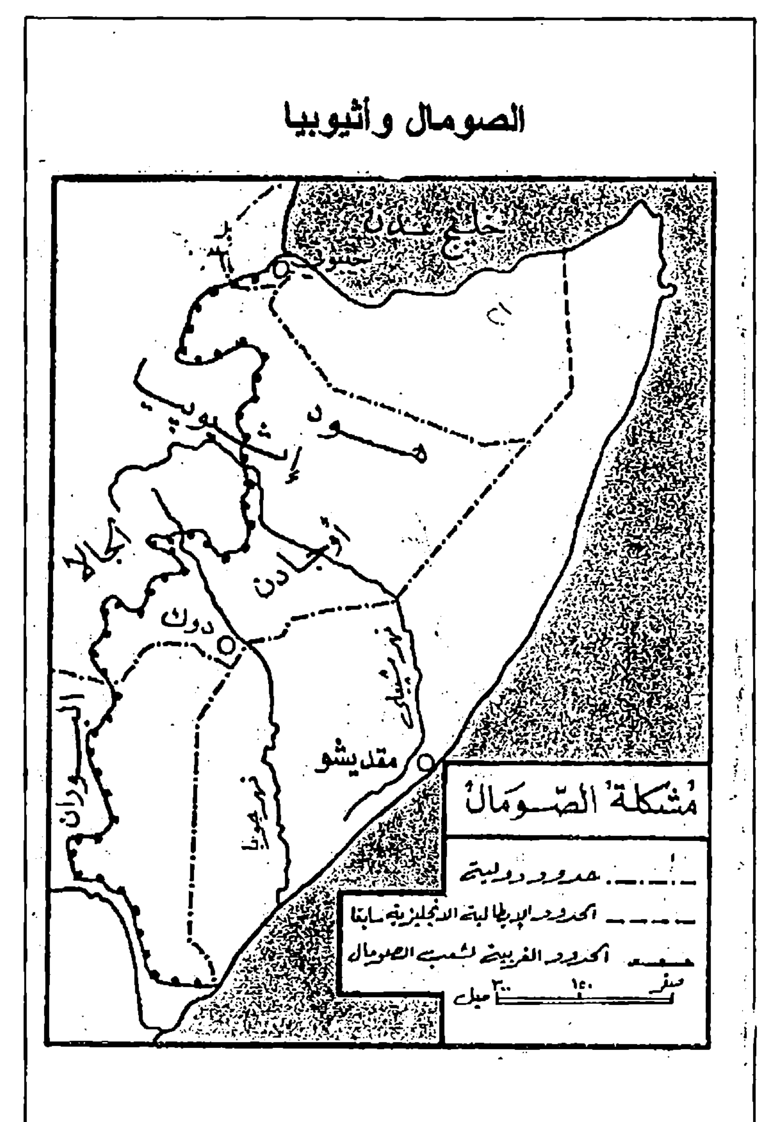
أجـزاء الجنوب، بينما تعتبر الماشية الحيوان الرئيسى لدى قبائل الجنوب كالدجيل **Digil** والهويـا ***Hawiya*** لعـدم تحمـل الماشية لذبابة التابانوس، أما الضأن فيرعى فى جميع أجزاء الإقليم.

ولعل الإستثناءات القليلة النمط هو ظهور الزراعة كحرفة ثانوية إلى جانب الرعيَ فى أقليميـن بين نهري جوبا وشبيلى حيث تعيش جماعات الساب ***Sab*** فهذان الإقليمان وهما بورهاكـبا ***Bur Hakaba*** وهضبة بيدو ***Baidu*** تغطيهما تربة فيضية، وينالا مقدارا مـن المطـر أوفـر من الأقاليم المجاورة، ويؤدى هذا إلى زراعة الذرة الرفيعة والسمسم والقطن والفول. وفى هذه المناطق فقط توجد حدود معروفة ، بينما يعتبر الإحتلال الفعلي لـلأرض هو الأساس الوحيد للسيطرة على الأرض القريبة من موارد الماء والكلأ، ولذلك نجد أن الحدود فى مناطق الرعي تعتبر حدودا ديناميكية متحركة تبعا لإختلاف قوة القبائل ومدى إحتياجاتها ويتبع قبائل شمال الصومال نمطا من الرعي يتمثل فى الهجرة صيفا إلى إقليم هود فى أثيوبيا، عندما تكون مرتفعات هود فى أحسن حالاتها نباتيا وفى نفس الوقت تكـون مراعى سهول الصومال قد أنهكت، أما الأجزاء الجنوبية من الصومال، فلا يتميز بظهـور حـرفة الـزراعة فحسب، بل الهجرة الفصلية للرعاة أيضا ، حيث يتجه السكان بحـيواناتهم إلـى الأراضـي النهرية خلال الفصل الجاف لأن نهري جوبا وشبيلى دائما الجـريان، ثم يرجعان إلى مراعى الأقاليم الساحلية خلال فصل المطر القصير الذي يمتد من أبريل إلى مايو، ومن أكتوبر إلى نوفمبر، ويصبح إختراق خط الحدود (الصومالية ــ الأثيوبية) من الأمور الضرورية بالنسبة لبعض القبائل مثل البيدهان والميرهان.

فـإذا رجعـنا إلى الحدود التي فرضت على الأقليم بواسطة بريطانيا وفرنسا وإيطاليا نجدهـا تـرجع إلـى فترة (١٨٨٥ – ١٩٠٠) حين حصلت بريطانيا على محمية كينيا والصـومال البريطاني، بينما حصلت فرنسا وإيطاليا على مستعمراتيهما. وقد فصلت هذه الحـدود الهندسية بين أراضى القبيلة الواحد ، حيث فصلت المراعى الشتوية عن المراعى الصيفية وقد نصت المادة الرابعة من الإتفاقية الإيطالية الحبشية لعام ١٩٠٨، على أن خط الحـدود يجـب أن يمر إلى الشمال الغربي من وبى شبيلى بحيث تقع كل أراضى القبائل السـاحلية ضـمن الـنفوذ الإيطالي، بينما يقع إقليم أوجادين ضمن أثيوبيا. وقد بدأت لجنة إيطالية أثيوبية تحديد الخط عام ١٩١٠، ولكنها لم تصادف نجاحا كبيرا لعدم إتفاق الطرفين على حدود آراضى القبائل. ورغم أن تحديد الخط بين الصومال البريطاني وأثيوبيا صادف نجاحا عام ١٩٣٥، لأن الصوماليون فى المستعمرة البريطانية كان لهم حق عبور الحدود إلى مراعيهم التقليدية فى إقليم هود طبقا للمعاهدة البريطانية الأثيوبية لعام ١٨٩٧.

ورغم الحدود الإستعمارية فقد أدى ضغط الصوماليين المتواصل على قبائل الجالا فى شـمال شرقي كينيا إلى زحزحتهم إلى الغرب من النهر فقد إنخفض عدد الصوماليين فى كينـيا فـى عـام ١٩٢١ نتـيجة تنازل بريطانيا عن الأقليم الواقع بين نهر جوبا وحدود الصـومال الإيطالي، مكافأة لإيطاليا على إشتراكها فى الحرب العالمية الأولى، وقد إتفق علـى خـط حدود يبعد ٦٠ميلا شرقى نهر تانا يعرف بخط الصومال ***Somali Line***

ومنعت هجرة الصوماليين إلى الغرب من هذا الخط، وذلك لحماية قبائل الجالا، ولكن هذا الإجــراء بــدوره لم يصادف نجاحا يذكر، لأن الجماعات الصومالية فى الوقت الحاضر تعيش على مرمى ١٠ أميال من الضفة الشرقية للنهر.



وقام نزاع على الحدود بين أثيوبــيا وإيطاليا عام ١٩٣٥، وفــى نفس العام إحتلت إيطاليا الحبشــة، وبذلــك ربطت بين شــعب الصومال فى اوجادين والصــومال الإيطالي، وإحتلت إيطاليا الصومال (الإيطالي) عــام ١٩٤٠، غير أن السيادة الإيطالــية حلت محلها السيادة البريطانــية فــى العام التالي، ورغــم إستقلال الحبشة إلا أن بريطانــيا إســتمرت فى إدارة إقلــيم هــود، وهــذا معناه أن الشعب الصومالي إستمر تحت الحكــم البريطانــي حتى عام ١٩٥٠، عندما وضع الصومال الإيطالــي تحــت الوصــاية الإيطالــية مــن قــبل الأمــم المــتحدة، حاولــت إيطالــيا الوصــول إلــى إتفــاق بشأن موضــوع الحــدود مع أثيوبيا خــلال العشر سنوات التالية، ولكــن دون جــدوى. وبدأت وحدة الشعب الصومالي تتفكك عــام ١٩٥٤ عــندما رجــع إقليم هود وبعض المناطق الأخرى إلى أثيوبيا، وإن كانت قد عقــدت معــاهدة بيــن بريطانيا وأثيوبيا لحفظ حق الصوماليين الإيطالي والبريطاني فى جمهوريــة الصومال المستقلة. ورغم أن هذا أدى إلى وحدة بين شعب الصومال فإنه زاد من حدة النزاع مع أثيوبيا، وأدعت أثيوبيا أنه ليس من حق حكومة الصومال وراثة حقوق أعطيــت للحكومــة البريطانــية وهــي حقوق الرعي فى إقليم هود. وقد تبع هذا محاولة الحكومــة الأثيوبية ضمان ولاء الصوماليين الذين يدخلون ضمن الحدود الأثيوبية، وجذب الجمهورية الجديدة إلى نوع من الإتحاد الفيدرالي مع أثيوبيا كما فعلت مع أرتريا ووعدت أثيوبــيا الصــوماليين بفــتح المــدارس وبناء المستشفيات وحفر الآبار، فضلا عن إقامة

مشـــروعات توليد القوى الكهربائية على نهري جويا وشبيلى، ولكن الصوماليين عارضوا كـــل تســـوية مـــع أثيوبـــيا، مما أدى إلى أن حكومة الصومال تنفق ٢٠% من ميزانيتها (١٩٦٣) على المجهود الحربي.

وبينما يتصف النزاع الصومالي الأثيوبي بالقدم، نجد النزاع الصومالي الكيني، أو طلب صومالي كينيا الإنضمام إلى الصومال لا يرجع إلا لعام ١٩٦١. وقد إتفق الحزبان اللذان يمـــثلان صـــومالي كينيا فى مطالبهم للمستقبل، وتتمثل هذه المطالب فى عمل إستفتاء فى مديـــرية الحـــدود الشـــمالية فى كينيا التي يعيش الصوماليين شرقها والبورون فى غربها وهـــؤلاء أقـــرب إلى الصوماليين منهم إلى أهل كينيا، ويشرف على الإستفتاء أعضاء من منظمة الأمم المتحدة ولكن من غير الأعضاء الأفريقيين وذلك بعد إنسحاب قوات البوليس والجيش التابعة لكينيا من الإقليم.

هـــذا ولا يؤيد قضية ضم الصوماليين لكينيا كونهم يرتبطون حضاريا بأهل جمهورية الصـــومال فحســـب، بل لأن خط الحدود الهندسي يفصل بين المراعى الصيفية والمراعى الشـــتوية للقبائل ، فضلا عن بعد هذا الإقليم عن بقية كينيا. وبطبيعة الحال لا نجد أي من الأحزاب المتصارعة فى كينيا يوافق على إقتطاع نحو خمس مساحة كينيا وهي التي تكون المديرية الشمالية.

الحدود الجنوبية لمصر (مثلث حلايب)

لم تكن هناك حدود سياسية بين مصر والسودان بالمعنى المعروف على طول العصور التاريخـــية وأنمـــا كانـــت هناك تخوم تتقدم وتتقهقر بحسب الظروف السياسية فى مصر، ومهمـــا قيل عن عصر محمد على، فقد كان عاملا فى تكوين السودان السياسي بصورته الحالي، الحدود بين مصر والسودان لم يكن لها فى أي يوم من الأيام أية دلالة سياسية لأن مصر والسودان كانا دائما أبدا ينظر لهما كبلد واحد وقطر واحد وكانت أهمية هذه الحدود مقصـــورة على الأمور الإدارية وحدها وإن لم تعمد الحكومة المصرية فى يوم من الأيام إلـــى مراقـــبة حركة المرور عبر هذه الحدود من الشمال إلى الجنوب أو من الجنوب إلى الشـــمال، وإنما كانت الحدود مفتوحة دائما لكل عابر ، مثلها فى ذلك مثل الحدود الإدارية الأخرى بين مديريات مصر أو بين مديريات السودان.

فالطـــريق الذي يمتد على طول النيل كان المرور فيه حرا، وكانت أغلب المتاجر بين مصر، والسودان تمر به ، وكانت حركة المسافرين فيه دائمه لاتنقطع دون أية مراقبة.

والطريق الذي يمتد فى أرض البشارية فى صحراء مصر الشرقية، والذي تتبعه جموع الإبـــل الكثيرة التي كانت ومازالت تساق إلى الأسواق المصرية طريق مفتوح أيضا، ولم يكن يخضع لأية رقابة.

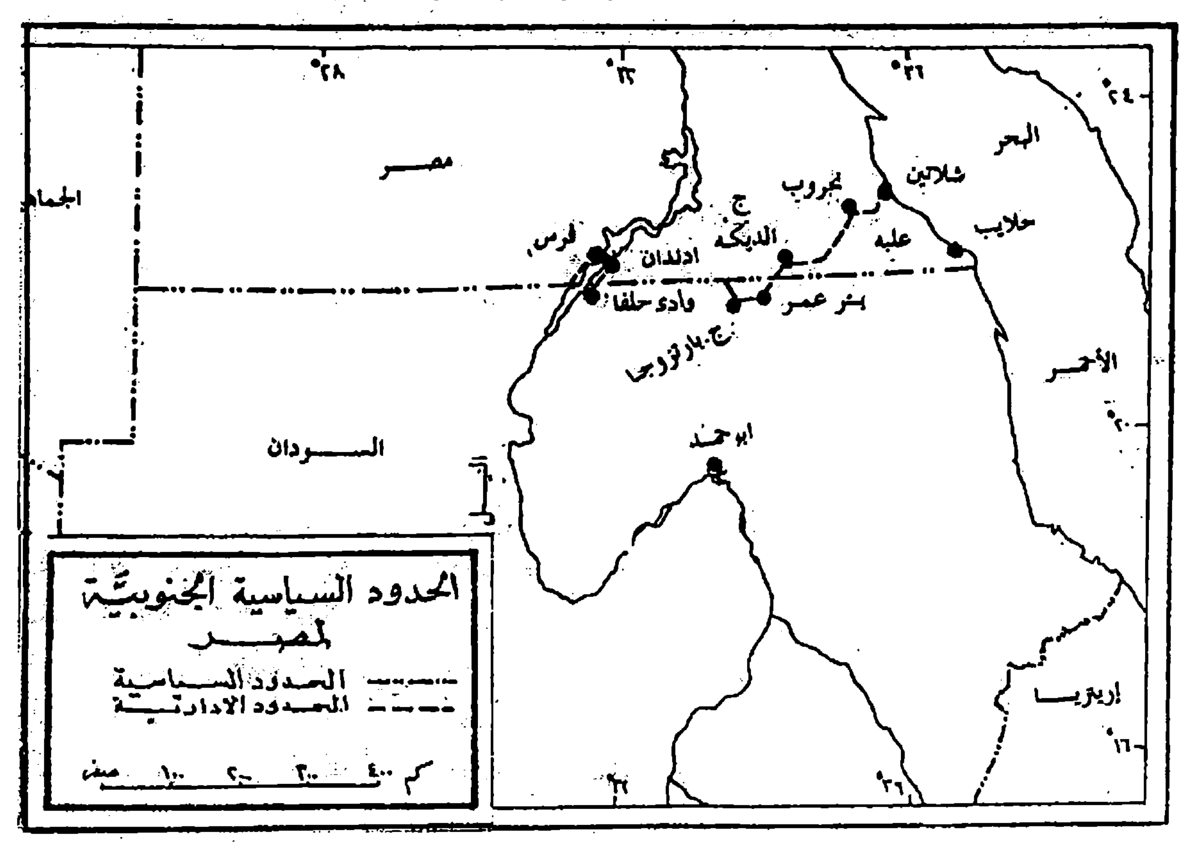
ودرب الأربعيـــن المشـــهور الـــذي كان يجتاز صحراء مصر الغربية ويربط أرض كردفان ودارفور فى الجنوب بالواحة الخارجة، ثم بوادي النيل عند أسيوط فى الشمال كان

هو أيضا طريقا مفتوحا للتجارة والمسافرين.

ولم تكن هناك أية نقط للمراقبة فى أي جزء من أجزاء هذه الطرق جميعا لكي تراقب حركة التجارة والسفر عبر الحدود التي تمتد بين مصر والسودان، وإنما كان السفر والإتجار حرا.

غير أن الحدود السياسية الدولية الحالية ترجع إلى إتفاقية ١٨٩٩، أي إتفاقية الحكم الثنائي والذي أعد فى القاهرة بإشراف اللورد كرومر، ووقعها وزير الخارجية المصرية فى ١٩ يناير ١٨٩٩ ويهمنا فيما يختص بالحدود المادة الأولى من هذه الإتفاقية:

الحدود السياسية الجنوبية لمصر



الحدود فى إتفاقية يناير ١٨٩٩:

تضمنت المادة الأولى من الإتفاقية، التعرف بالأراضي التي يشملها لفظ السودان . وهي التي حسب هذه المادة تقع جنوبي الدرجة الثانية والعشرين فى خطوط العرض، هذا الخط يمر على مسافة أميال قليلة من شمال وادي حلفا، بينما تقع سواكن جنوبية بمسافة كبيرة. وقال كرومر ــ أنه تمشيا مع المبادئ التي جاءت فى مقدمة الوفاق، يجب أن يكون مصطلح السودان مقصورا على الأراضي التي إمتلكتها مصر فى السابق، ثم إستولى عليها الدراويش، ثم صار إسترجاعها فى وقت من الأوقات بمساعدة بريطانيا. ولكن الأخذ

فـــي هـــذا الـــرأى لايلبث أن ينشأ عنه مصاعب إدارية كبيرة، حيث يجب فى هذه الحالة إســـتبعاد كل من وادى حلفا وسواكن من الأراضي التي يشملها مصطلح السودان، لأن لا وادي حلفـــا ولا ســـواكن ســـبق أن إحتلتها ثورات المهدية إطلاقا وعلى ذلك فقد قسمت الأراضي التي يدل عليها مصطلح السودان فى الإتفاق إلى فئات يهمنا منها:

١- الأراضـــي التي لم تدخلها قط الجنود المصرية منذ عام ١٨٨٢ وقال كرومر " أن الغرض من النص على ذلك إدخال كل من وادى حلفا وسواكن ضمن حدود السودان ".

٢- الأراضي التي كانت تحت إدارة الحكومة المصرية قبيل ثورة السودان وفقدت منها وقتيا، ثم إفتتحتها الأن حكومة جلالة الملكة والحكومة المصرية معا. ومعنى ذلك كما قال كرومـــر، أن هذه تشمل كل الأراضي التي تم إسترجاعها مؤخرا، وأما لماذا وصفت هذه الأراضـــي بأنها التي إفتتحتها الأن الحكومة المصرية بالإتحاد مع حكومة الملكة فقد قال كرومـــر أن الإقتصار على ذكر (الأراضي التي كانت تحت إدارة الحكومة المصرية قبل الـــثورة الأخيرة) دون التخصيص بأنها إفتتحت بعد ذلك بالإشتراك مع إنجلترا قد يفيد أن هذه الأراضي تشمل كذلك قسما من مديرية خط الإستواء (هو الذي عرفنا أنه صار جزء من محمية أوغندة البريطانية أو إستأجرته ولاية الكونغو الحرة البلجيكية) أو أنها قد تشمل أيضا زيلع وبربرة (وهما المعروف أنهما صارتا تؤلفان مع بلهار الصومال البريطاني) وهمـــا اللـــتان قال عنهما كرومر الآن. أنه لم يكن مقصودا دون شك أن يشملهما الإتفاق الحالي.

<u>لماذا الحد فلكيا ؟</u>

وكـــل حـــد فلكي لا يمكن تفسير إختياره إلا بعامل الصدفة التاريخية، التي جعلته الحد الجنوبي للمناطق التي لم تخلها مصر فى أثناء الإنسحاب الذي نظمه الإنجليز من السودان وجاء هذا الخط متعامدا على الظاهرات الطبيعية والبشرية فى المنطقة:

١- يـــبدأ هذا الخط من منطقة العوينات وبينها وبين النيل نطاق غير معمور تتناثر فيه موارد مائية محدودة، تعتبر محطات فى الطرق التي تعبر الصحراء بين الشمال والجنوب ومن أشهرها طريق الأربعين الذي يمر فى هذا النطاق بواحة سليمة (فى السودان) وأبار شب وأبو حسين فى مصر ، ويتابع إتجاهه شمالا بعد هذا ، وتدخل هذه المنطقة فى نطاق اللامعمـــور الســـوداني والمصـــري، حيـــث لا تتوافر عوامل الإستقرار البشرى والحياة وتنحصر أهميته فى حركة القوافل. وكان من قبل طريقا من طرق الهجرات البشرية، أثر تأثيرا له خطره على السودان غرب النيل.

٢- فـــإذا مـــا إنتقلنا شرقا وصلنا إلى وادي النيل، حيث الإتصال الرئيسي بين الشمال والجنوب والوادي هنا يختلف ضيقا وإتساعا. ومن اليسير التمييز بين المعمور النيلي الذي تـــتركز فيه الحياة وترتفع كثافة السكان، والنطاق الغربي إلى العوينات. فالحياة فى القطاع النيلـــي متصـــلة بيـــن الشمال والجنوب من النواحي الطبيعية والبشرية. والفروق المحلية محـــدودة، تقتصر على بعض نواحي اللغة وهي فروق آخذة فى الإندثار مع إنتشار التعليم

والإقــبال علــى اللغــة العربية. وخط الحدود يخترق وطن الجماعات النوبية وهي بهذا موزعة بين مصر والسودان فى منطقة الحدود.

٣- وإلى الشرق ترتفع جبال البحر الأحمر، وإلى شرقها تنحدر الجبال فى سرعة إلى ســهل ســاحلي ضيق ينتهي بنا إلى البحر. فى هذا الجزء الشرقي نطاق قليل الكثافة من البشــاريين الذين ينتشرون فوق رقعة تشمل الأجزاء الجنوبية من صحراء مصر الشرقية والسودان الشرقي كله والأطراف الشمالية من إرتريا، والقبائل الرعوية لاتعرف الإستقرار الكامل فى مكان واحد، ولا تتقيد فى تجوالها بالحدود المصطنعة التي لا تستند إلى مقومات مــن عناصــر البيئة، والخط الفلكي ــ ٢٢ درجة شمالاــ يشطر هذه القبائل دون إعتبار لــنظم حياتها ، ومن أجل ذلك عجز هذا الحد الفلكي عن أن يؤدى وظيفته التي أرادتها له إتفاقــية ١٩ يــناير ١٨٩٩. وجاءت ظاهرة إزدواج الحدود بين مصر والسودان. وأصبح للسودان فى عهد الحكم الثنائي، حدودا سياسية وأخرى إدارية فى المناطق الآتية:-

١- منطقة حلفا :

لذلــك أصدرت وزارة الداخلية المصرية فى ٢٦ مارس سنة ١٨٩٩ أي بعد ما يقرب من شهرين فقط من إتفاقية يناير. قرارا إداريا بتعديل الحدود فى هذه المنطقة وفقا للسياسة التــي رســمتها بريطانيا أنها تدخل ضمن حدود مصر، أصبحت الحدود تمر بقرية أدندان الواقعــة علــى الشــاطئ الشرقي للنيل وبقرية فرس الواقعة على الشاطئ الغربي للنيل، وبمقتضــى هذا التعديل تخلت مصر إداريا عن مساحة واسعة من الأراضي الزراعية تبلغ ٤٠٠٠ فــدان، وعــن عدد من الأشجار يبلغ ٨٢,٠٠٠ شجرة، وعن عدد من السكان يبلغ ١٣,٠٠٠ نســمة. وعلــى مجموعة من القرى يبلغ عددها عشرة ــ كل أولئك لكي تكون تابعة إداريا للسلطات الإدارية فى السودان. وذلك لأن السياسة البريطانية أرادت هذا، ولم تستطع مصر تحت الضغط الذي خضعت له وقتئذ إلا الموافقة على ما أملته بريطانيا.

ذلك أن الأرض الزراعية فى حلفا نفسها ضئيلة جدا. وإنها إلى الجنوب من حلفا أكثر ضــآلة، أما الشمال وبصفة خاصة فى جهات فرس وسره ودبيره وإشكيت وارقين ودغيم ودبروســة، فــإن الأرض الزراعــية تتسع والسكان يتجمعون ويفلحون الأرض فإذا قدر للحــدود فى هذه المنطقة أن ترسم بحيث تمر بمدينة حلفا حسب ما هو وارد فى الإتفاقية، فإن الأراضي الخصبة الواسعة نسبيا فى هذه المنطقة ستقع فى الجانب المصري، وسيتبع هــذا بطبيعة الحال تركز الجزء الأعظم من سكان المنطقة فى الجانب المصري، وسيكون إعتماد حلفا كله على الأرض الواقعة فى الجانب المصري وعلى السكان المقيمين فى ذلك الجانــب، هــذه الأرض تمــتد لمسافة ٢٥ كيلو مترا إلى الشمال من حلفا، ويوجد بها من القــرى سره شرق وسره غرب وفرس ودبيره وأشكيت وأرقين ودغيم وعنتش ودبروسه وغيرها. وإذن فلا بد من تعديل الحدود فى هذه المنطقة تعديلا يكفل وضع هذا الجزء إلى الجــنوب مــن خط الحدود أو بعبارة أخرى يؤدى إلى خضوع هذه القرى وما يتبعها من أراضى زراعية ومن يقيم بها من سكان لإدارة السودان.

٢- منطقة جبل علبة :

وتقـع فـي الركن الجنوبي الشرقي من مصر وهي جبلية مرتفعة تتكون من صخور قديمـة غنـية نسـبيا، فوفرة المياه نسبيا تجعلها إقليما جغرافيا متميزا عن بقية الصحراء الفقـيرة التـي تنتهي إلى النيل. سكن الجبل جماعات من البشاريين وهم، قبيلة من البجاة الذين ينتشرون فى الصحراء الشرقية إبتداء من دائرة عرض قنا حيث يحيا العبابدة، يليهم جـنوبا البشـاريون فى جبل علبه والسودان الشرقي، ولمنطقة جبل علبه أهمية إقتصادية. فهـي قطاع من الصحراء الشرقية فى كل من مصر والسودان ــ حيث موارد من الثروة المعدنية، لا تزال دراستها بحاجة إلى إستكمال. وتزداد إمكانيات الإستفادة منها مع تطور المواصلات وطرق البحث العلمي، وعلى السهل الذي يشرف عليه الجبل قام مرفأ حلايب تـربطه طـرق برية صالحة للسيارات مع بور سودان جنوبا والقصير شمالا، وفى قلب الجبل قامت مدينة جبيت المعادن حيث مناجم الذهب القديمة ، وهذه غير جبيت أخرى على الخط الحديدي الذي يربط بين بور سودان وهيا.

وأرض هـذه ممـيزاتها تكـون من غير شك مطمع كل طامع ، لهذا نجد أن السياسة البريطانية إتجهت نحو ضمها للإدارة فى السودان، ولهذا إقترحت على الحكومة المصرية، ضـمها إداريا إلى السودان وقد حشد لذلك من المبررات الصورية ما يجعل التعديل أمرا ضـروريا، فأدعـت أن الأمور الإدارية فى هذه المنطقة من الصحارى المصرية تتطلب ضرورة وضع البدو الذين ينتمون إلى جماعة من الجماعات تحت سلطة إدارية واحدة.

وحيث أن منطقة جبل علبة وما جاورها تعيش بها جماعات من البشارية، وأن الغالبية العظمـى مـن تلـك الجماعـات تعـيش فى السودان. فمن المصلحة طبقا لوجهة النظر البريطانـية ضـم مـنطقة علبة إلى السودان ولكي تطبق على سكانها من البشارية النظم الإداريـة ذاتها التي تطبق على أخوانهم فى السودان وبناء على ذلك أصدر وزير الداخلية قـرارا إداريـا بتاريخ ١٤ نوفمبر سنة ١٩٠٢ بتعديل الحدود فى منطقة جبل علبة بحيث تصبح على النحو التالي:-

يمـتد خـط الحدود من نقطة على ساحل البحر الأحمر قريبا من بئر الشلاتين ثم يتجه جنوبا بغرب لمسافة ٥٨ كيلو متر إلى بئر منيجة، ثم يمتد شمالا لمسافة ٢٨ كيلو مترا إلى جـبل نجروب. ثم جنوبا بغرب لمسافة ٧٠ كيلو مترا إلى جبل أم الطيور ، ثم جنوبا مع إنحـراف كبـير نحو الغرب لمسافة ٥٨ كيلو مترا ثم جنوبا مع إنحراف قليل نحو الغرب لمسـافة ٢٤٠ كيلو مترا حيث يقابل خط الحدود السياسية الذي يمتد مع دائرة عرض ٢٢ درجة شمالا.

وقـد تخلـت مصر إداريا بمقتضى هذا التعديل عن منطقة من أغنى مناطق الصحراء الشـرقية مثلثة الشكل تقريبا طول ضلعها الجنوبى الذي يمتد على طول الحدود السياسية ٣٠ كـيلو مـتر تقريـبا وضلعها الشرقى الذي يطل على البحر الأحمر ٢٠٠ كيلو متر، وضـلعها الغربـي ٢٠٠ كيلو متر أخرى، وهي منطقة تبلغ مساحتها ١٢,٥٠٠ كيلو متر

مربع تقريبا.

ولـــم تجد السياسة الإنجليزية مانعا من تغطية سياستها فى إقتطاع منطقة علبة بإقتراح ضـــم هذه المنطقة الفقيرة إداريا إلى أرض مصر بحجة واهية أن أغلب سكانها من البدو ينتمون إلى جماعات العبابدة، وجماعات العبابدة هذه تعيش فى مصر، فخير لأخوانهم فى السودان أن تطبق عليهم القوانين الإدارية ذاتها التي تطبق عليهم فى مصر.

وبـــناء علـــى ذلـــك نجد أن نفس القرار الذي أصدره وزير الداخلية فى ٤ فبراير سنة ١٩٠٢ يتضـــمن ضـــم المنطقة المحيطة بجبل بارتازوجا إداريا إلى مصر وهي منطقة لا تزيد مساحتها عن ٦٠٠كم٢.

٣ – منطقة كورسكو :

وهذه منطقة صحراوية أخرى أشد جفافا من المنطقتين السابقتين، ولكنها أرض مجاورة لـــوادي النـــيل، وتنحصر بينه وبين خط مستقيم يمتد من جبل بارتازوجا فى الجنوب حتى كورسكو الواقعة على نهر النيل فى الشمال، وقد بدأ للسياسة البريطانية أن ضمها للسودان قد يعود عليها بنفع مادي فأملت إرادتها وكان لها ما أرادت، وعدلت الحدود بحيث تصبح المـــنطقة تابعة للسودان من الناحية الإدارية. ولكن يظهر أن هذه المنطقة لم يوجد بها ما يســـتدل منه على أهمية خاصة ولم ينجم من ضمها إداريا إلى السودان نفع ظاهر ، فتقرر إعادتهـــا إلى الإدارة المصرية ، وصدر فى سنة ١٩٠٧ قرار بتعديل الحدود تعديلا يكفل إعـــادة المنطقة إلى مصر، وذلك يجعل الحدود الإدارية منطبقة على الحدود السياسية بدلا من أن تنحرف متجهة نحو كورسكو.

هذه نظرة سريعة إلى حدود مصر الجنوبية وإلى ما طرأ عليها من تعديلات إدارية فى الفترة التي أعقبت إمضاء الإتفاقية الخاصة بالسودان فى سنة ١٨٩٩ ، ومنها يستدل على أن مصـــر قد إقتطعت منها مساحات واسعة ضمت إداريا إلى السودان، وأن الحجج التي إعـــتمد عليها فى تبرير هذا الإقتطاع ليس لها سند من الواقع ، وإنما تمهيدا لضمها إداريا إلـــى الســـودان على إعتبار أن السودان سيبقى جزءا من إمبراطوريتهم غير أن مصر لم تكف عن المطالبة بإلغائها والإكتفاء بالحدود السياسية التي فرضتها إتفاقية سنة ١٨٩٩.

النزاع وحجج الأطراف :

وقـــد بـــدأ نزاع الحدود المصرية السودانية عام ١٩٥٨، وفى أواخر يناير على وجه الـــتحديد، وكـــان ذلك بمناسبة الإنتخابات فى السودان، وقانون الإنتخاب السوداني والذي أدخـــل شـــمالي حلفا وحلايب ضمن دوائر السودان، وفى نفس الوقت كان إستفتاء الوحدة المصـــرية السورية، وقد وضعت الحكومة المصرية الإقليم ضمن الدوائر المصرية، ثم لا ننســـى أن حكومة السودان فى ذلك الوقت كانت حكومة حزب الأمة ، وكان يرأسها السيد عـــبد الله خليل، وتبودلت المذكرات بين الحكومتين ووصل الأمر إلى حد إرسال السودان مذكـــرة لمجلس الأمن، على العموم يستند كل طرف فى مطالبه إلى عدة أسباب سنوجزها

فيما يلي:

١- أن له الحق فى المنطقة لأنها وضعت تحت الإدارة السودانية نحو ٦٠ عاما.

٢- حتى لو كان الحد إداريا ، فإن مصر عند إستقلال السودان عام ١٩٥٦ قبلت إدارة السودان لها ولم تطالب بها.

٣- فكرة التقادم قائمة على مبدأ الحيازة الفعلي وعدم وجود معارضة.

٤- فى إعتراف مصر بالسودان كدولة مستقلة عام ١٩٥٦ لم يكن لمصر تحفظات خاصة بالحدود ، خاصة وأن السودان أشار في مذكرته إلى مصر، أن يحتفظ بموقعه الحالي بالنسبة لجميع الإتفاقيات الدولية التي تمت أثناء الحكم الثنائي.

٥- مبدأ قدسية الحدود الموروثة منذ عهد الإستعمار.

ويتلخص رأى مصر فى :-

١- أن الحدود الدولية شيء والحدود الإدارية شيء آخر.

٢- مجرد الإدارة لا تكون سببا كافيا لإكتساب السيادة.

٣- التعديلات التي تمت كانت لتسهيل الإدارة ، ولذلك قامت بها وزارة الداخلية.

٤- لم تقم إتفاقية دولية بشأن هذا التعديل.

٥- سلم الطرفان المصري والسوداني على أن تقوم المساحة المصرية والجهات المعنية برسم خطين إداري ودولي.

٦- فى القانون الدولي لا يتم التنازل عن إقليم إلا بموافقة الأطراف المعنية، وبإجراءات معروفة.

٧- فكرة التقادم كثير من رجال القانون لا يأخذون بها.

٨- الوجود المصري كان ممثلا فى شركة علبة للتعدين وهي شركة مصرية، ومصر كانت هي التي تعطى تراخيص التعدين.

على العموم كان هناك إرتباط كبير بين إتفاق وإختلاف النظم على الجانبين وبين ظهور المشكلة وخفوتها.

نماذج لمشكلات الحدود فى آسيا وأمريكا اللاتينية

مشكلة كشمير

إشتهرت ولاية كشمير فى فترة الإستعمار البريطاني بأنها ملجأ للموظفين البريطانيين لقضاء إجازتهم صيفا، هربا من الحر اللافح، ومن الأمطار الموسمية، ثم أصبحت بعد عام ١٩٤٧ من مناطق الإنفجار السياسي فى العالم ، ومنطقة صراع مرير بين الدولتين

الجديدتيـن الهـند والباكسـتان وكشـمير، أو بالأصح ولايتي جامو **Jammu** وكشمير ومركـزى جليجت **Gillgit** ولادكه **Ladakh** يقع فى شمال باكستان الغربية أو بمعنى آخـر شـمال غربي الهند. من ثم أصبحت متاخمة للهند وباكستان وأفغانستان والصين. وتـبلغ مساحة المنطقة موضوع النزاع ما يزيد على ٨٢ ألف ميل مربع يعيش عليها ٤,٥ مليون نسمة ، ثلاثة أرباعهم من المسلمين.

ويغلب الإرتفاع على سطح كشمير، إذ يتراوح إرتفاعها ما بين الألف والألفى متر من الجـنوب الغربـي إلى سلاسل قراقورم فى الشمال حيث يربو الإرتفاع على الثلاثة آلاف مترا، ولا تظهر الأرض المنخفضة إلا فى ولاية جامو حيث يمتد شريط يقل إرتفاعه عن الألـف مـتر من جنوبها الغربي. أما ولاية كشمير فتقع شمال جامو بإرتفاع يتراوح بين ١٢٠٠، ١٥٠٠ مـتر ، وتضـم مدينة سريناجار **Srinagar** العاصمة نحو ٤٠% من السـكان، تجمعهم وتوحد بينهم الظروف الطبيعية والحضارية، فهم محاطون بالجبال من جوانب ثلاثة، ويتكلمون لغة واحدة ويدينون بالإسلام، أما جامو التي تقع إلى الجنوب وبها نحـو نصف السكان، فيتركز الهندوسيون منهم فى جنوبها فقط، بينما ينتشر المسلمون فى بقية أنحائها.

ويـرجع النزاع بين الهند والباكستان بشأنها إلى أغسطس عام ١٩٤٧، حينما كان على كل ولاية أن تقرر الإنضمام إلى أى الدولتين الناشئتين. ورغم أن الديانة السائدة فى كشمير هـي الإسـلام، إلا أن الأسرة الحاكمة هندوسية، ولم يبد حاكم كشمير أول الأمر رأيه فى الإنضـمام إلى أي من الدولتين، بل يظهر أنه أراد أن يبقى الحال على ما هو عليه بعيدا عـنها. ولما كان تقسيم شبه القارة الهندية، على أساس الدين فقد بدأت الثورة الداخلية ضد الإدارة الهندوسـية. وبـدأت جـيوش الهند تدخل كشمير لمساعدة المهراجا، وبدأت قوات الباكسـتان تدخل كشمير لمساعدة الشعب، وإستمر القتال بين الفريقين فى كشمير ما يزيد علـى العـام وأخيرا توقف القتال فى يناير عام ١٩٤٩ عند خط وقف إطلاق النار نتيجة لـتدخل الأمم المتحدة، وقسم خط وقف إطلاق النار كشمير إلى قسمين. بحيث أصبح ثلثي مساحة كشمير وأربعة أخماس سكانها تحت الإدارة الهندية بما فيها العاصمة سرينجار.

وظلـت كشمير مقسمة منذ عام ١٩٤٩ ، وذهبت جميع الجهود التي بذلت لحل النزاع سـدى ، إذ كانـت كـلا الدولتين تدعيان حقوقا فى المنطقة إستنادا على أسس أثنولوجية وإقتصـادية وسياسية وتاريخية . وأصبحت مشكلة كشمير من العقبات الرئيسية التي تقف فـى وجـه إسـتمرار الصداقة الهندية الباكستانية ، وحاولت الأمم المتحدة الضغط لعمل إستفتاء للسكان، ولكن هذه الرغبة كانت تعارض دائما من الهند.

وتستند باكستان فى مطالبها بكشمير إلى عوامل متعددة منها:

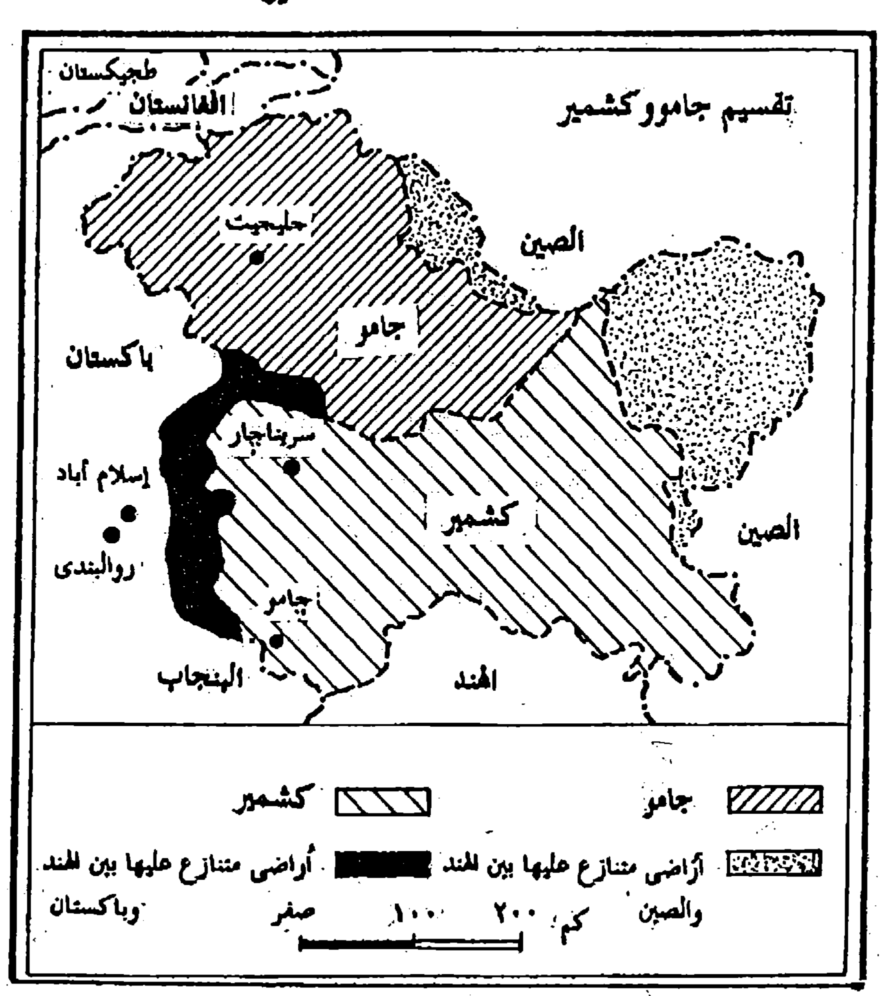
١- أن معظم السكان من المسلمين.

٢- إرتـباط كشمير بالسكك الحديدية والطرق بما يعرف فى الوقت الحاضر بباكستان الغربية وذلك قبل تقسيمها، من ثم كان توجيهها التجاري نحو الباكستان .

٣- أن ضم كشمير إلى الهند معناه تحكمها فى مياه السند ومدى إستفادة باكستان من مياهه فى الري وتوليد الكهرباء ، نظرا لأن أعالي السند وروافديه الرئيسيين يمران فى كشمير.

٤- أن ضم الهند لكشمير معناه تهديد للأمن القومي فى باكستان نظرا لعدم وجود حواجز طبيعية بين جنوبى كشمير وباكستان ، فضلا عن أن ضمها للباكستان ضروري للأمن فى أقليم الحدود الشمالية الغربية حتى لاتنفصل قبائل الباتان.

مشكلة كشمير



وتستند الهند فى ضمها إليها إلى عدة إدعاءات منها :

١- أن حكومة كشمير طلبت تدخل الهند رسميا عام ١٩٤٧.

٢- أن الحكومة الهندية قامت منذ عام ١٩٤٧ بمشروعات تنمية لكشمير كمد شبكة

كثيفة من طرق المواصلات البرية والحديدية مع الهند، فضلا عن مشروعات توزيع الأراضي.

٣- أن مستقبل كشمير يكون أكثر إبتساما إذا ما ضمت إلى الهند لما تحتويه من أسواق أكثر إتساعا، كما أنها أكثر تصنيعا من الباكستان.

٤- يمكن الإتفاق دوليا على مشكلة المياه التي تثيرها باكستان.

٥- يجب حماية مصالح المليون هندوسي الذين يعيشون فى جنوبي جامو.

هذا وقد سبق لنا دراسة إتفاقية مياه السند التي تمت بالإتفاق بين الدولتين والتي بمقتضاها صار نصيب الهند ٢٠% من مياه النهر، ونصيب الباكستان ٨٠% من هذه المياه.

وكانت هناك شبكة ري لنحو ٣٠ مليون فدان قبل التقسيم، قسمها الوضع الجديد إلى قسمين غير متعادلين: الثلثين فى باكستان والثلث فى الهند.

هذا وقد ظهرت إقتراحات متعددة لحل المشكلة نذكر منها:

١- إستفتاء يشمل كل كشمير، بشرط إنسحاب قوات الطرفين ولكن الهند كما ذكرنا رفضت الجلاء عن أقليم أصبح تحت قبضتها الفعلية.

٢- الإجزاء ذات الغالبية الهندوسية كجام ، والبوذية كلادكة إلى الهند والباقي إلى الباكستان.

٣- إستقلال كشمير عن كل من الجانبين، وهذا لاشك سيحدث فراغا كبيرا فى المنطقة.

٤- ضم كل جزء من كشمير بعد وقف إطلاق النار إلى الدولة المسيطرة عليه، وكان الرئيس نهرو من أنصار هذا الحل عام ١٩٥٦.

هذا وقد بذلت الهند جهدا كبيرا منذ ١٩٤٩ فى ربط الجزء الذي سيطرت عليه بإنفاق رؤوس الأموال هناك. وتوجيه التجارة نحو الهند ، وفى عام ١٩٥٧ أعلنت الهند ضم هذا الجزء إليها رسميا، ومن ثم زادت المشكلة تعقيدا ، لأن باكستان لاتعترف بهذا التقسيم، ولعل نقلها العاصمة إلى الشمال فى راوليندى يعكس إهتمامها بالمشكلة.

مشكلة الحدود الصينية

الحدود الصينية الهندية:

تمتد الحدود الصينية مع جبال همالايا، وفى أقصى الطرف الغربي مع سلاسل قراقورم، وبذلك تقطع مسافة ٢٥٠٠ ميل، بينما تقع هضبة التبت إلى الشمال من خط الحدود فيما عدا أقصى الغرب حيث توجد سنكيانج التي تفصلها قراقورم عن كشمير. ولا يخترق هذه المرتفعات سوى ممرات قليلة ، كما يسكن منطقة الحدود هذه عدد قليل من

السكان فيما عدا قسمها الأوسط المتاخم لنيبال وبهوتان وسيكيم. وتطالب الهند بأن يسير خط مكماهون، الذي قام السير هنرى مكماهون بالمفاوضات من أجله عام ١٩١٤ وإن كانت الصين لم تقبله فى أى وقت كحد بينها وبين الهند، كما أن معظم هذه الخطوط لم يحدد. وكانت الهند تواجه على طول حدودها الشمالية التبت شبه المستقلة وسنكيانج، ولكن منذ أن دخلت الشيوعية الصين عام ١٩٤٩، ودخول القوات الصينية التبت، وأصبحت الهند قوة سياسية وحربية لم تعهدها من قبل.

وعملت حكومة بكين لا على تقوية نفوذها فى التبت وسنكيانج فحسب، بل على الضغط للحصول على مكاسب من الهند.

وبدأت الصين تخترق خط مكماهون عام ١٩٥٤، ولكن الرئيس نهرو كان يفسر هذه العمليات على أنها سوء فهم، رغبة منه فى عدم قيام حرب، وكانت الهند من أوائل الدول التي إعترفت بالنظام الجديد فى الصين، وكانت ضمن المطالبين بإدخالها الأمم المتحدة، ورغم ذلك إحتلت الصين عام ١٩٥٩ بعض المناطق جنوب الخط المذكور، وظهرت الخرائط الصينية وعليها حدود جديدة جنوب التبت وسنكيانج، ومضيفه بذلك نحو ٥١ ألف ميل مربع إلى أراضيها. وكانت معظم الأراضي الجديدة هندية فضلا عن مساحات صغيرة من الباكستان وبهوتان، وقد عملت الهند منذ ذلك التاريخ على تقوية جبهتها الشمالية.

ويدعى الصينيون أحقيتهم فى ١٥ ألف ميل مربع من ولاية لاداخ ***Ladakh*** فى أقصى شمال كشمير حيث تمتد قراقورم الشرقية، وإحتلت القوات الصينية فعلا نحو ١٢ ألف ميل مربع فى منطقة النزاع، وبدأت الهند عمليات إصلاح الطرق وأعطت الأولوية لاعمال ١٧٠ ميلا من طريق سرينجار ***Srinagar*** عاصمة مركز لاداخ و٨٠ ميلا من لادكه شرقا إلى حدود التبت . وتعمل هذه الطرق على تنمية لاداخ إقتصاديا فضلا عن خدمة الأغراض العسكرية وفى نفس الوقت كان الصينيون يمدون جزءا من طريق يربط بين ***Cartok*** فى غرب التبت ويركند ***Yarkand*** فى غرب سنكيانج.

وقد إتفقت نيبال مع الصين على الحدود بينهما عام ١٩٦٠ وأن لم يتم الإتفاق مع بهوتان حيث يطالب الصينيون بمنطقتين أحداهما على حدود بهوتان الشمالية والأخرى فى جنوبها الشرقي وأخيرا تدعى الصين أحقيتها فى ٢٦ ألف ميل من أسام وجميع هذه الأقاليم موضوع النزاع تحتلها القوات الصينية من الناحية الفعلية.

هذا وإستمرت المنازعات المسلحة بين القوات الصينية والهندية من حين إلى آخر لمدة ثلاث سنوات ، ولكن الصين رمت بثقلها عام ١٩٥٨ فى لادكه وفى الشمال الشرقي، وأرغمت الهند على الإنسحاب من مساحات واسعة وخاصة فى لاكه، وتركت الهند حيادها وتوجهت إلى بريطانيا والولايات المتحدة طالبة المعونة العسكرية ولكن الصينيين لم يتابعوا التقدم، وأعلنوا خطا لوقف إطلاق النار، بعد أن إستولوا على مساحة ١٢ ميل مربع من شمال شرق لاداخ.

وقد يتسائل البعض ما غرض الصين من هذه المناطق رغم قلة أهميتها الإقتصادية وما الداعـــي لإثارة دولة كانت من أوائل الدول الصديقة لنظام الحكم فيها. هل ينوى الصينيون غـــزو الهـــند أم هو إستعراض لقوتها أمام أقطار جنوب وجنوبي شرقي آسيا ومهما كان التفسير.

إدعاءات الصين:

١- ويســـتند الصينيون فى دعواهم إلى خط مكماهون هذا لم يتم نتيجة مؤتمر تمت فيه مناقشة الموضوع، وإنما تحدد بتبادل المذكرات سرا فى نيودلهي عام ١٩١٤، بين الممثل البريطاني وممثل السلطات المحلية فى التبت قبل توقيع المعاهدة فى سملا فى ١٤ مارس من ذلك العام ، ووضع الخط على خريطة عامة للهند وأطلق عليه الحد الشمالي الشرقي، والخـــريطة ممهورة بتوقيع مكماهون وخاتم وتوقيع ممثل التبت، وليس على هذه الخريطة أى توقيع صيني.

٢- أن خط مكماهون لم يرسم أو يتعين بالمعنى الدقيق ، خاصة وأنه يجرى فى منطقة جبلـــية معقـــدة التضاريس جبال شاهقة متداخلة وأودية عميقة، ويرفض الصينيون إعتماد الهـــند على مبدأ خط تقسيم المياه، لأنه ليس العنصر الوحيد فى تعيين خط الحدود ، إذ أن الجـــزء الأكبر من الحدود شرقي لداخ يتبع قمم جبال هيمالايا. وفى الحق أن الخط يجرى فى منطقة حساسة أقرب إلى التخوم من الناحية الفيزيوغرافية أو الأنثربوجرافية، ولم يعمم ليتحمل ضغوط الحدود السياسية، وخاصة منطقة دخلت مرحلة المراهقة السياسية فبدلا من أن يجـــرى عند حضيض سلاسل الهيمالايا، يمر خلال هذه السلاسل ولا يمكن أن يكون فاصلا قوميا أو لغويا. . . إلخ.

إدعاءات الهند:

١- إن الخط المذكور جاء نتيجة إتفاقيات وأيدتها معاهدات ، وأن مبدأ تقسيم المياه ليس جديدا فى تخطيط الحدود وأن مندوب الصين كان حاضرا فى مؤتمر سملا، ولكنه لم يوقع لإعتراضه على حدود التبت الداخلية والخارجية (الداخلية تديرها الصين ، الخارجية تتمتع بإستقلال داخلى) لاعلى حدود الهند مع التبت.

٢- القـــول بأن حكومة الصين كانت ضعيفة حينئذ أمام القوة البريطانية فهذا مرفوض بدوره، فالقاعدة العامة تقول بقبول الحدود التقليدية التي جرى العرف على الإعتراف بها، عـــندما يصعب تحديد الحدود فى منطقة ما، ورغم تدخل ست دول أفريقية وآسيوية لإزالة الـــنزاع فى ديسمبر ١٩٦٢ (إندونيسيا، كمبوديا، بورما، سيلان، مصر، غانا) فلم تنجح تلك الوساطة . لماذا حدث النزاع ؟ من الواضح أن الإقليم موضوع النزاع لا يبرر النشاط العسكري الصيني فلماذا حدث فى إقليم صعب المرأس من الناحية العسكرية ؟ إن الإجابة فـــى الواقـــع تكمن فى ميدان الجيوبولتيك، ومدى إفادة الصين من سياستها العدوانية التي بدأتها فى هذا الإقليم ، منها:

* إثبات قوة الصين فى أسيا، بل وأرادت أن تثبت للعالم أن الحل الوحيد لجعلها تلتزم بمبادئ الأمم المتحدة هو قبولها فى المنظمة الدولية.

* إن مساعدة الغرب للهند فى هذا النزاع سوف يخلق مرارة للباكستان، من حلف جنوب شرقي آسيا هو فى حد ذاته مكسبا للصين ويتضح من الخرائط التفصيلية أن هناك ممرا يربط باكستان بسنكيانج ، وظهور محور صينى / باكستانى يعتبر أمرا على درجة كبيرة من الخطورة في هذه المنطقة من العالم.

* كان نهرو يتزعم معسكر عدّم الإنحياز فى آسيا ، وهو أمر لا يرضى عنه زعماء الصين فهم أحق بزعامة آسيا، وأن تخيف أقطار جنوب شرقى آسيا.

* إرادت أن تعزز مركزها على حدود الهند، وأن تؤمن سيطرتها على التبت بالسيطرة نهائيا على لداخ لأنها المنطقة التي تشرف على مواصلاتها الإستراتيجية مع التبت.

الحدود الصينية السوفييتية :

عندما وجد خروشوف أن الصينيين ينتقدونه بشدة فى تصرفه أزاء المشكلة الكوبية فى نهاية عام ١٩٦٢ لامهم على الصبر الذي يتحلون به ازاء إحتلال القوى الإستعمارية لهونج كونج ومكاو . وأثار هذا الصينيين، وذكروا الروس بأنه ليست بريطانيا والبرتغال وحدهما اللتين فرضتا معاهدات غير متكافئة مع الصين فى الماضي، بل أن روسيا القيصرية قد إعتدت أيضا على الأراضى الصينية . وقد عملت السياسة الصينية على ترك الحال على ماهو عليه ***Status quo*** حتى تنضج الأمور ويحين الوقت اللازم لإعادة النظر فى تلك المعاهدات وتساءلت الصين هل من نيه الروس حقيقة أثارة كل مشكلات المعاهدات غير المتكافئة وهل يعرفون نتائج إثارة هذا الموضوع وبدأت الصين إثارة موضوع جديد ليزيد من التوتر القائم بين الدولتين وهو النظر فى الأربعة آلاف ميل التي تمثل الحدود بينهما.

وعلى هذا الأساس تصبح الأقاليم موضوع النزاع ذات مساحات كبيرة فعلى مدى قرون طويلة فى التقدم نحو الشرق ضمت روسيا مساحة تقدر بنحو ٧٠٠ ألف ميل مربع من أراضى تدعى الصين أنها جزء منها ، فقد حصلت روسيا من الصين طبقا لمعاهدة ١٨٥٠ على مساحة ١٣٣ ألف ميل مربع وفى معاهدة ١٨٥٨ حصلت على مساحة ١٨٥ ألف ميل مربع. وقد ظهرت خريطة فى أحد المراجع الصينية عام ١٩٥٤ تبين الولايات البحرية للإتحاد السوفييتي فضلا عن جزء كبير من سوفيت وسط آسيا كأراضي صينية.

وزاد التوتر على الحدود الصينية الروسية فى سبتمبر ١٩٦٣ حين أتهم الصينيون الروس بالقيام بنشاط هدام على نطاق واسع فى إقليم سنكيانج، وإجبار عشرات الألاف من المواطنين الصينيين على الهجرة إلى الإتحاد السوفييتي، ورد السوفييت على هذا بأن الصينيين يعتدون على الحدود بإنتظام منذ عام ١٩٦٠.

وزادت مشكلة الحدود حدة عام ١٩٦٤، عندما أصر الصينيون على الوصول إلى حل

علــى أســاس المعاهدات الحالية، وإتهموا الروس بإثارة القلاقل فى مناطق الحدود، وكان موقف الروس ، أن أى مشكلات خاصة بالحدود يمكن تسويتها بسهولة، وليست لها أهمية كــبرى . وذهب وفد لمفاوضة بكين عام ١٩٦٤، ولكنه رجع بخفى حنين عندما وجد أن الصــين تطالــب بمساحة ٥٨٠ ألف ميل مربع من الأراضي السوفييتية وقد إتهم ماوتسى تونــج الإتحــاد السوفييتي علنا بالنوايا التوسعية، وأضاف " بأنه منذ قرن أصبحت جميع الأراضــى الواقعــة شرق بحيرة بيكال تابعة لروسيا، ومنذ ذلك الوقت أصبحت فلاديفاك وكمتشــتكا وغيرها أراضى روسية، ونحن للآن لم نطالب بتسوية هذا الوضع أما كوريل فواضح أنه لابد من رجوعها إلى اليابان " وإتهم ماو السوفييت أيضا بوضع منغوليا تحت ســيطرتها وبحشد سيطرتها وبحشد للقوات على الحدود الصينية، ومهما كان دافع الصين مــن أثارة مشكلات الحدود الروسية فإن الروس قابلوا هذا بإستعدادت دفاعية على الحدود الصينية لأي هجوم محتمل.

هــذا ويبدو أن هدف الصين هو تصعيد النزاع بينهم وبين الروس إلى ذروته أكثر من الرغبة فى إضافة أراض جديدة.

مشكلات شط العرب

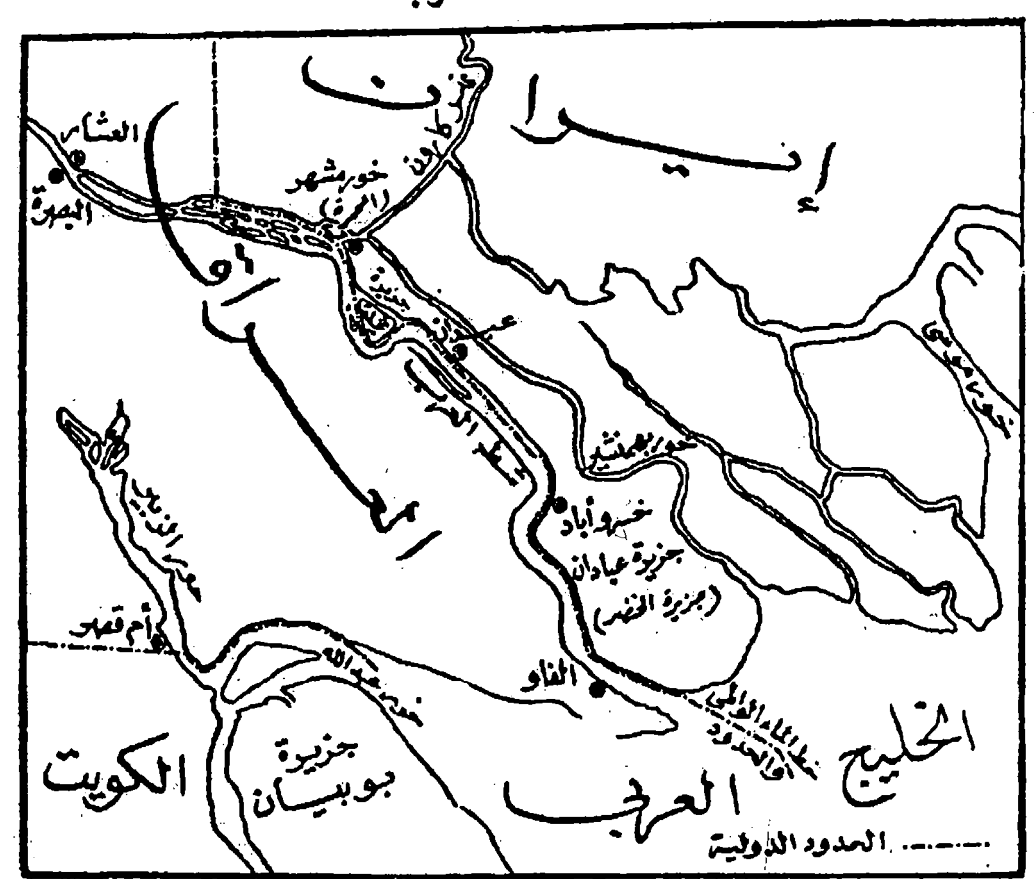
يــتكون **شط العرب** عند بلدة القرنة من **إلتقاء نهرى دجلة والفرات** ، ويبلغ بذلك طوله نحــو ٢٤٠ كيلو مترا حتى مصبه فى الخليج العربي، ويبلغ عرضه عند المصب أكثر من كــيلو متريــن ، بينما يضيق عند البصرة إلى حوالي الكيلو متر الولحد، ويتأثر بحالة المد والجــزر حوالــي ١,٧٠ مــترا فى الصيف ، ويقل إلى ٢٥سم فى الربيع، أى فى موسم الفيضــان . **ويمــثل شــط العرب جزءا من مشكلة الحدود الإيرانية العراقية.** ولا يرجع الإتفــاق علــى هذه الحدود إلى تاريخنا المعاصر ، وإنما إلى التاريخ الحديث حينما كانت الدولــة العثمانــية تبسط نفوذها على العراق، والدولة الصفوية تبسط نفوذها على فارس، وكــان شــط العرب وجميع الأراضي على ضفتيه جزءا من الدولة العثمانية خلال قرون عديــدة، ولــم يكــن موضع نزاع بين الدولة العثمانية والدول الفارسية حتى عقد معاهدة أرضــروم الثانية عام ١٨٤٧ وبمقتضاها تنازلت الدولة العثمانية عن المحمرة وجزء من أراضــيها الواقعة على الضفة اليسرى لشط العرب لمصلحة فارس . وأيدت لجنة الحدود عــام ١٩١٤ خضــوع شط العرب للدولة العثمانية " يسير خط الحدود فى شط العرب مع مســتوى المــياه المنخفضة فى الشاطئ الفارسى ، بإستثناء قسم منه يتاخم ميناء المحمرة ويــبلغ طوله نحوا من سبعة كيلومترات حيث تسير الحدود فى وسط مجرى شط العرب . كمــا ســمحت الدولــة العثمانــية بناء على علاقات حسن الجوار بحرية الملاحة للسفن الفارسية.

وإعترفــت إيران بصحة تسوية الحدود فى معاهدة ١٩٣٧ " بأن يكون خط الحدود هو نفس الخط الذي تم تخطيطه من قبل لجنة تخطيط عام ١٩١٤ ماعدا إستثناء مؤداه بتنازل العــراق عن جزء صغير من شط العرب مقابل عبدان يسير خط الحدود فيه مع المجرى الملاحي لمسافة ٧ كيلو مترات لإتخاذه كمرسى للسفن الإيرانية.

ولكـــن الحكومة الإيرانية لا تقتنع بهذا بين الحين والحين ، ورأيها أن يمتد خط الحدود مـــع المجـــرى الملاحـــي **Thalweg** وأعلنت فى عام ١٩٦٩ إلغاء معاهدة ١٩٣٧ من جانبها وصحب هذا حشود عسكرية على طول خط الحدود.

ويستند العراق فى دعواه إلى أن هذه الحدود تستند إلى معاهدات إعترفت بها الحكومة الإيرانـــية، ومن ثم يجب إستبقاء الوضع الراهن **Status quo** حيث يجرى تطبيق هذا المـــبدأ على أساس مبدأ **uti-possidetis** وهو إصطلاح مستعار من القانون الروماني يشير إلى أمر من القاضى " يحذر فيه من المساس بالوضع الراهن بملكية العقارات الثابتة وذلك فيما يجرى بين الأفراد " ويزداد هذا المعنى تأكيد فى القانون الدولي عندما يقول مبدأ **uti possidetis** " طالما أنك تملك بالفعل فمن حقك أن تستمر فى الملكية " وإذا تركنا القـــانون الدولي جانبا ولجأنا إلى الحقائق الجغرافية سنجد أن خط الحدود فى هذه المنطقة لايتفق والظروف الجغرافية طبيعية أو بشرية ، ذلك أن خط الحدود العراقية الإيرانية فى الشمال يسير مع سفوح جبال زاجروس فاصلا بين القومية العربية وبين القومية الإيرانية، ولكـــن الحـــدود السياسية إبتداء من هذه المنطقة تفترق عن خط الجبال وتتجه رأسا حتى تقـــابل شـــط العـــرب وسط منطقة من المستنقعات أى تبتعد عن السلسلة الجبلية ، من ثم إغتصـــبت منطقة عربية (عربستان) لتصبح جزءا من إيران بعيدا عن كتلتها الأصلية فى العراق.

مشكلة شط العرب



تســوية عام ١٩٧٥: وقعت إشتباكات مسلحة عام ١٩٧١ وثارت حدة مشكلة الأكراد، وأعقــب ذلك زيادة التوتر والقصف المتبادل (١٩٧٣ / ١٩٧٤)، وكان عام ١٩٧٤ . . هــو عام التمهيد للتسوية ، ومعاهدة ١٣ يونيو ١٩٧٥ ، وفيها إرتضى الطرفان أن يفصل بينهما فى شط العرب خط الوسط للمجرى الملاحي الرئيسي عندما يكون الجزر فى الشط عند أدنى نقطة، وبذلك يتغير حسب الخط الملاحي الرئيسي تغيرا طبيعيا فقط.

مشكلة صحراء أتكاما

وتعتبر من المشكلات الرئيسية التي تعرضت لها أمريكا اللاتينية، وتبدو أهمية المشكلة فــى إشتراك أكثر من دولتين فى النزاع على منطقة واحدة ، وهذه الدول هي بيرو وشيلى وبوليفــيا، فضـــلا عن أن المشكلة إتخذت شكل النزاع المسلح، وكانت نتيجتها فى صالح المعتدى.

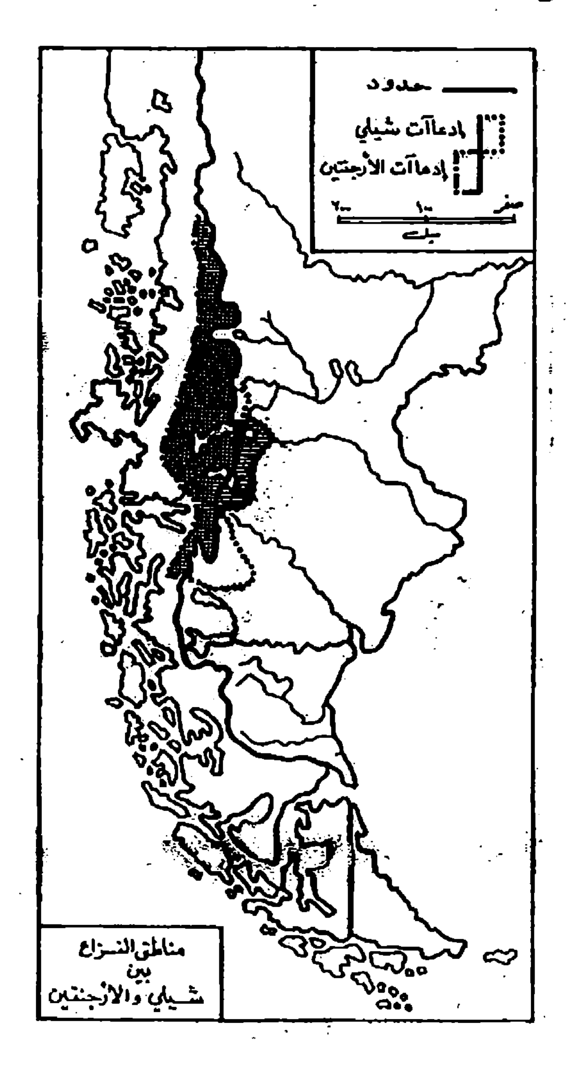
فقــد كـــان القســم الشــمالى من صــحراء أتكاما تابعا لبيرو قبل عام ١٨٧٠، بمــا فـــى ذلك ميناء أريكا ***Arica*** وواحة تكنا ***Tacna*** القريبة مــنه، هـــذا بينما كانت سيادة بوليفيا علـــى القســم الأوسط من الصحراء، ويتــبع القســم الجنوبي منها شيلى، وكانــت الإهمــية الإقتصـــادية لهذه الصـــحراء ضــئيلة، اللهم من تعدين بعض الذهب والفضة، ثم زادت هذه الأهمــية فجــأة بعــد تعدين رواسب نـــترات الصـــوديوم، وأدى هذا إلى صـــراع كـــل دولة لمد نفوذها على الإقلــيم، وكانت حكومتا شيلى وبيرو قـــد نشطتا فى إستغلال الأملاح التي أصــبحت لهـــا شـــهرة عالمـــية فى الخـــارج، بينما إكتفت حكومة بوليفيا بجمـــع الضـــرائب علـــى مؤسسات التعديـــن التابعة لشيلى وبيرو والتي تعمـــل فـــى أرضـــها، ونظرا لعدم وضوح الحدود، والرغبة فى الكسب السريع، تطور الأمر إلى صراع كان مـــن نتيجـــته حرب مريرة إستمرت خمـــس ســـنوات (١٨٧٩-١٨٨٤)،

هاجمت فيها شيلى جارتيها ، وحالفها النصر فى كثير من المواقع ، وكانت نتيجة هذه الحرب فقد بوليفيا لإقليمها الساحلي بما فيه ميناء أنتوفجستا مخرج بوليفيا الوحيد إلى المحيط، وإمتدت حدود شيلى شمالا على ساحل الباسفيك حتى ميناء أريكا من ثم أصبح كل نترات الصوديوم ملكا لشيلى، وجنت شيلى أرباحا ضخمة من تصدير نترات صحراء أتكاما. وكان لإنقطاع بيروعن البحر أثره الخطير على إقتصادها لإعتمادها على تصدير المعادن. وأخيرا أعتبر ميناء أريكا حرا لمرور لتجارة بوليفيا الخارجية.

أما العلاقات بين شيلى وبيرو فقد ظلت متوترة فترة من الزمن، ذلك أنه بمقتضى معاهدة السلام بين شيلى وبيرو والتي أنهت حرب الباسفيك، كان المفروض عمل إستفتاء فى إقليم تكنا أريكا لتحديد وضعه بين الدولتين، ولكن شيلى عارضت عمل هذا الإستفتاء، ولم تحل المشكلة إلا بعد ضغط دبلوماسى من الولايات المتحدة الأمريكية، أدى إلى تقسيم الإقليم بين الدولتين، بحيث ضمت "تكنا" إلى بيرو.

حدود شيلى وأرجنتين

ويضرب بهذا النزاع المثل فى إختلاف تفسير التعبيرات الجغرافية، ذلك أن جبال الأنديز يضرب بها المثل كحد طبيعي بين الأرجنتين وشيلى، وإن كانت فى أقصى الجنوب لا تبلغ من الأرتفاع بمافيه الكفاية لتصبح حاجزا منيعا. ويحدد الخط الفاصل بين الدولتين، المادة الأولى من معاهدة شيلى – أرجنتين عام ١٨٨١، وتقول هذه المادة " بأن خط الحدود يسير على أعلى القمم الجبلية والتي تقسم المياه فى نفس الوقت، ولكن لسوء الحظ كان الخط الذي يصل بين أعلى القمم، ليس بخط تقسيم المياه فى جميع الأحوال وخاصة فى القطاع الجنوبي منها، ذلك أن بعض المجارى المائية التي تنحدر غربا قد نحتت مجاريها العليا تراجعيا بحيث أصبحت تصرف مياهها على السفوح الشرقية، وأدعت حكومة شيلى بأن أعلى القمم المقصودة بها أعلى القمم التي تقسم المياه، وبين هذه القمم لابد وأن يتبع الحد السياسي خط تقسيم



المــياه، أمــا أرجنتين فقد ردت بأن المقصود من أعلى القمم هو نفس اللفظ فى حد ذاته، وكادت الحرب تنشب بين الجانبين، لولا أنهما إتفقا على تحكيم إنجلترا، التي قسمت الإقليم موضــوع الــنزاع، وهدأ الحال عام ١٩٠٢ بين الجارتين ، وأقام سكان شيلى والأرجنتين تمــثالا للمسيح، أطلقوا عليه مسيح الأنديز فى ممر أوسبالاتا ***Uspllatta*** على الطريق الرئيسي الذي يخترق الجبال بين بوينس أيرس ووسط شيلى.

الفصل الثالث

المياه الإقليمية

رأينا في خريطة العالم السياسية أن هناك واحدا وثلاثين دولة ذات حدود برية تماما والباقي يطل بدرجة أو أخرى على البحر، منها ما هو محاط بالبحر تماما كملاجاشي أو نيوزيلند أو اليابان، ومنها ما يطل عليه لعدة أميال قليلة كما هو الحال في العراق أو الأردن. ولكن مهما صغرت أو كبرت الواجهة التي تطل بها الدولة على البحر فهناك مشكلة المدى البحري الذي يمكن لدولة أن تمد عليه سيادتها.

وتختلف السيادة على البحار عنها في اليابس في كثير من الوجوه . فالبحر ليس عليه سكان ثابتون مستقرون، وتنحصر موارده(بإستثناء المعادن التي قد توجد في قاعة أو مائة) في ثروته السمكية، فالسيادة هنا تنحصر في منع الآخرين من الصيد وإستخراج المعادن والملاحة البحرية فيه أو الجوية فوقه. وقد ظهرت كثير من الإدعاءات والمنازعات حول السيادة البحرية فيه خلال العصور المختلفة، في القرن السادس عشر أدعت كل من أسبانيا والبرتغال السيادة على مساحات واسعة من المحيط. وكان القانون الهولندي ***Hugo Grotius*** أول من أشار في كتابه (حرية البحر) إلى أنه لا يمكن لدولة ما أن تفرض سيطرتها وتحكم البحار المفتوحة ، وكان ذلك في القرن السابع عشر، وأدعى الكتاب البريطانيون في ذلك القرن بملكية بريطانيا للبحار المحيطة بها والتي تفصلها عن أوروبا، غير أن قانوني هولندي كان أقرب إلى الأفكار الحديثة في كتابه (السيادة البحرية ***De Domminio Maris***) الذي نشره عام ١٧٠٢، إذ قال أنه بينما البحر ملك للجميع إلا أن السيادة على المناطق البحرية المجاورة من حق الدولة المطلة على هذا البحر، وحدد مسافة هذه السيادة بالمدى الذي تصل إليه طلقة المدفع، ثم بدأ يظهر الإتجاه تدريجيا نحو حرية البحار، حتى بدأت حرية البحار تصبح مبدأ أساسيا مع بداية القرن التاسع عشر، فأعالي البحار ملك للجميع، فحتى لو كان هناك دولة قوية بدرجة كافية لإمتلاكها، فإن مطالبتها بفرض سيادتها عليها لا يمكن الإعتراف بها لا لصعوبة الإمتلاك الفعلي لها، بل لأنه ليس هناك سبب معقول ووجيه لهذه الملكية.

ولقد بدأ الإقتراح الذي ذكره القانوني الهولندي عام ١٧٠٢ بأن الدولة يمكن أن تمارس حقوق سيادتها على البحار المجاورة في حدود مدى طلقة المدفع، بدأ يلقى قبولا لدى معظم الدول . ولكن هذه المسافة كما تعلم متغيرة تبعا لحجم ونوع المدفع، وما إذا كان المدفع فوق ربوة أو على الشاطئ، مثل هذه الأمور لم تناقش أول الأمر، وفي نهاية ذلك القرن الثامن عشر إتفق على ثلاثة أميال يمكن أن تمثل أقصى مدى للمدفعية، وبعد هذا ندخل في منطقة أعالي البحار الخارجية عن نفوذ الجميع. ولازال هذا المبدأ متعارف عليه في كثير من الحالات، وأن كان البعض قد زحزح هذه المسافة إلى ٦,٤ ثم ١٠ أو حتى ١٢ ميلا. وأخيرا كان لظهور الصواريخ عابرة القارات أثره في جعل أي إدعاء للسيادة، يستند على حماية منطقة بحرية من البحر أمرا غير ذي موضوع.

وقد حاولت بعض الدول الكبرى أن تضع حدا لهذه الفوضى، وأن تفرض قاعدة الثلاثة أميال كقاعدة عامة، لكن هذا الإقتراح لم يصادف قبولا من الكثيرين وإستحال الإتفاق على شئ بهذا الخصوص، ولم يكن مؤتمر جنيف عام ١٩٥٨ أوفر حظا من مؤتمر لاهاى عام ١٩٣٠ ، وكانت النتيجة أن أقر المؤتمر إتفاقية المياه الإقليمية دون تحديد لعرض البحر وإستمر عدم الإتفاق بعد ذلك في مؤتمر البحار الذي عقد عام ١٩٧٣ ، وظهر أن ٥٠,٥% من مجموع الدول التي حضرت المؤتمر وعددها ١١١ دولة طلبت أن تكون عرض المياه الإقليمية ١٢ ميلا بحريا، ٩% طالبت بأن يكون ٦ أميال بحرية، ٢٢,٥ % فقط هم الذين يوافقون على ثلاثة أميال ولكن في نفس الوقت كان هناك ما يقرب من ٧,٢ % يطالبون بعرض ٢٠٠ ميل ومعظمها من دول أمريكا اللاتينية.

وهكذا تنوع الإختلاف ، بل أن تركيا طلبت أن يكون عرض مياهها الإقليمية ١٢ ميلا على البحر الأسود، ٦ أميال على البحر المتوسط ، بل وبعض الدول مثل نيكارجوا ولبنان لم تتقدما بأى أرقام. بل وهناك بعض دول تطلب أن تتعدى مياه الصيد المياه الإقليمية أي أن تكون الأولى أكثر إتساعا من الثانية، ومن أهمها دول غرب أوربا التي تطالب بأن يمتد نطاق الصيد أكثر من ١٢ ميلا ماعدا المملكة المتحدة التي تطالب بأن يقل عن هذا.

وهكذا بدأ إنتشار طلب المائتى ميل لأن تكون مياه صيد حينا، ومياه إقليمية حينا آخر في أواخر السبعينات، وإذا فرض وإتفق على هذا الحد فمعنى هذا أن ٣٠% من البحار والمحيطات سوف تخرج من نطاق أعالي البحار، وسوف تخضع كل الممرات والبحار والخلجان بين الجزر والقارات تحت السيادة القومية ، ومن الطريف أن الإتحاد السوفييتي والولايات المتحدة الأمريكية بالأخذ بحد الإثنا عشر ميلا على نطاق عالمي، وحتى إذا إتفق على هذا الحد سنجد أنه سيضع جميع الممرات البحرية التي يقل عرضها عن ٢٤ ميلا تحت السيادة الإقليمية، كالقنال الإنجليزي وهو واحد من أكثر الممرات العالمية حركة، نظرا لأن إتساعه من دوفر إلى كاليه إثنان وعشرون ميلا ، لذلك يتطلب هذا مجموعة من الضمانات الدولية.

وفي ظل هذه الظروف فإن إتخاذ حد الإثنا عشر ميلا تعتبره الدول التي تطالب بمائتي ميل هزيمة لها، كما تدخلت العوامل الأيديولوجية في الصورة فالصين الشعبية مثلا أيدت بقوة طلب المائتى ميل.

كيف يحتسب عرض المياه الإقليمية؟

هذا ويحتسب عرض المياه الإقليمية من آخر نقطة تنحسر عنها المياه وقت الجزر بالنسبة للشاطئ الطبيعي أو من وراء الحواجز أو الأرض التي تحيط بالمواني أو الأحواض البحرية، وتختلف الآراء بشأن المياه الإقليمية، فمنهم من يرى أنه لابد وأن توازى الشاطئ في تعاريجه، ومنهم من يرى أن تحدد بخطوط مستقيمة تقابل الخطوط الممتدة بين الرؤوس البارزة من الساحل.

هذا وإذا وجدت جزر في المياه الإقليمية، فإنها تعتبر جزءا من الإقليم ويصبح لها

مــنطقة إقليمــية إضافية، من ثم تبدأ المياه الإقليمية لدولة كالنرويج كثيرة الجزر بعد هذه الجزر.

وظيفة المياه الإقليمية:

لعل عامل الدفاع له الإعتبار الأول في وظائف المياه الإقليمية. فالدولة لها حق تفتيش الســفن الغربية، ومنع سفن الأعداء من الإقتراب منها بل لها حق إقامة أعمال دفاعية في البحر كبث الألغام مثلا، ولهذا الحق كانت هناك وظائف أخرى كمنع التهريب، والتهريب عملــية قديمة عرفتها جميع الشعوب منذ أن ظهرت قوانين لتنظيم التجارة. وطالما كانت وسائل الدفاع سابقا فإذا كانت هذه هي الوظيفة الوحيدة الآن، فلاشك أنها ليست بذات أهمية بعــد وسائل التسليح الحديثة. وقد قامت مواقع حربية بين الحكومات والمهربين. لذلك فمن ضــمن الأســباب التــي إستندت إليها الدول في السيادة الإقليمية هو منع التهريب فقد أقر الــبرلمان البريطانــي حــق السفن البريطانية في تفتيش أى سفن غريبة تحوم حول البلاد لمسافة فرسخين (٦ أميال) من الشاطئ، ثم إمتد هذا الحق فيما بعد إلى ٤,٣ فراسخ حتى وصل إلى ١٠٠ فرسخ من الشاطئ، وهذا فيه مبالغة بطبيعة الحال. وقد انتهى هذا إلى أن ٩ أمــيال فــيها الكفاية بالنسبة لبريطانيا، أما بالنسبة للولايات المتحدة أقرت ٤ فراسخ أو (١٢ مــيل) من الشاطئ عام ١٧٩٠ ، وطالبت أسبانيا ١٨٧٣ــ ١٨٧٥ بمسافة ٦ أميال بحرية (١).

ثــم تــأتى مشــكلة تلوث المياه الساحلية، وهذه ظهرت بصورة كبيرة بعد زيادة أعداد الســفن مــن ناحية وزيادة النشاط البحري التجاري وزيادة نقل زيت البترول، وأصبحت مخلفــات هذه السفن ونفاياتها خاصة من الزيوت تشكل خطرا جسيما على المياه الساحلية، مــنها مثلا الحرائق التي قد تنشب فوق هذه المسطحات الزيتية ثم تأتى الرياح وتدفع هذا المســطح الزيــتى الملتهب إلى هذا الشاطئ أو ذاك ومنها أن هذه الزيوت تجعل المناطق التي تغطيها غير صالحة لحياة الأسماك فتقضى عليها وتفنيها.

ولا تظهر مشكلات مياه إقليمية في مسائل صيد الأسماك مادامت سفن الصيد صغيرة، ولا تتحمل الرحلات البحرية الطويلة ، ولكننا في العصر الحديث أمام سفن صيد ضخمة، تجوب أعالي البحار بحثا عن الأسماك لشدة الطلب عليها كعنصر غذائي مما غير الوضع، مــن ثــم لم تظهر مشكلات حول الصيد في العصور الوسطى حتى القرن الماضي، فحق الدولــة في الصيد من مياهها حق لا يناقش، أما الصيد من مياه دولة أخرى فتكون عاقبته القــبض علــى الصائد وتوقيع الغرامة عليه، ومثل هذه القضايا معروفة في محاكم المدن الساحلية في غرب أوربا وهذا لا يمنع أن تسمح دولة لسفن أجنبية بالصيد في مياهها ولكن بشــرط أن تكون قد نصت على ذلك إتفاقية أو معاهدة وإن كانت بعض الدول تعجز عن إستعمال هذا الحق ، فهناك إجماع بين دول غرب أوربا على الصيد في مياه أيسلند وكذلك الحــال في مياه إستراليا الشمالية غير المحمية والتي كان يستغلها الصيادون اليابانيون قبل

---

(١) الميل البحري أطول من الميل الأرضي إذ يساوى ١,١١٤ ميل أرضى أو ٦٠٨٠ قدما.

الحرب العالمية الثانية.

وفـــي السنين الأخيرة طالبت كثير من الدول الساحلية بحظر الصيد في المياه الإقليمية وإستندت في هذا إلى إعتبارين، أولهما حماية حرفة صيد الأسماك في الدولة، والثاني منع إخـــتفاء وإنقراض أنواع معينة من الأسماك . ولذلك طرد الصيادون اليابانيون بعد الحرب العالمية الثانية من مياه بحر أوختسك، كذلك طالب صيادو كوريا الجنوبية بالصيد في بحر اليابان، وعززوا مطالبهم بإستعمال قوارب الصيد المسلحة. وفي الحق لقد أصبحت البحار والمحيطات تكون جزءا رئيسيا من حياة الإنسان بعد أن زاد عدده وأنهك الأرض الصالحة للإستغلال في كثير من المواضع، وبعد التقدم التكنولوجي الرهيب الذي بلغه، والمنتظر أن يزداد النزاع في العقود القادمة لإستخراج المعادن من قاع البحر والتسابق على المحيطات **Scramble for the Oceans**.(١)

النزاع في البحار الشمالية:

هـــناك بعض أقطار تعتمد إعتمادا كبيرا على الصيد البحري **كأيسلند** التي تعتبر حالة متطرفةً من هذا النوع، وذلك أن ١٤% من مجموع إنتاجها القومي من الأسماك كما تمثل الأسماك ومنتجَاتها ٩٠% من صادرات البلاد.

وقـــد أعلنـــت حكومـــة أيسلند أن مياهها قد أجهدت صيدا، وطالب البرلمان الأيسلندى الحكومة بمد سيادتها البحرية حتى نهاية الرصيف القارى، ولم تفعل هذا بل حددت مسافة ٤ أمـــيال عام ١٩٥٢، ثم زادتها بعد ٦ سنوات إلى ١٢ ميلا بحريا، وبطبيعة الحال ليس للســـفن الأجنبية حق الصيد في هذه المناطق. ونظرا لأن المياه الأيسلندية كانت تزار من قـــبل بواســـطة العديد من سفن الصيد الأجنبية وخاصة البريطانية والألمانية، إذ يأتى نحو ١٣% من صيد شمال غرب أوربا من مياهها ، فقد قوبل قرار ١٩٥٢ بالإحتجاج وخاصة مـــن بريطانيا، ثم جاء قرار الإثنا عشر ميلا بمثابة إعتبار مساحة تقدر بنحو ٦٦٠٠ ميل مـــربع محـــرمة علـــى الصـــيادين الأجانب، بل وحرمتهم من معظم صيدهم من الباكلاه والهـــادوك. ولذلـــك إتجهـــت سفن الصيد البريطانية في موسم ١٩٥٨ للصيد داخل حدود الإثنى عشر ميلا تحت حماية القوارب المسلحة وعرفت هذه الحوادث بإسم حرب البكالاه **Cod war**، وإذا كان هذا ليس من حق ايسلند، إلا أن الرأي العام العالي، وضع إعتبارا لوضع أيسلند الإقتصادى، وإعتمادها على الأسماك، وقبلت بريطانيا ذاتها هذا الحد ، وبينما لـــم يصـــل الـــنزاع البريطاني الأيسلندي إلى محكمة العدل الدولية، فإن **النزاع البريطاني النرويجـــي** عـــرض عليها، ذلك أن كثيرا من خطوط القاعدة في النرويج التي عينت عام ١٩٣٥، كانت تبعد عن الساحل لمسافة أكثر من ١٠ أميال أحيانا ، ثم كانت المياه الإقليمية تمتد بعد ذلك لأربعة أميال، مما دفع بالسيادة النرويجية إلى مياه إعتادت السفن البريطانية الصـــيد فـــيها، وعـــندما عرض الأمر على المحكمة الدولية عام ١٩٥١، خذلت المحكمة بريطانيا وإنتصرت للدولة الساحلية على الدولة الدخيلة مرة أخرى، وهكذا فإن النزاع في

(١) أصبح العالم الآن يستخرج من ١٨% إلى ٢٠ % من ثروته النفطية من قاع البحر .

معظم الأحوال ينشأ بين الدول التي تأتى سفنها لتغترف من مياه دولة أخرى.

وقامـــت حرب السمك أيضا بين كندا وأصدقائها، فقد بدأت مشكلة نقص السمك عندما لوحـــظ إنخفـــاض حاد في صيد الأسماك في منطقة " الرصيف القاري " القريبة من إقليم نيوفوندلاند وقد أثبتت الدراسات في ذلك الوقت أن السفن الأجنبية، وأغلبها قادمة من أوربا خاصة من أسبانيا والبرتغال ــ ذات التاريخ العريق في القرصنة ــ تقف على حدود المياه الإقليمية الكندية والتي تبلغ مائتي ميل من الساحل ، وتقوم بإستنزاف الثروة السمكية بصيد كميـات مـــن السمك أكثر من المسموح بها، وإستخدام أنواع من الشباك المحرمة دوليا، والتي تسمح لها بصيد الأسماك الصغيرة الحديثة الولادة قبل أن يكتمل نموها، أو يتاح لها أن تتوالد، وبعض هذه السفن تتسلل في الظلام داخل المياه الإقليمية، وإستمرت هذه العملية من القرصنة المنظمة لسنوات طويلة ، ولم تتنبه لهذه الجريمة التي ترتكبها هذه السفن في حـــق الثروة السمكية التي تمثل أكثر من ٣٠% من الدخل القومي لأقاليم كندا البحرية أو الأطلنطـــية، وكـــان على الحكومة الفيدرالية التي تقع عليها مسئولية تحديد سياسة الصيد والمصـــايد أن تبحث عن علاج حاسم لمواجهة هذه المشكلة، وصدر قرار بتحديد كميات السمك المسموح بها للسفن الكندية من الأسماك الأرضية، وحاولت كندا التفاوض مع الدول الأوربـــية بشرح حقيقة الكارثة التي تهدد مصايد كندا، وتنذر بالقضاء على واحدة من أهم الـــثروات لكـــن المفاوضات لم تسفر عن أية نتائج إيجابية وفي شهر يونيو عام ١٩٩٢، صـــدر أول قانون في كندا يمنع الصيد في عدد من المصايد ، ثم صدر قانونان آخران في عامـــي ٩٣ و ٩٤ بتحريم الصيد في عدة شهور من السنة ، وقد أسفرت هذه القوانين عن إغـــلاق ٧٥ مصنعا لتعليب وتجميد الأسماك، وتحول ما يقرب من أربعين ألف عامل إلى الوقوف في صفوف البطالة.

ولجـــأت كندا إلى كافة الطرق الدبلوماسية في محاولة منها لحل هذه المشكلة بالتفاوض مـــع حلفائهـــا الأوربيين، وعندما فشلت لجأت إلى الأمم المتحدة، وأعلنت أمام ممثلي دول العـــالم أن ســـفن أوربـــا تسرق وتستنزف ثروتها السمكية، وقد إضطرت مطالبة المنظمة العالمـــية إتخاذ قرار يمنع دول أوربا من إستخدام شباك غير قانوني، وبإحترام الإتفاقيات الدولية التي أقرتها منظمة صيادي شمال غرب أوروبا، وكما فشلت الأمم المتحدة في حل الحـــروب الأهلـــية فـــي البوسنة والصومال وراواندا فشلت أيضا في أزمة السمك الكندي وكان على حكومة أوتاوا، وتحت ضغوط من الرأي العام من الصيادين الضحايا أن تبحث عن حل لهذه الكارثة القومية وتتصرف بمفردها.

عقد إجتماع في هاليفاكس ــ عاصمة أقليم نوفا سكوشيا الذي يستخرج من مياهه سنويا ٤٠% حصـــيلة العالم من الأسماك القشرية مثل الجمبرى والكابوريا بالإضافة إلى أسماك الســـلمون والتونة، وخلال الإجتماع الذي تم أعلنت حكومة أوتاوا الحرب على القراصنة مـــن لصوص السمك الأوربيين، وتقدمت إلى مجلس العموم بقانون يسمح لقواتها البحرية بالقـــبض علـــى أى سفينة خارج المياه الإقليمية، وأعلن وزير المصايد بأنه لم يعد أمامنا سوى أن نحمى البقية الباقية من إحتياطى السمك، وإلا فأن أسماكنا سوف تختفي إلى الأبد،

وأقـر مجلس العموم القانون الجديد بعد أيام، وأثار القانون زوبعة سياسية في دول أوربا، إحتجاجا على قرار الحكومة الكندية، وقد تبين من الدراسات التي قامت هناك، أن القرصنة وسـرقة السـفن الأجنبـية للأسماك ليست هي السبب الوحيد للكارثة التي أصابت أسماك الأطلنطي الكندية.

فقـد كشف علماء التغذية أن هناك فيروسات تصيب الأسماك، لم تكن معروفة من قبل تنتقل إليها ـ في الغالب ـ من المياه الملوثة في بعض المناطق من سفن الصيد التي تلقى بمخلفاتها، مما يقتضي مراقبة شديدة لهذه السفن.

على العموم السائد الآن هو الإتفاقات التي تنظم الصيد بين الدول المعنية كإتفاقية تنظيم بيـن إنجلـترا، والدانمـرك حول جزر فارو، وكإتفاق تنظيم صيد السالمون بين الولايات المـتحدة الأمريكـية وبين كندا في منطقة شمال غرب الباسفيك، وترخيص البرازيل عام ١٩٧٠ لخمسـين سفينة من ترينداد بصيد الجمبري في مياهها التي تمتد لمسافة مائتي ميل وهذا معناه إعتراف صريح بهذا الحد.

النزاع في حوض البحر المتوسط :

إذا إنتقلـنا إلـى حـوض البحر المتوسط تظهر عدة منازعات إقليمية ، قد تصعد إلى مواجهـات وإن كانـت ليسـت بالخطيرة، كان أكثرها خطورة على سبيل المثال **النزاع المغربي الأسباني** الذي يرجع إلى عام ١٩٧٢ عندما أنكرت دولة المغرب إتفاقا مع أسبانيا وقـع عام ١٩٦٩ بشأن صيد الأسماك، وبدأت دوريات الحراسة المغربية في القبض على سـفن الصـيد الأسبانية ، وإزداد الوضع تأزما في مارس ١٩٧٣ عندما أعلنت المغرب منطقة الصيد الخاصة بها وعرضها ٧٠ ميلا، ولم تعترف أسبانيا بهذا القرار ، مما ترتب عليه أحيانا تبادل إطلاق النار فضلا عن زيادة القبض على السفن الأسبانية وإجبارها على دفـع الغـرامات، حـتى توصـل الطرفان إلى إتفاق في يناير عام ١٩٧٤، يعتبر نصرا للمغـرب، وأن كان هذا لم يمنع من تكرار القبض على سفن الصيد الأسبانية عام ١٩٧٥، وممـا زاد من تعقيد المشكلة عدم الإتفاق على الحدود الفاصلة بين المغرب وجزر كناري فيما يختص بالمنطقة الإقتصادية لقاع البحر.

وحـدث نـزاع مماثل بين **إيطاليا وتونس** عام ١٩٧٥ نظرا لأن سفن الصيد الإيطالية تجـاوزت إتفاقـا سبق أن عقد بين الدولتين عام ١٩٧١، وحدث تبادل إطلاق النار، وأن وضح في هذا النزاع ضعف بعض الدول عن حماية مياهها ذلك أن السفن الإيطالية كانت أسـرع مـن الدورية التونسية. وقام نزاع آخر بين ألبانيا ويوغسلافيا عام ١٩٧٦ عندما أطلـق النار على صياد ألباني ، ونتيجة لهذا مدت ألبانيا مياهها الإقليمية من ١٢ إلى ١٥ مـيلا، هذا ويمكن تتبع نزاعات عديدة بين دول البحر المتوسط وخاصة إذا ما كانت هناك نزاعات لأسباب محلية أخرى.

أن أكـبر المشـكلات التي تواجه دول حوض البحر المتوسط هي كيفية تطبيق قوانين الـبحار فـي مساحة مائية محدودة، يحيط بها العديد من الدول، فإذا إتخذت كل دولة حد

المائتى ميل، فمعنى هذا التداخل بين مياه هذه الدول وقد تتعقد الأمور، وتتطلب مفاوضات ثنائية متعددة، ولكن لحسن الحظ فإن معظم دول البحر المتوسط حددت مياهها الإقليمية بين ٦ أميال ، ١٢ ميلا ماعدا المغرب وألبانيا (٧٥ ، ١٥ ميلا) ولكن قد تظهر هناك مشكلات حيث توجد الجزر ذات المواقع الجغرافية الحرجة كالجزر اليونانية القريبة من ساحل تركيا، والجزر الإيطالية القريبة من الساحل التونسي، وكذلك النزاعات الخاصة ببعض الأقاليم كجبل طارق وسبتة ومليلة.

النزاع اليوناني التركي:

قام الصراع اليوناني التركي في بحر إيجة بعد إكتشاف شركة أمريكية للبترول وهذا ما أثار إهتمام الجانبين بملكية الرصيف القاري، وأدى إلى تتابع الأزمات، في ربيع وصيف عام ١٩٧٤، وخريف عام ١٩٧٦، ويتميز الموقف هنا بتعقده، فهذه الأزمات وقعت بين شعبين وحكومتين تكن كل واحدة العداء للأخرى، وإرتبط هذا أيضا بالنزاع اليوناني التركي على قبرص، والحساسية الناشئة عن كون كل منهما عضو في حلف الأطلنطي.

وتطالب اليونان بأحقيتها في قاع بحر إيجه كله تقريبا ، على أساس ملكيتها لمعظم جزره، بل أنها إذا تركت حدود الستة أميال المأخوذة بها في بحر إيجه، وإتخذت حد الإثنى عشرة ميلا الذي بدأ يسود العالم ، فمعنى هذا أن بحر إيجه بكامله سيصبح مياها أقليمية لليونان . لذلك فهناك رؤى في تركيا تقول بالمطالبة ببعض الجزر ، وخاصة ليسبوس والدوديكانيز، ويخشى اليونانيون من هذه المطالبة لا على أساس ما حدث في قبرص فحسب، بل من الهجرة اليونانية الخارجية من تلك الجزر إلى مدن اليونان الأصلية، وأن تكون مطالبة الأتراك بالرصيف القاري للجزر المقابلة لها هو مقدمة للسيادة على الجزر نفسها.

وتستند اليونان أساسا إلى مبدأ الأمر الواقع ، بينما تستند تركيا إلى ضرورة مراجعة هذا الموقف ، فتستند اليونان إلى إتفاقية جنيف لعام ١٩٥٨ التي تعترف بوجود مياه إقليمية ورصيف قاري للجزر، بينما وضعت أسسا مختلفة منها إتخاذ خط المنتصف بين الأراضي الأصلية لكل من الدولتين أو خط أكثر الأعماق (على أساس إمتداد الرصيف القاري للأناضول) ولذلك بينما تفضل اليونان الإلتجاء إلى محكمة العدل الدولية حيث سيكون الحكم في صالحها رغم تعقيد الموضوع، تصر تركيا على المفاوضات الثنائية لأن فرصتها فيها ستكون أكبر.

وقد نشط هذا النزاع منذ أوائل عام ١٩٧٤ وإختلفت درجة حدته بحسب الطرق المختلفة التي إتبعتها تركيا في الإثارة ، بدءا من الرحلات التي قامت بها سفينة المسح البحري التركية " سيزميك ١ " إلى الحملات الصحفية ، الملتهبة، إلى التحركات العسكرية، وما يقابلها من إعادة اليونان تسليح بعض الجزء القريبة من الساحل التركي، غير أن قمة المشكلة كانت عندما قامت السفينة سيزميك بمسح قاع البحر في جهات تعتبرها اليونان من حقها، وإذا كان نزاع ١٩٧٤ قد دخل ضمن النزاع اليوناني التركي بصفة عامة، فإن نزاع

١٩٧٦ قـد إحتواه نشاط منظمة "حلف الأطلنطى والولايات المتحدة الأمريكية "، فقد وقع الطرفان إتفاقا بعدم التمادي في النزاع، والإشتراك في محادثات ثنائية يهدف إلى الوصول إلــى حـد سياسي مقبول من الطرفين، وبعكس هذا الإتفاق الضغوط الخارجية أكثر منه تحــرك الجانبين للوصول إلى إتفاق، ويمكن لعوامل أخرى أن تتدخل لتغيير الموقف مرة أخــرى مــثل مشكلة قبرص ، أو المضايق التركية، أو التوازن بين حلفي وارسو وشمال الأطلنطــي، أو تغيــير الحكومات في أي منهما، على العموم لا يلوح في الأفق أن النزاع سيبدأ، بل يتوقع له النزاع المسلح.

على أن الأكثر خطورة هو النزاعات التي تقوم على أساس حقوق الملاحة ، ففي البحر المتوسط أعناق زجاجات أربعة، جبل طارق، المضايق التركية، وقناة السويس، والمضايق التونســية، وهــذه المضايق لا تقتصر أهميتها على الدول التي تشرف عليها، بل أهميتها عالمــية والمــرور فيها حرا، ومع ذلك فقد تحدث بعض المشكلات، وخاصة فيما يتعلق بالسفن الحربية.

المضايق التركية:

وهــي مــن المشــكلات التي يثيرها الإتحاد السوفييتي منذ القدم لأنها تصل بين البحر الأســود وبحر ايجه، ويمثل البسفور والدردنيل وبحر مرمره عنق الزجاجة بالنسبة للبحر الأســود. ويمتد الدردنيل لمسافة ٤١ ميلا بينما يختلف إتساعه من واحد إلى أربعة أميال، أمــا البوســفور فهو أقل طولا، إذ يبلغ طوله ١٨,٦ ميلا، كما أنه أقل عرضا، إذ يتراوح إتســاعه بين ستمائة ياردة وميلين، ومن ثم ليس هناك خلاف في أنهما يقعان ضمن المياه الإقليمية لتركيا، وتظهر أهمية هذه المناطق في أنها تكون نافذة دفيئة يستنشق منها الإتحاد الســوفييتي نسيم البحر المتوسط، وكذلك بلغاريا ، ورومانيا وخاصة بعد أن خرج الإتحاد الســوفييتي مــن عزلته الإقتصادية، وبدأ نشاطا إقتصاديا مع الدول العربية ، كما أن هذه المضايق مداخل للدول الغربية تصل عن طريقها وبسهولة إلى الجزء الجنوبي من الإتحاد الســوفييتي، والضرب في نصف دائرة من حقول البترول في القوقاز شرقا إلى جمهورية أوكرانــيا شــمالا وبلغاريا ورومانيا غربا، خاصة وأن الإستراتيجية الأمريكية تصل إلى القواعد المرنة المتحركة ، وتعلق آمالا كبيرة على الأسطول السادس في البحر المتوسط.

معاهدة سيفر ١٩٢٠:

نصت على عدم تحصينها فضلا عن حرية المرور للسفن الحربية والتجارية وقت السلم والحرب، ولكن الأتراك لم يقتنعوا بهذا، وعرضت المشكلة على مؤتمر لوزان عام ١٩٢٣ وهنا نرى أن السياسة الروسية قد وقفت موقفا متناقضا ، ذلك أن روسيا التي كانت تطالب بفــتح البوغازيــن، عارضت ذلك، لأنها كانت في مرحلة إعادة بناء وإستقرار بعد الثورة الشــيوعية فــأرادت أن تكون في مأمن من خصومها وأساطيلهم في هذه المرحلة . على العموم نصت معاهدة لوزان عام ١٩٢٣ على:

١- حــرية مــرور السفن التجارية وقت السلم، ولا يختلف الحال وقت الحرب إلا إذا

كانت تركيا دولة محاربة، فلها أن تستعمل حقوق المحاربين وتقصر المرور على السفن المحايدة.

٢- حرية مرور السفن الحربية وقت السلم، ووقت الحرب إذا كانت تركيا على الحياد ، أما إذا كانت محاربة فلها حق إستعمال حقوق المحاربين.

٣- منع تسليح المضايق.

٤- تشكيل لجنة دولية مسئولة أمام عصبة الأمم للأشراف على المضايق.

وهكذا إستمر الحال حتى بدأت تباشير الحرب العالمية الثانية ، حين نشأ النزاع بين إيطاليا والحبشة، وأقدمت ألمانيا على إحتلال منطقة الراين فإنتهزت الحكومة التركية الفرصة، وطالبت بتعديل الإتفاقية فحلت محلها إتفاقية مونترية **Montreu** عام ١٩٣٦ وبمقتضاها:

١- إستعادت تركيا حقها في تحصين المضايق.

٢- ألغيت اللجنة الدولية للمضايق وسلمت إختصاصها لتركيا .

٣- يبقى الوضع كما هو بالنسبة للسفن التجارية كما أقرته معاهدة لوزان .

٤- قصر مرور السفن الحربية على السفن الحربية الخفيفة دون الغواصات، هذا إذا لم تشترك تركيا في الحرب، أما إذا إشتركت فيها أو وجدت أنها مهددة بها، فيكون مرور المراكب الحربية متوقفا على إرادتها.

وبذلك كانت الإتفاقية لصالح تركيا إلى حد كبير. وكان عدم إشتراك تركيا في الحرب العالمية الثانية مما دفعها إلى الحذر فيما يختص بسياستها الخاصة بالمضايق في الفترة من ١٩٣٩ - ١٩٤٢ ولم يستعمل الحلفاء المضايق التركية في تموين الإتحاد السوفيتي لسبب آخر وهو أن البحر المتوسط كان ملغما بالغواصات الألمانية ، وبطائرات العدو وكانت عملية حماية الأسطول التجاري والأسطول الحربي تقتضي نفقات باهظة، فضلا عن أن تركيا بالتأكيد سوف تمنع مرور القطع الحربية، غير أنه في بداية عام ١٩٤٤ عندما تحسنت أحوال الحلفاء إستمرت تركيا تحرم السفن المسلحة أو السفن المحمية حمل التموين إلى الإتحاد السوفييتي. لذلك وغيره ، لم يرق للاتحاد السوفييتي تلك السياسة التركية، خاصة أنها في أثناء الحرب العالمية الثانية ، وفي أحرج لحظات موقعة ستالينجراد لم تسمح تركيا للحلفاء بتموين الإتحاد السوفييتي، فطالب بالإشراف على جميع الممرات الإستراتيجية التي تؤدى إلى أراضيه، وطلب فعلا في مؤتمر بوتسدام سنة ١٩٤٥ مناقشة هذا الأمر، ولم ينته الأمر إلى نتيجة توافق عليها تركيا والإتحاد السوفييتي والغرب.

وقد أثار عبور حاملة الطائرات السوفييتية كييف عام ١٩٧٦ للمضايق، قلق الدول الغربية، ذلك أن إتفاقية مونتريه تحد من قدرة الإتحاد السوفييتي على تواجد أسطول له في البحر المتوسط تكون قواعده في البحر الأسود وبصفة خاصة الغواصات وحاملات

الطائـــرات، وهذا معناه أن الإتحاد السوفييتي بدأ لا يعير إتفاقية مونتريه إهتماما، ولكن لا يتوقع أن يقوم نزاع بين الإتحاد السوفييتي وتركيا خاصة بالمضايق.

نطاقات المياه البحرية:

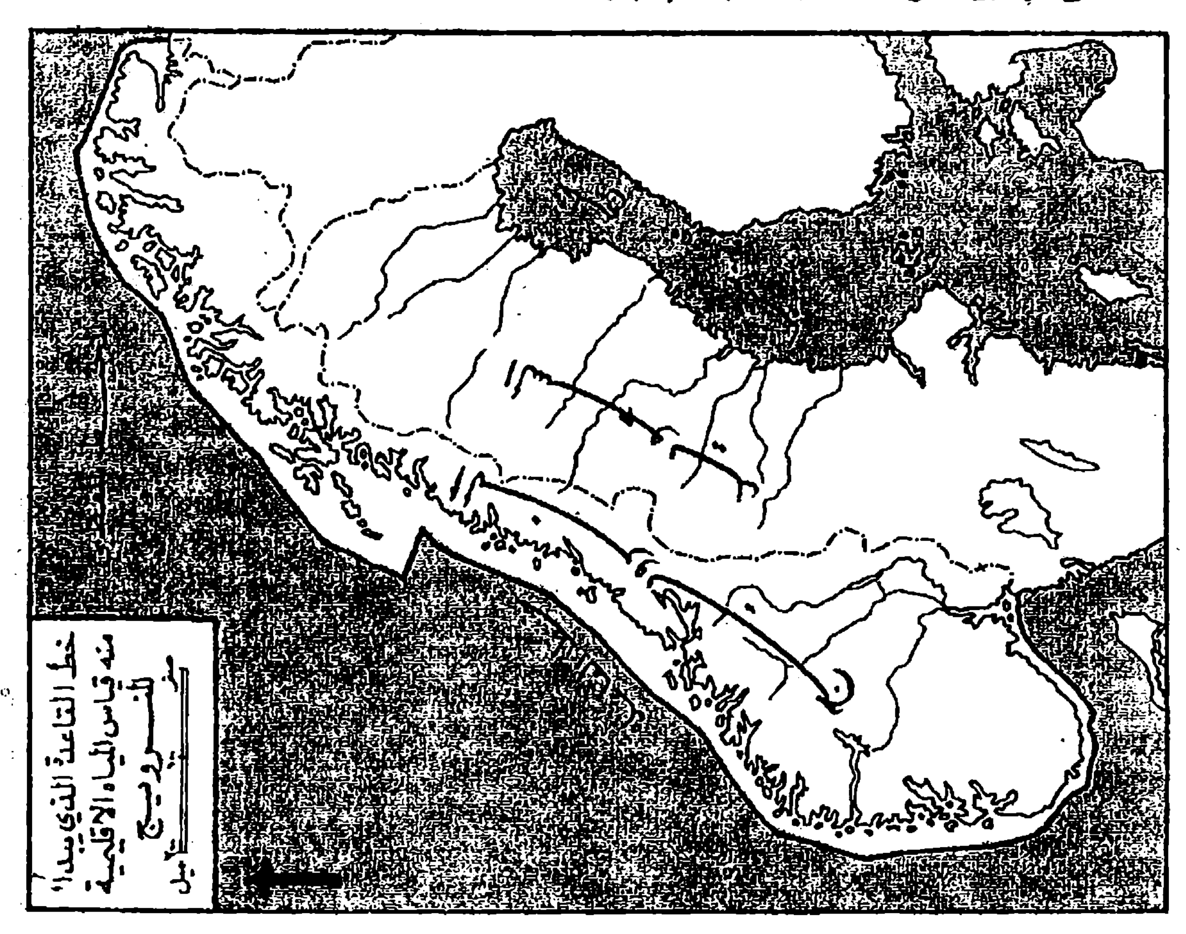
ذكرنا أن سيادة الدولة تنتهي عند حدود مياهها الإقليمية، ولكن مع هذا فلا زالت الدول تمـــارس بعـــض الســـيادة خارج هذا النطاق، من ثم يمكن تمييز خمس نطاقات إبتداء من اليابس إلى داخل البحر-وهى:

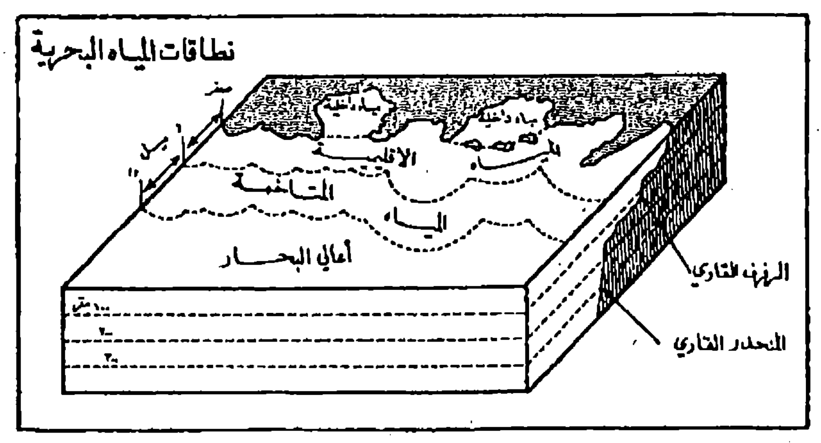
١- المياه الداخلية *Inland Zone* :

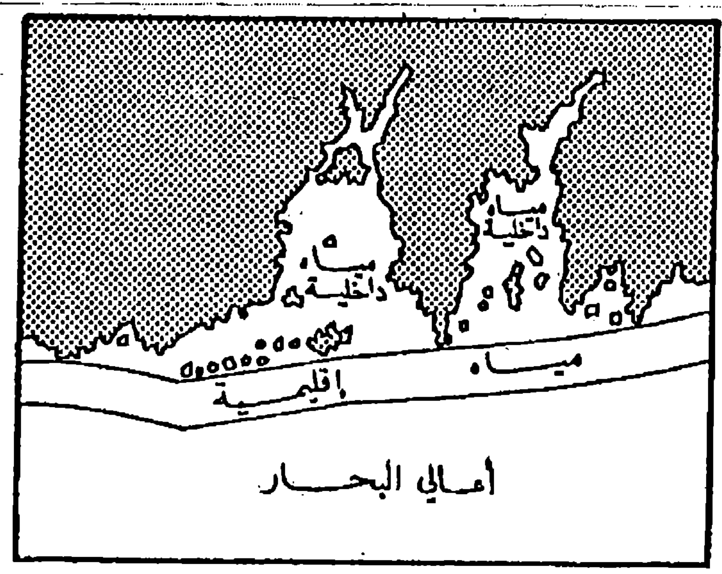
وتشـــمل الخلجـــان ومصبات الأنهار والبحيرات الساحلية ***Lagoons*** وتقع جميعها داخل خط القاعدة الذي تبدأ بعده المياه الإقليمية، وهى جزء متمم ليابسة الدولة ، لأنها إما مغلقة، وأما لأن مياهها العذبة أكثر من المالحة، وبالتالي لا تعتبر جزءا من البحر.

٢- المياه الإقليمية *Territorial Waters*:

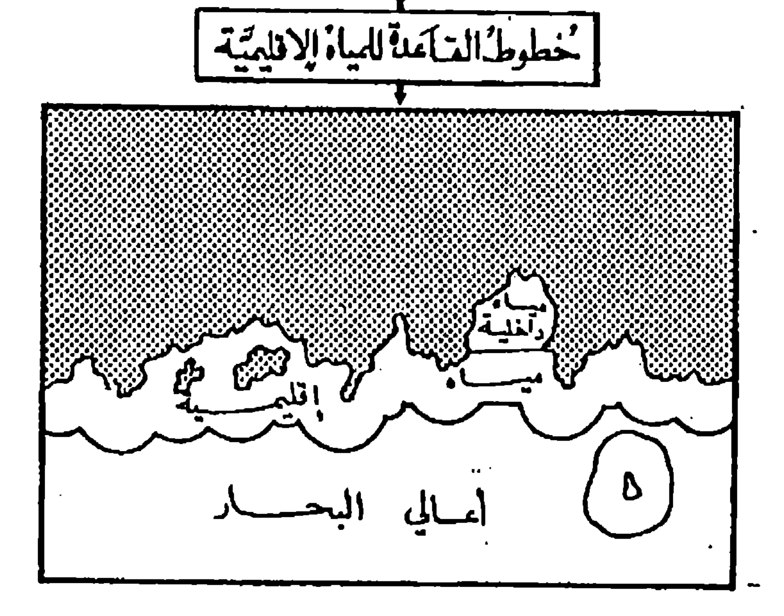
وهـــذه تمـــتد من خط القاعدة لمسافة معينة تختلف من دولة إلى أخرى كما رأينا، وفي هـــذا النطاق نجد سيادة الدولة مطلقة إلا فيما يختص بالمرور البرئ للسفن الأجنبية، فلهذه السفن عبور المياه الإقليمية لأي دولة مادام عبورها لا ينطوي على أضرار أو إهانة للدولة ذات المـــياه الساحلية، وأي جريمة ترتكب على السفينة في المياه الإقليمية يعامل مرتكبوها بمقتضى قوانين الدولة صاحبة المياه الإقليمية.







خطوط القاعدة للمياه الإقليمية



٣- المياه المتاخمة للإقليمية Contiguous Zone:

وهـذه يخـتلف إتساعها من دولة إلى أخرى أيضا، ويمكن للدولة أن تمارس فيها حق تفتـيش السـفن التـي تشك في أنها تعمل بالتهريب ، كما تمارس فيها إجراءاتها الصحية والجمركـية وتمنع الهجرة غير المشروعة، وقد تمتد بمياه الصيد وإستغلال المعادن إليها، إذا حـدث إتفاق بين جميع الأطراف المعنية، وإلا أعتبرت ضمن أعالي البحار من الناحية النظرية، ولا تمتد هي والمياه الإقليمية لما يزيد على أثنى عشر ميلا بمعنى أنه إذا كانت المياه الإقليمية ٣ أميال تصبح المياه المتاخمة تسعة أميال فقط.

٤- الرفرف أو الجرف القاري Continetal Shelf:

وهـو ذلـك الجزء من اليابس الذي ينحدر إلى البحر، وتغطيه مياه البحر بمائتي متر، ويمثل نحو ١٠% من مساحة البحار والمحيطات، هو يمثل مرحلة الإنتقال من اليابس إلى الـبحر والمحـيط . وكمـا هو واضح من تسميتها فهي تحيط باليابس ويختلف إتساعها . وتتمـيز هـذه المنطقة بغناها الحيوي، لما يترسب عليها من أملاح ومواد غذائية تحملها الأنهار من اليابس، كما تتميز بقلة عمقها بحيث يخترقها الضوء، وتحتوى نسبة عالية من الأكسـوجين ، وكلاهمـا يقـل بسـرعة بعـد هذا العمق، وكل هذا مما يساعد على نمو البلانكـتون بما ينتج عنه في النهاية أن تكون هذه الرفارف أرضا خصبة لتكاثر الأسماك كمـا هو الحال في رفارف غرب أوربا ، وأيسلند، وبحر قزوين، وبحر أوخستك، وبحار اليابان، وبيرو.

ونظـرا لقـربها مـن اليابس تصبح هذه النطاقات هي أولى المناطق بحثا عن الثروة المعدنـية خارج اليابس. وبينما يتركز البحث الآن عن البترول في الخليج العربي، وخليج المكسـيك، وبحر قزوين، وأنجولا، وبحر الشمال، فإن البحث سيتضمن معادن أخرى في المستقبل بسبب التقدم التكنولوجي في الأبحاث والنقص المتزايد لتلك المعادن على اليابس . ولقـد أصـبح واضـحا في العقد الأخير، أن هناك رواسب معدنية على هيئة كتل أو عقد مـتعددة لمعـادن، تكمـن فوق الرفارف القارية وفي الأعماق البعيدة، فوجدت كتل من المنجنيز والنيكل والكوبالت والنحاس. وذكر في صحيفة التايمز في ١١ مايو سنة ١٩٧٢ أنـه ثبـت أن هناك تركيزات معدنية من الذهب والفضة والنحاس في رواسب قاع البحر الأحمر. ولكن المشكلة هي في التقدم التكنولوجي اللازم للبحث في هذه الأعماق السحيقة، وهذا ما تقوم به الولايات المتحدة الأمريكية الآن.

وهـذا الـنطاق مثار خلاف كبير ، حيث تدعى الدول حقوق مختلفة عليه سواء حقوق صـيد أو إستغلال لمعادن القاع، فمثلا تدعى بيرو بإمتداد مياه الصيد الخاصة بها لمسافة ٢٠٠ مـيل مـن الشاطئ، وهكذا تفعل إكوادور، وكوستاريكا. ولا يعترف القانون الدولي بمياه الرصيف القاري، من ثم تتوقف السيادة عليها حسب قوة الدولة المعنية . فعلى سبيل المـثال إقتربت إحدى سفن الصيد التابعة لأسطول أوناسيس لمسافة ١٨٥ ميلا من سواحل بيرو، عام ١٩٥٤ فوقعت بيرو عليها غرامة قدرها ٣ مليون دولار، لإعتدائها على سيادة

بيرو، وقد دفعت الغرامة للإفراج عن السفينة.

هـذا ويجـب أن نشـير إلى الإدعاءات الخاصة بالرصيف القاري التي إتفق على أن تقتصـر على إستغلال الدولة الساحلية لقاع البحر وليس للمياه السطحية، ففي عام ١٩٥٤ مـثلا أعلـن الرئـيس ترومان بأن الموارد الطبيعية للرصيف القاري المجاور للولايات المـتحدة الأمريكية من حقها ، بينما المياه السطحية لها صفة أعالي البحار . ونتيجة لهذا التصـريح، بـدأت دول أخرى تعلن حقوقها في الرصيف القاري دون أن تقتصر مطالبها علـى إسـتغلال موارد الثروة الطبيعية كشيلي ، وبيرو، وسلفادور، وكذلك أستراليا، ولما كانـت تطـل على محيطات واسعة فلن يثر هذا مشكلات سوى في الأخيرة لأنها حرمت اليابانيـين من صيد اللؤلؤ في مياهها، وقد ظهرت بعض مشكلات طريفة في هذا المجال، وهـي الخاصة بالكائنات البحرية المستقرة وشبه المستقرة في قاع البحر كالمحار واللؤلؤ والإسـتاكوزا **Lobester** كما حدث بين فرنسا والبرازيل، حينما فسر كل منهما الأمر لصـالحه، وإسـتمرت السفن الفرنسية في صيد الإستاكوزا من الرصيف القاري للبرازيل لأنهـا تعتـبر الإستاكوزا تسبح والبرازيل تعتبرها تمشى، وكاد يحدث إشتباك مسلح لولا تـراجع الفرنسـيين كذلـك الحال في منع أستراليا اليابانيين من صيد اللؤلؤ من الرصيف القاري. وفي الحق أن السيادة بعد المياه المتاخمة تتوقف على قوة الدولة أكثر من أي شئ آخر.

٥- أعالي البحار *High Seas* :

وهذه تمتد بعد ذلك، وليس عليها لدولة ماحق من حقوق السيادة، وإنما هي ملك للجميع لأنـه إرث مشـترك للإنسـانية، وإن كـان بعـد تطـور إستغلال ثروات قيعان البحار والمحـيطات، وقـد حـان الوقت لوضع قانون ينظم هذا النشاط، وأي سلطة سوف تمنح تصريحات التنقيب.

عرض المياه الإقليمية لبعض الدول

الدولة	ميل	الدولة	ميل
إكوادور	٢٠٠	الجزائر	١٢
جابون	١٠٠	أرجنتين	٢٠٠
غانا	٣٠	البحرين	٣
اليابان	٣	لبنان	-
النرويج	٤	ليبيا	١٢
الصومال	٢٠٠	موريتانيا	٣٠
العربية السعودية	١٢	البرازيل	٢٠٠
السودان	١٢	كمرون	١٨
المملكة المتحدة	٣	الصين	١٢
الولايات المتحدة	٣	مصـــر	١٢
الكـــويت	١٢	الإتحاد السوفيتى	١٢

تمهيـــــــد

مفهوم القوة:

لابــد لصــانعي القــرارات في أي دولة من الدول أن تكون لديهم القدرة على تنفيذ قــراراتهم، ومــن ثــم لا يمكــن لحكومات هذه الدول أن تنفذ سياستها إلا في ظل قوة ***Power*** تستخدم لفرض إرادتها والتأثير على سلوك الدول الأخرى.

وتتمثل القوة السياسية أولا: في القدرة على صنع وتنفيذ القرارات داخل حدود الدولة، ويــتوقف هذا النوع على مدى التأييد والدعم الذي يتاح للحكومة من جانب الرأي العام، وكذلك على مدى سيطرة الحكومة على الرأي العام، وأجهزته الإعلامية، وهذا ليس من موضــوعات الجغرافية السياسية. ويتمثل ثانيا: في القدرة على إتخاذ القرارات وتنفيذها خــارج الحــدود السياســية للدولة، وهذا يدخل في مجال الجغرافية السياسية وفي مجال السياســة. وقد درسنا بعض العوامل التي تعطى هذه القوة كالموقع الجغرافي والمساحة والســكان والمــوارد ... ألــخ أي العوامل الجغرافية، والعوامل غير الجغرافية كالتقدم التكنولوجي، والدعم الخارجي، وحركة الميزان الدولي في صالح الدولة، والأعلام بمعنى أن تكون وجهة نظرها واضحة للعالم بحيث تعطيها المبرر للحركة. ومن المفروض أن الغــرض الأول والأساسي من القرار السياسي هو تحقيق الرفاهية والتقدم لسكان الدولة فــي الداخــل، فضــلا عــن ضــمان أمنها بالنسبة للدول الأخرى بصرف النظر عن الإستراتيجية التي تتبعها للوصول إلى هذه الغاية وبدون القوة تصبح الدولة وكأنها شئ لا قيمة له أو على أقل تقدير، يكون دورها ثانويا.

القوة الصلبة والقوة اللينة. وبدراسة ما سبق أن ذكرناه معناه أننا نقيس لقوة الصلبة رغم أن هنا أيضا القوة اللينة.

القــوة الصــلبة أو الجامدة *Hard Power* وهي الأصل من خلال بناء المصانع والتســليح وتجيــيش الجيوش والعتاد والتقدم في التطور التكنولوجي في صناعة السلاح وبمعنى آخر القوة العسكرية والتي تستند بالدرجة الأولي إلى القوة الاقتصادية من إنتاج وتجــارة دولــية، وهــذا مــا مارســته الدول على طول تاريخها لزيادة نفوذها بالغزو والاحــتلال كما حدث في أفريقية والعالم العربي وأمريكا اللاتينية وجنوبي آسيا، وبذلك تمــت ســيطرة أوروبا على مساحات واسعة، والجديد أنه في النصف الثاني من القرن العشــرين غــيرت الرأســمالية توجهاتهــا الســابقة بعد حركات التحرر التي شهدتها المستعمرات، وظهور الأسلحة النووية التي جعلت من الصعب أن تحارب الدول النووية بعضها بعضا وبالتالي لابد من آلية جديدة يمكن لهذه القوى أن تبلغ غرضها عبر وسائل أخرى غير الحرب، فكان استخدام القوة اللينة.

القـــوة الليـــنة *Soff Power* أي ممارسة القوة على الساحة الدولية تشكل هادئ دون اللجوء إلى القسر والإكراه أي الحرب بدون القوة العسكرية وذلك باستخدام السلاح الاقتصـــادي بديـــلا عن السلاح العسكري، تهدف فيه كل دولة إلى الحصول على موقع متميز في الاقتصاد الدولي، وتفوق منشآتها وبالتالي إختراق الأسواق، بديلا عن القواعد العسكرية، وساعدها على ذلك عدة عوامل منها:

الـــتطور التكنولوجـــي الرهيـــب ذلـــك السلاح الذي يأتي في مركز الصدارة لا في استراتيجية القوة العسكرية فحسب، بل أيضا في الاستراتيجية الاقتصادية، فهناك الابتكار المســـتمر بحيـــث هيمنت التكنولوجيا على الاقتصاد، وهناك الشركات المتعددة الجنسية ***Multi national*** التـــي اخترقت الأسواق، فهي تعتبر الكرة الأرضية كلها سوقا لها، المعـــرفة قوة هذه الشركات، نشير أن إيرادات أكبر ٥٠٠ شركة متعددة الجنسية في عام ٢٠٠٠ بلـــغ أكثر قليلا من ٤ تريليون دولار، على حين أن الناتج القومي الإجمالي لكل دول العالم في ذلك العام كان ٢٩ تريليون دولار !! بالتالي يمكن لهذه الشركات الضغط علـــى الحكومـــات وبقوة استثماراتها الآن ترحب بها، بل وتشجعها وتفرش لها البساط الأحمر.

نماذج القوة اللينة:

ومـــن نمـــاذج القـــوة الليـــنة أيضـــا الحـــرب النفسية أي الضغط على ساحة العقل والأعصـــاب، وكـــان هذا هو الجزء الأول من الحرب على العراق بفرض الضغط أو عصـــر نظـــام صـــدام حسين ***To squeeze Sadam*** واستخلاص كل التنازلات الممكـــنة مـــنه، بمـــا فيه تدمير ما لديه من سلاح، واستنزاف طاقته، فإذا استسلم تدخل القوات الأمريكية دون حرب، أما إذا رفض التسليم والرحيل تستخدم القوة العسكرية،

ومـــن أمـــثلة القوة الناعمة قوة فرنسا .. ففرنسا رغم قلة مواردها مقارنة بالولايات المـــتحدة الأمريكية، فإن الثقافة الفرنسية تمثل منافسا عالميا للثقافة الأمريكية، فالنموذج الفرنســـي للدولـــة والمجـــتمع والحياة (أي القدرة الثقافية) تجعل الكثيرين يميلون إلى الإشـــادة بـــالموقف الفرنسي في العلاقات الدولية ضد الموقف الأمريكي، إذا استطاعت فرنســـا بقـــدرات اقتصادية أقل أن تجمع حولها نوعا من الإجماع السياسي وكأن العالم مقســـم إلى قطبين (أمريكا ــ فرنسا)، ورغم أن قرارات مجلس الأمن تخضعها أمريكا لصالحها، ولكن تبقي قدرة فرنسا على المنافسة لا يستهان بها.

أخيرا

لا خـــلاف على أن القوة سواء كانت صلبة أو لينة تستند إلى القوة الاقتصادية، ولكن الفـــرق هو في استخدام الوسيلة التي كانت عسكرية (صلبة) سائدة حتى الربع الأخير مـــن القرن العشرين، والتي تحولت في معظمها إلى قوة غير عسكرية (لينه) بعد ذلك، وســـنعالج فـــي الفصول التالية العناصر التي تسهم بها الجغرافية في بيان قوة أو ضعف الدولة.

مفهوم تحليل القوة عند الجنرال الأرجنتيني جوان جوجليالمي

تستند القوة السياسية في الميادين العالمية إلى :

القـــوة الحربـــية ***Military Power*** والقوة الإقتصادية ***Economic Power*** والقـــوة الحربـــية هـــي ركيزة القوة السياسية ودعامتها. فالإجراءات التي تتخذها الدولة لفـــرض قـــراراتها على دولة أخرى هي الحرب أو التهديد بالحرب فكما يقول ***A, H. Carr*** تكمـــن الحـــرب في خلفية السياسة الدولية. كما تكمن الثورات في خلفية السياسة المحلـــية " ولـــيس مـــن شـــك أن القدرة على إشعال الحرب تتوقف على العوامل الجغرافية وغير الجغرافية التي ذكرناها ، غير أن القيمة النسبية لهذه العوامل التي تعطى الدولة القوة قد تتغير، فقد إستطاع نابليون أن يعبر كل أوروبا حتى موسكو في وقت كان فـــيه سكان فرنسا أكبر من سكان أى دولة أخرى بإستثناء ــ ربما ــ روسيا القيصرية، وإرتـــبط ظهور القوة الحربية الألمانية مع نمو الصناعة الحديثة والتي كانت ألمانيا مهيأة لهـــا أكـــثر من فرنسا. وفي هذا قال كينز ***Keyness*** أن الإمبراطورية الألمانية بنيت بحق على الفحم والحديد أكثر منها على الدم والحديد ، كما أن الصناعة الثقيلة اليوم بدأت تخلـــى مكانها للصناعات الخفيفة التي تعتمد على الإلكترونيات، وبالتالي قد تعتمد القوى العالمية في المستقبل على اليورانيوم والمعادن الخفيفة أكثر منها على الحديد والصلب.

القوة الإقتصادية ركيزة السياسية:

وإذا كانـــت القـــوى الحربـــية هي دعامة القوة السياسية، فلا قوة حربية دون ركيزة إقتصـــادية ، فالحصـــول على الأسلحة وأجهزة القتال يبدو صعبا إذا لم تكن هناك طاقة لإنـــتاج الآلات والأدوات الخاصـــة بالإستعمالات العلمية. والأمثلة عديدة على أثر القوة الإقتصـــادية في هذا المجال، منها القدرة على شراء السلع النادرة والأسلحة الضرورية للحـــرب مـــن الخـــارج، (قارن بين إعتماد إسرائيل التام على المعونات الأمريكية من الســـلاح أو مـــن المال لشراء السلاح وقدرة السعودية على شرائه)، ومنها القدرة على تخزين السلع الإستراتيجية للوصول إلى كفاية ذاتية منها ، كما فعلت اليابان وألمانيا من تخزيـــن للنحاس قبل الحرب العالمية الثانية، ومنها منع السلع الضرورية والإستراتيجية عن العدو كما فعلت الولايات المتحدة حين قللت من صادر الخردة عام ١٩٣٨ وكما فعل العـــرب في حرب أكتوبر عام ١٩٧٣ حين خفضوا صادرهم من البترول ، بل ومنعوه عن الدول المؤيدة لإسرائيل، أو إعطاء الفرصة لحلفائها في الحصول علىماينقصهم كما فعلـــت الولايات المتحدة مع الدول الأوربية بمقتضى قانون الأعارة والتأجير ***Lend - Lease*** في الحرب الثانية وكما تفعل الآن مع إسرائيل.

إن الحرب الحديثة تأكل الدبابات والطائرات ... إلخ، والدول التي لا تملك مصانع لها كمـــا هو الحال في دول العالم الثالث، لا يمكن أن تعتمد إعتمادا مصيريا على إستمرار الدول الصناعية بإمدادها لها، خاصة إذا ما تغيرت الظروف السياسية، وهذه مسألة حياة أو مـــوت، كمـــا ثبـــت في حرب أكتوبر والجسر الأمريكي من السلاح الذي أسعفت به الولايـــات المتحدة الأمريكية إسرائيل، كذلك منع قطع الغيار الخاصة بصيانة الطائرات

الإيرانية حتى تتحول إلى خردة.

هكـذا تخـتلف قـوة الدول ومنازلها، وهذا هو الذي يدفع الأقوى منها إلى محاولة إسـتغلال تفوقـه النسـبي لترتيب أوضاع وعلاقات تستجيب لدواعي مصالحه القومية، بغض النظر عما يسببه ذلك من أضرار بمصالح الدول الأخرى، ولعل هذا هو الذي دعا الـبعض إلـى مقولة أن العلاقات الدولية لا تخرج عن كونها صراعات قوى، ومن ثم كانت فلسفة الحق للقوة أو أن القوة صانعة الحق ***Might Makes right*** وأن القانون الدولـي ما هو إلا قانون اللاقانون بين الأمم ***The Lawless Law of Nations*** تستبيحه الدول القوية، ولا تسرى قواعده إلا على الأمم الضعيفة.

ماكندر والهارتلاند:

لـم يحـظ بحـث قدم لجمعية علمية وآثار إهتمام المشتغلين بالشئون الإستراتيجية، والعلـوم الجغرافية والتاريخية مثلما حظى بحث ماكندر البريطانى ***Mackinder H.*** عن الركيزة الجغرافية للتاريخ ***The Geographic pivot of History*** الذي قدم للجمعـية الجغرافـية البريطانية عام ١٩٠٤ ، فقد أثار هذا البحث الجدل والمناقشة لمدة تـزيد علـى النصـف قرن وإستمرت نظريته تدرس كموضوع أساسي في الجغرافية السياسـية، أثـرت على أفكار كيلين ***Kjillen*** السويدي، وهوسهفر ***Housshofer*** الألمانـي في الجيوبولتيكا ، بل وأثرت في الإستراتيجية الألمانية عام ١٩٤٠. فهو بحث يحتوى على تحليل للنمط السياسي في العالم، وتنبؤ يقوم على أساس هذا التحليل.

وعـاد ماكندر مرة أخرى وعرض نظريته عام ١٩١٩ في كتابه المثل الديموقراطية والحقيقة ***Democratic Ideals and Reality.***

وكررها مرة أخرى أثناء الحرب العالمية الثانية ، وتتلخص في العبارات الآتية:

من يحكم شرق أوربا يسيطر على الهارتلاند (قلب العالم).

من يحكم الهارتلاند يسيطر على جزيرة العالم.

من يحكم جزيرة العالم يسيطر على العالم.

Who rules East Europe . Commands the Heartland .

Who rules the Heartland . Commands the world Island.

Who rules the world Island . Commands the World .

ويقصـد مـا كندر بجزيرة العالم تلك الحلقة المتصلة من اليابس وهي أوروبا وآسيا وأفريقـيا، ويقصـد بشرق أوربا تلك المنطقة المتسعة من أوروبا التي تسكنها العناصر السلافية، التي تمتد من شرق شبه جزيرة جتلاند حتى نهر الدون والفولجا وبحر أزوف، كمـا تشـغل السويد شمالا وآسيا الصغرى في الجنوب الشرقي، وتقع برلين وفيينا على

أطرافها الغربية أما الهارتلاند فتحديده الجغرافي معقد بعض الشيء، وينظر إليه ماكندر من زاويتي: على إعتبار أنه يشمل مناطق الصرف الداخلى في أوراسيا وعلى إعتبار أنه يشمل المناطق التي يصعب على القوى البحرية الوصول إليها (تحت الظروف السائدة حينذاك) إذ يعتبر أن المحيط القطبي شرق البحر الأبيض عقبة طبيعية للتحركات البشرية.

ويبدو أن هناك تناقص الآن في قوة الهارتلاند السياسية نظرا لخلخلة سكانه، وإتساعه، وقسوة مناخه ، فهذا الإقليم متسع حقا لأنه يضم ٩ /٥ مساحة القارة الآسيوية أو نحو ١/٥ مساحة اليابس المعمورة، كما أنه مخلخل السكان. فالواقع أن الهارتلاند إستمد أهميته من إتساعه الكبير، فضلا عن أمانه الطبيعي وتوسطه أوراسيا تقريبا، ولم تهبه الطبيعة قوة دفاعية فحسب، بل يتحكم أيضا في خطوط المواصلات الداخلية. ولكن الغريب لدينا أن ماكندر لم يعمل حسابا كبيرا للعوامل البشرية والإقتصادية مع ما ظهر لها من شأن كبير في الحروب. فعوامل الإتساع والبعد عن منال القوى البحرية هي قلعة الدفاع للهارتلاند. وهي القاعدة الأمينة للقيام بحرب هجومية.

الهارتلاند وماكيندر (١٩١٩)

الهارتلاند

شرق اوربا

وفي الحق لقد وجد ماكندر من التاريخ ما يؤيد نظريته، فتحركات رعاة الخيل إلى أوربا وآسيا الصغرى والهند ومنشوريا والصين، شاهد على الضغط الذي يخرج من الهارتلاند إلى المناطق الزراعية الهامشية، ولكن إذا كان التاريخ يؤيد نظرية ماكندر في أثر الهارتلاند على الأقاليم الهامشية وأنها دائما مصدر ومخرج للغزاة، إلا أنه يبدو أنه بولغ فيها، فقد شهد التاريخ أيضا قوى إستطاعت التوغل في الهارتلاند ذاته، فالروس راكبو القوارب الذين يبحثون عن الفراء إستطاعوا التوغل في سيبريا، وكانوا أول روس عمروا سيبريا، بل ويذهب آخرون إلى أن بعضا من سكان شمال غربى سيبريا قد

وصــلوا إلــيها مــن شمال روسيا وفنلند، وفي العصر الحديث حقق التوغل الياباني في منشوريا ومنغوليا الداخلية نجاحا على عتبة الهارتلاند.

من يحكم جزيرة العالم يسيطر على العالم:

وإذا رجعنا لبقية نبوءة ماكندر نجده يقول "من يحكم جزيرة العالم يسيطر على العالم"، نجد أنها قد لا تتحمل النقد الكثير، لأنه لو فرض وتحقق هذا الفرض النظري، فإن العالم الجديد وأستراليا (لو فرض أيضا أنهما وحدا جهودهما العسكرية) سوف يترددان كثيرا قــبل أن يدخلا في نضال غير متعادل عندما يجدا أن كل فرص النجاح أمامهما تنحصر فــي تفوقهما التكنولوجي والجوى والبحري، وفي إمكانهما إستعادة بعض الجزء المحيط بالعالم القديم، إن كل ما قد يفعله ١/٨ سكان العالم هو حرب دفاعية ضد جزيرة العالم.

من يحكم شرق أوروبا يسيطر على قلب العالم:

ويــبدو كذلك أن عبارة " من يحكم شرق أوربا يسيطر على قلب العالم" صحيحة، فقد أيدتها حوادث هذا القرن، وإن ظهرت فترات تحدى لهذه العبارة. وإستند ماكندر في هذا إلــى أدلــة تاريخية وجغرافية، فلو كانت السواحل القطبية من السهل الوصول إليها في عصر الكشوف الجغرافية، كما كان الحال في خليج هدسن لكان من السهل على الإنجليز أو غــيرهم مــن الأوربيين الوصــول إلى نهري ينسى وأوب، أي إلى وسط سيبريا، ولأنشــأوا الشــركات التجارية، وقاموا بعد ذلك بإدعاءات سياسية في أراضى سيبريا ، ولكــن نظرا لأن الملاحة في المحيط القطبي محدودة زمنيا ودقيقة للغاية، فإن السيطرة علــى الهــارتلاند من هذه الناحية يصبح من أطرافه اليابسة، فقد يأتى من جنوب غرب آســيا كغــزوات الأســكندر أو الفتح العربي ولكن الأكثر إحتمالا أن يأتى من الأطراف المــزدحمة بالســكان سواء من شرق أوروبا أو الصين، ولقد كانت الصين هي القاعدة الرئيســية للإمبراطورية المغولية في القرن الثالث عشر، وإن كانت بؤرة القوة المغولية هــي الإستبس المغولي. وهذا مثل هام للسيطرة على الهارتلاند لا من شرق أوربا ، بل من آسيا الموسمية. وإن كانت قد فشلت في السيطرة على شرق أوروبا.

وكانــت ســيطرة روسيا (أكبر دولة في شرق أوربا) على الهارتلاند عندما أخرج ماكــندر كــتابه المذكور قد تمت منذ مدة طويلة . ذلك أنه عند بدء ظهور بلدية موسكو وإمــتدادها فــي شــمال ووسط روسيا ، كان هناك خسوف لقوة المغول وتنظيم للدولة الروســية فــي القرن السادس عشر ، وأخذ الروس ينفذون إلى سيبريا بحثا عن الفراء وللســيطرة علــى هــذه المساحات الواسعة . وكان لمد الخط الحديدى الذي يصل إلى الباســفيك أثــره في عمليات التعمير ، وظهور روسيا على المسرح السياسى في الشرق الأقصى ، وذلك بسبب عمليات التوطن التي تبعته في سيبريا .

شــرق أوروبا تحت سيطرة الهارتلاند: إذا نظرنا إلى الخريطة السياسية بعد الحرب الثانــية، لوجدنــا أن ســيطرة الهارتلاند على شرقي أوروبا واضحة أكثر من أي وقت مضى، فالإتحاد السوفييتي قد مد حدوده لمسافات كبيرة نحو الغرب بعد الحرب الألمانية

الروسية (١٩٤١ / ١٩٤٥) وذلك بضمه جمهوريات البلطيق وجزء من بروسيا الشرقية، وشـرقي بولند ، وروثينيا ، وبسارابيا ، وأجزاء من جنوبي وشرقي فنلند ، وتعدى تأثير هـذه الأقالـيم نحـو الغرب إلى فنلند وبولند وتشيكوسلوفاكيا والمجر ورومانيا وبلغاريا وألبانـيا وألمانيا الشرقية، من ثم أصبح شرقي أوربا عند ماكندر واقعا تحت نفوذ واحد، بإستثناء حالات قليلة كالسويد وتركيا ويوغسلافيا.

مـن ثـم فأول نبوءة لماكندر تصف وضعا ممثلا بعد الحرب العالمية الثانية إلى حد كبـير، فالإتحـاد السوفييتي السابق كقوة في شرقي أوروبا سيطر على الهارتلاند، وأما إيـران وأفغانسـتان فقـد عملـت السياسة البريطانية على أن تكونا مناطق حاجزة بين مصـالحها فـي جنوبـي آسيا، وبين مطامع الإتحاد السوفيتي، لأن أفغانستان بها الممر الرئيسـي إلـى سهول السند والجانج، كما تطل إيران مباشرة على المياه الدفيئة وعلى أقطار جنوب غربي آسيا.

هل سيطر الهارتلاند على العالم ؟

وهـنا لابد وأن نشير إلى التطورات الكبيرة التي أصابت إقتصاد الإتحاد السوفييتي، لأنـه مـن الواضـح الآن خطأ تقدير قوة الإتحاد السوفييتي السابق قبل الحرب العالمية الثانـية، ولكـن فـي نفـس الوقت يجب الحذر من المبالغة في تقدير قوته، فإذا تركنا الـتطورات الإقتصـادية جانبا، فإن هناك إعتبارات كثيرة تتحدى إعتقاد ماكندر في قوة الأقاليم الواقعة تحت السيطرة السوفييتية سواء من حيث المنعة أو العدوان.

فإختراق المجال الجوى القطبي بواسطة الطيران، أدخل إعتبارا جديدا لم يكن موجودا أيـام ماكـندر، ونشأت خطوط جوية في العروض العليا بين ألاسكا والإتحاد السوفييتي الآسـيوي، وأفادت هذه كثيرا الإتحاد السوفيتي السابق أن يتجاهل سواحله الطويلة على المياه القطبية تاركا أياها في أمان حسب نظرية ماكندر. كذلك لا يمكن للأتحاد السوفييتي حمايـة مطاراتـه المشتتة ومراكز سكانه وموانيه في هذه المساحة الواسعة دون شبكة جديـدة من المواصلات، من ثم يثير هذا العديد من المشكلات في الدفاع الجوى . فعملية الدفاع عن هذه المساحات الكبيرة من يابس الإتحاد السوفييتي السابق ومائة ضد العدوان الجوى تصبح صعبة.

ثـم هناك مشكلة أخرى تطل في الوقت الحاضر وهي إلى أى حد ستستعمل الأسلحة الحديثة في الحرب القادمة، من ذرية وهيدروجينية واخيرا صواريخ؟ فهذه الأسلحة لاشك تحـدث تغيرات ثورية في التقديرات الجيوبولتيكية. فإمتلاك القنابل الذرية والهيدروجينية والصـواريخ لاشـك منعت الإتحاد السوفيتي من الإستفادة الكاملة بأرصدته الإقتصادية والحربية، ذلك أنها ستكون أهدافا للضرب.

سبيكمان والنطاق الهامشي:

ظهرت نظرية سبيكمان ***Spykman, N.*** (١٨٩٣ - ١٩٤٣) بعد ظهور نظرية

ماكيندر بأربعة عقود ، وقد تضمن كتابه في جغرافية السلام **The Geog. of Peace** الذي نشر عام ١٩٤٤ أي بعد وفاته ، خطوطا عريضة من الناحية الإستراتيجية: منها أن الطـريقة الوحيدة لإستمرار السلام تأتى عن طريق نظام جماعي كأمم متحدة مسلحة، أو بحفـظ تـوازن دولـي. وتتعلق فكرته الثانية بنظرية ماكندر، وهي أن من يسيطر على جزيرة العالم يمكن أن يتحكم في العالم.

الإقليم الهامشى عند سبيكمان (١٩٤٤)

الهارتلاند

الاقليم الهامشى

وكـان مدخـل سـبيكمان إلـى المشـكلة مدخـلا أمريكـيا، فالعـالم الغربـي يحـيط به العـالم الشرقى بما فـيه كـتلة أوراسيا وأفريقيه وأستراليا، وتـبلغ مساحة يابس نصف الكرة الشرقي نحـو ٢,٥ مرة قدر يـابس النصـف الغربـي، كما يبلغ سكان القسم الشرقي نحـو ١٠ أمـثال سكان قسمه الغربي، وبـتقديرات ١٩٢٧ كـان نصف الكرة الشـرقي ينتج ثلثي فحـم العـالم وحديده، من ثم ينتهي سبيكمان إلى أن العالم الجديد لا يمكن أن يقف أمام العالم القديم في نضال طويل ، ولابد للسياسة الأمريكية أن تمنع وحدة أوراسيا تحت قوة واحدة.

وأخذ سبيكمان على ماكندر تقديره الزائد لإمكانات الهارتلاند.

فهـناك مسـاحات كبيرة من الأراضي الواقعة بين بولند ونهر ينسى قاحلة وأن القوة الحقيقية تكمن في ذلك النطاق من الدول الذي يحيط بالهارتلاند، وهذا النطاق أطلق عليه سـبيكمان الـنطاق الهامشي **Rimland** ففي هذا النطاق الهامشي يعيش معظم سكان العالم وتوجد معظم موارده.

ولـم يكن التاريخ السياسي بطوله عبارة عن نضال بين القوى البحرية والقوى البرية بهـذه البسـاطة، وإنمـا هو " نضال بين بريطانيا وقوة هامشية من ناحية، ضد قوة من

النطاق الهامشي وروسيا من ناحية أخرى، أو بين بريطانيا وروسيا من ناحية ، ضد قوة من النطاق الهامشي من ناحية أخرى:

وقد يقصد سبيكمان بهذا:

* فرنسا وبريطانيا وروسيا ضد تركيا .
* نجدة فرنسا وبريطانيا لتركيا في حرب القرم ضد روسيا .
* بريطانيا ضد فرنسا.
* بريطانيا وفرنسا وروسيا ضد ألمانيا.

فالنطاق الهامشي يمتد كمنطقة حاجزة غنية بالموارد والسكان حول الهارتلاند من ثم يجب أن تتغير في نظرة نبوءة ماكندر إلى :

" من يسيطر على الأراضي الهامشية يحكم أوراسيا " .

" ومن يحكم أوراسيا يتحكم في مصائر العالم " .

Who controls the Rimland rules Eurasia .

Who rules Eurasia controls the destineis of the world.

فالصراع سواء من جانب روسيا أو من جانب القوى البحرية هو للسيطرة على النطاق الهامشي، لذلك من رأيه أن تتجه السياسة الأمريكية نحو السيطرة على دول هذا النطاق أو على الأقل لمنع الإتحاد السوفييتي السابق من السيطرة عليها، وهذا هو الذي سارت عليه الولايات المتحدة الأمريكية من حيث محاولة ربط النطاق بالأحلاف أو الحيلولة دون ضعفها العسكري أمام الاتحاد السوفيتي السابق بمدها بالمعونات العسكرية. وفي نفس الحاضر أصبحت منطقة شرقي وجنوبي آسيا، فضلا عن الشرق الأوسط لها الأولوية بين أقاليم العالم في منظور الاستراتيجية الأمريكية.

ماكيندر وسبيكمان في ميزان القوى العالمية

القوى العالمية بعد الحرب العالمية الثانية:

أولا : عهد القطبية الثنائية ١٩٤٥ - ١٩٩٠ ***Bi Polar*** ليس أبلغ للتعبير عن هذه المرحلة من حديث خروشوف (المنشور في جريدة برافدا في ١٠ مايو ١٩٥٧) حيث يقول:

" وحتى نكون أكثر تحديدا فيما يختص بالتوتر الدولي، فيبدو واضحا أن كل شئ في النهاية يدور حول العلاقة بين دولتين هما الإتحاد السوفييتي والولايات المتحدة الأمريكية، ولتوضيح هذا يمكن القول بأنك إذا قمت بنزع أوراق (الكرنب) ورقة بعد الأخرى لتصل إلى القلب فسيكون هذا أشبه بإزاحتك جميع المشكلات مثار النزاع بين

الــدول جانــبا، عندئذ تصل إلى قلب المشكلة وهو التضاد بين بلدينا، الولايات المتحدة الأمريكية والإتحاد السوفييتي ".

كانــت الولايات المتحدة الأمريكية والإتحاد السوفييتي، بأي مقياس من مقاييس القوة هما القوتان الرائدتان أو القوتان الأعظم حتى أواخر الثمانينات. ويرجع ظهورهما كقوى عملاقــة إلــى الحــرب العالمية الثانية حينما ظهرت الولايات المتحدة الأمريكية بطاقة صــناعية ضــخمة لم تتأثر بالأزمة التي عانت منها الدول الأوربية حينذاك، فضلا عن سلاح ذرى جرب في اليابان، وقوتين جوية وبحرية ضخمتين، وإنتهت الحرب وقد بسط الإتحــاد السوفييتي نفوذه على ثلثي القارة الأوربية ، وبأكبر قوة برية عالمية تضم حشدا غفــيرا مــن المدرعات والمدفعية، فضلا عن مراكز صناعية لم تتأثر بالإحتلال النازي وحقــق هدفــه الإستراتيجي الأول، وهو القضاء على النازية وعملت كل قوة منذ نهاية الحــرب على جذب عدد من الدول تسير في محورها، كما واجهت كل منها الأخرى في أكثر من مناسبة بطريق مباشر وغير مباشر، في المجر وكوريا وفيتنام وكوبا والباكستان والهند والشرق الأوسط.

وقد استمر الإتحاد السوفييتي في الجانب الدفاعي حتى نهاية الخمسينات. لعدم قدرته علــى ردع الولايات المتحدة الأمريكية ذات السلاح الذرى، إذا ما قامت الحرب العالمية الثالثة، ومن ثم كانت الولايات المتحدة لديها السيطرة الحربية على العالم في تلك الفترة، ولكن تغير الحال بعد أو أصبح الإتحاد السوفييتى بدوره قوة نووية يمكنها ردع الولايات المــتحدة أو مــباداتها. وقــد بلــغ كل منهما قدرا من التسليح المتطور لدرجة أنه ليس متصورا أن يكون بعد ذلك مجال لأسلحة تدميرية رهيبة، فإذا قامت حرب عالمية ثالثة، وأســتخدم فيها السلاح النووى أو النيترونى فإن صورة العالم سوف تتغير نهائيا حتى لو عمــر جــزء مــن البشرية بعدها ، بحيث لاتصبح هناك ضرورة لتسطير هذا الكتاب . ومعنى هذا أننا نفترض إستحالة قيام مواجهة نووية لأنها لن تبقى وان تذر. حقيقة أطلت الحرب النووية أكثر من مرة ولكنها سرعان ماتتوارى بعد تطور الأسلحة الرهيب بحيث تجعل للضربة الثانية قوة لا تقل عن الضربة الأولى.

ثانيا : عهد القطب الأوحد أم تعدد الأقطاب ١٩٩١ ـــ ٢٠٠٠ *Multi Polar*.

فجأة إختفي الدب السوفييتي، وتحطم سور برلين، وأعيد توحيد ألمانيا الشرقية وألمانيا الغربــية ودخلــت الرأســمالية دول وسط وشرق أوربا والتي كانت شيوعية من قبل، وإنســحب الجيش الأحمر، وألغى حلف وارسو، وتفتت الإتحاد السوفييتي إربا ، وأصبح موضوعا تاريخيا.

هكــذا كانــت هــناك قوتان عظميان عسكريتان تتنازعان السيادة عام ١٩٤٥، وقوة عظمــى إقتصــادية واحدة وهي الولايات المتحدة الأمريكية، عام ١٩٤٥ ، أما منذ عام ١٩٩١، فهناك قوة عظمى عسكرية واحدة تقف بمفردها.

وإختفــي التكافؤ العسكري والتقريبي الذي كان قائما بين الإتحاد السوفييتي والولايات

المتحدة في النصف الأخير من القرن العشرين. وفي بداية القرن الحادي والعشرين، على الأقـل، ستكون هناك قوة عسكرية عظمى واحدة، هي الولايات المتحدة. وكما أوضحت الحـرب في الخليج فإن الولايات المتحدة هي وحدها التي تستطيع أن تحرك جيشا جديثا ضخما إلى أي مكان في العالم في غضون بضعة أشهر.

الفروقات الرئيسية بين النظام العالمي القديم والجديد

الأنماط السائدة	النظام العالمي القديم	النظام العالمي الجديد
نمط الإنقسامات	شرق / غرب	شمال / جنوب
نمط التكتلات	تكتلات عسكرية	تكتلات تجارية
نمط الصراعات	أيديولوجية / سياسية	تجارية / إقتصادية
التفاعلات السياسية	صراعات	تسويات
التفاعلات العسكرية	سباق التسلح	نزع السلاح
الأقطاب	ثنائي الأقطاب	أحادى أو متعدد الأقطاب
الأيديولوجيات	رأسمالية / إشتراكية	رأسمالية

ويذهب البعض إلى أن الولايات المتحدة الأمريكية لا يمكن أن تكون قوة عسكرية عظمى مادامت تعتمد على دول أخرى في الوفاء بالجانب الأكبر من تكاليف حروبها. ولكن كان يمكن لها أن تتحمل هذه التكاليف، ولكن المعونة المالية التي طلبتها من الدول التي لم تقدم جنودا، وذلك لإقناع الرأي العام الأمريكي أن الحرب أساسها التحالف، وليست مجرد جهد أمريكي منفرد، فمن الناحية السياسية لم يكن مقبولا للأمريكيين أن يموتوا دفاعا عن إحتياجات ألمانيا أو اليابان من النفط، ونظرا لأن جانبا كبيرا من المعدات والذخيرة التي أستخدمت في حرب الخليج قد جاء من مخزون أمريكا العسكري، ولم تكن هناك حاجة إليه، فإن أمريكا تكون قد حققت ربحا من هذه الحرب. ومن الناحية المالية لقد خرجت أمريكا من هذه الحرب أقوى مما دخلتها.

على العموم بإستطاعة الدولة أن تكون قوة عظمى عسكرية لفترة طويلة حتى إذا كانت مقدرته الإقتصادية تتضاءل . فالضعف الإقتصادى في المركز يؤدى إلى ضعف عسكري عند الأطراف، ولكن الفترات الزمنية الفاصلة تكون في بعض الأحيان طويلة للغاية . فقد كسبت روما خلال قرون تدهورها غالبية المعارك مع الذين يعيشون على حدودها. ولكن المشكلات في قلب الإمبراطورية أدت في نهاية الأمر إلى الإنسحاب من الأطراف. والرومان لم يتعرضوا أبدا لهزيمة في الجزر البريطانية، ولكنهم غادروها ذات يوم. ونقل الرومان فيما بعد مركز إمبراطوريتهم من روما إلى القسطنطينية، حيث لم يتعرضوا في نهاية الأمر للهزيمة على يد الأتراك إلا بعد قرون عديدة من سقوط روما نفسها. وبينما كانت روما قد دخلت العصور الإقتصادية المظلمة، كانت قوة روما

العسكرية لا تزال مفعمة بالحيوية.

والـتاريخ واضـح إذن، فبينما يكون بإستطاعة القوة العسكرية في بعض الأحيان أن تسـتمر بعد زوال القوة الإقتصادية لبضعة قرون، فإن القوة العسكرية تكون معتمدة آخر المطـاف على وجود قاعدة إقتصادية ناجحة. ونجاح أمريكا في حرب الخليج دليل على أنهـا قوة عظمى عسكرية، وعلى أنها ستكون كذلك في القرن القادم. ولكن نجاحها ليس بأية حال ضمانا بأنها ستكون قوة عظمى إقتصادية في القرن الحادي والعشرين.

لذلـك فإلى جانب القوة العسكرية العظمى وهي الولايات المتحدة الأمريكية في نهاية القرن العشرين وأوائل القرن الحادي والعشرين هناك ثلاث قوى عظمى إقتصادية بزغت إلـى جانـبها في أواخر هذا القرن ، وستسطع بشدة في القرن الحادي والعشرين، وهي اليابان، وأوربا المتمركزة حول ألمانيا ، ويقولون رابعهم الصين !!

وقـد ظهرت بوادر عدم رضاء العالم أو أقطابه على أقل تقدير في رفض فرنسا في قضية الثقافة وقت إجراء مفاوضات منظمة التجارة العالمية، وأن الثقافة لها خصوصيتها وتختلف عن البن والنحاس والقطن... ، وتمسكت فرنسا أيضا فيما يختص بقضية الشرق الأوسـط بمـبدأ " الدولة الفلسطينية، وغيرها من الأمور التي سيأتي ذكرها حين ندرس فرنسـا، ولكن الملفت للنظر أيضا دعوة الرئيس الفرنسي جاك شيراك إلى إيجاد مدخل جديـد بيـن الصـين والغرب يعتمد على الإعتراف والتقدير المتبادل تجاه القيم العالمية الأكبر، وأن تشترك الصين في النظام العالمي المتعدد الأقطاب ، كذلك الحال في روسيا الإتحاديـة التي إتجهت شرقا إلى الصين، وهذا التقارب هو تقارب سياسي مصلحي بين دولتيـن كبيرتيـن ، يجمعهمـا الإحساس بأن إتجاه الولايات المتحدة الأمريكية للانفراد بالهيمنة العالمية إنما يسئ إلى كل منهما. من ثم فهذه المعركة غير المعلنة تشير إلى أن القرن الجديد سيكون متعدد الأقطاب.

وتـتحول المـباراة من صبغتها العسكرية إلى صبغتها الإقتصادية، وتصبح السياسة كوكبا والإقتصاد نجما!

ويظل ماكيندر وسبيكمان على حق فيما يختص بالقوى العالمية، فإذا نظرت للخريطة السياسية ستجد:

(١) الهـارتلاند وتمـثله روسيا الاتحادية فمازالت قوة عسكرية نووية خطرة رغم التدهور الذي تعانيه، وإن كانت في طريقها إلى الإنحسار.

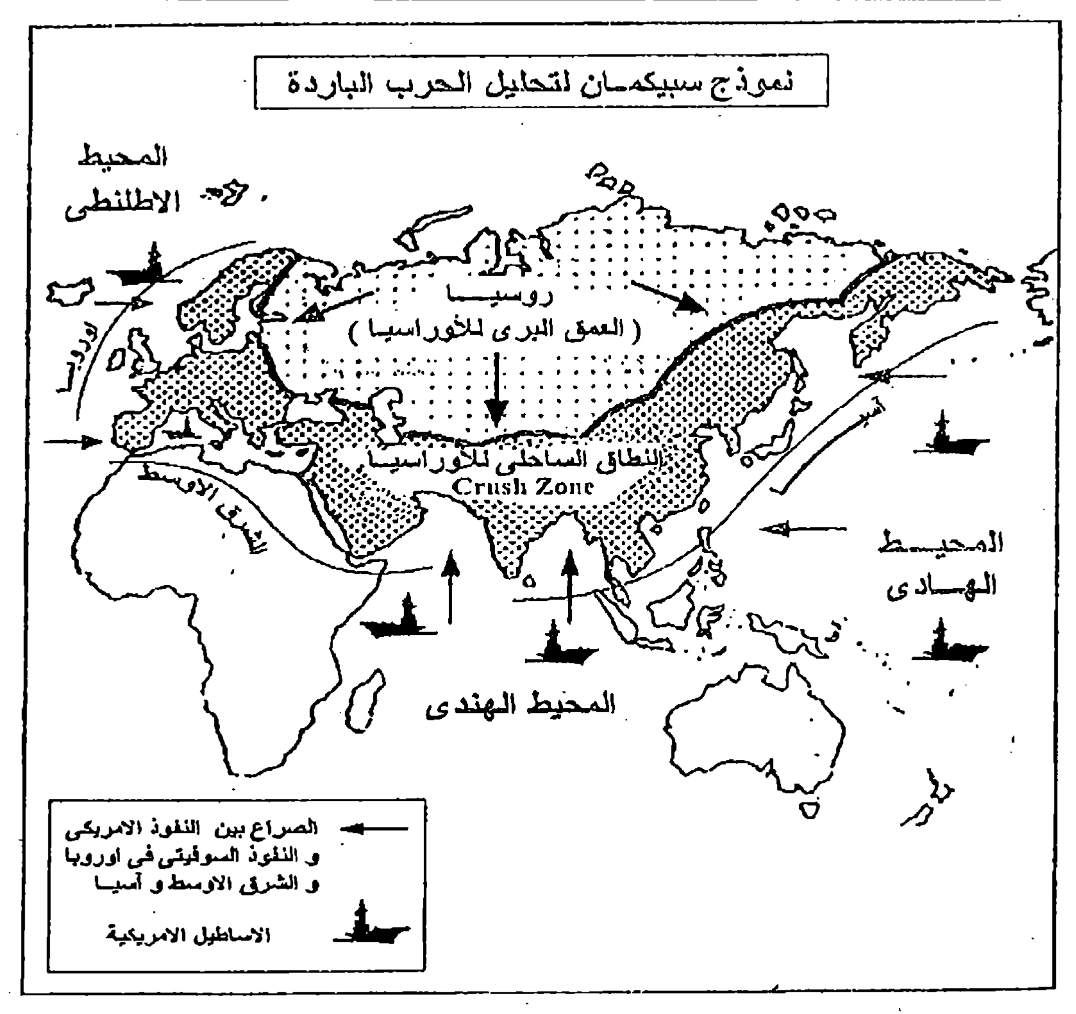
(٢) أوربا لو قيض لها إتمام الوحدة، وهي في طريقها فعلاً (الإقليم الهامشي).

(٣) اليابان والصين (من دول الهامش).

(٤) الولايـات المتحدة الأمريكية مواجهة لدول الهامش والهارتلاند فأوروبا شرقها، والصين واليابان غربها.

قدرات وإمكانات القوي العالمية المعاصرة (١٩٩٥)

مؤشرات مختارة	الولايات المتحدة الأمريكية	أوروبا	اليابان	الصين
عدد السكان	٢٥٠ مليون	٥٥٠ مليون	٢٣٤ مليون	١٢٠٠ مليون
المساحة	٩,٤ مليون كم٢	٢,٤ مليون	٣٧٨ ألف كم٢	٩,٥ مليون كم٢
إجمالي الناتج القومي	٦ تريليون دولار	٦,٥ تريليون دولار	٣,٥ تريليون دولار	٤٦٠ مليار دولار
معدل النمو الاقتصادي ١٩٩٥	٣%	٢,٥%	٤,٣%	١١%
إجمالي الإنفاق العسكري	٢٦٥ مليار دولار	١٦٣ مليار دولار	٢٨ مليار دولار	١٢,٥ مليار دولار
عدد القوات المسلحة	٢,١ مليون جندي	٣ مليون جندي	٢٥٠ ألف جندي	٣ مليون جندي
عدد الأطباء	٦٠٠ ألف طبيب	٩٠٠ ألف طبيب	١٩٥ ألف طبيب	١,١ مليون طبيب
عدد المدرسين	٢,٧ مليون مدرس	٣,٦ مليون مدرس	٩٩٠ ألف مدرس	٦,٦ مليون مدرس
متوسط عمر الفرد	٧٦ سنة	٧٤ سنة	٧٨ سنة	٧٠ سنة
متوسط دخل الفرد	١٩,٥ ألف دولار سنويا	١٦ ألف دولار سنويا	٢٢ ألف دولار سنويا	٣٧٠ دولار سنويا



الفصل الأول

الولايات المتحدة الأمــريكية

نمو الولايات المتحدة الأمريكية

يمكــن أن نميز أربعة أدوار رئيسية في نمو الولايات المتحدة وظهورها كقوة عالمية، هذه الأدوار هي :

أولا : مرحلة تعمير القارة بالهجرات حتى الحصول على الأستقلال عام ١٧٨٣.

ثانــيا : مــرحلة التوســع غرباً حتى الوصول إلى الباسفيك ١٧٨٣، والحرب الأهلية (١٨٦١-١٨٦٥).

ثالــثا : مرحلة النمو في الباسفيك وأمريكا الوسطى من نهاية الحرب الأهلية ١٨٦٥، حتى ١٨٩٨.

رابعاً : منذ إعتداء اليابان على بيرل هاربر ١٩٤١ حتى الوقت الحاضر.

المرحلة الأولى ـ تعمير القارة حتى الأستقلال :

لــم تظهــر الولايات المتحدة على المسرح العالمي كدولة مستقلة ألا منذ ما يزيد على قرن ونصف، ومن هذه الناحية، نجد أن روسيا أكثر منها قدماً ، ذلك أن منطقة موسكو أو بلدية موسكو بدأت تظهر كدولة قوية منذ خمسة قرون على الأقل، ومع ذلك فقد استطاعت الولايــات المــتحدة الأمريكية أن تتفوق على الأتحاد السوفيتي زراعيا وصناعيا منذ عام ١٧٨٣، وقلربــت ســكانه في ذلك العام، وكلاهما توسع نحو الباسفيك، روسيا شرقا من نواتها في أوروبا، والولايات المتحدة غرباً من نواتها على ساحل المحيط الأطلنطي.

وقــد اتجهت السفن من العالم القديم نحو العالم الخارجي، لتغترف الذهب والفضة، من المكســيك، وبيرو، وصيد الأسماك من نيوفوندلند، وبدأت بعض عمليات الأستقرار، كانت معظمها على هيئة حصون ومراكز تجارية وبعثات تبشيرية.

وكان **الأسبان** هم أنشط الرواد في المرحلة الأولى من الكشف ، فقد إمتدت مستعمراتهم من فلوريدا إلى كاليفورنيا، بينما إستقر بعض الفرنسيين في كندا على طول سنت لورنس، وأسســو مراكــز للتجارة وللبعثات التبشيرية حول البحيرات العظمى والمسيسبى، وبدأوا بتجارة الفراء مع الهنود الحمر.

وإســتقر **الهولــنديون** حــول نهر هدسن، بينما تجمع الفنلنديين والسويديين على طول ديلاوير ***Delaware*** ومع ذلك فقد كان أكثر المستعمرين عددا هم **الإنجليز** الذين إمتدوا من المستعمرات الفرنسية في الشمال إلى المستعمرات الأسبانية في الجنوب. وقامت شركة لندن بإنشاء أول مستعمرة إنجليزية وهي جمستون ***Jamestown*** في فرجينيا، غير أن سوء الإدارة وإنتشار الأمراض والمجاعات ومهاجمة الهنود الحمر، أدى إلى خلق المتاعب

أمـــام هـــؤلاء الرواد حتى أنه لم يبق سوى ١٢٣١ نسمة عام ١٦٢٤ من مجموع السكان الذيـــن أرســلتهم الشركة وعددهم أربع عشر ألف نسمة ، لذلك بدأت الحكومة البريطانية التدخل، وحولتها إلى مستعمرة ملكية. وتميزت المستعمرات الإنجليزية بنموها السريع على عكس المستعمرات الفرنسية في الشمال والمستعمرات الأسبانية في الجنوب، ويرجع هذا النمو السريع إلى العاملين معا: الزيادة الطبيعية والهجرة إذ كان متوسط عدد أفراد الأسرة كبيرا في ذلك الوقت، فكانت الأسر ذات الثماني أو العشرة أفراد عادية، لأن الأباء كان في إمكـــانهم إعالـــة الأسر الكبيرة لرخص الأرض، ولأنهم كانوا يبنون مساكنهم بأنفسهم من أخشـــاب الأشجار، فضلا عن الأولاد الذين يمكنهم المعاونة في أعمال المنزل والمزوعة مما شجع تلك الأسر على النزول المبكر.

وكـــان كثيرا من الرواد الباحثين عن الحرية السياسية والدينية، فمن هؤلاء الكاثوليك، والهجنوت (البروتستانت الفرنسيين) واليهود، ومنهم من أتى العالم الجديد للتبشير، ومنهم مـــن أتى باحثا عن حالة إقتصادية أفضل كالأيرلنديين، وكان منح المهاجر الجديد من ٥٠ إلـــى ١٠٠ فدان من العوامل التي جذبت كثيرا من المزارعين والعمال الفقراء من أوربا. ويضـــاف إلـــى هـــذا نحو ٥٠ ألفا من نزلاء السجون الإنجليزية فقد بدأت الأحكام تصدر بالنفـــي إلى العالم الجديد حتى تتلخص بريطانيا من نفقات بقائهم في السجون، وكان كثير مـــن هـــؤلاء محكوم عليه بسبب عقائده السياسية أو الدينية التي أثقلت كاهله وأعداد قليلة بسبب جرائمهم عليهم أن يؤدوا خدمات لأسيادهم لمدة تبلغ نحو السبع سنوات وبعدها يطلق سراحهم ويفك قيودهم.

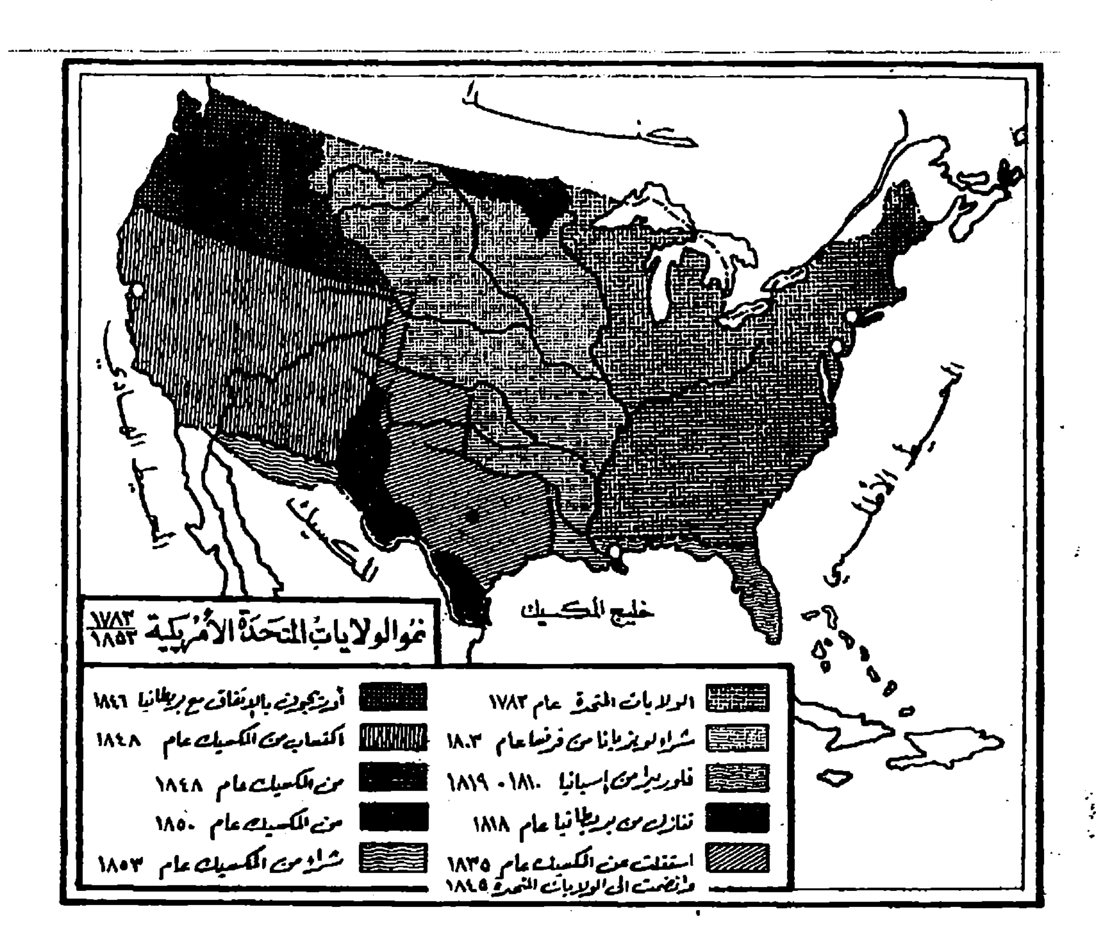
وهكـــذا وبعـــد قـــرن مـــن الإستعمار، أى في القرن السابع عشر، لم يكن متوقعا من المستعمرين الإنجليز ــ الذين كانوا يعيشون في الجهات الساحلية بين الأطلنطي من ناحية، وبين الأبلاش من ناحية أخرى ــ لم يكن متوقعا أن يكون هؤلاء نواة لسكان دولة مستقلة تصل إلى الباسفيك، خاصة وأن عددهم إذ ذاك لم يكن يزيد على ٣٠٠,٠٠٠ نسمة ، ولكن هـــذه الـــنظرة تغيرت وتبدلت عام ١٧٨٣، أي بعد ثلاثة أرباع قرن آخر، حين إستطاعت هذه المستعمرات الإنجليزية الحصول على إستقلالها من الدولة الأم، فقد وصل عدد السكان إلـــى ما يقرب من الثلاثة ملايين نسمة من أصل أوروبي " معظمهم من الزراع " ولم تكن هناك صناعات تذكر ، كما كانت المواصلات على درجة كبيرة من الإنحطاط.

المرحلة الثانية : الوصول إلى الباسيفك:

ثم كانت الفترة التي بدأ فيها التوسع على أشده وكانت ما بين ١٧٨٣، والحرب الأهلية الأمريكية (١٨٦١ - ١٨٦٥).

فقـــد ضـــم إقلـــيم لويزيانا من نابليون (فرنسا عام ١٨٠٣ ، وفلوريدا من أسبانيا عام ١٨١٩)، وبذلـــك تم للولايات المتحدة السيطرة على ساحل الأطلنطي من الحدود الكندية حـــتى خلـــيج المكسيك ، أو بمعنى آخر وصلت الولايات المتحدة إلى ما يزيد على نصف مســـاحتها الحالية ، ثم كان التوسع التالي الذي وصلت به إلى نهر ريوجراند عام ١٨٤٣،

الـــذي وضـــعها وجهـــا لوجه مع المكسيك ، ونتيجة للحروب، ثم لعمليات الشراء فقدت المكســـيك أكـــثر من نصف مساحتها ، (إذ كانت في ذلك الوقت مخلخلة السكان) فقدت تكســـاس أحد ولايات الولايات المتحدة الأمريكية الآن، ثم بعد ذلك إتفقت الولايات المتحدة الأمريكـــية مـــع بريطانـــيا على الحدود الكندية، وفي عام ١٨٤٦ ضمت إريجون إلي، ثم عـــادت المكســـيك فتنازلت عن جزء آخر من أراضيها وهي كاليفورنيا العليا ***Upper Calif*** عام ١٨٤٨.



وبهـــذا تكونت الولايات المتحدة الأمريكية بحدودها الحالية منذ أكثر من قرن بقليل ثم إشـــترت الاسكا من روسيا عام ١٨٦٧، وعلى العموم يمكن أن نقول بأن عام ١٨٦٩ هو العـــام الـــذي تم فيه تماسك الولايات المتحدة الأمريكية الحديثة نظرا لأنه تم في هذا العام الإنتهاء من مد أول خط حديدي عبر القارة.

وهنا يصح المقارنة بين توسع الإتحاد السوفييتي السابق نحو الشرق، وتوسع الولايات المـــتحدة الأمريكـــية نحـــو الغرب، فكلاهما بدأ نواة ، كانت بمثابة مشتل للدولة الجديدة، وكلاهما توسع في أعقاب هجرات الزراع المستعمرين الذين سبقوا التوسع الرسمي للدولة، وكلاهمـــا إستمر سيرا نحو الباسيفك، ولم يقف إلا عند المحيط، وإن كان الروس قد تعدوا

البحر إلى الاسكا وغرب أمريكا الشمالية، وكلاهما عانى صعوبات ومشكلات عديدة في سبيل تكوين الإمبراطورية، فقد وجدوا صعوبات من السكان الأصليين، وهم العناصر المغولية المختلفة التي تعيش شرق الأورال والهنود الحمر والأسبان والمكسيكيين في غرب الولايات المتحدة الأمريكية وجنوبها ، وكما أن الحكم القيصري كان يتبع المستوطنين كان العلم الأمريكى يتبع الناس.

Where the folk went, the flag should (Ratzel)

وإستمرت سياسة العلم الذي يتبع الناس، حتى منتصف القرن التاسع عشر، وكان حلم الكثيرين أن يستمر هذا التوسع حتى تشمل الدولة الجديدة كل أمريكا الشمالية، وخاصة تلك الأجزاء التي لا تفصلها عقبات طبيعية عن أراضى الولايات المتحدة، فيجب أن يحقق الأمريكيون مصيرهم الفزيوغرافي ***Physiographic Destiny*** حتى لقد كان البعض يتنبأ أنه ما أن ينتهي القرن التاسع عشر، حتى تعكس المياه تلاطم شواطئ أمريكا الشمالية، نجوم الراية الأمريكية واشرطتها.

ولم تسهم الولايات المتحدة الأمريكية بنشاط يذكر خلال فترة التوسع هذه خارج القارة ، ففي حربها مع بريطانيا (١٨١٢ - ١٨١٥) إقتصرت الحرب على الحدود الكندية الأمريكية من ناحية، وعلى المواقع البحرية في الأطلنطي من ناحية أخرى، وفي العشر سنين التالية عندما كانت المستعمرات الأسبانية والبرتغالية في أمريكا اللاتينية تناضل في سبيل إستقلالها، أظهرت عطفها على هذه الجمهوريات الجديدة، بغية طرد القوى الأوربية من العالم الجديد بإعلان مبدأ مونرو الذي يقوم على أساسين:

١- عدم السماح للدول الأوربية بإنشاء مستعمرات جديدة في الأمريكتين.

٢- عدم السماح للدول الأوربية بالتدخل في شئون دول الأمريكتين.

وقد وقف هذا المبدأ مانعا للقوى الأوربية من إستعمار القارة، أما إهتمامات الولايات المتحدة خارج أمريكا الشمالية فلم تظهر إلا بعد الحرب الأهلية التي إنتهت عام ١٨٦٥، فقد بدأت بعدها تظهر إهتماماتها الخارجية خاصة في المحيط الهادي الشمالي ، وفي أمريكا الوسطى.

المرحلة الثالثة ـــ النمو في الباسيفك وأمريكا الوسطى :

زاد إهتمام الأمريكيين بالشرق الأقصى بعد ثورة الإستقلال، وذلك حينما بدأ تجار نيو إنجلند التجارة مع الصين. وقد ظلت كانتون لعدة سنوات هي الميناء الوحيد المفتوح للأجانب، ثم عقدت الصين عام ١٨٤٠ عدة إتفاقيات منحت بمقتضاها عدة موانى أخرى للأجانب وحصلت الولايات المتحدة الأمريكية على حق التجارة في هذه الموانئ عام ١٨٤٤، بل دخلت وحصلت على إمتياز عدم خضوع الأمريكيين الذين يعيشون في الصين لحكومة الصين ، بل يخضعون للقانون الأمريكي، وللموظفين الرسميين الأمريكيين.

حصل الأمريكيون أيضا على حق دخول الموانئ اليابانية والتجارة معها عام ١٨٤، ثم

زاد الإهتمام بعد الإستيلاء على هاواى ، وجزر سامو، وجزيرة ويك **Wake** والفلبين (١٨٩٨ – ١٨٩٩) بل أن إمتلاكها للفلبين جعلها جارة لكل من الصين واليابان ، ووجد رجال الأعمال الأمريكيون الفرصة سانحة للتجارة مع هذا العدد الغفير من الشعب الصيني.

وبينما كانت الولايات المتحدة الأمريكية مشغولة بتسوية حربها مع أسبانيا، كانت القوى الإنجليزية والفرنسية والروسية واليابانية تسعى إلى الإستحواذ على مناطق نفوذ لها في الصين، ووجدت الولايات المتحدة الأمريكية أن الأسواق الصينية ستقفل في وجهها، فأعلنت سياسة الباب المفتوح لكل الدول في الصين عام ١٨٩٩، وذلك خشية على مصالحها الإقتصادية.

الاسكا :

وأكبر الولايات البعيدة عن صلب الولايات المتحدة الأمريكية ، بمساحة تزيد على النصف مليون نسمة وقد إشترتها الولايات المتحدة الأمريكية عقب الحرب الأهلية. وكان لإكتشاف ثروتها المعدنية، فضلا عن أهميتها الإستراتيجية أثره في زيادة عدد سكانها بنحو ثلاث مرات منذ عام ١٩٣٠ ، ويتجمع السكان في ثلاث أقاليم منفصلة بعضها عن بعض، في الجزء الجنوبي منها، وفي وسط الاسكا حيث يمتد وادى يوكون السهلي والذي ينفتح نحو الغرب أي نحو بحر بيرنج، وفي أقصي الشمال حيث تمتد منطقة سهلية أخرى تنحدر نحو المحيط القطبي، هذا ويفصل بين مناطق تجمع السكان مناطق جبلية.

ويعتمد إقتصاد ألاسكا على مواردها الثلاثة الشهيرة، وهي الفراء والأسماك والمعادن، وتسهم الأسماك وحدها خاصة السالمون بنحو ٧٠ بالمائة من الدخل القومي. وإذا كان الذهب هو أهم معادنها المستخرجة فإن تكويناتها تضم إحتياطيات كبيرة من الفحم، وإحتمالاتها البترولية كبيرة، فضلا عن إمكانات توليد الكهرباء على سفوح المرتفعات الجنوبية، غير أن إستغلال موارد المياه في هذه المنطقة الجنوبية لابد له من إتفاق مع كندا ، نظرا لأن معظم الروافد تأتى منها، وقد بدأت كندا فعلا في إستغلال القوى المائية على نطاق واسع في قسمها الغربي، وهناك ثروة خشبية ، ولكنها لاتقدر على المنافسة في أسواق الولايات المتحدة الأمريكية بسبب تكاليف النقل المرتفعة، والتي تجعل من أخشاب كندا، منافسا خطيرا وان كانت تجد لها أسواقا جديدة في اليابان.

وتملك الحكومة الفيدرالية ٩٩,٥٨ % من أراضى الاسكا، والجزء الباقي ترك للملكية الخاصة. وقد إضطرت الحكومة إلى هذا حتى لايساء إستخدام موارد الاسكا الطبيعية.

وتعطى الحكومة حق إستغلال المناجم والغابات للسكان نظير إيجار معين، ومع هذا فلازال معظم الاسكا بعيدا عن التنمية الإقتصادية الكاملة، ولعل السبب الرئيسي هو عدم وجود التسهيلات المناسبة في المواصلات ، فلا زالت السفن التي تقلع من سيتل **Seatle** هي وسيلة الربط الرئيسية بين الولايات المتحدة وأكبر ولاياتها الاسكا، ومع ذلك فقد بدأت الولايات المتحدة في شق طرق كبيرة فيها لإستعمالها للأغراض الحربية، فضلا عن نشاط

النقل الجوى منذ ما بعد الحرب العالمية الثانية.

وتقترب الاسكا من الإتحاد السوفييتي، فجزيرة آتو **Attu** تعتبر النهاية الغربية لجزر الوشيان لاتبعد بأكثر من ٢٠٠ ميل عن جزر كوماندورسكى **Komandorski** السوفييتية، كما تقع على بعد ٦٠٠ ميل من شبه جزيرة كمتشتكا، هذا بينما نجد أن بعد الاسكا عن سيبيريا لايزيد على ٦٥ ميلا عبر بوغاز برنج.

وفي الحق أن نمو العمليات الحربية في ألاسكا ظاهرة حديثة للغاية، فالطريق الدائري بين شمال غربي الولايات المتحدة الأمريكية وجزر اليابان يمر جنوبي الاسكا، من ثم أقيمت إستعدادات دفاعية كثيرة في هذا الإقليم خلال الحرب العالمية الثانية، وحاول اليابانيون إحتلالها عام ١٩٤٢ بإحتلال الجزر القريبة منها وشن الغارات عليها، غير إنتهاء الحرب مع اليابان عام ١٩٤٥، زاد من حدة التوتر في المنطقة بزيادة قوة الإتحاد السوفييتي، زادت بالتالي أهمية الاسكا الحربية، وأقيمت فيها قاعدتان جويتان أحدهما بجوار انكوراج **Anchorage** والثانية بجوار **Fairbanks** وتعززها عدة مطارات صغيرة نسبيا ، كما أقيمت فيها شبكات الرادار وشبكة الدفاع الجوى ، وقوة أرضية لحراسة القواعد الجوية . فضلا عن دعم بحري على طول الساحل. وضمت كالولاية التاسعة والأربعين في يناير ١٩٥٩.

ولم يكن الأمريكيون يقدرون الاسكا حق قدرها، لم يعرفوا بذهبها ولاغاباتها ولا فحمها ولاأسماكها، فضلا عن أهميتها الإستراتيجية التي ظهرت أخيرا، من ثم صادف وليم سيوارد **William Seaward** الذي كان وزيرا للخارجية في عهد لينكولن وجونسون معارضة شديدة لفكرة شراء الاسكا وغلاء الثمن (٧٠٢ مليون دولار) رغم أن هذا معناه أقل من ٢ سنت للفدان وهاجمته الصحف ، ومنها صحيفة **New York Herald** التي نشرت الإعلان التالي:

Cash. Cash Cash-Paid for Castoff terriory best Price given for old Colonies, North or South, any Impoverished monarch retiring from the colonization business, may find a good purchaser by addressing W. H. S. (Seward), Post office Washington N. D. C.

ميدواى وجوام والفلبين وهاواى:

وفي نفس العام إستولت أيضا على جزيرة **Midway** (في الهادي) ولعل السبب في إهتمام الولايات المتحدة بالمحيط الباسفيكى في تلك الفترة هو التطور السريع في أهمية ولاياتها الباسيفيكية وخاصة كاليفورنيا، ثم لتطور علاقاتها مع شرق آسيا، إذ أنها إستولت على جزر الفلبين بعد حربها مع أسبانيا عام ١٨٩٨، وأرغمت أسبانيا على بيعها هذه الجزر مقابل ٢٠ مليون دولار. وكذلك أن تتنازل عن جزيرة جوام، كما ضمت إليها جزر

هـــاواى فـــي نفـــس العام ، وهي مجموعة من الجزر تبعد ألفي ميل عن غرب الولايات المـــتحدة الأمريكية جنوب مدار السرطان مباشرة، وتتجمع معظم جزرها بل وسكانها في الثمانى جزر الشرقية، بحيث لا تظهر جزر ذات شأن في النهاية الغربية لأرخبيل هاواى سوى ميدواى **Midway**، وتبلغ مساحة الجزر جميعها نحو ٦٤٢٣ ميلا مربعا، وتعتمد فـــي حياتها على الإقتصاد التجاري وبخاصة زراعة قصب السكر والأناناس، فضلا عن الســـياحة، والقواعـــد الحربـــية الممثلة في بيرل هاربر **Pearl Harbour** وشوفيلد **Schofield** ، وقد بلغت قيمة صادراتها وخدماتها مع الولايات المتحدة الأمريكية ٩٥٣ مليون دولار عام ١٩٦٥، بينما بلغت وارداتها في ذلك العام من الولايات المتحدة ١٩٢٣ مليون دولار.

وقد وجدت هاواى بعض المعارضة في ضمها كولاية إلى الدولة الأصلية، وكان أساس هـــذه المعارضة هو تركيب سكانها ، على أساس أن ٣٥ % من سكانها يرجعون لأصول يابانـــية ، ١٢ % لأصول فلبينية، ٦ % لأصول صينية ، ولكن الأهمية الإستراتيجية لهذه الجزر تغلبت على هذه الإعتراضات، وضمت كالولاية الخمسين في أغسطس عام ١٩٥٩ وبذلك أصبحت هي والجزر الأخرى مثل ميدواى وغيرها ، تؤلف حلقات ربط بين غرب الولايات المتحدة الأمريكية وألاسكا.

أمريكا اللاتينية:

أمـــا في أمريكا الوسطى فقد كانت الولايات المتحدة الأمريكية قانعة بالوصول إلى نهر ريوجـــراند في عام ١٨٤٥، ولكن حربها مع أسبانيا عام ١٨٩٨ أعطاها آخر المستعمرات الأسبانية في أمريكا اللاتينية وهي كوبا وبورتريكو.

وقـــد إزدادت إهتماماتها بأمريكا الوسطى بصفة خاصة بعد ١٨٩٨ وعندما قامت ثورة فـــي الجزء الكولومبى في ولاية بنما شجعت الولايات المتحدة الأمريكية على هذه الثورة، ووقعـــت معـــاهدة مـــع هـــذه الجمهورية الجديدة ، وبذلك أنهت المفاوضات الطويلة مع جمهورية كولومبيا الخاصة بحفر قناة تجرى في أرضها.

قناة بنما:

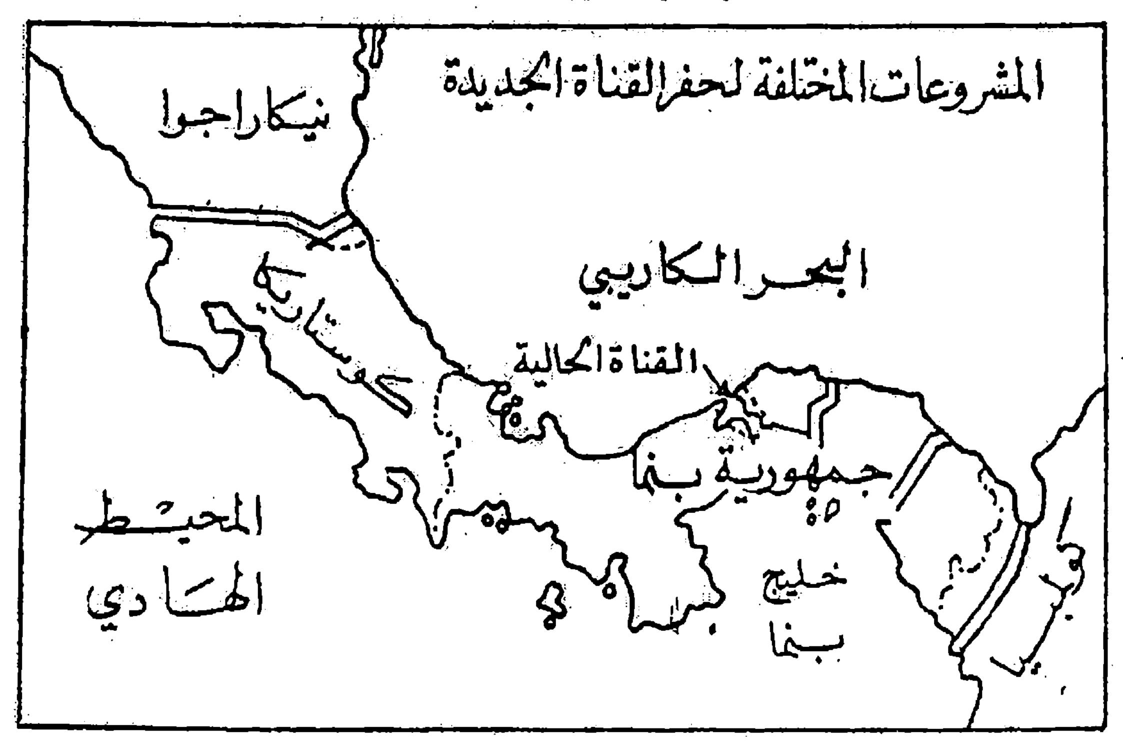
شـــقت قناة بنما لتقصير المسافة بين المحيطين الأطلنطي والهادي، ولقد كان شق هذه القناة حلما راود النفوس منذ أن عبر (بلباو) برزخ بنما عام ١٥١٣، وإكتشف الباسيفيك، وظهـــر أول إهتمام للولايات المتحدة بهذا الموضوع عام ١٨٤٦ بعد ماضمت كاليفورنيا، لأنهـــا بهذا وصلت إلى الباسيفك، ومن ثم كان لابد من طريق سهل بين الشرق والغرب، وعقـــدت الولايات المتحدة الأمريكية إتفاقية مع جمهورية كولومبيا التي كانت تتبعها بنما حينـــئذ، يمـــنح الولايـــات المتحدة الأمريكية طريقا للمرور عبر البرزخ، وعندما إكتشف الذهـــب فـــي كاليفورنيا وبدأ التدفق نحو الغرب ، ظهرت الحاجة إلى قناة في هذا البرزخ الضيق.

وظهر إهتمام آخر لبريطانيا في شق قناة في أمريكا الوسطى، ولكن الولايات المتحدة لم تكـن ترضـى بالنفوذ البريطاني في المنطقة، من ثم عقدت الولايات المتحدة معاهدة مع بريطانيا عام ١٨٥٠، تشترط بمقتضاها إشراف الدولتين على أي قناة تقوم بحفرها أي من الدولتيـن فـي المنطقة ، وألا تحصن وتكون مفتوحة لسفن جميع الدول ، ولكن الولايات المتحدة الأمريكية فقدت هذا الإهتمام بعد مد الخط الحديدي عبر القارة.

وظهـر فرديناند ديلسبس عام ١٨٨٠ على مسرح الإقليم ليبدأ شق قناة بنما، وقدر مبلغ ١٧٠ ملـيون دولار نفقات للمشروع، ولكن بعد صرف مبلغ ١٧٠ مليون دولار ومضى خمـس سـنوات، لـم يكن قد قام سوى ثلث العمل، بسبب أمراض المناطق الحارة التي إنتشرت بين العمال وفتكت بهم فضلا عن الصعوبات الهندسية مما أدى إلى إفلاس الشركة وتوقف الحفر.

وعـاد الإهتمام الأمريكي مرة أخرى بالقناة بعد وضع الولايات المتحدة الأمريكية يدها على الفلبين وهاواى. وظهور فرص للتجارة مع الشرق الأقصى والدفاع عن مصالحها في المحـيط الهـادي، وإلا معـنى هذا ضرورة إحتفاظ الولايات المتحدة بأسطولين منفصلين أحدهما في الأطلنطي والآخر في الباسفيكى وأعيد النظر في المعاهدة الأمريكية البريطانية الخاصة بالقناة، وإعترفت فيها بريطانيا بحق الولايات المتحدة الأمريكية بحفر القناة، وأن تخضع لإشرافها بشرط حرية مرور جميع السفن فيها.

قنـاة بنما والمشروعات المختلفة لحفر القناة



وكانـــت عملـــية إختيار طريق للقناة من الطرافة بمكان، ذلك أن الكونجرس الأمريكي والمهندســـين الأمريكيين كانوا في جانب حفر القناة في نيكاراجوا، ولكن الشركة الفرنسية التـــي ألفت كانت تواقة لبيع إمتيازها وأدواتها للولايات المتحدة، فبذلت نشاطا كبيرا لحفر القناة في بنما، وبذلت جهودا جبارة لمنع مجلس الشيوخ من الموافقة، وكانت تلوح لهم بأن البراكين في نيكارجوا ستقضى على المشروع، ولم يحسم الأمر إلا حدوث بركان في مايو عـــام ١٩٠٢ فـــي نـــيكارجوا، مما أدى إلى تغير الإتجاه نحو بنما، وشراء حق الإمتياز والأدوات من الشركة الفرنسية بمبلغ ٤٠٠ مليون دولار.

وعرضت الولايات المتحدة الأمريكية على كولومبيا مبلغ ١٠ ملايين دولار فضلا عن ربع مليون دولار كل عام نظير قطعة أرض تمتد بعرض ٦ أميال في بنما، ولكن حكومة كولومبيا رفضت العرض لأنها بعد عام واحد ستؤول إليها حقوق الشركة الفرنسية، فضلا عـــن الأربعمائـــة مليون دولار. وهنا بدأت الولايات المتحدة الأمريكية والشركة الفرنسية تلعبان دورا سياسيا كبيرا لفصل بنما عن كولومبيا. وبدأت الشركة الفرنسية تقدم الرشاوى وتكـــون جيشـــا صغيرا، وأرسلت للولايات المتحدة قطع من أسطولها إلى بنما لحمايتها، فأعلنـــت بـــنما إستقلالها في ٣ نوفمبر ١٩٠٣، وحصلت الولايات المتحدة الأمريكية على إيجار قطعة أرض بعرض عشرة أميال، بنفس الشروط التي عرضتها سابقا على كولومبيا بعد ذلك بخمسة عشر يوما فقط.

وهكـــذا بـــدأ العمل عام ١٩٠٤، ولم يتم إلا بعد عشر سنوات، حين إفتتحت في عام ١٩١٤ أى عند بداية الحرب العالمية الأولى.

ويـــبلغ طول القناة ٦٠ كيلو مترا أى طولها أقل من نصف طول قناة السويس ويتراوح عرضـــها بين ١٠٠، ٣٠٠ مترا، ويستغرق المرور فيها نحو ٨ ساعات، وأن كان وجود الأهوســـة فيها يؤدى إلى بطء الحركة، بحيث تضطر بعض السفن إلى الإنتظار أكثر من ١٥ ساعة حتى يأتى دورها.

توتر علاقات بنما مع الولايات المتحدة الأمريكية:

ويعتـــبر عـــام ١٩٥٦ بدايـــة توتر علاقات الولايات المتحدة الأمريكية مع بنما، وذلك بسبب النصر الذي أحرزته مصر بتأميم قناة السويس، ودعت بريطانيا الدول البحرية إلى مؤتمـــر لـــندن (أغسطس ١٩٥٦) لدراسة الآثار المترتبة على تأميم قناة السويس، دون دعـــوة جمهورية بنما لحضور المؤتمر، وكان رد الولايات المتحدة على إحتجاج بنما بأنها تملـــك حقوق السيادة على قناة بنما، مما أثر شعب بنما، وبدأ الضغط الشعبى بتزايد وبدأ التوتر أشده حين قطعت بنما علاقتها الدبلوماسية مع الولايات المتحدة نتيجة لتمزيق الطلبة الأمريكيين لعلم بنما على مدرسة بالبوا الثانوية عام ١٩٦٤.

وبدأت الولايات المتحدة ضغطا أمريكيا، فحواه أنها أخذت قرارين:

أولهمـــا : أن تـــتفاوض الولايـــات المتحدة مع بنما وغيرها من الدول المعنية، حول

الترتيبات التي تتخذ لحفر قناة في مستوى سطح البحر في أمريكا الوسطى .

وثانيهما : أن تقترح الولايات المتحدة على حكومة بنما الدخول في مفاوضات لعقد معاهدة جديدة بشأن القناة الحالية ، وعينت الدول الجديدة التي ستجرى التفاوض معها وهي كوستاريكا ونيكارجوا وكولومبيا ، فضلا عن بنما.

وإستندت الولايات المتحدة في هذا إلى أن قناة بنما الحالية سوف تصبح غير ذات جدوى في المستقبل، بسبب نظام الأهوسة، وبطء الملاحة، وضيق القناة بحيث لن يسمح للسفن الضخمة بالعبور.

وإقترحت ثلاثة مواضع للقناة الجديدة في كولومبيا ونيكاراجوا وكوستاريكا وفي بنما ذاتها، ويعيب المشروع الكولومبى طول المسافة (١٦٤ كيلو مترا)، بينما يعيب مشروع نيكاراجوا – كوستاريكا أنه يمر في دولتين . وبذلك يفضل مشروع بنما المشروعين الأخرين، وتفاوضت الدولتان وصدر إعلان مشترك من الدولتين عام ١٩٦٤.

إتفاقية ديسمبر سنة ١٩٧٧:

تنهي هذه المعاهدة سيطرة الولايات المتحدة الأمريكية على القناة وإقليمها (بعرض ١٠ أميال) في شهر ديسمبر ١٩٩٩، وتمنح حكومة بنما حكومة الولايات المتحدة الأمريكية حق تشغيل وتنظيم الملاحة وحمايتها والدفاع عنها حتى التاريخ المذكور، كما تزداد مشاركة حكومة بنما تدريجيا في إدارة وتنظيم وحماية القناة، مع تكوين لجنة مشتركة من كبار ضباط البلدين للتشاور في مسائل الأمن. وتعلن حكومة بنما حربة الملاحة في القناة وقت الحرب والسلم على السواء لسفن جميع الدول دون تمييز، وألا تكون أرض نزاع مسلح قد يقوم بين الدول ، كما تضمن حكومة بنما للولايات المتحدة الأمريكية حق مرور السفن الحربية.

وقد ظلت هذه القناة حيوية من الناحية الإقتصادية والإستراتيجية بالنسبة للولايات المتحدة لأنها تطل على محيطين، إذ سهلت الإتصالات البحرية بين أساطيلها في المحيط الأطلنطي والهادي، ولم يكن في الإمكان ذلك من قبل إلا بالدوران حول رأس هورن، وقد حققت أحداث الحرب العالمية الثانية هذا حينما إشتبكت الولايات المتحدة الأمريكية بأسطولين في الحرب العالمية الثانية، إحدهما في المحيط الأطلنطي والآخر في المحيط الهادي.

ولزيادة تأمين نفسها إشترت جزر فرجين من الدنمارك عام ١٩١٧ وهي جزر صغيرة تشرف على مداخل البحر الكاريبى من الشرق، وإنتهزت فرصة الحرب العالمية الثانية، وانشأت قواعد أمريكية في جزر بهاما، وجامايكا وترينداد، كما أنشأت قواعد لها في نيوفوندلاند، وهذه جميعا ممتلكات بريطانية، ماعدا نيوفوندلاند التابعة لكندا، وبذلك أحكمت حلقة الدفاع عن ساحل المحيط الأطلنطي.

غير أن البعض يرى أنه إذا كانت للقناة أهمية تجارية بالنسبة للولايات المتحدة

الأمريكـــية ، فلم تعد أهميتها حيوية وإستراتيجية كما كانت من قبل، فلم يمر في القناة في أواخر السبعينات سوى ٥ % من حجم التجارة العالمية ، فضلا عن ١ % من قيمتها، لذلك يصـــفها بعـــض الإقتصــــاديين بأنها مفيدة وأن كانت ليست حيوية ***Useful but not Vital***.

وتمــر بالقـــناة ٩ % مـــن تجــارة الولايات المتحدة الأمريكية، فضلا عن أن التطور التكنولوجي في بناء السفن العملاقة قلل من أهمية القناة كمعبر، كما أن الولايات المتحدة الأمريكـــية تحـــتفظ بأسطول حربي في كل محيط من المحيطات، على عكس الحال سابقا عندما كان أسطولها الحربي صغيرا، وكان يلزم تحركه بسرعة من محيط إلى محيط.

المرحلة الرابعة ـــ الخروج من العزلة:

ولقـــد ظلت الولايات المتحدة الأمريكية لمدة قرن وربع بعد ظهورها كلمة على هامش المســـرح السياســـي العالمي، ذلك أنها كانت تعيش فترة نموها وتكوينها ومد حدودها إلى درجـــة العـــرض ٤٩ شـــمالا حـــتى نهر ريوجراند، ومن المحيط الأطلنطي إلى شقيقه الباسفيكى، وكانت دولة سعيدة الحظ بما حبتها به الطبيعة من موقع جغرافي بين محيطين عالمييـــن، قامـــا بمثابة درعا الأمان وحماية الدولة الناشئة، من إضطرابات العالم القديم، كذلـــك أفـــادت الولايـــات المتحدة الأمريكية شمالا وجنوبا من إنشغال جارتيها الناشئتين بمشكلاتهما.

وكانت سياسة الولايات المتحدة الأمريكية أول الأمر، تنحصر في نصف الكرة الغربي، تاركـــة العـــالم يغلـــى في مشكلاته كما يقولون، فليس من شأن الولايات المتحدة أن تزج بنفسها وسط هذه المشكلات، بل لقد عارض كثير من الأمريكيين سياسة ضم جزر هاواى وشـــراء ألاســـكا وظل الأمريكيون يعتبرون أن السياسة الخارجية ليست من شئونهم لمدة طويلـــة بعـــد حـــرب الإستقلال، ويؤيد الشعب الأمريكي في هذا رجال السياسة أنفسهم، والسياســـة التـــي إتـــبعها الـــبارزون مـــن قادتهم، فجورج واشنطن أعلن سياسة الحياد، وجيفرســـون كان يشكر الطبيعة التي أدت إلى عزلة البلاد، والرئيس مونرو كان صاحب فكـــرة العـــالم الغربي للأمريكيين، وعدم تدخل العالم القديم في شئون العالم الجديد، وهكذا تـــتابع الرؤســـاء علـــى البلاد محبذين إستراتيجية البعد عن العالم القديم . وعندما أعلنت الحرب العالمية الأولى، أعلن الرئيس ويلسن حياد الولايات المتحدة الأمريكية في أغسطس عـــام ١٩١٤ أي بعـــد قيام الحرب العالمية الأولى نحو شهر، وأن يكون الأمريكيون على الحـــياد في أعمالهم وتفكيرهم حتى لا يقذف بأمريكا في حرب لا تمسها، ومع ذلك فكانت عواطف معظم السكان مع الحلفاء، وخاصة إنجلترا وفرنسا، بل لقد شعر كثير من السكان أن هـــناك دين على الولايات المتحدة الأمريكية لفرنسا لأنها ساعدتها في حرب الإستقلال، فكانوا يدعون في صلاتهم " رب لا تذكرنا إذا لم نذكر سيف لافييت المقدس " ولكن ألمانيا أجـــبرت الولايـــات المـــتحدة الأمريكية على دخول الحرب بسبب إغراقها للسفن الحاملة للأمريكييـــن، لأن ألمانـــيا قررت في عام ١٩١٧ تشديد الحصار على بريطانيا لمنع مؤن

تصل إليها ، فأعلنت الولايات المتحدة الحرب وأرسلت قوات أمريكية إلى فرنسا بلغت نحو المليونيـن وفـي الثالـث والعشرين من أكتوبر عام ١٩١٧، إنطلقت أول طلقة مدفع من القوات الأمريكية من أحد خنادق نانسى في فرنسا في الخطوط الألمانية، وفي هذه اللحظة يمكـن القول بأنها دخلت باب السياسة العالمية، ولكن كما يقولون " غطست أصابع قدميها في المياه الباردة ثم جذبته مرة أخرى ".

ولكن بعد إنتصار الحلفاء ، وإعادة توازن القوى عادت الولايات المتحدة الأمريكية إلى سياسة العزلة مرة أخرى حتى أنها لم تشترك في عضوية عصبة الأمم وظلت كذلك طيلة فترة ما بين الحربين (١٩١٨ - ١٩٣٨).

أدى تهديـد ألمانـيا لميزان القوى مرة أخرى إلى تعديل السياسة الأمريكية ولقد تحطم ميزان القوى في ١٩٤٠ بالغزو الألماني للدنمرك والنرويج وهولندا وبلجيكا وفرنسا، وكان الدور بعد ذلك على بريطانيا، لولا هتلر إرتكب خطأ محاولة تحطيم روسيا قبل بريطانيا . فأصـبح واضحا أن ألمانيا لو إستطاعت غزو بريطانيا وإستولت على أسطولها لكان من الجائز والممكن أن توجه ضربة للولايات المتحدة الأمريكية من المحيط الأطلنطي.

كذلـك بـدأت الخطـورة فـي ميدان المحيط الهادي، ذلك أن اليابان خالفت معاهدات واشـنطن (عقـب الحرب العالمية الأولى) فغزت منشوريا، وإنسحبت من معاهدة تحديد السـلاح الـبحري عام ١٩٣٤. ثم غزت الصين نفسها عام ١٩٣٧، ولذلك بدأت الولايات المـتحدة الأمريكية حربا غير رسمية منذ ١٩٤١ عن طريق مد الصين بالمساعدات لتقف فـي وجـه اليابان، وذلك خوفا على الفلبين من ناحية، ولمساندة فرنسا في الهند الصينية، وبريطانيا في الملايو، وهولندا في جزر الهند الشرقية ثم دخلت الحرب رسميا بعد ضرب اليابان لميناء بيرل هاربر ***Pearl Harbour*** في ٧ ديسمبر سنة ١٩٤١.

علـى أنـه من الخطأ الإعتقاد بأنه لم يكن للولايات المتحدة الأمريكية سياسة خارجية خلال فترة عدم التدخل، ولكن الأصح القول بأن الأمريكيين كانوا يعتبرون بأنه كلما بعدوا عـن السياسـة الدولـية ، كلما كان هذا أفضل، كما كان السياسيون يعتقدون بأنه لابد من فاصل واضح بين السياسة الداخلية والسياسة الخارجية، وكان التحول نحو السياسة الحالية ولـيد فـترة قصيرة للغاية وقبل أن يستعد الأمريكيون نفسيا وعقليا لتقبلها. من ثم لم تكن هـناك فـترة تحضير وإستعداد أمام الأمريكيين للتدريب على الدور الجديد ، بينما أخذت بريطانـيا نحـو قـرن من التدريب على دورها العالمي، ولم تضطر الظروف الولايات المـتحدة لأن تأخذ دورا قياديا في الشئون العالمية فحسب، بل كان عليها أن تقود منظمات أو أحلاف دولية.

وبذلك خرجت إلى نطاق السياسة العالمية تشارك فيهم بسبب وافر، بل وبعد أن إنتهت هـذه الحـرب أصبحت الولايات المتحدة مرتبطة بمعاهدات دفاعية لامع أمريكا اللاتينية فحسب، بل مع دول عديدة من أوربا وآسيا وأفريقيا.

الولايات المتحدة كقوة سياسية

العلاقات المكانية وأثرها:

كـان لموقع الولايات المتحدة الأمريكية في العالم الجديد أثره في أن إنعزلت عن العالم فـترة طويلة، وإتخذت سياسة العزلة السياسية، والبعد عن مشاكل العالم القديم، منذ نشأتها كوحدة سياسية، حتى إلى ما بعد الحرب العالمية الأولى كما رأينا.

وتشبه الإتحاد السوفيتي السابق في أنها تمتد في درجات عرضية كبيرة مما يؤدى إلى التنوع المناخي، وإن كان الإختلاف واضحا أيضا في أنها لا تمتد إلى الجهات القطبية إلا فـي طرفها الشمالي الغربي (الاسكا) فهي أكثر إمتداد نحو العروض الدفيئة من الإتحاد السوفييتي (من ٤٩ شمالا حتى مايقرب من مدار السرطان في فلوريدا).

وكان لهذا الموقع الجغرافي أيضا أثره في أن أصبحت تطل على محيطين كبيرين ومن ثم كان لابد لها من علاقات مع الغرب أي مع الأصل، كما لابد ولها مع شرق آسيا، ذلك أن هذه المحيطات لم تعد حواجز وموانع بقدر ما أصبحت طرق إتصال ونقل، كذلك أدى موقعها وقوتها السياسية في هذا الجزء من العالم إلى إيجاد علاقات جوار مع دول أمريكا الجنوبـية ، هـذه العلاقات التي درسناها وخرجنا منها أن الولايات المتحدة عينت نفسها حاميا لنصف الكرة الغربي بصفة عامة.

كذلـك أدى موقعهـا البعـيد هـذا في عصور كشفها الأولى إلى أن من عمرها من المهاجريـن الأوائـل صنفين من الناس . إما مغامرين أشداء من ذوى العزائم القوية التي تدفع أصحابها نحو المخاطرة والذهاب إلى المجهول، وأما هؤلاء الذين كانوا يبحثون عن أماكـن جديـدة تمنح حرية العبادة وحرية الرأي. ولذلك كان معظم المهاجرين أول الأمر صـفوة منتخبة، لأنه كان عليهم أن يقطعوا شقة تبلغ نحو ٣ آلاف ميل بين العالمين القديم والجديـد، وكانت الرحلات إلى العالم الجديد، مليئة بالمخاطر أو المغامرات ، ففي أحسن الظـروف كانت السفن تقطع الرحلة ما بين جانبي الأطلنطي فيما يتراوح بين ستة وثمانية أسـابيع، أما إذا جرفت الرياح السفينة عن مسارها المعتاد فلربما طالت الرحلة إلى ثلاثة شهور، ولم تكن هناك خطوط منتظمة، ولا تواريخ معينة لابحار السفن، كما لم تكن هناك تعريفة للسفر، أو حتى رعاية صحية للمسافرين، بل كان كل مسافر يتفق مع ربان السفينة علـى أمـر الركوب، وقد يظل في الميناء هو وأسرته أسابيع، حتى تستعد السفينة للرحيل عـندما تأتي الرياح بما تشتهي السفن ، وكانت وسائل الراحة في السفن محدودة، إذ كان الربان يحشر حشرا، ويعيش فيها طوال الرحلة السليم المعافى بجانب المريض، وكثيرا ما أوشـكت المـياه العذبـة على النفاذ، إذا ما طال الطريق بسبب عاصفة هوجاء، أو بسبب ضـعف الـرياح، وكـان من الأمور المعتادة، أن يصاب نصف ركاب السفينة بالحصبة، والجدري، والدوسنطاريا.

ولقد كان لموقعها هذا أثره الكبير في تكوين هذه الدولة في عهد طفولتها، فلحسن حظها أنها وقعت بين أكبر محيطين في العالم، في وقت صعب فيه وسائل الإتصال وشقت، فمنح

الوليد فرصة أن ينمو ويشتد عوده في عزلة عن قلاقل وإضطرابات العالم القديم، كما كانت هناك لحسن حظها دولتان في شغل عنها بمشاكلهما الداخلية، ومن ثم كان لها الحرية التامة والفرصة المواتية للنمو.

كان لسياسة الصداقة مع جيرانها شمالا وجنوبا ما جعل كل القارة تعيش تحت ظروف من الحرية، وبعيدا عن الضغط ، كما كانت محظوظة أيضا لأن حدودها لا تشترك إلا مع دولتين فقط، على عكس كثير من دول القارة الأوربية، وعلى طول الحدود الكندية (٣٩٨٧ ميلا) نجد أهدأ حدود سياسية في العالم، وتجد الولايات المتحدة في كندا عميلا هاما للصناعات الأمريكية تشترى منها كندا أكثر مما تشترى من دولة أخرى.

ولا تمثل كندا ولا المكسيك قوى منافسة للقوى الأمريكية، وكذلك الحال في بقية دول العالم الجديد لا متجمعة ولا منفردة، فتفرد الولايات المتحدة في نصف الكرة الغربي أمر معترف به في نصف الكرة الشرقي، وهذا التفرد وهذه السياسة ناتجة عن حجم الإنتاج الزراعي والمعدني والصناعي والنمو الحضاري الذي بلغه السكان، فكل من كندا والبرازيل في العالم الجديد دولة ذات مساحة كبيرة، ولكن المناخ في كلاهما وقلة المساحات الصالحة للإنتاج الزراعي، وقلة السكان لم يتح لأي منهما أن تبلغ منزلة الولايات المتحدة الأمريكية . أما بقية أمريكا اللاتينية، فهي مقسمة إلى وحدات سياسية أصغر من الولايات المتحدة، بحيث لا يمكن لهذه الوحدات أن تبلغ قوتها.

الحدود السياسية:

من المعروف أن حدود الولايات المتحدة الأمريكية تعتبر من أهدأ الحدود الدولية في العالم، ومع ذلك فحدودها لم يتم تسويتها إلا بعد ١٧ معاهدة وإتفاق بين عامي ١٨٧٢، ١٩٢٥، حتى وصلت إلى ما هي عليه الآن، وقامت عدة لجان دولية لفض النزاعات الناتجة عن تفسير الإتفاقات حتى سوى النزاع، ورغم أن الولايات المتجدة الأمريكية لا تجاور سوى دولتين، فإن أطوال حدودها (بإستثناء آلاسكا) تبلغ ٩٥٠٠ ميل ، منها ٤٠٠٠ ميل مع كندا، والباقي مع المكسيك، وتتبع نصف الحدود مع كندا المسطحات المائية بما فيها نهر سنت لورنس والبحيرات العظمى، بحيرة وودز وغيرها. ويتجه نحو الشمال الغربي بعد بحيرة سوبريور إلى الركن الشمالي الغربي من بحيرة وودز، ومن هنا نجد أكثر الحدود الشمالية للولايات المتحدة بعدا نحو الشمال، ومن هنا تتجه نحو الجنوب لمسافة ٢٥ ميلا حتى تقابل دائرة العرض ٤٩ شمالا، ثم تتبع الحدود هذا الخط لمسافة ١٣٠٠ ميل حتى تصل إلى المحيط الهادي، وقد سوى النزاع على الحدود في ولاية أوريجون بين بريطانيا والولايات المتحدة عام ١٨٤٦ ، بعد أن كانت الولايات المتحدة تطالب بإتخاذ دائرة العرض ٥٤,٤٠ ***Fifty Four Forty or Fight*** أو الحرب كحد بين الممتلكات البريطانية والأمريكية من جبال الروكى حتى ساحل الباسفيك، وإتفقا على أن يدفع الحد السياسي دائرة العرض شمالا في هذه المنطقة. والواقع أن معظم الخلافات التي نشبت كانت نتيجة الخلاف الكبير بين الإتفاقيات النظرية على الخريطة وبين التطبيق الفعلي في الميدان، وقد أوضح تخطيط الحدود بين كندا والولايات المتحدة كأمثلة عديدة

لصعوبات تطبيق الإتفاقيات النظرية القائمة على الجهل الكبير بالأرض، فقد كان من الصعب العثور على المجارى النهرية، أو خطوط تقسيم المياه أو المرتفعات التي تشير إليها الإتفاقيات.

ويبدأ خط الحدود مع المكسيك من خليج المكسيك متبعا نهر ريوجراند لمسافة ١٢١٠ ميل حتى بلدة الباسو **El Paso** ، ثم يأخذ بعد ذلك أشكال خطوط مستقيمة حتى المحيط الهادي، بإستثناء ٢٦ ميلا يعتبر خلالهما نهر الكلورادو، هو الحد بين الدولتين.

وتعتبر الحدود مع الدولتين فريدة في نوعها، ذلك أنها غير محصنة على الإطلاق من ناحية، وسهلة العبور من ناحية أخرى. ولا يطلب من العابرين جوازات سفر ، من ثم يعبرها الملايين كل عام سواء كسائحين، أو زائرين مؤقتين، وإن كانت هناك بعض القيود على عدد العمال المؤقتين الذين يهاجرون سنويا إلى الولايات المتحدة من المكسيك . وتتألف لجنة للحدود من كل من الدولتين على كل جانب لها صلاحيات كاملة في كل ما يتعلق بالحدود، كالتفتيش وإصلاح علامات الحدود، والحسم في أية منازعات خاصة بالحدود، فضلا عن أنه يدخل في مهمة اللجنة الأمريكية المكسيكية أيضا مشكلات إستغلال مياه الأنهار، كما تقوم لجنة مشتركة على الحدود الكندية لحسم أي خلاف حول إستغلال المسطحات المائية المشتركة، كإستغلال شلالات نياجرا، والملاحة في سنت لورنس وغيرها.

هذا وقد خلق تقسيم مياه ريوجراند والكلورادو العديد من المشكلات بين الولايات المتحدة والمكسيك، وتستفيد الولايات المتحدة بنحو ٨٠ % من مياه ريوجراند الخاصة بالري ، رغم أن أكثر من ٥٠ % من مياه النهر تأتى من روافد مكسيكية وعلى العكس نجد أن كل مياه الكلورادو تأتى من الولايات المتحدة ، ومع ذلك تعتمد المكسيك على هذا النهر في ري القسم الأدنى منه. من ثم تعديل الإتفاقيات الخاصة بإستفادة كل فريق من النهر بين الحين والحين.

ولازالت هناك مشكلتان على الحدود مع المكسيك: منها مشكلة تغير نهر ريوجراند لمجراه لأنه بعد بلدة الباسو يدخل سهلا فيضيا ، فتكثر التواءاته وتغيره لمجراه الأصلي، بحيث يمكن لمنطقة مكسيكية أن تصبح في الولايات المتحدة والعكس، من ثم بدأ برنامج مشترك منذ عام ١٩٣٤ للحد من الفيضانات وتقويم المجرى، وأتخذ أعمق جزء من المجرى كحد سياسي بين الدولتين.

والمشكلة الثانية هي مشكلة المتسللين إلى الولايات المتحدة والذين يطلق عليهم **Wetbacks** (نظرا لأن كثير منهم يحاول التسلل بسباحة نهر ريوجراند) ذلك أن الولايات المتحدة الأمريكية تتعاقد كل عام على عدد من العمال الزراعيين مع المكسيك، ونظرا لإرتفاع الأجور في الولايات المتحدة، فإن عمليات التسلل قائمة مهما إشتدت الرقابة على الحدود، بل ويتم أيضا التهريب والتجارة في المخدرات، ونتيجة لهذا يتم تسلل مئات الآلاف سنويا، ويتلقفهم أصحاب الأعمال في ميادين الزراعة والمناجم والبناء، وكثيرا

مايتغاضون عن الإقامة في سبيل تشغيلهم بأجور زهيدة للغاية، ويضطرون بدورهم للعمل والمعيشة في ظروف قاسية، في أكواخ من الصفيح خارج المدن، أو في مراب تصليح السيارات، ويبلغ ذوو الأصول المكسيكية نحو ١٠ % من سكان الولايات المتحدة الأمريكية، ويتركزون في ولايات تكساس ولهم أحياء خاصة بهم في كثير من مدن الشمال، كما في شيكاغو، ودنفر.

مساحة الولايات المتحدة وأثرها:

تمتد الولايات المتحدة في مساحة ضخمة تزيد على ثلاثة ملايين من الأميال المربعة، وبذلك إختلف المناخ فيها إختلافا بينا، بين الأجزاء المدارية في الجنوب حيث الصيف الحار، والشتاء الدافئ ، إلى الشتاء البارد في الشمال، ومن الجهات ذات المطر الذي يهطل طول العام، إلى تلك ذات المطر الصيفي أو الشتوي إلى حالات الجفاف التام.

وكان لإمتداد الولايات المتحدة مطلة على المحيطين إلى جانب خليج المكسيك أثره في أن أصبحت سواحلها الغربية منخفضة الحرارة، كثيرة الضباب، بسبب تأثير تيار كاليفورنيا البارد نوعا، بينما السواحل الشرقية تتعرض لتأثير تيار الخليج الدافئ، والطريف في الأمر أن هذا التيار تكون الولايات المتحدة الشرقية أحوج إليه في الشتاء عن الصيف، ولكن الطبيعة تعمل على عكس هذه الرغبة، ذلك أن الرياح تخرج من القارة في فصل الشتاء فتدفعه بعيدا عن سواحلها ، بينما في فصل الصيف تأتى الرياح من المحيط، فتدفعه قرب الساحل فترتفع حرارة السواحل الشرقية وتعظم رطوبتها، إذا ما كانت شديدة ترتب على هبوبها جعل المناخ في الصيف حارا رطبا غير محتمل.

أما على سواحل خليج المكسيك حيث يجرى تيار الخليج فتعظم الرطوبة، وهذا يفسر غزارة الأمطار هناك، وكثيرا ما يترتب على دفء مياه خليج المكسيك ورطوبته تكوين منطقة ضغط منخفض نسبيا فوقه، فتجتذب موجات باردة من شمال ووسط القارة في فصل الشتاء.

وليس من شك أن الإمتداد الكبير أدى إلى هذا التنوع في موارد ثروتها الزراعية والمعدنية.

وإذا كانت الولايات المتحدة الأمريكية هي رابع دولة في العالم من حيث المساحة فهي تقرب من خمس الإتحاد السوفييتي السابق، ولكنها أصغر قليلا من كندا والصين والبرازيل، ورغم هذا فمن ناحية إستخدام الأرض نجد أن الولايات المتحدة تتفوق على الأربع دول السالفة ، فمساحة الأرض المزروعة تقرب من نظيرتها في الإتحاد السوفييتي، ورغم فارق المساحات فضلا عن أن الغابات تغطى ثلث مساحتها ، ورغم صغر هذه المساحة بالنسبة للدول الأربع الأخرى، فإنها تتميز بجودة أخشابها وبسهولة إستغلالها، كما وهبتها الطبيعة ثروة رعوية وثروة معدنية، كما تمتد جبهاتها البحرية مسافة ٥٠٠٠ ميل ، وكلها ذات مواني طبيعية ، ورغم أن الجبهات البحرية للإتحاد السوفييتي أطول بكثير، فإنها لا تقارن بالجبهات البحرية للولايات المتحدة من حيث سهولة إستخدامها، كذلك تتميز

الولايــات المــتحدة كالإتحاد السوفييتي بظاهرة الدفاع في العمق، إن كان هناك عمق في العصر النووى !

أمــا من ناحية الشكل فهي كتلة واحدة متماسكة، ومع هذا فقد وقفت الظروف الطبيعية أحيانا أمام تماسك الدولة ووحدتها ، فقد حدد الشمال الغربي في شبه عزلة عن نواة الدولة فــي الشــرق، وصعوبة الإتصال البرى والبحري بها، فالطريق إليه يتضمن رحلة بحرية طويلــة، إلى مضيق بنما، ثم طريق برى خلال أدغال بنما الموبوءة بالملاريا إلى الجانب الأخــر، ثــم رحلة بحرية مرة أخرى إليه. وفي الحق لو لم تكن هناك شبكة المواصلات الممــتازة التي تتمتع بها الولايات المتحدة لأختلفت مصالح السكان، وثقافتهم بل ولهجاتهم. ولقــد ظهــرت البواخر النهرية والسكك الحديدية والبرق في الوقت المناسب لمنع التفكك السياسي، بل لقد تم تعمير أجزاء كثيرة من الغرب بفضل هذه المواصلات الحديثة. ومدت الدولــة شــبكة من هذه الطرق المختلفة تعتبر نموذجا للمواصلات التي تربط بين الأقاليم المتباعدة، وتوحد بين أجزاء الدولة.

المظاهر الطبيعية وأثرها:

تنقسم الولايات المتحدة إلى أربعة أقسام رئيسية هي:

١ – السهول الساحلية والهضاب المتصلة بها تقع بين الساحل والأبلاش.

٢ – جبال الأبلاش.

٣ – السهول الوسطى والهضاب المتصلة بها في الوسط.

٤ – مجموعة الجبال الغربية والأحواض التي بينها وتشمل جبال روكى، وسيرانيفادا، والكاسكيد.

كــان للسهول الساحلية وورائها جبال الأبلاش مباشرة، أثره في أن الهجرات الأولى، بــدأت فــي تعمــيرها للقــارة تنتشر في إستطالة من الشمال إلى الجنوب على طول هذه الســهول، وكانت الأبلاش تمثل التخوم بالنسبة لهذه السواحل، وبذلك أصبحت هذه المنطقة هــي الــنواة التي ترعرعت وكبرت، وفي النهاية كونت إتحاد الولايات، ذلك أن الأبلاش كانــت حاجــزا تضاريسيا عظيما، يتميز بوعرة السطح، كما كانت تغطيه الغابات، وبذلك إكتظــت نقــط الإستيطان والسكنى، وتقاربت بعضها من بعض وكان لابد من أن تتعاون وتعظــم صلات الإتحاد، ثم حين بدأت الهجرات نحو الداخل نجد أنها إتخذت من المسالك والــدروب فــي هــذه الجبال طرقا لها، وكثيرا ما كانت تتفق وأودية الأنهار، كما إنتفعوا لأقصى حد ممكن من الممرات والفتحات التي تصل بين التضاريس المتباينة من جهة إلى أخرى. بل أن الباحث في التوزيع الجغرافي لطرق المواصلات الحديثة يسترعى نظره أن السكك الحديدية تكاد تتبع نفس الدروب والمسالك القديمة.

وكان لعدم تجمد أنهار الولايات المتحدة وصلاحيتها في معظم أجزائها للملاحة أثره في أنهــا لعبــت دورا هامــا كوســائل النقل في المراحل الأولى من الإستعمار ففي الجهات

الساحلية الشرقية ما يقرب من ١٤٨ نهر كثيرا ما تنتهي بمصبات خليجية تتأثر بموجات المد والجزر حتى أن نهر هدسن تؤثر في مجراه أدنى موجة المد والجزر لمسافة ١٥٠ ميلا من مصبه ، وكذلك فتحة **Cheaspeake** التي تتوغل في الداخل مخترقة سهول فرجينيا ومارى لاند.

ولعب المسيسبى والأوهيو دورا كبيرا في إستقرار السكان وتعمير المنطقة الوسطى ، ذلك أنه على طول إمتداد مجارى النهرين، إمتدت نقط الإستقرار، ومن أشهر هذه النقط سنسناتي، ولويس فيل. وإذا كانت السكك الحديدية قد إجتذبت كثيرا من تجارة الولايات المتحدة، فإن الأوهيو مازال الوسيلة الأساسية للنقل الثقيل إلى جانب أن القطن والأخشاب والحبوب والسكر أهم شاحنات المسيسبي.

وكان لوجود البحيرات في الشمال أثره في تسهيل الملاحة، والنقل ، وتنشيط إستغلال الثروة المعدنية، بين معادن الأبلاش من ناحية، وخاصة الفحم، وبين مناجم الحديد غرب بحيرة سوبريور من ناحية أخرى، وخاصة بعد شق القنوات في مناطق الشلالات كقناة أيرى **Erie** التي تصل هذه البحيرة بنهر هدسن (لتفادى شلالات نياجرا) كذلك وصل بحيرة متشجن بالمسيسبى، ووصل الروافد بعضها ببعض، حتى أنه تم حفر مايقرب من ٤٦٠٠ ميل من القنوات معظمها في السهول الوسطى، وساعد على ذلك سهولة السطح، وإن كان أكثر من نصفها معطل عن العمل بسبب منافسة السكك الحديدية.

الولايات المتحدة الأمريكية دولة قارية بحرية:

الولايات المتحدة الأمريكية إذن دولة قارية بحرية ، وليس لأدل على بحريتها من أسطولها التجاري يأتي في المرتبة الثانية، ولا يتفوق عليه سوى الأسطول البريطاني ويتلوه الأسطول النرويجي، كذلك لها أسطول صيد كبير يعد من أكبر أساطيل الصيد. كما تبلغ جبهاتها البحرية ما يقرب من الخمسة آلاف ميل تتبعثر عليها الموانئ المفتوحة طول العام. من ثم تتفوق في هذا المجال على الإتحاد السوفيتي، أو كندا ذات الجبهات البحرية الأكثر طولا والأقل إستعمالا.

الولايات المتحدة دولة قارية أيضا، فموقعها في وسط أمريكا الشمالية وتغطى بذلك أكثر من ثلث مساحة القارة، ولعل ما يوضح هذه القارية أيضا أن معظم مجهودات التنمية هي تنمية اليابس ويتضح هذا في الإنتاج الزراعي الضخم، ومد شبكة الخطوط الحديدية البرية، والقنوات، وإستغلال المناجم، والغابات ، وتربية ملايين الرؤوس من الحيوانات، فضلا عن تنوع الإنتاج الصناعي، ورغم أن أكبر مدن الولايات المتحدة هي مواني بحرية فهي تقوم بمهمتين معا: كميناء ، وفي نفس الوقت كمركز صناعي.

وقد إدى إتساع مساحة يابس الولايات المتحدة إلى إمكان تقسيمها إلى أكثر من قسم، رغم شبكات النقل البرى الواسعة، وشبكات النقل الجوى، والهاتف، والبرق الذي يربط أنحاء البلاد، فالجزء الواقع إلى الشرق من الروكى يتجه نحو الشرق إلى أوروبا، أما الجزء الباسفيكى أي ولايات واشنطن، وأوريجون، وكاليفورنيا ، فتتجه نحو الغرب

والشمال الغربي، أي آسيا، وهاواى، والاسكا ، فهؤلاء الذين يعيشون في الغرب يشعرون بشيء من الإنفصام عن المشكلات الأوربية، وفي نفس الوقت يرتبطون بمشكلات وأحداث المحيط الهادي، وإن كان أهل الشرق أكثر إتساعا في أفقهم ونظرتهم لوجود العاصمة السياسية لديهم.

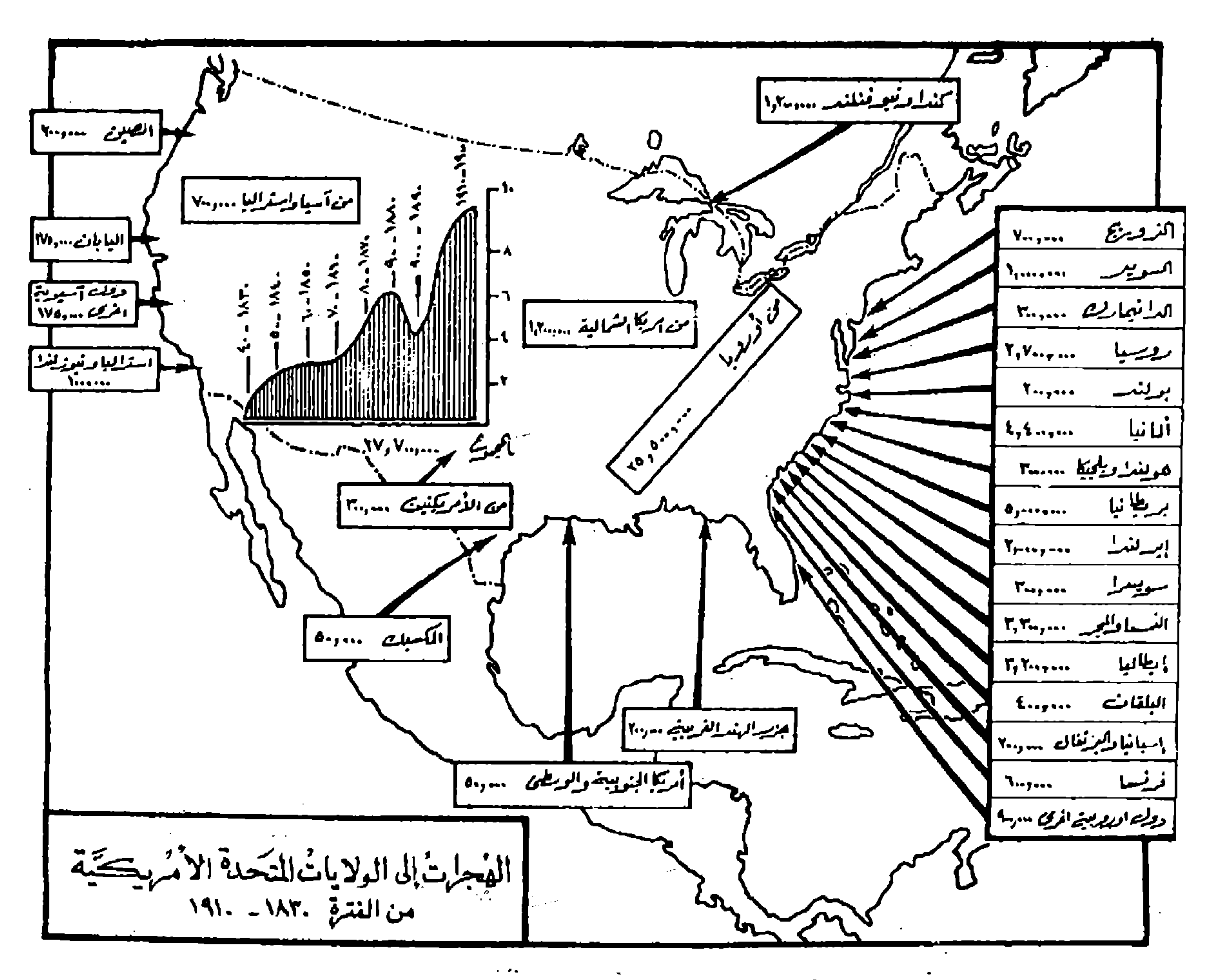
كذلك نجد أن المناطق الشرقية والباسيفيكية يغلب عليها الحضرية ، كما أنها بحرية، ومن ثم كانت نظرة سكانها دولية عالية **Cosmopolitan** وعلى عكس القسم البحري البحيري نجد القسم القاري وهو الغرب الأوسط **Mid. West** أو المزرعة القارية **Continental Farm** التي تشمل المرتفعات الشرقية والغربية والسهول الداخلية، فهناك أنصار سياسة العزلة ، وحيث تتغلب المصالح القومية المحلية على المصالح الدولية في الإهتمام. وهنا أكثر قطاعات الدولة محافظة، ويمكن أن تضم هؤلاء المحافظين سكان الجنوب فهم ورثة أصحاب مزارع الرقيق ويطلق على نطاق الغرب الأوسط ، نطاق الإنجيل.

ويمكن القول بأن إهتمام المواطن الأمريكي بالعالم الخارجي قليل بوجه عام، وقد أجرى بحث خاص بكيفية تلقى الأمريكيين للأنباء الخارجية، ومدى أهتمامهم بها، ونتيجة هذا البحث هي أن القارئ الذي ينفق في قراءة صحيفته اليومية ثماني عشرة دقيقة في اليوم، يخصص من هذه المدة دقيقتين للأنباء الخارجية، بينما الإهتمام مقصور إلى حد كبير جدا على البيئة المحلية، أو الولاية التي يعيش فيها، وإذا حللت المادة الصحفية في صحف الولايات، وجدت تسعة أعشارها عن الولاية ذاتها من تجارة مشروعات وسياسة وتعليم وزواج ووفيات.

سكان الولايات المتحدة:

يمثل سكان الولايات المتحدة مظهرا رئيسيا من مظاهر طاقتها السياسية، فرغم أن الولايات المتحدة تضم نحو ٦ % من مساحة اليابس إلا أنها تضم نحو ٥% من سكان العالم (٢٦٠ مليون) ولا يرجع نمو سكان الولايات المتحدة من نحو ٣ ملايين نسمة عند الإستقلال إلى ٢٦٠ مليون نسمة في عام ١٩٩٥ إلى عامل الزيادة الطبيعية وحدها، بل إلى عامل الهجرة وتعمير الولايات المتحدة من الخارج، وخاصة من أوربا، ويقدر عدد المهاجرين إليها بنحو ٣٣ مليون نسمة في الفترة من ١٨٦٠ إلى ١٩٢٤، فقد كانت البلاد في حاجة إلى هذه الهجرات لإستثمار ثرواتها ، غير أن إنتشار البطالة عقب الحرب العالمية الأولى، أدى إلى تحديد الدولة للمهاجرين بمقتضى قانون ١٩٢١ بحيث حددت الهجرة من أوروبا وجهات أخرى بمقدار ٣ % من عدد سكان كل جنسية حسب إحصاء عام ١٩١٠. وحددت حصص الدول الآسيوية بأعداد معينة ، بينما ترك باب الهجرة مفتوحا أمام دول أمريكا اللاتينية ، وخفضت الحصص مرة أخرى عام ١٩٢٤ من ٣ % إلى ٢ %، لم يدخل الولايات المتحدة الأمريكية سوى ١,٣٢١,٠٠٠ نسمة بين عامي ١٩٢٤، ١٩٤٦ وهذا ما يعادل عدد المهاجرين في عام واحد قبل الحرب العالمية الأولى،

وقد إنخفضت الهجرة الآن إلى ما يقرب من ٢/١ إلى مليون نسمة سنويا، وإن كانت هناك حـــالات خاصة تسمح فيها بالهجرة فوق الحصص المعتادة. كالمهاجرين من المجر عقب حـــوادث ١٩٥٦، والذين هاجروا من الصين الشيوعية، والمهاجرين من كوبا عام ١٩٨٠ (وكـــان نصـــيب القـــارات المختلفة في الهجرة إلى الولايات المتحدة الأمريكية في العقد الســـادس مـــن هذا القرن كما يلي: الأمريكتان ٥٢%، أوربا ٣٤ %، آسيا ١٣%، أفريقيا ١%، أستراليا ٠,٥ %).



الهجرات إلى الولايات المتحدة الأمريكية من الفترة ١٨٣٠ - ١٩١٠

ويتمـــتع هؤلاء السكان بأعلى المستويات المعيشية، ويعتبرون في مقدمة الشعوب التي تـــنخفض فـــيها نســـبة الأمية، وقد ظهر من الإتجاهات الإقتصادية العامة لعدة سنوات أن الولايـــات المـــتحدة الأمريكـــية قـــد بلغت من الرفاهية والوفرة مستوى لم تحلم به دولة صناعية.

وكانـــت الزيادة في التنمية الإقتصادية أسرع بكثير من زيادة السكان وذلك أن الإنتاج الإقتصـــادى إزداد منذ ١٩٠٠ حتى عام ١٩٦٠ نحو ٢٥ مرة، بينما تضاعف عدد السكان فقط خلال تلك الفترة، وفي الوقت الحاضر تنتج الولايات المتحدة وتستهلك نحو ثلث السلع والخدمـــات العالمية ويقف وراء هذا الإنتاج، العمل الأمريكي بفضل إستعمال الآلات، فقد

بلـــغ معـــدل الزيادة في الإنتاج نحو ٢٦% خلال العقد الأخير وقابل هذه الزيادة إنخفاض ســـاعات العمـــل لدى الفرد، وقد ظلت إنتاجية العامل الأمريكي في العالم لا تعادلها سوى إنتاجية العامل الألماني، حتى تفوقت أخيرا إرتفاع إنتاجية العامل الياباني.

على أننا يجب أن نشير هنا إلى مظهرين للسكان لهما علاقة قوية بالجغرافية السياسية للولايات المتحدة الأمريكية وهما:

أولا : تدهـــور العائلـــة الأمريكية، وهذا يؤدى بدوره إلى نقص الزيادة السكانية العامة للـــبلاد، فقد بلغ معدل المواليد ١٥ في الألف ومعدل الوفيات ٨,٥ في الألف عام ١٩٧٨، أي أن الزيادة الطبيعية كانت ٦,٥ في الألف في العام المذكور.

ثانـــيا : الزيادة في متوسط الأعمار ، فإذا كان عدد سكان الدولة قد تضاعف منذ عام ١٩٠٠، فإن عدد الذين تتراوح أعمارهم بين ١٥، ٦٤ عاما قد زادوا بمعدل ثلاث مرات، بينما عدد الذين بلغوا ٧٥ عاما فما فوق قد زادوا أربع مرات.

وعلى العموم لقد أصبحت الولايات المتحدة تدخل ضمن مجموعة الدول ذات المعدلات القليلة الخصوبة والقليلة الوفيات، وطبقا لمسح الأمم المتحدة من المحتمل أن يزداد إنخفاض معـــدل الزيادة الطبيعية في الربع الأخير من القرن العشرين عنه خلال النصف الأول من ذلـــك القرن، ولعله من المفيد هنا ألا ننسى كيف أن الولايات المتحدة الأمريكية قد إزدادت خـــلال النصف الأول من هذا القرن بنسبة أعلى من أي دولة أخرى، ولعل المقارنة التالية توضـــح لنا هذا القول فقد إزدادت الولايات المتحدة الأمريكية خلال الخمس عقود الأولى من هذا القرن بنسبة ١٠٠% بينما إزداد الإتحاد السوفييتي بنسبة ٩٣% والعالم بنسبة ٥٥ % وآسيا (بإستثناء الإتحاد السوفييتي) ٤٩% وأوربا (بإستثناء الإتحاد السوفييتي) ٣١%.

وقـــد تغـــير نمط السكان في الولايات المتحدة من وجوه أخرى: منها إنخفاض المواليد الأجانـــب، وهـــذا يعكـــس إنخفاض عدد المهاجرين إلى الولايات المتحدة، والذين أضافوا الكثـــير إلـــى ســـكان البلاد فيما مضى، ولكن عوض قلة الهجرة الخارجية تحسن صحة الأمريكيـــن، فقد إنخفضت وفيات الأطفال (الأقل من عام) من ١٦٢ لكل ألف مولود عام ١٩٠٠ إلـــى ١٤ في الألف في الوقت الحاضر، وإرتفع متوسط الأعمار بمقدار ٢٠ عاما منذ أوائل هذا القرن حيث أصبح ٨١ عاما للنساء، ٦٧ عاما للرجال.

وتختلف نسبة الزيادة السكانية في أنحاء الولايات المتحدة، وإن كان الواضح أنها تميل إلـــى الإرتفاع نحو الغرب، فقد إزداد سكان الساحل الباسفيكى بمعدل ٤٩% في الفترة من ١٩٤٠ إلـــى عـــام ١٩٦٠ ، بينما إزداد سكان ولايات الروكى بنحو ١٩% وإن كان هذا الإقلـــيم الأخـــير يعتبر من أكثف أقاليم نصف الكرة الغربي، وكانت أقل زيادة في السهول الوســـطى ونيوإنجلند تتراوح بين ٤% في القسم الشمالي من السهول الوسطى إلى ١١% من نيوإنجلند والقسم الجنوبي من السهول.

وكانت هناك هجرة خلال النصف قرن الماضى من الريف إلى المدن، ففي عام ١٩٢٠

كـان٥٠% مـن الشـعب الأمريكى من سكان الريف، وإنعكست الآية عام ١٩٧٠ حينما سـجلت الأرقـام ٧٩% من الأمريكيين من سكان المدن، وكان تدفق الهجرات نحو المدن بصـورة كبـيرة منذ الحرب العالمية الأولى، وإن صاحبها هجرة إلى ضواحي المدن مما أدى بالتالـي إلى بعض تفكيك للصناعة، ورغم أن أكبر مدن الولايات المتحدة هي موانى سـاحلية أو بحـيرية (مـع قيامها بوظيفة مزدوجة كميناء ومركز صناعي) فإن مراكز المديـنة متناثرة على طول البلاد ، ففيها عشرة مدن يزيد تعدادها على مليون نسمة، من بوسـطن التي تقترب من هذا الرقم إلى نيويورك التي يبلغ سكانها نحو ١٠ملايين نسمة، كمـا سـجل إحصـاء ١٩٩٥، ١٨٠ مركزا حضريا يزيد سكان كل منها على ١٠٠ ألف نسمة، وهي إما مراكز صناعية أو مراكز تجارية.

البناء الإجتماعى لسكان الولايات المتحدة الأمريكية:

يمـثل سـكان الولايـات المتحدة الأمريكية خليطا من الجماعات المتعددة ولم يبق من سكانها الأصليين وهم الهنود الحمر سوى ٣٥٠ ألف نسمة، ومع ذلك فأهم ما يميز الشعب الأمريكي أنه مجتمع مركب أو متعدد الأصول، ومازالت هذه الصفة هي الغالبة عليه، ولا يقتصـر الأمر على أنه يتألف من البيض والسود، والملونين، والحساسية والصراع الذي يقـوم بين هذه الفئات، بل يتعداه أيضا إلى البيض أنفسهم، وإذا كان لا يظهر هناك صراع بيـن فـئات البيض، فرغم ذلك هناك إحساس بالعرقية بينهم، بحيث يمكن القول بأن هناك شعب أمريكي، مجتمع أمريكي ولكن ليس هناك أمة أمريكية.

فلـيس بين " الأمم " الأمريكية واحدة تستطيع الإدعاء أنها " الأصل " سوى من يسمون الآن الهـنود الحمر، وهم ليسوا فقط الأقل عددا وأشد فقرا، إنما هم أيضا الوحيدون الذين يعيشون في " معازل " والمستثنون من الحياة الوطنية العامة دون أي حق في المشاركة.

ولـيس بيـن " الأمـم " الأمريكية واحدة تستطيع الإدعاء بغلبة عددية، فالبيض الذين يمـثلون نحـو ٨٠% يقسـمون إلى أصول عدة، فأكثر هذه الأمم عددا هم ذوو الأصول البريطانـية الذين يقدر أنهم يشكلون ١٤% من السكان، وهي نسبة قريبة جدا من " الأمة " التالـية ، ذوى الأصول الألمانية (١٣%) يليهم الأفارقة أو يوازونهم (ما بين ١٢% و ١٣%).

العناصر البيضاء:

تحـرك المهاجرون البيض إلى الولايات المتحدة الأمريكية من أقطار مختلفة يتكلمون لغـات مخـتلفة، ويعبدون الله بطرق متباينة، ويتذكرون أوطان عديدة، رحلوا إلى أمريكا لأسباب عديدة، ولكن المهاجرين إشتركوا في شئ واحد وهو أنهم غرباء في أرض غريبة.

وكانـت أسـباب هجـرة هذه الأعداد الضخمة، وتركهم مواطنهم الأصلية، وأسرهم، مـتعددة، فقـد هاجر الأيرلنديون في معظمهم بسبب المجاعة الناتجة عن غزارة الأمطار وغـرق محصـول البطاطس في أربعينيات القرن التاسع عشر، ولم يكن سهلا الوصول

بالأغاثة لهؤلاء الذين كانوا يتضورون جوعا حتى هلكت أعداد كبيرة منهم، وهرب بعضهم إلى بريطانيا بحثا عن فرصة عمل، ولكن غالبية الذين فشلوا في الحصول على ذلك العمل، تجمعوا في الموانى وأبحروا على ظهر المحيط الأطلنطي إلى الأرض الجديدة، وعندما هبطوا في بوسطن ونيويورك، كان همهم الأول الحصول على أود الحياة، ووصل بعضهم مريضا مجهدا من الرحلة الطويلة والغذاء غير المناسب، ومن ثم إنتشرت بينهم الأمراض، ولكن بمجرد خروجهم من الحجر الصحي، كان عليهم إما العمل وأما الهلاك.

وخرج الأيرلنديون للعمل بأجور تكاد تسد الرمق، ولما كانت بوسطن ونيويورك ليست لديها طاقة لمنح كل هؤلاء فرصا للعمل فقد إنتشروا في ولاية نيوإنجلند، تعمل الإناث في الخدمة المنزلية، ويشترك الرجال والصبية في جماعات العمل لمد الخطوط الحديدية، والطرق. وإينما حلوا إنخفضت الأجور، وأثاروا إستياء الذين إستقروا قبلهم، ومن ثم أخذ الأيرلنديون يتقاربون كجماعة قومية ، فضلا عن أنهم لم يقطعوا أنفسهم تماما عن موطنهم الأصلي إيرلند، بل ظلوا يحتفظون معه بصلات ، فمنهم من ترك أخوة وأباء ، بل وزوجات يتضورون جوعا، من ثم كان هم المهاجرون الأوائل بمجرد الحصول على مأكل ومأوى، إرسال الإعانات لذويهم، ثم أخذ الشباب والشبات يكررون ما فعله ذووهم بالهجرة إلى العالم الجديد.

وبينما كان الأيرلنديون يستقرون في مدن شرقي الولايات المتحدة، تدفق المهاجرون الألمان أيضا، وكان معظمهم من المزارعين في حوض الراين الذين تلف محصولهم من البطاطس تماما كما حدث لدى الأيرلنديين، ولكن منهم من لم يكونوا على وفاق مع السلطة من المثقفين ومحرري الصحف. وهكذا لم يكن المهاجرون الألمان على نفس درجة عوز الأيرلنديين، بل منهم من كان لديه بعض المال ولو القليل، والبعض الأخر كان قادرا على إصطحاب عائلته منذ البداية، ودفع أجور السفر إلى الولايات المتحدة الأمريكية، بل والتحرك في داخلها نحو الغرب، بل أن البعض كان قادرا على شراء مزرعة من أول الأمر، أما هؤلاء الذين لم يكونوا من أصل ريفي، فقد إتجهوا إلى شيكاغو، وسنسناتي، وسان لويس، والذين كانوا يعملون بالصحافة إستقروا في وسط الجماعات الألمانية يحررون الصحف، وينشرون الكتب باللغة الألمانية، وأدى هذا إلى ظهور المجموعة الألمانية مميزة عن بقية الأمريكيين بواسطة الحاجز اللغوي، وكان هذا حتى الذين إستوطنوا الريف بسبب كفاءتهم الذاتية، وكانت الصحف التي تصدر بالألمانية تأتيهم بأخبار جاليتهم في المهجر، فضلا عن الموطن الأصلي، ويرسلون أطفالهم إلى المدارس الألمانية حينما لا تكون المزارع في حاجة إليهم.

وكون الإسكندنافيون الذين وصلوا مانيسوتا وداكوتا في ستينات وسبعينات القرن التاسع عشر جماعات مشابهة، فقد تركوا مواطنهم الأصلية لعدم وجود أراضى زراعية كافية على طول الفيوردات الشديدة الإنحدار في النرويج، أو الغابات المخروطية في السويد، وفنلند، ووجد الشباب الذين وصلوا بمفردهم عملا ينتظرهم كحطابين في ولاية

ويسكونسن، ومنهم من أرسل في طلب زوجته، ومنهم من تزوج من بنات المهاجرين، وبينما إستقرت بعض العائلات في الأراضي التي ظهرت من الغابات، وإنتقل البعض الآخر إلى السهول العظمى يزرعون القمح ويتحملون تطرف المناخ ، بين البرودة القارسة، والحر اللافح، والعواصف الترابية، والجفاف، والآفات، والحشرات التي تصيب النباتات، وأقاموا كنائسهم، ومدارسهم وإحتفظوا بألسنتهم وعاداتهم لأجيال متعاقبة.

ظهر الإيطاليون بأعداد كبيرة في تسعينيات القرن التاسع عشر في مدن الإقليم الشرقي، إذ يعمل المزارعون في جنوب إيطاليا لمدة ستة شهور من العام فقط، وعندما نافست السفن التجارية السفن الشراعية في نقل المهاجرين وإنخفضت أجور النقل، وجد الكثير منهم أنه يمكن العمل في العالم الجديد الستة أشهر الأخرى ، فمنهم من إتجه إلى البرازيل وأرجنتين، ولكن منهم أيضا من إتجه إلى الولايات المتحدة الأمريكية، وعملوا في مصانعها. ولكن غالبيتهم إستقرت وإتخذت من الولايات المتحدة الأمريكية موطنا، بدلا من الذهاب والإياب وارسلوا في طلب أهاليهم. وتقوقعت العائلات الإيطالية خلف الحاجز اللغوي أيضا ، ولكنهم وجدوا أن معرفة الأنجليزية يتيح لهم فرصا أفضل فبدأوا يعملون نهارا ويدرسون ليلا وخاصة الأولاد الذين كانت أمامهم الفرص سانحة للإلتحاق بالمدارس، والذين شاركهم فيها أيضا أبناء البولنديين، والسلاف والروس، واليهود في الفترة بين ١٨٩٠ و ١٩١٠ .

أقليات ذات وضع خاص

اليهود الأمريكيون:

من الأقليات التي تتميز بوضع خاص اليهود الذين يعتبرون في المركب الأمريكي " أمة من الأمم " ربما في مزيج من أسطورة الشعب اليهودي القديمة واللاتاريخية وبين التعريف الأمريكي الفريد بالأمة بأنها " أي جماعة من الناس تعتبر نفسها كذلك " ووضع هذه الأقلية يكاد يكون مقابلا عكسيا كاملا لوضع الأقلية السوداء، فهم من حيث المنشأ السابق على الهجرة أبناء أمم عديدة وفيما بينهم مذاهب في كثير من الأحيان متنافرة، وهم ككتلة بشرية ينتمون إلى أقرب الهجرات حداثة في المركب الأمريكي، فأغلبيتهم التي جعلت منهم كتلة بشرية هاجرت إلى الولايات المتحدة في القرن ١٩، وفي هذا القرن العشرين، وهم من بين الأقليات الأمريكية عددا، ومع ذلك فإنهم يحتلون مواقع القمة في معظم المجالات، ربما فيما عدا أنه لم يخرج من بينهم رئيس للبلاد، فهم على رأس القائمة في متوسط دخل الأسرة، وهم على رأس الأقليات في مستوى التعليم، وهم أصحاب الحظ الوافر في المهن، وهم الأقلية الأمريكية الوحيدة التي تكاد تكون غير ممثلة في المشتغلين بالأعمال العضلية واليدوية، أو ما يسمى أصحاب الياقات الزرقاء، ولاوجود لهم في الزراعة، ولا في مهن الخدمات الدنيا ، وهم أصحاب الحضور الأكبر في الأعلام، وفي صناعات الثقافة والتسلية، وهم من أقوى جماعات المصالح " نفوذا "، وفوق هذا كله ، فهم منذ زمن يكاد يسبق تكون وزن كتلتهم السكانية مؤثرون في السياسة الخارجية الأمريكية، بل وذوو نفوذ ملحوظ في صياغتها، وعلى سبيل المثال كانت وزيرة الخارجية

ووزيـــر الدفـــاع، ومسئول الأمن القومي يمثلون هذه الفئة في تشكيل حكومة كلينتون عام ١٩٩٧.

<u>الأســبان الأمريكيون :</u> وهم من نسل الأسبان الذين هاجروا إلى أمريكا اللاتينية وتبلغ نســبتهم نحو ١٠% ومعظمهم من المكسيك ، وهؤلاء يتسربون بأعداد كبيرة وخاصة عن طريق ولاية كاليفورنيا، التي تضم أكبر نسبة منهم.

<u>ذوو الأصول الآسيوية :</u> ونسبتهم ٣% من الصين والفلبين واليابان.

هـــذا ويـــتوقع مـــن المؤشرات السكانية في الولايات المتحدة الأمريكية أن يصل عدد الأقليات في عام ٢٠٢٠ إلى ١١٨ مليون نسمة، وذلك أن الأقليات تزداد بمعدل ٥ أضعاف نســبة زيـــادة البـــيض، نتيجة إستمرار الهجرة، وإرتفاع معدل المواليد بينهم ، فالولايات المـــتحدة تســـتقبل ســـنويا نحو ٨١٠ ألف مهاجر شرعي، وما قد يصل إلى ثلاثة ملايين مهاجر غير شرعي.

تعقيدات أخرى بذوي الأصول الأسيوية:

وتحفل علاقات الأقليات " الأمريكية " ببعضها البعض تعقيدات أخرى، ومن أمثلة هذه التعقـــيدات الصعود السريع، وفي المجالات كافة ، الذي حققته "الأمم " الأسيوية الصينية واليابانـــية ولحقـــت بهـــا الفيتنامية ، في مدارج الثروة والتفوق التعليمي، وإن كان هذا لم يـــترجم بعـــد إلـــى نفوذ سياسي، وكلها هجرات أحدث من معظم الهجرات البيضاء، لكن اليابانييـــن والصـــينيين يحـــتلون المركزين الثاني والرابع في معدلات دخل الأسرة، ولن يمضـــى وقـــت طويـــل قبل أن يلحق بهم الفيتناميون، وهو ما يثير الضغينة من إتجاهين: البـــيض الذيـــن يـــرون أنهم الأجدر بحكم الريادة إلى الهجرة والإستيطان، وتأسيس البلاد وتحقـــيق إســـتقلالها، والأفارقة الذين يعتبرون أنفسهم أحق، على الأقل بمنطق التعويض المتأخر للضحية.

الشعور بالخطر:

فـــي هـــذه الفسيفساء التي تتجاور دون أن تندمج، تنبت الضغائن الجماعية وتترعرع، ولعل من الأمثلة ذات الدلالة على ذلك، تقرير نشرته أكاديمية العلوم الأمريكية في ١٩٨٥ وفـــيه " تحـــذر " من أن الدور التقليدي للطبقة الوسطى الأمريكية البيضاء آخذ في تراجع ملحـــوظ ، وفـــي بدايـــة القرن القادم ، ستكون عاجزة عن إنتاج البيروقراطية التي تحكم أمـــريكا ـــــ سياســـة وإقتصـــادا ــــ فالأمم الأخرى " الصاعدة " تزيحها عن موقعها، ورصـــدت الأكاديمـــية أنـــه في السنة الأكاديمية السابقة، كان الذين حصلوا على مراتب الشرف والإمتياز في أهم خمس جامعات أمريكية ، جميعا من ذوى الأصول الآسيوية.

الملونون (الأقلية السوداء):

وتعتـــبر مشـــكلات الملونيـــن مـــن العوامل التي تضعف البناء الإجتماعى والسياسي للولايـــات المـــتحدة، فهناك ما يقرب من ثلاثين مليون ملون، معظمهم من الزنوج يمثلون

نحـو ١٢ % مـن السـكان وتزيد نسبتهم في الولايات الجنوبية في الباني، وأركنساس، وفلوريـدا، وجورجيا، وكنتكي، ولويزيانا، وماري لاند، ومسيسبي ، وكارولينا الشمالية، وكارولينـا الجنوبـية، وتنسـي وتكساس وفرجينيا، وتصل إلى أعلى نسبة لها في ولاية مسيسبي حيث بلغت ٤٢ %.

ويقصد بكلمة زنجي (أسود **Black** وهو الشائع) في الولايات المتحدة، تلك العناصر الملونة التي يدخل في تركيبها الدم الزنجي. وكان الدافع إلى جلبهم هو الحاجة إلى الأيدي لإسـتثمار مـوارد الـبلاد الزراعية الرعوية والمعدنية، بعد أن ثبت عجز الأوربيين عن تشغيل الهنود الحمر فيها، وهكذا بدأ جلب الرقيق من أفريقية للعمل في الولايات المتحدة، وخاصة في الإنتاج الزراعي للولايات المتحدة الجنوبية حيث تنتشر زراعة القطن.

وقد وطأت أول مجموعة زنجية هذه البلاد عام ١٦١٩ حين رست مركب هولندية في جيمسـتون بولاية فرجينيا، على أن الظروف السيئة التي كان يعيشها الزنوج في ولايات الجـنوب رغم تحررهم، أدت إلى نزوح أعداد كبيرة منهم نحو الولايات الشمالية، وكانت هـناك عوامـل طرد، تمثلت في سوء أحوالهم، ولم تكن هناك مدارس لأطفالهم وأجورهم منخفضـة (٥٠ سنتا في اليوم في ولاية ألاباما على حين كانت تبلغ ٨٠ سنتا للساعة في الشمال).

وتـزايدت هجـرتهم إلى الشمال بوجه خاص في الربع الأول من القرن العشرين، فقد كانـت الصناعة في الشمال تعتمد على سيل المهاجرين الدافق من أوروبا، وعندما قامت الحرب إنقطع هذا السيل، وقامت الهجرات الزنجية بمواجهة هذا النقص ، وذهب الوكلاء لجمع الزنوج من الجنوب ، وتسهيل وسائل السفر والإنتقال لهم، ولا ننسى في هذا المجال أيضـا قوانين تحديد الهجرة التي أعقبت الحرب العالمية الأولى، وهكذا حتى أصبح ٤٠% من مجموع الزنوج الأمريكيين يعيشون خارج الولايات الجنوبية عام ١٩٦٠ ، بينما كانت هذه النسبة لا تتعدى ١٠% عام ١٩٠.

وهناك مظهر آخر للتجمع الزنجي وتمثل في أن هجرتهم كانت إلى المدن أساسا، ذلك أنهـم لم يكونوا أصحاب الأراضي في الجنوب، ونظرا لدخول الميكنة في الزراعة ، فلم تعـد الأرض في حاجة شديدة إليهم، من ثم إتجهوا إلى المدن حتى لقد أصبح ثلاثة أرباع زنوج الولايات المتحدة هم سكان المدن.

ولعـل أشهر المدن التي إنتقلوا إليها هي دترويت، وواشنطن وبتسبرج وشيكاغو وسان لويـس ونـيويورك ، حيث يوجد في هذه المدينة أكبر تجمع زنجي في مدن الولايات، إذ يتجمعون في منطقة هارلم وفي القسم الشمالي في حي منهاتن.

والأقلـية السـوداء هـي الوحيدة التي تستمد هويتها " القومية " هذه من منشأ قومي، فهـؤلاء الذين جاءوا إلى العالم الجديد " عبيدا مجلوبين " لايعرف أي منهم من أي بلد في أفريقـية جـئ بأسلافه، ولا إلى أي ثقافة أصلية ينتمي سوى ذلك الأصل العام غير محدد الـثقافة " أفريقية " يفترض فيها تجانس موهوم، ولذلك فإن هذه الأقلية حددت هويتها على

الأرض الأمريكية ذاتها، وبعد تاريخ طويل من الإخضاع والصراع لتنجز مجرد الإعتراف لها بأداميتها وبالحرية الطبيعية للإنسان، وفي مواجهة " الأبيض " الذي مارس ضدها وعليها التمييز، والذي أدركت تمايزها عنه باللون والقهر.

وقد زاد من وضع هذه الأمة تعقيدا أنه رغم أنها الجماعة القومية الثانية في المركب الأمريكي بحساب زمن الوصول إلى العالم الجديد فإنها الجماعة القومية الثانية (١٢ %) من حيث التعداد ولكن في العلاقة بالثروة وتوزيعها تحتل الدرجة قبل الأخيرة في السلم، وهي الوحيدة بين الأقليات الأمريكية التي كان عليها أن تناضل على الأرض الأمريكية وداخل النظام الأمريكي، وفي مواجهته، من أجل حقوق المساواه القانونية والمدنية والسياسية، وهي الوحيدة أيضا التي كان الحس الأمريكي العام حتى وقت قريب ينكر عليها مجرد حق إبداء الرأي في السياسة الخارجية الأمريكية، أو حتى التعليق عليها، ناهيك عن المشاركة في صياغتها وتقريرها، " رغم أن المجئ بنا إلى تلك البلاد كان العمل الأول من أعمال السياسة الخارجية الأمريكية قبل الإستقلال وقيام الولايات المتحدة " كما قال ذات مرة النائب الأمريكى الأسود ديفيد لورى، كما أنها هي الأقلية الأمريكية الوحيدة التي حاولت المؤسسة السياسية الأمريكية الرسمية لحل مشكلتها عن طريق الاستئصال، عدا الهنود الحمر الذين جرت حيالهم وبنجاح كبير محاولة الإبادة " فعندما إقتنع الرئيس إبرهام لينكولين في خضم الحرب الأهلية بأن تحرير العبيد من شأنه أن يحرم أعداء الفيدرالية من البيض الجنوبيين من أهم قوى العمل الإقتصادى، إقترح على الزعماء السود أن يصدر مرسوما يحرر السود، على أن يهاجروا من الولايات المتحدة إلى بعض جزر الكاريبى حيث يستطيعون إقامة دولتهم " كمواطنين أحرار متساويين ".

التباين في المستوى الإقتصادى بين البيض والسود:

ويعيش الملونون في مستوى منخفض عن زملائهم البيض ، فبينما يبلغ متوسط دخل العائلة البيضاء في الولايات المتحدة بعامة ١٥٥٤٠ دولار سنويا، فإن هذا الرقم ينخفض للعائلة الملونة إلى ٩٤٢٠ دولار، ١٠ آلاف بالنسبة للملونين من أصل مكسيكى ، ويعمل معظم الملونين كعمال وفي مهن غير فنية، ويدل على هذا إنخفاض دخل الفرد بعامة في الولايات الجنوبية الشرقية التي تضم نسبة عالية من الملونين، مما يدل على أن سلالة العبيد بعد مضى أكثر من قرن على الحرب الأهلية الأمريكية ، لم تتح أمامها الفرص للتدريب على المهن الفنية، فهناك وظائف محجوزة للبيض، وهناك وظائف محجوزة للسود، وهناك أعمال يشترك فيها الإثنان ويمكن القول بوجه عام بأن وظائف ذوى الياقات البيضاء (بإستثناء الكتبة) وذوى المهارة العالية محجوزة للبيض، بينما يكاد العمل غير الماهر والخدمات تقتصر على السود، فهم غير ممثلين بالنسبة الكافية في قطاعات الزراعة والتعدين والتجارة والإستثمار، بينما هم ممثلون بنسبة زائدة في قطاعات الخدمات والحكومة مما يعكس التحيز النسبي حتى في الوظائف ، لذلك يشغلون الوظائف الأقل أهمية، والأقل أجرا، وفي ميدان الأعمال والتوظيف تجد السود آخر من يقبل على توظيفهم في وقت الإزدهار، وهم أول من يطردون من العمل في وقت الكساد، ومن ثم فالبطالة بين

السود هي مؤشر لتدهور الأحوال الإقتصادية، وتظهر الإحصاءات الرسمية هذا سواء في الستينات أو في أوائل السبعينيات تدور نسبة البطالة بينهم حول ١٠% وهي ضعف النسبة بين البيض .. وهذا معناه أنه في أقصى حالات التفاؤل تقدر نسبة البطالة السنوية بين السود بنحو ١٥٠,٠٠٠ سنويا.

وتكون نساء السود نحو ٤٥% من قوة العمل السوداء، ونحو نصف هؤلاء يمثلن العائل الوحيد للأسرة، ويحتفظ المجتمع الأمريكي للمرأة السوداء ببعض الوظائف، كالخدمة المنزلية وبعض أعمال التنظيف، وهذه بدورها أقل الوظائف أجرا، وبالتالي يكون متوسط نصيب المرأة السوداء نحو ٧٥% من نصيب الرجل الأسود ونحو نصف نصيب الرجل الأبيض.

رد فعل الزنوج:

من ثم قامت الحركات المضادة للعنصرية، وكان أشهرها تلك التي قادها القس مارتن لوثر كينج، وكانت إستراتيجيته تعتمد على مقاومة كل مظاهر العنصرية في الحياة الأمريكية، وإن كانت قد إتخذت سبيل عدم العنف، وبدأها بمقاطعة سيارات النقل العام في منتجمرى بولاية ألباما عام ١٩٥٦، وظهرت مؤسسات أخرى تتبع نهج مارتن لوثر كينج في إستراتيجية عدم العنف، وكان رد الفعل من جانب قيادات البيض في الجنوب، هو المقاومة وكان منها إغتيال مارتن لوثر كينج عام ١٩٦٨.

ويعبر مارتن لوثر كينج عن حالة الزنجي في المجتمع الأمريكي في الستينيات بقوله : مازال الرجل الأسود يعيش في قاع المجتمع، فمازال في القاع رغم القلة الذين إستطاعوا أن ينفذوا إلى مستويات أعلى، وحتى إذا ما فتح الباب مواربا بسبب قوة الضغط عليه ، فإن حركة الأسود بعد ذلك تظل محدودة، وفي الغالب الأعم ليس هناك مستوى أدنى للبداية، في نفس الوقت ليس هناك مكان للأسود في القمة.

ويهمنا في هذا المجال أن نبرز مظاهرإستياء الزنوج غير الإحتجاج وإستخدام العنف واللاعنف.

أولا ـــ الهجرة العكسية من الولايات المتحدة الأمريكية :

وقد بلغ هذا الإتجاه قمته في فترتين إحداهما بين عامي ١٨٥٠، ١٨٦١ في محاولة لتوطين الزنوج في الأرض الموعودة في أمريكا الجنوبية والوسطى وجزر الهند الغربية ، والثانية بين عامي ١٨٩٠، ١٩٢٠ بهدف العودة إلى ليبريا، وتزعم حركة العودة "ماركوس جارفي"، ومازال البعض ينادى بها الآن، ومن طريف تلك المحاولات ذلك الإلتماس الذي تقدم به ثمانون زنجيا من بوسطن إلى حاكم ولاية ماساشوستس طالبين تدبير المال اللازم لهم للعودة إلى أفريقيه وشراء أراضى هناك، وكان ذلك في يناير عام ١٧٨٧، وكان تبريرهم هو حالتهم السيئة في أمريكا، ووعدوا بنشر المسيحية وتحسين العلاقات، وتنمية تجارة الولايات المتحدة الأمريكية مع غرب أفريقية، وقد رفض طلبهم،

ولكن هذا كان بداية للتفكير في هجر الولايات المتحدة الأمريكية.

وكانــت قمــة الحــركة الثانية كنتيجة للفشل في الوصول إلى المساواة والحرية حتى الحــرب الأهلــية الأمريكية، فرغم ما أجرى من تعديلات القوانين عام ١٨٦٥ من إعطاء حــق المواطنة لهؤلاء البشر الذين تحرروا، ورغم القوانين العديدة التي ظهرت فيما بعد، ســرعان مــا ظهرت الفجوة بين القانون والتطبيق. وكما قال إيزنهاور (لا يمكن تغيير القلــوب بمجرد تغيير القانون) . ومع ذلك فقد رجعت أعداد بسيطة منهم بلغوا ١٩٧ عام ١٨٩٥، وتلاهــم ٢٢١ في العام الثاني وسبقهم ٣٨ إلى سيراليون ، وخرجت هجرات من الولايــات المــتحدة وكندا إلى هايتي ، ولكنها على العموم أعداد قليلة ومحدودة، ووجدت معارضــة من بعض قادة الزنوج أنفسهم الذين كانوا يؤكدون بأن وطن الأمريكيين السود هو أمريكا؛ ومنهم من وصف مغادرة أمريكا بأنه تفكير غير صائب، وغير ناضج.

ثانيا: نادى البعض **بتقسيم الولايات المتحدة الأمريكية** ذاتها إلى أمتين سوداء وبيضاء، وذلــك للشك المتزايد في مستقبل الرجل الأسود في الولايات المتحدة الأمريكية، ففي نظر مالكوم أكس أحد زعماء الزنوج " كل الوسائل تؤدى إلى طريق مسدود ".

فقــد أعطاهم الدستور والقانون الحرية والمساواة ومع ذلك ورغم أنهم يمثلون نحو ١٢ % مــن الســكان فنصيبهم هو ٦,٥% من الدخل القومي، ولم ينجحوا في الحصول سوى علــى أصــوات ٤% من أعضاء الكونجرس وعلى ٦% من أعضاء الشيوخ ، وإن كان هناك بعض نجاح في إنتخابات عمد بعض المدن والهيئات المحلية.

وفي مخاطبة لمؤتمر القوة السوداء ***Black Power*** عام ١٩٦٧، قدم خطة التقسيم كمــا يــراها، وحــدث تصويت عام ١٩٦٨ في مؤتمر عقد في ديترويت على جمهورية أفريقية الجديدة وتشمل الولايات الخمس الجنوبية المسيسبى وجورجيا وكارولينا الجنوبية، وألــباما، ولويــزيانا، وستصبح دولة تعدادها نحو ٢٥ مليون نسمة، وفي نظره أن تقسيم الولايات المتحدة الأمريكية لن يكون أكثر وحشية من تقسيم الهند وبطبيعة الحال لن يكون هــناك تقســيم فعلى، ولن يوافق عليه الكونجرس الأمريكي وإنما يهمنا في هذا المجال أن نبين إلى أي مدى بلغ الإستياء.

وهكــذا عــندما يصــبح ١٢% من سكان البلاد المعزولين عن المجتمع، لا يمارسون حــياتهم الديمقراطية، فلا تتوقع الولايات المتحدة أن تنجح دعايتها في الخارج عن الحرية والديمقراطية والمساواة.

ولقــد كــان وضــع الــيهود والأفارقة من شواغل التاريخ والسياسة والجدل العام في الولايــات المــتحدة لردح طويل من الزمان، ومازال ، كأن وضع كل منهما حيال النظام السياســي ــ الإجتماعى ــ الإقتصادى من هذه الشواغل، كما كان منهما أيضا وضع كل مــنهما تجاه الأخرى، خصوصا وإن أقلية اليهود الأمريكيون " وهم التي لم تتعرض لأى قدر ملحوظ من التمييز أو إضطهاد في أمريكا ، قد وضعت نفسها في موضع الصدارة من الدفــاع عن حقوق الأقليات ومناصرتها، لا لأنها " أقلية " من الناحية العددية وإنما أساسا

لكــي تؤكــد مالها من نفوذ في مؤسسة الحكم، وفي السياسة وفي الإقتصاد وفي المجتمع جمــيعا، فتعزز مراكزها بإصطفاف " الأمم " المقهورة والمحرومة في المركب الأمريكى تحت رعايتها أو الأحرى وصايتها، وفي هذا السياق أولت الأقلية السوداء إهتماما خاصا، ونجحــت لزمن طويل في أن تكون لها بمثابة " الراعي " و "الناصح " ، ومازال لها حتى الآن شـــئ مـــن ذلك وإن يكن في وهن متزايد . وقد جرى هذا الوهن بفعل بزوغ وعى أفريقـــي تطـــور وتنامى في صفوف " الأقلية " السوداء جعلها تدرك صلتها بالعالم الثالث، ومنه العرب.

كيف تتعايش هذه الأمم ؟ مصالح مشتركة:

قـــام الـــنظام الأمريكي منذ الإستقلال على قاعدة " إئتلاف مجموعات المصالح " على أســاس ما بينها من مشترك ، فحرب الإستقلال ذاتها تولدت عن تذمر تجار نيوانجلند في الشـــمال مـــن الضـــرائب الإضـــافية التي فرضتها عليهم دولة الإستعمار ــ بريطانيا ــ لـــتعويض تكالـــيف إخماد الثورة في الهند، والتف معهم مزارعو الجنوب تذمرا من القيود التـــي فرضـــتها بريطانيا على الصادرات الزراعية من مستعمراتها الأمريكية، وعبر هذا الإئـــتلاف عـــن نفســـه بـــتولى جـــون هانكوك الشمالى رئاسة " المؤتمر الذي هو أصل الكونجرس الأمريكي، بينما تولى جورج واشنطن المزارع الجنوبي القيادة العسكرية وبقى هـــذا الإئتلاف قائما قلقا منذ الإستقلال حتى الحرب الأهلية ، حين غلبت مجالات إختلاف المصـــالح بين الشمال التجاري الصناعي وبين الجنوب الزراعي، كانت ولايات الشمال قد أخـــذت بـــتحرير الرقيق، فأصبحت ملجأ للعبيد الفارين إليها من الجنوب، ولم يكن هذا إلا تعبـــيرا عـــن إنهـــيار إئتلاف الإستقلال، وإنتهت تلك الحرب بإنتصار الشماليين (أنصار الفيدرالية) على الجنوبيين الذين أرادوها أن تتحول ــ أو تتراجع ــ إلى دولة كونفيدرالية، ومع النصر جاءت خطة إعادة صياغة الجنوب، والتي كانت تعنى أساسا الإنتقال بالزراعة من الاقطاعيات الضخمة القائمة على الرق إلى الزراعة الرأسمالية، لكن " حرب الإرهاب " التي شنها الجنوبيون حالت دون أن تكتمل إعادة الصياغة هذه إلا بعد زمن طويل وبثمن بـــاهظ مـــن الإضـــطرابات والدماء ، وأفرزت أثرا مازال باقيا حتى اليوم هو المنظمات العنصـــرية، وأشـــهرها " كوكلوكـــس كلان " التي تقول ــ وحتى اليوم ــ بتفوق الرجل الأبيض.

ولأن النظام قام على هذا النحو وعلى خلفية من هذا التركيب من التنوع والتفاوت، فقد أصـــبح مـــن أسســـه أن بعض جماعات السكان ــ الأمم تقوم داخله ، بينما بعضها منبوذ خارجه، فالقاعدة في الإئتلافات أنه لايدخلها إلا من لديه ما يساوم به الجماعات الأخرى.

والآن بعـــد بلـــوغ الجيل الثاني عشر أو الثالث عشر من المهاجرين يوجد بين هؤلاء جميعا طريقة الحياة الأمريكية والطعام الأمريكي، واللباس الأمريكي، ويتكلمون الإنجليزية ، ولكنك تحس أن أمامك طريقة حياة أمريكية، ومجتمع أمريكي، وشعب أمريكي ليس في نفســـه تلـــك القيود الداخلية التي تمنعه من القول والسلوك على نحو حر طليق، يعبر عن فـــردية الفـــرد إلـــى أقصى حد مستطاع ، فلا غرابة أن يلبس رئيس جمهوريتهم قميصا

مشـــجرا ملونـــا ١، ولا غرابة في أن يضحك الفرد منهم لما هو تافه في نظر المتأزم من الوجهـــة النفســـية ١، والذي يلجم نفسه عن المرح ١، حتى تهتز له الأرض وما عليها من أثقال ١، ولكنك في نفس الوقت أمام أمم أمريكية، ما أن تتعرف على شخص حتى يذكر لك انه من أصل إيطالي أو يوناني أو أيرلندي ... إلخ.

الإنتـــــاج الزراعـــــي

لقد ظلت الولايات المتحدة الأمريكية طوال القرن التاسع عشر، وهي دولة زراعية من الدرجـــة الأولـــى، ثـــم أخـــذ عدد العاملين بالزراعة في النقصان، فقد كان عدد العاملين بالـــزراعة والمعتمديـــن عليها ٣٢ مليون نسمة أو نحو ٢٥% من السكان عام ١٩٢٠، ثم إنخفـــض العـــدد إلى ٢٢ مليون نسمة عام ١٩٥٤ نحو ١٣,٥% من السكان. أما في عام ١٩٩٠ فقد قدر الذين يعملون كل الوقت في الزراعة بنحو ٢,٤% أو بنحو ٤ مليون نسمة مـــن مجموع القوى العاملة في البلاد، على أنه ليس معنى هذا إنخفاض مماثل في الإنتاج الزراعـــي بـــل على العكس إزداد الإنتاج مما يدل على إزدياد إنتاجية المزارع الأمريكي الآن عنها في العقود الماضية.

وفـــي الحق لا ينافس إنتاجية مزارع الولايات المتحدة الأمريكية إلا مزارع بعض دول قليلة، كأستراليا، ونيوزلند، وكندا، ويرجع هذا إلى تقدم الوسائل الزراعية العلمية .

وقد بلغت المساحة المزروعة أقل من ٢ مليون كم٢ عام ١٩٩٥ ، من مجموع المساحة التي تزيد على ٩ مليون كم٢ وبالتالي تصبح نسبة الأراضي المزروعة نحو ٢٠% ، هذا وتشغل أراضى المراعى الدائمة نحو ٢٦% ، بينما تغطى الغابات ما يقرب من ٣٦% من المساحة ١، لهذا إذا قورنت الولايات المتحدة الأمريكية بغيرها من أقاليم العالم، سنجد أنها محظوظة من ناحية مواردها المناخية والحيوانية، بل وإمكاناتها المستقبلية مازالت ضخمة كمصدر ضخم وعالمي للمنتجات الغذائية.

وتتمـــيز الـــزراعة فـــي الولايـــات المتحدة الأمريكية بثلاثة خصائص رئيسية: منها التخصص (بإستثناء أقاليم معينة) في إنتاج غلة واحدة أو بضع غلات قليلة، أو في تربية نوع معين من الحيوان ، فتتخصص المزرعة الكبيرة في زراعة نوع معين من الحبوب أو فـــي إنتاج الألبان، مما يؤدى بالمزارع إلى إكتساب خبرة طويلة مع مرور الزمن في هذا الفـــرع من الإنتاج ولا يحتاج إلا لعدد من الآلات. كما تتميز الزراعة الأمريكية بإستعمال الألات على نطاق واسع ، فالجرارات وغيرها من الآلات تستعمل على نطاق واسع نظرا لأن معظـــم المـــزارع في أراضى سهلية أو مموجة تموجا خفيفا ، فضلا عن كبر مساحة المـــزرعة. كما تستخدم المزارع الأمريكية الأسمدة الصناعية بكثرة، ومن ثم تحتل مركز الصدارة بين دول العالم في إستهلاك هذه الأسمدة.

وإذا كانـــت إنتاجـــية الفدان في الولايات المتحدة عالية، إلا أنها أقل من نظيرتها في الدنمارك، وهولند والمملكة المتحدة، حيث تقل مساحة الأراضي الزراعية، ومن ثم تمارس فـــي الـــدول الأخيرة الزراعة الكثيفة. ويتركز الإنتاج الزراعي في شرقي جبال الروكى

(فيما خلا بعض الأقاليم المحدودة المساحة كالأجزاء العليا من الأبلاش).

ويمكن إعتبار خط طول ١٠٠ غربا الفاصل بين شرقي الولايات المتحدة وغربها، وفي هـذا القسم الغربي تقوم الزراعة إعتمادا على الري. وعلى العموم تنتج الولايات المتحدة الأمريكـية العديد من الغلات الزراعية والصناعية التي تسمح بفائض كبير للخارج، فيما عـدا الغلات المدارية كالبن، والكاكاو، والمطاط، التي تستورد من الخارج ، وبينما يشكو معظـم العـالم مـن نقص المواد الغذائية، ويناضل في سبيل السعرات الحرارية اللازمة للسكان المتزايدين ، نجد كثير من سكان الولايات المتحدة الأمريكية يعانون من التخمة.

مكانة الولايات المتحدة

في الإنتاج الزراعي العالمي:

تحـتل الولايـات المتحدة الأمريكية مكانة عالية (١٤% من الإنتاج العالمي)، ولكن أهمـية الولايات المتحدة في التجارة العالمية للقمح تتفوق على أهميتها كمنتج له، ذلك أنها أولـى دول العالم تصديرا للقمح، فلها وحدها ما يزيد على ٤٠% من الصادرات العالمية، وبذلـك تفوقت على كندا والأرجنتين واستراليا، وتستخدم الولايات المتحدة هذا المحصول كسـلاح سياسـي لفرض إرادتها على الشعوب التي هي في حاجة إليه. ذلك أن الحكومة الأمريكـية تشترى الفائض من المحصول وتقوم بخزنه في صوامع الغلال وتستخدمه بعد ذلك في إعطاء القروض. وتحتل الولايات المتحدة مركز الصدارة في إنتاج الذرة العريضة فـي العالم ذلك لأنها تسهم بنحو نصف الإنتاج العالمي (٤٩%) وحدها، ويمتد بها نطاق الـذرة الرئيسي بين مراعي الغرب والإقليم الصناعي في الشرق أي في السهول الوسطى حيـث يتداخل مع نطاق القمح، وتعظم أهمية هذا الإقليم نظرا لأنه إقليم تسمين الماشية ، فـالذرة على عكس القمح لا تتحمل نفقات النقل إلى مواني التصدير أو أسواق الإستهلاك. غـير أن حاجـة الأسـواق الخارجـية إلى الحبوب الغذائية من ناحية ، وتضخم الإنتاج الأمريكي من ناحية أخرى، أدى إلى إحتلال الولايات المتحدة مركز الصدارة في التصدير أيضـا حيـث أصبحت المسئولة عن ٥٠% . ويزرع الأرز في النطاق الساحلي لولايتي لويـزيانا وتكساس فضلا عن بعض المناطق المحدودة في غرب الولايات المتحدة إعتمادا على الري، ورغم أن الولايات المتحدة لاتسهم بنصيب يذكر في الإنتاج العالمي (١,٥%) مـن الأرز إلا أن إنـتاجها يكفـيها وأصبحت تسهم بما يزيد على ٢٥% من الصادرات العالمـية للأرز. وتحتل الولايات المتحدة المركز الثاني في إنتاج الشعير، والمركز الأول فـي إنـتاج الشوفان، من ثم يمكن القول بأن الولايات المتحدة تكفي حاجاتها من الحبوب الغذائية، بل ولديها منها الفائض.

ويـأتى القطن على رأس الغلات الزراعية الصناعية ، ويمتد نطاق القطن في جنوبي الولايات المتحدة من الأطلنطي إلى المسيسبى بإستثناء الإقليم الساحلي حيث زراعة الأرز وقصـب السـكر، وقد ظلت الولايات المتحدة أولى دول العالم إنتاجا للقطن، وإن إنخفض نصيبها في الإنتاج العالمي عن ذى قبل نتيجة دخول دول جديدة ميدان الإنتاج. ويكفي هذا

الإنتاج الإستهلاك المحلى ويبقى فائض للتصدير ، يسهم بأقل من ثلث تجارة الصادرات العالمية (٢٩%). وتأتى الولايات المتحدة في المركز الخامس إنتاجا للصوف (٦%) وبالتالي لا يكفي إنتاجها الصناعات المحلية، من ثم كانت من الدول المستوردة لهذا الخام. ويزرع في الولايات المتحدة كلا من قصب السكر والبنجر. كما يزرع قصب السكر في دلتا المسيسبى، فضلا عن شبه جزيرة فلوريدا، وجزر هاواى، وينتقل للتكرير في سان فرانسيسكو. ولا تحتل الولايات المتحدة مكانة مرموقة في إنتاج قصب السكر، بينما تسهم بنسبة أكبر من إنتاج بنجر السكر، ولكن رغم جمعها لزراعة القصب والبنجر نجدها تأتى في المركز الخامس في إنتاج السكر، ولا يكفي إنتاجها حاجة الإستهلاك المحلى، من ثم تعتبر على رأس الدول المستوردة للسكر.

وتحتل الولايات المتحدة مركز الصدارة في إنتاج الطباق فلها نحو ١٥% من الإنتاج العالمي، حيث يزرع في الولايات المتحدة الجنوبية الشرقية. وتشبه الولايات المتحدة الأمريكية الإتحاد الروسي في أن كل منهما غير منتج للمطاط الطبيعي، وأن كل منهما إتجه نحو المطاط الصناعي. وأصبحت الولايات المتحدة الآن منتجة لنحو ثلثي المطاط الصناعي في العالم . هذا يغطى نحو ٧٠% من إحتياجاتها، ومازالت الولايات المتحدة المستورد الأول لهذه المادة الحيوية من جنوب شرقى آسيا وأفريقية.

الإنتاج المعدني

والولايات المتحدة من الدول الفريدة في غناها المعدني نظرا لكبر مساحتها وتنوع تكويناتها الجيولوجية، ويرى الخبراء أن الولايات المتحدة قد حالفها الحظ في هذا المجال أيضا، ففيها إحتياطات ضخمة من موارد الوقود والمعادن الأساسية.

يقرب إنتاجها للفحم من إنتاج المملكة المتحدة وألمانيا الغربية وفرنسا. غير أنه يلاحظ أن إنتاج الولايات المتحدة بصفة عامة أخذ في النقصان. ولعل هذا كان له أثره على صادرات الولايات المتحدة من الفحم. إذ كانت تشترك بأكثر من ثلث الصادرات العالمية قبل الحرب العالمية الثانية، إنخفضت إلى أقل من العشر قليلا. ويتركز هذا الفحم الجيد في القسم الشرقي من البلاد في جبال الأبلاش، وكذلك يتوفر الفحم في وسط الولايات المتحدة جنوب البحيرات العظمى، أما حقول الفحم في غربي البلاد فتحتوى على ثروة فحمية معظمها من اللجنيت أو الفحم الأسمر.

وهناك فجوة بين إنتاج وإستهلاك البترول ، وعملت على سد فجوة إنتاج وإستهلاك الطاقة بإستيراد البترول. وقد تصاعد هذا الإستيراد لدرجة أن واردات النفط وحدها كانت تمثل ٢٠% من مجموع الطاقة المستخدمة في الولايات المتحدة الأمريكية، ٤٢% من مجموع إستهلاكها النفطي ، بل أن الموقف إزداد خطورة حيث بلغ متوسط الإستيراد اليومي ٨,٦٧ مليون برميل في اليوم أو نحو ٤٧% من إحتياجاتها النفطية. وترجع هذه الزيادة في الإستيرد إلى زيادة إعتماد الطاقة الكهربائية على النفط في توليدها ونقص إنتاج الغاز الطبيعي محليا وغيرها، ويقابل النقص في موارد الولايات المتحدة النفطية تصاعد

وتــزايد إســتهلاك الطاقة، وقد أشار البعض إلى ضرورة إستخدام الموارد البديلة للطاقة، كالطاقة الحرارية الشمسية، أو الحرارية الأرضية أو الطاقة النووية.

ويذهــب الــبعض إلـــى القـــول بأن النواحي الإجتماعية والسياسية قد تكون من أكثر المعوقـــات أثـــرا في زيادة مصادر الطاقة وإستهلاكها، فقد أصبح المجتمع الأمريكي بعد الحـــرب العالمـــية الثانية مجتمعا نفطيا بإمتياز، عاش بعد هذه الحرب وتطور على أساس مورد للطاقة رخيص للغاية، لاينفذ إعتماده على إمتيازات شركاته التي تغطى مناطق إنتاج عديـــدة، ومـــنها الخلـــيج، وبالتالـــي تشكلت الحياة الأمريكية المرفهة، ممثلة في مساكن الضـــواحي البعـــيدة عن صخب المدن حيث مقر العمل، وفي سهولة النقل البرى والجوى عـــبر مسافات ومساحات شاسعة، وفي المصانع المشتتة الموزعة على أرجاء البلاد، وفي تكنـــيك زراعي زاد من إعتماده على الميكنة، وأخيرا وليس آخرا في ذلك الزر الكهربائي الـــذي إعـــتاد الأمريكـــي أن يضـــغط عليه فتلبى كل حاجاته، ويقف النفط وراء كل هذه التســـهيلات المعيشـــية والـــتقدم الإقتصادى، لأن معظم هذه الآلات والأجهزة والمصانع والمزارع ووسائل النقل صممت على أساس إستخدام النفط بطريق مباشر أو غير مباشر. ثـــم هل إقتصرت الأهمية للنفط على كونه مادة للوقود، ومن ثم كان تعلق العالم الصناعي به؟ يكفي أن نقول بأن النفط كمادة خام يغطى نحو ٥٠% من الإحتياجات الكيميائية للعالم الـــيوم، ومـــن ثم كانت شدة الحاجة إليه. وتظهر المشكلة الأولى بالنسبة الولايات المتحدة الأمريكـــية فـــي إعتمادها على مصادر للطاقة ، ليس لديها إحتياطات كبيرة منها ، كالنفط والغاز الطبيعي.

فمن المعروف أنه بينما يكون النفط والغاز الطبيعي مسئولان عن أكثر من ثلثي الطاقة المنـــتجة وأكـــثر مـــن نصـــف الطاقة المستخدمة، فإن إحتياطيها معا يقل عن ١٠% من إحتياطى البلاد من الطاقة، أي احتياطي يقرب من النفاد.

وتظهـــر المشكلة الثانية في أن الإعتماد على الواردات النفطية يجعل البلاد من وجهة الـــنظر الأمريكـــية عرضة للتقلبات والتطورات التي تحدث في الدول المصدرة، أي أنها أصبحت تابعة في هذا المجال، وتزداد خطورة الأمر بالنسبة لهم الآن أكثر مما مضى لأنه حـــدث تحول كبير في مصدر النفط المستورد، وأصبح إعتماد الولايات المتحدة على دول الخلـــيج إعـــتمادا كبـــيرا، ولعل تزعم الولايات المتحدة للتحالف الغربي في عملية الخليج مؤشر ظاهر في هذا المجال.

هكذا نجد التحول نحو العالم الشرقي، وهذا في نظر الساسة الأمريكين من عدم دواعي الأم، لأن المصـــدر الرئيسي بعيد عنها فبينما كان العالم الغربي النفطي فيما مضى ممثلا فـــي فـــنزويلا، وكندا، والبحر الكاريبي، يقع في مراكز السيطرة والنفوذ الأمريكي، أخذ الإنـــتاج الفنزويلى بعد أن بلغ قمته ينخفض، كما أن كندا بدأت تتخذ سياسة رسمية تقضى بعدم تصدير النفط والغاز الطبيعي إلى الولايات المتحدة الأمريكية، ومن ثم إنخفض نصيب العـــالم الجديـــد أو نصف الكرة الغربي من واردات الولايات المتحدة الأمريكية، بينما زاد نصيب الخليج وشمال أفريقيا أي أكثر من الضعف.

وتتفوق الولايات المتحدة في إنتاج كل من الكهرباء الحرارية والكهرباء المائية وفي نفس الوقت تتصدر دول العالم جميعا، فلها نحو ٤٥% من القوة الحرارية، ونحو ٢٥% من القوة المائية المستعملة في العالم.

هذا وقد تقدمت الولايات المتحدة تقدما كبيرا في إستغلال الطاقة النووية، وإن كانت بدأت تحيط أرقام إنتاج اليورانيوم والثوريوم بالسرية التامة إلا أنه من المعروف أيضا أن رؤوس الأموال الأمريكية تستغل يورانيوم زائير وجنوب أفريقية.

وقد ظلت الولايات المتحدة أولى دول العالم إنتاجا للحديد الخام فترة طويلة إلى مابعد الحرب العالمية الثانية، ويأتي معظم هذا الحديد من مناجم مزابى الواقعة غربي بحيرة سوبريور. ونظرا لضخامة إنتاجها الصناعي يصبح هذا الإنتاج غير كاف بمطالب الإستهلاك، من ثم تقف الولايات المتحدة على رأس الدول المستوردة للحديد الخام فلها وحدها نحو ربع تجارة الإستيراد. وتتفوق الولايات المتحدة في إنتاج مادة النحاس الإستراتيجية، إذ تنتج نحو ربع الإنتاج العالمي، وفي نفس الوقت تستغل رؤوس الأموال الأمريكية نحاس شيلى وزامبيا وزائير وكندا والمكسيك. أما حيث المعادن السبائكية فنجدها فقيرة في المنجنيز والنيكل والكروم ولكنها غنية في الكوبالت وتستغل رؤوس أموالها في إستخراج كوبالت زائير، كما أنها غنية بالفناديم والتنجستن.

وتتفوق كذلك في إنتاج البوكسيت (٢٧%) وإذا أضفنا إليها كندا كان معنى هذا أنها تمتلك أكثر من نصف بوكسيت العالم وهي المادة التي يفتقر إليها الإتحاد السوفييتي.

ورغم أن الولايات المتحدة منتجة لكثير من المعادن فالملاحظ أنها مستوردة لكثير من المعادن أيضا، وهنا يجب أن نشير إلى أن كندا تنتج وتصدر معظم المعادن التي تفتقر إليها الولايات المتحدة، كالنيكل، والبلاتين، والأسبستوس، والرصاص، والنحاس ، والزنك فضلا عن تصديرها أخيرا للحديد الخام من لبرادور، فضلا عن توفير كميات كبيرة من الوقود الذرى فمن النواحي الإقتصادية والإستراتيجية تقع كندا داخل دائرة نفوذ جارتها الكبرى.

الإنتاج الصناعي

تقود الولايات المتحدة دول العالم أجمع في معظم فروع الصناعة، وكان النمو الصناعي الكبير الذي شاهدته البلاد خلال القرن الماضي نتيجة توافر وتجمع الظروف المشجعة للصناعة سواء بموارد ضخمة من موارد الطاقة خاصة فحم الشمال الشرقي حيث بدأت الثورة الصناعية للولايات المتحدة فضلا عن الحديد والمعادن الأخرى. ويضاف إلى هذا تدفق سيل المهاجرين الأوربيين الذين مارسوا الصناعة في بلادهم، فأصبحوا نواة جيدة للأيدي العاملة، كما كونوا سوقا إستهلاكية ضخمة، ولم تكن هناك قوانين أو تقاليد صناعية قديمة تحول دون تطور الصناعة في تلك الدولة الناشئة.

وتميز الإنتاج الصناعي كما هو الحال في الإنتاج الزراعي بدرجة عالية من

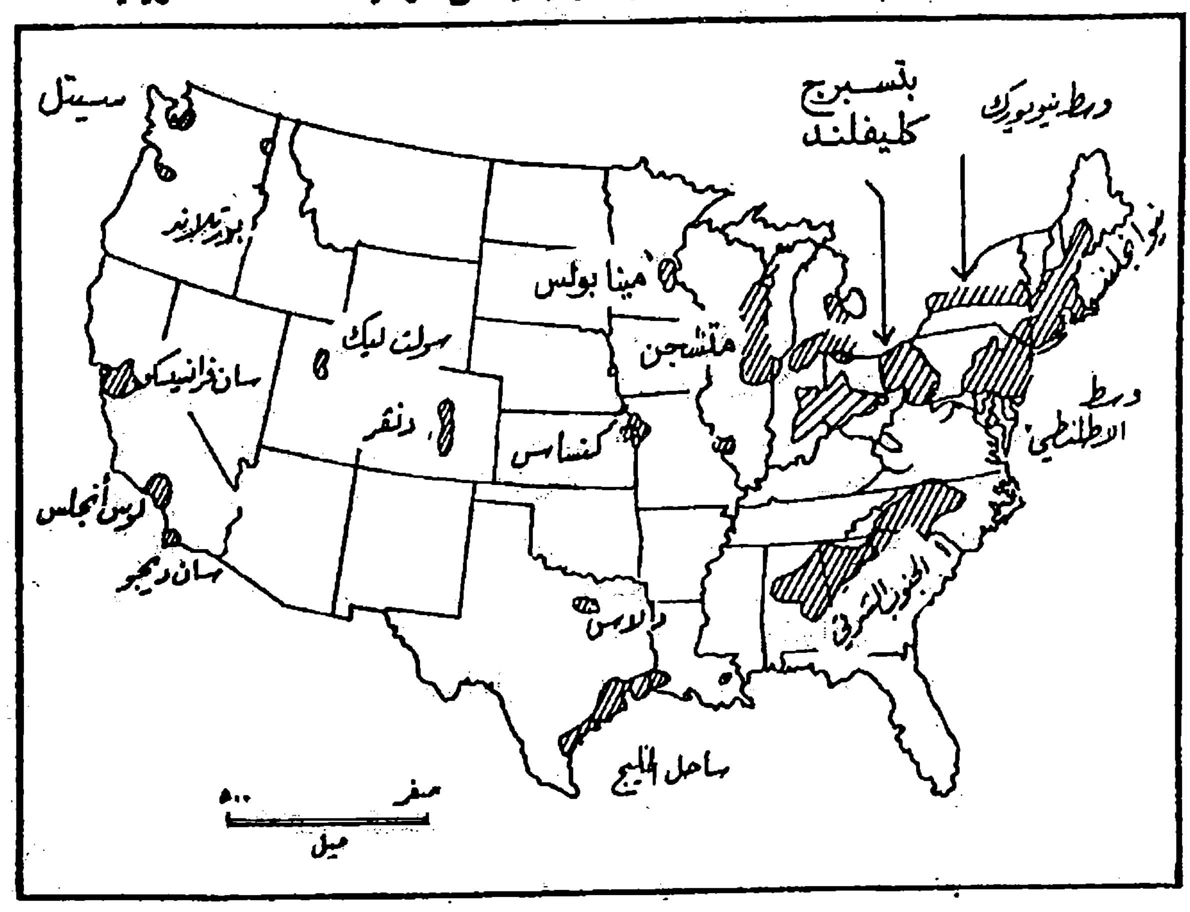
التخصص، وقد كان هذا ميسرا بفضل الشبكة الضخمة من الطرق الحديدية والقنوات التي غطت معظم الولايات المتحدة منذ نهاية القرن الماضي، وعززته في هذا القرن بشبكة من الطرق وأنابيب البترول والغاز الطبيعي وأسلاك الكهرباء وكانت شبكات النقل هذه من أهم عوامل التقدم الصناعي الأمريكي.

وكــان التركــيز الكبــير لكثير من الطاقات الصناعية في مؤسسات كبيرة من أهم ما تمــيزت بــه الصــناعة من العقود الأخيرة في هذا القرن، وكان نتيجة هذا تسهيل عملية الإنــتاج الكبير، وبالتالي إرتفاع إنتاج العامل الصناعي. ومع ذلك فمعظم فروع الصناعة ممثلة فيها، وإن كانت بدأت تحس بمنافسة اليابان الشديدة لها.

ولقــد تركــت نوايــات الصــناعة الأولــى في شمال شرقي الولايات المتحدة أي في نيوانجلــند، ومــن هناك بدأت في الإنتشار غربا إلى إقليم البحيرات، وجنوبا بشرق على طــول ســواحل الأطلنطي والأبلاش، وحتى يومنا هذا مازال جزء كبير من طاقة البلاد الصناعية يتركز في هذا الإقليم الشمالي الشرقي.

وقــد بــدأ نــوع عدم التركيز أو التفكك، وبدأت الصناعة تتجه نحو ولايات القطن في الجنوب، ونحو مناطق البترول، وإلى المراكز المدنية المطلة على الباسفيك.

المراكز الصناعية الرئيسية فى الولايات المتحدة الأمريكية



مشكلات تواجه الصناعة الأمريكية

والولايات المتحدة الأمريكية أكبر منتج للسلع الصناعية، وليس من شك أن صناعاتها نمت نموا كبيرا لمقابلة إحتياجات السوق المحلية، بينما كان الإنتاج الصناعي لأوربا واليابان موجه بالدرجة الأولى للتصدير حتى يمكنها مقابلة وارداتها من المواد الغذائية والخامات والوقود اللازم لأسواقها المحلية، وكانت الحربان العالميتان الأولى والثانية مسئولة عن هذا النمو الصناعي الكبير ، وبصفة خاصة الحرب الأخيرة وما بعدها، ولقد كانت الولايات المتحدة الأمريكية تمثل هدفا للصادرات المتزايدة من أوربا واليابان وكذلك لخامات والمصنوعات الرخيصة للدول النامية، من ثم عانت بعض الصناعات الكثير من هذه المنافسة، كصناعات النسيج والملابس والصلب والسيارات والإلكترونيات، وقاومت بعض هذه الصناعات، وإستطاعت البقاء كصناعة السيارات، بل أن صناعات أخرى كصناعة الطائرات والكمبيوتر سادت أسواق العالم، على حين أن الصناعات المعتمدة على حقول الفحم في شرقي البلاد عانت كثيرا نتيجة إنخفاض إنتاج الفحم والصلب، وكذلك صناعة المنسوجات.

هذا ومع زيادة عولمة الإقتصاد العالمي زادت حجم العمليات مع العالم الخارجي وتحركت رؤوس الأموال الأمريكية لجهات كثيرة في أنحاء العالم، محمولة لكثير من النشاطات كإستخراج البترول في فنزويلا، وصناعة السيارات في المملكة المتحدة (فورد وجنرال موتورز) وزراعة الفاكهة في أمريكا الوسطى، هذا كما تحركت رؤوس الأموال الأجنبية داخل الولايات المتحدة الأمريكية، وخاصة الجهة الشرقية، أكثر من الجهة الغربية المطلة على المحيط الهادي.

وتواجه الصناعة منافسات خارجية عاتية، فقد زادت صادرات الدول الأخرى إلى الولايات المتحدة بمعدل ثلاثة أضعاف خلال العقدين الأخيرين، وإعتمدت صناعات الدول الأخرى على رخص الأيدي العاملة كما في شرق آسيا وعلى تكنولوجيا متطورة كما في شرق آسيا وغرب أوروبا، (فاليابانيون على سبيل المثال يستخدمون الروبوت " الإنسان الآلي " خمس مرات أكثر من الأمريكيين في الصناعات الدقيقة)، ولعل تدهور مكانة الولايات المتحدة الأمريكية بالنسبة للعالم الصناعي تظهر في حالة صناعة الصلب، وهي أحد الصناعات الرئيسية والتي تمثل العمود الفقري لحزام الصناعة هناك، فقد كانت قائدة هذا النوع من الصناعة حتى الستينيات، ثم تدهورت في الثمانينيات لدرجة إنخفاض مبيعاتها بما يزيد على ٤٠% ، وإنخفضت نسبة العمالة فيها بنحو ٦٠% ويرجع تدهور هذه الصناعة إلى إنخفاض الطلب العالمي على الصلب من ناحية، وزيادة الصلب المستورد لإنخفاض أسعاره عن الصلب الأمريكي، فضلا عن السبب الرئيسي وهو تخلف صناعة الصلب في الولايات المتحدة الأمريكية بالنسبة لصناعة المنافسين.

إنحدار الولايات المتحدة الأمريكية من القمة إلى السفح
من النواحي الإقتصادية

يــرجع المؤرخون الإقتصاديون جانبا كبيرا من نجاح أمريكا الإقتصادى إلى الأراضي الزراعــية والموارد الأولية الرخيصة والوفيرة، فأمريكا لم تصبح غنية لأنها عملت بمشقة أكثر أو أدخرت أكثر مما أدخر الآخرون، ولكن لأن سكانها عاشوا في بيئة فسيحة للغاية، شديدة الثراء في الموارد، وإقترنت مواردها الطبيعية بأول نظام للتعليم الإجباري مدته إثنتا عشــرة ســنة، وبأول نظام للتعليم الإجباري العالي ذي الأعداد الكبيرة وهاتان الخطوتان أعطتا أمريكا سبقا إقتصاديا.

لذلك كانت الولايات المتحدة الأمريكية في سنوات ما بعد الحرب العالمية الثانية تعيش خلف سورها العظيم ، ولكن سورها لم يكن مبنيا بالحجارة، بل كان مؤلفا من أربع ميزات إقتصادية ساحقة.

أولاهــا : أن السوق الأمريكية كانت في عام ١٩٥٠ أكبر بمقدار تسع مرات من أكبر ســوق تالــية لهــا، وهي المملكة المتحدة. ونتيجة لذلك كانت الصناعة الأمريكية تتمتع بوفــورات حجــم وآفــاق لم يكن بإستطاعة أى إقتصاد قومي آخر أن يأمل في تحقيقها . وكانت الصناعة الكبيرة إحتكارا أمريكيا من الناحية الفعلية، حيث كانت تكاليف الوحدة في صــناعات مثل صناعة السيارات أو الصلب تتجاوز أحلام أكبر المنتجين الأجانب. وكان بوسع المؤسسات المتميزة أن تزدهر وهي تخدم سوقا داخلية بهذا الحجم.

ثانيــتها : كــان الــتفوق في التكنولوجيات من نصيب الأمريكيين. فقد كانت الحرب العالمــية الثانــية قد دمرت المقومات العلمية في معظم أنحاء بقية العالم ، وأعطت أوربا الولايــات المــتحدة بعضــا من ألمع عقولها ــ ألبرت أينشتاين مثلا. ولم تكن المؤسسات الأمريكية تتنافس مع مؤسسات أجنبية، بل كانت تصنع منتجات لم يكن بإستطاعة الأجانب صنعها.

ثالثــتها : أن العمــال الأمريكيــن كانوا أكثر مهارة من نظرائهم في الخارج. وكان الأمريكيون قد إبتدعوا التعليم الإلزامي العام، الأساسي والثانوي.

كانت أمريكا أيضا أول دولة بها تعليم عال يضم أعداد كبيرة. وأصبح لديها نسب أكبر كثيرا من سكانها تعليم عال . وكان هؤلاء بسبب هذا التعليم قادرين على إكتساب مهارات تكنولوجيا تجاوزت بوضوح الموهبة البشرية في أي بلد آخر. ونتيجة لذلك كانت التكاليف أقل.

رابعــتها : أن أمــريكا كانــت غنية، على حين كانت البلدان الأخرى فقيرة. ففي عام ١٩٥٠ كان ناتجها القومي الإجمالي أعلى بمقدار ٥٠ في المائة من مثيله في كندا، وثلاثة أمثال نظيره في بريطانيا العظمى، وأربعة أمثال نظيره في ألمانيا الغربية، وبمقدار خمس عشــرة مــرة مــن مثيلة في اليابان. وكان بإستطاعة الأمريكيين أن يفعلوا أشياء لم يكن

باستطاعة الآخرين أن يفعلوها، ولما كان لدى الأمريكيين دخل قابل للتصرف أكثر من غيرهم، فإن أول سوق كبيرة لكل شئ تقريبا كانت تبدأ في الولايات المتحدة، وأعطى ذلك المؤسسات الأمريكية فرصة لأن تقطع شوطا في تحسين أدائها حتى قبل أن يكون باستطاعة غيرها أن يبدأ الطريق.

القوة العسكرية على حساب الداخل:

أمريكا مازالت قوية، مازالت أمريكا واحدة من أقوى الدول إقتصاديا وسياسيا وعلميا، لكن قوة أمريكا الحقيقية هي قوة نووية وعسكرية، وهي القوة التي تبدو واضحة كل الوضوح في الخارج، وهي أيضا القوة التي تسبب في إنهاك أمريكا من الداخل ، القوة النووية والعسكرية الأمريكية لازالت مطلقة وجبارة، ولا ينبغي لأحد في الخارج على الأقل أن يستهزء بها أو يستفزها، وإن أمريكا بقدراتها النووية الراهنة قادرة على تدمير الكرة الأرضية وكل ماعليها ، فهي تملك أكثر من ٢٥ ألف رأس نووى، ولازالت الدولة الوحيدة في العالم التي تنفق سنويا ٢٨٠ مليار دولار ، أى نحو نصف مليون دولار في كل دقيقة من دقائق الساعة وعلى مدار السنة، على إنتاج وتطوير الأسلحة بكل أشكالها وأنواعها، وأمريكا هي الآن الدولة الوحيدة التي لديها مجمع عسكري ـ صناعي ضخم، وفيه جميع فرص التقدم والكسب المرتفع ـ إذ يعمل ٣٠% من مهندسيها مباشرة أو بطريق غير مباشر في خدمة القوات المسلحة. فهي توفر إثارة مغامرات التقنية الرفيعة التي لا تستطيع المنتجات المدنية أن تباريها، ولكن هذه القوة العسكرية والنووية التي لازالت تفرض زعامة أمريكا في الخارج، تنمو على حساب تراجع أمريكا من الداخل.

مؤشرات التدهور في الداخل:

١- **<u>إنكماش إقتصادى:</u>**

تقول الأرقام والبيانات الرسمية الأمريكية، أن أمريكا أصبحت تستهلك الآن أكثر مما تنتج، أمريكا تستورد اليوم من الخارج أكثر مما تصدر للخارج، ولم تكن أمريكا هكذا منذ ربع قرن. إن أمريكا أصبحت تنفق أكثر مما تستثمر في الداخل والخارج، بل هي أقل الدول الصناعية من حيث الإستثمار القصير والطويل المدى، لقد أخذت أمريكا تسجل أعلى حالات الإفلاس في كل تاريخها المعاصر (٧٠٠ ألف حالة إفلاس خلال عام ١٩٩٠) والإفلاس يتزايد بنسبة ٢٠% سنويا، وتعانى من أكبر عجز في العالم والذي تجاوز ٤٠٠ مليار دولار عام ١٩٩١.

لقد توقف كليا عملية النمو الإقتصادى في أمريكا، وهي تعيش حاليا ركود إقتصادى مزمن وبطالة مستديمة، ومتزايدة ، هناك اليوم أكثر من ١٥ مليون شخص عاطل عن العمل أي بنسبة ٨% من إجمالي القوة العاملة في منتصف التسعينيات، وهذه النسبة هي الأعلى بين الدول الصناعية.

لكن برغم هذا الضعف البنيوى، فإن إقتصاد أمريكا هو الأضخم، والأكبر والأول في

العالم من حيث إجمالي الناتج القومي الذي يبلغ حوالي ٦ آلاف مليار دولار، أي ضعف الإقتصاد الياباني الذي هو الثاني في العالم، وأمريكا هي أيضا موطن أكبر عدد من أصحاب الملايين وأكبر عدد من أصحاب البلايين.

٦٤ ألف مليونير يعيشون في أمريكا ، ونصف إجمالي عدد أصحاب البلايين في العالم هم من الولايات المتحدة الأمريكية، هذا على حين يبلغ عدد فقراء أمريكا ٣٠ مليون فقير حسب تعداد عام ١٩٩٠ ، والفجوة هي التي تولد التوترات والتناقضات الإجتماعية الحادة في الداخل.

٢- <u>تراجع الأوضاع الصحية:</u>

أمريكا هي الدولة الأولى في الطب وفي تقدم التقنيات الطبية، وفي كون العلاج الطبي هو الأغلى في العالم، لكن قلة تدرك عمق تراجع أمريكا الصحي والطبي إلى المراكز المتأخرة حتى بمقاييس الدول المتخلفة، إن أمريكا هي الآن الدولة رقم ١٥ من حيث معدل عمر الفرد في العالم، والذي هو أهم مؤشر من مؤشرات تطور وتقدم ورقى ورفاهية أي دولة في العالم، اليابان هي الدولة الأولى من حيث معدل عمر الفرد الذي يصل إلى ٧٩ سنة مقابل ٧٥ سنة بالنسبة لعمر الفرد في أمريكا ، لقد كانت أمريكا قبل ١٥ سنة الأولى من حيث معدل عمر الفرد الذي أخذ يتراجع ولازال التراجع مستمرا، كما تراجعت أمريكا إلى الدولة رقم ١٣ من حيث الإنفاق العام على الصحة.

إن تراجع الأوضاع الصحية في أمريكا جعلها الدولة الأولى في العالم من حيث عدد المصابين بالإيدز، ومن حيث عدد المصابين بالسرطان، حيث أن كل ٤ من ١٠ رجال و٣ من كل ١٠ نساء مصابون بالسرطان في أمريكا ، ويعود إنتشار مرض القلب والسرطان إلى أسباب عديدة ، يبدو أنه مرتبط بالإفراط في أكل اللحوم (أمريكا هي الأولى إستهلاكا للحوم) وإستهلاك المأكولات المعلبة، والتي تحتوى على نسبة عالية من المواد الكيماوية والحافظة.

٣- <u>تراجع التعليم:</u>

تراجع أمريكا في التعليم هو أكثر دلالة من تراجعها في الطب والصحة، كان التعليم الحديث والمتطور مصدر قوة ونموذجا للآخرين، أما الآن فقد أصبحت أمريكا " أمة في خطر " كما أكد ذلك تقرير التعليم الذي رفع للرئيس الأمريكي، إذ تعانى من تدهور شديد في النظام التعليمي، وتعانى من أعلى معدل للتسرب بين الدول المتقدمة، ويوجد ٢٣ مليون أمريكي لا يعرفون القراءة والكتابة إضافة إلى ٤٠ مليونا آخرين يقرأون بصعوبة ولا يجيدون الكتابة أصلا، وما يتم إستثماره في التعليم لا يتناسب مع متطلبات المنافسة الدولية الراهنة، اليابان هي اليوم الدولة الأولى من حيث الإستثمار في التعليم، ومن حيث الإستثمار في مجالات البحوث والدراسات، وتأتى ألمانيا في المرتبة الثانية.

لقد تراجعت أمريكا إلى المركز الأخير من حيث التعليم في الحضانة ورياض الأطفال،

ومن حيث تعليم الرياضيات حتى بين الدول الصناعية الجديدة ككوريا وهونج كونج، إن أمريكا هي اليوم الدولة رقم ٢٩ من حيث عدد العلماء والفنيين والمهندسين، ولديها ٥٥ عالما وفنيا فقط لكل ألف نسمة مقابل ٣١٧ عالما وفنيا في اليابان وهو أعلى معدل في العالم، أي أن معدل عدد العلماء والفنيين في اليابان يساوى ١٦ ضعف المعدل في أمريكا.

وأخيرا

كل عام ينشر المنتدى الإقتصادى العالمي، وهو منظمة ذات إدارة سويسرية، تقرير القدرة التنافسية العالمية، الذي يحاول فيه ترتيب القدرة التنافسية لمؤسسات الأعمال في بلدان مختلفة وفق أبعاد مختلفة. وقد أجرى المنتدى تقييما للإدارة في ٢٣ بلدا صناعيا، حصل فيه المديرون الذين كانوا الأفضل في نشاط ما على المرتبة ١، على حين حصل المديرون الذين كانوا الأسوأ على المرتبة ٢٣ .

وفي ما يتعلق بجودة المنتجات كانت المؤسسات الأمريكية في المرتبة ١٢ وكانت اليابان في المرتبة ١ ، وألمانيا رقم ٢.

ووجدت النتائج نفسها بالنسبة لخدمة ما بعد البيع : كانت اليابان رقم ١، ألمانيا رقم ٢، الولايات المتحدة الأمريكية رقم ١٠.

وحصلت كمية ونوعية التدريب أثناء العمل اللتان تقدمهما المؤسسات الأمريكية على مرتبة ١١، وكانت اليابان رقم ١، وألمانيا رقم ٢.

وفيما يتعلق بالتوجه المستقبلي للمؤسسات (أي هل تأخذ المؤسسات نظرة المدى الطويل) في ٢٣ بلدا صناعيا ، كانت المؤسسات الأمريكية في المرتبة ٢٢ – أي في القاع تقريبا وكانت المجر فقط هي أسوأ الجميع، وكانت اليابان رقم ١، وألمانيا رقم ٣.

وهذه التقييمات الأوربية تجد صداها في الشرق . ففي مسح أجرته دوائر الأعمال الكورية، بعد تصحيح بالنسبة للسعر، فضل ٨٠ في المائة من الكوريين المنتجات اليابانية، وعندما طلب إلى اليابانيين الرأي في السيارات المستوردة التي يريدون شراءها، لم ترد في القائمة أية سيارات أمريكية. كانت السيارات جميعا من أوربا . ومنذ وقت ليس بطويل قال أحد الإقتصاديين اليابانيين " إننا سنساعدهم على إدارة إنحدارهم ".

وإلى حد ما يتفق الأمريكيون مع هذه التقييمات الخارجية ، ذلك أن ٤٨ في المائة من الأمريكيين يعتبرون المديرين اليابانيين أفضل من نظرائهم الأمريكيين، وأن ١١ في المائة فقط هم الذين يعتقدون بعكس ذلك.

ومعنى جميع هذه التغيرات واضح، وهو أن أمريكا لم تعد تعيش وراء سورها العظيم. فقد أنهار السور العظيم! وعلى أمريكا أن تتكيف مع الواقع القاسي، واقع المنافسة الحقيقية. لقد ولى تفوقها التكنولوجي والإقتصادى الذي حصلت عليه دون عناء. ومن الناحية الإقتصادية لقد وصل جنكيزخان (الصين – اليابان).

الفصل الثاني

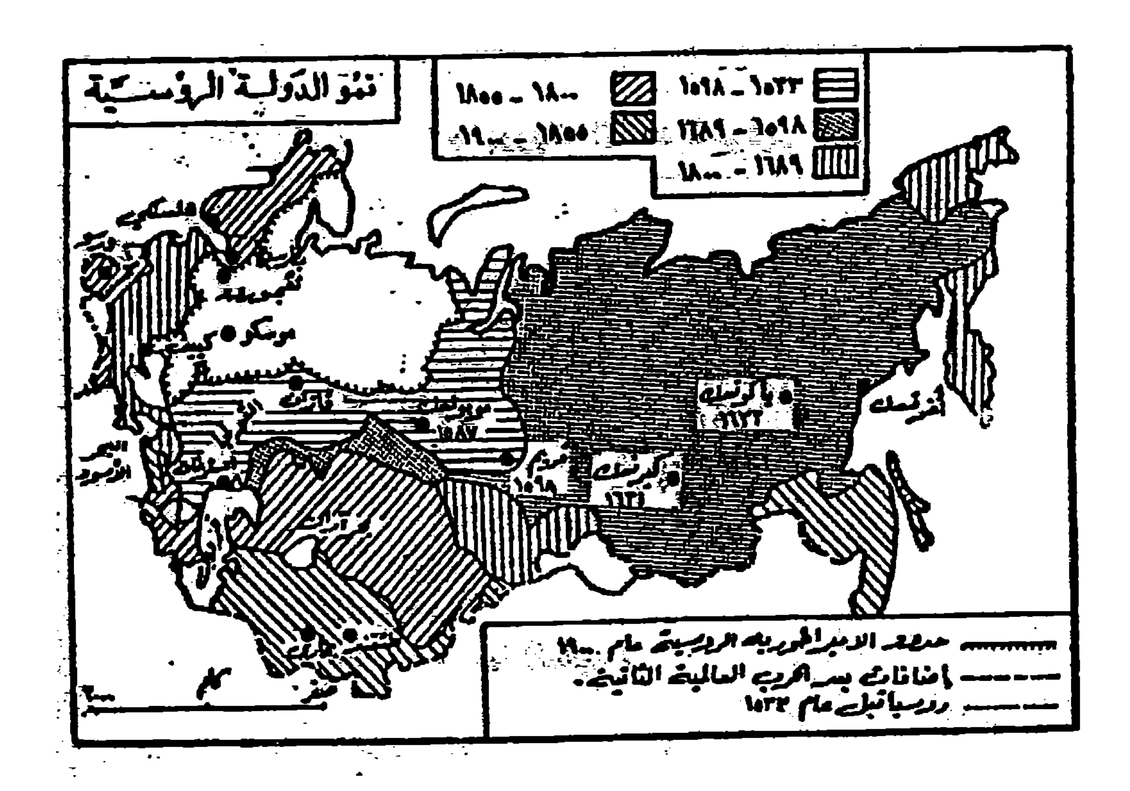
روسيا الإتحادية وريثة الإتحاد السوفييتي

الإتحاد السوفييتي ١٩٢٤-١٩٩١

ظهور النجم:

مثلت روسيا حجر الزاوية لمدة سبعة وستين عاما فى الإتحاد السوفييتي الذي كان يعرف بأسم إتحاد الجمهوريات السوفييتية الإشتراكية ***(U.S.S.R.)*** وكان الإتحاد السوفييتي ثمرة لثورة ١٩١٧، والتي ظلت لمدة عقد من الزمان حتى أطاحت بالقيصر نيقولا الثاني، وكان يطلق على المجموعات الثورية لقب السوفييت (المجالس)، وكانت هذه المجالس نشطة منذ عام ١٩٠٥، حين قام آلاف العمال بمظاهرات ضد القيصر، ووصلوا إلى قصره فى الاسبرج، وفتح عليهم الحرس النيران فقتل المئات وجرح المئات، وبدأت روسيا تدخل دروب الفوضى.

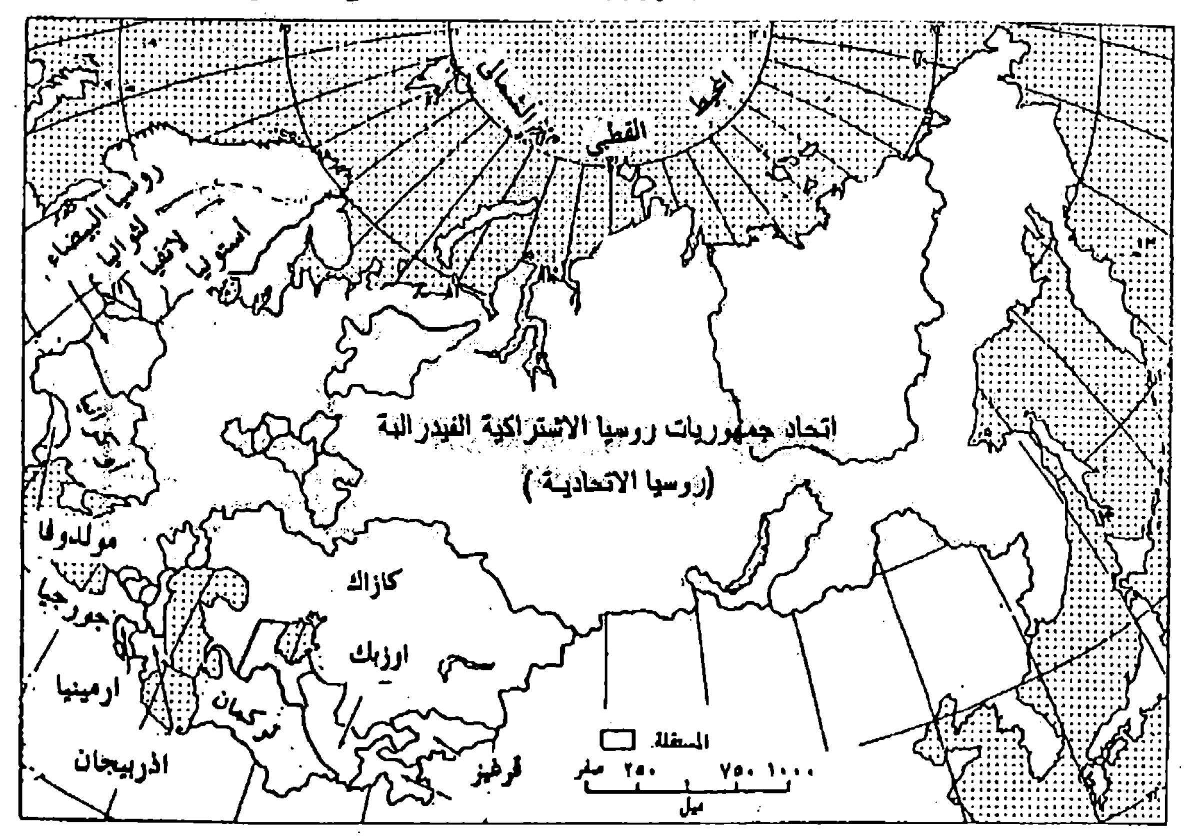
نمو الدول الروسية



بيد أن الإطاحة بالقيصر عام ١٩١٧ كان نتيجة لتعاون الجيش والمدنيين، وعقد

البلاشفة صلحا منفردا مع ألمانيا فى مارس سنة ١٩١٨، وواجهت الحكومة أزمات خطيرة، فقد أثار الصلح حفيظة الحلفاء، وهوجمت روسيا من جميع الإتجاهات بقوات مناهضة للشيوعية تؤازوها قوات الحلفاء، إلى جانب نشأة جمهوريات مستقلة فى القوقاز وأوكرانيا، وإشتد القتال بين الجنود الحمر وهم أنصار القيصرية نحو ثلاث سنوات، نجحت فيها الحكومة السوفييتية فى إعادة توحيد البلاد، وضم الأجزاء التي كانت قد إنفصلت عن الإمبراطورية القديمة. ولكن إتحادها هذه المرة كان على أساس يختلف تمام الإختلاف عن الأسس القديمة التي قامت عليها إمبراطورية القياصرة، وأساس هذا الإتحاد أن تكون الأقاليم معا ما يشبه الإئتلاف، وأن يكون لكل إقليم حريته، بأن تكون الأقاليم جميعا على قدم المساواة، ومنذ سنة ١٩٢٢ حينما ظهر الإتحاد السوفييتي لأول مرة بصفة رسمية بدأت جمهوريات مختلفة فى الإنضمام إليه حتى أصبح عددها ١٦ جمهورية ، ثم ضمت كاريليا الفنلندية إلى جمهورية روسيا السوفييتية عام ١٩٥٦ فأصبح عددها حتى تفكك الاتحاد السوفيتى خمس عشرة جمهورية. وعرفت هذه الدولة الكبيرة بأسم الإتحاد السوفييتي ***Soviet Union*** أو إتحاد الجمهوريات الإشتراكية السوفييتية ***Union of Socialist Soviet Republics (USSR)***

جمهوريات الاتحاد السوفيتى السابق



وحكمت روسيا بعد ذهاب القيصر بواسطة حكومة مؤقتة، وأعادت هذه الحكومة الثوار المنفيين من معسكر البولشفيك (وكانوا ينقسمون شيعا)، عاد لينين من سويسرا، وتورتسكى من نيويورك، وستالين من سيبريا، وبعد ذلك سيطرت مجموعة لينين على السلطة، وبدأ ظهور المعسكر الشيوعي عام ١٩٢٤ تحت إسم إتحاد الجمهوريات السوفيتية الإشتراكية، وأعقب لينين الذي توفى عام ١٩٢٤، الدكتاتور ستالين، الذي إستخدم العنف مع أعدائه ومخالفيه بالنفى والإغتيال.

أفول النجم:

ليس من شك بأنه لم تكن هناك جدية فى العمل فى الدولة الشيوعية السابقة، وهم كانوا كذلك للأسباب التي توضح عنها الفكاهة الشيوعية. "نحن نتظاهر بالعمل، وهم يتظاهرون بأنهم يدفعون لنا أجوراً " وإذا لم يكن هناك مقابل للعمل، فما الذي يحمل المرء عليه؟

تقول فكاهة أخرى فى العالم الشيوعي السابق . إن الفرق بين الرأسمالية والشيوعية على النحو التالي ." في الشيوعية تكون جيوبك مليئة بالنقود، ولكن لايوجد في المتاجر شئ تشترية، في الرأسمالية تكون المتاجر ممتلئة، ولكن لا توجد نقود فى الجيوب ".

ظل الدب السوفييتى يثير القلق فى معظم نصف القرن الأخير ، ووقفت الرأسمالية وجها لوجه أمام الشيوعية، وبدأ فى أواخر الأربعينيات أن الدب السوفييتي، بمؤازرة المعونة المقدمة إلى اليونان وتركيا، وإنشاء حلف شمال الأطلنطي، وإعادة تسليح اليابان وألمانيا الغربية، الحرب الكورية، كلها جهودا ترمى إلى إحتواء الدب والتنين السائبين فى الغابة.

وفى الخمسينيات كانت القدرات الإقتصادية والتكنولوجية للدب السوفييتي تبدو مضاهية لقوته العسكرية، فقد إنطلق السبوتنيك الروسي، ولم ينطلق نظير له من الجانب الأمريكي، وفى الخمسينيات كان الإتحاد السوفييتي ينمو بمعدل أسرع من الولايات المتحدة، ولو إن الحال إستمرت على هذا المنوال لكان أجمالي الناتج القومى السوفييتي قد تفوق على مثيله الأمريكي فى عام ١٩٤٨.

وعندما قرع نكيتا خروشوف الطاولة فى الأمم المتحدة بحذائه، وهدد بدفن الديموقراطيات الصناعية، عسكريا وتكنولوجيا وإقتصاديا، أخذه الجميع مأخذ الجد ، وبدا وكأن ذلك قد يحدث بالفعل.

وربما كان عجز الإتحاد السوفييتي عن توفير السلع الإستهلاكية للمواطنين هو النذير وكانت قيادة جورباتشوف (١٩٨٥ إلى ١٩٩١) هي الفترة التي تقوض فيها الإتحاد السوفييتي، ودخلت السياسة الدولية كلمات جديدة لم تكن موجودة من قبل وهي البرستوريكا (إعادة البناء) والجلاسنوست (المصارحة).

فعندما أضعف جورباتشوف سلطة الجهاز القديم للتخطيط المركزي، خلق أوضاعا إستحال معها العودة إلى الماضي، ذلك أن ما حدث كان أكثر عمقا من فتح الباب أمام

التغيير، فما أن فتح الباب مجرد فرجة حتى تمزق النظام لا على يد جورباتشوف، بل على أيـدي آلاف المواطنيـن السوفييت الذين أصبحوا ببساطة غير مستعدين للتعاون مع ذلك النظام، وعندما تلاشى تعاونهم الطوعى مع النظام القديم تلاشى النظام نفسه.

ويتضح الآن وضوح الشمس أنه لا يوجد إمكان لأن يعود الإتحاد السوفييتي السابق إلى مـا كـان عليـه، فهـو لم يعد قوة عظمى عسكرية رغم خطورة القوى النووية التي فى حوزتـه، كمـا أن إقتصاده ليس على درجة من القوة تسمح له بإستعادة وضعه العسكري السابق، ولم يعد جيشه قابعا فى وسط أوربا، والإتحاد السوفييتي الذي عرفناه طيلة الأعوام السبعين الماضية ، هو الآن مجرد موضوع تاريخي وبصرف النظر عن عدد الدول التي تظهر من بين أشلاء الإتحاد السوفييتي فقد ولـّى.

الإعلان الرسمى لوفاة الإتحاد السوفييتي:

فى ٨ ديسمبر عام ١٩٩١ أعلن فى مدينة برست بجمهورية بيلوروسيا "نحن جمهورية بيلوروسـيا والإتحـاد الروسـي وأوكرانـيا بإعتبارنا الدول المؤسسة للإتحاد السوفييتي، والموقعيـن على معاهدة الإتحاد عام ١٩٢٢، والمشار إليهم بعد ذلك بإعتبارهم الأطراف العليـا المـتعاقدة، نقـرر أن الإتحـاد السـوفييتي كأحد أطراف القانون الدولي وكواقع جيوبوليتيكى، لم يعد قائما بهذا الإعلان غابت عن المسرح الدولي القوة التي ظلت تشارك كدولـة وكنظام سياسي وإجتماعى منافس فى زعامة وقيادة النظام الدولي على مدى ٦٧ عاما، وفى إرساء قواعده ونظمه وتشكيل علاقاته.

غـير أن الإعلان وأن كان قد تحدث بوجه خاص عن تفكك وحدات الإتحاد السوفييتي بجمهورياتـه الخمـس عشرة، إلا أنه كان يعنى كذلك ويؤكد بشكل نهائي، ما كان قد بدأ بـالفعل منذ سقوط جدار برلين عام ١٩٨٩، وتفكك المعسكر الاشتراكي الذي كان الإتحاد السوفييتي يستمد منه مكانته الدولية، ويرمز إلى الحرب الباردة والإنقسام الدولي، لذلك فلم يكـن غريـبا أن يشبه المؤرخون هذا الغياب الفعلي للإتحاد السوفييتي بتطورات تاريخية كـبرى مـثل تلـك التي أعقبت الحرب النابوليونية، والحربين العالميتين الأولى والثانية، والأثار العميقة التي ترتب عليها من إحساس بالإرتباك والإضطراب والبحث عن الهوية، فضلا عن إستمرار التفكك الإقتصادى وما يصاحبه من تشوهات إجتماعية، وأهم من ذلك، ربما الإحساس بالمهانة التي تولدت عن فقدان الهيبة والمكانة، والتي تشبه خبرة ألمانيا بعد الحـرب الأولى، والتي قادت إلى ظهور الإشتراكية القومية ولم تكن أخطار تفكك الإتحاد السـوفييتي وإنهيار السلطة المركزية مقصورة على شعوبه، بما تضمنته من عوامل عدم الإسـتقرار وعـدم وضوح المعالم، واسس النظام الذي سيقوم على إنقاض النظام القديم، وإنما إمتد هذا القلق، ولا يزال حول ما يميز الإنهيار السوفييتي عن غيره من إنهيار قوى تاريخـية سـابقة، وربمـا ميز الحالة السوفييتية أنها كانت المرة الأولى التي تتفكك فيها إمبراطورية تمتلك ترسانه وأسلحة نووية وموزعة على أربع وحدات فيها، ورغم الحدود التـي بذلـت لمحاولة التحكم والسيطرة وإحتواء هذه الترسانة النووية وخفضها، فما زالت أخطـار تسـربها سواء من حيث مكوناتها المادية أو البشرية من كادرات العلماء والفنيين

المشرفين عليها، تسربها إلى قوى وقنوات لا يمكن التحكم فيها أو التنبؤ بكيفية إستخدامها.

الإتحاد الروسي أو روسيا الإتحادية *R.S.F.S.R*

Russian Socialist Soviet Repaublic

واليوم وقد أنزل علم المطرقة والسندان من فوق الكرملين، ورفع بدلا منه العلم الروسي الذي يحمل النسر ذو الرأسين، وأصبحت (لينجراد) بيترزبرج كما كانت أيام القياصرة، كما دقت أجراس الكنيسة الأرثوذكسية.

وأصبحت اليوم الست جمهوريات السابقة (أستونيا، لاتفيا، لتوانيا، بيلوروسيا، أوكرانيا، مولدوفيا) التي تقع في غرب روسيا جزءا من أوربا الشرقية وتتطلع إلى أوروبا لتبحث لنفسها عن مكانة، وبالمثل الخمس جمهوريات الجنوبية التي كانت تكون وسط آسيا، (كازخستان، أوزبك، تركمان، طاجيكستان، قيرغيزستان)، تنظر إلى العالم الإسلامي إلى الجنوب منها، وأعطتها كل من إيران وتركيا إهتمامات خاصة، وأصبحت روسيا ذاتها فى حالة إنتقالية.

ومثلت روسيا نواة الإتحاد السوفييتي السابق، فسكانها نصف سكان الإتحاد، وعاصمتها كانت عاصمة الإتحاد، كما تضم معظم نواياته الصناعية كما أنها أكبر الجمهوريات السوفيتية مساحة.

روسيا الإتحادية والتي يطلق عليها روسيا إختصارا وتتكون من ٢٠ جمهورية، وتضم ١١ إقليما ذي حكم ذاتي وقد رفضت جمهورية الشيشان هذا الإتحاد وطالبت بالإستقلال التام، وأرسلت موسكو قواتها ولكن بعد طول معاناة من جانب الروس إضطروا أخيرا إلى الإنسحاب والرضا بالمفاوضات مع الشيشان، مما يدل على مدى الإنهيار الذي أصاب المركز وتنبأ الجغرافيون السياسيون بأن قوى الطرد ***Centrifugal Force*** فى الإتحاد الروسى ستتغلب على قوى الجذب ***Centripetal*** بما يسمح بمزيد من التفكيك والإنفراط . ومما يدل على إنهيار موسكو أن الحرب الأفغانية أودت بحياة ١٤ الف سوفييتي على مدي عشر سنوات، أي ٤ أشخاص كل يوم، قارن هذا بخسائر الحرب الشيشانية وخسائرها اليومية، والتي أدت فى النهاية بإنسحاب القوات الروسية والقبول بالمفاوضات.

العلاقات المكانية لروسيا الإتحادية:

تمتد روسيا الإتحادية فى مساحة ضخمة من القارتين الآسيوية والأوربية إذ تصل مساحتها نحو ١٧,٥مليون كم٢، أو نحو ١٢,٥% من إجمالي مساحة العالم ونحو ٧٧% من مساحة الإتحاد السوفييتي السابق.

والواقع أن الإتحاد السوفييتي بمساحته هذه يمكن أن يوضع فى مصاف القارات ، فهو أكبر من ضعف مساحة الصين أو كندا أو البرازيل، ويعادل ثلاثة أمثال مساحة الولايات المتحدة الأمريكية وأستراليا، وأربعين مرة قدر فرنسا، فالإتحاد السوفييتي كان يشغل

كيلومتر من كل ثمانية كيلو مترات مربعة من سطح الأرض.

وإمتداد روسيا الإتحادية من الغرب إلى الشرق أكبر بكثير من إمتدادها من الشمال إلى الجــنوب فتــبلغ المسافة بين أبعد نقطتين نحو ١٧٠ درجة طولية أو نحو ١١ ساعة أو ما يقرب من ٩ آلاف كيلو متر، بينما إمتدادها من الجنوب إلى الشمال يبلغ نحو ٤٠٠٠ كيلو متر.

وكــان لإتساع مساحة روسيا الإتحادية أثره فى طول حدودها التي بلغت نحو ٥٠ ألف كــيلو متر، ثلثي هذه الحدود بحرية والثلث الباقي حدود برية وبذلك تملك روسيا الإتحادية أطول حدود بحرية فى العالم، ولكن على الرغم من طول الجبهات البحرية الروسية ، فإن هــذه الدولة تعد برية بل مغلقة، فمعظم موانيها على بحار مغلقة، فموانى المحيط القطبي تــتجمد لأكــثر مــن نصــف العام، ومن ثم تميزت بصغرها وقلة نشاطها بإستثناء ميناء مورمانســك فــى الشــمال الغربي، الذي يحول دون تجمد مياهه تيار المحيط الأطلنطي الشــمالي. وإن كــان يعيــب هــذا الميــناء بعده عن مراكز العمران والإنتاج الزراعي والصناعي ويرتبط هذا الميناء مع موسكو وليننجراد بخط حديدي، وكذلك الحال فى موانى المحــيط الهادي التي تمر عليها تيار كمتشكا البارد، وموانى بحر البلطيق التي تتجمد لمدة أســابيع فى الشتاء وإن كان يمكن فتحها طول العام بفضل كاسحات الثلوج، من ثم تصبح مياه البحر الأسود هي المياه الدفيئة طول العام.

وتشــترك روســيا الإتحادية فى حدود برية مع إثنتا عشر دولة أوربية وآسيوية، وقد تمكن الروس بفضل موقع دولتهم المتوسط من أن يقتبسوا أحسن مظاهر التقدم الإقتصادى والثقافي من آسيا وأوروبا غير أن الوضع بالنسبة للجيران لم يكن فى جميع الأحوال ميزة كــبرى، ذلك أن بها مساحات كبيرة لم تستغل إستغلالا كاملا ولم تعمر تماما، وكانت هذه الأراضــي تقــع بين حضارتين كبيرتين ا: الحضارة الشرقية ممثلة فى اليابان ا، ثم غربا حضــارة أوروبــا الغربــية ا، من ثم تتعرض لصنوف من الضغط على حدودها الغربية والشــرقية ، وكان يقابل ذلك الضغط ضغطا أعظم من جانب روسيا فى إتجاهات مضادة. وأدى هذا أخيرا إلى أمتداد رقعتها من قاعدتها فى أوربا حتى وصلت إلى إتساعها الحالي، وأصــبحت حــدود روسيا الإتحادية يمثلها المحيط المتجمد الشمالي والمحيط الهادي شرقا والقوقاز وصحارى تركستان والبحر الأسود فى الجنوب.

غــير أن هذا الموقع لم يكن ميزة فى كل الأحوال ، ذلك أن ثلاثة أرباع البلاد تقع فى العروض العليا إلى الشمال من دائرة عرض ٥٠ شمالا ، فإذا تذكرنا أن الولايات المتحدة الأمريكــية بكاملهــا بإســتثناء ألاسكا تقع جنوب دائرة عرض ٤٩ شمالا ، من ثم كانت مســاحة الأرض المزروعة فيها تعادل نظيرتها فى الإتحاد السوفييتي رغم فارق المساحة الضخمة.

المســـــاحة:

وتؤدى مساحة روسيا الإتحادية الضخمة (١٧,٥٠٠ مليون كم٢) إلى عدة أمور: منها

إتاحــة الفرصـــة أمــام ســكانه المتزايديــن بســرعة فائقة على أن يجدوا مجالا حيويا ***Lebensreum*** كافــيا يضمن لهم سد حاجاتهم ويضع تحت أيديهم ملايين من الأفدنة وموارد الإتساع أيضا إلى تباين العناصر البشرية التي تسكن أجزائها المتسعة. وأدت هذه المســاحة الكبــيرة لروسيا إلى جانب شكلها المتماسك خدمات جليلة فى تاريخها الحربي (الحــرب النابليونــية، والحرب الهتلرية) فكلما طالت مسافات اليابس صعب الإتصال، وإستنفدت الطاقة البشرية، فأوربا كما تعلم قارة تضيق فى الغرب ولكنها تتسع كلما إتجهنا شــرقا . ولذلــك فإن الألمان كانوا كلما توسعوا نحو الشرق فى الميدان الروسي، إتسعت أمــامهم المســاحة وإزداد طــول الميدان، حتى جاء وقت إمتدت فيه جبهتهم من فنلند فى الشمال إلى البحر الأسود والقوقاز فى الجنوب. وإتساع الجبهة هذا معناه صعوبة التركيز فــى الهجــوم، بــل لا يقــوى على الثبات والدفاع، والواقع أن الطبيعة الجغرافية للميدان الروســى لم تكن لتعين على نجاح غزو يأتى من الغرب لأن جهود النازي تتشتت وتتبعثر كلمــا إتجهــت شرقا وهذا فى صالح المدافعين، أما إذا جاء الهجوم من الشرق، فإن قوى الغــزاة تتجمع وتتركز ويقابل بعضها كلما توغلت نحو الغرب. ولعل هذا هو السر فى أن هجوم الروس المضاد بدأ فى شعب متفرقة لاقى بعضها بعضا حتى بلغت غايتها متساندة . علــى حين تفرقت ريح الألمان وطاشت سهامهم فى هجومهم المبعثر نحو الشرق، ودفعت ألمانيا أرواحا كثيرة بلغت عدة ملايين من الأنفس ثمنا لهذا الهجوم الخاسر.

غــير أنــنا لا ننسى أن هذه المساحة الهائلة فى دولة واحدة ، تحتاج إلى عمل ضخم، خصوصا أنه مازالت طرق النقل التي تكون الروابط الأساسية التي يمكن بواسطتها تماسك أجــزاء الدولــة غــير كافــية، ثم أنه على الحكومة السوفيتية التي تشغل ملايين الأميال المــربعة، عمــل تحليل ودراسة لجميع الإمكانيات الزراعية والصناعية، بحيث تخلق من روســيا الاتحاديــة وحدة إقتصادية، كما أنه لابد من العمل على إيجاد روح قومية واحدة تسود جميع أرجائها.

المظاهر الطبيعية:

أمــا مــن ناحــية المظاهر الطبيعية فتتميز بالسهول الفساح التي لا تجد لها نظير فى القــارات الأخــرى، فهي تمتد من البحر البلطي، وسهول شرق أوربا إلى نهر ينسى فى وســط ســيبريا، وهي سهول قليلة الإرتفاع بوجه عام ولاتبرز فيها الا جبال أورال، وأن كانت لا تعتبر فاصلا لقلة إرتفاعها ولكثرة الممرات التي تخترقها.

وقــد تعرضــت هذه السهول فى العصر الجليدي لزحف الثلاجات من الكتلة الفنلندية الإســكندنافية، وتغطت الأراضي بالركامات الجليدية ونتج عن ذلك كثرة تموج السطح فى هــذه السهول. وليست تلال فلداى التي يصل إرتفاعها إلى ٤٠٠ متر فوق سطح البحر إلا مجموعة من هذه الركامات. ومنها تنبع الأنهار الواقعة غرب الأورال.

وحــول أطراف هذه السهول توجد الجبال الإلتوائية الحديثة ممثلة فى القوقاز وتكملتها فى شبه جزيرة القرم، وتتسع المناطق الجبلية فى الشرق لتكون هضبة سيبريا الشرقية التي

تحدها جبال سيان وستانوفوى.

وكان لطبيعة السطح هذه آثار عديدة من ناحية الجغرافية السياسية أهمها:

١- إحاطة الجبال بهذه السهول من الجنوب، أدى إلى أن إتجاه الأنهار فى سيبريا كان من الجنوب إلى الشمال، وأدى هذا إلى قلة أهميتها الملاحية، لأنها تصب فى محيط متجمد.

٢- تجمد الأنهار طوال فصل الشتاء، وإذا ذابت فى أوائل الصيف بدأت المجارى العليا فى الذوبان قبل المجارى الدنيا مما يؤدى إلى حدوث فيضانات ونشر مساحات مستنقعية.

٣- أصبح لهذه الجبال التي تطوق روسيا الإتحادية من الشرق والجنوب أهمية إستراتيجية، لأنها خطوط دفاعية من الدرجة الأولى إلا أنها فى الوقت ذاته تقف فى طريق التوسع الروسي جنوبا.

٤- رغم إحاطة روسيا الإتحادية بالبحار من الشمال والشرق والشمال الغربى، إلا أن المؤثرات البحرية تصل إليها ضعيفة . فتقف الجبال الجنوبية حاجزا يمنع وصول تأثير المحيط الهندى ، كما تمنع الجبال الشرقية وصول الرياح الموسمية الصيفية من المحيط الهادى إلى هضبة سيبريا. فإذا أضفنا أن المحيط المتجمد الشمالي لن يكون مصدرا لتلطيف قسوة الشتاء، وإن المحيط الأطلنطي يقع بعيدا فى أطراف القارة الأوربية، فإن إتساع روسيا الإتحادية كفيل بإضعاف تأثير الرياح التي تندفع من المحيط إلى قلب القارة صيفا.

مناخ روسيا الإتحادية:

تتميز روسيا الإتحادية بإنخفاض الحرارة الشديد أثناء الشتاء وإن كانت المناطق القطبية ليست أكثرها برودة ، بل المناطق الداخلية فى شمال شرقى سيبريا، فهناك متوسط درجة الحرارة ينخفض إلى -٥٠ درجة مئوية أحيانا، بل وسجلت الأرصاد أرقاما أقل من هذا الرقم. وعلى النقيض من هذا تزيد درجة الحرارة فى يناير فى بعض المناطق، على الصفر المئوي، وذلك بالقرب من البحر الأسود وبحر قزوين، وإذا إستثنينا المنطقة الشرقية، نجد أن حرارة الشتاء تنخفض كلما إتجهنا نحو الشمال الشرقى أكثر من إنخفاضها نحو الشمال، بحيث يتوقع الإنسان إنخفاض درجات الحرارة فى سيبريا عن نظيرتها فى نفس العروض فى روسيا الأوربية ويتضح هذا بمقارنة موسكو (٨°م) ونوفوسيبيرسك (-١٨م) فى يناير.

أما فى فصل الصيف فيصبح وسط آسيا وجنوب قازاقستان هي أعلى جهات الإتحاد السوفييتي حرارة، إذ تصل إلى ٣٠°م فى يولية ، بينما تصبح السواحل القطبية أكثر جهات البلاد إنخفاضا فى الحرارة إذا إستثنينا المرتفعات. ولعل أهم مايميز مناخ روسيا الإتحادية هو كبر المدى السنوي حيث يبلغ ٢٨م فى موسكو، ٣٥°م فى نوفوسيبيرسك. ويؤثر

المناخ فى حياة السكان، ويظهر هذا فى إن إنخفاض الحرارة الشديد يجعل من الصعب القيام بالأعمال الزراعية لجزء كبير من العام، وقد سجلت أرقام ١٩٦٠، إن ما يقرب من ١٢ مليون عامل زراعي فى المزارع الجماعية لم يستطيعوا إفادة الإقتصاد القومي خلال الشتاء، وتظهر قسوة الشتاء فى إرتفاع تكاليف مد الطرق والسكك الحديدية نظرا لتراكم الثلوج، كما تتجمد مياه القاطرات ، بل وحتى زيوت التشحيم.

التركيب القومي لروسيا الإتحادية

وريث التركيب القومي للإتحاد السوفييتي

يمكن القول بأن الإتحاد السوفييتي كان إتحاد عدد من الشعوب كما هو إتحاد عدد من الدول، وإذا نحن أضفنا إلى هذا المسافات التي تفصل بين الجمهوريات التي تألف منها الإتحاد مسافات كبيرة، أدركنا أن الحكومات المحلية لتلك الأقاليم تتمتع بسلطات واسعة، إذ ضم الإتحاد السوفييتى عناصر متعددة متباينة نظرا لأتساع مساحته، إذ زاد عدد هذه القوميات على مائة قومية إعتمادا على الأساس اللغوي.

وكون الصقالية أو السلاف نحو ٧٥% من سكان الإتحاد السوفييتي وشملت العناصر السلافية الروس الكبار والأكرانيين والروس البيض، ويتكون معظم السكان الباقيين من المغول والعناصر التركية والفارسية. وقد بلغ مجموع العناصر التي زاد تعدادها على المليون نحو ١٤% عنصرا أهمها: الروس الكبار أكبر مجموعة فى روسيا الأوربية كانوا يؤلفون ٥٥% من سكان الإتحاد، والروس البيض ويسكنون المنطقة القريبة من بحر البلطيق (٤%) بين بحر قزوين وبحر آرال والقوزاق شمال بحر آرال، والتتار بين جبال أورال وبحر قزوين والأرمن فى أرمينيا، والعناصر الجورجية في جورجيا، وهكذا، هذا بينما تعيش العناصر المغولية حول بحيرة بيكال وشمالها، وأكبرها عددا التنجوس شرق نهر لينا والجولدز فى الجنوب الشرقي للإتحاد، وكان لضآلة المجموعات الأخرى غير السلافية أثره فى سيادة هذا العنصر، وعدم إمكان العناصر الأخرى منافسته، وإن كان الأوكرانيون وهم من العنصر السلافى قد حاولوا الإنفصال فى الماضي.

ولقد أدرك قادة البولشفيك منذ البداية، أنه لكي تعيش الدولة السوفييتية الجديدة وتنفذ مشروعات الثورة الإجتماعية والإقتصادية لابد من مراعاة تعدد العناصر البشرية وتعدد اللغات، فقد عكس المجتمع السوفييتي المكون من عديد من القوميات صورته على الكيان السياسي والتنظيم الإداري، كان الإتحاد السوفييتي يتألف من ١٥ جمهورية أسست كل منها مبدئيا لتضم قومية أو أكثر، وأكبر هذه الجمهوريات روسيا التي يسكنها الروس الكبار وتضم ما يقرب من ٨٠% (من مساحته) وما يزيد على ثلاثة أرباع مجموع سكانه، أما الجمهوريات الأربع عشر الأخرى ، فتضم خمس جمهوريات فى آسيا تفصل بين الإتحاد السوفييتى والصين وإيران وأفغانستان، ومجموعة جنوب القوقاز وتتألف من ثلاثة جمهوريات على حدود إيران وتركيا، أما المجموعة الغربية المكونة من ست جمهوريات فتحاذى الدول الأوربية ويبدو من أسماء الجمهوريات أثر القومية كعامل أسترشد به فى

تخطيط هذه الوحدات السياسية التي تتمتع بقسط وافر من الإستقلال الذاتي.

فسياسة السوفييت الإحتفاظ بالقوميات والعقيدة واللغة. لذلك لم تكتف بإحياء اللغة الأوكرانية في أوكرانيا ولغة روسيا البيضاء في المنطقة التي يعيش فيها الروس البيض وتشجيع اللغة الألمانية بين العناصر الألمانية التي تعيش عند مصب الفولجا، بل أجبرت الموظفين الذين يعملون في هذه الجهات على تعلم لغات هذه الشعوب. وإن كانت قد جعلت اللغة الروسية لغة أساسية. والذي يلاحظ أن إسم الإمبراطورية الروسية إختفى سنة ١٩٢، وحل محله إتحاد الجمهوريات السوفييتية الإشتراكية، وهذا معناه أن باب الإتحاد مفتوح لأي دولة ترى في نفسها ميلا للمذهب الشيوعي والإنضمام إلى مجموعة جمهوريات السوفييت.

كما عمل النظام السوفييتي السابق على مراعاة وجود أقاليم إقتصادية داخل الدولة فكل إقليم له وظيفة إقتصادية معينة يؤديها ، وبذلك أصبح كل إقليم من هؤلاء يكون حلقة من الحلقات التي تتألف من مجموعها سلسلة الإتحاد.

وماهو جدير بالذكر أن عدد المسلمين في الإتحاد السوفييتي السابق الذي كان يضم ١٥ جمهورية إتحادية، قدر بنحو ٨٠ مليون نسمة ، وبعد تفككه أصبح عدد المسلمين في الإتحاد الروسي نحو ٢٠ مليون نسمة أو مايقرب من ثمن عدد السكان.

ديموغرافية روسيا الإتحادية:

رغم أن الإتحاد السوفييتى فقد أربع عشرة جمهورية ، فإن روسيا الإتحادية مازالت أكبر دولة في العالم بمساحة تزيد على ١٧ مليون كم٢ ولكنها السادسة من حيث السكان (بعد الصين والهند والولايات المتحدة الأمريكية وإندونيسيا والبرازيل) ففي عام ١٩٩٣ كان سكانها يمثلون ٢,٧% من سكان العالم ، وفي عام ٢٠٢٥ يتوقع أن يزيد عدد السكان إلى ١٥٢ مليون نسمة، بينما هو الآن نحو ١٤٩ مليونا.

غير أن الظاهرة التي تستحق الإنتباه هو أن عدد السكان يميل الآن إلى الإنخفاض، إذ إنخفض إلى ١٤٧,٩ مليون نسمة في نهاية عام ١٩٩٥، بعد أن كان ١٤٨,١ مليون نسمة عام ١٩٩٤ ، لابسبب إنخفاض نسبة المواليد، ولكن أيضا لإرتفاع حدة الفقر في ظل تضخم الأسعار وتدني الأجور والبطالة، وإغلاق كثير من المصانع، وتعطل الطاقة الإنتاجية بالكامل لنقص التمويل والمعدات ..إلخ.

وسوف يتوقف التغير السكاني في المستقبل على الزيادة الطبيعية وعلى الهجرة، فطبقا لأرقام ١٩٨٩، كانت نسبة الزيادة الطبيعية قليلة في معظم أرجاء روسيا، وحيث كان الروس يمثلون الأغلبية، بل ولقد سجلت بعض التقارير إنخفاض العمر المتوقع في الخمس سنوات (١٩٩١ - ١٩٩٦) وبصورة ملفتة للنظر إنخفاض الخصوبة الكلية من ٢,٨٧ إلى ١,٤، وهذا الإنخفاض السريع في خمس سنوات ، إستغرق في إيطاليا نحو ثلاثين عاما، أما في الجمهوريات التي إنفصلت فإن الزيادة الطبيعية مازالت مرتفعة وخاصة بين

جمهوريــات القوقــاز، أمــا عــن أثر الهجرة في الزيادة السكانية فما زالت الأمور غير واضحة، ولكن مع ذلك فمن المتوقع مع إقتصاد السوق وحرية الحركة إن تجتذب موسكو، وسان بيترزبرج عددا كبيرا من المهاجرين، ومن المتوقع أيضا أن تخرج أعداد كبيرة من جمهوريــات القوقــاز ووســط آســيا مهاجرة إلى روسيا، فهناك نحو ٢٥ مليون روسي يعتبرون بمثابة خبراء فى تلك الجمهوريات، ومثلت عودة نحو مليون عسكري روسي من أوربــا الشرقية منذ ١٩٩٠ مشكلة كبيرة، وقد كان الموقف مختلفا منذ عقد قبل هذا ، فكان التنــبؤ بــنقص العمالة، على عكس ما حدث بعد ذلك كانت عودة العسكر والخبراء تمثل مشــكلة فــى الإسكان والوظائف، وفى المدى الطويل ومع إختلاط القطاع العام بالخاص وظهــور الإستثمارات، فإن على روسيا أن تستمر فى إستغلال وتنمية مواردها الطبيعية، لابد من التحول التدريجي للنشاط الإقتصادى والسكان نحو الشرق.

توزيع السكان:

يقيم معظم السكان فى القسم الأوربى أى فى الغرب ، أو فى نحو ٥/١ مساحة روسيا، ولكــن خريطة توزيع القوميات تبين أن الروس الذين يمثلون ٨٣% من السكان موجودون فى الشرق كما هم فى الغرب، فالروس ينتشرون من بيترزبرج شرقا ومن مورمانسك فى الشــمال إلى حدود جورجيا وأذربيجان جنوبا، ومن ثم كما قيل سابقا أن روسيا تعد متحفا للقوميات، ورغم مرور نحو ٧٠ عاما على سياسة الترويس، فما زالت القوميات الأخرى محــتفظة بهويــتها وكأنها تنتظر الفرصة لتظهر، ذلك أنه رغم سياسة الإتحاد السوفييتي ســابقا الــذي أتــبع سياســة (أعــتقد فى وقتها) أنها ترضى جميع القوميات وذلك بإقامة جمهوريات ذات حكم ذاتي.

وروســيا أيضا هي أرض خاوية فى معظمها أولا معمور، فسكانها الذين يبلغون نحو ١٥٠ ملــيون نسمة (أقل من الولايات المتحدة) يتركزون في القسم الغربي، أو ما يطلق علــيه روســيا الأوربــية، والتي يختلف عن روسيا شرقي الأورال أو سيبريا، (الأرض الــنائمة) حيث يعيش السكان فى مجتمعات منفصلة، أو على هيئة أشرطة متقطعة ، وإذا كــان هناك وجه شبه بين روسيا القيصرية، والإتحاد السوفييتي فهو أن كلاهما كان يريد تعمير القسم الشرقي شبه الخاوي من السكان، حتى يقوى الوجود الروسي فى هذه المناطق المــتطرفة، وقــد نجحت إلى حد ما وظهرت المستوطنات على طول الخطين الحديديين، أحدهما من أيام القيصر، والثاني مد بواسطة الإتحاد السوفييتي السابق.

وتبدو مشكلة التوزيع السكانى فى روسيا الإتحادية فى أن ٧٠% من سكانها يتركزون فى القسم الغربي، مع حين أن معظم مواردها الإقتصادية تقع إلى الشرق من الأورال.

روسيا الإتحادية بين الحضر والريف:

وإذا قســمنا الســكان إلى حضريين وريفيين إعتمادا على الناحية الوظيفية، فضلا عن الحجــم، ســنجد أن ٧٤% من السكان قد دخلوا فى عداد الحضر عام ١٩٩٢، فهناك ١٢ مســتوطنة يــزيد ســكانها علــى ٩٠٠ ألف نسمة (موسكو، بيترزبرج ـ ردوستوف،

كاليـنجراد، كوبيشـيف (سـمارا) سفردلوفسـك، أمسك، نوفوسبيرسك، كراسنويارسك، أركنسـول، كباروفسك، فلاديفوستك) ـ وقد زاد سكان الحضر فى روسيا من ١٥ مليون نسمة فى أوائل هذا القرن إلى ١٦٠ مليون عام ١٩٩٢ ، وكان هذا النمو الحضري نتيجة التصـنيع السريع الذي شهده الإتحاد السوفييتي وخاصة بين عامى ١٩٢٨ وسبعينيات هذا القـرن، أما سكان الريف فقد ظلوا شبه ثابتين من حيث الحجم، وإن كانوا قد نقصوا فى بعـض المراكـز، ويـتفق توزيعهم بوجه عام مع توزيع الأراضي الزراعية، وإن كانت كثافـتهم أكبر فى المناطق الزراعية القديمة فى غربي روسيا أكثر منها فى المستوطنات شرقي نهر الفولجا، وخاصة فى سيبريا الغربية.

إقتصاد روسيا الإتحادية:

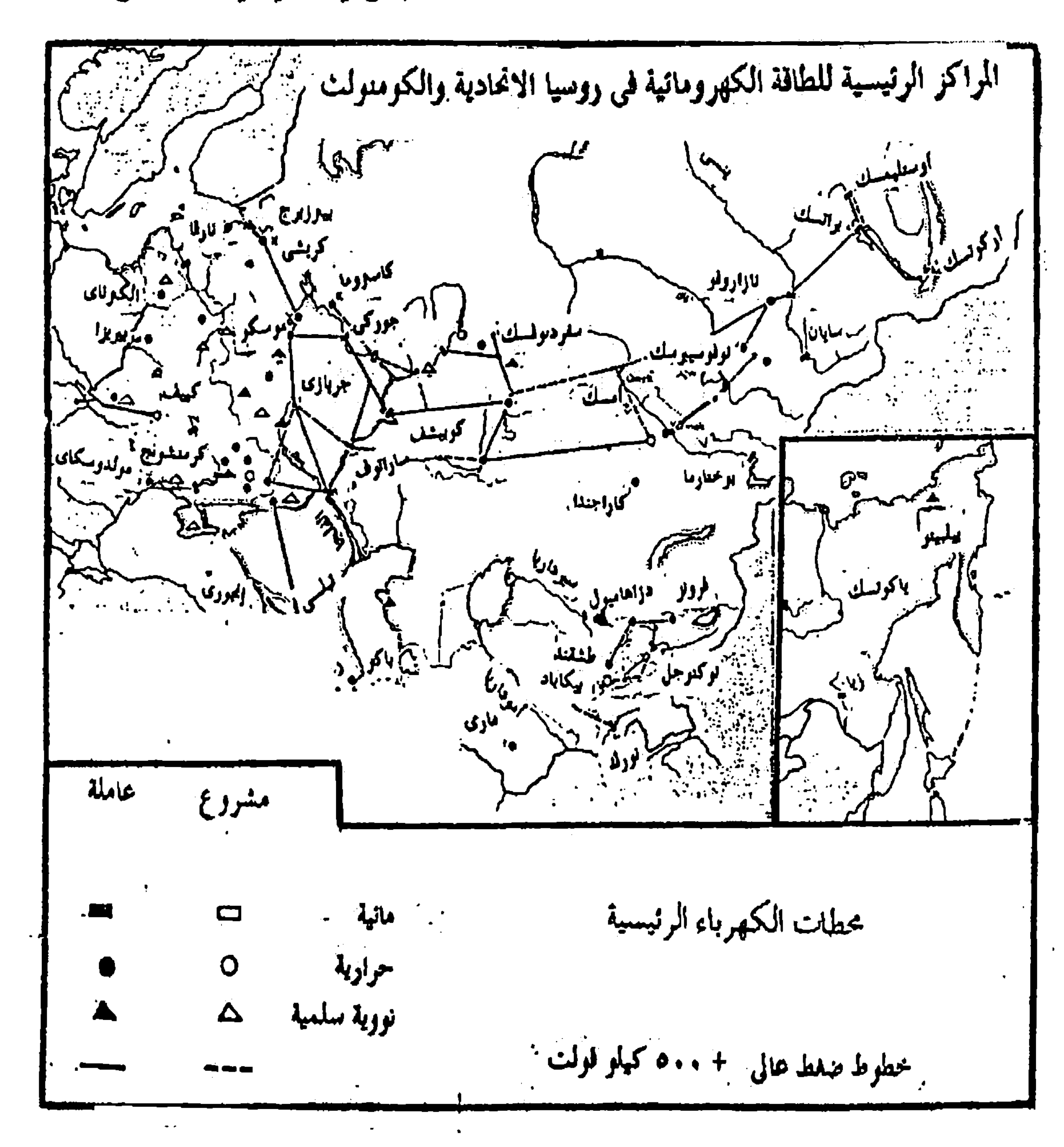
رغـم أن روسـيا فقدت ١٤ إقليما وهم يمثلون الجمهوريات التي إستقلت عن الإتحاد السـوفييتي سابقا، فيبدو أن أهميتها فى الإقتصاد والشئون العالمية ستكون نتيجة أن لديها مـوارد طبيعـية ضـخمة وكذلك قوتها النووية، أكثر من أهميتها الإقتصادية فى الوقت الحالى، فتضم روسيا الإتحادية أكثر من نصف الموارد المائية والموارد المناخية الحيوية، والتـي تتمـثل فى إحتياطات الوقود الحفري والمعادن التي كان يمتلكها الإتحاد السوفييتي سابقا، كما تضم معظم المساحات التي جرى إكتشاف جزء أو كل معادنها.

فإذا فصلنا قليلا فى قطاعات الإنتاج يتبين لنا:-

الإنتاج الزراعي :

لاشك أن الزراعة في روسيا الإتحادية، وفى الإتحاد السوفييتي سابقا تصادفها صعاب جمـة، مـنها أن النطاق الزراعي الرئيسي فى روسيا الإتحادية، يتميز بذبذبات حادة فى الحـرارة والمطـر من عام إلى آخر، وبالتالي تنخفض إنتاجيتها فى السنين القليلة المطر، ويـتوقف موعد البذر والحصاد على صقيع الربيع المبكر والخريف المتأخر، كذلك نقص التسـهيلات اللازمـة لتخزيـن وتسويق الإنتاج الزراعي، وقد عمل النظام السوفييتي منذ أواخر الثمانينيات على إجراء تعديلات وإعادة تنظيم بعض المزارع بحيث تعطى قدرا من المسـئولية للمزارعيـن، ونظراً لأن صادرات السوفييت من الوقود والمواد الخام والسلع المصـنوعة قـد تدهورت منذ أوائل التسعينيات ، فإن هذا يجعل لزيادة الإنتاج الزراعي أهمية قصوى، ومع ذلك فقد إنخفض الإنتاج الزراعي من المواد الغذائية فى بعض الأقاليم إلى ما يشبه الاكتفاء الذاتي.

وفـى الحـق أن نسبة الأراضي المزروعة (المبذوره والمتروكة للراحة) فى روسيا الإتحادية نحو ١٠% فقط بين مجموع المساحة، ويتطلب زيادة المساحة إستثمارات ضخمة لتحسـين الأراضـي السيئة الصرف، والبنية الأساسية، من ثم فالطريقة المثلى الآن وفى المدى القريب والمتوسط هو زيادة إنتاجية الأرض المزروعة الآن، ومع ذلك لا ننسى أن إنتاجـية الأرض لأسباب بيئية أقل من نظيرتها فى غرب أوربا لنفس المحاصيل، وكذلك أقل من نظيرتها فى كندا وأستراليا.

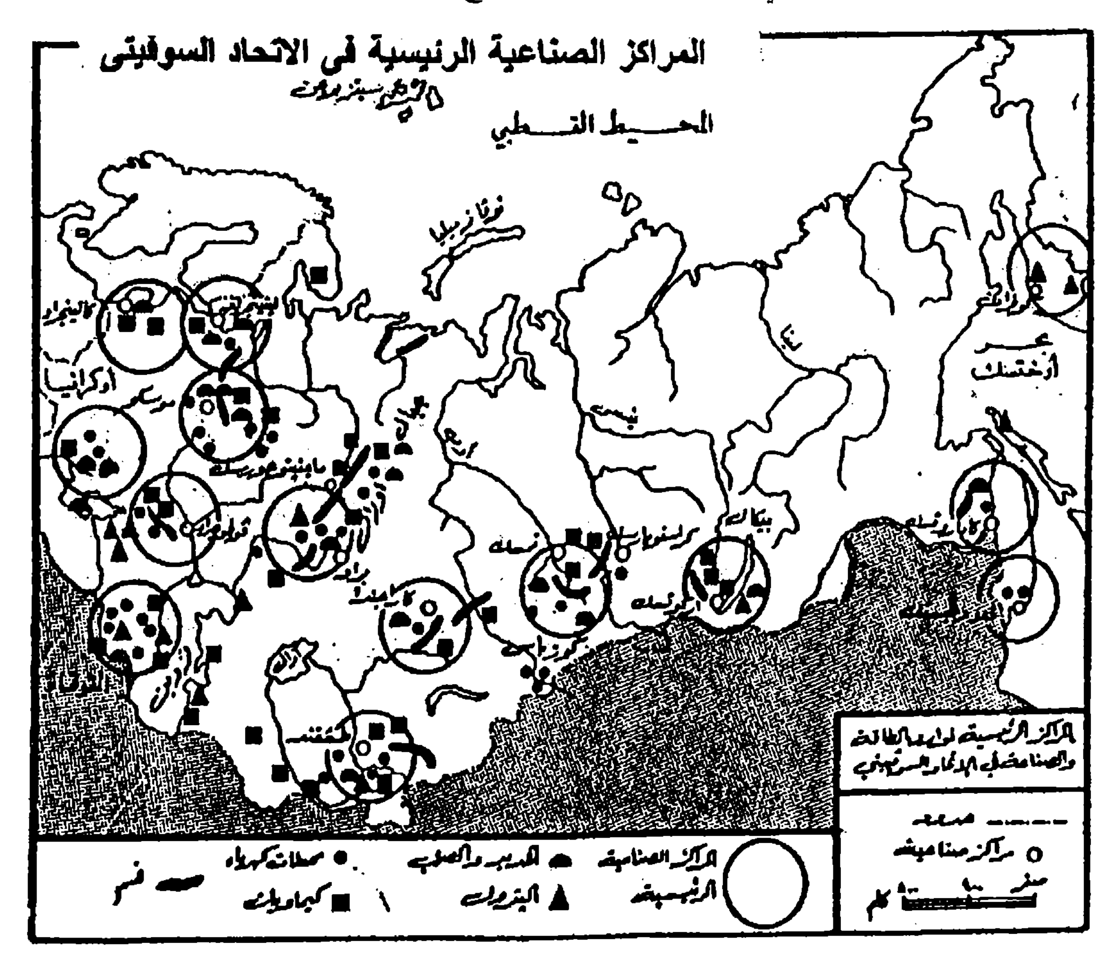


الإنتاج الصناعي:

تضم روسيا الإتحادية أكثر من نصف الموارد المائية، واحتياطي الوقود الحضري والثروة المعدنية للإتحاد السوفييتي السابق، ولكن مشكلتها فى إستغلال ثروتها تتمثل فى أن ٧٠% من سكانها يتركزون فى ربعها الغربي، بينما معظم ثروتها المعدنية شرق جبال الأورال، ولاشك أن روسيا ورثت طاقة صناعية ضخمة من الإتحاد السوفييتي، ولكنها فى نفس الوقت غير متوازنة نظرا لإتباع سياسة الإنتاج الحربي أولا، ومحاولة الوصول إلى الإكتفاء الذاتي فى الصناعات الأساسية والإستراتيجية، وكان هناك ضغط من المخططين فى الثلاثينات والخمسينات لإستعادة ماأتلفته الحرب لزيادة الإنتاج الصناعي، حتى يمكن اللحاق بالولايات المتحدة الأمريكية وساعدهم على هذا غنى وتنوع الخامات الصناعية فى

البلاد، وإن كانت هناك حاجة إلى إستيراد المطاط، والقصدير، والنحاس، والوقود النووي، وكـــان هـــذا الأخير يستورد من ألمانيا الشرقية وتشيكوسلوفاكيا، ومع إنفراط عقد الإتحاد الســـوفييتي، فقدت روسيا التحكم فى بعض الموارد الطبيعية والمنتجات التي كانت تحصل عليها من قبل، على سبيل المثال القطن من جمهوريات وسط آسيا، الفحم الكوك والحبوب من كازاخستان، وإن كان هذا لا ينفى أن روسيا مازالت تحتفظ بموارد كهرومائية ضخمة وحقــول للفحــم، وإحتياطات ضخمة ومؤكدة من البترول، ونحو ثلث إحتياطى العالم من الغاز الطبيعي، ومعظم أقاليم الغابات من الإتحاد السوفييتي السابق.

ومازالــت روسيا حتى بعد فقدها لأوكرانيا وكازاخستان لديها معظم إنتاج الصلب فى الإتحـــاد السوفييتي السابق، وتتركز بصفة خاصة فى جبال أورال وغربي سيبريا، فضلا عـــن مصانع متفرقة هنا وهناك ، وتنتشر الصناعات الهندسية فى مواضع عدة فى روسيا الإتحاديـــة. وإن تخصصـــت موســـكو وسان بطرسبرج فى الصناعات الهندسية الحقيقية، وكوزباسي والأورال فى الصناعات الثقيلة، وإنتشرت صناعة تكرير البترول خاصة حيث توجـــد حقولــــه الكبيرة، وتتركز صناعة المنسوجات فى وسط روسيا، على عكس صناعة الأثاث والملابس والأحذية التي تنتشر إلى نطاق واسع.



والمشـــكلة الآن لمواجهة الإستهلاك المحلى فى الصناعة فى سرعة ونجاح التحول فى

جــزء مــن قطــاع الصناعات الثقيلة وخاصة الحربية إلى الصناعات الإستهلاكية المدنية والخدمــات، فقد إعترى الإتحاد السوفييتي السابق نقصا هائلا فى الخدمات اللازمة للتحول نحو إقتصاد السوق ، كالخدمات القانونية والمالية والبنوك المتطورة والبورصات وغيرها، وحــتى تعرف أهمية هذه الخدمات والوقت الذي يستغرقه التحول، نضرب مثلا ببريطانيا حيــث أخــذت تحويل ١٠% من رأس المال من الصناعة والخدمات من القطاع العام إلى القطاع الخاص نحو عقد من الزمان حتى ظل فى وجود الأليات اللازمة لذلك.

مشكلات روسيا الإتحادية

أولا : مجتمعات تعانى من صدمة

لــم تكــن التداعيات التي حدثت نتيجة لإنتهاء الإرتباطات السوفيتية بدول شرقى أوربا وإنهــيار نظمهــا الداخلية بأقل من تلك التي حدثت من تفكك الإتحاد السوفييتي داخليا فقد أوجــدت هــذه الــتحولات حالــة من عدم الإستقرار، إن لم تكن الفوضى فى الأوضاع الإقتصــادية والإجتماعــية خاصة، ورغم إبتهاج الشعوب بحرياتها الجديدة، إلا أنها بدأت تشعر بتأثير عملية الإنتقال الحادة من النظام القديم وإقتصادياته القائمة على ضمان قدر من الأمــان الإقتصــادى والإجتماعى إلى الأخذ بإقتصاديات السوق وآلياته، ورغم التفاعلات الداخلــية التــي تجرى فى هذه الدول على مدى السنوات الماضية فى إتجاه التوصل إلى صــيغة مســتقرة لنظامها الإقتصادى والإجتماعى، فما زالت تصدق مقولة المفكر ورجل الدولة التشيكى فاسلاف هافيل حين وصف ظروف بلاده بقوله أن مجتمعنا في حالة صدمة لــم يكــن أحد يتوقع أن تكون بهذا العمق إن النظام القديم قد إنهار، ولكن النظام الجديد لم يولد بعد، وتتصف حياتنا بشكل عام بعدم التأكد حول أى نظام نريده وكيف نبنيه، وعما إذا كنا نمتلك وسائل وأدوات بنائه.

ثانيا : الكمنولث الأوربى الأسيوى أو الرابطة المفككة

إن أبلغ وصف للإمبراطورية السوفيتية (الإتحاد السوفييتي سابقا) أنه كان عبارة عن آلة ضخمة تعمل بنظم مبرمجة سياسيا وعسكريا وإقتصاديا وثقافيا، وكانت تدار من خلال غــرفة عملــيات مركــزية (موسكو) تعرف كيف تحركها، أما الآن فقد تفككت تلك الآلة المــبرمجة إلى قطع مما أدى إلى توقفها، من ثم كانت محاولة جمع أجزاء هذه الآلة مرة أخــرى (الجمهوريات المستقلة) فيما عرف بأسم الكمنولث الروسى، ولكن التجربة التي خاضــتها فى تلك الفترة تمثلت فى معاناة رهيبة من الشعور بالتمزق النفسي لغياب القدرة علــى فــرض الإنبعاث القومي بسبب القمع المتنوع الأشكال، وكذلك سياسة (الترويس) وإيثار الروس فى المراكز الإدارية حتى داخل الجمهوريات غير الروسية.

هذه التجربة المريرة جعلت من الصعب إعادة تركيب الآلة بشكل جديد وبطريقة تمكنها من السير والإندفاع إلى وضع أفضل ، فهناك تركة ثقيلة فى مقدمتها:

(أولا) : **الحــروب الأهلــية العنيفة:** التي مازالت مشتعلة داخل بعض الجمهوريات

لاسباب قومية وإجتماعية، وفى الحروب القومية بين بعض الجمهوريات بسبب الحدود التي رسمتها السلطة السوفيتية السابقة . وكان الحال الذي خلفه الإستعمار الغربي للبلدان الحديثة الإستقلال فى آسيا وإفريقية فيما يتعلق بنزاعات الحدود والتي رسمها إبان سيطرته ليضمن هيمنته وفق سياسة " فرق تسد " وليضمن عودته لاحقا إن أمكن .. نقول كأن الحال هذا مشابه للحال الذي خلفه المركز (موسكو) فى الجمهوريات غير الروسية وإن إختلفت الأساليب والوسائل والغايات، مع فارق أن المتروبول (روسيا) الحالي لن يستفيد مما خلفه كما إستفاد الإستعمار الغربي.

(ثانيا) : **مشكلة الأقليات الروسية فى الكمنولث:** ساد إعتقاد عقب إنهيار الإتحاد السوفييتي ــ سابقا ــ وتفككه إلى خمس عشرة دولة مستقلة: مفاده " أن التعدد السلالي ــ العرقي فى هذه الجمهوريات، ووجود أقلية روسية فى هذه الجمهوريات تقدر بنحو ٢٥ مليون روسي. سوف يساهم فى تعميق أوجه التعاون والتكامل بين أسرة الدول المستقلة . على إعتبار أن هذه الأقلية ستصبح الجسر ما بين جمهورية روسيا الإتحادية وباقي الجمهوريات الأربع عشرة ".

ولكن ذلك لم يتحقق، بل إن هذه الأقلية الروسية أصبحت مصدرا للقلق والتوتر وما يصاحبها من مظاهر عدم إستقرار روسيا الإتحادية، وجمهوريات أسرة الدول المستقلة، وإذا أضيف إلى هذا العامل، وجود مجموعات من الجيش الروسي يقدر عددها بنحو مليون ونصف مليون جندي لا تعرف طبيعة دورها فى تلك الدول، فإن هذا المزيج قابل للإنفجار فيما لو أدخل ضمن الآليات التي إعتاد بموجبها العسكر الذي يعيشون فى الخارج على دعم الأقلية الروسية فى هذه الجمهوريات.

وزاد من حدة الأزمة التي تكتنف وجود هذه الأقلية خارج روسيا، أن أبناءها وجدوا أنفسهم غرباء تواجههم موجات الكراهية والتهديدات فى بلدان إعتبروها قبل سنوات قليلة جزء لا يتجزأ من وطنهم.

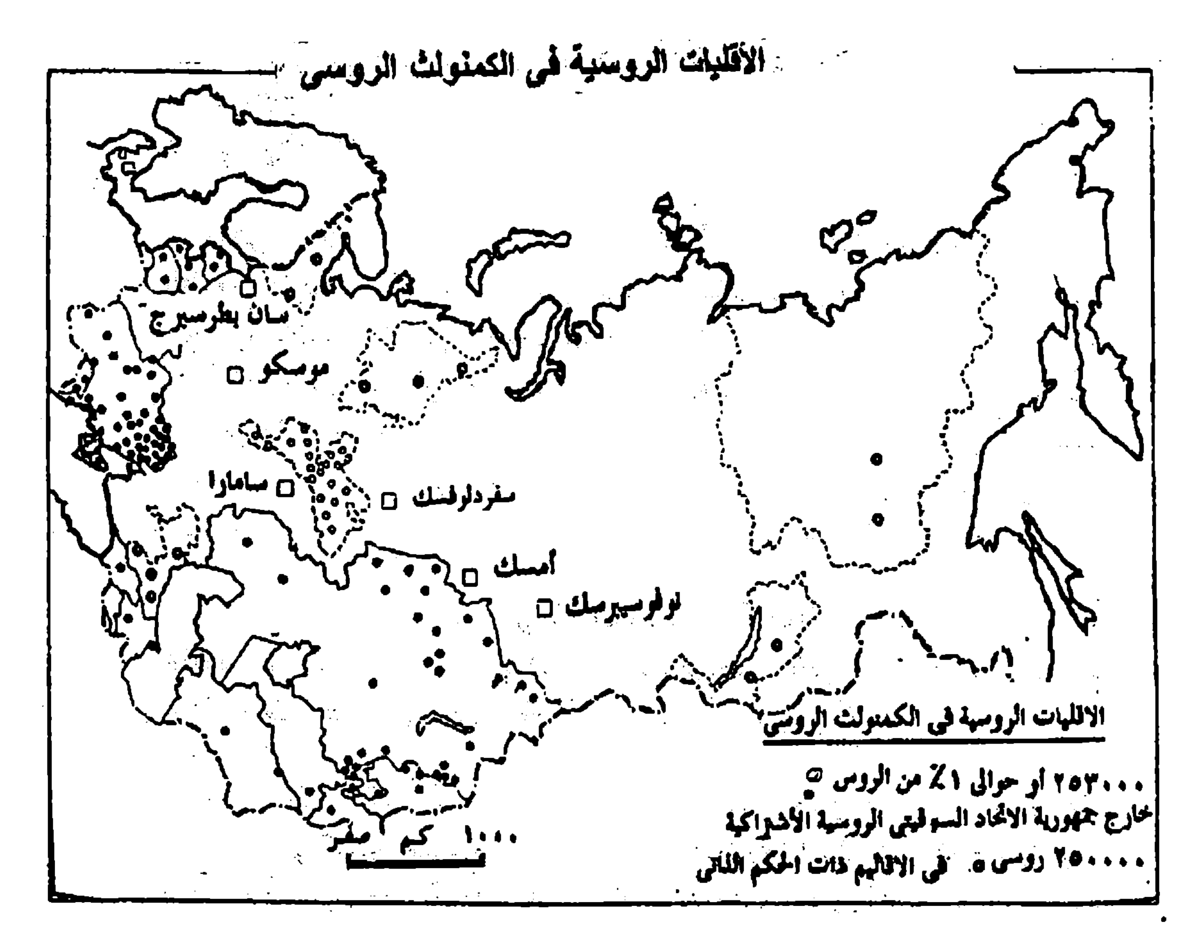
ومن هنا ينظر إلى قضية الأقلية الروسية خارج حدود جمهورية روسيا، لا كأحد القضايا الساخنة التي تعوق إمكانيات التعاون بين مجموعة الدول المستقلة فحسب بل تعتبر أيضا، من أهم بؤر ومظاهر التوتر المستقبلى داخل هذه الجمهوريات وفى علاقاتها المتبادلة.

(١) مجموعة دول بحر البلطيق:

وهي : التي تضم كلا من ليتوانيا ولاتفيا ، وإستونيا ، وتبلغ الأقلية الروسية أقصى مدى لها فى جمهورية لاتفيا، التي يبلغ عدد سكانها ٢,٧ مليون نسمة، لا يشكل اللاتفيون أكثر من ٥٢% من السكان، بينما تصل نسبة الأقلية الروسية إلى ٤٢%، وترتفع هذه النسبة لتصل إلى ٧٠% فى العاصمة ريجا، وتقل تدريجيا فى جمهورية استونيا (١,٦ مليون نسمة) حيث يشغل الروس المركز الثاني بعد الأستونيين (٦٢%) بنسبة ٣٠%، وتصل أدناها فى جمهورية ليتوانيا (٣,٨ مليون نسمة) حيث يأتي الروس بعد الليتوانيين

(٨٠%) وبنسبة ٩%، وقد أقرت إستونيا مؤخرا تعديلات دستورية جديدة صوت المواطنون فيها لصالح حرمان المتكلمين بالروسية من حق الإنتخاب، أما ليتوانيا فتشجع السلطات فيها هجرة الروس ويساعدها على ذلك قانون يربط بين منح حق المواطنة وإتقان اللغة الليتوانية

الأقليات الروسية في الكمنولث الروسي



(٢) **مجموعة دول غرب روسيا الإتحادية** : رغم إختفاء العامل الديني، فإن حدة أزمة الأقلية الروسية في هذه المجموعة تتزايد حدة الخلافات السياسية والحدودية بين دولها وروسيا الإتحادية، فجمهورية مثل أوكرانيا ٥١,٨ مليون نسمة، ويشغل فيها الروس المرتبة الثانية في الترتيب بعد الأوكرانيين (٧٣%) وبنسبة ٢٢% مازالت فيها الحركة اليمينية المتطرفة، وأبرزها حركة " روخ " المعادية للروس على رغم العلاقات التاريخية بين الشعبين، والجهود التي بذلتها أوكرانيا لتحسين العلاقات مع روسيا، والتي توترت بسبب الخلاف على مصير أسطول البحر الأسود وشبه جزيرة القرم.

وهذا السعي لتحسين العلاقات يعود إلى إدراك الحكومة الأوكرانية مخاطر دفع النزاع مع موسكو إلى حده الأقصى، ليس خوفا من إحتمالات مواجهة عسكرية فحسب، بل أيضا تجنبا لإنعكاساته على وحدة الأراضي الأوكرانية نفسها ، فشرق البلاد تقطنه أغلبية روسية، وهي منطقة صناعية غنية بالفحم والخامات الأخرى ، كما أن غرب أوكرانيا إقليم

ترافسكارباتيا معظم سكانه من المنحدرين من أصل مجرى، إضافة إلى مناطق أخرى تغلب عليها عناصر الروس البيض (بيلوروسيا بنسبة ١%) مما يهدد فى حال إنفجار الصراع مع روسيا، سعى كل أقلية إلى الالتحاق بوطنها الأصلي، وفى إطار محاولة إستباق التفكك صوت البرلمان الأوكرانى لصالح منح شبه جزيرة القرم ذا الأغلبية الروسية حكماً ذاتياً واسعاً وكان ذلك كافياً ليتراجع الزعماء الروس عن مطلبهم بإجراء إستفتاء حول الإستقلال.

وفى جمهورية مولدوفا تبنى البرلمان قانونا يفرض على السكان، إتقان اللغة الوطنية الرومانية كشرط للإعتراف بمواطنيهم، الأمر الذي فاقم من مشاعر الإمتهان لدى الأقلية الروسية، إذ تحولوا من أصحاب أفضل المراكز والمناصب، إلى مواطنين من الدرجة الثانية مهددين بالإستبعاد.

(٣) **مجموعة آسيا الوسطى** : تبدو هذه المجموعة والأقلية الروسية فيها مستقرة، فعلى الرغم من المضايقات التي يتعرض لها الروس فى جمهورية كازاخستان ١٦,٧ مليون نسمة ويشكل الروس المرتبة الثانية بنسبة ٣٨% بعد الكازاخ ٤٠%، وتحاول السلطات توفير الحماية لهم وضمان حقوق مساوية لحقوق المواطنين الكازاخ، حيث أقر البرلمان قانونا بمنع الفصل التعسفي من العمل للمواطنين الذين لا يتقنون اللغة الكازاخية وهو وضع مشابه لحال جمهورية قيرغيزستان ٤,٧ مليون نسمة، ويشكل الروس فيها المرتبة الثانية بنسبة ٣٠%.

ويرتبط موقف كازاخستان، بالدور والوجود الروسي المتميزين فيها فمثلا فى الأسلحة النووية المتواجدة فى الجمهورية، والقاعدة الفضائية فى بايكانور والعديد من المنشآت الحيوية التي لا غنى لحكومة الما ـ آتا عنها، فهي مازالت فى حوزة كوادر أكثريتها من الضباط والعلماء والتقنيين الروس، ويختلف هذا الوضع فى جمهورية تركمانستان ٣,٦ مليون نسمة يشكل الروس فيها المرتبة الثانية بنسبة ١٠% أى مايعادل ٣٦٠ ألف نسمة بعد التركمان ٧٢% ، حيث منعت السلطات بيع المساكن الخاصة مما حرم الأقلية الروسية من إمكانيات العودة إلى بلدهم وتحولهم إلى رهائن، ويرجع ذلك إلى رغبة سلطات الجمهورية الإستعانة بالروس خصوصا العسكريين منهم فى بناء مؤسساتها الوطنية.

(٤) **مجموعة جمهوريات القوقاز** : وفى هذه المجموعة معدلات النزوح للروس إلى أدناها ، وربما يرجع ذلك إلى حجم الأقلية الروسية الضئيل، حيث يقدر عددهم ٧٩٩ ألف نسمة ويمثلون نسبة ٤,٩% من حجم سكان دول هذه المجموعة البالغ ١٦ مليون نسمة، ويشغلون بذلك المرتبة الأخيرة ٣,١% من حيث إنتشار الأقلية الروسية.

وتمثل جورجيا ٥,٥ مليون نسمة أقصى مدى وصلت إليه الأمور بالنسبة للأقلية الروسية، التي تشغل المرتبة الثالثة بنحو ٦% بعد الجورجيون ٨٠%، والأرمن ٨%، حيث خاض الجورجيون المعارضين للوجود الروسى معارك عديدة.

ويتماثل هذا الوضع فى جمهوريتي أذربيجان ٧,٢ مليون نسمة، ويشغل الروس المرتبة

الثانية ٥,٦% وجمهورية أرمينيا ٣,٣ مليون نسمة، ويشغل الروس المرتبة الثالثة بنسبة ٢% حيث تخوض الجمهوريتين صراعا قوميا حول ناجورنى كاراباخ.

(ثالثا) : هجرة الكفاءات الروسية من تلك الجمهوريات فى وقت أحوج ما تكون فيه لتلك الكفاءات فى التنمية وإعادة البناء الإقتصادى والإجتماعى، ولو على الأقل بتدريب الكوادر المحلية وإحلالها تدريجيا محل تلك الكوادر الروسية، ويمكن إدراك خطورة هذه الآثار، إذا ما علمنا النسبة الكبيرة التي يشكلها الروس فى كثير من تلك الجمهوريات من مجموع السكان ومن مجموع الكفاءات والعمال المهرة.

فعلى سبيل المثال يشكل الروس ٣٢% من العمال الصناعيين و١٠% من العمال الزراعيين فى قيرغيزيا، وإجمالا هناك ما يقرب من عشرة ملايين روسي يعيشون فى الجمهوريات الأسيوية ... وتشير التقديرات إلى توقع رحيل أكثر من مليون ونصف مليون روسي فى السنوات القادمة فى حين هاجر نفس العدد تقريبا منذ السنوات الأولى لعهد جورباتشوف. ومن الواضح أن سبب الهجرة هو صعوبة تأقلم الروس وتكيفهم مع المستجدات والمتغيرات الجديدة بعد إستقلال الجمهوريات وإنهيار الإتحاد السوفييتي ١، إذ وجد هؤلاء أنفسهم فى ظل هذا الوضع الجديد أقلية محظية لأتشعر بأقليتها ١.

وبدأت هذه الأقلية تستشعر الخطر الذي يهدد مصالحها بل ووجودها ١، وذلك بعد أن قامت القيادات السياسية القومية الجديدة بتهميش مواقع الروس أو طردهم من مجالس الإدارة ١، والمؤسسات الإعلامية، والتعليمية، والثقافية، وكذلك من مؤسسات الإنتاج، والمواقع الإدارية وأجهزة حفظ النظام، أضف إلى ذلك الجو العام المشبع بالعداء للروس الذي ولدته نقمة الضغط الروسي عليهم طوال ما يقرب من سبعين عاما.

على أنه من الجدير أن نشير إلى جانب هجرة الكفاءات الروسية هناك هجرة الكفاءات المحلية " المتروسنة " فى بعض الجمهوريات مثل طاجيكستان وقيرغيزيا ممن كانوا محظيين فى الحقبة السوفييتية، أو كان نمط تفكير وثقافة بعضهم إعتاد اللغة الروسية، ولاسيما صفوة المثقفين والتكنوقراط.

ثالثا : فشل النتائج المتوقعة من رابطة الكمنولث

على أثر فشل روسيا فى صد إصرار الولايات المتحدة الأمريكية لتوسيع حلف الناتو للحد من نفوذ روسيا الجيوبولتيكى، عادت روسيا للتوجه نحو الشرق لمواجهة هذه الضغوط ، منها محاولة تقوية علاقتها مع الصين والهند، وأكثر من هذا نحو دول الكمنولث الروسي، أي إستفادة الموروث السوفييتي الذي إتخذ من الجمهوريات الأوربية واجهة متقدمة للدفاع عن روسيا ضد خصومها، والجمهوريات الآسيوية كظهير. وفى الواقع بدلا من أن تتمخض رابطة الكمنولث عن المزيد من التلاحم والتكامل المفروض بعد إنهيار الإتحاد السوفييتي السابق، نجد تذمرا حادا يسرى بين أعضاء الرابطة، ففي إجتماع قمة الرابطة فى النصف الأول من ١٩٩٧ يصرح رئيس جمهورية أوكرانيا ثانى أكبر قوة إنتاجية وسكانية فى الإتحاد يقول "عندما تتمتع جبهة واحدة بالإمتيازات فى

الـــرابطة (روسيا) فإن ذلك يعكر صفو مزاج الآخرين، ولا يشجعهم على العمل متكاتفين، وإذا واصلت موسكو الضغط علينا فى أوكرانيا فسننضم إلى الناتو" وقال إدوارد شيفرنادزه رئيس جمهورية أوكرانيا (وزير خارجية الإتحاد السوفييتي السابق) " لقد وقعنا على أطنان مـــن أوراق الـــرابطة ولكـــنها لـــم تُجنب وطأة المشاكل ولم تحمل لنا رياح الإرتياح" بل ويطالـــب بنصـــيب من أسطول البحر الأسود الذي إقتسمته روسيا مع أوكرانيا، ويطالب رئـــيس جمهوريـــة أذربـــيجان روسيا بسحب الأسلحة التي باعتها لأرمينيا بأكثر من ألف ملـــيون دولار لأنهـــا ستســـتخدم ضد بلاده ، هذه أمثلة وغيرها الكثير، مما يدل على أن المشاكل لا تنتهي.

الكمنولث الروسي المساحة والسكان والنسبة المئوية للروس عام ٢٠٠٠م

	المساحة بالألف ميل ٢	السكان بالمليون	% للروس		المساحة بالألف ميل٢	السكان بالمليون	% للروس
روسيا الإتحادية	٦٥٩٢	١٤٥,٧	٨٢	جمهوريات القوقاز			
جمهوريات البلطيق				أرمينيا	١١,٥	٣,٥	٢
إستونيا	١٨ +	١,٦	٣٠	أذربجان	٣٣ +	٨,٥	٦
لاتفيا	٢٥ +	٢,٧	٤٢	جورجيا	٢٧	٥,٨	٦
ليتوانيا	٢٥ +	٣,٩	٩	جمهوريات آسيا الوسطى			
جمهوريات غرب روسيا				كازاخستان	١٠٠٥	١٥	٣٨
أوكرانيا	٢٣٣	٥١,٨	٢٢	قرغيزيا	٧٦	٥	٢٢
بيلوروسيا (روسيا البيضاء)	٨٠	١٠	١٣	طجيكستان	٥٥	٦	١٠
مولدافيا (مولدوفا)	١٣	٥	١٣	تركمنستان	١٨٨	٥,٧	١٠
				أوزبكستان	١٧٢	٢٥,٧	٨٠

لاشـــك أن هذه ظواهر تعبر عن فوضى فى جميع تلك الجمهوريات وتكشف عن حيرة وضـــياع وإنعـــدام رؤيـــة لـــدى القيادات الجديدة، التي إستطاعت أن تجد صيغة لتأليف " كومنولث " بين دول ذات سيادة ولكنها لم تجد بعد، وقد لا تجد فى مدى قريب نظاما ما يضـــمن بقاء هذا الكمنولث، ويجعل منه قوة دولية تستعيد بعض ما كان للإتحاد السوفييتي من وزن ونفوذ.

رابعا : تدهور الأوضاع الإقتصادية فى ظل فوضى شاملة

علـــى الرغم من أن روسيا تكاد تكون غالبية الإمبراطورية السوفيتية المنهارة ، لأنها تضم ثلاثة أرباع المساحة الجغرافية للإتحاد السوفييتي وحوالي نصف عدد السكان،٦٠% من الثروات ومعظم الإنتاج، حيث يتركز بها معظم القاعدة الصناعية والعسكرية ، وغالبية

الـــروؤس النووية، فإن الإنتاج الروسي إنخفض بنسبة ٥٠% بين عامي ١٩٩٠، ١٩٩٥: وعلى الأخص في الصناعات الثقيلة والآلات والمعدات، وإمتد الإنخفاض بصورة ملحوظة وواضحة إلى مؤسسات الإنتاج الحربي الروسي، التي كانت تمثل عصبا رئيسيا للصناعة الروســية، وتكــاد تحــتكر كـــل ما تملكه روسيا والإمبراطورية السوفيتية المنهارة من تكنولوجــيا بالغة التقدم يشهد لها السبق السوفييتي والريادة في مجال غزو الفضاء، بكل ما يحــتاج إليه من تكنولوجيات متقدمة رفيعة المستوى والدرجة. وقد فرضت طبيعة النظام المغلــق أن ينحصر العلم بها والإستفادة منها، في نطاق المؤسسة العسكرية فقط لا غير، ولا تتحول إلى معارف وتقنيات تساهم في تطوير وتحديث الصناعة المدنية، كما حدث في أمريكا وباقي الدول الغربية، وكان سببا رئيسيا من أسباب الطفرات الإنتاجية والإقتصادية الضخمة في هذه الدول.

يضاف إلى ذلك إنتشار البطالة وإتساع نطاقها، في ظل إغلاق الكثير من المصانع، أو توقفهــا شبه الكامل عن الإنتاج، وتعطل الجزء الأكبر من الطاقة الإنتاجية بباقي المصانع لــنقص الــتمويل، والخامات، والمعدات، والآلات، وللعجز عن التسويق لإنخفاض كفاءة المنتج وعدم تلبيته للأذواق.

ويضاعف من سلبيات الموقف وتأثيراته الدرامية أعباء ذلك القدر الكبير والمتراكم من المديونــية الخارجــية الكبيرة والمتضخمة التي تصل إلى نحو ١٢٧ مليار دولار، ورثتها روســيا عــن الإتحــاد الســوفييتي بحكــم أنها ورثت غالبية أصولة وممتلكاته الداخلية والخارجية.

وفـــي مواجهة الأسعار المنفلته يأتي الجانب المقابل من الصورة والمرتبط بتدني قيمة الحــد الأدنى للأجور، حيث تبلغ نحو ١٥ دولارا أى نحو ٧٠ ألف روبل، في الوقت الذي تــبلغ فــيه تكلفة تذكرة المواصلات العامة ٢٥٠٠ روبل، ويصل سعر رغيف الخبز إلى ٢٣٠٠روبل (١٩٩٧)، مما يوضح مدى الإرتفاع في تكاليف المعيشة الرئيسية، خاصة أن جانــبا مــتزايدا مـــن السلع والمنتجات الغذائية يتم إستيراده من الخارج، في ظل النقص المــتزايد فـــي إنتاج السلع الزراعية ومنتجات الألبان والثروة الحيوانية وهو إتجاه تؤكده الإحصائيات والتقارير الرسمية.

لا نقـــاش في أن قوة ومتانة العملة الوطنية هي أحد الدلائل والمؤشرات الواضحة على مـــدى قوة أو ضعف إقتصاد الدولة، وحتى نهاية الثمانينات كان الدولار الأمريكي يساوى فـــي السوق السوداء نحو ٣,٥ روبل، وكان يساوى رسميا وقبل إنهيار الإتحاد السوفييتي أقل من الروبل حيث كان الروبل رسميا يساوى ١,٧ دولار.

وعـــندما بـــدأت الأوضاع في الإنهيار والتدهور، بلغ الدولار في السوق السوداء ١٥ روبلا في عام ١٩٩٠ ومع تصاعد حدة الإنهيار وبدء تفكك الإتحاد السوفييتي بلغ الدولار ٥٠ روبـــلا فـــي عام ١٩٩١ وإستمرت حدة الإنهيار ليصل سعر الدولار عام ١٩٩٦ إلى ٥٤٥٠ روبـــلا، حـــتى أن المحلات في المراكز التجارية الكبرى تضع السعر على السلع

والمنـــتجات بـــالدولار أو بالمـــارك الألماني، ولا يقتصر ذلك على السلع الإستهلاكية من الملابس والأدوات الكهربائية وغيرها، ولكنه يمتد إلى السلع الغذائية، وتتم معادلة الدولار بالســـعر بشكل أسبوعي، ويتم الإعلان فى المحلات عن أسعار صرفه لتقييم سعر السلعة، ولكـــن الدفـــع يـــتم دائما بالروبل حتى لايتلاشى من الساحة، ويصبح الدولار هو العملة الرئيسية للمعاملات.

وفى ظل التوجه الواضح للإستيراد من الخارج، وغياب السلع والمنتجات الروسية، فإن سعر الصرف يصبح عاملا حاكما لمستويات الأسعار، ويصبح وقودا رئيسيا للتضخم، بما يحـــتم إجراء تعديلات متوالية فى الأجور والمرتبات وفقا للتعديلات والتغيرات فى إسعار الصـــرف، وهـــذا الأمـــر لا يتم عمليا وواقعيا، بل تتعقد الأمور فى ظل إلتزامات روسيا بإتفاقهـــا مـــع صندوق النقد الدولي، الذي يقيد الإصدار النقدي الجديد من الروبل، وينص على قيمة محددة للنقد المتداول، وهو ما أدى إلى عجز الحكومة عن سداد مرتبات العاملين فى الدولة، والتأخر فى سداد المرتبات لشهور عديدة، حتى أن قضية سداد المرتبات جاءت فى مقدمة الحملة الإنتخابية للرئيس الروسي يلتسن حيث تعهد بالإنتظام فى السداد، وأعلن عـــن إجراءات لسداد المتأخرات، وقد تفاقمت الأزمة خلال الفترة الأخيرة مع التأخير فى ســـداد مرتبات الضباط والجنود، وحتى قيادات الأركان الروسية ، مما دفع قيادات الجيش الروســـي إلـــى إعلان التذمر والتهديد بإتخاذ إجراءات حاسمة فى مواجهة المهانة والإذلال المـــادي والمعيشي والذي يتعرض له جيش كان حتى وقت قريب أقوى قوة عسكرية فى العالم أو على الأقل القوة الثانية.

ويعزز من إنهيارات الروبل وأسعار صرفه ، ضآلة حجم التدفقات من النقد الأجنبى فى صـــورة إستثمارات مباشرة إلى روسيا، على الرغم من جميع أحاديث الإنفتاح ، والحجم الضخم من التنازلات المقدمة للإستثمارات حيث توضح الإحصائيات أن حجمها الإجمالي بلـــغ ٢,٨ مليار دولار فقط مع نهاية عام ١٩٩٥ مقابل ١,١ مليار دولار فى عام ١٩٩٤ وتـــأتي فـــى المقدمة الإستثمارات الأمريكية بقيمة قدرها ٨١٣ مليون دولار، ثم سويسرا بقـــيمة قدرهـــا ١٦١,٤ ملـــيون دولار، فى حين تشير التقديرات الروسية إلى أنه فى ظل الفســـاد السياسي والإداري والإقتصادى فى ظل تحكم المافيا والجريمة المنظمة فى الكثير مـــن الأمور بخلاف القصص والروايات عن أموال الحزب الشيوعي وقياداته السابقة فى الخـــارج وعـــن عمليات بيع البترول الروسي فى فترات الإنهيار لصالح القيادات الكبرى وغـــيرها من صور النزح الطوفانى للثروة القومية لصالح جهات الفساد التي تعاقبت على السلطة والحكم والإدارة.

كـــل هذا قد تكون له أثاره السياسية ، فهل يجهل أحد ماحدث فى يوغسلافيا بالإضافة إلـــى ماحدث فى ألبانيا التي تعتبر من أفقر بلاد العالم؟ هل ستصبح روسيا مثل ألبانيا ؟ ؟ ، إن الإنفجار الروسي إذا حدث ، سيكون رهيبا، لايبقى ولايذر، وعماده شعب جائع ومتذمر ومحروم.

حقائق الإقتصاد الروسى بالأرقام:

جـاء فى تقرير الدكتور / أندريه إيلايونوف مدير معهد التحليلات الإقتصادية بموسكو مـايلى بشأن الوضع الإقتصادى فى روسيا ، وقد نشرته جريدة الازفستيا فى ١١ ديسمبر ١٩٩٦.

– فـى عـام ١٩٩٦ أصبحت الحكومة عاجزة عن دفع أجور مرتبات ٦٧ مليون من العاملين بمختلف مجالات الحياة.

– بلغت ديون العاملين على الحكومة ٤٦,٦ ترليون روبل.

– إنخفـاض الإنتاج القومي الإجمالي فى السنوات الأربع بين ١٩٩٣، ١٩٩٦ بنسبة ٢٨% على حين كانت نسبة الهبوط ٢٥% فى الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ – ١٩١٧) وكانت ٢٣% فى فترة الحرب الأهلية التي أعقبت سقوط الحكم القيصري، وظهور السلطة السـوفييتية (١٩١٨ – ١٩٢٣). وكـان الإنخفاض بنسبة ٢١% فى فترة الحرب العالمية الثانية (١٩١٤ – ١٩٤٥).

– إزدادت الديـون الخارجـية خلال الأربعة أعوام المذكورة إلى ١٢٧ مليار دولار أمريكي والديون الداخلية تقترب من ٤٥ مليار دولار.

لكن إلى متى يتم تأجيل تحصيل الديون سنه بعد سنة وإلى حد يمكن أن تمضى أمريكا ودول أوربـا الغربـية ومعهـا كـندا واليابان فى تأمين القروض والمساعدات المطلوبة للجمهوريات السوفييتية العاجزة؟

هناك مطالب محددة ، بدأت تصدر عن بعض الدول الغربية لتأمين القروض، من تلك المطالب الحصول على ضمانات من الجمهوريات التي ستحصل على المليارات ، ولم يعد خافـيا أن الدول الصناعية تريد الذهب السوفييتي، وهذه المسألة لها مضاعفات خطيرة من الناحيتيـن الإقتصـادية والقومية، علما بأن الجمهوريات السوفييتية كلها لا تملك اكثر من ٢٤٠ طـنا من الذهب ، يطالب الغرب بنصفها كضمانات للقروض ، هذا الوقت لا تتردد الجمهوريـات الغارقة فى الصقيع ودون وقود ولا مواد غذائية كافية فى عرض بعض ما تملـك مـن معـدات عسـكرية للبيع ، تعتبر جمهورية روسيا الإتحادية أغنى جمهورية بالمعدات الحربية فهي تسيطر على نحو ٧٠ بالمائة من المصانع الحربية التي كانت تابعة للقيادة المركزية السابقة.

وأخـــــيرا

* يتركز الروس، وكذلك معظم شعوب الجمهوريات السوفيتية السابقة الماضي بأمجادة العسـكرية الاستعراضـية، ولا يأسـفون عليه إلا عندما يستعرضون حالتهم الإقتصادية والإجتماعية وحتى الصحية.

* فهم تخلصوا من نظام الكبت والعجز عن مواكبة التطور، ولكنهم لم ينتقلوا إلى نظام

يؤمن لهم القليل من الرخاء مع النمو الإقتصادى وفرص العمل والتصنيع التكنولوجي الذي يربطهم بعجلة العصر.

* تعـــرفوا علــى البطالة بعدما كانوا مرغمين على العمل (لأن من يقدر ولا يعمل لا يحق له أن يأكل) وهذا ما أدى بالشباب العاطل إلى سلوك دروب الإخلال بأمن المجتمع.

* تتضــاعف الصــعوبات أمام إهدار البنية الأساسية، وعدم قدرة الدولة على مجاراة الـــتطور التكنولوجـــي فـــى حقل إنتاج الصناعات الخفيفة والإستهلاكية، مما يجعل قطاع الخدمات كالسياحة والطيران والإتصالات عاجزا عن تحقيق حلم روسيا.

- لا تـــزال روسيا دولة صناعية عسكرية رغم الإتجاه إلى تقديم الصناعة المدنية، فهناك ما يزيد على ١٥٠٠ مصنع لإنتاج الأسلحة الثقيلة والحقيقة بعد توقف كثير مـــن المصـــانع المائلـــة لها، وفيما يطالب الأمريكيون بتحويل المصانع الحربية الروســـية إلـــى الصناعات المدنية الصالحة للإستهلاك المدني والتصدير، يقول الروس أنهم بحاجة إلى ١٥٠ مليار لإنجاز هذه المهمة.

* لم تفقد روسيا الوزن الذي كان يمثله الإتحاد السوفييتي السابق، ومعه الدور والنفوذ الدولـــي فحســـب، بل فقدت كذلك إرثا ضخما من العلاقات الثنائية مع دول العالم الثالث، والتـــي كانت لها الصديق والنصير، وتقدمت عليها فرنسا أو ألمانيا أو اليابان كقوة عظمى أو كبرى.

ليس معنى هذا أن العالم لا يعمل حسابا لروسيا على إعتبار أنها كقوة عالمية أصبحت فى ذمة التاريخ ، فهناك أكثر من ٢٠ ألف رأس نووى فى الترسانة الحربية الروسية كما أنهـــا صاحبة أكبر ترسانة من الأسلحة الكيماوية بعد الولايات المتحدة الأمريكية ويتكلف تدمـــيرها ٥ مليارات دولار وهي قد لا تكون بعيدة عن متناول أيدى الساخطين إذا إستبد بهم اليأس.

روسيا تتجه شرقا لتعوض ما أصابها من وهن غربا

بعـــد توقيع الرئيسين الروسي والصيني على معاهدة خفض القوات والأسلحة المشتركة الطويلة بينهما فى إبريل ١٩٩٧ من أبرز الأحداث فى ذلك العام، نظرا لأن المعاهدة كانت مصـــحوبة ببـــيان سياسي غير مسبوق فى العلاقات الصينية الروسية أعلنتا فيه رفضهما إنفراد الولايات المتحدة الأمريكية بالزعامة والسيادة العالمية، كما أن وثائق المعاهدة يتضح مـــنها أنهمـــا يســـعيان لدفـــع الضرر عن مصالحهما القومية، وتعزيز مكانتهما العالمية، فالخريطة السياسية للعالم فى المستقبل يجب أن تكون لعالم متعدد الأقطاب غير مقسمة إلى قادة وتابعين، خاصة وأن الإتفاقيات السابقة تنص على تزويد الصين بالتكنولوجيا والخبرة العســـكرية والـــنووية الروســـية، وتشير التقديرات الغربية أن قيمة ما أشترته الصين من الأســـلحة الروســـية من دبابات متطورة وأنظمة صواريخ وغيرها بلغت نحو ٦ مليارات دولار بيـــن عامـــي ١٩٩١/١٩٩٦، كما أن هذه المعاهدة الأخيرة تستهدف زيادة التبادل

الـتجاري بيـنهما بعـد أن بدأت الأسواق الغربية تضيق الخناق على المنتجات الصينية، ولاشك أن المنتجات العسكرية خاصة الغواصات والمدمرات والمقاتلات ستظل سلعة نادرة تحـتاجها الصـين بشدة للسيطرة على المياه الإقليمية، ومواجهة خطر التحالف الأمريكي اليابانـي، والأمريكـي الكـوري، كما أن روسيا فى حاجة إلى هذا التحالف فى مواجهة إصرار الولايات المتحدة الأمريكية بالوصول إلى حلف الأطلنطي حتى أبوابها الغربية.

وقـد تضمنت المعاهدة أيضا التي وقعها أربعة رؤساء لجمهوريات روسيا، قرغيزيا، وطاجكستان وقزاغستان فضلا عن عن الصين.على تزويد الصين بالغاز الطبيعي من إقليم أومسـك فى الشرق الأقصى الروسي حتى يصل إلى شنغهاى، ومعنى ذلك توفير إستخدام الفحـم الذي يشكل ٨٠% من وقود الطاقة فى الصين، وهذا نظرا لهدوء الأحوال السياسية بيـن الصين والهند، وروسيا، ولا يمكن الإستهانة بذلك لأن الدول الثلاث هي دول نووية تضـم نحو ٤٠% من سكان العالم، و ٢٥% من موارده، وهذا كما إتفقت الصين وروسيا علـى الموقـف المشـترك كعضوين دائمين فى مجلس الأمن، وهذا معناه رفض الهيمنة الأمريكية، وهذا ما كان يؤكده الأمين السابق للأمم المتحدة فيما يختص بإستقلالية المنظمة، وإن هـناك فارقـا بين الأمم المتحدة والولايات المتحدة وكان هذا إنطلاقا (فشل الرئيس يلتسن فى إثناء الرئيس كلينتون ودفعه لمراعاة شعور روسيا من توسيع حلف الناتو صوب الشـرق فـى مباحـثات قمـة هلسـنكى (١٩٩٧) وبالتالي زيادة الضغوط على روسيا وبيلوروسيا عن طريق بولند العضو الجديد فى الحلف.

إن المحاولـة الصينية الروسية للتفاعل والإسهام بإيجابيته فى تشكيل النظام الدولي هي فـى مصلحة الدول النامية بصفة عامة، لأن هذه الدول هي التي تعانى من حالة الفوضى الدولية السائدة ، ومحاولة الولايات المتحدة الأمريكية فرض سيطرتها على العالم.

معالم روســـيا الإتحاديـــة

* أكبر دولة فى العالم من حيث المساحة فمساحتها التي تبلغ ١٧,٥ مليون كم ٢ تـبلغ ضـعف مساحة ثاني دولة وهي كندا ، ولكنها الثانية سكانا بعد الصين، والهند والولايات المتحدة الأمريكية، وإندونيسيا، والبرازيل.

* أكـثر الأقطار الكبيرة مساحة وسكانا فى أقصى الشمال، وجزء كبير من مساحتها شديدة البرودة وجافا ، وتفصلها السلاسل الجبلية عن الرياح الدفيئة.

* ورغـم مسـاحتها الضـخمة فعـدد سكانها ١٥٠ مليون نسمة يعتبر قليلا ويتركز معظم السكان فى القسم الغربي، أو فى نحو خمس مساحة البلاد.

* ويعتـبر القسم الغربي أكثر أجزائها نموا من الناحية افقتصادية، كما يضم هـذا القسم الواقع غرب جبال أورال المدن والأقاليم الصناعية الرئيسية وأكثف شبكة للمواصلات والإتصال وأكثر المزارع إنتاجا، ويمتد المعمور شرقى جبال أورال علـى طول حزام ضيق يمتد من جنوب أورال حتى أقصى الشرق حول فلاديفستك.

* دولـة مـتعددة الثقافات والأعراق، مما يعقد من جغرافيتها السياسية، فهي تضم ٢١ جمهورية أساسها تجمعات ثقافية.

* رغـم مسـاحتها الضـخمة تعانى من إحاطتها باليابس الأوراسى، وحتى الـبحار التي تطل عليها فهي متجمدة أو شبه متجمدة معظم العام ، مما يحرمها من الموانى الجيدة.

* وقعت روسيا فى أزمة إقتصادية حادة بعد فشل النظام الاشتراكي، وتحوله نحو النظام الرأسمالي، وإنعكس هذا على حالة فوضى شاملة وإن خفت الآن.

* ظلـت روسـيا مصدرة للخامات أكثر من المصنوعات، فيما عدا الأسلحة لذلـك قلـيل مـن صـناعتها ظهر فى السوق العالمي، كالكاميرات والتلفزيون والسيارات.

* تعتـبر روسـيا قائدة بين منتجي البترول والغاز الطبيعي، فهي ثاني قوة عظمي في مجال البترول، والأولي في ميدان الغاز الطبيعي، مما يضمن صحوة الاقتصـاد والترسـانة الاسـتراتيجية الروسية، ويمكنها هذا من تلبية احتياجات الصين واليابان وآسيا الشرقية بوجه عام.

الفصــــل الثالث

أوروبـــــــا

مـثلما أبدعـت أوروبـا فـى عصـر النهضة بكل ماصاحب هذا العصر، وما تبعه مـن مذاهـب فلسـفية ونظـريات سياسية وفكرية، أثرت فى حركة الحضارة الإنسانية علـى مـدى أكـثر مـن خمسـة قـرون حتى يومنا هذا، هي أوروبا نفسها التي تبدع مذاهـب فلسـفية جديـدة، وتمـوج بمعـارك سياسـية وإقتصـادية ، وتغلـى أيضـا بصـراعات تقنـية حديـثة ، تقـود بها العالم نحو القرن الحادى والعشرين، وإذا كانت الولايـات المـتحدة هـي القـوة العسـكرية المنفردة الآن، فستظل أوروبا هي الأم التي أنجبـت أمـريكا وأرضـعتها فكـرا وحضـارة، فهي الأصل، وتظل أمريكا هي الفرع حتى لو تفوقت عليها.

ثلاثة أحداث جعلت أوروبا محط أنظار العالم فى التسعينيات هي:

أولا : الوحدة الأوروبية:

مـع غـروب شـمس أول يـوم فى عام ١٩٩٣ م و، إتحدت الجماعة الأوروبية و، ومـع ذلـك الإتحـاد أصـبحت على الفور من أضخم الاسواق الإقتصادية فى العالم ـ ٣٥٠ ملـيون نسـمة و. وفـى وسـط أوروبـا وشـرقيها تلاشـت الشيوعية ويجرى إحـلال الرأسـمالية محلهـا . وفـى كل أوروبا الشرقية والغربية تبذل محاولة لم يسبق لهـا مثـيل ـ هـي الإنـتقال مـن التخطـيط المركزى إلى السوق الحرة و، والإتحاد طواعـية داخـل سـوق شـديدة الإتسـاع وبعـيدة عن التجانس اللغوي، وتضم الأعداء العسكريين السابقين.

ويسـاور الـيابان وأمـريكا القلـق مـن أن يجعـل الإتحاد الإقتصادى لأوروبا بيع منـتجاتهما فـى أوروبـا أكـثر مشقة. وحتى إذ لم تصبح أوروبا قلعة إقتصادية مغلقة، فـإن إخـتراق أسـواقها سـيكون أكـثر صعوبة. فإذا كانت فرص التنافس متكافئة أمام مؤسسـة أمريكـية ومؤسسـة ألمانـية فـى إيطالـيا قـبل الإتحاد، فسنجد بعد ذلك أن المؤسسـة الألمانـية سـتكون لهـا مـيزة علـى الأمريكـية، فالحواجـز التي تواجه المنـتجات الألمانـية سـتزول علـى حيـن أن الحواجز التي تواجه المنتجات الأمريكية سـتظل دون تغـير. والـدول غـير الأعضـاء بدورهـا تـدرك أن خسائرها ستكون بالتأكـيد أكـبر مـن هـذا الحـد الأدنـى الـذي يـتعذر النزول عنه . فعند بناء البيت الأوروبـي سـيكون عـدم إقتسـام المكاسـب الإقتصادية مع غير الأعضاء هو الغراء الـلازم لكـي تلـتحم معـا مـن الناحـية السياسية مجموعة من البلدان المتباينة. ولكي يفعـل هـذا الغـراء فعلـه لابـد أن يكـون غراء قويا، وهو لا يمكن أن يكون قويا إلا إذا كان هناك فرق كبير فى معاملة الأعضاء وغير الأعضاء.



أولاً : ١٩٥٨ (٦ دول) بلجيكا - فرنسا - المانيا - إيطاليا - لوكسمبرج - هولند .
ثانيًا : ١٩٧٣ (٩ دول) يضاف الدانمرك - ايرلند - المملكة المتحدة .
ثالثًا : ١٩٨١ (١٠ دول) " اليونان .
رابعًا : ١٩٨٦ (١٢ دولة) " البرتغال - أسبانيا .
خامسًا : ١٩٩٥ (١٥ دولة) " النمسا - فنلند - السويد .
أوائل القرن الحادى والعشرون (المفروض) قبرص - استونيا - بولند - تشيك - المجر - سلوڤينيا .
بعد ذلك ٢٠١٠ بلغاريا - لاتفيا - ليتوانيا - رومانيا - سلوڤاكيا - تركيا .

ففي البداية رفض البريطانيون الإنضمام إلى الجماعة الأوروبية، وكانوا يعتقدون أن ذلك الإنضمام سيقتضي منهم التنازل عن قدر كبير جدا من السيادة الوطنية. ولكن بريطانيا عكست قرارها في نهاية الأمر وإنضمت عندما إتضح أن المتاعب الإقتصادية للبقاء خارج الإتحاد ستكون من الجسامة، بحيث يتعذر عليها دفع الثمن الإقتصادى الذي تتطلبه المحافظة على السيادة الوطنية للجزر البريطانية.

إن إتحاد أوروبا الفيدرالى سيتطلب وقتا طويلا، ولقد إقتضى بالفعل قرابة نصف قرن لمجرد أن يصل إلى النقطة التي يمكن عندها إلغاء ضوابط الحدود . وسيلزم نحو نصف قرن آخر لتكملة الإتحاد الإقتصادى والسياسي.

ولن يكون هناك ما يحول دون أن يصبح البيت الأوروبي أضخم المناطق الإقتصادية في العالم وأكثرها ثراء . ففي أوروبا ٧٥٠ مليونا من السكان ذوى التعليم الجيد، ولا يوجد بها بلد فقير حقا ، ربما بإستثناء ألبانيا. ولنتصور ما كان يمكن أن يحدث لو أن القدرات العلمية عالية التقنية للإتحاد السوفييتى السابق قد تزاوجت مع قدرات الألمان الإنتاجية ذات المرتبة العالمية. ومع الغاز الطبيعي من الكومنولث الجديد.

ولا يحتاج الأمر إلى جهد فكرى كبير كي نلاحظ أنه في السوق الأمريكية، سجل اليابانيون وتبعهم الصينيون نصرا كاسحا . وعلى وجه العموم فإن الشركات الأوروبية لصناعة السيارات، إما أقصيت من سوق الولايات المتحدة، أو إنها تفقد سريعا حصصها في هذه السوق.

وما فعله اليابانيون في أمريكا، يستطيعون أن يفعلوه ، وهم يفعلونه، وسيفعلونه في أوروبا إذا ما سنحت لهم فرصة. ففي تلك الأسواق الأوروبية التي كانت مفتوحة أمامهم، كان اليابانيون يبيعون أكثر من ٣٠ في المائة من السيارات التي أشتريت في ١٩٩٥. وفي بعض الأسواق، مثل إيرلند والنرويج، كانت حصة اليابان في السوق أكثر من ٤٠ في المائة، إن ترك أبواب أوروبا مفتوحة على مصراعيها أمام منافسة من خارج أوروبا خلال هذه الفترة يمكن أن يحدث نفس الأخطاء التي إرتكبها الأمريكيون في السابق والتي يعانون الآن نتائجها.

والنتيجة هي مشروعات قوانين التي تقضي بألا تتجاوز حصة اليابانيين في السوق ١٦ في المائة في العام ٢٠٠٠، بصرف النظر عما إذا كانت السيارة تستورد من اليابان أو تصنع في أوروبا. ولكن إذا كان على الأوروبيين التحكم في تجارتهم في السيارات مع اليابان، وجب عليهم أن يتحكموا فيها أيضا مع أمريكا . فاليابانيون يبنون في الولايات المتحدة طاقات إنتاجية أكبر مما يمكن أن يستخدم فيها. إذن ماذا سيفعلونه بهذه الطاقات ؟ الإجابة واضحة ، مثلما تحاول "هوندا " أن تفعله الآن، وهو تصدير بعض تلك السيارات التي تصنع في أمريكا.

إلـــى أوروبـــا، فـــيما يـــبدو أنهـــا حرب يابانية أوربية سرعان ما تصبح حربا أمريكية أوربية.

ثانيا : تغيرات إقتصادية سياسية وإجتماعية:

أمـــام هـــذه الأحـــداث الخطـــيرة التـــي ســـتواجه ١٢ دولـــة أوربـــية غربية، تكمن مشـــاكل وعراقـــيل وأحـــداث لـــم تكن قائمة فى عام ١٩٨٥ وقت الإتفاق على المرحلة الثانـــية تلـــك، فمـــنذ ذلـــك التاريخ شهدت أوروبا شرقا وغربا تغييرات جذرية قد تؤثر وتعكس أثارها على أوروبا الجديدة.

فخـــلال ســـبع ســـنوات ســـقطت جمـــيع النظم الشيوعية فى أوروبا الشرقية وإختفى فـــى شـــهور قلـــيلة العـــدو الأساســـي الـــذي ظـــل عشرات السنوات يؤثر فى السياسة العســـكرية والخارجـــية والإقتصـــادية لأوروبـــا الغربـــية، وظهـــر نظـــام عالمي جديد تهيمـــن علـــيه الولايـــات المـــتحدة مرحلـــيا، والتـــي أصبحت القوة العظمى الوحيدة فى العالم فى الفترة الإنتقالية إلى النظام الجديد.

وقـــد أدت هـــذه التغيـــيرات السياســـية والعقائديـــة إلى قلب الموازين العسكرية فى المـــنطقة ، بشـــكل لـــم يســـبق له مثـــيل، فوقعـــت إتفاقـــيات الحـــد من التسلح ودعت أصـــوات مـــن واشـــنطن إلـــى خفـــض الوجود العسكري الأمريكي فى أوروبا الغربية، وإتجهـــت كـــل مـــن ألمانـــيا وفرنســـا إلـــى التقارب من أجل إنشاء نواة لجيش أوروبي مستقبلي.

وبعـــد التغيـــيرات السياســـية والعســـكرية شـــهدت أوروبا الغربية والشرقية تغييرات جغرافـــية خطـــيرة ، فـــبعد نحـــو ٤٥ عامـــا مـــن الإنقســـام توحدت ألمانيا مرة أخرى لـــيعود العمـــلاق الألمانـــي إلـــى قلـــب أوروبا الغربية يثير الخوف والترقب من هيمنة قوته الإقتصادية الحالية، والعسكرية القادمة.

وفـــى نفـــس الوقـــت تفككـــت جمهوريـــات الإتحـــاد السوفيتي ويوغسلافيا وإنقسمت تشيكوسلوفاكيا ، وسقطت أوروبا الشرقية فى صراعات عرقية وقومية.

أمـــا إقتصـــاديا فـــبعد إنهـــيار الشـــيوعية والـــنظم الإقتصـــادية الموجهـــة فشـــلت جمهوريـــات أوروبـــا الشـــرقية فـــى تطبـــيق إقتصاديات السوق بالسرعة والثبات الذي كـــان مؤهـــلا له، ودخلـــت تلـــك المـــنطقة فـــى أزمات إقتصادية متلاحقة تضع أوروبا الغربـــية فـــى مـــأزق مـــا بيـــن الـــتقدم لمســـاعدتها من أجل تحقيق أوروبا الكبرى فى المستقبل القريب، وبين الإهتمام بالداخل أولا.

ولكـــن هـــذه الأزمـــات الإقتصـــادية ستظل تطل وتؤثر وتعكس آثارها على أوروبا الغربـــية، إذ أنهـــا تمـــثل حالـــيا قوة طاردة لأبناء أوروبا الشرقية نحو الغرب. فشهدت أوروبـــا الغربـــية تغيـــيرات إجتماعـــية خطيرة بسبب تدفق المهاجرين من الشرق إليها . وإذا كـــان ذلـــك يمـــثل حالـــيا أزمـــة خطيرة بسبب تزايد نسبة البطالة فى الغرب مما

يدعم الموجات العنصرية والنازية الجديدة، فإن أوروبا مع تطبيق سياسة حرية التنقل للأشخاص واجهت أزمة مضاعفة خاصة أن الدول الأثنتي عشر لم تتفق بعد على سياسة موحدة لمواجهة الهجرة المتزايدة على حدودها، كما تطالب كل دولة بالحفاظ على سيادتها فى هذا المجال لوضع الإجراءات التي تراها ضرورية لحماية سوقها الداخلية.

كما أن هناك خطر ظهور إزدواجية عرقية، بين الأوروبيين وغير الأوروبيين.

وهكذا فمع بداية المرحلة الثانية من مشروع الوحدة الأوروبية على الدول الإثنى عشر الموحدة إيجاد إجابات على تساؤلات عديدة منها، هل ستصبح أوروبا الموحدة " أوروبا ألمانية " تهيمن عليها القوة الإقتصادية والسكانية الألمانية، أم ستتحول ألمانيا لتنصهر داخل أوروبا وتصبح " ألمانيا أوربية " ؟ هل ستتخلى أوروبا عن دورها القيادي، وتتبع الولايات المتحدة فى قراراتها السياسية والعسكرية فى العالم، مثلما حدث فى أزمة الخليج ومشكلة الشرق الأوسط أم ستتحول أوروبا إلى قوة ثالثة توازن القوة الأمريكية واليابانية كما كان مخططا فى عام ١٩٨٥؟

وكان السؤال حينئذ هل ستظل السوق الأوروبية " قلعة " تضم إثنتى عشر دولة أم تفتح أبوابها لتستقبل الدول الأخرى لمساعدتها فى أزماتها ؟ وقد أصبح عددها الآن عام ١٩٩٥ خمسة عشر عضوا، ثم بلغ العدد خمسة وعشرين عضوا عام ٢٠٠٤ بدخول دول أوروبا الشرقية، ليتوانيا ولاتفيا واستوينا وبولند، والتشيك والسلوفاك، والمجر وسلوفنيا، فضلا عن قبرص ومالطة من دول البحر المتوسط ومن المنتظر أن يبلغوا سبعة وعشرين عام ٢٠٠٧ بدخول رومانيا وبلغاريا.

ثالثا : أوروبا ترفض تسيد الولايات المتحدة الأمريكية:

من حلقات الصراع الإقتصادى والتجاري العملاق بين الولايات المتحدة وأوروبا واليابان، فهناك منذ فترة شعور عام يسود الأوساط الرسمية الأوروبية، بأن الولايات المتحدة لم تعد تسأل عن ردود أفعال حلفائها، سواء الأوروبيين أو غيرهم، بل إعتادت واشنطن على إتخاذ القرارات، ثم حمل حلفائها على تنفيذها، وقد بدأت تظهر خاصة بعد حرب الخليج علامات التذمر من إستهتار الولايات المتحدة ببقية العالم وخاصة حلفاءها الأوروبيين، ومن أكثر ما يغضب المسؤولين فى فرنسا مثلا ، هو تعبير النظام العالمى الجديد بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية، حتى وإن كانت الولايات المتحدة هي القوة العظمى الوحيدة فى العالم اليوم، وقد ظهر هذا الرفض الأوروبي لمحاولة إنفراد الولايات المتحدة الأمريكية بإتخاذ القرار فى عدة مرات.

ومن مظاهر رفض الهيمنة الأمريكية على سبيل المثال، إعلان فرنسا وألمانيا

رفضهما للاشتراك في الحرب على العراق سواء تحت زعامة الولايات المتحدة الأمريكية أو لقرار من مجلس الأمن، من ثم أطلق عليهما وزير الخارجية الأمريكية أوروبا العجوز، على حين أطلق على دول أوروبا الشرقية التي أيدت الحرب أوروبا الجديدة.

ومنها رفض الهيمنة الثقافية الأمريكية على العالم ، فعندما تفجرت فى عام ١٩٩٣ على الساحة الدولية ماعرف بإسم قضية الجات، وهي المفاوضات التي أجرتها الدول الراغبة فى دخول النظام العالمى الإقتصادى الجديد، كان هناك رغبة واضحة من عشرات الدول وعلى رأسها فرنسا التي ترفض الهيمنة الثقافية الأمريكية من أفلام ومسلسلات .. إلخ، وظهر تعبير الخصوصية الثقافية، وهو ينص بعدم إدراج السلع الثقافية المعبرة عن هوية كل دولة، ذلك إن ثقافة التبادل الحر ثقافيا، معناها قضاء الثقافة الأمريكية على الثقافات الأخرى، وهو إتجاه أيدته عشرات الدول للحد من السيطرة والهيمنة الثقافية الإقتصادية والسياسية التي تحاول الولايات المتحدة الأمريكية فرضها على العالم.

الوحدة الأوروبية

إذا كانت الوحدة الأوروبية التي نسمع عنها الآن بدأت إرهاصاتها عقب الحرب العالمية الثانية، فليس معنى هذا أن أفكار الوحدة لم تظهر طوال تلك العصور التاريخية، فقد نادى بها روسو، وكانت، وفيكتور هيجو، وغيرهم، وكان هناك مثل هذا الإتجاه عقب الحرب العالمية الأولى، وعقد مؤتمر فيينا لبحث إمكانيات توحيد أوروبا، ولكن أحداث الثلاثينيات أنهت هذه المحاولة حتى من التفكير، ثم ظهرت حركات التوحيد مرة أخرى بعد الحرب العالمية الثانية، معظمها قام على الأسس الإقتصادية، ومدى المنافع الناتجة عن هذه الوحدة . ولعل الدرس المستفاد من الفوقمية ***Supernationalism*** التي تضمن التعاون الإرادى بين مجموعة من الدول فى وحدة سياسية وإقتصادية وثقافية، إن التكامل السياسي يأتي بعد، ولا يسبق التعاون الإقتصادى، فإذا ما شاهد الناس حياة أفضل يكونون مستعدين للتنازل عن قليل من إستقلالهم الذاتي فى سبيل ضمان هذا العيش الأفضل، أكثر من إستعدادهم للتنازل عن هويتهم القومية فى سبيل الوصول إلى دولة أكبر.

وفى الحق لقد تم التوقيع بين ممثلى حكومات هولند وبلجيكا ولوكسمبرج قبل نهاية الحرب العالمية الثانية على إتفاق للوحدة بين الدول الثلاث بأسم البنلوكس (***Benlux***) فكان أول تعاون دولي عقب الحرب العالمية الثانية، كما كان مقدمة لمنظمات متعددة لأوروبا بعد تلك الحرب ، وكان هناك تشجيع من الولايات الأمريكية للإستفادة بالمساعدات الأمريكية التي تدفقت منها على دول غرب أوروبا تحت أسم مشروع مارشال ، وأدى هذا إلى تكوين منظمة التعاون الإقتصادى الأوروبي ***Organization For European Economic Cooperation*** عام ١٩٤٨. وإقترح بعدها بقليل (بيرشومان وزير خارجية فرنسا) الجماعة الأوروبية للفحم والصلب. ***European Coal and Steel Community*** وغرضها الأساسي هو إزالة العوائق والعقبات أمام إنسياب الفحم والحديد بين الدول الست

المنتجة الرئيسية، وهي فرنسا وألمانيا الغربية وإيطاليا ودول البنلوكس.

هكــذا بدأت مسيرة الإتحاد الأوروبي تحديدا فى أول إبريل ١٩٥١ عندما وقعت بلجيكا وفرنسا وإيطاليا ولوكسمبورج وهولند وألمانيا الغربية **معاهدة** باريس التي أنشأت الجماعة الأوروبية للفحم والصلب. وعندما حاولت هذه الدول عام ١٩٥٤ تحقيق قفزة فجائية بإتجاه إقامة جماعة أوربية دفاعية وسياسية، كان نصيبها الفشل. لكن التجربة جعلت الأوروبيين آنــذاك يرجئون البحث عن الإتحاد السياسي ويركزون الجهود على الإتفاق على مصلحة مشتركة فى البداية، ثم وقعت هذه الدول **إتفاق روما** (١٩٥٧) الذي أعتبر فى ظاهره تخليا عــن الحلــم الإندماجى بسبب انكفائه على البعد الإقتصادى للإتحاد دون غيره، لكنه مثل بإجماع المراقبين والسياسيين نقطة الإنطلاق نحو وحدة أوربية متكاملة لاحقا، لكونه ساهم فى تأسيس ميثاق سياسي يربط الدول الأوروبية بعضها ببعض مع التطلع، إلى إتحاد أوثق بيــن شــعوب أوروبــا، بحســب مقدمة الإتفاق. وهذا الأخير أنشأ "الجماعة الإقتصادية الأوروبية" *(EEC)* و "الجماعة الأوروبية للطاقة الذرية " *(EURATOM)*.

علــى الصعيد السياسي بقى الوضع جامدا حتى قمة لاهاى فى ديسمبر ١٩٦٩، حينما حــاول وزراء خارجــية الدول المكونة للجماعة " دراسة الوسيلة الأمثل لتحقيق تقدم فى مجــال السياســة الخارجــية. ثــم تابعت الجماعة الأوروبية سيرها على طريق الوحدة الإقتصــادية والمؤسســاتية، إذ تــم إبتداء من أول يوليو ١٩٦٧، دمج السلطات التنفيذية للجماعــات الأوروبــية الثلاث: الجماعة الإقتصادية الأوروبية والجماعة الأوروبية للفحم والصــلب، والجماعــة الأوروبــية للطاقة الذرية تحت راية مؤسسات أربع : المفوضية، ومجلــس الــوزراء، والــبرلمان الأوروبي، ومحكمة العدل، وبعدها (١٩٦٨)، تم إنشاء الإتحــاد الجمركــي وإلغــاء آخــر الرسوم الجمركية بين الدول الست الأعضاء المتعلقة بالمنتجات الصناعية، وتم أيضا وضع تعريفه جمركية خارجية مشتركة.

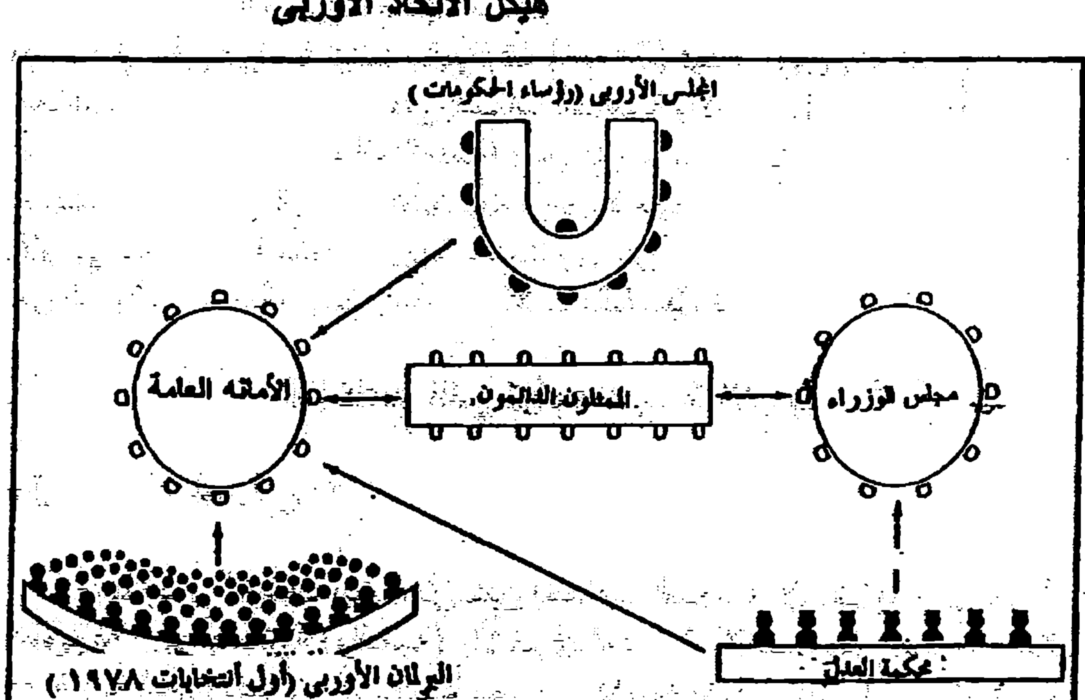
وقد ضمت هذه الجماعة كل النوايا الرئيسية للقارة، ومعظم رصيدها من الموارد، واليد العاملــة الماهــرة، والســوق الكبير، وزاد من فعاليتها وقوة أجهزتها التنفيذية والتشريعية والقضــائية (مجلــس الوزراء، الأمانة العامة ، محكمة العدل)، ولم تدخلها بريطانيا أول الأمر ولكنها قادت مجموعة أخرى من الدول أطلق عليها رابطة التجارة الحرة الأوروبية ***European Free Trade Association*** . تضــم إلى جانب بريطانيا الدول الإسكندنافية، الــثلاث الســويد والــنرويج والدنمــارك، فضــلا عن النمسا وسويسرا والبرتغال، وهذه المجموعــة المتــناثرة لم يقيض لها أن تكون فى قوة الجماعة الإقتصادية الأوروبية، وقد أطلــق عليها السبع الخوارج ***Outer Seven***، بينما دول السوق أطلق عليها الست الداخلية ***Inner Six***، ولكــن بريطانيارجعت تطلب دخول الجماعة الإقتصادية مرة أخرى، ورفض طلبها أول الأمر، وإن كان قد قبل فيما بعد عام ١٩٧٣.

ودخلــتها أيضا الدنمارك وايرلند (العدد٩) ثم تتابع دخول اليونان عام ١٩٨١، وأسبانيا والبرتغال عام ١٩٨٦ (العدد ١٢) ، وقد إتفق على أن تكون ستراسبورج فى فرنسا قرب الحــدود الألمانــية هــي عاصمة الإتحاد الأوروبي، هذا وهناك قائمة بطلبات للإنضمام

للجماعة الأوروبية على قائمة الإنتظار.

غير أنه يجب عدم إغفال ذلك التقدم الملموس على صعيد الوحدة السياسية التي تمت بحصول أول إنتخابات للبرلمان الأوروبي في ١٩٧٨، وكان عجز السلطات التنفيذية الأوروبية عن التوصل إلى معاهدة إتحاد، ما دفع البرلمان إلى تولى المبادرة عام ١٩٩٠، إذ أيد المجلس الأوروبي المنعقد في دبلن في ايرلند الرسالة المشتركة الموجهة من المستشار الألمانى هلموت كول والرئيس الفرنسي فرنسوا ميتران، التي تدعو المجتمعين إلى دفع الجهود نحو تحقيق " الإتحاد السياسي ".

هيكل الاتحاد الاوربى



وأصبحت مجموعة الإثنتا عشر دولة تمثل النواة الكبرى للوحدة الأوروبية، ويطلقون عليها مجموعة : ٣-٤- ٥، ثم كان أنضمام السويد والنرويج والنمسا إلى الإتحاد عام ١٩٩٥، بحيث أصبح عددها الأن (١٥) خمس عشرة دولة .

١- الثلاث الكبار وهي ألمانيا وفرنسا والمملكة المتحدة .

٢- الأربع الجنوبية، ايطاليا، أسبانيا، البرتغال، اليونان.

٣- الخمس الصغار : بلجيكا، هولند، البنلوكس، الدنمرك، ايرلند.

وستنظر في الطلبات المقدمة من دول شرقي ووسط أوروبا.

توسع الاتحاد الأوروبي عام ٢٠٠٤

وافق الاتحاد الأوربي على قبول ١٠ دول جديدة إلى الاتحاد الأوروبي فأصبح العدد ٢٥ دولة وهي دول البلطيق الثلاث استونيا ولاتفيا ولبيتوانيا فضلا عن بولند والتشكيك وسلوفاكيا والمجر، ومن دول الجنوب المجر وسلوفينيا ومالطة وقبرص، فأصبح عدد سكان الاتحاد الأوروبي ٤٥٥ مليون نسمة وبالتالي سوف يستحوذ على نحو $\frac{1}{5}$ حركة التجارة العالمية، وستزيد صادرات دول الاتحاد قبل ٢٠٠٤ إلى الدول العشرة الجديدة خاصة في القطاعات ذات التكنولوجيا العالية، بينما تصدر الدول العشر الصناعات كثيفة العمالة كما في صناعة المنسوجات والبتروكيماوية وصناعة البلاستيك والحديد والصلب. كذلك تدفق الاستثمارات الأجنبية على الدول الجديدة لرخص الأجور وانخفاض الضرائب ولكن هناك مشكلات البطالة في دول الاتحاد الخمس عشرة التي تتراوح بين ٧%، ٨%، ولكنها تتراوح بين ١٧%، ٢٠% في الدول التي انضمت حديثا وذلك في عامي ٢٠٠٢، ٢٠٠٣، وهذا معناه تدفق العمالة من الدول الجديدة إلى الدول القديمة في الاتحاد، مما يقتضي إجراءات لتفادي تفاقم مشكلة البطالة.

أهم المؤشرات الاقتصادية للأعضاء الجدد في الاتحاد الأوروبي

	استونيا	لاتفيا	ليتوانيا	بولند	التشيك	سلوفاكيا	المجر	مالطة	قبرص	سلوفينيا
عدد السكان بالمليون	١,٣	٢,٣	٣,٤	٣٨	١٠	٥,٤	١٠	،٤	٠,٧	١
نصيب الفرد من النتاج الملحي ألف يورو.	١٠،٥	٨,٩	١٠,٦	١٠,٣	١٥,٥	١١.٧	١٣,٤	١٦.٨	١٨,٩	١٧
متوسط أجر العامل (يورو / ساعة)	٣٠	٣,٤	٢,٧	٤,٥	٣,٩	٣	٣,٨	٦,٨	١٠,٧٥	٩

المشكلات التي تواجه الوحدة الأوروبية

هل يصبح الإتحاد فيدراليا؟

وهنا يدور الخلاف بين مدرستين إحداها المدرسة الإنجليزية وهي مدرسة تطويرية ـ براجماتية (واقعية) والأخرى المدرسة اللاتينية وهي مدرسة شكلية ـ نظرية (تجريدية)، فبينما تصر المدرسة الأولى على النمو التدريجي للمجموعة، فإن المدرسة الثانية تأخذ منحنى تحليليا، ذلك أن المسألة ليست مجرد تسجيل للمنجزات ، بقدر ما هو تعبير عن رؤية وطموح مستقبلين.

النموذج البريطاني ويمثل المدرسة الأولى فبريطانيا ليست مستعدة بشكل كبير للتخلى عن سيادة برلمانها لصالح أوروبا، ولا تشجع الوحدة النقدية الإقتصادية، وذلك بدعم أمريكي خفي. ولكن لكي لا تكون وحيدة فى إطار أوروبا الموحدة فى مواجهة قوة ألمانيا وفرنسا، فإنها تطالب مرارا بتوسعة إطار المجموعة الأوروبية لتضم دول أوروبا الشرقية وأعضاء الرابطة الأوروبية للتجارة الحرة (*EFTA*) فالنموذج المطروح هو قيام إتحاد دستورى بين دول المجموعة على الأسس التالية : توزيع السلطات السياسية بين المجلس الأوروبي والمجلس الوزاري واللذان يعدان مركز الثقل فى هذا الإتحاد وبيدهما سلطة إقتراح وإتخاذ القرارات، ويتم الحفاظ على البرلمانات الوطنية لأنها أساس الديموقراطية الغربية، أما محكمة العدل الأوروبية فتكون حكما فى النزاعات وليست صانعة للقوانين، وإعطاء حق (التحفظ التشريعي) للدول الأعضاء التي يكون التصويت فى المجلس الأوروبي ضد رغبتها. ويعني هذا الحق أن الدول الرافضة لقرار معين لها الحق فى أن تعرضه على برلمانها الوطني لأخذ رأيه فى هذا القرار، فإن وافق إنضمت لدول المجموعة فى تنفيذه، وإلا فلها الحق فى عدم الخضوع له، كذلك فإن إنصار هذا النموذج يدعون إلى تبنى شرط الإنفصال فى الإتفاقية. بحيث يجوز للدولة التي لا ترغب فى الإستمرار فى الإتحاد الدستوري أن تنفصل عنه وتستقل بذاتها مرة أخرى.

أما النموذج الثاني فهو (النموذج المركزي) ***Centralist Model*** ويهدف هذا النموذج إلى قيام إتحاد مركزي بين الدول الأعضاء على أساس تقوية المؤسسات المركزية القائمة وخصوصا المفوضية والبرلمان، وإنشاء مؤسسات مركزية جديدة كمجلس تان للبرلمان وعلى أن يتم تقسيم السلطة السياسية بين المجلس الأوروبي، والمفوضية، والبرلمان الأوروبي وأن تلعب المحكمة دورا إيجابيا فى الوصول إلى الإتحاد المركزي، كما أن هذا النموذج يسعى إلى إلغاء شرط الإجماع فى التصويت وجعله بالأغلبية فى المجلس الأوروبي.

مما سبق يتضح لنا عدة أمور:

١- أن نشوء إتحاد فيدرالى أى فقدان السيادة الخارجية والتخلى عن جزء من السيادة الداخلية لصالح الدولة الإتحادية أمر صعب تصوره على المدى القريب فى أوروبا، وبالتالي فإن إنشاء (الولايات المتحدة الأوروبية) أمر مستبعد حاليا.

٢- تجذر التصورات القومية والإنتماءات الوطنية والتي بذلت الدولة القومية الأوروبية قرونا من عمرها فى سبيل ترسيخها تقف عائقا أساسيا أمام مسيرة التوحيد الأوروبي .

٣- الحافز الإقتصادى هو الذي يخفف من غلواء القومية المحلية وهو الذي يدفع بالمسيرة الأوروبية نحو إيجاد نوع من التوازن بين الرغبتين: رغبة إيجاد تكتل دولي قوى والرغبة فى الإستقلال الذاتي المحلى للدول الأعضاء.

وحتى الآن (١٩٩٧) لم يستقر الأوروبيون على كنه وطبيعة أوروبا التي يريدونها فهل ستصبح دولة فيدرالية تسلب برلمانات وحكومات الدول الأعضاء سلطاتها أم المطلوب

مجرد منطقة تجارة حرة؟

الحدود السياسية:

قضـــية الحدود مسألة متفجرة أخرى فالأقتراحات بإزالة الحدود وحرية الحركة سواء للـــناس أو البضـــائع مرفوضة من بريطانيا، أن الأوروبيين لديهم عادات مشتركة وتقاليد خاصة بالتنقل فيما بين دولهم، أما البريطانيون فلا يشاركون فى هذه التقاليد، وهم يعتقدون أيضـــا أن فـــتح الحـــدود يعنى مباشرة دولة فيدرالية أوربية. ويبدو الإتحاد الأوروبي فى تحـــركاته المكـــثفة مثل قاطرة تتحرك بسرعة لقيادة أوروبا إلى إتحاد سياسي وإقتصادى ونقـــدي لكن المسؤلين عن هذه القاطرة يمتنعون عن القول بأن نهاية الرحلة ستكون دولة فيدرالـــية أو إتحـــادا فيدراليا حتى لا يثيروا عليهم الغبار من نواح عديدة، أخطرها الغبار البريطاني، الذي إشتدت ريحه وينتظر أن تشتد أكثر مع كل توجه جديد فى إتجاه الوحدة.

قضية العملة:

ومع توحد السوق الأوروبية وإزالة الحواجز الجمركية بين الأعضاء منذ يناير ١٩٩٣، كـــان لابـــد من نظام نقدى أوروبي، أى الوحدة النقدية مع الوحدة الإقتصادية وهذا النظام النقدي الأوروبي الموحد الذي سيعتمد على وحدة حسابية *(ECU)* يهدف إلى فتح تسهيلات فـــى المعاملات، وفى عملية تمويل الإقتصاد الأوروبي على نحو موسع، وقد سعت دول الإتحاد الأوروبي سعيا حثيثا لتثبيت شروط إتفاقية ماستريخت لتوحيد العملة فى أول يناير ١٩٩٩ (مـــاعدا بريطانـــيا خاصة حزب المحافظين) ومعنى ذلك أن العملات الأوروبية (المـــارك – الفرنك – الليرة الإيطالية ...إلخ) دخلت متحف التاريخ ، وهم يعتبرون أنه إذا تـــم هذا فسيكون نصرا كبيرا وخطوة رئيسية فى إتجاه الوحدة (بإستثناء بريطانيا التي تعـــارض إخـــتفاء الجنيه الإسترلينى ، وموقفها فى أحسن الأحوال هو لاداعى للعجلة فى توحيد العملة وتتبنى سياسة: فلننتظر ونرى.

وبحلول أول يناير ٢٠٠٢ دخلت عملة ورقية بأسم " يورو " للتداول.

المواطنة:

أن المواطـــنة الأوروبـــية لـــن تلغ المواطنة المحلية فى أية دولة أوربية، وقد أعتبرت رئيسة الوزراء البريطانية السابقة مارجريت تاتشر أن إلغاء الشخصيات الوطنية والقومية لصـــالح المواطنة الأوروبية هو (نوع من الهراء) ذلك لأن الشخصيات القومية المستقلة عميقة الجذور فى القارة الأوروبية.

يقـــول أحـــد المعلقين السياسيين الفرنسيين فى صحيفة "لوفيجارو" أن أوروبا تمر حاليا بأزمـــة حقيقية، وليس هناك مايدعو لإخفاء ذلك أو تمييعه، وأسباب هذه الأزمة هو فشلها فى عدة ميادين أهمها.

ـــ مـــيدان السلام : فمع نهاية الحرب الباردة، وعودة الصراعات للظهور داخل القارة الأوروبية ذاتها، ظهرت أوروبا فى صورة أكثر ضعفا مما كانت عليه فى السابق، والدليل

المؤلم على صحة ذلك هو أن الأمريكيين هم الذين صنعوا السلام فى البوسنة، وليست أوروبا ، والأوروبيون.

– ميدان الرخاء : فمع ٢٠ مليون عاطل بات واضحا أن أوروبا تمر بأزمة إجتماعية وإقتصادية خانقة.

– ميدان الأمن الداخلى : فالمخدرات والجرائم المنظمة، وإستغلال المهاجرين إستغلالا سيئا، كل ذلك جعل المواطنين يشعرون بأن أوروبا هي سبب ظهور كل هذه الأمراض الإجتماعية المركبة.

محطات رئيسية فى مسيرة الوحدة الأوروبية

١٩٤٤ توقيع إتفاقية البنلوكس (هولند - بلجيكا - لوكسمبرج)	١٩٧٣ السماح للمملكة المتحدة والدنمارك وأيرلند بعضوية الجماعة الإقتصادية (الأعضاء ٩).
١٩٤٧ مشروع مارشال لإنقاذ أوروبا	١٩٧٩ الإنتخابات الأولى للبرلمان الأوروبي (لأعضاء ٤١٠) يجتمع فى ستراسبورج.
١٩٤٨ منظمة التعاون الإقتصادى الأوروبية *(OEEC)*	١٩٨١ السماح لليونان بعضوية الجماعة الإقتصادية الأوروبية (العدد ١٠).
١٩٤٩ ظهور المجلس الأوروبي	١٩٨٦ السماح لأسبانيا والبرتغال بعضوية الجماعة الإقتصادية الأوروبية (١٢)
١٩٥١ توقيع إتفاقية جماعة الفحم والصلب *(ECSC)*	١٩٩٠ توقيع أربعة وثلاثين عضوا على ميثاق باريس لمؤتمر الأمن والتعاون الأوروبي.
١٩٥٧ توقيع إتفاقية الجماعة الإقتصادية الأوروبية (روما) الفعالية منذ عام ١٩٥٨ وعرفت أيضا بالسوق المشتركة (عدد الأعضاء ٦) *EEC*	– دخول ألمانيا الشرقية كجزء من ألمانيا الموحدة فى الجماعة الإقتصادية الأوروبية.
١٩٥٧ توقيع معاهدة الجماعة الأوروبية للطاقة النووية *(EURATOM)*	١٩٩٢ إتفاقية ماستريخت للإتحاد الأوروبي فى التسعينيات.
١٩٥٩ رابطة التجارة الحرة الأوروبية*(EFTA)*	١٩٩٣ بدأت فعالية السوق الأوروبية الموحدة (الإتحاد الأوروبي *EU*).
١٩٦٨ إلغاء الحواجز الجمركية بين دول السوق المشتركة.	١٩٩٥ حصول النمسا والنرويج والسويد على عضوية الإتحاد الأوروبي (العدد ١٥).
٢٠٠٤ دخلت عشرة دول وهي : إستونيا، لاتفيا، ليتوانيا، بولند، تشيك، سلوفاك، المجر، سلوفينيا، قبرص، ومالطة (العدد ٢٥)، ومن المنتظر انضمام بلغاريا ورومانيا عام ٢٠٠٧	

أوروبا الغربية عماد الوحدة الأوروبية

سمات عامة:

رغم إختلاف المساحات، وأعداد السكان والحالة الإقتصادية، فإن هناك ما يجمع بين الدول السبع بريطانيا، فرنسا، وألمانيا، وبلجيكا، لوكسمبرج، وهولند، هناك ما تشترك فيه جميعا، وتتميز به عن غيرها، فهي مما يمكن أن يطلق عليه أوروبا الغربية، لأن موقعها الجغرافي قد لعب دورا كبيرا فى تاريخ كل منها على حدة، ولازال يؤثر على علاقاتها وإتجاهاتها، وحتى لوكسمبرج رغم أنها دوقية صغيرة داخلية، فإن إرتباطها الإقتصادى ببلجيكا جعلها تطل على البحر من النافذة البلجيكية.

ويتميز الإقليم رغم صغر مساحته بتنوع فى ظروفه الطبيعي ، فهناك الأراضي السهلية الخصبة إلى جانب المرتفعات الوعرة المغطاة بالغابات النفضية والمخروطية، وإذا كان هناك تنوع ثقافي ناتج عن الإختلاف اللغوي والديني فإن هذه اللغات والمذاهب الدينية ترجع إلى أصول واحدة أو متقاربة ، فضلا عن أن الوعي القومي خفت حدته منذ الحرب العالمية الثانية، وزيادة التجارة والإتصال بين هذه الدول، وإشتراكها جميعا فى مشكلة الدفاع عن أراضيها ضد الخطر السوفييتى، كل ذلك مما قرب بينها.

ويجمع هذه الدول معا وضعها البحري قد يقال أن إسكنديناوه وأسبانيا والبرتغال لها نفس الأوضاع البحرية، ولكن التجارة البحرية لهذه الدول البحرية أقل بكثير من تجارة هذه المجموعة، وإن كانت ألمانيا أيضا لها ساحل شمالي، أستغل إستغلالا تاما، فإن نشاطها وطاقاتها موزعة بين مصالحها البحرية ومصالحها البرية وذلك لموقعها الجغرافي فى وسط أوروبا. على العكس من ذلك نجد بريطانيا، وفرنسا وهولند وبلجيكا قد إستغلت موقعها كجسر فى نهاية كتلة اليابس الأوراسى لا لتصبح من الأمم التجارية الكبرى فحسب، بل لتمثل أكبر أربع قوى إستعمارية كبرى.

التجارية لهذه الدول هو ثبات الأهمية النسبية لها فى التجارة الأوروبية خلال القرن العشرين، فهي معا كانت المسئولة عن نصف حركات الصادرات والواردات للقارة بإستثناء الإتحاد السوفييتى السابق.

على أننا لابد وألا نعزو هذا إلى الموقع الجغرافي وحده، بل يجب أن ندخل فى الإعتبار أيضا التقدم الصناعي والمهارة البشرية.

وكان الفحم أساس المدنية الصناعية التي قامت فى الإقليم سواء لتوليد البخار أو لصهر الحديد. من ثم كانت المملكة المتحدة وفرنسا وبلجيكا وألمانيا من رواد الثورة الصناعية فى أوروبا، لأنهم رواد إستخدام التكنيك الجديد على نطاق كبير، ثم بدأت هذه الدول فى تطوير إستخدام الطاقة بإستعمال البترول، ولذلك إنتشرت مصافي البترول فى موانيها، معتمدة على بترول الوطن العربي فى المرتبة الأولى، وبترول البحر الكاريبي فى المرتبة الثانية، وأخيرا بترول بحر الشمال، لذلك أيضا رسخت التقاليد الصناعية فى أوروبا الغربية وبدأت

بعض مناطقها تتخصص فى صناعة أو أخرى، بل وكانت أوروبا الغربية هي المشتل الذي خرجت منه شتلات الصناعة إلى جهات كثيرة من العالم، حتى الولايات المتحدة الأمريكية.

وكان من بين النتائج السريعة لعملية التصنيع فى أوروبا الغربية، عملية تغير فى الأساليب الزراعية، لقد وصل الإنتاج الزراعي الأوروبي إلى الذروة الأولى مع مطلع الثمانينيات، وأصبح يغطى أكثر من ٨٥% من الإستهلاك الأوروبي، ووصل الدعم المالي الرسمي للمنتجات الزراعية إلى أكثر من ٢٢ مليار مارك فى الميزانية الأوروبية .. ورغم ذلك إستمرت سياسة تصعيد الإنتاج ودعم الأسعار حتى وصل الدعم المالي السنوي حاليا إلى حوالي ٦٦ مليار مارك وبلغ حجم الإنتاج ما يعادل ١٢٥% من الإستهلاك الأوروبي المحلى.

ولم تحمل فرنسا أعباء السياسة الزراعية الأوروبية فقط ، بل حصلت على ميزاتها الرئيسية أيضا، وهي فى الوقت الحاضر دولة صناعية لا يمثل القطاع الزراعي سوى ٣,٥% من الناتج الإجمالي العام فيها، ولكنها أصبحت فى الوقت نفسه فى المرتبة الثانية عالميا بين الدول المصدرة للمواد الزراعية بعد الولايات المتحدة الأمريكية، وبفائض سنوي يتراوح بين ١٣ و ١٦ مليار مارك.

لقد كان من الأهداف الموضوعة رفع دخل الفلاح الأوروبي (حوالي ١٢ مليون نسمة حاليا) لضمان مستوى معيشة له ، يقارب مستوى معيشة من يعمل فى القطاع الصناعى وغيره ، وإنخفض عدد المزارعين فى فرنسا إلى الثلث، وفى ألمانيا إلى النصف خلال العقدين الماضيين من السنوات، ومع ذلك فقد إستمر تضخم الإنتاج الزراعى وإرتفاع قيمته، وهذا ما أدى إلى تركيز الطاقة المالية والإقتصادية تركيزا مكثفا ضاعف مفعولها على الساحة السياسية بدلا من أن ينخفض نتيجة " التناقص العددي ".

لذلك كانت قيمة المستورد من موارد الطاقة والخامات الصناعية يفوق بكثير قيمة المستورد من المواد الغذائية ، ويرجع إلى عدم غنى بعضها بالمواد الخام اللازمة للصناعة بإستثناء الحديد والفحم . فلا تتوفر فيها مثلا الخامات غير الفلزية إلا بكميات قليلة، كما تعانى هذه الدول من النقص الكبير فى زيت البترول بإستثناء بريطانيا، الذي لا تنتج منه إلا نحو ١% من الإنتاج العالمي، وإن كان هناك رصيد من الغاز الطبيعي فى بعضها.

وظلت فيها نسبة إستعمال الآلات عالية بدرجة لا توجد فى جهة أخرى فى العالم إذا علمنا أن مساحة المزارع ليست كبيرة، فبريطانيا وأيرلند هما الوحيدتان التي نجد نصف مزارعهما تزيد مساحته على ١٠ هكتار، بينما يتراوح ثلثي المزارع بين الهكتار الواحد والعشر هكتارات فى فرنسا والأراضي المنخفضة، وفى بلجيكا ٥/٦ المزارع أقل من ١٠ هكتارات. وصحبت عملية التصنيع أيضا الهجرة إلى المدن، نقص سكان الريف، وهذه ظاهرة أيضا فى أوروبا الأطلنطية، فأكثر من نصف سكانها يعيشون فى مدن يزيد سكانها على المليون. ورغم أن زيادة معدلات السكان بوجه عام بدأت تسير ببطء مع نهاية القرن

التاسع عشر، فإن زيادة سكان المدن إستمرت، حتى أن ايرلند هي الوحيدة التي يعيش أقل من نصف سكانها فى المدن. فسكان أوروبا الغربية معظمهم مدنيين أكثر منهم ريفيين، مما يؤدى إلى خلق مشكلات معيشية تواجهها الحكومات المختلفة، وهناك حقيقة أخرى تجمع سكان هذه المنطقة معا وهي إرتفاع مستوى المعيشة بوجه عام بينهم ، فرغم إرتفاع تكاليف المعيشة منذ إنتهاء الحرب العالمية الثانية، وإرتفاع معدلات الضرائب، فإن سكان هذه المنطقة لازالت تغذيتهم وسكنهم أكثر جودة من بقية سكان القارة ، فهم قريبون من سكان كندا أو الولايات المتحدة. ويزيد إستهلاكهم اليومي من البروتين الحيواني بعامة على ٢٥ ، ٣٠ جرام، وهو الرقم الذي وضعه الخبراء كحد أدنى لإحتياجات الفرد اليومية . نحن إذن أمام مجموعة من الدول الأوروبية تتجمع فيها مزايا إقتصادية كثيرة، كما أنها حققت مستويات إجتماعية وحضارية عالية.

كذلك يلاحظ عليها إستقرار نظم الحكم، ففرنسا، وألمانيا، وايرلند جمهوريات، والمملكة المتحدة، وبلجيكا، وهولند ملكيات دستورية، ولكسمبورج دوقية كبيرة، وقد وصلت كل دولة منها إلى أوج نموها، وأصبحت نظمها تحتذى فى جهات أخرى من العالم، كما بدأت طريق الوحدة الإقتصادية، وقد لايمر وقت طويل على وحدتها السياسية . لتقف أمام الخطر الشيوعي.

وتتشابه هذه الأقطار أيضا فى طريق التنمية الإقتصادية، وفى تجارتها الخارجية ونظمها الدستورية ونظمها الحكومية، والأهم من هذا أيضا فى مصالحها سواء الإستراتيجية أو التجارية. إذا إستثنينا لوكسمبرج فكلها لها مصالح عالمية، ورغم الفروقات الفردية بينها فإن أوجه الشبه بينها كبير.

وبريطانيا، وفرنسا، وهولند وبلجيكا وألمانيا لها علاقات عالمية، وذلك لأنها كانت قوى إستعمارية، وكانت الثلاثة الأولى من أوائل الدول المكونة للإمبراطوريات، وأدى هذا إلى تقارب المصالح فيما بينها. بدأت هولند هذا النشاط الاستعماري، ثم إستمرت عليه مملكة بلجيكا وهولند (١٨١٥- ١٨٣٩) ولكن بعد ١٨٣٩ بدأت كل من بلجيكا وهولند يسير كل منهما فى إتجاهه الخاص. وحاولت ألمانيا بناء إمبراطورية إستعمارية، ولكن خاب رجاؤها بعد أن خاضت حربين عالميتين ضروستين.

وأخيرا يمكن أن نجد عاملا مشتركا يتمثل فى أن كل من هذه الدول إستنزفت أموالا وقوى بشرية كبيرة فى محاولة للإحتفاظ بقواها الإستعمارية.

ولا ننسى أن التنافس الحاد بينها أثناء الفترة الإستعمارية أدى إلى إصطدامها بعضها ببعض، فرنسا أيام نابليون فى القرن التاسع عشر، وألمانيا تحت حكم هتلر فى القرن العشرين، كل منها حاول بسط نفوذه على أوروبا، وعلى الجانب الآخر بريطانيا التي يهمها ألا تقع أوروبا تحت سيادة دولة واحدة، كان عليها أن تدخل الحرب للحيلولة دون ظهور هذه السيادة الوحيدة على أرض القارة، وإلا جاء دورها فى الخضوع لهذه السيادة، من ثم إذا كانت العوامل الإقتصادية تعمل على التجاذب، كانت العوامل السياسية تؤدى إلى

التنافس، وظلت الروح القومية لها قوتها وتأثيرها فى الشئون الأوروبية.

ومـــن الواضح أن تقسيم القارة الأوروبية أضاع عليها فرصة بقاء مكانتها فى الشئون العالمية، فلم يحدث منذ الإمبراطورية الرومانية أن توحدت بريطانيا وايبريا وإيطاليا مثلا تحت حكم حكومة واحدة.

بيان مقارنة للثلاثة الكبار فى الإتحاد الأوروبي (معظمها ٢٠٠٣)

البلد	السكان (مليون)	المساحة ألف كم٢	الناتج المحلى بالألف دولار للفرد	% + ٦٥سنة	% العاملون بالزراعة	% الحضر	نصيب الفرد من إنتاج الصلب كجم	عدد السيارات لكل ١٠٠٠ من السكان
ألمانيا	٨٢,١	٣٥٧	٢٥	١٦,٤	٤,٤	٨٦	٦,٣	٤١٥
المملكة المتحدة	٦٠	٢٤٤	٢٤,٤	١٦	١,٩	٧٨	٣٢٨	٣٦١
فرنسا	٥٩	٥٥٢	٢٤	١٦	٥	٧٤	٣٣٤	٣٩٩

الفصل الرابع

ألمانيا - فرنسا - المملكة المتحدة

١ ـ ألمانيا

إن الفاحص لمجموعة من الخرائط التاريخية لألمانيا خلال النصف قرن الماضي حتى وقتنا الحاضر، ليسترعى نظره تقلص حجم وحدة سياسية تعتبر من أقوى دول وسط أوروبا صناعيا وحربيا، وأكثرها عدوانا، فمن مساحة بلغت ١٨١,٦٩٣ ميلا مربعا قبل الحرب العالمية الثانية إلى قطر مقسم، أكبر أجزائه ألمانيا الغربية بمساحة تبلغ نحو ٩٥ ألف ميل مربع، وبعدد من السكان يبلغ نحو ٥٥ مليون نسمة.

وفى الحق ليس هناك أصدق من تعبير طفل (طفل أوروبا الناشز) الذي أطلق على ألمانيا بسبب ما سببته من مشكلات للقارة الأوروبية وللعالم، والواقع أن الحربين العالميتين آلتي مر بهما العالم في النصف الأول من القرن العشرين يرجع إلى عدم رضاء ألمانيا عن وضعها بالنسبة للقوى الإستعمارية الأخرى (فرنسا وبريطانيا)، وقبل ذلك لم تستقر حدود ألمانيا على وضع معين منذ أن تمت وحدتها . بل وقبل الإتحاد النهائي نجد أن الدويلات الألمانية بقيادة بروسيا تشن حربا على فرنسا وتدحرها (١٨٧٠/ ١٨٧١)، وهى منذ ذلك التاريخ، أقوى سياسيا وإقتصاديا من أي من الدول المجاورة، وأدى هذا إلى حصول ألمانيا على مزايا عديدة في تصريف إنتاجها الصناعي الضخم في أسواق الدول المجاورة، وبصفة خاصة هولند ولوكسمبرج والنمسا وسويسرا، وإستطاعت في نفس الوقت الحصول على كثير من السلع كمنتجات الألبان والخضروات والفاكهة والحبوب والحديد الخام.

العلاقات المكانية:

ولعل خريطة الموقع الجغرافي لألمانيا في وسط أوروبا توضح سر الصراع بين الشرق والغرب في المنطقة، فألمانيا في الحقيقة مفتاح غربي أوروبا من ناحية الشرق، كما كانت في الماضي تمثل حدودها الشرقية حدود السلاف، وقبل عام ١٩٨٩ كانت تمثل حدود الكتلة الإشتراكية، من ثم كانت ألمانيا أرض المعارك بحق إذا ما نشب صراع بين الكتلتين المتضادتين، ويذهب الجغرافيون إلى أن هذا الموقع ليس فى صالح الألمان لوقوعهم في وسط أوروبا، على تخوم الشرق والغرب، حيث تختلف المبادئ وتتصارع المذاهب مع عدم وجود حماية طبيعية لها. ورغم أن ألمانيا كانت فيما مضى قوة حربية ضخمة، ودولة عدوانية، ورغم أن ألمانيا لا تستطيع الوقوف وحيدة بمفردها، إلا أنها عادت مرة أخرى لتصبح القطب المغناطيسي الأوربي.

وكان لإحتلال ألمانيا موقعا مركزيا أثاره المتباينة عليها، فوقوع القسم الشمالي كجزء من السهل الأوربي الأعظم جعله في مركز وسط بين شرق وغرب القارة، وأدى هذا إلى عبور الهجرات المختلفة عبر هذا القسم دون حاجز أو عائق يحول دون هذا التوغل ، كما أدى إلى إجتياح العناصر الألمانية للمنطقة، من شرق أوروبا وغربها، وإستمر الصراع

فترات طويلة بين العناصر الجرمانية والعناصر السلافية، ويبدو هذا النزاع في تقسيم بولند عدة مرات وعدم إستقرار الحدود بينهما. وإنتشرت العناصر الألمانية خارج حدود ألمانيا بأعداد كبيرة، تعيش فيها على هيئة أقليات كبيرة. ولا يخلو موقع ألمانيا من مزايا: فهي على إتصال وثيق، بمظاهر التقدم العلمي أتفنى والسياسي الذي ينمو في أي قطر من جيرانها، كما أن سواحلها وموانيها الشمالية تعد منفذا لدول وسط أوروبا، ولذلك فقد ساهمت هذه البلاد بنصيب كبير في تجارة المرور لبعض دول وسط أوروبا كتشيكوسلوفاكيا والمجر والنمسا . وإذا كانت الدانمارك تتحكم في بحر البلطيق ومخارجه، فإن ألمانيا لم تأبه للدنمارك ولم تخشاها. غير أن موقع ألمانيا في نفس الوقت يحسب عليها أيضا لأن معنى الموقع المركزي تعدد جبهات الحرب بالنسبة لها كما حدث في الحرب العالمية الثانية، حينما كان على ألمانيا أن تدافع عن حدودها من الشرق ومن الغرب ومن الجنوب.

قوة ألمانيا:

الواقع أن قوة ألمانيا العسكرية ترجع إلى عاملين رئيسيين هما: قوتها الإقتصادية وزيادة سكانها.

القوة الإقتصادية:

أما من حيث قوتها الإقتصادية، فهي لم تصل إليها إلا بعد مجهودات كبيرة، وبعد التغلب على كثير من العقبات. ففي ميدان **الإنتاج الزراعي** نجد أن تربات ألمانيا إما متوسطة الخصوبة أو فقيرة، ولكن إستطاع الألمان الحصول منها على إنتاج زراعي جيد بحيث إقتربت البلاد من حالة الإكتفاء الذاتي. وتحقيق مثل هذا الإنتاج الكبير من مثل هذه التربات يعتبر فخرا للألمان بفضل إستعمال الأسمدة الصناعية نتيجة لنمو الصناعات الكيماوية. وإذا كان الشيلم والشوفان والبطاطس هي الغلات الرئيسية للسهل الألماني الشمالي، فإن القمح والبنجر تزرع على أطرافه الجنوبية، بينما تزرع الفواكه وبصفة خاصة الكروم في أقصى الجنوب . وتهتم ألمانيا بتربية الماشية إهتمامها بالزراعة بحيث أصبحت أولى الدول الأوروبية في تربية الخنازير بإستثناء الاتحاد السوفييتي. وتأتى في المرتبة الثانية بعد فرنسا في أعداد الأبقار ، وتخصص لها الأقاليم الشمالية السيئة الصرف والتي لا تصلح للزراعة، وكذلك الحال في المرتفعات الجنوبية الوعرة.

وتأخرت **الثورة الصناعية** في ألمانيا، وبدأت بنمو الخطوط الحديدية في الأربعينات من القرن التاسع عشر ، فضلا عن تطور الصناعات المعدنية الثقيلة في حوض الروهر في الخمسينات من ذلك القرن. ولم تتركز الصناعات الألمانية التركز الشديد الذي شاهدته الصناعة البريطانية نظرا لتسهيلات النقل الحديدي ووفرة موارد الماء الجيد. وأمكن لهذه المراكز الصناعية المنتشرة أن تحصل على خاماتها وفحمها بواسطة النقل المائي والبرى، وزاد هذا الإنتشار والتشتت الصناعي في القرن العشرين نتيجة إمكان نقل الكهرباء حتى إلى أبعد قرى الفوج والغابة السوداء.

وتضـم ألمانيا موارد وفيرة من الفحم، بل يعتبر الفحم أكثر مواردها المعدنية ، وأعظم تكويـنات الفحـم البيتومين هي تكوينات الروهر آلتي يمكن لمناجمها أن تعطى نحو ١٢٠ مليون طن من الفحم سنويا، كذلك توجد تكوينات فحم اللجنيت في ساكسونى أي في جنوب ألمانـيا، وإذا كانـت ألمانيا فقيرة في مواردها الحديدية فإنها تستورده من فرنسا والسويد وأسبانيا وشمال أفريقية ، ويأتيها الحديد عن طريق موانى بحر الشمال وموانى هولند، من ثم قامت مصانع الحديد والصلب على ضفاف الراين والمناطق المتاخمة له.

وقـد قامـت قوة ألمانيا الصناعية معتمدة على صناعة الحديد والصلب الضخمة آلتي تتركز معظمها فى حوض الروهر الذي يحتل فى الاقتصاد الألماني مكانة أعظم بكثير من مسـاحته الصـغيرة، وكانـت هـذه المنطقة هي المركز الرئيسي لإمداد ألمانيا بالأسلحة والذخائـر والحديـد والصلب اللازم لبناء الأساطيل ووسائل النقل الحربي فبسلمى. فهي المركـز الرئيسـي للصناعات الثقيلة بل هي بحق ترسانة ألمانيا، يليها فى الأهمية منطقة ساكسونى الواقعة فى جنوب شرقي ألمانيا وتتنوع فيها الصناعات وخاصة الأنواع الخفيفة آلتي تتطلب مهارات كالأجهزة الإلكترونية، والعدسات ، فضلا عن الخزف، والمنسوجات القطنية، والصوفية. وهناك مناطق صناعية متعددة خارج المنطقتين السابقتين ، لعل أهمها تلك المدن الصناعية الواقعة فى أعالي الراين وعلى رافديه المين ونيكر.

وخشيت كثير من الدول هذه القوة الإقتصادية، فخلال الثلاثينات كانت ألمانيا قد بسطت نفوذهـا الإقتصادى على كثير من دول جنوبي أوروبا، كما نمت تجارة ألمانيا مع أمريكا اللاتينية والشرق.

السكان:

وكـان عـدد السكان الكبير من عناصر قوة ألمانيا أيضا، سواء للحصول على الأيدي العاملة أو لحاجة الجيش، ذلك أن ألمانيا تعتبر من أقطار العالم ذات الكثافة العالية. وقد بلغ سـكان ألمانيا الغربية عام ١٩٦٠ نحو ٥٥ مليون نسمة بينما بلغ سكان فرنسا أكبر دولة مجـاورة ٤٧ مليون نسمة، والآن بعد توحيد الألمانيتين بلغ عدد سكان الألمانيتين ما يزيد على ٨٢ مليون نسمة، على حين بلغ عدد سكان فرنسا ٥٩ مليون نسمة عام ٢٠٠٣. وقد عمد النازيون قبل الحرب الثانية على الإكثار من النسل، وأعتبروا هذا من أقدس الواجبات المفروضة على كل آلماني. وتحقيقا لهذه الغاية فرضوا الضرائب على غير المتزوجين من الرجال، ومنحوا الإعانات المالية لأصحاب الأسر الكبيرة، بل واهتموا بتحسين النسل عن طـريق الدراسات الطبية، والحد من النسل غير المرغوب فيه، كما كان ينظر إلى زواج الألمانـي مـن إحدى بنات عنصر آخر وخاصة من المرأة اليهودية على أنه جريمة ضد الدولة. ويتميز الألمان بظهور روح قومية أساسها الأول هو اللغة الواحدة والثقافة الواحدة . والواقـع أن القومية الألمانية بهذا الشكل تنتشر خارج حدود ألمانيا ، نتيجة لموقع ألمانيا كمعـبر للهجـرات، وكدولـة تنقصها الحدود الطبيعية الواضحة فضلا عن تغير حدودها السياسـية مـرارا فى تاريخها الحديث، مما أدى إلى إنتشار العنصر الألماني خارج هذه الحـدود أو تلك. ولذلك لم تقترن ألمانيا فى ذهن الألمان بوطن معين محدد بحدود طبيعية،

بـل إرتبطـت القومية الألمانية فى ذهنه وإنتمائه لشعب من أصل واحد ذو ثقافة واحدة. ومـن ثم قامت فكرة ضم العناصر الألمانية جميعا فى دولة واحدة، وكان هذا أحد الأسس آلتي إعتمد عليها الألمان فى دعامتهم للحرب.

وكانـت زيادة السكان والبحث عن مجال حيوي هي الأساس الثاني الذي إعتمدت عليه السياسـة الألمانـية فى التوسع الخارجي. وفى هذا قال هتلر أيضا فى إحدى خطبه " لقد ظلـت إنجلترا هذه ثلاثمائة عام وهى تسير فى أعمالها مجردة من كل مظهر من مظاهر الفضـيلة، والآن وقـد إسـتكملت نضجها نراها تحدثنا عن الفضيلة ، لقد إستطاع الستة والأربعـون ملـيونا من الإنجليز، فى الفترة آلتي عاشوا فيها مجردين من كل معنى من معانـي العدالة، أن يخضعوا لسلطانهم ما يقرب من ربع مساحة العالم كله، على حين أن الثمانيـن ملـيونا من الألمان قد كتب لهم أن يعيشوا من أجل فضيلتهم مكدسين، كل مائة وأربعين منهم، فى كيلو متر مربع واحد ".

نمو ألمانيا كوحدة سياسية:

تأخـرت الوحدة السياسية فى ألمانيا عن فرنسا أو إنجلترا، فقد تكون اتحاد آلماني عام ١٨١٥ (فـى مؤتمر فيينا) يشمل الولايات الألمانية والنمسا، وكانت السيادة فيه للنمسا، ولكن فى نفس الوقت كانت إمارة بروسيا آلتي تحتل معظم شمال شرق ووسط ألمانيا تمثل قـوة مـتحدية للنمسا فى وسط أوروبا، ثم بدأ الاتحاد النمساوي الألماني فى الإنحلال بعد عقـود مـن مؤتمـر فييـنا لتضم بروسيا الولايات الألمانية تحت جناحها، فقد أدى دهاء بسـمارك إلـى توحيد ألمانيا الجنوبية فى دولة واحدة عام ١٨٧١، وتوج على رأسها ملك بروسيا إمبراطورا باسم وليم الأول.

وكخطـوة أولـى نحو الوحدة بدأت بروسيا بالاتحاد الجمركى ***Zollverin*** عام ١٨٣٣ الـذى إتجه بالولايات الألمانية نحو وحدة إقتصادية خرجت منها النمسا، ثم كانت الخطوة الثانية بمهاجمة بروسيا للدانمرك، وبدأت ولايات أخرى فى الإنضمام إلى بروسيا، ثم بعد ذلـك شنت بروسيا حرب أخرى كانت هذه المرة ضد النمسا، وهبت مرة أخرى الولايات الألمانـية لمساعدة بروسيا، وإنتهت الحرب بهزيمة النمسا وحل الإتحاد النمساوى الألمانى القديـم وتكون إتحاد جديد بزعامة بروسيا ، وقامت بروسيا بحرب أخرى ضد فرنسا عام ١٨٧٠، وإشتركت الولايات الألمانية للمرة الثالثة فى غضون ثلاث سنوات وهزمت فرنسا فـى بحر شهور، وبعد هذه الحرب قررت الولايات الألمانية الوحدة السياسية تحت زعامة بروسيا.

التوسع الألمانى بعد الوحدة:

عملـت ألمانـيا بعد وحدتها على بناء قوتها الإقتصادية فى أوروبا، وبدأت محاولات للتوسع السياسى والإقتصادى، فتقدمت فى ميدان التصنيع بسرعة، كما زاد سكانها من ١٤ ملـيون نسـمة عام ١٨٧١ إلى ٦٥ مليون نسمة عام ١٩١٤ وكان نمو الإنتاج الزراعى والتجارة الخارجية والتسليح مسايرة لهذه الزيادة.

وتحركت ألمانيا بسرعة عبر البحار لتنمية مستعمرات فى المحيط الهادى وأفريقية، وفى أواخر القرن التاسع عشر (١٨٨٠) كان هناك توطن للألمان فى أفريقية، وسرعان ماأعترفت الدول الكبرى بالمستعمرات الألمانية فى جنوب غربى أفريقه وتوجو والكمرون وشرقى أفريقيه الألمانى (تنجانيقا). وضمت فى المحيط الهادى الأجزاء الشمالية من نيوغينيا وجزر سولمون، من ثم كانت تمثل الإمبراطورية الثالثة بعد بريطانيا وفرنسا، وذلك بعدما يقرب من خمسة عشر عاما فقط من وحدتها السياسية.

ودخلت ألمانيا مع النمسا والمجر وبعض دول الوسط الحرب عام ١٩١٤ ضد فرنسا وبريطانيا وحلفائهما، وسلمت دول وسط أوروبا بعد أربع سنوات. وكانت هزيمة ألمانيا فى تلك الحرب أول ضربة للألمان وأول وقف لتوسعهم ، بل على العكس إقتطعت أجزاء منها ضمت إلى الدول المجاورة، كما آلت ممتلكاتها عبر البحار إلى الإنتداب البريطانى والفرنسى وإلى بلجيكا واليابان وغيرها.

التوسع الألمانى الهتلرى : ١٩٣٩/ ١٩٤٥:

لقد عانت ألمانيا لاشك من تسويات الحرب الأولى خاصة، وأنه لم تكن هناك معونات إقتصادية عقب الحرب العالمية الأولى كما حدث عقب الحرب العالمية الثانية، وتولى هتلر الحكم عام ١٩٣٣، وقد إزداد الشعور بالسخط على تسويات الحرب الأولى، وبعد الأزمة العالمية الإقتصادية، فوضع برنامج إحياء قوة ألمانيا الإقتصادية والعسكرية وإستعادة الأقاليم الألمانية المقتطعة ، ولم يكن فى حاجة إلى جهود كبيرة لجمع الألمان حول آرائه بفضل دعاية الحزب الإشتراكى النازى.

وكانت أول الأقاليم التى إنضمت هو السار عندما صوت سكان السار للإنضمام إلى ألمانيا بنسبة ٩ : ١ عام ١٩٣٥، وفى العام التالى بدأت ألمانيا فى تسليح آراضى الراين وكان محرم تسليحها بموجب معاهدة فرساى، ولم يجد الألمان معارضة من جانب الحلفاء ممـا شجعهم على التوسع . ولذلك إحتلت القوات الألمانية النمسا فى فبراير ١٩٣٨ بحجة توحيد ألمانيا والنمسا ***Anscluss*** وإستطاع الألمان إثارة الأقليات فى الدول المجاورة بحجة توحيد وضم الأراضى الألمانية إلى ألمانيا. وضمت ألمانيا إقليم السوديت فى تشيكوسلوفاكيا، وكان به أقلية ألمانية بلغت نحو ثلاثة ملايين فى نهاية عام ١٩٣٨، وبدأت مطالبة بولند بدانزانج والممر البولندى، وإستمر بعد ذلك التوسع الألمانى، ففى مارس عام ١٩٣٩ إحتل هتلر معظم تشيكوسلوفاكيا، وإستعادت ألمانيا ممر من ليتوانيا، وبذلك أصبحت ألمانيا فى يونية عام ١٩٣٩ تضم نحو ٨٦ مليون نسمة، ثم طالب الألمان بضم غرب بولند إليهم وحينئذ بدأت فرنسا وبريطانيا تعارض ألمانيا، وأيدتا بولند فى رفضها لمطالب الألمان، وغزت قوات الألمان بولند فى أول سبتمبر ١٩٣٩ وبعد يومين من هذا الغزو أعلنت فرنسا وبريطانيا الحرب على ألمانيا.

تقسيم ألمانيا عقب الحرب الثانية:

كان لموقع ألمانيا فى وسط أوروبا أثره فى تعدد جبهات الهجوم عليها فزحف الروس

مــن الشرق وزحف الإنجليز من الغرب والأمريكيون من الجنوب، وبذلك إحتلت القوات الإنجلــيزية والأمريكــية ماعــرف باسم ألمانيا الغربية، وإحتل السوفيت مايعرف بألمانيا الشــرقية، وفى يونية ١٩٤٥ عقد مؤتمر بين قوات الإحتلال، وتم الإتفاق فى هذا المؤتمر على تفاصيل سحب القوات الإنجليزية والأمريكية من بعض المناطق المخصصة للروس. كمــا تم الإتفاق على ضمان وصول الأمريكيين والفرنسيين والإنجليز إلى برلين وممارسة حقوقهم فيما يتعلق بالمساهمة فى إدارة الشئون المدنية ، وعقد مؤتمر بوتسدام سنة ١٩٤٥ بين الأقطاب الثلاثة وإتفق على تقسيم ألمانيا إلى الأقسام التالية:

١- منطقة الإحتلال الروسية وشرق ألمانيا يخضع للحكم البولندى، وتضم هذه المنطقة أكثرمــن ثلــث سكان ألمانيا قبل الحرب، وأكثر من نصف أراضيها الزراعية. وكان هذا الجــزء يصـــدر المواد الغذائية إلى مايعرف بألمانيا الغربية . فكان يزيد عن حاجتها ثلث الإنــتاج من الشيلم، وربع الإنتاج من الشعير وخمس الإنتاج من القمح والشوفان ، وثلث الإنتاج من البطاطس ، كما تشمل هذه المنطقة منطقة فحم سيليزيا ومنطقة سكسونيا. وكان هذا الجزء يعتمد فى الحصول على الألات والصلب من المناطق الغربية. وقد منحت بولند فــى هــذا القسم الأراضى الواقعة حتى نهر الأودر، كما منحت أيضا الجزء الجنوبى من بروســيا الشــرقية (سابقا). وأسس الروس فى منطقة إحتلالهم نظاما جديدا يرأسه الألمان تحت إشراف السوفييت. وإتجهت روسيا بألمانيا الشرقية نحو الكتلة الشرقية فى معاملاتها الإقتصادية ثم أعلنت قيام جمهورية ألمانيا الديموقراطية الشرقية فى أكتوبر سنة ١٩٤٨.

وتقرب مساحة ألمانيا الشرقية نحو نصف مساحة ألمانيا الغربية وبها نحو ثلث سكانها، وهــى دولـــة زراعية فى المرتبة الأولى، تنقصها مقومات الصناعة الثقيلة، ولكن مع هذا يمكــن القول بأن تكوينات اللجنيت والبوتاس والأملاح الكيماوية الأخرى فى ألمانيا ماقبل الحــرب تــتركز فى ألمانيا الشرقية، فضلا عن بعض الفحم، مما يكون أساسا للصناعات الكــيماوية، فألمانــيا الشــرقية هى المنتج الثالث للبوتاس فى العالم بعد الولايات المتحدة الأمريكــية وألمانــيا الغربــية، كما إكتشف اليورانيوم وبدأ إستغلاله تحت إشراف الإتحاد السوفييتى.

٢- أمـــا القسم الغربى فى ألمانيا فهو الذى عرف بألمانيا الغربية أو الفيدرالية. وكانت منطقة الإحتلال الأمريكى فى جنوب ألمانيا ومركزها إقليم بافاريا، وتتخذ ميناء برمن الذى يقــع فـــى المنطقة البريطانية منفذا لها. وكان هذا الإقليم بوجه عام يعتمد لسد حاجاته فى المـــواد الغذائـــية على الإستيراد من الخارج . وقد لعب الدولار الأمريكى دورا كبيرا فى إنعاش هذه المنطقة.

وأما منطقة الإحتلال البريطانى فكانت فى شمال غرب ألمانيا غرب نهر الألب وتشمل إقلــيم الروهــر وشـــمال وستفاليا وشمال الراين. ومعنى هذا أنه يضم أعظم أقاليم ألمانيا الصناعية. وهذا الإقليم وإن كان غنيا بالإنتاج الصناعى، إلا أنه يعتمد على الخارج فى سد حاجته من المواد الغذائية.

وأمـــا منطقة الإحتلال الفرنسى فكانت جنوب غربى ألمانيا، وهذا الإقليم يمكنه أن يسد حاجة سكانه الغذائية وتتركز الصناعة فيه فى حوض السار الذى تحدثنا عنه.

هذه الأقسام الثلاثة ــ الفرنسية والإنجليزية والأمريكية تم توحيدها عام ١٩٤٩ فى دولة واحدة هى جمهورية ألمانيا الغربية الإتحادية ومركزها بون. وأصبحت مستقلة تماما ذات سيادة فى مايو ١٩٥٥ مع بقائها ضمن الكتلة الغربية ، وظلت فيها قوات الحلفاء بمقتضى تحـــالف بيـــنها وبين الدول الغربية. فقد ثار الإتحاد السوفييتى على الكتلة الغربية لأن هذا يـــناقض إتفاقية بوتسدام الخاصة بعدم إحياء ألمانيا عسكريا وضرورة نزع سلاحها وإعادة ترتيبها سياسيا. بل أن وزير مالية الولايات المتحدة كان قد إقترح مشروعا فى مؤتمر يالتا لجعلها دولة زراعية، وذلك بحرمانها نهائيا من مصانعها وحديدها وفحمها.

النمو الإقتصادى لألمانيا الغربية:

نمـــا الاقتصـــاد الألمانى، وبصفة خاصة قطاعه الصناعى حتى أصبح يشار إلى نمو الصـــناعة فـــى ألمانـــيا الغربية على أنه " أعجوبة الإقتصاد الألمانى " ذلك أن الصناعة الألمانـــية نمـــت نموا سريعا، فقد إزداد الإنتاج الصناعى الألمانى بمعدل يزيد على ٩٠% بيـــن عامى ١٩٥٠ ، ١٩٦٠، وإحتلت ألمانيا مكان الصدارة بين دول غربى أوروبا، ولم يعادلها فى هذا النمو من الدول الصناعية سوى الإتحاد السوفييتى واليابان.

ويـــرجع هـــذا النمو الصناعى إلى عدة عوامل ، منها المساعدة الأمريكة عقب الحرب الثانـــية، وإن كانت المساعدات التى تلقتها عقب تلك الحرب كانت أقل من تلك التى نالتها بريطانـــيا أو فرنســـا . ويعتـــبر الإهـــتمام بالبحث العلمى عاملا آخرا، كما يتميز الشعب الألمـــانى بإرتفاع قوته الشرائية نتيجة لإرتفاع الأجور وثبات الأسعار نسبيا، ولايمكن أن نـــنكر فـــى هـــذا المجال الجهود الحكومية لتشجيع الصناعة والحوافز الفردية، فقد أزالت الحكومة معظم الحواجز التى تقف أمام التجارة، ووضعت حدا أقصى لضريبة الدخل قدره ٥٣% إذا قورن بالحد الأقصى للولايات المتحدة وهو ٩١%.

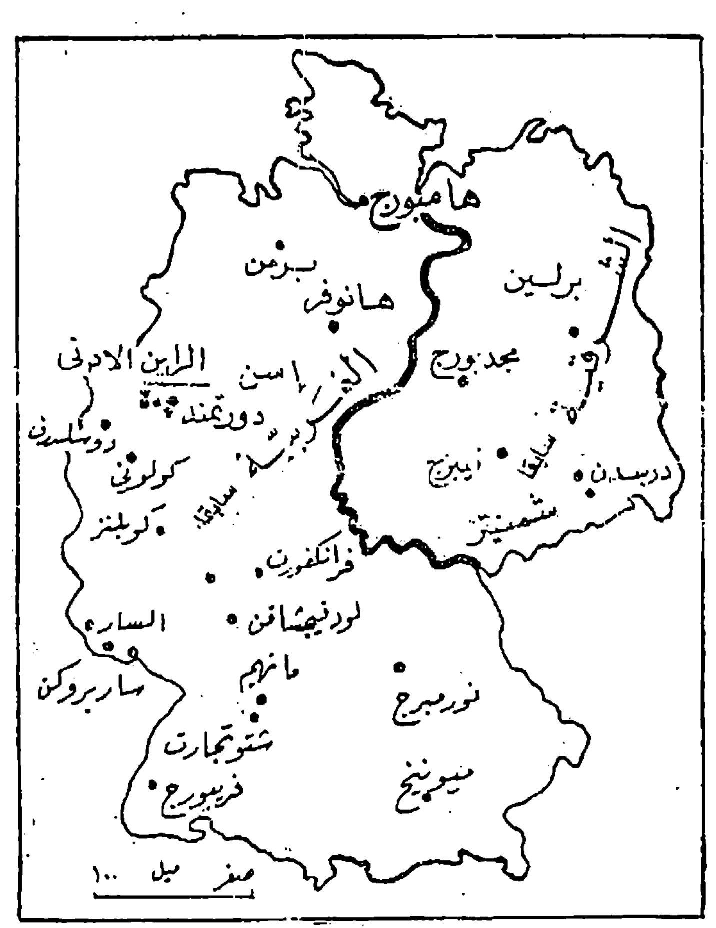
الصناعات الرئيسية:

حيث توجد كنيسة يوجد كاهن ، وحيث توجد آلة يوجد ألمانى (مثل روسى).

تـــأتى الصناعات المعدنية والكهربائية فى مقدمة الصناعات الألمانية، ونظرا لإرتباطها بصـــناعة الصـــلب وبأســـواق التصـــريف، فقد تركزت فى حوض الراين الأدنى والمدن الكـــبرى، وتـــأتى صناعة وسائل النقل كمظهر من مظاهر التقدم الصناعى، كما أصبحت ألمانـــيا الغربـــية المنتج الثالث للسفن فى العالم بعد اليابان والمملكة المتحدة، ويبلغ نصيب نـــاقلات البترول وحدها نحو ثلث الإنتاج الألمانى الذى يتركز فى موانى الألب والفيزر، وبخاصـــة فى موانى همبورج وبرمن وكيل. وإشتهرت ألمانيا بصناعة القاطرات فى إسن وبرليـــن. وكانـــت ألمانيا تتفوق على دول العالم أجمع فى صناعة الطائرات قبل الحرب العالمـــية الثانية، ولكنها حرمت من هذه الصناعة عقب تلك الحرب، غير أنها بدأت عملية

تجميع من القطع المستوردة من الخارج.

وكانـــت ألمانـــيا أولـــى الدول الصناعية تطويرا للصناعات الكيماوية، وقامت صناعة الأسمدة أول الأمر إعتمادا على البوتاس، ثم تطورت صناعة الأصباغ الصناعية من أفران الكوك، ثم صناعة كيماويات التصوير والأدوية، وتتابع بعد ذلك تقطير الفحم والبترول مما أدى إلى نشاط صناعة المطاط الصناعي والبلاستيك وغيرها، وتتركز الصناعات الكيماوية علـــى طـــول وادى الرايـــن حيث يقدم النهر وسيلة رخيصة للنقل ، وتعتبر لودفيجشافن ***Ludwigshaven*** ، وفرانكفورت ***Frankfurt*** ولفركوزن ***Leverkusen*** بالقرب من كولونى أهم مراكز صناعة الكيماويات، بل أن كولونى ذاتها أصبحت مركزا لتكرير البترول.



المراكز الصناعية فى ألمانيا

وتعتـــبر كـــل مـــن الشركات الثلاث الكبرى الألمانية (باير، باسف، وهوكست) أكبر بمقدار ٥٠% من أكبر مؤسسة أمريكية وهى (دى بون).

ويعتبر حوض الروهر أهم مراكز الصناعات المعدنية الثقيلة، فإذا كانت نواة الروهر تسودها الصناعات المعدنية الأولية، فإن هذه النواة محاطة من الشمال والجنوب والغرب بالعديد من المدن التى تقوم فيها صناعة الآلات والمنسوجات وغيرها، فهذا الإقليم ينتج نحو ٩٠% من صلب ألمانيا الغربية، ومايقرب من كل الفحم البيتوميني، ونحو ثلثى صناعاتها المعدنية الكاملة الصنع والنصف مصنوعة، وتظهر إسن ودسلدورف ودورتمند كمدن رائدة فى هذا المجال.

برلين:

إتفق الحلفاء على ضرورة تقسيم برلين فيما بينهم ، فقسمت برلين فعلا إلى : الجزء الشرقى يدخل ضمن منطقة النفوذ السوفييتى. أما المنطقة الفرنسية فتشمل الركن الشمالى الغربى، والمنطقة الغربية هى المنطقة البريطانية والمنطقة الجنوبية الغربية هى منطقة الولايات المتحدة . وبطبيعة الحال الجزء الغربى وهو ماعرف ببرلين الغربية. وقد بنت ألمانيا الشرقية سورا بين برلين الشرقية والغربية، ذلك السور الذى حطم عام ١٩٨٩ وإنسابت عبره الحركة البشرية من الشرق إلى الغرب.

الوحدة الألمانية ١٩٩٠

قال أحد مستشارى المعهد الفرنسى للعلاقات الدولية " قبل توحيد ألمانيا، كان ميزان القوى فى أوروبا غير متساو، ويميل إلى مصلحة فرنسا بشكل واضح ، الآن هو غير متساو ويميل إلى صالح ألمانيا.

فى الرابع من أكتوبر ١٩٩٠ تم رسميا الإعلان عن إعادة توحيد ألمانيا تحت علم واحد لتصبح أكبر الدول الأوروبية سكانا (٨١ مليون نسمة) وبالتالى أكبر بنحو ٢٠ مليون نسمة من أى دولة أوربية أخرى بإستثناء روسيا الإتحادية.

وقد تراوحت ردود فعل دول العالم بين الترحيب الشديد والفتور الكبير ، فقد رحبت به الولايات المتحدة الأمريكية لأنها النهاية الحقيقية للنزاع بين الشرق والغرب، وكذلك رحبت به روسيا، بينما كانت فرنسا وبريطانيا أقل ترحيبا نتيجة خبراتهم السابقة معها.

ولاشك أن إتحاد القسمين الشرقى والغربى معها عام ١٩٩٠، وخلق لألمانيا جديدة تضم أكثر من ٨١ مليون نسمة عام ١٩٩٥. لايخفى أن إتحاد القسمين ترتبت عليه مشكلات خطيرة. ففى بداية التسعينات كان هناك تفاؤل بأن يتم تشرب القسم الشرقى ومشاكله فى عامين أو ثلاثة، ولكن ظهر بعد ذلك أن هذا التشرب والتغلب على مشكلاته سوف يستمر سنوات بعد بداية القرن الحادى والعشرين، وأن هذا سيكلف الألمانيين نحو ٧٥٠ مليار دولار، فالخدمات متدنية فى القسم الشرقى، والمصانع مهترئة، لأن القاعدة الصناعية كانت مهملة بحيث ظهر أن نصفها يجب أن يغلق أبوابه ، لإحلال آلات جديدة محل القديمة، والنصف الباقى فى حاجة الى قطع غيار ، وإنتشرت البطالة مع الخصخصة ، ومن ثم كانت مشكلة تدفق الهجرات من شرقى ألمانيا، إلى غربيها ففى عام ١٩٩٠/ ١٩٩١ هاجر

نحـــو ملـــيون ألمانى شرقى، كما هناك ٣٠٠ ألف يعملون فى القسم الغربى ويسكنون القسم الشرقى.

وكانت ألمانيا قبل الوحدة تعتمد على العمال المهاجرين، ولكن الوحدة الألمانية أدت إلى نـــزوح وتدفـــق الألمان من وذوى الأصول الألمانية من كل شرق أوروبا بما فيها الإتحاد السوفييتى السابق فهؤلاء جميعا لهم الحق فى الحصول على الجنسية الألمانية، وهذا بدوره قـــد إنعكس على المهاجرين المقيمين فى ألمانيا وغالبيتهم من الأتراك، الذين يعتبرون أن هـــذه البلاد وطنهم، ويتطلعون إلى الإفادة من خدمات الرعاية فى الشيخوخة التى يحصل علـــيها الألمـــان، لأنهـــم يدفعون الضرائب المستحقة عليهم وكذلك أنصبتهم من صندوق الضـــمان الإجـــتماعى والشـــيخوخة، لذلـــك لم يكن مستغربا أن يتفاقم التوتر بين الألمان وضـــيوفهم منذ بداية التسعينات، ويظهر اليمين المتطرف أو النازيون الجدد الذين ينظمون المظاهـــرات ضـــد المهاجريـــن واللاجئين، وقذف مراكز إستضافة ومراكز تجمع العمال الأجانـــب بقـــنابل المولوتوف والحجارة. وهكذا بدلا من توقع مشكلة إنكماش العمالة فى التســـعينيات، بات لدى ألمانيا تسعة ملايين عامل جديد ملزمة برفع مستويات دخولهم إلى مستويات الدخول فى ألمانيا الغربية ، كما واجهت أيضا تدفق ملايين من أصل ألمانى من وســـط أوروبـــا وشـــرقيها، وكل هذه الملايين تريد مستويات المعيشة الألمانية على وجه السرعة، ولما كانت ألمانيا الغربية لاتريد أن تفرغ ألمانيا الشرقية من سكانها فليس أمامها خـــيار سوى إتباع سياسات لايمكن أن توصف إلا بأنها التحرك نحو تعمير ألمانيا الشرقية ذاتها.

ألمانيا الدولة الأوروبية الأولى :

قال هنرى كيسنجر:

<u>" إن ألمانيا هى القوة الإقتصادية الأكثر فاعلية فى أوروبا ، وأن على واشنطن تتعامل معها كمدخل للإتصالات مع أوروبا بالضبط كروسيا ".</u>

لســـنوات طويلـــة كانت جمهورية ألمانيا الإتحادية توصف بأنها عملاق إقتصادى وفى الوقـــت نفســـه قزم فى السياسة الدولية، وفى الحق أن الدور الضعيف الذى كان للسياسة الألمانـــية فـــى هـــذا المجال كان نتيجة رفض الدول المنتصرة فى الحرب العالمية الثانية إعطائهـــا أى دور فعـــال فـــى هـــذا السبيل، ولكن ألمانيا خرجت من هذا القيد من خلال إندماجهـــا فـــى المجموعة الأوروبية التى كانت قد بدأت تتشكل، ودخلت ألمانيا فى حلف شـــمال الأطلـــنطى (إتفاقيات باريس ١٩٥٤) ومع بدء سريان هذه الإتفاقيات عام ١٩٥٥، إنتهت سلطات الإحتلال وأصبحت ألمانيا الإتحادية دولة ذات سيادة، وشاركت فى إتفاقية رومـــا عام ١٩٥٧ التى وقعتها ست دول لإنشاء السوق الأوروبية المشتركة، ومن خلال الإقتصـــاد المزدهر والتجارة الخارجية الناجحة ، بدأت ألمانيا تدريجيا تحتل مكانا قائدا فى إطار السوق الأوروبية المشتركة ومقرها بروكسل بدأت بإضافة الدور السياسى الخارجى لوزنها الإقتصادى وهو ماقاد إلى تغيير إسمها من السوق الأوروبية المشتركة (*ECM*) إلى

الجماعة الأوروبية (*EC*)، ثم كان إنضمام ألمانيا إلى الأمم المتحدة عام ١٩٧٣.

فألمانيا اليوم هى قلب أوروبا الموحدة ــ إبتداء من أول ١٩٩٣ ــ بل هى القاطرة الهادرة، التى تسحب وراءها القطار الأوربى بعرباته السريعة الممتازة وعرباته المتهالكة المتلكئة ... وفى هدوء، مضت ألمانيا تتضخم وتتعملق فى كل مجال، وتطورقاطرتها من إستخدام البخار والفحم والكهرباء، قفزا إلى إستخدام الليزر قمة التكنولوجيا الحديثة، وتبنى إقتصادها ومؤسساتها السياسية والفكرية بل والعسكرية ، وتحولت فى أقل من نصف قرن، من الدول المنهزمة الأولى ــ فى الحرب العالمية الثانية ــ إلى القوة الأوروبية الأولى التى يعتقد أنها وليست بريطانيا أو فرنسا أو إيطاليا طبعا المؤهلة لمناطحة المستقبل مع القوتين البازغتين الآن على الساحة، أمريكا واليابان، خاصة بعد إعادة توحيد الألمانيتين ومن ثم التحول إلى أكبر دولة أوربية بكل المقاييس . ورغم العدوات الدفينة والصراعات القديمة والخلافات الجديدة، فإن أوروبا التى توحدت منذ بدايات هذا العام ، تحولقت حول ألمانيا.

مظاهر القوة الألمانية:

إستهلت ألمانيا عام ١٩٩٧ كعضو فاعل فى حلف الأطلنطى . بالخروج من نطاق حدودها إلى العالم لأول مرة منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، بعد أن كابدت كثيرا لتتخلص كثيرا من أوزار تلك الحرب وتبعاتها السلبية الجسيمة ، فمنذ الساعات الأولى للعام الجديد تمارس ألمانيا دورها الإقليمى والدولى كاملا وغير منقوص، بإعتبارها دولة أوربية كبرى عضوا فى الإتحاد الأوربى، وحلف الأطلنطى، فقد إنتشرت قوات عسكرية مقاتلة ألمانية فى أراضى البوسنة ضمن قوات حفظ السلام التى تضطلع بمهمة تحقيق الإستقرار هناك تحت قيادة حلف الأطلنطى، صحيح أن ألمانيا سبق وأن شاركت فى مهمات دولية فى كمبوديا وكرواتيا مثلا، ولكنها كانت تقتصر على تقديم المساعدات الطبية أو نقل المعدات العسكرية، دون أن يكون لها أى مهام عسكرية.

المطالبة بمقعد دائم فى مجلس الأمن:

إصرار ألمانيا على المطالبة بمقعد دائم فى مجلس الأمن على إعتبار أن الصيغ الحالية لمجلس الأمن هى صيغة واقع هزيمة وتقسيم ألمانيا وهزيمة اليابان وإنتصار الحلفاء (أمريكا والإتحاد السوفييتى وبريطانيا وفرنسا) وظهور معسكريين عالميين معسكر إشتراكى بزعامة الإتحاد السوفييتى، ومعسكر رأس مالى بزعامة الولايات المتحدة الأمريكية، وهذا الواقع وهذه الحقائق لم تعد قائمة الأن من ثم لم يعد مقبولا إستمرار نظام لايعكس حقائق الواقع الجديد.

المطالبة بإعتماد اللغة الألمانية كلغة أساسية فى الإتحاد الأوروبى:

مطالبة ألمانيا بإعتماد اللغة الألمانية كلغة أساسية فى الإتحاد الأوربى شأنها فى ذلك شأن اللغة الفرنسية واللغة الإنجليزية، وكذلك مطالبتها بزيادة مقاعدها فى البرلمان

الأوربـــى بسبب إنضمام سكان ألمانيا الشرقية إليها ليصبح لها ١٨ مقعدا (حصة كل دولة فى البرلمان تتوقف على عدد سكانها).

تشكيل جيش أوربى موحد:

تـتفق كـل مــن ألمانيا وفرنسا على أهمية وجود قوة عسكرية دفاعية أوربية موحدة (جيش أوربى موحد) مستقلة عن حلف الأطلنطى، أى خارج السيطرة الأمريكية، ومعنى تشـكيل جـيش أوربى موحد، أن أوروبا وهى فى طريقها إلى التوحد الإقتصادى ووضع صـيغة للـتوحد السياسى تريد أن تخلق لنفسها دورا سياسيا متميزا عن الدور الأمريكى، دورا مستقلا وخارج نطاق السيطرة والهيمنة الأمريكية، وربما يكون دورا منافسا.

إختيار فرانكفورت عاصمة مالية لأوروبا الموحدة:

كانـت ألمانيا أيضا هى الدولة التى فازت بإختيار عاصمتها المالية فرانكفورت لتكون عاصـمة مالية لدول أوروبا التى تمضى على طريق الوحدة، ولم يكن طريق ألمانيا سهلا لإختيار إحدى مدنها الرئيسية كعاصمة مالية لأوروبا الموحدة، ذلك أن حى السيتى الشهير بلندن وهو حى المال والتجارة ظلا ردحا من الزمن هو محور النشاط المالى فى أوروبا، وبالـتالى كـان من المتوقع أن تكون هى لا فرانكفورت مقرا للبنك المركزى الأوروبى، ولكـن المراقبيـن لايـنكرون أن ألمانيا تلعب دور القاطرة بالنسبة للدول الأوروبية فى المـيدان الإقتصـادى، وإن كانوا يخشون مايعنيه ذلك من زيادة قوة ألمانيا، ويخشون من تحـول ألمانيا إلى ممارسة دور الدولة القائد فى أوروبا، خاصة بعد إنضمام النمسا وفنلند والنرويج والسويد إلى إتفاقية الجماعة الأوروبية فيما بعد.

دعم إقتصاديات بعض دول أوروبا الشرقية:

ركـزت ألمانـيا علـى دعم إقتصاديات بعض دول أوروبا الشرقية بعد إنهيار الكتلة الشـرقية على عكس الموقف الأمريكى البريطانى الفرنسى الخاص بإعطاء الأولوية لدعم الإقتصـاد الروسـى، وإخـتلاف الـتوجه الألمـانى عن توجه الحلفاء له علاقة مباشرة بالطموحات السياسية الألمانية، وبالدور السياسى القوى الذى تطمع إليه ألمانيا فى أوروبا، فـدول شرقى أوروبا توجد بها جاليات ألمانية تبلغ نحو ثلاثة ملايين نسمة بعضهم يتطلع إلـى الوطـن الأم، وعندما تقوم ألمانيا بدعم إقتصاديات هذه الدول مثل التشيك والسلوفاك وبيلوروسيا وأوكرانيا ، فأنها تحقق هدفين: أولهما وقف نزوح الهجرة إليها من هذه الدول، وثانـيهما إقامة علاقات وثيقة مع هذه الدول تخدم الزعامة الألمانية، هذا الهدف يتضح فى علاقة ألمانيا مع روسيا حيث تسعى منذ فترة إلى إعادة إحياء (جمهورية الفولجا الألمانية) كجمهوريـة مستقلة أو إقليم للحكم الذاتى داخل روسيا يضم ملايين الألمان الذين يعيشون فـى روسـيا منذ مطلع القرن الحالى، وكان هؤلاء قد إستوطنوا المنطقة الغربية من نهر الفولجـا وحصـلوا علـى حق إقامة كيان إدارى ذاتى، تحول إلى جمهورية مستقلة عام ١٩١٨، لكـنهم تعرضوا للقتل والتشريد فى سيبريا، ومناطق أخرى منذ عام ١٩٤١، وقد سعت ألمانيا إلى إعادة تجميع هؤلاء مرة أخرى فى منطقة الفولجا، وضرورة إيجاد كيان

ذاتى مستقل لهذه الأقلية الألمانية ، ونجحت جزئيا فى هذا.

دعم سلوفينيا وكرواتيا:

ظهر الدور الألمانى فى شرقى أوروبا بوضوح أكثر فى أحداث إنقسام يوغسلافيا، فقد وقفت ألمانيا بكل قوة مع إستقلال سلوفينيا وكرواتيا ، وسبقت الحلفاء فى الإعتراف بإستقلال الجمهوريتين، هذا الحرص الألمانى على سلوفينيا وكرواتيا ودعم الإستقلال يرجع فقط إلى العلاقة القديمة التى ربطت ألمانيا أثناء الحرب العالمية الثانية مع سلوفينيا، حيث حارب السلوفينيون والكرواتيون بجانب ألمانيا عكس صربيا التى وقفت بجانب بريطانيا وفرنسا.

مفهوم ألمانيا للوحدة الأوروبية:

الرعب الذى تعبر عنه بريطانيا تجاه مايعرف بالجماعة الأوروبية " حرف الفاء " يحير الألمان وهم الذى يحمل بلدهم بإفتخار كلمة (الفيدرالية) فى إسمه الرسمى.

وبالنسبة للمسئولين الألمان فإن أفاق أوروبا فيدرالية تستحضر كابوس تحول بلدهم إلى مجرد إقليم يحكمه بيروقراطيون بعيدون فى بروكسل. وفى جمهورية ألمانيا الفيدرالية، فإن الفيدرالية توصف ببساطة نظام حكم لامركزى تحول فيه سلطات كبيرة إلى الأقاليم. ويعتقد الألمان بأن الفيدرالية، التى طبقت فى ألمانيا الغربية منذ عام ١٩٤٩، كانت عنصرا رئيسيا فى إزدهار بون الإقتصادى بعد الحرب العالمية الثانية، وظهورها كدولة ديموقراطية مستقرة. ويريد النظام الألمانى تطوير المجموعة الأوروبية إلى ولايات متحدة أوربية " ترتكز على مبدأين توأمين هما (الفيدرالية) و (اللامركزية) واللامركزية فى المفهوم الألمانى، يعنى أن القرارات ينبغى أن تتخذ على أدنى مستوى سياسى ممكن.

ويعتقد الألمان أنه فى إطار أوروبا موحدة سياسيا فإن الهيئات الفيدرالية التى تعطى الإقليم السيطرة على شئونها المحلية ستكون أساسية لمنع الحكومة من أن تصبح بعيدة جدا . ولايمكن قيادة ٥٠٠ مليون إنسان مركزيا فى بروكسل، ولايمكن بناء أوروبا ديموقراطية إذا لم تبن وفق خطوط فيدرالية، خاصة إذا كنت تريدها أكثر من مجموعة إقتصادية . وتقاليد نقل السلطات فى ألمانيا المعاصرة تبدأ على المستوى المحلى حيث تتمتع بلديات المدن وهيئات الريف بسلطات محددة بوضوح فى مجالات مثل المواصلات العامة، وشق الطرقات، وإدارة المدارس، والمستشفيات.

وعلى مستوى أعلى هناك الولايات الفيدرالية الألمانية الست عشرة، ولكل منها رئيس وزراء وحكومة، وهى تشرف على مجالات هامة مثل الشرطة والتعليم والثقافة والحكم المحلى وحماية البيئة.

والولايات هى المسؤولة عن تنفيذ القوانين التى يسنها البرلمان الفيدرالى فى بون، ولديها أيضا كلمة مباشرة فى الشئون الوطنية من خلال (البانديسرات)، وهو بمثابة مجلس شيوخ فى البرلمان الفيدرالى، ولابد وأن يوافق على القوانين التى تتعلق بمصالح

الولايــات، ونظــرا لــنجاح فيدرالية ما بعد الحرب فى ألمانيا الغربية، فقد وسعت ألمانيا الموحدة هذا النظام لكى يشمل ألمانيا الشرقية، ويعتقد الألمان بأن الفيدرالية لن تفرض بأى حال تماثلا فى القارة، بل ستحافظ على التنوع الإقليمى، كما فعلت فى ألمانيا. وعلى سبيل المثال فإن قانون الإجهاض يطبق فى ولاية بافاريا الكاثوليكية المحافظة بتشدد أكبر بكثير مما هو الحال فى ولاية هامبورج البروتستانتية الليبرالية.

ويقــول الألمــان أن نمــط فيدراليتهم يستقطب إهتماما فى روسيا وغيرها من الدول المــتعددة القوميات وبلدان أخرى تعصف بها توترات إقليمية وعرقية ، وهم يعتقدون بأن إقامــة مؤسســات فيدرالية فى هذه الدول وفى المجموعة الأوروبية ككل، يمكن أن يعطى الأقاليم مايكفى من الإستقلال الذاتى لإجتثاث النزاعات الإنفصالية.

٢ ـ فرنسا

إذا قارنا بين فرنسا وألمانيا فأوجه التناقض بينهما كثيرة، فرنسا دولة قديمة تاريخيا بكل المقاييس من أقدم الدول الأوروبية، فمعظم الأراضى التى تعرف بأسم فرنسا إحتلها الرومان تماما منذ نحو ألفى عام، وإستفاد السكان من الحضارة الرومانية، ثم ظهرت أول هوية لفرنسا عندما تفككت الإمبراطورية الرومانية، ومنذ ذلك التاريخ، عبورا بشرلمان، وبملوك فرنسا، ونابليون كانت هناك فرنسا فى أوروبا، بل وأصبحت لعدة قرون هى منارة العلم والفن والمركز الثقافى للقارة، وكانت باريس بؤرة فرنسا هى كعبة طالبى العلم.

لم يكن هذا حال ألمانيا فخلال الإمبراطورية الرومانية وبعدها، لم يكن هناك دولة فى هذا المكان، وإنما كانت تحتلها مجموعات من السكان يفصلها بعضها عن بعض الغابات، وتطورت سياسيا ببطء، وظلت ألمانيا كدويلات مستقلة ذاتيا لايربطها ببعضها رباط متين، فيها دوينة أو مقاطعة براندنبرج فى الشرق، وبافاريا فى الجنوب، وستفاليا والإلزاس واللورين فى الغرب، هذا فضلا عن بروسيا فى أقصى الشمال الشرقى، والأخيرة هى التى بدأ الإحساس بها كقوة، إستطاعت تهدئة تخومها الشرقية مع الصقالبة وأمكنها القيام بعملية توحيد ألمانيا، وكانت الشخصية البارزة فى عملية التوحيد هو بسمارك والذى إستطاعت ألمانيا تحت قيادته الإنتصار فى حرب السبعين (١٨٧٠ - ١٨٧١) على فرنسا ، وكان هذا النصر كفيلا بتقوية هذا الإتحاد ، وأعلنت الإمبراطورية الإلمانية عام ١٨٧١.

العلاقات المكانية:

تطل فرنسا على ثلاثة مسطحات مائية، البحر المتوسط، والمحيط الأطلنطى والقنال الإنجليزى، بينما تشترك حدودها البرية مع ست دول أوربية، وكان لموقعها فى أقصى غرب القارة الأوروبية، أو بمعنى آخر فى نهايتها أثارة العديدة سواء من الناحية الإستراتيجية، أو من ناحية تكوينها السكانى. فقد أتخذت فرنسا كرأس جسر لغزو ألمانيا فى الحربين العالميتين. وكانت حدودها البرية هى سبب متاعبها، وخاصة فى أجزائها المتاخمة لألمانيا، وشهدت هذه المناطق كثيرا من الغزو والتقهقر سواء من الجانب الألمانى أو الفرنسى، إذ شهدت هذه المناطق ثلاثة حروب كبرى فى ما يقرب من تسعين عاما (١٨٧١-١٩١٤-١٩٣٩).

وكان لهذا الموقع الجغرافى أثره أيضا فى أنها أصبحت مصفاة أوروبا سكانيا، إذ كانت تنتهى إليها الهجرات البشرية الآتية سواء من الشرق أو الجنوب، مما أدى إلى تعدد العناصر التى تسكنها، ولكن طبيعة فرنسا السهلية، والتى لاتظهر فيها الكتل الجبلية إلا فى أطرافها أدى إلى إندماج هذه العناصر وظهور فرنسا كوحدة سياسية منذ زمن متقدم. فلا توجد فيها عزلة تامة بين أقاليمها المختلفة. وقد توافد الفينيقيون والأغريق على جنوب فرنسا منذ القرن التاسع قبل الميلاد، وأنشأ الأغريق مدينة مرسيليا، كما توافد عليها الرومان فى منتصف القرن الأول الميلادى حين غزاها يوليوس قيصر، وأخذ يخضع

قبائلها، واتخذ من ليون عاصمة للرومان حينذاك، ثم أخذت القبائل النوردية ممثلة فى (الفرانك) أو الفرنجة والجرمان فى الإنتشار فيها شمالا. وهكذا تدفقت العناصر المختلفة على البلاد حتى إستطاع الفرنجة الذين أتوا من الشمال وأتخذوا من باريس مركزا لهم – توحيد البلاد، وإذا كانت فرنسا بعد ذلك ظلت نهبا للإنقسامات، إلا أنها إستطاعت الوصول إلى الوحدة مرة أخرى بفضل حكام حوض باريس، ومن ثم أصبح هذا الحوض ذو أهمية خاصة فى تاريخ فرنسا القومى لأنه النواة التى نمت حولها وحدة فرنسا السياسية منذ مايزيد على ستة قرون. ولايمثل حوض باريس نواة فرنسا فحسب، بل هو المركز السياسى والإقتصادى للبلاد بفضل شبكة طرق المواصلات الجيدة التى تربطه بأنحاء البلاد، وبفضل السلطة المركزية الشديدة، وتقسيم فرنسا إلى ٩٠ قسما إداريا لايمكن لأحداها أن يتحدى السلطة المركزية.

إقتصاديات فرنسا:

ونظرا للمنافسة بين فرنسا وألمانيا مدة طويلة من الزمان، نجد أن الأوضاع الإقتصادية فى فرنسا لها أهميتها فى نموها السياسى وفى طبيعة ميزان القوى فى المنطقة، حتى أن البعض يقرن تدهور قوة فرنسا فى القرن العشرين بطبيعة الإقتصاد الفرنسى ، فالزراعة الفرنسية والصناعة الفرنسية تتميزان بوحدات إنتاجية صغيرة ووسائل إنتاجية أقل كفاءة من نظيرتها فى ألمانيا. وما يبذل يدويا فى الإنتاج أكثر مما يبذل مثلا فى الولايات المتحدة الأمريكية أو ألمانيا المنافسة أو بريطانيا، ففى ميدان الزراعة لم تستطع فرنسا لفترة طويلة إستغلال كل إمكانياتها للزراعية رغم ماوهبتها الطبيعة من سهول متسعة وأمطار وفيرة، كما ركزت جهودها فى ميدان الصناعة على الصناعات الخفيفة ولاسيما الكماليات بدلا من الصناعات الثقيلة ، بينما نجد ألمانيا والولايات المتحدة الأمريكية واليابان تركز على الصناعات الثقيلة وبصفة خاصة صناعة الحديد والصلب والصناعات الهندسية والألكترونية.

الإنتاج الزراعى:

وإذا فصلنا فى ميدان الإنتاج الزراعى لنعرف نواحى القوة والضعف ، سنجد أن نسبة الأراضى الزراعية فى فرنسا هى حوالى ٤٠% من مساحة البلاد (٢١٠ألف كيلو متر مربع)، من ثم تزيد عن ضعف الأراضى المزروعة فى ألمانيا، وإن كانت النسبة واحدة تقريبا، كذلك تتميز بأن الأراضى القابلة للزراعة فيها أكبر من أى قطر أوروبى آخر بإستثناء الإتحاد السوفييتى السابق، ولكن مع ذلك فالمزارع الفرنسى إنتاجيته أقل من إنتاج زميله فى الدانيمرك، وهولند، وألمانيا، وبلجيكا، والمملكة المتحدة، فإنتاج الفدان فى بلجيكا أو هولند أو الدانيمرك هو ضعف مثيله فى فرنسا.

ويتميز الإنتاج الزراعى الفرنسى بتنوعه نتيجة لتنوع الظرف الطبيعية فى فرنسا من الهضاب إلى السهول، ومن مناخ البحر المتوسط إلى مناخ غرب أوروبا ووسطها ، كما تتميز المزارع بصغر المساحة، بحيث يمكن أن نقول بأن فرنسا بلد المزارع الصغيرة فى

أوروبا، فيتراوح ٤٥% من مزارعها بين ١٢و٥٠ فدانا ، ٣٥% من مزارعها أقل من ١٢ فـدان، وهـناك تفاوت فى المساحة بين أنحاء البلاد، فالمزارع الصغيرة أكثر إنتشارا فى إقلـيم الـبحر المتوسـط، وفى إقليم الإلزاس واللورين، بينما تنتشر المزارع الكبيرة فى النصف الشرقى من حوض باريس.

وتحـتل فرنسـا المركز الخامس فى العالم فى إنتاج القمح (٤%)، وظل لمدة طويلة الغلـة الأولـى فى فرنسا من حيث المساحة، وتعتبر الدولة الأوروبية الوحيدة التى تكفى حاجاتها من هذه الغلة، كما تحتل المركز الرابع فى العالم فى إنتاج كل من الشعير والشيلم والـبطاطس (٤%)، تحـتل المركـز الثالـث فى العالم إنتاجا لبنجر السكر (٧%)، وخلاصـة القـول إنهـا فى جميع الغلات السابقة تأتى فى المرتبة الثانية إنتاجا فى القارة الأوروبـية بعـد الإتحـاد السوفييتى (السابق)، بينما تتصدر دول العالم جميعا فى إنتاج الـتفاح، وكانـت تحـتل المكانة الأولى فى إنتاج الكروم، ولكن إيطاليا إنتزعت منها هذه المكانة ، ويرجع هذا إلى البرنامج الحكومى الذى وضع لتخفيض مساحة هذا المحصول.

وتميزت الزراعة الفرنسية بعنايتها بالإنتاج الحيوانى حتى غطت نباتات العلف مساحة أكبر من مساحة القمح، وزيادة على هذا تدخل أكثر من نصف الحبوب الزراعية فى غذاء الحـيوان، بـل وقدر أن مجموع المساحات المخصصة للغذاء الحيوانى ضعف المساحات المخصصـة للغـذاء البشـرى، من ثم إحتلت فرنسا المركز الرابع فى إنتاج اللحوم بعد الولايات المتحدة والإتحاد السوفييتى السابق وألمانيا.

وعلـى العموم يمكن القول بأن فرنسا أقرب الدول الأوروبية إلى الإكتفاء الذاتى، وإن كانـت تفتقر إلى المحاصيل المدارية كالقطن والقنب والمطاط، وبدأت مشروعات لزراعة بعض منها كالأرز فى دلتا الرون وفى الأراضى المستصلحة فى اللانج دوك ***Langudoc***، ونجحت التجربة ، وكانت الكمية المنتجة كافية للإستهلاك المحلى، وهكذا إذا كانت ألمانيا وبريطانـيا صـناعيتان فـى المكان الأول، فإن قوة فرنسا فى إنتاجها الزراعى، ففرنسا بأراضيها السهلية الواسعة وتربتها الخصبة ومناخها المعتدل، دون تطرف فى الرطوبة أو الحـراره أصـبحت أوفر من حيث مواردها الزراعية ، ولعل مايعطى صورة أوضح هو مقارنـة الإكـتفاء الذاتـى الفرنسى بإعتماد بريطانيا على إستيراد ثلثى حاجتها السعرية الحـرارية السـنوية على الخارج، وقد كان هذا من عوامل قوتها فى فترات من تاريخها، وإن كـان أيضـا مـن عوامل ضعفها لأن من الصعب تحويل المزارعين إلى الصناعة وأرضهم خصبة ومنتجة ، ويبدو هذا واضحا بمقارنة درجة الحضرية فى فرنسا بنظيرتها فى ألمانيا ، ناهيك عن بريطانيا.

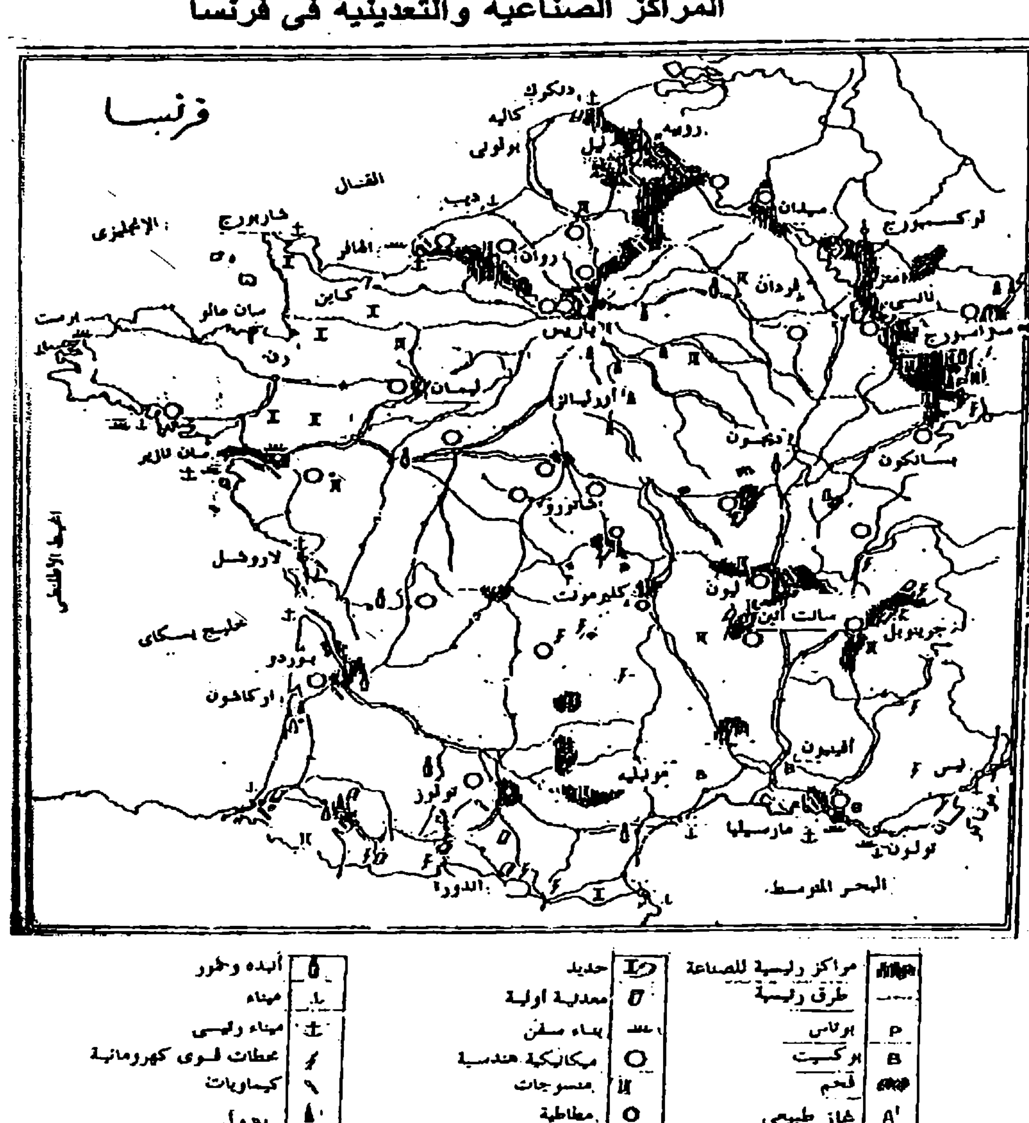
الإنتاج الصناعى:

أمـا فى الميدان الصناعى، فالدليل على عدم التقدم الكبير هو أن نسبة من يعيشون فى المـدن لايـزيد كثـير عمن يعيشون فى الريف . مما يدل على إرتباط الفرنسى بالأرض الزراعـية أكثر منه فى ألمانيا، أو المملكة المتحدة، أو بلجيكا، فالنسبة فى فرنسا (٧٣%

مدن) وفى ألمانيا ٨٥%، فى المملكة المتحدة ٩٠%، بل أن عدد المدن الكبيرة فى فرنسا قليل بالنسبة لعدد السكان، ولاتوجد مدينة يبلغ عددها ١٠ مليون نسمة، فعدم النمو المدنى الكبير دليل على عدم وجود المشروعات الصناعية الضخمة.

ويستدل أيضا على تفوق ألمانيا الصناعى بالنسبة لفرنسا، نصيب الفرد من الصلب إذ يبلغ نصف نصيبه فى ألمانيا. كما تتفوق عليها كل من ألمانيا وبلجيكا وهولند فى نصيب الفرد من الطاقة، ولاتتفوق فى الإتحاد الأوربى إلا على إيطاليا.

المراكز الصناعية والتعدينية فى فرنسا



تتميز المشاريع الفرنسية بأن جزءا من مشاريعها من النوع الصغير والمتوسط، تزيد فيها نسبة المؤسسات الصناعية الفردية أو العائلية عن الولايات المتحدة الإمريكية وبريطانيا، ومن ثم لايمكنها بوضعها هذا المساهمة فى الصناعة الثقيلة الكبيرة الإنتاج، فتتجه نحو الصناعة الخفيفة بوجه عام التى تتطلب قسطا من العمل اليدوى أكثر من

إستعمال الألات الضخمة، ومثل هذا النوع من الصناعات أيضا يعتمد على الكيف من حيث الذوق والإناقة والإبتكار الفنى، مما لاتصلح له الطرق الميكانيكية الحديثة، ولعل الأمثلة عديدة على هذا، وتتمثل فى صناعة العطور ومواد التجميل والدانتلا والحلى والخزف، والأزياء والملابس المصنوعة، وصناعة الأنبذة الذى تعتبر فرنسا أشهر بلد منتج له فى العالم، تستهلك معظمه، وتصدر بعض الأنواع الفاخرة التى تحمل أسماء شهيرة كالشمبانيا والكونياك. مثل هذا النوع من الصناعات الخفيفة الكمالية، لايعتبر كافيا لإعطاء قدرة للمنافسة الإقتصادية والسياسية والعسكرية بين الدول، وبصفة خاصة إذا قورنت بجارتها ألمانيا. ويعزو البعض عدم نمو الصناعة الآلية الضخمة على نطاق واسع فى فرنسا إلى النزعة الفردية عند الفرنسى، الذى طالما فضل العمل بمفرده أو مع بضعة عمال آخرين، وكذلك يرجع إلى قلة رؤوس الأموال، لأن الفرنسى يفضل إكتناز نقوده ولايقامر بها فى الصناعة، كما أن المشروعات الصناعية العائلية لاتبحث عن رأس المال خارج العائلة الفرنسية حتى لاتفسح المجال للغرباء فى المصنع. كما يمكن أن نرجع هذا المظهر أيضا إلى كفاية حاجة البلاد من المواد الغذائية إلى حد كبير، مما أدى إلى عدم وجود الحافز لدى الفرنسيين لقيام إنتاج صناعى كبير. وقد أدى هذا الوضع الصناعى إلى تأميم كثير من المشروعات الصناعية بعد الحرب العالمية الثانية كالفحم والصلب والكهرباء والنقل حتى يتحسن مركز البلاد الصناعى.

التحول الكبير:

وبدأت أخيرا التقاليد الصناعية القديمة فى الإختفاء، لتحل محلها الطرق الحديثة التى تؤدى إلى الإنتاج الكبير، ولأول مرة فى تاريخ فرنسا نجد الصناعة تستخدم عمالا أكثر من الزراعة، فالصناعة الفرنسية أصابها توسع ديناميكى منذ نهاية الحرب العالمية الثانية. وتتركز الصناعات التقليدية فى أقاليم محدودة، ويعتبر السوق العنصرى الرئيسى فى قيام الصناعة فى باريس، بينما جذبت المواد الخام صناعات اللورين كالحديد والأملاح، وقامت الصناعات فى الأقليم الشمالى إعتمادا الفحم، أما فى وسط فرنسا فقد أثرت عدة عوامل فى النمط الصناعى لهذا الإقليم، فبينما خلق الفحم والحديد مراكز صناعية ، نجد أن توليد الكهرباء المائية أدى إلى ظهور الصناعة فى المنطقة الألبية ، على العموم تركزت سياسة الحكومة الفرنسية على التخطيط وتحسين الظروف الإقتصادية لجميع أنحاء البلاد منذ الحرب العالمية الثانية، فمن الأساسيات كان تنمية البنية الأساسية ، والصناعة فى جهات متفرقة من فرنسا، لمواجهة دور حوض باريس المؤثر والطاغى فى شئون البلاد وإقتصادها، فمدت الطرق الجيدة والخطوط الحديدية السريعة لربط الأقاليم المختلفة وخاصة الأطراف بالقلب، كأقليم بريتانى فى الشمال الغربى، وأقليم البحر المتوسط فى الجنوب، وتنميتها لتسهم فى الإقتصاد القومى، وتعتبر الأقاليم الشرقية والشمالية الشرقية القريبة من ألمانيا وبلجيكا وسويسرا وشمالى إيطاليا هى أكثر جهات فرنسا ديناميكية، ويزداد هذا الوضع قوة نتيجة قرب الإقليم من دول الإتحاد الأوربى.

الإنتاج المعدنى:

تتوفر فى فرنسا مقومات الصناعة الثقيلة فلديها مواردها من خامات الحديد والفحم والبوتاس والبوكسيت. ويتبعثر رصيد فرنسا الفحمى فى مناطق متعددة وفى مساحات واسعة، ولكن تعدين هذا من الصعوبة بمكان، فضلا عن كثرة تكاليفه لقلة سمك الطبقات الفحمية، وعدم إنتظامها بسبب الصدوع التى أصابتها، كما ترك كثير من عمال الفحم مناجمهم للبحث عن وسيلة للعيش أفضل فى السنوات الأخيرة، مما أدى إلى نقص كبير فى عمال الفحم، كل هذا أدى إلى أن إنتاج إقليم السار فى المانيا وحده يفوق الإنتاج الفرنسى (٣% من الإنتاج العالمى). ولسوء حظ فرنسا أن معظم فحمها مما لايصلح لصناعة الكوك، مما يجعل من الضرورى إستيراده، وأجريت تجارب عديدة على الفحم المحلى لإنتاج الكوك ونجحت إلى حد ما فى فحم السار واللورين، ومع هذا النجاح بدأت تظهر أهمية حقول اللورين.

ويمكن أن نميز مجموعتين من حقول الفحم، أولهما فى شمال وشمال شرقى فرنسا، وعروقه هنا إمتداد لعروق الفحم البلجيكى، وهذا الإقليم مسئول عن نصف إنتاج فرنسا من الفحم . وثانيهما فى اللورين أى فى شرق فرنسا وهى إمتداد لحقول السار، وهذا الإقليم مسئول عن ربع الإنتاج الفرنسى. أما معظم الإنتاج الباقى فيأتى من هضبة فرنسا الوسطى.

وعملت فرنسا على تعويض نقص إنتاجها الفحمى بتنمية قواها الكهربائية المائية. وتأتى بعد روسيا وإيطاليا فى إنتاج الكهرمائية فى أوروبا، كما لاتتفوق عليها سوى إيطاليا والنرويج من حيث طاقتها الكامنة. وقد إستغلت فرنسا إلى الآن مايقرب من نصف هذه الطاقة الكامنة، وتحتل مرتفعات الألب وهضبة فرنسا الوسطى، والفوج مكانة هامة فى إنتاج الكهرمائية، من ثم إجتذبت صناعات لم يعرفها الجنوب من قبل كصناعة الألومنيوم والصناعات الكيماوية.

وتعانى فرنسا من فقرها البترولى شأنها شأن الدول الأوروبية بعامة، من ثم كان ٩٠% منه مستورد من الخارج، وخاصة من الشرق العربى، كما تعمل فرنسا على كسر إحتكار الشركات البريطانية والأمريكية لإنتاج البترول، وبدأت الشركات الفرنسية تسهم فى الإنتاج فى إيران، والجزائر، وأخيرا فى جنوبى العراق.

ويتركز معظم حديد فرنسا فى اللورين، وتبرز خاماته واضحة على السفوح الغربية لهضبة اللورين المطلة على الموزل، حيث أزالت التعرية النهرية الرواسب التى تغطيها، وتتراوح نسبة المعادن هنا بين ٣٢%، ٤٠% من الخامات، وظلت هذه الخامات حتى أواخر القرن التاسع عشر دون إستغلال لإرتفاع نسبة الفسفور فيها، وعدم وجود طريقة لفصله عن الحديد، غير أن إكتشاف طريقة توماس لفصل الفسفور عن المعدن، أدى إلى أن أصبحت المنطقة منذ بداية القرن العشرين أحد المناطق الرئيسية للحديد الزهر والصلب فى غرب أوروبا، وساهم حديد اللورين بنحو ٩٠% من مجموع إنتاج فرنسا ، وزاد من

اهمية المنطقة أيضا قربها من فحم السار، ولكسمبرج، والروهر، من ثم كانت إحدى الأقاليم التى إجتمع فيها المعدن إلى جانب الوقود ، مما يسر عملية تبادلها. أما بقية مناجم الحديد فأهمها خامات نورماندى وجنوب شرقى بريتانى.

وتتجمع مناجم البوكسيت فى جنوب وجنوب شرقى فرنسا خاصة فى إقليمى بروفانس واللانج دوك، وكانت فرنسا تحتل المكان الأول فى إنتاج البوكسيت، ولكنها تحتل الآن المركز الخامس بفضل نمو إنتاج أقاليم البحر الكاريبى.

وتضم فرنسا رابع منطقة فى العالم منتجة للبوتاس وهى سهول الألزاس وقد زاد إنتاجها على المليون ونصف مليون طن، وتبذل جهود كبيرة لزيادة الإنتاج.

على هذا الأساس نجد المناطق الصناعية فى فرنسا ممثلة فى إقليم اللورين كمركز للصناعات الثقيلة بينما نجد باريس مركز للصناعات الخفيفة، والمنطقة الشمالية الشرقية وخاصة فى ليل مركزا لصناعة المنسوجات الصوفية والكتانية والقطنية، والألزاس مركز صناعة الأسمدة.

سكان فرنسا:

لعل سكان فرنسا من عوامل ضعفها أكثر من قوتها، ولانقصد بهذا عناصر السكان أو لغتهم أو دياناتهم، وإنما نقصد عامل النمو بالذات، ذلك أن فرنسا كما ذكرنا عبارة عن بوتقة صهرت فيها جميع العناصر المختلفة التى دخلتها منذ مدة بعيدة ، وذلك بفضل مساحتها السهلية، وسهولة الإتصال بين أجزائها الموحدة، وإذا كان البعض يميل إلى إعتبار سكان فرنسا لاتينيين، فإن ٩٠% من سكانها عبارة عن كاثوليك، ويتكلم ٩٠% من سكانها أيضا اللغة الفرنسية، ولاتظهر الأقليات اللغوية فيها إلا على هوامشها، فسكان الإلزاس واللورين الشرقى يتكلمون إما الألمانية وإما الإلزاسية وهى لهجة قريبة من الألمانية . كذلك الحال فى القسم الشرقى من الريفييرا الفرنسية حيث يكثر من ينطقون الإيطالية . كما يوجد آلاف من المتكلمين الأسبانية على الحدود الجنوبية لفرنسا فى النهاية الشرقية لجبال البرانس، بينما يوجد شعب الباسك فى النهاية الغربية للبرانس، وهناك فى الشمال الغربى المتكلمين الكلتية أو البريتون. وفى شمالها الشرقى أى فى دنكرك وظهيرها الخلفى فى مساحة بسيطة تغلب اللغة الفلمنكية السائدة فى هولند. ولكن هذه العناصر جميعا لاتمثل شوكات فى وحدة فرنسا السياسية.

والواقع كانت اللغة الفرنسية هى إحدى المقومات الرئيسية التى تجمعت حولها الأمة الفرنسية، وتدل سيادة لغة جزيرة فرنسا ***Ile de France*** كلغة رسمية فى فرنسا على القوة السياسية والثقافية التى كان يتمتع بها حوض باريس أو قلب فرنسا، ورغم هذه اللهجات المحلية الأخرى، فيمكن أن نقول بأن الأمة الفرنسية أمة مندمجة ، ولاتظهر فيها مشكلة واضحة للأقليات، ويرجع هذا إلى أكثر من عامل، منها أن فرنسا تقع فى نهاية اليابس الأوربى، من ثم كانت نهاية لطرق الهجرات، حتى أطلق عليها متحف السلالات لأنها مصفاة للقارة الأوروبية ، ومنها الثورة الفرنسية بمبادئها الحرية والاخاء والمساواة، فضلا

عن الكوارث التى تعرضت لها البلاد جميعاً وخاصة فى القرنين الأخيرين نتيجة لإجتياح الجيوش الألمانية لأراضيها أكثر من مرة.

أما من ناحية النمو فليس من شك أن الأراء متفقة على أن تدهور سكان فرنسا النسبى كدولة كبيرة له علاقة بضعفها وتدهورها كقوة عظمى، وبصفة خاصة إذا ماقورنت بجارتها ألمانيا، ففى عام ١٨٧٠ كان القطران متساويين سكانيا، ذلك أن كل منهما كان يبلغ ٣٨ مليون نسمة، ولكن ضم الإلزاس واللورين بعد الحرب الفرنسية الألمانية أضاف نحو المليونين إلى سكان ألمانيا. فإذا أضفنا قلة التزايد فى فرنسا، كان معنى هذا إتساع الهوة تدريجيا بينهما حتى بلغ عدد سكان ألمانيا قبل الحرب العالمية الأولى ٦٨ مليون نسمة بينما بلغ عدد سكان فرنسا ٤٠ مليونا، مثل هذا الفرق أيضا كان قبيل الحرب العالمية الثانية، وبلغ عدد سكان فرنسا ٤٥,٧ مليون فى عام ١٩٦٠ بينما ألمانيا الغربية وحدها بلغت ٥٥ مليون، ومعنى هذا أن فرنسا زادت بمعدل ٢٢% فقط من سكانها فى مدى نحو قرن من الزمان. هذا البطء فى النمو السكانى كانت أثاره على قوة فرنسا، فهذا العدد فى مساحة فرنسا البالغة ٢١٣,٠٠٠ ميل مربع، معناه كثافة سكانية قدرها ٢٠٠ نسمة للكيلو متر المربع وهو رقم منخفض للغاية بالنسبة لدول غرب أوروبا، ومازال هذا الفرق كبيرا الآن فسكان فرنسا يبلغون نحو ٥٩ مليون نسمة، بينما سكان ألمانيا يبلغون نحو ٨٢ مليون نسمة (عام ٢٠٠٣).

وقد أدى الثبات السكانى أو الزيادة القليلة إلى تدفق العمال إليها من جميع الجهات، ففى الشمال الشرقى تدفق البلجيكيون والهولنديون، وفى الجنوب نجد تيارات الهجرة من أسبانيا عبر البرانس، وكذلك من شمالى أفريقية ودول الفرانكفون الأفريقية بعامة، ومن إيطاليا إلى الريفيرا الفرنسية. وأدى هذا العجز أيضا إلى عدم هجرة الفرنسيين إلى المستعمرات الخارجية. ولكن الأهم من هذا جميعه هو عدم توفر القوى العاملة للإسهام فى ميادين الإقتصاد المختلفة، وخاصة ميدان الصناعة، وفى نفس الوقت أصبحت متخلفة، وعاجزة عن تجنيد أعداد ضخمة من الجنود للدفاع وقت الحرب، كما تفعل ألمانيا المجاورة مثلا.

إستراتيجية الحدود:

قلنا أن حدود فرنسا البرية تمتد مع دول عديدة ، وتشترك فى جبهتها الجنوبية مع أسبانيا حيث يمر خط الحدود بجبال البرانس ، وفى الحقيقة تعتبر جبال البرانس حاجزا طبيعيا هاما وحدا منيعا، ذلك أنها سلسلة متصلة يتراوح عرضها بين ٢٤ - ١٠٠ كيلو متر، وبارتفاع يصل أقصاه إلى ٣٧٠٠ متر ، وإن كانت فى معظمها تصل إلى ١٢٠٠ متر، ولايخترقها سوى ممر واحد هو بريتوس ***Preitus*** الواقع على بعد ٤٨ كيلو مترا من نهايتها الشرقية. وإذا إستثنينا مسالك الرعاة ودروبهم ، نجد هناك ستة طرق للسيارات فضلا عن ثلاثة طرق حديدية تربط جانبى الجبال. ولاتخشى فرنسا هذا الجانب وذلك لوعورة الجبال من ناحية، ومن ناحية أخرى لأنها ظلت تتفوق على جارتها أسبانيا طوال تاريخها الحديث. أما حدودها الشرقية فى جبال الألب مع إيطاليا فهى تشبه البرانس فى إرتفاعها ووعورتها ، فتصل قمة مونت بلان إلى مايزيد على ٥٠٠٠ متر، إلا أنها ليست

صعبة الإختراق بفضل الممرات المتعددة وخاصة ممر مونت سنى. وقد إستغلت الهجرات والغزوات هذه الممرات منذ القدم، وإبتداء من مونت بلان تسير الحدود الفرنسية فى الألب مع سويسرا حتى قرب النهاية الشرقية لبحيرة جنيف، ثم يسير خط الحدود مع الضفاف الجنوبية للبحيرة حتى بالقرب من جنيف التى تتركها داخل سويسرا، ويمتد بعد ذلك لمسافة ٢٤٠ كيلو مترا بموازاة جبال جوارا إلى أن ينتهى إلى الراين. ولاتخشى فرنسا أيضا غزو سويسرا لها ومن ثم كانت آمنة من هذا الجانب أيضا.

أما الجانب الشمالى الشرقى مع ألمانيا ولوكسمبرج والأردين فهو الذى عانت منه فرنسا كثيرا، ذلك أن فرنسا تواجه ألمانيا مباشرة إبتداء من الحدود السويسرية حتى الطرف الشمالى من اللورين، بينما تواجه بلجيكا ولوكسمبرج من الأردين حتى بحر الشمال. وعانت فرنسا الكثير من حيادهما، لأن ألمانيا لم تحترم حيادهما فى وقت ما، فضلا عن أن هضبة الأردين ليست إلا تلالا متموجة بحيث لاتعوق الجيوش، وكان السهل البلجيكى بين الأردين وبحر الشمال أكثر المسالك تعرضا للأخطار لأنه سهل مكشوف، ولاتعرقل كثرة القنوات فيه حركة هذه الجيوش، ومن ثم عبرته الجيوش الألمانية إلى فرنسا مرارا، وكذلك عبرت وادى السامبر والميز حتى أصبحت بلجيكا تعرف بإسم (حلبة الصراع فى أوروبا) والسهل البلجيكى فى وضعه هذا سهل الإتصال بحوض باريس من ناحية، وسهل الإتصال بحوض الراين والروهر والسهل الشمالى الألمانى من ناحية أخرى، ومن هنا كانت خطورته على فرنسا لأنه يؤدى إلى قلب فرنسا مباشرة. هناك مسالك أخرى إلى الجنوب من السهل البلجيكى، وهما بوابة اللورين التى تصل مباشرة بين جنوبى ألمانيا ووسطها وبين القسم الشرقى من حوض باريس، وتقع هذه البوابة بين جبال الفوج وهضبة الأردين وهى عبارة عن أراضى واسعة متموجة، تحركت عبرها الجيوش كثيرا، والبوابة الأخرى هى بوابة بلفور أو بوابة بورجندى وهى ممر منخفض لايتجاوز عرضه بضعة كيلومترات، تسهل الإنتقال من جنوب غربى ألمانيا وسويسرا إلى كل من وادى الرون والساؤن وحوض باريس.

ماذا تريد فرنسا على المستوى الدولى؟

تريد فرنسا على الصعيد الدولى أن تكون ملاذا للدول التى تحاول التملص من الهيمنة الأمريكية، وإن تقدم نموذجا مختلفا عن النموذج الأمريكى، وترى فرنسا أن الولايات المتحدة الأمريكية تعتبر نفسها زعيمة العالم، والقطب الأوحد فى كل مكان، وهذا حقها، لكن المشكلة أن الولايات المتحدة تعتبر من ليس معها، دون تحفظات خصما أو عدوا لها، وأن ينبغى على الجميع إتخاذ مواقف موحدة إزاء المشكلات، وأن يوافقو على ماتتخذه من أراء وإجراءات، وفى الواقع أن إستراتيجية الولايات المتحدة الأمريكية فى أوروبا تكاد تخنق فرنسا، وذلك بتوسيعها حلف الأطلنطى ليشمل أوروبا الشرقية والوسطى، ألمانيا بالهيمنة الإقتصادية فى المنطقة تصديرا وأستيرادا وتكنولوجيا، وبالتالى تنفرد ألمانيا فى مجالها الحيوى القديم، من ثم كانت معارضة فرنسا لأنها تريد عالما متعدد الأقطاب من هذه المواقف المعارضة.

إنسحاب فرنسا من قوة المراقبة الجوية فى العراق:

بــدأ عام ١٩٩٧ منذ يومه الأول بنقطة خلاف بين الولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا، عندما إستهلت قوة المراقبة الجوية عملها فى شمالى العراق فى غياب فرنسا التى رفضت المشــاركة فــى هــذه العملية، برغم إلحاح الولايات المتحدة عليها، وكانت فرنسا تشارك الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وتركيا فى عملية (توفير الأمان) التى بدأت عملها بعــد حرب الخليج من أجل حماية الأكراد الذين تعرضوا بعد الحرب لعمليات قمع عنيفة من قبل النظام العراقى.

وكان القرار الفرنسى بالإنسحاب من قوة المراقبة فى شمالى العراق بمثابة أول تصدع للجــبهة الغربية المناهضة للنظام العراقى، ووجهت الأوساط الأمريكية مرة جديدة أصابع الإتهــام إلـــى بـــاريس على أساس أن المصالح المالية والإقتصادية هى التى تملى سياسة فرنســا إزاء العـــراق، فقبل إندلاع أزمة الخليج كانت فرنسا هى الشريك التجارى الأول للعـــراق، وكانت تمده بالأسلحة الحديثة، وتستورد منه البترول، ومن المؤكد أن الشركات الفرنســية الكبرى قد عانت كثيرا من إغلاق السوق العراقية التى كانت تمثل متنفسا هاما للمنتجات الفرنسية، ومن بينها السلاح.

قضية الأمين العام للأمم المتحدة ، وقيادة حلف الأطلنطى:

وبالإضافة لهذه النقاط المتعلقة مباشرة بالشرق الأوسط كانت هناك نقاط إحتكاك أخرى بين باريس وواشنطن حول قضايا تمس من قريب أو بعيد منطقة الشرق الأوسط.

وكانت أولى هذه النقاط قضية إنتخاب الأمين العام للأمم المتحدة الذى أصرت الولايات المــتحدة الأمريكية على إستبعاده فى الوقت الذى كانت تتمسك فيه فرنسا بولاية ثانية له، ورغم تنازل فرنسا أخيرا عن المعارضة، فقد أثبتت وجودها . لكن نقطة الخلاف الرئيسية والــتى مازالــت مطروحة هى إصرار فرنسا على أن يتولى قيادة القطاع الجنوبى لحلف الأطلــنطى عسكرى أوروبى، أما الولايات المتحدة فتصر إصرارا شديدا على أن يستمر تقليد تولى ضابط أمريكى كبير هذه القيادة التى تتخذ مقرا لها مدينة نابولى فى إيطاليا.

وفى هذا المجال تتفق فرنسا وألمانيا على ضرورة أن تكون هناك قوة أوروبية مستقلة عن حلف الأطلنطى تماما.

الفرانكفونية منظمة سياسة دولية:

يقصــد بدول الفرانكفون، تلك الدول التى تتحدث اللغة الفرنسية لغة رسمية لها وحتى إلـــى جانب فرنسا، المستعمرات الفرنسية سابقا، والتى نالت إستقلالها، وقد أرادت فرنسا تجمــيعها على نظام الكمنولث البريطانى، ومن ثم لايجمعها جوار جغرافى أو تقارب فى المستوى الإقتصادى، وإنما وحدة اللسان، وبالتالى فهى أقرب إلى التجمع الثقافى للمثقفين، ثم تحولت عام ١٩٧٠ إلى وكالة للتعاون الثقافى والتكنولوجى، وزاد الإهتمام بهذا التجمع فــيما بعــد حيــن ظهرت لأول مرة عام ١٩٨٦ منصب وزير للفرانكفونية خصصت لها

ملــيارا و ٧٥٠ ملــيون فــرنك ، فكان هذا إيذانا بتأسيس الفرانكفونية، لأن لو كان الأمر يقتصر على زيادة الإهتمام الثقافى لكان فى الإمكان إنشاء وكالة أو إدارة كبيرة فى وزارة الثقافة الفرنسية لهذا الغرض، من ثم أرادت فرنسا لهذا التجمع الذى يضم نحو ٣٥٠ مليون نســمة أن يكــون له صــوت مســموع فــى المساحة الدولية وإنشاء تيار مناهض للتيار الأنجلوساكســونى. تجتمع تحته كل الدول العازفة عن الهيمنة الأمريكية على العالم ، وقد تجلــى هــذا فى قضية معارضة فرنسا ومع دول الفرانكفون لقضية إدراج السلع الثقافية ضــمن إتفاقية التبادل الحر، وأصرت على أن هناك خصوصية ثقافية تعبر عن هوية كل دولة ، وإذا كانت هذه المعارضة لم تقتصر على دول الفرانكفونية فقط ، فقد كانت نواتها.

التعاون مع الصين وروسيا:

وفــى ظــل الإختــناق التى تحس به فرنسا من سيطرة ألمانيا على الإتحاد الأوربى، ومــوالاة بريطانــيا للولايات المتحدة الأمريكية نجد الرئيس الفرنسى يفعل مافعله الرئيس الروســى بتوطيد العلاقات مع الصين، ويدعو أوروبا لتوسيع حوارها مع الصين ووصف الصين بأنها الدولة التى ستقرر إتجاه القرن الواحد والعشرين، وأنه يتعين مشاركة الصين فــى النظام العالمى المتعدد الأقطاب، وأن فرنسا تدعم خطوة بكين لدخول منظمة التجارة العالمــية، ثــم إنــتقل إلــى روسيا ليقوم بنفس الدور لزيادة التعاون معها، كل ذلك حتى لايفرض على العالم وبالأحرى فرنسا النظام الأمريكى الأحادى القطبية.

٣ ـ المملكة المتحدة

معالم رئيسية:

لابد قبل أن نبدأ الجغرافية السياسية للمملكة المتحدة من إيضاح بعض المعالم الرئيسية، لذلك الأرخبيل الذى يقع قريبا من الشاطئ الغربى لأوروبا. فالجزيرتان تشملان: الأولى إنجلترا وويلز وإسكتلند، والثانية ايرلند بالإضافة إلى جزر عديدة متناثرة، وتؤلف جميعها الجزر البريطانية ولكن هذه المنطقة الجغرافية ليست وحدة سياسية، بل تخرج منها جمهورية ايرلند، ولايبقى فى ايرلند تابعا للملكة المتحدة سوى الجزء الشمالى الشرقى الستر بل أن شمالى ايرلند فى حد ذاته له مجلس عموم ومجلس شيوخ وحاكم يعينه التاج البريطانى. وهذا البرلمان لديه جميع المسئوليات إلا فيما يختص بالعلاقات الخارجية، والدفاع، والخدمات البريدية، فضلا عن أن شمالى ايرلند يرسل إثنا عشر ممثلا له فى مجلس العموم البريطانى.

وأما سكوتلند، وويلز ، فهما أكثر إندماجا مع إنجلترا سياسيا، وكل منهما ممثل بعدد مناسب فى البرلمان البريطانى، ولو أن ويلز تطالب بأن يكون هناك وزير دولة لها. وهناك أيضا جزيرة مان وجزر القنال الإنجليزى التى تمارس حكمها داخليا.

وأما جمهورية أيرلند فهى فريدة فى وضعها . فبعد معاهدة إنجلترا وايرلند عام ١٩٢٠ أصبحت هذه الجمهورية تتكون من ٢٦ مقاطعة. وبقيت على الحياد خلال الحرب الثانية . وكان هذا من الأمور التى أغضبت بريطانيا. كما إنسحبت أيضا من الكومنولث، ولكن بدون أن تصبح دولة أجنبية. فسكان ايرلند لايعتبرون غرباء فى المملكة المتحدة. كما أن تجارة ايرلند لها الأفضلية فى الأسواق البريطانية.

لماذا كانت بريطانيا هى الناشز الأكبر فى الجماعة الأوروبية؟

تعتبر المملكة المتحدة أكثر أعضاء الجماعة الأوروبية شغبا، ومن أقلهم رغبة فى الإندماج والذوبان فى الجماعة ، ومحاولة الإحتفاظ بشخصيتها مستقلة وبعلمها وتاجها وعملتها، رغم علمها بأنه لاإستمرار لها إلا فى داخل الجماعة الأوروبية، عكس الحال مثلا فى حالة فرنسا وألمانيا وهولند وبلجيكا ... إلخ.

ألا يدعونا هذا إلى التساؤل عن سر هذا العضو النافر ؟ وألا يدعونا هذا مرة أخرى إلى العودة إلى الجغرافيا لترديد العبارة المشهورة التى تصفها " بريطانيا فى أوروبا ولكن ليست منها " ***Britain is in Europe, But it not of it.***

فبريطانيا لم يدخلها غازى منذ عام ١٠٦٦ ، وكانت البحار حولها وبحر المانش ــ رغم ضيقه ــ بمثابة الغلاف الواقى، وقد يقوم نفق المانش الذى مُدّ بينها وبين فرنسا أخيرا إلى سهولة وتدفق الحركة بين القارة (كما يسميها الإنجليز) وبين الجزيرة البريطانية.

وشهرة بريطانيا الحالية بإعتبارها الصوت الناشز فى أوروبا ربما ينبع من عقلية الإنعزال فى جزيرة، كما فى قرون من الصراع مع فرنسا، وبروسيا، منافستيها التقليديتين

من أجل الهيمنة الأوروبية.

وقد أعطى الملك هنرى الثامن مثلا على الإنشقاق عندما خرج على أوروبا الكاثوليكية عام ١٥٣٤ ليؤسس الكنيسة الإنجليكانية وذلك بعد أن رفض البابا السماح له بطلاق أولى زوجاته الست.

وبريطانيا بإمبراطوريتها الشاسعة التى بنتها لتدعيم تجارتها ، كانت تقيم تحالفا من أجل مواجهة طامحين لبناء إمبراطوريات من أمثال نابليون وهتلر. ولكنها لم تشعر بحاجة تذكر لحشد موارد من أجل أى شئ آخر.

وما يزال الكثير من البريطانيين اليوم غيورين على هويتهم الوطنية، وهم يخشون من أن تعتنى أوروبا فيدرالية شطبا لماضيهم البطولى . ويقولون أنه من الحماقة بالنسبة لأوروبا أن تقفز إلى المجهول، وتتجاهل دروس التاريخ التى علمتها أن القومية تصدع الإمبراطوريات، ومهما كانت إندفاعة التكامل قوية، فإن هنالك تخوف بريطانيا من قوة ألمانيا الموحدة، ومن إمكاناتها الإقتصادية والمالية ويعتبر قسم كبير من حزب المحافظين الحاكم فى بريطانيا أن العملة الأوروبية الموحدة سوف تكرس زعامة ألمانيا القارية، وهذا مايتوجس منه البريطانيون خيفة مع إسترجاع ذكريات الحربين العالميتين ودور ألمانيا القومية فيها.

والعامل الثانى الذى يخيف البريطانيين هو قيام تحالف ثنائى بين ألمانيا وفرنسا من خلال " أوروبا الصغرى " وإيجاد نواة عسكرية لجيش أوربى موحد، ومن خلال معاهدات ثنائية بين الطرفين من شأنها الضغط على الدول الأوروبية المجاورة، وإضعاف النفوذ البريطانى الذى مايزال يستند إلى إرستقراطيته التاريخية المعروفة. ومن المعروف أن الحكومتين الألمانية والفرنسية دعتا إلى تشكيل نواة عسكرية مشتركة من ٣٥ ألف رجل تساعد على قيام قوة عسكرية أوروبية كبرى بموافقة قيادة إتحاد دول أوروبا الغربية، وتذرعتا بإمكانية التنسيق مع قوات الولايات المتحدة الأمريكية الموجودة فى أوروبا من خلال حلف الأطلنطى.

وهكذا فقد دفع الخوف من الألمان بريطانيا، إلى التشبث بمظلة الأطلنطى، وصون وأحياء المحور بين لندن وواشنطن، وهناك مجموعة من الأسباب يمكن أن تفسر هذا المنهج البريطانى فى التعامل مع موضوع حلف الناتو، أو السياسة الدفاعية لأوروبا يمكن إختزالها فى آليه واحدة تحكم الموقف البريطانى ومؤداها أنه كلما إبتعدت بريطانيا عن أوروبا، إقتربت من الولايات المتحدة الأمريكية، والعكس صحيح، وتعتقد الغالبية بأن الإندماج فى أوروبا سيكون مسمارا نهائيا فى نعش الوطنية والمصالح البريطانية ، فقد كان طبيعيا أن تلتصق الحكومة البريطانية بفكرة المحورالأمريكى / البريطانى، كبديل يعصم من الإنزلاق أكثر فأكثر إلى الإندماج فى وحدة أوربية.

الماضى العتيد:

فمنذ مائة عام ، كانت بريطانيا تحتل مركز الزعامة فى الصناعة والتجارة وفى القوى الحربية . فكانت تنتج نحو نصف الحديد الزهر فى العالم وكانت تمول مشروعات عديدة ومختلفة لافى الجزر البريطانية فحسب بل فى مناطق أخرى . وكان الشعب الإنكليزى يتغنى:

Beautiful England on her island throne ,

Grandly she rules, with half the world her own ,

From her vast Empire , the sun n'er departs ,

She reigns a queen , Victoria queen of hearts .

ومنذ ثلاثة أرباع قرن أى مع بداية الحرب الأولى، كانت بريطانيا تمثل مركز الزعامة العالمية، وكانت لندن تمثل أعظم عاصمة لإمبراطورية فى التاريخ.

أهمية المملكة المتحدة كقوة عالمية كانت ترجع فى معظمها إلى قوتها الصناعية . فالحقيقة أن كثيرا من الصناعات والمخترعات الحديثة التى ساعدت على النموالصناعى فى العالم بدأت فى بريطانيا ، فمركز الرعاية الذى إحتلته فى القرن الثامن عشر حافظت عليه فى القرن التاسع عشر ، وساعد على هذا أيضا أن الحروب التى إجتاحت أرض القارة مابين ١٨٨٩ - ١٩١٨، عصفت بإقتصاديات القارة، وحالت دون تمتع القارة بهذه الخبرات الفنية والآلات الحديثة فترة طويلة، من ثم كان إحتلال المملكة المتحدة لمركز الصدارة فى ميادين الصناعة وتمويل المشروعات فى جميع أنحاء العالم فى منتصف القرن الماضى . ولعل إنتاج الحديد الزهر قد يساعد إلى حد كبير على بيان قدرة الدولة أو طاقاتها فى الصناعة الثقيلة ، وفى العقود الأخيرة للقرن التاسع عشر وفى أثنائها إستخدمت كميات كبيرة فى الصلب. ولكن قبل هذا التاريخ كان إنتاج الصلب قليلا للغاية. وكانت بريطانيا هى الدولة الأولى التى إستعملت فحم الكوك بدلا من الفحم النباتى لإستخراج الحديد، لذلك إرتفع إنتاج بريطانيا من الحديد الزهر فى القرن التاسع عشر. وفى الفترة ١٨٥٠ـ ١٨٧٠ كانت تنتج ٥٠% من الحديد العالمى، بينما لم يكن لديها فى تلك الفترة أكثر من ٣% من سكان العالم. وفى عام ١٨٥٠ أنتجت ٢,٥ مليون طن من مجموع الإنتاج العالمى وهو مليون طن، وفى عام ١٨٧٠ كانت بريطانيا تنتج ٥٠ % من حديد العالم.

أما الآن فيبلغ إنتاجها من الحديد الزهر نحو ٧% فقط من الإنتاج العالمى ، كما بلغ إنتاجها من الصلب ٣% أو أقل من نصف إنتاج ألمانيا وأقل قليلا من إنتاج إيطاليا.

تقهقر الصناعة البريطانية التقليدية وظهور الصناعات الجديدة:

ويظهر تقهقر الصناعة البريطانية أوضح مايكون فى صناعة الصلب، فقد تكاثفت أمراض الصناعة فيها من إرتفاع التكاليف وتخلف تكنولوجى، فيما يختص صناعة السفن

الـــتي تركزت فى مصبات التيمز والتامن وكلايد، فقد كانت بريطانيا سيدة البحار من هذه الناحية أيضا حيث كانت ترسانات موانيها تمد العالم بأكثر من نصف سفنه، ولكن المنافسة الثقـــيلة من اليابان وألمانيا الغربية والسويد إقتطعت لنفسها حجما كبيرا من السوق العالمية لهذه الصناعة، وتحولت بعض هذه الترسانات لصناعات إجهزة وألات الحفر والبحث عن البترول.

وكانت صناعة المنسوجات القطنية صناعة بريطانية رئيسية بفضل قطن المستعمرات، والظـــروف المناخـــية المواتـــية للصناعة فى بعض أجزاء بريطانيا، ولكن هذه الصناعة واجهـــت منافسة عاتية من الصناعات المماثلة فى جنوب شرقى أسيا ، مما ضمرت معه نسبة صادرات بريطانيا من تلك السلعة، التى ظلت تمثل مكانا رئيسيا فى قائمة الصادرات البريطانـــية منذ آواخر القرن التاسع عشر حتى الحرب العالمية الثانية، غير أن الصناعات الصـــوفية إحتفظـــت ببعض مكانتها، وهى التى إعتمدت على الصوف ، والفحم المحلى، والمهـــارات، والخـــبرات الطويلة للسكان فى برادفورد وليدز وهدرزفيلد وغيرها، رغم المنافسة الحادة من مثيلتها الأجنبية ومع ذلك فيمكن القول بأنها تأثرت بدورها وإن بدرجة أقل.

وكانـــت نتـــيجة تأخر الصناعات البريطانية بالنسبة لمثيلاتها فى اليابان وألمانيا بصفة خاصـــة له أثـــره فى بطء نسبة النمو الإقتصادى وإرتفاع معدلات البطالة، وغلق كثير من مصـــانع السيارات، والصلب، والمنسوجات، بعد إفتتاح المصانع الأجنبية، بل أن رؤوس الأمـــوال البريطانية بدورها ترك جزء منها بريطانيا ليعمل فى العالم الثالث حيث الأجور المنخفضـــة، وإنعـــدام الإضـــرابات العمالية، والربح الأوفر، مما أدى إلى ضعف القدرة التنافسية للسلع البريطانية.

هكـــذا ضاعت ميزة الأولوية نتيجة تقدم الدول التى دخلت هذا الميدان متأخرة، تقدمت علـــى بريطانيا مساحة وسكانا وموارد، وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية، واليابان، وقد اســـتدركت بريطانـــيا أخـــيرا الموقف، واتخذت إجراءات مختلفة، وقامت بتسهيل دخول الاستثمارات الأجنبية إلى حيث ف الصناعة البريطانية، فهي تستحوذ الآن على ٤٠% من الاستثمارات الأمريكية في الخارج، ٥٢% من الاستثمارات الألمانية، وقامت فيها كثير من الصناعات التي لا تعتمد على الفحم كالإلكترونيات والأجهزة الدقيقة والسيارات إلى جانب صناعاتها التقليدية ([1]).

هبوط النمو السكانى:

ونظـــرا لضيق الفجوة بين المواليد والوفيات خلال العقود للألمانيتين الماضيه، هبط النمو السكانى تدريجيا، بينما نجد أن معظم مناطق العالم الأخرى يعيش مرحلة إنفجار سكانى، من ثم إذا كـــان ســـكان بريطانيا يمثلون الآن مايقرب من ١,٣% من سكان العالم، فقد كانوا يمثلون

---

(١) راجع كتابنا أوروبا الجديدة، الأنجلو المصرية، ٢٠٠٤.

عند مطلع هذا القرن ٢,٥% من هؤلاء السكان، وهذا فى حد ذاته من عوامل تدهور بريطانيا.

إختفاء المستعمرات:

وأدى إستقلال المستعمرات إلى إختفاء الإمبراطورية البريطانية، بعد أن كانت أملاكها تمتد فى آسيا وأفريقية، وقد بدأت عملية التفكك منذ مايزيد على قرن من الزمان، بدأت بمنح كندا الإستقلال الذاتى عام ١٨٦٧، وتلاها أستراليا ونيوزيلند وجنوب أفريقيه مع مطلع هذا القرن، ناهيك عما حدث بعد الحرب العالمية الثانية، والفرق بين المجموعة الأولى وتلك التى إستقلت بعد الحرب العالمية الثانية، أن الأولى كان معظم سكانها من الأوربيين (بإستثناء جنوب أفريقيه) ورضيت جميع هذه الأقطار أن تبقى داخل الكمنولث بإستثناء ايرلند – بورما – جنوب أفريقيه. وليس من شك أن الإمبراطورية كانت مصدر قوة حربية وإقتصارية لبريطانيا، إستخدمت أبناءها فى الدفاع عنها، والهجوم على العدو فى الحربين الأولى والثانية، وقدمت مواد خام ، وأسواق لتصريف المصنوعات ، كل هذا إختفى، وإذا كان لديها بعض المستعمرات القليلة الآن فهى عبء عليها أكثر منها رصيد لها.

بريطانيا بعد الحرب العالمية الثانية إلى أين؟

خيل للجميع أن بريطانيا بعد الحرب العالمية الثانية سوف تقع ضمن دائرة النفوذ الأمريكى من الناحية الإقتصادية، ذلك أنها تلقت مساعدات أمريكية تقدر بنحو ٦ بليون دولار، وبها قواعد جوية، وصاروخية أمريكية، وإذا حدثت حرب نووية، سوف تعانى بشدة أكثر من الولايات المتحدة الأمريكية نفسها، إشتركت فى حلف شمال الأطلنطى، وبينما أخذت العلاقات تتوطد بين المملكة المتحدة والولايات المتحدة الأمريكية وهنت علاقاتها بأجزاء الإمبراطورية السابقة، فقبل عام ١٩١٧ كان إهتمام بريطانيا الرئيسى بالإمبراطورية، وخلال الفترة مابين الحربين الثانية ضعفت العلاقات وإستقلت كثير من المستعمرات وأصبحت أعضاء فى الأمم المتحدة إلى جانب إنها لم تصبح فى صناعاتها معتمدة على بريطانيا، بل بدأت تظهر فيها الصناعة، وأصبحت بريطانيا عضوا فى بدلا من قائد، وحتى فى هذا المجال لايمكن أن ننكر قيمة الكمنولث، ولكن

بلجيكا – هولند – ألمانيا – لوكسمبرج، إيطاليا) فى أواخر الخمسينيات، ولكن دول السوق لم تجد إستجابة من بريطانيا، لأنها فى تلك الفترة (أواخر الخمسينيات) كانت مازالت تجتر فترة المجد السابقة، لكنها عادت وطلبت الإنضمام فى أواخر الستينيات، وظهرت مشكلات عديدة أمام دخولها السوق الأوروبية المشتركة منها علاقتها التجارية بالكمنولث ، فعلى سبيل المثال قطر كنيوزيلند لابد له أن يضمن بأن منتجات الألبان التى يصرف معظمها فى بريطانيا لن تتأثر بدخول السوق، ومنها وقوف ديجول فى وجه بريطانيا، حتى تظل زعامة السوق لفرنسا ...إلخ، ومنها مشكلات محلية مثل مدى تأثر الزراعة البريطانية، بل والصناعة البريطانية، وبعد مفاوضات عديدة مع دول السوق بمقتضاها وضعت برامج عديدة طويلة الأجل يطبق بعدها نظام التعريفة الخارجية الخاصة بالسوق عليها، ودخلت بريطانيا رسميا السوق الأوروبية المشتركة أو الجماعة الإقتصادية الأوروبية فى غرة يناير ١٩٧٣، كما دخلت أيضا إيرلند والدنمارك، وأصبح عددها تسعا فى ذلك الحين.

إتجاهات تجارة المملكة المتحدة عامى ١٩٥١ ، ١٩٩٠

السنة	١٩٥١	١٩٥١	١٩٩٠	١٩٩٠
الدولـــة	واردات	صادرات	واردات	صادرات
الولايات المتحدة الأمريكية	١٠%	٥%	١٢%	١٣%
كندا	٧	٥	٢	٢
أستراليا	٦	١٣	١	١,٥
الهند	٤	٤	٠,٦	١
اليابان	٠,٥	٠,٤	٥,٤	٢,٥
الجماعة الأوروبية	٢٠	١٨	٥٣	٥٣

المستقبل:

على العموم سيعتمد الوجود البريطانى فى المستقبل، كما هو الحال فى معظم دول أوروبا الغربية على نظام كفء متطور من التصنيع، من ثم يصبح رأس الحربة فى تنمية الإقتصاد البريطانى فى تنشيطه ودفعة إلى الأمام ماأمكن، وتخفيض تكاليف إنتاجها، ولعل أفضل السبل هو زيادة الأخذ بالتطور التكنولوجى، والتوسع الصناعى فى الأقاليم البريطانية التى تنخفض فيها تكاليف الإنتاج، فبفضل الكهرباء أمكن للمصانع أن تتفرق وتبتعد عن مناجم الفحم، وكذلك بفضل البترول أمكن قيام كثير من الصناعات التى لاعلاقة لها بالفحم.

وإذا كانت الصناعة تسهم بنحو ٢٩% من الدخل القومى، والزراعة والصيد تسهمان بنحو ٣% من هذا الدخل ، فيصبح نصيب الخدمات أكثر من نصف الدخل القومى سواء فى ميدان النقل أو الأعمال المصرفية أوالسياحة وغيرها، وهذه مازالت تؤكد عليها السياسة الإقتصادية البريطانية، وكان ظهور البترول والغاز الطبيعى فى قاع بحر الشمال من العوامل التى حسنت من ميزان التجارة والمدفوعات البريطانى فى الفترة الأخيرة، وكان عام ١٩٧٨ هو أول عام منذ نهاية الحرب العالمية الثانية لايعانى فيه ذلك الميزان من العجز، وفى نفس ذلك العام كانت الصادرات الصافية لخام البترول تقدر بنحو ٤٨ مليون طن.

ويمكن القول بأن إنقاذ الإقتصاد البريطانى بعض الشئ كان بفضل الخدمات وخاصة رؤوس الأموال العربية والسياحة العربية وتدفق رؤوس الأموال الأمريكية والألمانية واليابانية، كما كان بفضل ظهور البترول والغاز الطبيعى الذى حول بريطانيا من دولة مستوردة له إلى دولة مصدرة، ولايبقى أمامها إلا تطوير صناعاتها، والإستفادة بمزايا العضوية فى الإتحاد الأوروبى.

رغم مقاومة بريطانيا لشركائها الذين يودون تحويل الإتحاد الأوربى إلى ولايات متحدة أوروبية، فإنها تحاول إبقاء خيارات بريطانية مفتوحة فى مايتعلق بالإندماج الإقتصادى، وذلك تحسبا ليوم قد يأتى فى المستقبل، ويتبين فيه أن الوحدة النقدية هى فرصة أعظم من أن تضيع.

الفصل الخامس

آسيا الشرقية

تحول مراكز القوى في أواخر القرن العشرين:

إن الفرق الذي يميز القرن الواحد والعشرين عن باقي القرون السابقة ظهور ثلاثة مراكز قوي في العالم : ***أوروبا، وأمريكا الشمالية وآسيا***، وسابقا كان يوجد مركزان للقوي فقط وهما ***أوروبا وأمريكا***، وقبل ذلك كان هناك مركز واحد للقوة هو أوروبا. فقد كانت أوروبا تاريخياً القوة المسيطرة على أجزاء كبيرة من العالم، إذ هزمت إمبراطوريات كثيرة ومجتمعات تضم الصين واليابان والهند والدول العربية والإسلامية، واستوطن شعبها بلدانا شبه خالية مثل أمريكا واستراليا. كما أن الحربين العالميتين الأولي والثانية، وما تبعهما من الحرب الباردة كانت أساسا صراعات أوروبية ولم يكن العالميتين لشرقي آسيا تأثير عالمي يذكر.

إن العالم اليوم مدين لأوروبا وما فعلته للإنسانية، أما الآن فقد وصلت آسيا إلى الساحة العالمية بعد أن اصبح لديها ثقل اقتصادي وأصبح لهذا الإقليم دور وصوت مسموع، وحتى وقت قريب كانت اليابان وشرقي آسيا مجتمعتين تمثلان ٤% من إجمالي الناتج القومي العالمي بينما الولايات المتحدة والمكسيك وكندا تمثل ٣٧%، اليوم أصبح للمجموعتين نفس القيمة في إجمالي الناتج العالمي. كما أن النمو الاقتصادي في آسيا يتزايد بقدر أكبر منه في أمريكا الشمالية وأوروبا.

وقد كان عام ١٩٩١ هو العام الفيصل في التاريخ المعاصر لأنه عام انتهي فيه نظام القطبية الثانية بعد تفكيك الاتحاد السوفيتي واختفاء حلف وراسو مما أطاح بتوازن القوي العالمي، وجعل الولايات المتحدة الأمريكية القطب المهيمن الأوحد، ولم يتشكل بعد النظام العالمي الجديد، وأن كان تدريجيا سيتحول إلى نظام متعدد الأقطاب أو التعددية القطبية ***Multi.Polar***.

كان ترتيب أقاليم العالم بالنسبة لاستراتيجية الأمن القومي للولايات المتحدة الأمريكية في معظم القرن العشرين:

(١) أوروبا. (٢) جنوب غربي آسيا (دائرة الخليج والشرق الأوسط وآسيا الوسطي).

(٣) آسيا الشرقية، فأصبح الترتيب الآن كالآتي : (١) جنوب وشرقي آسيا من اليابان، والكوريتين، والصين حتى الهند وباكستان، ومنها ما يملك قوى عسكرية كبيرة ونووية (الصين، الهند، باكستان، كوريا الشمالية) ولها القدرة على تطوير أسلحة دمار شامل.

(٣) أوروبا.

صعود آسيا الشرقية:

كانت اليابان بعد هزيمتها عام ١٩٤٥ بلدا منكسرا دمرت فيه الحرائق العاصمة طوكيو، وكذا معظم المدن الكبرى فضلا عن ضرب ناجازاكي وهيروشيما بالقنابل الذرية،

ثم أنطلق اليابان شعبا ودولة يتصدى لهذا الوضع المهين، وحقق المعجزة في أقل من ربع قرن حتى أصبح ثاني قوة اقتصادية في مطلع السبعينيات من القرن العشرين.

كذلك الحال في كوريا الجنوبية التي كان متوسط نصيب الفرد فيها من الدخل القومي هو ٧٩ دولارا عام ١٩٦٢، استطاعت بعد ثلاثين عاما من العمل الدعوب أن يصبح متوسط دخل الفرد فيها ١٠ آلاف دولار، وأن تصبح عضوا في منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية *OECD* وأن تصبح في مقدمة دول العالم في إنتاج السيارات والإلكترونيات وبناء السفن غيرها، وإذا اتحدت الكوريتان فإن هذا يعطيهما وزنا استراتيجيا عظيما، وتمثل ماليزيا وسنغافورة أروع أمثلة للطفرة الاقتصادية والعلمية والتكنولوجية، وأما الصين فهي نموذج للقوة الصاعدة والتي قامت الولايات المتحدة الأمريكية بمصالحتها ولم تقف عقبة أمام عضويتها في مجلس الأمن، وأصبحت الآن تخشى نموها الاقتصادي المتسارع، وكذلك التكنولوجي ممثلا في إنتاج القوي النووية وغزو الفضاء مما جعل الدول تنظر بإعجاب لهذا النمو المتسارع، ويرجح البعض أنها قد تتفوق على دور اليابان.

هكذا أصبحت آسيا الشرقية الدائرة الأهم الصاعدة في العالم وكذا الحال في كل أرجاء آسيا.

تجانس ثقافي والجمع بين حضارة الشرق العظيمة، والتقدم التكنولوجي الغربي:

والواقع أن الدول الثلاث الصين واليابان وكوريا بشقيها بالإضافة إلى بعض مناطق من جنوب شرقي آسيا تمثل دائرة ثقافة متجانسة، والذين يعيشون ويسافرون في آسيا الشرقية يشعرون بتجانس هذا الإقليم وأنه بالإمكان السفر من جاكرتا إلى هونج كونج، وطوكيو وسيول ولا يشعرون بخلافات كبيرة بين الثقافات، بل وحتى الأشكال، هل تستطيع أن تميز بسهولة بين الصيني والياباني؟ كما يشعرون بأن هذا الإقليم مقبل على حقبة جديدة تتسم بزيادة الدخول وارتفاع مستوى المعيشة، وأنه من أكبر أقاليم العالم ديناميكية لأنه يجمع بين أغلى الحضارات الآسيوية والحضارة الغربية، فتجد الهدوء وتقديس العمل هو سمة أساسية، ولكن تكنيك الإدارة والعلوم والتكنولوجيا غربي، فالتقدم الاقتصادي والتطور الصناعي الذي بلغه الإقليم كان بسبب مزج الاثنين معا.

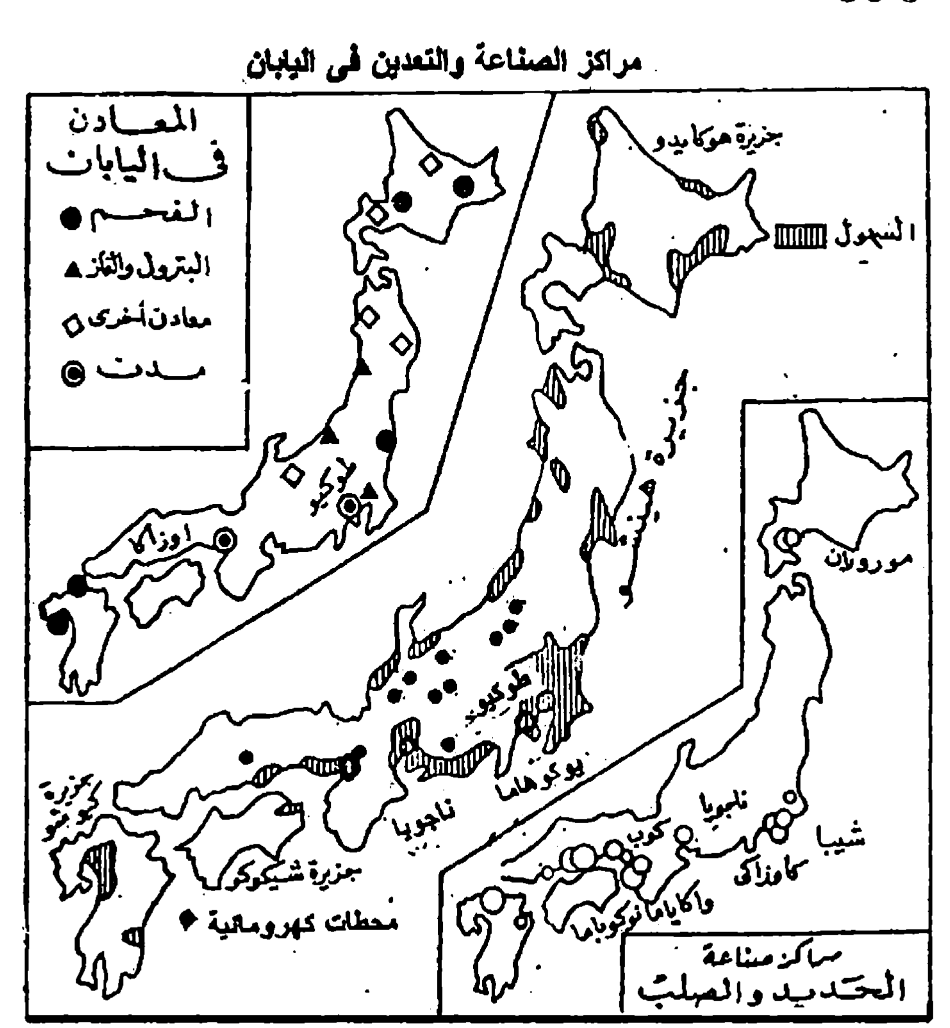
ماذا لو تحالفت اليابان والصين وروسيا؟

إن تحالف اليابان والصين وروسيا ربما يشير إلى نظام عالمي جديد يظهر فيه قطب جديد عمادا على تكنولوجيا اليابان، وأسواق الصين وقدرات روسيا النووية، خاصة وأن الصين واليابان مجرد دولتين شرقيتين، ولكنهما قطبان بارزان في الدائرة الحضارية الشرقية الأوسع، وكذلك تمتد طاقات روسيا حتى ساحات آسيا الوسطي والمحيط الهادي.

اليـــابـــان

تخـــيل أن دولة غنية مزدحمة بالسكان الذين يبلغون نحو ١٢٥ مليون نسمة، يعيشون علـــى مســـاحة قدرهـــا ١٤٥ ألـــف ميل٢ ، وهي وبمساحتها هذه تعادل إحدى الولايات الأمريكية، بل ومعظم هذه الجزر جبلي، بحيث لا يزيد المسكون منها على ١٨% من تلك المساحة، وتتعرض هذه الجزر للبراكين والزلازل بين الحين والحين، خالية من البترول ، وحظهـــا من الفحم، والمواد الخام اللازمة للصناعة وكذلك الأراضي الزراعية قليل ، فلو كانـــت يابـــان اليوم إحدى الدول النامية في حاجة إلى المعونات الغذائية والقروض ، فإن المـــبرر مـــاثل أمامـــنا، فـــي إكتظاظ سكاني، ونقص في الأراضي الزراعية، وفقر في الخامات وموارد الطاقة.

مراكز الصناعة والتعدين فى اليابان



هذه صورة اليابان:

تســـودها المـــرتفعات والسلاسل الجبلية المعقدة، التي يتراوح إرتفاعها ما بين ١٠٠٠، ٢٥٠٠ مـــتر، وقـــد تصـــل بعض القمم إلى ما يزيد على ٣٠٠٠ متر، تؤلف هذه السلال

العمـــود الفقـــري إن لم يكن الأساسي لليابان جميعا، وتشغل نحو ٧٥% من مساحتها، أما المنخفضـــات الســـهلية فـــلا تشغل سوى نحو ١٥% من كل مساحة الجزر ، وتمتد هذه المنخفضـــات أساسا على الساحل الشرقي، على شكل جيوب أو أحواض متقطعة متباعدة، أكـــبرها سهل كوانتو أو سهل طوكيو، وسهل كينكى في جزيرة هنشو، ثم تقل السهول في الوســـط، وعلى الساحل الغربي، أي أن الجبال لها السيادة المطلقة، مثلما تحيط بها البحار من جميع جوانبها أو كما يقول *كرسي* " إذا نظرت إليها من البحر تجدها ترتفع جبلا فوق جبل، وإذا نظرت من اليابس ستجد وجه الماء في كل مكان ".

العلاقات المكانية:

وكـــان هذا الأرخبيل الجزرى الذي يقع على الرصيف القاري للقارة الأسيوية : هنشو أكبرها وشيكوكو، وكيشو، في العصور القديمة والوسطى على أطراف العالم، أو هامشه ، لكـــن بعـــد ذلـــك أصـــبح علـــى طريق الأمريكتين، فكل خط جوى أو ملاحي من سان فرانسيســـكو أو ســـياتل إلى ساحل الصين أو الفلبين أو سنغافورة إما أن يمس اليابان، أو يمر على بعد أميال قليلة من سواحلها ، والخط الجوى من سان فرانسيسكو إلى مانيلا عن طـــريق هـــاواي، وجوام يزيد بنحو ٢٠٠٠ ميل عن الخط المباشر إلى مانيلا عن طريق طوكـــيو، وزادت قـــناة بنما من أهمية موقعها، كما فعلت قناة السويس بالنسبة لبريطانيا، ولا ننسى أن اليابان تقع على كثب من سوق المليار وربع من سكان العالم، أي الصين.

دولة مستوردة لغذائها وخاماتها ووقودها:

تـــبذل اليابان جهودا خارقة لإستغلال المساحة الصالحة للزراعة، سواء في سهول أو فـــي مـــنحدرات ســـطوح جبالها، وذلك بإستخدام أصناف الأرز العالية الإنتاج، والتسميد والري، وإدخال الآلات، نظرا لهجرة السكان نحو الحضر الصناعي، بينما كانت الزراعة تضـــم أكـــثر من ٥٠% من القوى العاملة عام ١٩٢٠، أصبحت الآن حرفة ٨% فقط من السكان وحتى هؤلاء يعملون بها بعض الوقت، ويكسبون عيشهم من حرف غير الزراعة بقـــية الوقـــت، وحـــتى تحد الحكومة من هجرة الأرض الزراعية، ترفع الحكومة أسعار المحاصـــيل الزراعـــية بطـــريقة غير طبيعية، وعندما حدث العراك بين الولايات المتحدة الأمريكـــية والـــيابان فـــي التسعينيات فيما يختص بحجم وقيمة تدفق السلع بين الجانبين، وعرضت الولايات المتحدة الأمريكية أن يمد المزارع الأمريكي المستهلك الياباني بالأرز الأمريكـــي بسعر يبلغ نحو سدس سعر الأرز الياباني، ومع ذلك لم تجد سوقا مفتوحة في الـــيابان علـــى نحـــو مـــا وجـــدت اليابان أسواقا مفتوحة في الولايات المتحدة الأمريكية لسياراتها.

ولمـــا كـــان الغـــذاء اليابانـــي غنـــيا بالنشويات، على رأسها الأرز ثم القمح والشعير والـــبطاطس، كانـــت حاجـــة اليابانيين إلى البروتين، ولحسن الحظ أمكنهم الحصول على كمـــيات كبيرة بحصاد البحر، لا في رصيفهم القاري الغنى بالأسماك فحسب، بل وأيضا فـــي أعالـــي الـــبحار، بفضـــل أساطيل الصيد الحديثة المجهزة، وكأنها مصانع متحركة، ولا يعـــادل صناعة الأسماك في اليابان أي صناعة مماثلة في الولايات المتحدة الأمريكية

أو غـــرب أوروبا، هذا فضلا عن تربية الأسماك في حقول الأرز والبرك الصناعية، ومع ذلـــك فهـــي بعـــيدة عـــن الإكـــتفاء الذاتي غذائيا، فهي مستوردة له من الولايات المتحدة الأمريكية، وكندا، وأستراليا.

وقـــد إندفعـــت الـــيابان مـــنذ منتصف القرن التاسع عشر بقليل، إلى الأخذ بالحضارة الأوربية الحديثة، والنقل منها بقوة، أي أنها دخلت عصر الانقلاب الصناعي، فكانت بذلك أولى الدول الآسيوية أوربية تغريبا وتصنيعا.

وإذا كانت الصناعة اليابانية تتميز بطغيان قلة من الشركات الإحتكارية الضخمة، فهي مـــن الناحـــية الأخرى تنفرد بكثرة الوحدات الصغيرة الحجم، التي تنتشر في أنحاء الريف والمـــدن، وتعمل من الباطن في إنتاج المصنوعات، وأجزائها لحساب الشركات والمصانع الضـــخمة (ميتسوبيشى ــ تويوتا ــ هوندا) وأصبحت اليوم الدولة غير البيضاء الوحيدة التـــي تقف بحضارات صناعية وتكنولوجية وتجارية على أساس من (الندية) إن لم يكن الإستعلاء والمنافسة الخطيرة، لأكبر القوى البيضاء (الولايات المتحدة الأمريكية).

ويعتبر مثلث طوكيو ــ يوكوهاما ــ كواساكى أكبر مجمع صناعى في اليابان، مسئول عن ٢٠% من الإنتاج الصناعى اليابانى، ويليه مباشرة مثلث أوزاكا ــ كوبى ــ كيتو إلى الجنوب من المجمع السابق.

وخامات هذه الصناعة ووقودها مستورد أساسا من الخارج، فإذا ضربنا المثل بصناعة الصـــلب، فنجد أنها تستورد حديدها من الفلبين وماليزيا وأستراليا والهند، بل ومن أفريقية، كما تستورد معظم الفحم من أستراليا وأمريكا الشمالية، والبترول من الخليج وإندونيسيا.

وتغزو أسواق العالم بصناعاتها بدءا من لعب الأطفال، والمنسوجات، والسيارات، إلى الأجهـــزة الطبـــية الدقـــيقة؛ إلى أكبر مصانع للسفن المحيطية، وإنتقلت الآن إلى صناعة الطائـــرات، والكـــيماويات والإلكترونـــيات والإتصـــالات ســـيدة صناعات القرن الواحد والعشرين.

نخلص من هذا بأن اليابان أبعد عن الكفاية الذاتية غذائيا، وخامات، ومعادن من ثم كان علـــيها أن تصـــدر لتعيش، ومحور الحياة هناك إستيراد خام ووقود الآخرين، ثم تصديره إلـــيهم مصنعا، أي تصدير العمل والتكنولوجيا، من ثم كانت الأسواق والتنافس عليها هي الهم الأوربي والأمريكي.

الناتج المحلى والتجارة الخارجية:

بزغـــت اليابان كقوة إقتصادية عظمى تثبت أقدامها شيئا فشيئا، حيث بلغ الناتج المحلى الإجمالـــي للـــيابان في عام ٩٤ حوالي ٤٥٩٠ بليون دولار، لتأتى في المرتبة الثانية بعد الولايات المتحدة الأمريكية التي حققت في نفس العام ٦٧٣٨ بليون دولار، والفرق واضح بيـــنهما، في الحجم والمساحة، وعدد السكان، بل ومصادر الثروة ، ومازالت اليابان تسبق باقـــي دول العـــالم الصـــناعية الكبيرة كألمانيا التي حققت ٢٠٤٥ بليون دولار. وبالطبع إنعكـــس ذلـــك علـــى متوسط الدخل الفردي ليصل في اليابان إلى ٣٧ ألف دولار لتمثل المرتبة الثانية بعد سويسرا.

وللتدلـــيل على هذه القوة الإقتصادية يجب أن نشير إلى أن حجم الصادرات اليابانية بلغ ٤٠٢ بلـــيون دولار في عام ٩٥، بينما بلغت وارداتها عن نفس الفترة ٢٧٤ بليون دولار. لـــتحقق فائضـــا تجاريا يصل إلى ١٢٨ بليون دولار، في تجارتها مع مختلف دول العالم وعلـــى رأسها الولايات المتحدة " أكبر شريك تجارى لليابان " ويصل هذا الفائض إلى ٦٦ بلـــيون دولار ، ومـــن خـــلال هذه الأرقام نرى أن اليابان تستحوذ على نسبة ١٠% من أجمالـــي حجم التجارة العالمية البالغة ٤٠٨٨ مليار دولار وفقا لإحصائيات صندوق النقد الدولي.

الطاقة النووية:

لا تحـــتفظ الـــيابان بـــأي أسلحة نووية بالرغم من توافر الإمكانات اللازمة التي تتيح للـــيابان إمتلاك وتصنيع السلاح باليابان، ولكن لديها ٤٩ مفاعلا نوويا تستخدم للأغراض السـلمية (إســتخراج الطاقة) وهناك سبعة مفاعلات تحت الإنشاء حاليا. وبذلك تأتى في المرتـــبة الثالثة بعد كل من الولايات المتحدة (١٠٩ مفاعل) وفرنسا (٥٥ مفاعل)، بل وتســـبق دول نوويـــة أخـــرى كالصين، وروسيا، وبريطانيا في أعداد المفاعلات النووية، فـــالقدرة علـــى إمتلاك السلاح النووي متوفرة، إلا أن الحظر الأمريكي، والرغبة اليابانية يسيران في طريقين متلاقيين لتعتمد اليابان إعتمادا كليا في سياستها الدفاعية وحماية أمنها القومي على الولايات المتحدة الأمريكية.

الصناعة:

ولا يوجـــد بلـــد صـــناعي لديـــه فـــائض تجارى في المصنوعات مع اليابان. فأكثر المصـــدرين فـــي العالم وهم الألمان، لا يستطيعون أن يتنافسوا بنجاح في السوق اليابانية، كما أن النمور الصغيرة على جانب المحيط الهادي لديها عجز مماثل.

صناعة الصلب:

ولـــو تطرقـــنا إلى إنتاج الصلب (وهي دولة مستوردة للمواد الخام) لوجدنا أن إنتاج الـــيابان مـــن الصلب الخام يصل ٩٨ مليون طن سنويا من إجمالي الإنتاج العالمي البالغ ٧٢٣ طـــن لتحتل المركز الأول، وقبل دول كثيرة منها الولايات المتحدة التي يبلغ إنتاجها ٨٨ مليون طن سنويا، وهنا يجب أن نراعى أن إنتاج الصلب الياباني تُوجه النسبة الأكبر منه إلى الصناعات المدنية، حيث لا يخفي علينا أنه في الولايات المتحدة تحول نسبة كبيرة منه إلى الصناعات العسكرية.

صناعة السيارات:

حققت جنرال موتورز الأمريكية في بداية السبعينيات عملاق صناعة السيارات، تفوقا علـــى كـــل مؤسسة صناعية أخرى. لم يكن هناك ما يضاهيها، وكان يقال عنها دائما أنها المؤسســـة الأفضـــل إدارة فـــي أمـــريكا. وكانـــت صناعة السيارات قلعة حصينة للقوة الإقتصـــادية الأمريكـــية، بعـــد ذلـــك بعشرين عاما أصبح من الأسئلة المثارة ما إذا كان باســـتطاعة أيـــة مؤسسة أمريكية لصناعة السيارات أن تبقى على قيد الحياة عشرين سنة أخـــرى، فحصة اليابان في الأسواق التي عبرت في منتصف عام ١٩٩١ حاجز ال٣٠ في

المائة، تواصل النمو عاما بعد عام في بطء، ولكن في ثبات، وهاهي تويوتا تبلغ الشركات المـوردة الـتابعة لها شيئا لم يكن في الوسع تصوره قبل ذلك بعشرين سنه. (أن تويوتا عـاقدة العزم على أن تسبق جنرال موتورز عند نهاية القرن) وتويوتا منكبة على العمل لتحقيق ذلك.

كانـت صناعة السيارات الأوربية تسير حتى إلى أسوأ فشركات فيات، وبيجو ورينج روفـر / اسـترلنج، وريـنو طردها اليابانيون تماما من السوق الأمريكية. كما أن شركة فولكس فاجن في طريقها إلى المصير نفسه (نقصت حصتها في السوق من ١٠ في المائة إلـى واحد في المائة)، وهي عندما تترك تلك السوق لن تبقى في سوق الولايات المتحدة مؤسسـة واحدة من مؤسسات الصناعة الكبيرة الأوربية لصناعة هذا النوع من السيارات (مرسـيدس ــ بنز، وأودى، فولفو، جاجوار، بورش) تفقد بالتدريج حصتها في السوق، وتـتخذ الآن موقـف الدفـاع، مع دخول السيارات اليابانية الفاخرة (ليكسوس، أنفينيتى، أكورا).

ويسـتطيع اليابانيون تجميع سيارة فاخرة بعدد لا يتجاوز ربع الأيدي العاملة التي تلزم لتجميعها في أوربا، وبإستطاعاتهم أن يدخلوا طرازات جديدة في الإنتاج بسرعة أكبر، كما أن سـياراتهم بهـا عـيوب أقل فهل من المستغرب أن يطالب رئيس شركة فيات بإتخاذ إجـراءات لإبقاء اليابانيين تحت السيطرة، فهو يقول : ليس هناك ما يمكن أن يكون أكثر يابانية وأقل كونية من شركة يابانية كبيرة حتى إذا كانت تعمل في القارات الخمس جميعا . فصناع القرار يابانيون، وأصحاب المصالح يابانيون، والتنظيم ياباني، والبحث والتطوير يابانيان، وكذلك عقلية الغزو التجاري.

صناعة الحاسبات:

كانـت شـركة أي. بـى. ام (I. B. M) فـي بدايـة الثمانينيات تحصل على جوائز بإعتبارها صاحبة أفضل إدارة، تتخذ الآن بالمثل موقف الدفاع، وتتحدث الصحافة اليابانية عـن ثلاث شركات كبيرة لصناعة الحاسبات الآلية مستعدة للتغلب على هذه الشركة، إنها أكـثر من مستعدة، فإثنتان منها لديهما حصتان في السوق أكبر من حصة أي. بى. ام. في الـيابان. أمـا الثالثة فهي بدورها على وشك تجاوز العملاق الأمريكي. ففي عام ١٩٩٠ إرتفعـت مبيعات أي. بى. أم في اليابان بمقدار واحد في المائة ، على حين كانت السوق اليابانية الكلية تتوسع بمقدار ١٠ في المائة. ومع ذلك فإن أي. بى. ام هي المؤسسة الأولى فـي مجالهـا في أي مكان آخر في العالم، كما أن الشركات، الأمريكية الأخرى لصناعة الحاسبات الآلية ليست بأفضل حالا.

الإنسان الآلي:

ويمكـن أن نـرى النـتائج في عدد أجهزة الإنسان الآلي (الروبوت) التي تعمل في الـيابان، ويـزعم اليابانـيون أن لديهـم ٢٧٥ ألف جهاز منها، وتقول الرابطة الأمريكية لصـناعة أجهزة الربوت أنه يوجد ١٧٥ ألف جهاز فقط لدى اليابان، بيد أن كلا الرقمين أعلـى كثيرا من عدد أجهزة الروبوت لدى الولايات المتحدة (٣٧ ألف جهاز) وهي دولة

لديها ضعف عدد عمال اليابان.

الإستثمارات الخارجية:

بلغت الإستثمارات اليابانية خارج اليابان ٢٥٩ بليون دولار عام ٩٤ ، وفي نفس الفترة وجهت اليابان مساعدتها للتنمية لمختلف دول العالم النامي ليصل حجم هذه المساعدات إلى ١٦ بليون دولار، وبذلك تحتل اليابان المركز الأول على قائمة الدول المانحة الأعضاء في منظمة التعاون الإقتصادى والتنمية ***OECD*** وهو ما يمثل ما يقرب من ٢٠% من إجمالي المعونات التي تقدمها المنظمة.

طلب مقعد في مجلس الأمن:

قدمت اليابان إقتراحا مع ١٥ دولة أخرى لإعادة النظر في ميثاق الأمم المتحدة، بهدف تعديله ليتمشى مع تطور العصر، وتزداد فاعلية المنظمة، وأعلنت اليابان أن من حقها أن تحتل مقعداً دائما في مجلس الأمن، نظرا لمساهمتها المالية الضخمة في ميزانية الأمم المتحدة، فضلا عن مركزها المتعاظم إقتصاديا.

أسباب العملقة العالمية

البشر:

أحد أسرار هذه القوة الإقتصادية، يكمن في الفرد الياباني وحرصه الشديد ليس على حب الوطن والعمل فحسب، بل التفاني فيه والحرص على إنجازه على الوجه الأكمل، فالمواطن الياباني يتجه إلى العمل الجماعي في إطار من الولاء العميق، لأسرته، ومؤسسته ووطنه، لذا أصبحت اليابان دولة غنية بشعبها، وليس بمواردها، فنسبة التعليم في اليابان تصل إلى ١٠٠%، وهي من أوائل دول العالم التي إستطاعت أن تمحو أمية شعبها، وتحافظ على تراث وثقافة هذا الشعب، بقدر ما تطبق أوسع درجات التقدم في أسلوب الحياة، فالفاصل هذا واضح المعالم، بين الإلتزام بالتقاليد اليابانية القديمة في الحياة والعمل، وبين تطبيق المدنية الحديثة دون تداخل أو تعارض أو تأثير أي منها سلبا على الأخر.

إقتصاد المنتجين وإقتصاد المستهلكين:

يقوم الإقتصاد الإنجلو ساكسونى (في أوربا وأمريكا) على تحقيق أقصى منفعة حيث يكون الإستهلاك الأكثر، ووقت الفراغ الأطول، أي على العنصرين الإقتصاديين الوحيدين للرضا البشرى. وتكون الإنتاجية الأعلى مرغوبا فيها مادامت تعطى الأفراد دخولاً أعلى يشترون بها سلعا إستهلاكية أكثر، والقدرة على تقليل الجهد الذي يبذل في العمل للحصول على وقت الفراغ أطول دون تضحية بالإستهلاك، وأما كل من العمل والإدخار (أي ما تم التخلي عنه من وقت الفراغ والإستهلاك) لا يجرى تحملها، إلا لأن الدخل المقبل الذي ينشأ عن هذين النشاطين يوفر الموارد الإقتصادية اللازمة للإستهلاك المقبل.

فمؤسسة الأعمال في النظام الأنجلو ساكسونى إنما توجد لتوفير فرص للدخل أي الكسب، لا أكثر ولا أقل، وتأمين مصلحة العامل في الأمن عن طريق المدخرات الفردية

والتأميـن. ولا ينبغي لموظف أن يشغل باله بالتشبث بوظيفته الحالية. وهو يستطيع أيضا أن يجـد وظـيفة بديلـة يحصل منها على أجر عادل مساو لإسهامه في الإنتاج في جهة أخـرى، فالأفـراد يعملون بكد وإجتهاد، لأنهم يخشون البطالة ــ أما إذا فقدوا الإمتيازات الإستهلاكية. وإذا ما تراجع هذا الخوف، فإن كل فرد سيعمل بكد أقل.

وتعتبر الولايات المتحدة نسيجا وحدها عندما يتعلق الأمر بمعدل دوران (تجدد) الأيدي العاملة. فمعدل دوران مقداره ٤ في المائة كل شهر يقسم بالتساوي تقريبا بين ترك الخدمة والفصـل منها، ومن منطلق تعظيم الربح يعد ذلك علامة الكفاءة. فالعمال يفصلون عندما لا تكـون هـناك حاجة إليهم، والعمال يقبلون عروض توظف جديدة حيثما تكون الأجور أعلى، ومن ثم فالإنتاجية بالتالي أعلى.

وفي اليابان تعرض العمالة مدى الحياة على العمال الأساسيين في المؤسسات اليابانية، ولا يـتجاوز معدل دوران العمل في اليابان ٣,٥ في المائة سنويا ــ أي أن تغير الوظائف فـي السنة يعد أقل من مثيله في الولايات المتحدة شهريا. وفي اليابان يكون الإحتفال الذي يشترك مستخدمون جدد عند إلتحاقهم بالشركة في وظيفة مدى الحياة ، شبيها بتقديم الولاء للسـيد في العصور الوسطى. وينظر إلى تركة " مملكة الرب " أو شركة يابانية بإعتباره "خـيانة " فالمستخدم يجب أن يعطى الإخلاص في مقابل الأمن الذي الذي تمنحه المؤسسة إيـاه، وكمـا جـاء في نشرة لشركة يابانية أن معظم المستخدمين الجدد يبدو أنهم يقرون بالمـثل السائر القديم: "إبحث عن شجرة كبيرة إذا كنت تنشد الظل " فالمرء يصبح ضمن مجموعـة لهـا هدف أكبر من مجرد زيادة الأجر، من هذا المنظور من الصعب أن نرى حكمـة فـيما تفعله المؤسسات اليابانية التي تعطى ضمانات صريحة بعمالة مدى الحياة ، بإعتبارها جزءا من سعيها لخلق أيد عاملة أكثر إنتاجية. ولكن إذا أخذنا الأمور من زاوية بـناة إجتماعييـن، فـإن الأمـن يعد ميزة مهمة للمؤسسة. فالإمبراطوريات والأمم تربط مواطنـيها بهـا عـن طريق توفير الأمن الخارجي (الحماية من الغزو) والأمن الداخلي (القانون والنظام).

ويكمـن سـر الـيابان في أن اليابانيين إستغلوا رغبة بشرية عامة في البناء، وفي أن يصبح البلد القوة الإقتصادية الرئيسية في العالم. وهدفهم هو تحقيق أكبر حصة ممكنة في السـوق (الغـزو الإستراتيجي) وأقصى قدر من القيمة المضافة (الأرباح والأجور معا) وليس مجرد تعظيم الربح.

والإنسـان لـيس مجرد آلة تحقق زيادة في الإستهلاك ووقت الفراغ ، فهو أيضا منتج وفـي لغة الملصقات الإعلانية: فإن البشر قد يولدون ليتسوقوا، ولكنهم يولدون أيضا ليبنوا . وهـذه الرغـبة في البناء تولد مايسمونه " إقتصاد المنتجين " الياباني لتميزه عن إقتصاد المستهلكين " الأنجلوساكسونى.

هكـذا نجد اليابان بقوة إقتصادها الكاسح تتبوأ المكانة العالمية الأسمى، وتخشاها القوى الصناعية العملاقة في الولايات المتحدة الأمريكية وأوربا.

الاستفادة من حرمانها من إقامة ترسانة حربية:

كـان سحق اليابان بالقنابل الذرية عام ١٩٤٥، وما تبعه من إقامة دستور جديد يحرم عليها بناء قوة حربية، مكتفية بالسماح بقوة وقائية فقط تحت تسمية " قوة اليابان للدفاع عن الذات " من ثم رأت اليابان الابتعاد عن مجال السياسية الخارجية والتركيز على بناء القوة الاقتصادية، وبالفعل بلغت اليابان المكانة الثانية في الاقتصاد العالمي في نهاية السبعينيات أي بعـد ربع قرن فقط من تدميرها في نهاية الحرب العالمية الثانية، أي أنها استفادت من الإوضـاع المفروضة عليها لإقامة ترسانة اقتصادية وتكنولوجية وكذلك دفاعية على أرفع مستوى نتيجة تعبئة الطاقة القومية دون إهدار.

ومـع بلـوغ الهدف بدأت اليابان في بناء أسطول من القطع الصغيرة والمتوسطة على أرفـع مسـتوى من القدرة المدمرة من حيث التسليح والرصد والتحكيم الإلكتروني بحيث أصـبحت أهـم قـوة بحرية في آسيا الشرقية، كما كان لقرار الولايات المتحدة الأمريكية تخفيض قوتها في آسيا الشرقية له أثره في ضرورة تسليح اليابان.

الصـــــين

دع الصين تنام، إذا أنها لو أفاقت لهزت العالم (نابليون بونابرت)

من قزم سياسي واقتصادي إلى عملاق:

كـان لاعـتماد الصينيين على الزراعة بالدرجة الأولي مع زيادة السكان المستمرة أن تعرضـوا للمجاعـة فـي كثـير من الأحيان نتيجة لكوارث الطبيعة، وكان أهمها خطر الفيضانات، إذ لم يكن يمر عام إلا وكسرا أحد أنهار الصين، أو كلها ضفافها في مكان أو آخـر، وبالتالي تغرق مساحات كبيرة من المحاصيل، ويشتد خطر هذه الفيضانات وتتحول إلى كوارث إذا ما صاحبتها أمطار غزيرة كما حدث في عامي ١٩٣٠، ١٩٥٤ في حوض اليانجتسي، فقد قدرت المساحات التي غرقت عام ١٩٣١ في الوادي الأوسط والأدنى لنهر اليانجتسـي بـنحو ٣٤ ألـف مـيل مربع، وكان معظمها من الأراضي المزروعة حبوبا وخاصة الأرز، وكان مثل هذا الفقد يعتبر القاعدة لا الاستثناء.

وكـان المظهـر الرئيسـي للملكية الزراعية هي الملكيات القزمية والمتبعثرة، وكثرة أصـحاب الأرض المتغيبيـن في ظل إقطاعية طاغية، وعدم كفاءة طرق الزراعة وعدم اختيار البذور الجيدة ونقص الائتمان الزراعي.

ولما كانت تعاليم كونفوشيوس تتضمن تقديس الأسلاف، ومن ثم كانت تُختار مقابرهم فـي أجـود الأراضي الصالحة للزراعة، وقدر الباحثون أن ما يقرب من ٢% من أجود الأراضـي الزراعية كانت تضيع لهذا الغرض، وقد نقلت هذه المقابر إلى مساحة مواضع أقل إنتاجية، أو أعيد دفن الموتى في طبقات أعمق بحيث يمكن حرث الأرض.

ولـم تكـن تقالـيد الصينيين تحبذ تحديد النسل، بل كانت تشجعه، وفي تلك الظروف اقتصـادية السـيئة كانـت ترتفع معدلات الوفيات فقد ظهر من الأبحاث التي أجريت في

الصين للفترة بين عامي ١٩٣٣، ١٩٣٦ أن معدل المواليد كان ٤٠ في الألف، ومعدل الوفيات ٢٧ف اللف، كما كان معدل وفيات الأطفال يدور حول ٢٠٠ في الألف عام ١٩٤٩.

هكذا عاش الصينيون حتى منتصف القرن العشرين حياة بؤس، عاني الملايين منهم من المجاعة وكانت أشهرها مجاعة عام ١٩٤٩، أو الأمراض، ولا يجدون الكساء ولا المأوي، وأطبقت المصيدة المالتويسة على هؤلاء الذين عانوا من الجوع والمرض والحروب الأهلية، حتى ليقدر أن مائة مليون هلكوا خلال القرن التاسع عشر. ويعتبر عام ١٩٤٩ هو الفيصل بين عهد قديم عهد المجاعات والفيضانات والزلازل والفقر وعصر الاستعمار والتبعية منذ القرن السابع عشر، ولكن مع العهد الجديد إنكسرت فيه الدائرة الخبيثة (*)، وانطلق الشعب الصيني يبني، وارتفع معدل النمو السنوي إلى ٩% لمدة عشر سنوات بحيث أصبح دخل الفرد ١٠٠٠ دولار سنويا (لاحظ عدد سكان الصين)، وكانت بداية الانطلاقة مع إعلان تأسيس جمهورية الصين الشعبية في أول أكتوبر ١٩٤٩، وبالتالي فإن هذا الشعب الذي يبلغ تعداده ١,٣ مليار نسمة أو ما يقرب من خمس سكان العالم يمثل لا شك قوة هائلة لابد من عمل حسابها.

صعود سلمي: إذا عدنا إلى الوراء لنتذكر كيف صعدت الإمبراطوريات التاريخية والقوي الكبرى في العالم، بلا شك اعتمدت على الحرب والغزو والقوى التدميرية، وهذا ما لم تفعله الصين حتى الآن، بل هو صعود سلمى هادئ، وأن كان للضرورات العالمية أحكامها فهي لا تهمل قواتها العسكرية وتكنولوجيا الأسلحة النووية وغزو الفضاء.

مؤشرات القوة

الناتج القومي الإجمالي:

إذا استمر الاقتصاد الصيني في معدلات نموه الحالية (٨% سنويا عامي ١٩٩٠، ٢٠٠٠ بل وبلغ ١٤% عام ١٩٩٢)، سيكون أكبر إقتصادات العالم بحلول ٢٠٢٥، وإن كان سيظل لفترة طويلة يعتمد على الصناعات كثيفة العمالة التي تحقق مزايا إنتاج نسبية.

وقد بلغ الناتج القومي الإجمالي نحو ١٠٨٧ مليار دولار، أي أقل قليلا عن ٤% من الناتج القومي الإجمالي العالمي عام ١٩٩٨، منها ١٥٨ مليار دولار قيمة الناتج المحلي لمقاطعة هونج كونج، وبالتالي فالصين صاحبة سادس أكبر اقتصاد في العالم عام ٢٠٠٢.

وكانت نتيجة النمو الاقتصاد الصيني خلال عقدين، أن ارتفع متوسط دخل الفرد من مائة دولار إلى ألف دولار سنويا كما ذكرنا فضلا عن مؤازرة مسيرة الإصلاح السياسي وإعطاء المواطن الصيني مزيدا من الحريات السياسية، ويقول الأستاذ " فان جانج " من الصعوبة مقارنة أوضاع المواطن الصيني العادي اليوم بنظيره في الولايات المتحدة الأمريكية أو اليابان لأن الهوة ما تزال قائمة، ولكن من الإنصاف إجراء مثل هذه المقارنة بين المواطن الصيني العادي اليوم، وما كان عليه الحال بالأمس (من عقدين).

(*) راجع الصين في كتابنا " آسيا في شخصية القارة وشخصية الأقاليم، الانجلو المصرية، ٢٠٠٣م.

تجارة خارجية ضخمة:

تجارتها الخارجية ضخمة ومتنوعة وسريعة النمو، ارتفعت قيمة صادراتها السلعية من ١٠ مليار دولار عام ١٩٧٨، إلى ١٨٤ مليار دولار عام ١٩٩٨ ترتفع إلى ٣٥٧ (*) مليار دولار إذا ما أضفنا إليها قيمة صادرات هونج كونج، وهذا يضعها في المرتبة الرابعة عالميا بعد الاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة الأمريكية واليابان، أما الواردات فقد بلغت ١٤٠ مليار دولار (بدون هونج كونج)، ومما يدل على قوة الاقتصاد الصيني تفوق معدلات نمو تجارتها الخارجية من ٠,٧% من التجارة العالمية عام ١٩٧٠ إلى ٢% عام ١٩٨٥، ثم إلى ٤% عام ٢٠٠٠.

وإذا قارنا الميزان التجاري مع الولايات المتحدة الأمريكية كانت قيمة صادراتها بما فيها هونج كونج ٧٩ مليار دولار عام ١٩٩٨ أو نحو ٣٠% من صادرات الصين، على حين أن وارداتها بلغت ٣١ مليار دولار في نفس العام (أي ٤٨ مليار دولار لصالح الصين) وبلغت صادراتها بما فيها هونج كونج إلى الاتحاد الأوروبي في نفس التاريخ كانت ٥٤,٥% مليار دولار، أو نحو ٢١% من مجموع صادراتها، كما بلغت قيمة وارداتها منه ٣٩ مليار دولار (١٥,٥ مليار دولار لصالح الصين)، وفامت واردات اليابان من الصين، وارداتها من الولايات المتحدة الأمريكية كما أصبحت الصين الشريك التجاري الأول لكوريا الجنوبية.

<u>دخول الصين منظمة التجارة العالمية</u> وكان ذلك في نهاية عام ٢٠٠١ بعد ١٥ عاما من المفاوضات المضنية، وتخشي بعض الدول النامية أن تنكمش الطلب على صادراتها بسبب المنافسة الشديدة من صادرات الصين، هذا فضلا عن اتجاه الإستثمارات بصورة أكبر إلى الصين وبالتالي يقل تدفق الاستثمارات إليها، خاصة وان الصين لديها قوة عاملة كثيفة، كما تخشى الدول الصناعية من صادرات الصين الرخيصة أن تغزو أسواقها بالأخص في الصادرات النسيجية والملابس، وفي نفس الوقت تقدم الصين سوقاً ضخمة لرؤوس الأموال الأجنبية، والتكنولوجيا العالية والتي ستكون الدول الصناعية هي المورّد الأول لها.

احتياطي النقد الأجنبي:

تشير الإحصاءات إلى أنه من المتوقع أن يتجاوز احتياطي النقد الأجنبي في الصين ٢٨٠ مليار دولار أمريكي، لتحتل الصين المركز الثاني بعد اليابان عالميا والتي تمتلك احتياطيات تبلغ ٤٦١ مليار دولار.

وبالرغم من ارتفاع احتياطات الصين من النقد الأجنبي على هذا النحو وبنسبة ٣٠% في عام ٢٠٠٢ مقارنا بالعام السابق، بالرغم من انضمام الصين إلى عضوية منظمة التجارة العالمية، وكان من المنتظر أن تؤثر هذه العضوية سلبا على الصادرات الصين وفائضها التجاري الدولي. ولكن هذا لم يحدث وفي الوقت نفسه يبلغ احتياطي الصين من

(*) بلغت قيمة صادرات مصر السلعية ١٦ مليار دولار عام ٢٠٠٠.

الذهب غل نحو ٥٠٠ طن.

الاستثمارات الأجنبية:

طبقاً للأرقام التي تم تداولها في المنتدى الاقتصادي للتنمية في الصين عام ٢٠٠٢ فقد بلغت الاستثمارات في الصين عام ٢٠٠٢ نحو ٥٠ مليار دولار أو نحو ١٥ من إجمالي الاستثمارات المباشرة في العالم.

ولم يتوقف الازدهار عند حد الاستثمارات الأجنبية المتوقعة فقد شهد قطاع السياحة ازدهارا مماثلا، بلغ عدد السائحين الذين زاروا الصين ٩٧ مليون سائح في عام ٢٠٠٢، كما بلغت إيرادات الصين من السياحة العالمية ٢٠ مليار دولار، أما عدد السائحين الصينيين في الخارج فبلغ ١٥,٥ مليون صيني.

وأخيرا ذكر الباحثون في المنتدى الاقتصادي للتنمية في الصين عام ٢٠٠٢ أن الصين مرشحة كي تصبح ثاني أكبر قوة تجارية في العالم بعد الولايات المتحدة الأمريكية بدلا من موقعها السادس وقد بلغت تجارتها الخارجية عام ٢٠٠٢ نحو ٦٠٠ مليار دولار مقابل ٥١٠ مليار دولار عام ٢٠٠١.

الردع النووي والوزن الاستراتيجي للصين في آسيا:

وعندما تقاس القوة العسكرية الصينية كميا من حيث عدد الرؤوس النووية الاستراتيجية وتجارة السلاح العالمية (بما في ذلك انتشار التكنولوجيا النووية العالمية) وقوة العمل العسكري، تأتي الصين كواحدة من أعظم خمس قوى عسكرية في العالم، وذلك بالرغم من أن التقديرات الغربية ترى أن الترسانة النووية الصينية لا تزيد نسبتها على ١ : ١٠ من الترسانتين الأمريكية والروسية.

وتجدر الإشارة إلى أن الصين قد وصلت بالفعل إلى حالة الردع النووي بعد أن استطاعت تكوين ترسانة هجومية ودفاعية نووية على أرقي مستوى بعد أن قررت الصين أن تمتلك، وهي تمتلك بالفعل ترسانة نووية وإستراتيجية هجومية ودفاعية محدودة تكفي منذ الآن لردع القوى الأمريكية، إذ أن مجرد أمتلاك الصين لعدد كاف من وحدات التسليح على هذا المستوي يمكن أن يدمر التجمعات السكانية والقواعد الاستراتيجية تدميراً تاماً لو لزم الأمر.

ولا مراء في أن الصين، بعد أن قطعت شوطا طويلا في مجال التسلح النووي، أصبحت قوة نووية لا يستهان بها من قبل القوي النووي الأخرى في العالم بصفة عامة،

وفي القارة الآسيوية بصفة خاصة (*).

وقد فجرت الصين أول قنبلة ذرية في منطقة لوب ـ نور بمقاطعة سنكيانج الإسلامية الواقعة في أقصى شمال الصين وهي المركز الرئيسي للنشاط الحربي الذري وفيها تتم عملية التفجيرات النووية الصينية. وبلغت الطاقة التدميرية للانفجار الأول ٢٠ كيلو طنا من مادة تي. إن . تي . ثم فجرت القنبلة الذرية الثانية عام ١٩٦٥، وأثبتت هذا نجاح التكنولوجيا الصينية، وتجربتها الثالثة عام ١٩٦٦ بلغت طاقتها التدميرية ٢٠٠ كيلو طنا من مادة تي إن تي، ثم كانت الرابعة في نفس العام، وأخيرا استطاعت بنجاح تفجير أول قنبلة هيدروجينية في يونيه ١٩٦٧، واستمرت في تجارب أخرى تحت الأرض.

علاقات جيدة:

علاقاتها جيدة مع الجيران، سواء مع كوريا الجنوبية أو كوريا الشمالية أو مع اليابان أو روسيا، وتوقف النزاع على مياه بحر الصين الجنوبي (ولو مؤقتا)..

وفي سبيل تقوية مركزها شهدت العلاقات الصينية الروسية ازدهارا منذ التسعينيات تمثل في نمو التجارة بين البلدين، وكذلك لاتفاق على مد خط أنابيب بترول من روسيا إليها عبر آسيا الوسطي، فضلا عن خط أنابيب غاز، ومجموعة من الاتفاقات لمختلف الصناعات خاصة صناعة الألومنيوم في سيبيريا، كما أقيمت لجنة من البلدين لإعداد مشروع مشاركة في تنمية أقاليم الصين الغربية ومنها بينها إقليم سنكيانج (نصف مساحة الصين) وهو المشروع القومي للصين في القرن الجديد، هذا كما وقعت اتفاقيات مع استراليا لاستيراد الغاز الطبيعي والألومنيوم والحديد مقابل فتح السوق الصينية من أوسع الأبواب أمام رؤوس الأموال الأسترالية في مقابل قيام الصين بتنمية شمالي وغربي استراليا.

الصين في الفضاء:

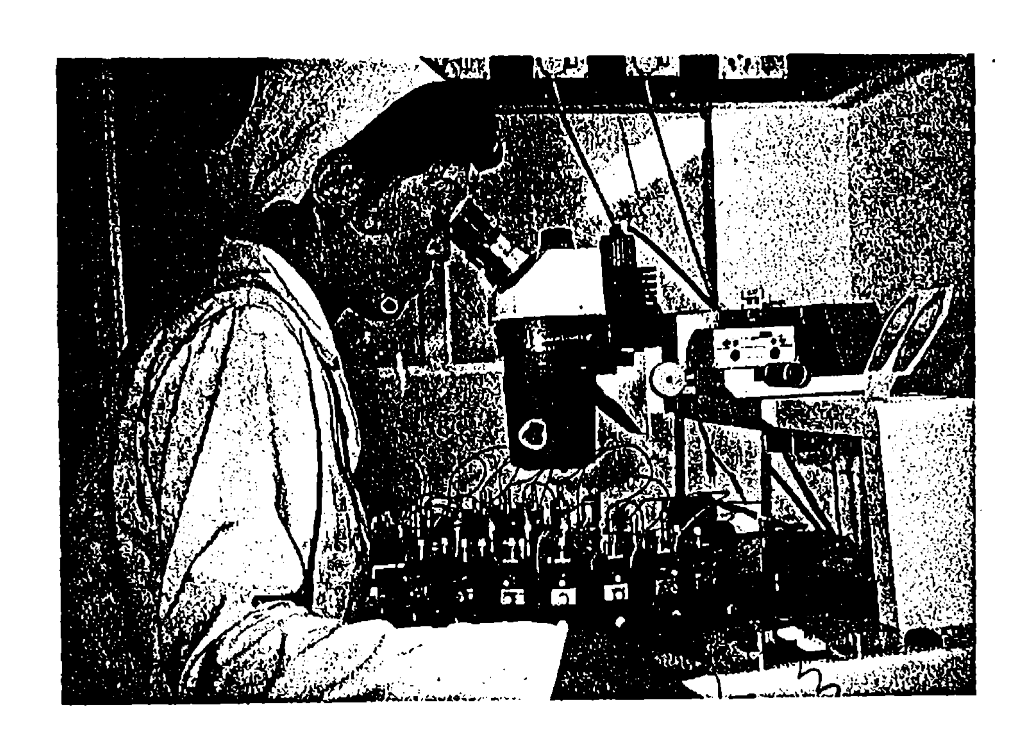
نجحت الصين في إطلاق القمر الصناعي شينزو (٥) إلى الفضاء في الطريق إلى الهبوط على سطح القمر، وتتلوه بعثة شينزو (٦) وعلى متنها رائد فضاء في رحلة عبر الفضاء تمتد إلى نحو أسبوع، ويقدر الخبراء أن الصين سوف ترسل سفينة فضاء دون ملاحين للهبوط على سطح القمر عام ٢٠١٢.

الجغرافية تؤدي إلى عدم المساواة في النمو.

يمثل الفقر في الصين حصة كبيرة من الفقر في العالم ففي عام ١٩٩٠ هناك نحو

(*) فتحت الولايات المتحدة أبواب النادي الذري لأول مرة في يوليو سنة ١٩٤٥ ثم تتابع التحاق الدول به، ودخله الاتحاد السوفيتي عام ١٩٤٩، فبريطانيا العظمي عام ١٩٥٢، ففرنسا عام ١٩٦٠، فالصين عام ١٩٦٤، وأخيرا الهند عام ١٩٧٤، ثم باكستان. وتتفق الكثير من الهيئات العلمية والخبراء على أن إسرائيل تعتبر سادس دولة نووية في العالم بعد الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي السابق والصين والمملكة المتحدة وفرنسا.

٥٠٠ مليون نسمة يعيشون تحت خط الفقر (اقل من دولار في العام)، وهذا يمثل أقل من ثلث إجمالي عدد الفقراء في العالم، ثم أن جغرافية الصين تتدخل لتبرز عدم المساواة في التقدم بين الأقاليم المختلفة، فهناك المحيط الهادي في شرقها وجنوبها (الأطلال على العالم الخارجي) وهناك صحراوات واسعة في أقصى الشمال والغرب، بل وهناك أعلى سلسلة جبلية في العالم في الجنوب الغربي، من ثم يمكن تفسير الاختلافات الإقليمية في الانفتاح التجاري على العالم إلى حد كبير بالبعد عن الموانئ البحرية بين أقاليم الصين المختلفة، ولماذا كان شرقي الصين البحري أكثر تقدما وأسرع نموا من غربيها البري، وأن كانت كل مناطق الصين قد شهدت نموا بدرجة أو أخري عما مضي، فالاتجاه الآن إلى تحقيق توازن معقول بين الطفرات الاقتصادية لمدن شرقي الصين الواقعة على البحر، وبين عمق الصين من الصين الوسطي حتى حدودها الغربية المتاخمة لروسيا وكازخستان وآسيا الوسطي في أفغانستان.



الاعتماد الوطني على الذات يتطلب تعزيز التقدم العلمي

١- المراجع العربية
- البنك الدولى : تقرير التنمية البشرية ١٩٩٦ .
- السياسة الدولية ، أعداد مختلفة وخاصة .
- أحمد عباس عبد البديع ، الأقليات القومية وأزمة السلام العالمى ع ١١٤، ١٩٩٣ .
- عماد جاد ، أبعاد الصراع فى البوسنة والهرسك ع ١١٣ ١٩٩٣ .
- ليستر ثارو : الصراع على القمة ، ترجمة أحمد فؤاد بلبع عالم المعرفة رقم الكويت .
- محمد السيد سعيد : الشركات عابرة القومية ، ومستقبل الظاهرة القومية ، عالم المعرفة ع ١٧٠ الكويت .
- محمد عبد الغنى سعودى ، السوق الأوربية الموسعة وآثارها السياسية والإقتصادية على أفريقية ، المجلة الجغرافية العربية ، العدد السادس ١٩٧٣ .
------ التاريخ العسكرى لليمن (عرض) تأليف سلطان ناجى ع ١٩٧٦ ، جامعة الكويت ، المجلة العربية للعلوم الإنسانية .
------ العروبة والأفريقية : مواجهة أم تضامن فى العلاقات العربية الأفريقية ، معهد الدراسات العربية ، القاهرة ١٩٧٧ .
------ الخليج العربى دراسة فى الجغرافية السياسية ، عرض ، تأليف صبرى فارس الهيتى بغداد ، ١٩٧٨ ، مجلة دراسات الخليج والدراسات العربية ، الكويت
------ إيران دراسة فى جذورالصراع ، الكويت ، القبس ١٩٧٩ .
------ مشكلة الصحراء الغربية ، مجلة كلية الآداب ، التربية ، جامعة الكويت ، العدد رقم ١٤ ديسمبر ١٩٧٩ .
------ القوة البحرية السوفيتية ، الأسطول المساند المقنع ، دافيدرير، ع (٢٠) نشرة وحدة البحوث والترجمة جامعة الكويت أغسطس ١٩٨٠ .
------ إفريقية والعرب (عرض) تأليف أمين أسبر ، بيروت ، دار الحياة ١٩٨٠ جامعة الكويت المجلة الجغرافية العربية للعلوم الإنسانية ، الكويت .
------ مسح تاريخى للمصالح الأوربية فى منطقة الخليج (ترجمة وعرض ونقد) تأليف سيد فاروق حشمت ، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية الكويت ع ٢٥ ، ١٩٨١ .
------ مشكلة الأراضى المقتطعة فى الصومال - المسح الشامل لجمهورية الصومال الديموقراطية ، معهد البحوث والدراسات العربية تعداد ١٩٨٢ .
- التكامل المصرى السودانى بالإشتراك ، القاهرة ، الأنجلو ١٩٨٣ .
------ مشكلة الحدود الصومالية والأرض المقتطعة ، الندوة الدولية للقرن الأفريقى ١٩٨٥ الجزء الأول - مطبعة جامعة القاهرة ١٩٨٧ .
------ مياه النيل ، ندوة العلاقات المصرية السودانية ، مركز البحوث السياسية كلية الإقتصاد والعلوم السياسية ، جامعة القاهرة ١٩٩٠.
------ مجلس التعاون لدول الخليج العربى ، مقوماته ، إنجازاته ، معوقاته ، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية ، الكويت ع ٧٠ ، ١٩٩٣ .
------ جغرافية مصر السياسية ، فى كتاب جغرافية مصر ، المجلس الأعلى للثقافة القاهرة ١٩٩٤ .
محمد محمود الديب : الجغرافية السياسية منظور معاصر ، القاهرة ١٩٨٩ .

The Most Recent References in Polictical Geography

1- Alapura, R. and Others , (eds.) , *Small States in Comparative Prespective* , Oslo 1985 .

2- BLJI , H.J. , *Human Geography Culture , Society and Space* , Wiley , 1996 .

3- Beckinsale, R. , *Rivers as Political Boundaries* , in water , Earth and man , London, 1969 .

4- Birch, A. H. , *Nationalism and National Integration* , New York , Routledge 1989 .

5- Brownlie , Ian , *African Boundaries , Alegal and Diplomatic Encyclopedia* , Land on , Hurst Berkley , Univ. California press 1979 .

6- Cervenka Zdenek ,(ed) *land locked Countries of Africa* Upsala , 1973 .

7- Cutler , Tony and Others , *1992 - The Struggle for Europe , A Critical Evoluation of the Eurapean Community* , New York st. Martin 1989 .

8- Dawson , A. H. , *The Geography of European Integration : A common European Home ?* (New York, Belhaven 1993) .

9- Dink , N. , Karalnycky , A. , *New Nations Rising : The Yall of the Soviets and the Challenges of Indpendence* (New York , Wiley 1993) .

10- Glassner , M. I. , *Political Geography* , Wiley , 1996 .

11- Gray , C. , *The Geopolitics of Superpower* , Lexington, Univ. Press Kentucky 1987 .

12- Goodman , L. , *Small Nations and Giant Firms* , New York , Holmes , 1987.

13- Gottman J., *A Geography of Europe* , Holt, Renehart 1969.

14- Gottman , J., (ed) *Centre and Preiphery,* Beverly Hills, Sage , 1980 .

15- Forbes, D., *The Geography of Underdevelopment* , London, Thon Hopkins Univ. press, 1984 .

16- Hancock , M. D. , *German Unification, Process and Outcomes* (Boulder , Colo : West View Press 1993) .

17- Hoffman, G. , Europe in 1990's : *A Geographic Analysis* , Wiley 1986 .

18- Jhonston, R, Gardiner, V. *eds The Changing Geography of the U.K* , Routledge. 1991 .

19- Lamb, A., *The China - India Border,* London, Chatham House , 1964 .

20- Marsh, W., M., Grossa , J. *Environmental Geography,* Wilcy 1996 .

21- Magas, B., *The destruction of Yugoslvia* , Verso, London 1993 .

22- Nahyalo, B., Swofoda, V., Soviet Disunion : *A History of Nationality Problem in The USSR.* New York , Free Press 1990 .

23- Njiman, J. , *The Geopolitic of Power and Conflict* : Superpowers in the International System 1945 - 1992 (London: Belhaven 1993) .

24- Pinder, A, *Westein Europe , Challange and Change* , Guilford , New York 1991 .

25- Prescott, J. R., *Political Frontiers and Boundaries* , Allen, Unwin, London , 1987 .

26- Kaikobad , Kaiyan Homi , *The Shatt- al-Arab Boundary Question* , Oxford 1988 .

27- Knox , P.I. , *The United States , A Contemporary Human Geography , Willy 1990* .

28- Seoudi , M. A., The October 6th war and the African Economy , African Studies Review , vol. 4. 1975, pp. 1-20 .

29- La Langue et son Role Pour Consolider L'Union Africane , Ball, Soc. Geogr. d'Eygpte, T. 67 1994, pp 133-167 .

30- Taylor , P. *Political Geography : World Economy, Nation State and Locality* , Wiley 1994 .

31- Widstrand C.G,ed, . *African Boundary Problems* Upsala, 1969.

32- William, C.H., *The Political Geography of the New World Order,* New York Halsted p. 1993.

33- Witherik, M., Carr, M. ,?*The Changing Face of Japan* , Hodder 1993 .

" لن يكون هناك ادعاء بتسوية صالحة فى المستقبل للشؤون البشرية ، إلا إذا اعتمدت على المعرفة الذكية ، والفهم الصحيح للظروف الطبيعية للعالم الذى نعيش فيه ... ويقوم الجغرافى السياسى بكشف الغطاء وإزاحة الستار عن المعلومات الخاصة بظروف العالم الطبيعية التى تؤثر فى حياة الإنسان . "

والتر ليبمان

New Herald Tribune, June 21, 1961



" فالجغرافية السياسية بربطها المشكلات الدولية بمسرحها المحلى والمكانى ، تستطيع أن تسهم مساهمة فعالة فى تفهم هذه المشكلات ، فكثير من المشكلات لا زالت ضخامتها تتناسب تناسبًا عكسيًا مع إدراك الناس لأساسها الجغرافى . "

ولدردج ، وايست

The Spirit and Purpose of Geography, London, 1963



ISBN 977-05-1557-4





The World of Words & Thoughts

www.anglo-egyptian.com